الحجاز في صدر الإسلام

دراسات في أحواله العمرانية والإدارية

تأليف
الدكتور صالح أحمد العلي
الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية
في الدراسات الإسلامية

Bibliotheca Alexandrina
0121524

مؤسسة الرسالة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مؤسسة الرسالة

للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ - ص.ب: ٧٤٦٠ برقيًا: بيوشران

الحجاز في صدر الإسلام

دراسات في أحواله العمرانية والإدارية

تأليف

الدكتور صالح أحمد العلي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية
في الدراسات الإسلامية

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يضم الكتاب الذي نقدمه للقراء مجموعة أبحاث نشر بعضها في مجلات معتمدة، في مواضيع يجمعها نطاق عام هو توضيح أحوال الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، ومعلوماتها تساعد على فهم أسس وتطورات الأحوال السياسية والاجتماعية والفكرية لإقليم كانت لأهله مكانة متميزة في تاريخ الأمة والإسلام.

اقتضى تعدد جوانب الأبحاث إلى الاقتصار في عرض مادتها على بعض الكتب الرئيسة ولم نشر إلى ما ذكره عدد من الكتب المهمة، وخاصة سيرة الرسول ﷺ لابن هشام، ومغازي الواقدي، وما جاء في كتب الحديث، وكذلك ما ذكرته بعض الكتب المتأخرة التي يصعب الإحاطة بها واستيعابها، كما أن قِدم إعداد هذه الأبحاث أفقدها الإشارة إلى الدراسات المتعددة القيمة التي ظهرت حديثاً عن بعض ما درسناه، وخاصة في بحث أرض الحجاز وأهل الحجاز، ولا ينبغي اعتبار إغفالي ذكر هذه الأبحاث مبعثة الانتقاص من أهميتها، وإنما مرجعه ازدحام العمل، وأرى أن هذه الأبحاث رسمت الخطوط العامة السليمة في ما تناولته، وجديرة بأن لا يحرم منها القارىء المُطّلعة، وأنا أدرك أن مجال توسيعها وافر، والله أدعو أن يعينني على متابعة نشر ما يتعلق بهذا الإقليم وبنشأة الإسلام وتوسع دولته وتطور حياة أهله: إنه سميع الدعاء، ومنه العون وعليه الاتكال.

الدكتور صالح أحمد العلي

الفصل الأول

أهمية الحجاز في صدر الإسلام

دور أهل الحجاز في تثبيت الإسلام ودولته وتوسيعها:

للحجاز مكانة متميزة في تاريخ الإسلام ودولته، ففيه ظهر الإسلام وتثبتت أركان دولته واستقرت قاعدته، وفيه عاش الرسول ﷺ كل حياته وقضى الخمسين سنة الأولى من عمره في مكة حيث نزل عليه الوحي وبدأ الدعوة للدين الإسلامي، ثم هاجر إلى المدينة التي أصبحت قاعدة دولة الإسلام ومركز المسلمين، ومنها بدأت الدولة تتوسع حتى شملت الحجاز ومعظم جزيرة العرب. وفي الحجاز تقع الكعبة التي يتوجه إليها المسلمون من كافة أرجاء الأرض يومياً في صلواتهم، وفيه مكة التي يحجون إليها، كما أن فيه المدينة التي تضم قبر الرسول ﷺ والمعالم المتصلة بالإسلام الأول. ومع أن عدداً من العرب خارج الحجاز أسلموا في هذه السنين الأولى وأن الرسول كوّن علاقات سياسية مع قبائل تقطن خارج الحجاز، إلا أن السلطان الفعلي لدولة الإسلام لم يخرج عن الحجاز إلا بعد فتح مكة، أي في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته. وحتى في هذه الفترة التي توسعت فيها الدولة الإسلامية فشملت الجزيرة، فإن العماد الأول للإسلام كان مرتكزاً على الصحابة الذين أسلموا مبكراً، فكانوا أكثر الناس تشبعاً بمبادئه وروحه، وبذلك صاروا المصابيح التي تقتدى لهدي الإسلام ومعرفته. وكان منهم الجيش الذي يعتمد عليه الرسول ﷺ في الحفاظ على دولة الإسلام وتوسعها.

وقد ظل أهل الحجاز على الإسلام بعد وفاة الرسول، فلم يرتد أحد من أهل المدينة ومكة، كما أن معظم القبائل الحجازية ظلت على الإسلام، ولا

ريب في أن موقف أهل الحجاز هذا كان من الدوافع التي حملت الخليفة الأول أبو بكر الصديق على الاعتماد على الحجازيين في القضاء على حركات الردة وإعادة سيطرة الإسلام على الجزيرة وتثبيت سلطانه عليها. ولا بد أن الإيمان العميق لأهل الحجاز هو العامل الرئيسي في عدم ارتدادهم وفي مساهمتهم في القضاء على حركات الردة.

ولما خرجت الجيوش الإسلامية لفتح الأقاليم المجاورة للجزيرة بعد إتمام السيطرة على الجزيرة، ظل أهل الحجاز العماد الأول للجيش، لأن أبا بكر رفض إشراك المرتدين في جيوش الفتوح، وقصر اعتماده على القبائل العربية التي لم ترتد، ومن الطبيعي أنه كان من ضمن القبائل التي اعتمد عليها أبو بكر القبائلِ العربية التي كانت تقاتل الفرس والروم ثم انضمت إلى الإسلام وأصبحت من الحركات الإسلامية.

ولا ريب في أن الذين ساهموا في «الأيام» ومقاتلة الفرس والروم كانوا يخدمون أهداف الدولة في تثبيت دعائم الإسلام ونشر سلطانه، ولكن نظراً لإسلامهم الحديث وقلة اتصالهم بالرسول والصحابة في المدينة فإن تشبعهم بروح الإسلام ومبادئه كان يتطلب وقتاً غير قصير.

إن الجيوش الإسلامية التي خرجت من الجزيرة في زمن أبي بكر الصديق للفتح وتوسيع دولة الإسلام، كان كل قوادها من أهل الحجاز، ومن أهل مكة بالذات، بما فيهم من أسلم بعد الحديبية، ومن أسلم بعد فتح مكة.

أهل الحجاز في الأمصار:

ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أباح للمرتدين الاشتراك في الجيوش الإسلامية، فازداد عدد الجيش، وقلت نسبة أهل الحجاز فيه، وقد أظهر المنضمون الجدد حماساً في القتال وإخلاصاً للدولة، وأخذ عددهم يتزايد تدريجياً، ويقوى تشربهم بمبادىء الإسلام وتفهمهم لروحه وإذا كانت نسبة أهل الحجاز قد انخفضت بتزايد عدد هؤلاء، فإن عدد أهل الحجاز لم يقل، وظلوا

يعملون في كافة جبهات القتال من العراق والشام أو مصر، وقد استقر هؤلاء الحجازيون في مختلف الأمصار التي شيدها العرب، حتى لا تكاد تجد مصراً ليس فيه من أهل الحجاز عدد. وقد اهتمت كتب التاريخ والتراجم بذكر أسماء وأحوال الصحابة الأولين خاصة من البدريين أو المهتمين بالشؤون الفكرية. ولا ريب في أن هؤلاء بعض وليس كل من سكن الأمصار، وأن عدداً آخر من أهل الحجاز أكثر ممن ذكرتهم المصادر هاجروا إلى الأمصار واستوطنوها، ولكن المصادر لم تذكر أسماءهم، ولا بد أن الصحابة والتابعين الذين استوطنوا الأمصار الجديدة احتفظوا مدة غير قصيرة بعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية مع وطنهم الأم في الحجاز.

وقد سكن الحجازيون من حيث العموم في كل مصر بالقرب من المسجد الجامع ودار الأمارة، أي في قلب كل مصر وفي أهم منطقة منه، وهذا مما لا بدأن يتيح فرصة للتأثير في السياسة أكثر مما لمن يسكن في الأطراف، وكان منهم عدد من الصحابة الأولين من أهل مكة والمدينة الذين اعتنقوا الإسلام في وقت مبكر وتشربوا مبادئه وتعاليمه، ولكن كثيراً من أهل الأمصار اعتنقوا الإسلام متأخراً، وكان معظمهم من الأعراب الذين يدل وصف القرآن لهم على تأخر تشبعهم بالروح الإسلامية فإن الأخيرين كان عددهم كبيراً في الجيش.

أما الصحابة الأول فكانوا أكثر تشبعاً بالروح الإسلامية، وأكثر انصهاراً مع الإسلام والرسول والخلفاء، والذين حملوا العبء الأكبر في الغزوات والحروب الأولى. ولكنهم احتفظوا بمكانة خاصة في الدولة وفي المجتمع الجديد، فكان الخلفاء يولونهم احتراماً خاصاً ويستشيرونهم ويسمعونهم، وهم بسبب طول اتصالهم بالرسول ﷺ وقربهم منه أكثر تفهماً لروح الإسلام، وسلوكهم أقرب إلى متطلبات الإسلام، وظل أكثرهم يقيم في الحجاز، وقد أكسبهم ذلك مكانة خاصة في الأمصار وفي المجتمع الإسلامي. وتتضح هذه المكانة مما قرر لهم من عطاء عال، وكذلك من المكانة الخاصة التي وضعتها لهم كتب الطبقات، وخاصة كتاب ابن سعد، غير أن عدد هؤلاء الصحابة في الأمصار كان قليلاً،

فقد بقي أغلبهم في المدينة ولم يهاجر منهم إلا عدد قليل، ولدينا إشارات عن عدد من استقر منهم في الأمصار فقد كانوا في البصرة حوالي سبعين وفي الكوفة حوالي ٣٠٠.

ظل معظم الصحابة يقيمون في الحجاز، ويمارسون نشاطهم الاجتماعي والاقتصادي والفكري، وكانوا يحيطون بالخليفة فيشيرون عليه، ويقدمون له الاقتراحات، ويساهمون في توجيه السياسة العليا الإسلامية، ومن المعلوم أن آراءهم وأفكارهم هي مزيج من خبراتهم المستمدة من أحوال الحجاز، مع التعديلات التي أدخلها الإسلام، وحصيلتها تعبر عن روح الإسلام التي سادت في الدولة الجديدة وميزته بسماته الخاصة المعروفة.

مكانة أهل الحجاز في زمن الخلافة الأموية:

ولما انتقل مركز الخلافة من المدينة إلى دمشق في عهد الأمويين، لم يفقد الحجازيون تأثيرهم كلياً لأن الخلفاء الأمويين هم من أهل الحجاز، فإن معاوية مؤسس الدولة الأموية هو ابن أبي سفيان زعيم مكة حتى الفتح الإسلامي، وأخو أم حبيبة زوجة النبي، كما أن عدداً من الخلفاء الأمويين كمروان بن الحكم، وابنه عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز كانوا قد تولى كل منهم إدارة الحجاز أمداً من الزمن قبل توليه الخلافة، وقد ساعدت هذه الولاية على اطلاعهم على أحوال الحجاز، وتثبيت صلاتهم مع عدد من رجالاته، وإلى تفهمهم وجهات أهل الحجاز وتأثرهم بنظرتهم مما كان له أثر في توجيه الإدارة. ثم إن الحجاز زاره عدد من الخلفاء الأمويين، إما في زمن خلافتهم أو قبل ذلك، وكان وجود مراكز الحج فيه عاملاً كبيراً في هذه الزيارات التي لم يَحْظَ بمثلها إقليم آخر من أقاليم الدولة. ومع أن هذه الزيارات كان غرضها الرسمي والرئيسي هو الحج إلا أنها يسرت اطلاع الخلفاء الشخصي على أحواله وعلى تقوية الصلة بأهله. ولا يخفى أن عدداً غير قليل من رجال الحجاز كانوا يفدون على بلاط الخلافة الأموية في دمشق لأغراض مختلفة فيزيدوا من الصلة الوثيقة بين الحجاز والبلاط، ولا بد أن لآرائهم وأفكارهم وملاحظاتهم أثرٌ في الخلفاء،

والواقع أنه حتى الذين وصموا الخلفاء الأمويين بالابتعاد عن روح الإسلام وتعاليمه لم ينادوا بأن الأمويين ابتعدوا عن أهل الحجاز أو جفوهم.

لقد حدث في الحجاز عدد من الثورات ضد الخلافة الأموية، كثورة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية وحركة عبد الله بن الزبير التي امتدت من زمن يزيد إلى زمن عبد الملك، كما أن فرع العنابس من الأمويين الذي كان مقيماً في الحجاز لم يكن على وئام مع الخلافة الأموية، يضاف إلى ذلك ظهور بعض الكتل المناوئة للأمويين في الحجاز، إلا أن هذه الأحداث لم تكن ذات تأثير عميق في جعل الحجاز يقف عموماً موقف المعادي للأمويين فقد بذل الخلفاء جهوداً في إضعاف أثر هذه العوامل، بالاتصالات الشخصية، والمعاملة الطيبة، وإغداق الهبات، والعناية بأمر العطاء، فكان كل ذلك من عوامل هدوء الحجاز وعدم قيام أهله بأعمالٍ أو حركاتٍ قطرية مناوئة للأمويين.

وقد ساعد حصر الأمويين الخلافة في أسرتهم إلى تثبيت الفكرة التي أصبحت كالعقيدة بين الناس وهو أن الخلافة في قريش ولا يمكن أن تكون في غيرهم.

إن أثر الحجازيين في الخلفاء الأمويين تمتد آثاره إلى نطاق السلطات العملية التي كان يمارسها الخليفة، وهي وضع الخطوط العامة للسياسة واختيار الولاة للمناصب الرئيسة في قيادة الجيش وإدارة الأقاليم. ومع أن تعيين ومراقبة وعزل هؤلاء الولاة بيد الخليفة، إلا أنهم كانوا يتمتعون بسلطات عملية واسعة في إدارة - الأقاليم أو المدن التي عينوا عليها طيلة مدة ولا يتهم، فكانوا المسؤولين الفعليين عن الإدارة والتنظيمات التي في أقاليمهم والواقع أنهم كانوا يطبقون التنظيمات التي تطلبها الخلافة، ولكنهم في كثير من الأحيان كانوا يقترحون على الخلافة إدخال نظم أو تعديلات تعم الدولة، ثم إن دورهم في تطبيق الأنظمة هو دور كبير من الناحية الواقعية.

وكانت معظم الوظائف الكبيرة، وخاصة ولاية الأقاليم وقيادة الجيوش

تسند إلى رجال من أهل الحجاز ولا بد أن هؤلاء الولاة كانوا يقربون أهل الحجاز ولا يبخلون عليهم بالرعاية والعناية، وبذلك كان للحجازيين أثر يفوق أثر رجال الأقاليم الأخرى في إدارة الأقاليم ولهم مكانة خاصة بما لهم من صلة بالولاة ولعل من مظاهر ذلك أن الحجازيين في معظم الأمصار الإسلامية كانت خططهم وبيوتهم التي يقيمون فيها قرب المسجد الجامع ودار الإمارة، وكل هذا يظهر مكانتهم المتميزة في الأمصار ودورهم الخاص في الإدارة والتوجيه.

أثر الحجاز في تنظيم الإدارة الإسلامية:

كان الحجاز عند ظهور الإسلام مكوناً من مجموعات من مدن وقرى ومناطق تستوطنها عشائر، كل منها مستقل وله تنظيماته الخاصة، ولا توجد دولة تشمل إدارتها وتنظيماتها هذه المدن والقرى، ولدينا معلومات واسعة نسبياً عن مكة والمدينة، ويمكننا أن نحدد تنظيمات العشائر التي يرجح أن تنظيماتها لم تختلف عن بقية العشائر العربية في المظاهر العامة.

إن التنظيم الذي كان سائداً في مكة عند ظهور الإسلام ترجع أصوله وأسسه إلى قصي وكان قد تَربّى وترعرع عند أخواله من قضاعه في أطراف بلاد الشام ثم قدم مكة وانتزع السيادة فيها، وأعاد تنظيم سكانها وأموالها وإدارتها وكان التنظيم قائماً على أسس قبلية، فكانت عشائر مكة مقسمة إلى قسمين رئيسيين: الظواهر والبطاح، وكل منهما يضم عدة قبائل متباينة في مراكزها ولكل منها ناد، أي مجلس، وجعل لمكة مجلساً عاماً يجتمع بدار الندوة، أما الوظائف الإدارية فقد وزعها على أولاده، كان تنظيم قصي مقصوراً على مكة والقرى القريبة منها وقد ارتبط قصي وأولاده مع معظم قبائل الحجاز بروابط المصاهرة والزواج، وإنهم عقدوا إيلافات مع القبائل الواقعة على طريق تجارتهم، إلا أن ذلك لم يصل حد محاولة تكوين دولة موحدة أو اتحادية. وقد وصلتنا عن التنظيم الذي كان قائماً تفاصيل، وظل قائماً إلى أن سادت دولة الإسلام.

أما المدينة فكان فيها عدد كبير من اليهود، وكان معظم أهلها يشتغلون بالزراعة، وهم مكونون من عدد من العشائر المتداخلة، ولكل منها رئيس له نفوذ

على أفـراد عشيرتـه . غير أنه لم تكن فيها إدارة مركزية عامة كالتي كانت في مكة ، وكثيراً ما كانت عشـائر المدينة تتقاتل فيما بينها مما أدى إلى اضطراب الأمن خاصة وأنها لم تكن حرماً مقدساً أو مركزاً للحج .

ويتضح مما تقدم أن الحجاز عند ظهور الإسلام لم يكن فيه حكومة يشمل سلطانها الإقليم كله ، وإنما كانت فيه مجموعات من المجتمعات المستقلة ، من عشائر ومدن ، ولعل لكل منها تنظيم خاص بإدارتها ، ويتجلى من المعلومات الواسعة نسبياً عن مكة والمدينة أن التنظيم قبلي بسيط ، فليس في أي منها عدد من الموظفين أو دوائر الإدارة ، وليست فيها شرطة للأمن أو جيش خاص يتطلب الإنفـاق عليه ، كمـا أنـه لم تكن في أيّ منهـا أبنية للإدارة والاحتفـالات ، فمؤسسـات الإدارة محـدودة ، ونفقـاتهـا قليلة جداً ، والحـاجة إلى الضرائب ضعيفة ، وكانت المسؤولية في حفظ الأمن والدفاع جماعية تقوم على شعور الفرد بواجبه نحو المجتمع الذي يعيش فيه .

ولمـا هاجـر الرسول ﷺ إلى المدينة وتكونت دولة الإسلام التي ظلت تتـوسـع أكـد على فكـرة السيادة العليا أو السلطة العـامّـة ، وعني بتنـظيم إدارة الحـرب والسلم ، ولم ينشىء إدارة معقدة أو وظائف كثيرة ، ولم يستخدم موظفين ثابتين قد يتطلب تعيينهم دفع رواتب لهم ، فكان المقاتلون ينفقون على أنفسهم ما يحتاجونه من معاش وسلاح ، ولم يشيد أبنية عامة فخمة ، فكانت نفقاته قليلة ، تقتصـر على متـطلباته المعاشية البسيطة ، وعلى ما ينفقه على المعوزين من الصحـابـة المهـاجـرين الـذين هم من أهم ركائز الدولة الجديدة وقد سدت حاجاتهم مما كان ينفقه المؤمنون طوعاً كواجب ديني أمر به القرآن الكريم ، ولا بد أن عمق شعورهم الديني كان يدفعهم إلى السخاء في البذل ، خاصة وأن العرب يقدرون السخاء والبذل ، ولم يجر تنظيم دقيق للإنفاق حتى السنة العاشرة للهجرة عندما تحدد نصاب الزكاة وتنظيم الإنفاق على أسسٍ «قانونية» .

ولا ريب في أنه جاءت الرسول ﷺ مصادر للموارد من جبايات الأراضي التي صارت للمسلمين بعـد طرد اليهـود من المـدينـة ، وكـذلك من أخماس الغنائم ، ومما كانت تدفعه بعض العشائر المسلمة ، ومقدار ذلك غير كبير. أما

أساليب الجباية فلم تكن معقدة، ففي المدينة كانت الجبايات تسلم له مباشرة، أما في البادية فكان بعض رؤساء العشائر يأتون إليه بصدقاتهم، ولكنه في السنتين الأخيرتين من حياته كان يرسل مصَدِّقين إلى بعض العشائر للجباية.

ويجدر أن نذكر أن الرسول ﷺ ركز عنايته بالعقائد والجوانب الروحية والخليفية بالدرجة الأولى، وأنه كان يتبع أساليب متعدده في تقدير وطريقة الجباية على الأراضي والمواشي وذلك تبعاً للأحوال والظروف، وعندما فرض نصاب الزكاة في السنة العاشرة للهجرة، وكان هذا النصاب حوالي ١ / ٤٠ على العين من الذهب والفضة، وكذلك على المواشي، وحوالي ١٠٪ على بعض أصناف المزروعات.

ولما توسعت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ وضعت أقاليم واسعة وغنية، ذات نظم معقدة تكونت نتيجة خبرات طويلة وواسعة. فالعراق مثلاً كان من أغنى الأقاليم ويعتمد في ثروته على الزراعة التي تتطلب إدارة معقدة لتنظيم شؤون الري والزراعة والجباية من تلك الأراضي مما يتطلب صلاحيات واسعة لحكومة قوية تستطيع حشد عدد كبير من العمال لحفر الترع وإقامة السدود وصيانتها والمحافظة عليها، وهي بدورها تتطلب معرفة متقنة بانحدار الأرض ومستواها وتعرجها، كما تتطلب معرفة بتوازن السوائل ومواد البناء والتربة، لتأمين تخزين المياه للصيف واتقاء أخطار الفيضانات، والاستفادة من الماء بأحسن وسيلة ممكنة، وكل هذه لا يمكن أن تتم إلا بأعمال جماعية ليفيد منها عدد كبير، وهذا بدوره يتطلب حكومة قوية تستطيع أن تهيمن وتنظم الأمور وتمنع التجاوزات والتعديات التي تؤدي إلى الفوضى والاضطراب.

ثم إن الزراعة في العراق خاصة هي أساس حياة المجتمع والحكومة، والمجتمع يعتمد في معاشه وصناعته على المنتوجات الزراعية للمنطقة المجاورة، كما أن الحكومة كانت تعتمد في مواردها المالية على ما تجبيه من الزراعة، لذلك لم يكن بالإمكان ترك أمور الزراعة على أهواء الأفراد من الزراع ورغباتهم، للحفاظ على مبدأ العدالة التي هي قوام الحكم والتي يقتضي تطبيقها حرية العمل في الملكية الفردية من بيع ورهن وهبة وتوريث وتصرف

مطلق، ولذلك اعتبرت الأراضي الزراعية فيئاً وملكاً عاماً يعمل فيها الفلاح جبراً وفق الشروط التي تضعها السلطة التي تمثل المصلحة العامة، فالدولة هي التي تقرر نوع المزروعات ومقدار الضريبة؛ وقد أدرك الخليفة عمر ببعد نظره أهمية الاستمرار على هذا المبدأ لمستقبل الدولة والمجتمع، فاعتبرها فيئاً يدفع الفلاح عنها الخراج الذي تقرره الدولة، وهذا تختلف أحكامه وإدارته كلياً عما كان سائداً في الحجاز وجزيرة العرب، وقد طبقت مثل هذه الأنظمة على الأقاليم خارج جزيرة العرب.

وقد امتلك عدد من المسلمين، وخاصة أهل الحجاز، أراضي في الأقاليم التي ضمت إلى دولة الإسلام، وكان بعض هذه الأراضي مواتاً لا تُزْرع فأحيوها، أو مما كانت صوافي لا مالك لها فاقتنوها، وصاروا يدفعون عليها العشر، وكانت تسمى أراضي العشر، وكانت ملكاً صرفاً لأصحابها غير أن بعض العرب، وخاصة المتنفذين، أخذوا يمتلكون أراضٍ خراجية، ويدفعون عنها العشر وفقاً لما كان سائداً في الحجاز، وكان لهذا تأثير في إنقاص مقدار الجباية مما يهدد موارد الدولة، وحمل هذا الخليفة عمر بن عبد العزيز على إصدار قرار بإبقاء الخراج على الأراضي الخراجيّة حتى إذا امتلكها العرب، ولكنه أبقى العشر على ما يحييه العرب المسلمون من أراضي الموات وكان معظم هذه الأراضي قرب الأمصار التي أنشأها العرب في الأقاليم.

دور أهل الحجاز في النشاط التجاري وتنظيمه:

كان الحجاز عند ظهور الإسلام مركز نشاط تجاري واسع، وخاصة في مكة. ومن مظاهر سعته وعمقه كثرة المجازات المتعلقة بالمعاملات التجارية من القرآن الكريم كالحساب والميزان والقرض والإجارة والعمل. وتُظهر المعلومات المتوفرة في كتب التاريخ جوانب من الحياة التجارية المعقدة كالسجلات والصحف والكتب وطرق الحساب وتدوينها، وعمليات الإقراض ومتطلباتها، والشركات واستخدام الأجراء والوكلاء، وهذه المعاملات لم تكن محليه ضيقة، وإنما امتدت إلى الدول والأقاليم التي في جزيرة العرب وخارجها، فهي وثيقة

الصلة بالتجارة العالمية، وهي ترجع إلى أزمنة قديمة، ومن مظاهرها الفصول الطويلة التي خصصتها كتب الفقه للمعاملات التجارية، ويتجلى فيها عند ظهور الإسلام الشمول والدقة والسمة العالمية.

وقد أقر الإسلام العمل بالتجارة وشرعية أرباحها وشجع على الكسب الحلال واعتبر ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾. وكان الكثير من الصحابة الأولين يعملون في التجارة بمكه ثم في المدينة بعد الهجرة، وجنى بعضهم منها أرباحاً، فلما توسعت الدولة الإسلامية مد أهل الحجاز وخاصة أهل مكة نشاطهم التجاري إلى مختلف أقاليم الدولة، وجنى بعضهم من هذا النشاط أموالاً طائلة. ولا بد أن تأثيرها في الخلافة والولايات كان كبيراً في توجيه سياسة الدولة نحو تشجيع التجارة ونموها.

وقد تأثر الحجاز من توسع النشاط التجاري، فازدادت النقود فيه ووفرت الثروات ونمى استيراد السلع من أقاليم الجزيرة وخارجها، وأهم ميدان واضح لهذا النمو هو في المنسوجات المنوعة التي كانت تستورد من مختلف أقاليم الدولة، بما في ذلك الأقاليم النائية كخراسان وما وراء النهر.

ولا بد أن نمو التجارة رافقهُ نمو في المعاملات المالية والصرفية وتبادل النقود.

مكانة نظم الحجاز في السُّنّة:

تُجمع كتب أصول الفقه على أن السُّنّة هي المصدر الثاني بعد القرآن في التشريع، ويقصدون بالسنة ما قاله الرسول ﷺ أو فعله أو رآهُ فأقره أو لم ينكره، وقد توسع بعضهم فاعتبر من السنة أعمال الصحابة أيضاً، ولما كان الرسول ﷺ والصحابة عاشوا حياتهم في الحجاز، فتكون السنة الأوضاع التي كانت سائدة في المدينة بصورة خاصة، مما لم يعدله الرسول ﷺ.

وقد ترددت في الكتب المطالبة باتباع سنة الرسول منذ زمن خلافة عثمان عندما حدث توتر فطالب بعض الناقمين عليه بتطبيق سنة الرسول، وقد كررت

المصادر ذكر مطالبة بعض الفرق الثائرة الخلفاء بتطبيق كتاب الله وسنة نبيه. ومن المعلوم أن هذه المصادر دونت في القرن الثاني الهجري. ولم توضح كتب التاريخ ما أراد المنادون بتطبيق سنة النبي بدعوتهم إلى ذلك، وهي على أي حال تظهر تقدير الناس لسنة النبي واعتبارهم إياها من أسس الحكم السليم. وكانت أقوال الرسول ﷺ وأعماله وأخبار الممارسات التي تجري بمشهد من الصحابة وإقرار منهم تنقل شفاهاً إلى أن أمرَ عمر بن العزيز عندما وُلّي الخلافة بتدوين أحاديث الرسول، ومنذ ذلك الوقت ظهرت عناية خاصة بتدقيق الروايات في أحاديث الرسول ﷺ وضبطها.

واستمر الاهتمام بنقل المعلومات عن ما أقره الصحابة والتابعون وكبار العلماء من الممارسات التي جرت خلال صدر الإسلام، ثم بدىء بتسجيلها في كتب يطلق عليها «المصنفات» و«السنن» و«الآثار» وقد وصلنا بعض المؤلفات الأولى بهذا العنوان، ومن أقدمها وأوسعها مصنف ابن أبي شيبه، ومصنف عبد الرزاق، وفي كل منهما نصوص كثيرة مما شاهده وأقره الرسول ﷺ والصحابة وعلماء التابعين من الأمصار، والمدينة.

وقد اكتسبت المدينة مكانة خاصة في الدولة الإسلامية باعتبارها المركز الذي قامت فيه الدولة الإسلامية في زمن الرسول، والبلد الذي طبق فيه الرسول ﷺ تنظيماته، كما أنها مقام الأولين الذين رافقوا الرسول ﷺ وهم أعرف من غيرهم بتعاليمه. وقد ظلت المدينة مقر الخلافة الراشدة التي جرى في زمنها فتوح أغنى أقاليم الدولة وكان لأهلها أثر في توجيه الخلفاء في وضع التنظيمات التي صارت أساس تنظيم الدولة ومن هذا الباب تكتسب تنظيمات الدولة صفة الشرعية وترفعها إلى مستوى السنة باعتبارها من ممارسات الصحابة التي أقرها المجتمع الإسلامي عند تطبيقها.

ولا ريب في أنه ظهرت في المدينة ممارسات جديدة ظهرت تدريجياً بمشهد من الصحابة والتابعين، وكثير منها بإقرارهم الضمني عن طريق عدم الاحتجاج عليها، وهكذا أدخل مالك بن أنس في موطئه أحكاماً أقرها مروان بن

الحكم، وعبد الملك بن مروان، باعتبارها معترفاً بها عند أهل المدينة. كما أنه ردد في عدة أحكام جملة «والأمر عندنا»، و «المجمع عليه عندنا». «والسنة عندنا». وهو يقصد الممارسات السائدة في المدينة في عصره والتي أقرها أهل المدينة سواء كانت ترجع إلى زمن الرسول أو أنها استجدت بعدئذٍ.

وكانت لعلماء أهل المدينة مكانة خاصة في العالم الإسلامي، فزاد ذلك من اهتمامهم، بالأمور العامة، وخاصة في العبادات والأمور الدينية فكانوا يبدون آراءهم، أي يفتون في القضايا والأفكار الجديدة في المدينة وفي عدد من بلاد العالم الإسلامي.

ظهر خلال هذه الفترة عدد من الفقهاء في مختلف الأمصار الإسلامية وخاصة في البصرة والكوفة وبلاد الشام، ومع أن فقهاء الأمصار هؤلاء نظروا في كثير من القضايا المحلية، إلا أنهم ظلوا يولون علماء المدينة مكانة متميزة كمصدر للمعلومات وخاصة عند الرسول وممارساته، وكذلك كمصدر للعبادات ولكثير من القضايا الفقهية. ويلاحظ أن أبا يوسف وهو من أعظم الفقهاء العراقيين كان من أهل المدينة معظم شيوخه الذين نقل عنهم في كتابه «الخراج» كما أن الموطأ وهو أقدم كتاب فقهي وصلنا، قد نظم في فصول مبوبة، مما يظهر أن مادة الفقه وقضاياه وتنظيمها قد تمت أولياته في المدينة، ومن المعلوم أن تنظيم الموطأ كان الأساس لتنظيم كتب الفقه التالية التي احتفظت بتنظيمات واحدة طيلة العصور الإسلامية. وتجدر الإشارة إلى أن محمد بن الحسن الشيباني وهو من أبرز فقهاء العراق الأولين، درس على مالك بن أنس وروى موطأه كما أن جعفر الصادق، وهو أبرز فقهاء الشيعة الأولين عاش حياته في المدينة.

دور أهل الحجاز في توجيه الثقافة في بغداد:

ولما أسس الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بغداد، اهتم بتقريب أهل المدينة، فاستدعى عدداً منهم إلى بغداد، كما كان منهم عدد من صحابته وقد أنزلهم في الطرف الجنوبي من المدينة المنورة بالقرب من قطائع عدد من

رجال الأسرة العباسية والكتاب والمقربين للخليفة، كما أنه رحب بابن اسحق مؤلف السيرة، وعين على قضاء بغداد بعض علماء أهل الحجاز، وبذلك ثبت مكانة أهل المدينة الذين لا بد أنه كان لهم دور كبير في توجيه بغداد الثقافي في تثبيت اللغة العربية والدين الإسلامي والاهتمام بالحديث النبوي، ولا يخفى أن كلاً من أبي جعفر المنصور، ومحمد المهدي، وهارون الرشيد، زار الحجاز وأغدق على أهل العطاء والهبات، وأظهر احتراماً وتقديراً لعلمائه ورجاله.

ولعله يرجع إلى نفوذه ازدهار الفقه وشموله بالدراسة الأوضاعَ والنظمَ المالية والإدارية، تلك الدراسات التي تتجلى في كتاب (الخراج) لأبي يوسف و(الخراج) ليحيى بن آدم و (الأموال) لابن سلام، ومن تابعهم، وكلها تعتمد على علم أهل المدينة، وهي تقدم صورة خاصة لا تتفق مع الصورة التي يقدمها «الكتاب» في مؤلفاتهم.

ولا بد أنهم كانوا وراء القوى التي عارضت محاولات المأمون والمعتصم في فرض عقيدة المعتزلة على الناس. وكان انحدار المعتزلة إيذاناً بالابقاء على نفوذهم، وإن كان قد تضاءل. ويلاحظ أن كتب الحديث التي دونت بعد هذه الفترة نظمت على أساليب كتب الفقه تلك الأساليب التي نعتقد أنها ترجع إلى أهل المدينة كما ذكرنا.

إن المكانة المتميزة لسنة الرسول ﷺ كانت من العوامل لاختلاق الأحاديث على الرسول ﷺ وإلى تضخم هذه الأحاديث. ومن المعلوم أن للاختلاق دوافع متعددة منها الدوافع الأخلاقية التي تحض على سلوك معين مستحب ومنها أيضاً الدوافع الاجتماعية كالموقف من الفقر والغنى أو من بعض أصحاب الحرف، سواء في الإشارة إلى حرفهم أو إلى أساليب جباياتهم، وكذلك الدوافع الاقتصادية والإدارية كذم أو مدح بعض النظم الاقتصادية أو أنواع من الضرائب.

غير أن أبرز دوافع الاختلاف هو ما يتصل بالموقف من السلطة الحاكمة

أو فرقة معينة من الفرق السياسية والعقائدية، ومن هذا الصنف الأحاديث الموضوعة على لسان الرسول ﷺ التي تمجد أو تذم أقاليم أو مدناً أو أشخاصاً معينين.

أدى اختلاق الحديث إلى تقديم مادة واسعة ومتشابكة ومتناقضة أحياناً، كالأحاديث التي تؤكد على إباحة أو منع استعمال الحرير، أو التي تمدح أو تذم الفقر أو الغنى، أو حدود إباحة الصرف وتبادل المعادن.

وكثير من هذه الأحاديث المختلفة تعكس الأوضاع والأحوال السائدة في أواخر القرن الأول وفي القرن الثاني. غير أن الاستفادة منها في دراسة التاريخ يتطلب اطلاعاً واسعاً على تاريخ هذه الفترة ومهارة كبيرة في معالجة تلك الأحاديث، كيما يميز بين ما كان سائداً في زمن الرسول وما جد بعد ذلك.

ومن أبرز ما اختص علماء الحجاز بالعناية به هو دراسة سيرة الرسول ﷺ وتدوين أخبارها. وقد بدأت هذه الدراسة منذ أوائل العصر الأموي، وكان أبرز روادها إبان بن عثمان والزهري، ويروى أن من دوافعهم على بحثها هي الأسئلة التي وجهها إليهم بعض الخلفاء الأمويين عن سيرة الرسول ﷺ وكانت هذه الأسئلة مقدمة لدراسات تالية أكثر تفصيلاً اعتمدت على معلومات قدمها أهل الحجاز، ووصلت مستوىً عالياً من السعة والشمول فيما كتبه موسى بن عقبه والزهري، وابن اسحاق والواقدي، وكان كتاب ابن اسحاق المصدر الأساسي الذي نقل النّاس عنه السيرة واحتذوا بتنظيمه ولم يخرجوا عن نطاقه.

ورافقت دراسة السيرة كتابة التاريخ العام للإسلام، فكتب فيه ابن اسحاق والواقدي خاصة، وتميزت كتابتهم بدقة التعبير، والنظرة الشاملة التي تسمو على المبالغات والإقليميات، وشملت كتابتهم تاريخ حوادث الحجاز، وأخبار العالم الإسلامي.

وظهر في الحجاز من أهله شعراء تَميَّزوا بنظم الغزل الرقيق مع وضوح

الأسلوب، والاحتفاظ بالأوزان القديمة، نذكر منهم عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة، وكثيّر عزّة، والشعراء الهذليين، ونما عندهم شعر الحب العذري.

مكانة علماء الحجاز:

كان أهل الحجاز أبرز حَمَلة مشْعل الإسلام وأفكاره في الدولة الجديدة، فقدم الصحابة في الإسلام، وصلتهم الوثيقة بالرسول ﷺ واطلاعهم على أفكاره، وتعودهم على نمط الحياة التي يدعو إليها، وتمرسهم في قراءة القرآن، يَسّر لهم مكانة متميزة في الأمصار التي كان معظم أهلها ممن تأخر إسلامهم وقلت صلتهم المباشرة بالرسول ﷺ، وأصبح الصحابة البارزون الذين استوطنوا الأمصار، مرجع الناس لمعرفة القرآن الكريم وتوجيهات الإسلام، فكانوا المشاعل التي أنارت للناس السبيل، والمحاور التي دارت عليها الحركة الفكرية في هذه الأمصار منذ أول تأسيسها، ولعل من أبرزهم في البصرة أنس بن مالك، وفي الكوفة عبدالله بن مسعود، وقد اعتز أهل الأمصار بهذه (المشاعل الفكرية) من أعلام الصحابة، ودوّن مؤلفوا كتب الطبقات أسماءهم وأخبار بعضهم. وبوضعهم أسس هذه العلوم، وخاصة علوم القرآن ثم الفقه، ثبتوا التوجهات العلمية في الأمصار، وأكدوا على أهمية أهل الحجاز في التوجيه، وأنموا الاهتمام بمعرفة أحوال الحجاز وأهله لصلته الوثيقة بالإسلام، ومما زاد في أهمية الحجاز وأهله في هذه الفترة المبكرة أن معظم ولاة الأمصار كانوا من أهل الحجاز.

إن التوجه العميق الذي وضعه أهل الحجاز في صدر الإسلام سار عليه العلماء في الأمصار من التابعين ومن تلاهم، وكثير منهم لم يكونوا من أهل الحجاز، ولكن الحجاز ظل يحتفظ بأكبر عدد من رجاله الذين يدرسون العلم، وكانوا المراجع التي يرحل إليها علماء الأمصار للاستزادة من المعرفة، ونظراً لمكانة المدينة في حياة الرسول ونشأة الإسلام، وتشبع أهلها بالنظرة الإسلامية، ورجوع الناس من مختلف الأمصار إليهم فقد أنموا نظرة (إسلامية عالمية)

وخاصة في الفقه الذي كان العلم الثاني بعد علوم القرآن في العناية والنمو، ورافقه أيضاً نمو علم الحديث ودراسة السنة، وبذلك احتفظ علماء الحجاز، وبخاصة مكة والمدينة بمكانة متميّزة في الحركة الفكرية، بما اتسموا به من سعة اطلاع. وإدراك لمثل الإسلام، ونظرة شاملة، زاد من تثبيتها انتقال الخلافة عنهم فأصبحوا متحررين من نفوذ السلطة السياسية، ولا يتهمون بممالأتها، وإنما كانوا المرجع الذي يحترمه الخلفاء فيها.

الفصل الثاني

المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز

نشطت الحركة الفكرية في الحجاز، وفي المدينة بصورة خاصة، في وقت مبكر جداً يوازي إن لم يسبق ظهورها في الأقاليم الأخرى، وقد تناولت جوانب متعددة، منها البحث في سيرة الرسول، والتراجم، والنسب، والتاريخ، والشعر، والفقه، وقد تطرق كل منها إلى أحوال الحجاز عامة، والمدينة خاصة.

فكتب السيرة مثلاً ذكرت في ثنايا بحثها عن حياة الرسول الغنية الطويلة، أماكن كثيرة في الحجاز، وسكانها وعشائرها وتحديد مواقعها، وأقدم كتابين وصلانا عن السيرة، هما اللذين الفهما ابن اسحق والواقدي. فأما سيرة ابن اسحق فقد كانت العماد الرئيسي لمن تلاه من مؤلفي السيرة، وقد خص بالتفصيل طريق هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، والطريق الذي سلكه إلى بدر، وإلى ذي العشيرة، وإلى تبوك، وإلى حنين، وبيّن كافة المحطات التي تقع على كل منها، فضلاً عن إشارته إلى بعض طرق قوافل أهل مكة واتجاهاتها.

أما الواقدي فقد تابع ابن اسحق في كثير مما كتب عن السيرة، ولكنه اهتم بتحديد معظم الأماكن التي أوردها وذكر أبعاد كثيرٍ من هذه الأماكن بالأميال والبرد.

غير أن كتب السيرة ركزت بحثها على حياة الرسول وأعماله، لذلك جاءت أغلب المعلومات المتعلقة بأوضاع الحجاز وجغرافيته وأهله عرضية مشتتة غير شاملة ولا متناسقة، وهي متركزة على ما له علاقة بالرسول بصرف النظر عن

أهمية ذلك المكان، كما إن أغلبية الأماكن التي وردت في هذه الكتب تقع حول المدينة أو بينها وبين مكة ثم إن كتب السيرة الأولى رغم قدمها، قد دُونت بعد الرسول بأكثر من قرن، وهي فترة حدثت خلالها تطورات غير قليلة لعلها انعكست في كتب السيرة ودخلت فيها، ولعل أوضح مثل على ذلك ضبط المسافات بالأميال والبرد، الذي تم في العصر الأموي والعباسي ولم يكن في زمن الرسول ﷺ.

أما كتب النسب فأقدم ما وصلنا منها هو كتاب (النسب الكبير) لهشام بن محمد الكلبي، و (نسب قريش) لمصعب الزبيري الذي اعتمد عليه وأضاف له كثيراً الزبير بن بكار. وقد صار هذان الكتابان المصدرين الرئيسين لمن تلاهما؛ وفي كل من هذين الكتابين معلومات قيمة عن العشائر والأسر والشخصيات البارزة ومكانتها الاجتماعية ودورها السياسي، مع إشارات إلى أماكن إقامتها وأملاكها وثرواتها، ولكن هذه الكتب تركز على النسب، ولا تقصر بحثها على الحجاز وحده.

أما كتب التراجم فأقدم ما وصلنا منها هو كتاب (الطبقات الكبير) لابن سعد كاتب الواقدي وهو يتكون من ثمانية مجلدات كبار يبحث الأول والثاني منهما في حياة الرسول ﷺ، ويختص الجزء الثالث والرابع والخامس بالصحابة والتابعين من أهل المدينة ومكة خاصة أما السادس فيبحث في تراجم الكوفيين، والسابع في البصريين وأهل خراسان والشام والمدائن، والثامن في النساء. ويتبين من هذا أن الأجزاء الخمسة الأولى والثامن تتناول أهل الحجاز، وقد اعتمد بالدرجة الأولى على الواقدي، غير أنه نقل من عدد كبير غيره نصوصاً متباينة في العدد والطول. والكتاب غني بالمعلومات عن الحركة الفكرية ومظاهر الحياة الاجتماعية كالألبسة والزينة. وفيه معلومات عن الأماكن والإدارة والملكيات، غير أن هذه المعلومات مبعثرة، كما أن المؤلف اهتم بالقراء والأتقياء فخصهم بفصول طويلة، وأهمل الجوانب الإدارية والسياسية. وقد صار كتاب ابن سعد نموذجاً ومصدراً تابعه كثير ممن ألفوا في الرجال كأبي حاتم

الرازي، وابن عبد البر، وابن الأثير، وابن حجر العسقلاني. والطبعات الحالية للكتاب ناقصة فقد فيها تراجم عدد من الصحابة والتابعين.

إن مكانة الحجاز في تاريخ الإسلام، والحوادث الخطيرة التي حدثت فيه وخاصة في القرن الأول وأوائل القرن الثاني، كواقعة الحرة، وثورة ابن الزبير، وهجوم الخوارج، وقيام محمد النفس الزكية، وثورة العبيد، فَضْلاً عن الأحداث السلمية التي حدثت فيه، أثارت اهتمام المؤرخين فتتبعوا أخبارها وذكروها ضمن التيار العام لتاريخ الإسلام، كما خصص لها بعضهم كتباً خاصة، فقد ألف عن الحرة كل من أبي عبيدة وأبي مخنف والواقدي والغلابي، وألف أبو مخنف كتاباً عن حصار ابن الزبير[1]، ولم يبق من هذه الكتب إلا مقتطفات نقلها الطبري في تاريخه، والبلاذري في كتابه «أنساب الأشراف» والسمهودي في «وفاء الوفا» وفي ثنايا هذه الكتب معلومات عن أماكن في الحجاز، وعن طرق المواصلات والمراكز العسكرية، وبعض التفاصيل عن خطط المدن، وخاصة مكة والمدينة، وهذه المعلومات ذات أهمية كبيرة لأن ورودها في زمن ما يعين على تعيين تاريخ ذلك المكان. غير أنها معلومات متفرقة مشتتة وغير متناسقة أو كاملة.

لقد ظهر في الحجاز، قبل الإسلام وبعده، عدد غير قليل من الشعراء، عاش بعضهم في البادية والريف كشعراء الهذليين والعذريين، وعاش الآخرون في المدن كعمر بن أبي ربيعة، وقد تطرق هؤلاء الشعراء في شعرهم إلى ذكر كثير من الأماكن والعشائر والأحداث السياسية وبعض المنتوجات، وقدموا صوراً متعددة من الحياة، والشعراء يتميزون بضبط الأسماء لأن حركات الكلمات تؤثر في الوزن والقافية؛ واهتم اللغويون بشعر هؤلاء الشعراء فشرحوه وفسروه وقدموا

---

١ ـ يضم كتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للسخاوي، أوسع قائمة بأسماء الكتب التي ألفها في التاريخ. وقد أعيد طبع كتاب السخاوي معه تعليقات وافية أضافها (روز نثال) وقمت بترجمتها ونشرها في كتاب علم التاريخ عند المسلمين، وقد أضفت إلى هذا الكتاب ما ورد في فهرست ابن النديم من كتب تاريخ مصنفة تبعاً لمواضيعها.

في ذلك معلومات إضافية قيمة عن الحجاز وأحواله .

غير أن الشعر عادة غير مفصل أو شامل في وصفه، أو دقيق في ضبطه، فقد يذكر مكانين معاً، وهما متباعدان في الموقع، وهو بالتالي تعبير عن مشاعر الشاعر وعواطفه، وقد يبتعد التعبير العاطفي الشخصي عن الدقة. كما أن شروح اللغويين ليست دائماً وافية أو دقيقة.

لقد كان المأمول أن الحج الذي يؤديه سنوياً عدد كبير من المسلمين، فيهم العلماء والمفكرون، سيثمر كتباً يدون فيه الحجاج ملاحظاتهم، فتكثر كتب الرحلات التي مبعثها الحج، غير أن الواقع غير ذلك، فإن عدد الرحالة الذين ذهبوا إلى الحج ودونوا أخبار رحلاتهم قليلون جداً ومتأخرون، ولعل من أقدم من وصلتنا رحلاتهم من هؤلاء الحجاج هو ابن جبير الذي جاء في أواخر القرن السادس الهجري، وهو ومن تلاه متأخرون عن الفترة التي ندرسها الآن.

وقد ظهرت في القرن الثالث الهجري عدد من كتب المسالك والممالك، وكتب الجغرافية التي وصفت طرق المواصلات ومحطاتها، وأقاليم العالم الإسلامي، وخصت الحجاز بفصول منها، وقدمت معلومات طيبة عن هذا الإقليم، واستمدت كثيراً من معلوماتها من سجلات الدواوين، كما نقل بعضها معلومات من المتقدمين، ولكننا سوف لا نتناولها بالتحليل لأنها متأخرة نسبياً، ولأنها تتابع نماذج في التأليف كانت سائدة في المشرق دون الحجاز[1].

إن كافة الأصناف التي ذكرناها فيما سبق فيها مادة قيمة عن الحجاز وأحواله في القرون الأولى، غير أن هذه المادة مشتتة ومبعثرة، وقد ذكرت بصورة عرضية، ومهما حاول الإنسان جمعها وترتيبها، فلا يكفي أي مصدر منها، بل وكلها مجتمعة على إعطاء صورة متماسكة واضحة لأحواله، لا نقصاً في

---

١ - إن سياق البحث اقتضى إعطاء نظرة عامة والاكتفاء بذكر الكتب الرئيسة، أما من يريد التفاصيل عن الكتب في كل من المواضيع التي ذكرناها فيحسن الرجوع إلى الكتب المختصة وخاصة كتاب بروكلمان عن تاريخ الأدب العربي؛ وكتاب فؤاد سزكين «تاريخ التراث العربي».

مؤلفيها، بل لأنهم لم يكونوا يهدفون إلى ذلك، إذ أن مؤلفي كل صنف كان لهم هدف بيناه، ولذلك فإن المعلومات التي أوردوها ينبغي أن تعتبر مكملة أو موضحة لمؤلفات الكتاب الذين ألفوا كتباً تدور حول الحجاز أو إحدى مُدنه بالدرجة الأولى، وهو الموضوع الذي نريد تناوله بالبحث في مقالنا هذا.

ولا بد من الإشارة إلى أننا سنقصر بحثنا هذا على دراسة المؤلفات، أو الأفكار والمعلومات التي دونت في الكتب ووصلتنا بنصها أو بما نقل عنها، فلا ندخل الأفكار والآراء والمعلومات التي من المحتمل، أو من الراجح، أنها كانت معروفة في عصرها، أو أشغلت اهتمام المعاصرين في زمنها ولكنها ضاعت وفقدت فلم يصلنا منها شيء. حيث أن فقدان هذه المعلومات يجعل من الصعب الحكم على قيمتها وأهميتها أو تقرير النسبة بين اهتمام الناس في قضية ما وبين تدوينهم لها.

ولا ريب أن الحركة الفكرية التي ظهرت في العالم الإسلامي في زمن مبكر، كانت تعتمد بالدرجة الأولى على المناقشات والآراء التي تحفظ عن ظهر قلب وتنقل مشافهة إلى أن بدأ التدوين على نطاق واسع بشكل كتب بعد انتشار الورق في أواخر القرن الثاني، وهنا تبرز مشكلة تقرير نسبة الأخبار وتعيين مَصْدرِها الأصلي. ولتوضيح ذلك نقول إن الطبري في كتابه: «تاريخ الأمم والملوك» مثلاً اقتصر على إيراد روايات المصادر القديمة عن الأحداث التاريخية، وإن أغلب هذه المصادر لم تصلنا من أصحابها بشكل كتب، لأن أصحابها لم يدونوا معلوماتهم في كتب وأبقوها بشكل روايات شفهية إلى أن جاء أصحاب الكتب فدونوها ذاكرين مصادرهم أو مغفليها، فالطبري يروي مثلاً كثيراً من الروايات عن سيف بن عمر الذي يروي بدوره عن عدد من الشيوخ مثل محمد وطلحة وزياد وغيرهم، إن هذه الأخبار يمكن أن يعتبر صاحبها محمد (الشيخ الأول) أو سيف (الناقل الذي جمع الروايات في كتاب) أو الطبري (الذي نقل كتاب سيف وأوصله لنا). أما نحن في بحثنا هذا فسنعتبر المؤلف هو الشخص الذي روى مؤرخو الفكر الإسلامي أنه ألف كتاباً في الموضوع،

سواء وصلنا ذلك الكتاب كاملاً أم عن طريق المقتطفات عنه، ونأخذ بنظر الاعتبار أيضاً كثرة النقول المنسوبة إلى هذا المؤلف والتي اقتبستها الكتب المتأخرة عنه. وعلى هذا فإننا نعتبر سيف بن عمر هو المؤلف الحقيقي، وندرس ما روى عنه الطبري باعتبار أن الطبري ناقل، هذا مع العلم أننا لا نغفل، عند الاقتضاء ذكر شيوخ المؤلف والناقلين عنه.

ولا بد من الإشارة إلى أن معظم هؤلاء المؤلفين الأولين كانوا يهتمون بذكر مصادرهم التي أخذوا عنها معلوماتهم، غير أن هذه المصادر في الغالب متعدده وكثيرة جداً، وقلما ينقل المؤلف من شيخ أكثر من رواية واحدة، وفي بعض الأحيان كان المؤلف يغفل اسم الشيخ ويكتفي بذكر كلمة «أخبرنا الثقة» أو «أخبرني من أثق به» وكثيراً ما يشير صراحة إلى أنه جمع روايات شيوخ متعددين وألف بينها، فيوردها رواية واحدة متماسكة لا يتبين منها مدى التباين الموجود بين روايات مختلف الشيوخ، كما أن هذا المؤلف يورد عادة كثيراً من المعلومات المستمدة من اطلاعه ومعرفته وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الموجودة في عصره. فهو إذاً ليس مجرد جَمّاع لروايات الشيوخ، بل كثيراً ما يختار منها، ويؤلف بينها ويضيف إليها مما يعرفه عما يبحثه.

ولا شك في أن هذا الجهد يبرر اعتباره «مؤلفاً» بالرغم من اعتماده في كثير من معلوماته على رواة آخرين، ذلك أن جمع الروايات والتأليف بينها والإضافة إليها وتنسيق كل ذلك ببحث قد لا يكون متماسكاً ولكنه على كل حال يحتفظ بشيء من التسلسل لا بد أن يطبع البحث بطابع خاص مميز.

ولا بد من الإشارة إلى عدم وجود حقوق طبع عند الأقدمين، وإلى أن معظم المؤلفين القدامى كانوا لا يكتبون كتبهم بخطهم، بل يعتمدون في ذلك على إملائها على تلامذتهم، مما يعرضها إلى اختلاف الروايات بضبط الأسماء والنصوص، الأمر الذي جعلنا نجد للكتاب الواحد عادة روايات متعددة تتباين في ضبط الأسماء وفي كمية المعلومات أحياناً. ولكن مما يخفف أثر هذا الأمر

هو أن الأقدمين بفضل اطلاعهم الواسع وتدقيقهم في دراسة أشخاص الرواة استطاعوا أن يقرروا بعض الرواة المعتمدين، بل أن المؤلف كثيراً ما يقرر بنفسه الرواية المعتمدة من كتابه، ولهذا أهمية كبيرة في كتب التاريخ التي لم يخضع كثير من رواتها إلى نفس التمحيص الذي وجه إلى رواة الحديث.

إن أغلب المؤلفين الذين حددنا طابعهم أعلاه، ضاعت مؤلفاتهم ولم يصلنا منها إلا المقتطفات التي نقلها المتأخرون كالبكري في «معجم ما استعجم» وياقوت في «معجم البلدان» وابن النجار في «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» والزين المراغي في «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» والسمهودي في كتابه العظيم «وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى». ولا ريب أن هذا يؤدي إلى أن يكون بحثنا أولياً، واستنتاجاتنا تمثل الخطوط الرئيسية دون أن تكون شاملة لكل التفاصيل، لأن الكتب الناقلة المتأخرة كثيراً ما تنقل من المؤلفين الأولين دون الإشارة إلى مصدرها، مما قد يؤدي إلى عدم إدخال كثير من معلومات المؤلف الأول في بحثنا، كما أن الناقل المتأخر قد لا يكون نقل كل ما جاء في المؤلف القديم بل اختار منه ما رآه ملائماً وحذف نصوصاً أخرى قد تكون مهمة جداً في رأينا، ومع أنه يمكن علاج هذا بجمع كل ما نقلته كافة المصادر، إلا أن هذا ليس بالأمر السهل، كما أنه قد لا يغني في تكوين صورة كاملة للمؤلف القديم، إذ قد تتفق كافة المصادر على حذف نصوص معينة؛ ومع هذا فحتى لو تمكنا من جمع كل نصوص الكتاب المفقود مما نقل عنه، فإن هذا لا يكفي لإعطاء صورة كاملة عن الكتاب، لأن النصوص مقتطفات جزئية لا تكفي وحدها لتوضيح تنظيم الكتاب وتسلسل أبحاثه، مما له أهمية كبرى في تقرير قيمة الكتاب.

محمد بن الحسن بن زبالة:

يقول السمهودي إن «ابن زبالة ويحيى أقدم من أرّخ للمدينة، ولا شك أن ابن زبالة أسبق إذ يؤخذ من كلامه أنه وضع كتابه في صفر سنة ١٩٩ هـ»، وابن زبالة هو محمد بن الحسن، وهو أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس (وفاء

ج ١ ص ٢٥٢[١].) شيخ الزبير بن بكار (وفاء ج ١ ص ١٥٠) الذي كان من رواة كتاب ابن زبالة (وفاء ج ١ ص ١٤).

ألف ابن زبالة كتابه «أخبار المدينة» سنة ١٩٩هـ، ولم يذكر له غيره، وقد فقد هذا الكتاب، ولكن بقيت منه نصوص نقلها المتأخرون، فقد نقل عنه الطبري في أحد عشر موضعاً عن بعض الأحداث التي جرت في المدينة، ونقل عنه ابن رسته في الأعلاق النفيسة في أربعة مواضع، كما نقل عنه ابن النجار في كتاب «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة» عشرين نصاً معظمها عن طريق الزبير بن بكار، ونقل عنه الزين المراغي في كتابه «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» في ستين موضعاً، كما نقل عنه السخاوي في كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» في عدة مواضع، غير أن أوسع من نقل عنه هو السمهودي في كتاب «وفاء الوفا» حيث ذكر صراحة أنه نقل عنه في ٣٥٠ موضعاً، فضلاً عن نصوص يرجح أنه نقلها عنه وإن كان لم يشر إلى ذلك، ونظراً لفقدان كتاب ابن زبالة وكثرة النصوص التي أوردها السمهودي عنه، فسنعتمد فيما يلي على ما نقله السمهودي للحصول على فكرة عامة عن نطاق بحث ابن زبالة وطريقته، مع العلم أن السمهودي لم ينقل كل ما أورده ابن زبالة، وقد أشار إلى ذلك بصراحة عندما قال إنه حذف من ابن زبالة بعض ما أورده عن اليهود (وفاء ج ١ ص ١١٦)، وإنه لخص بعض أبحاثه ومزجها بغيره (وفاء ج ١ ص ١٣٥). ورغم هذا فهو يعتبر ابن زباله «ضعيف» (ج ٢ ص ٣٣).

لا يهمل ابن زباله ذكر الشيوخ الذين نقل عنهم، وقد ذكر منهم أكثر من مائة، وقلما يروي عن أي منهم أكثر من رواية واحدة، وأغلبهم من أهل المدينة، وكثير منهم ممن اعتمد عليهم ابن اسحق والواقدي وروى عنهم المحدثون. غير

---

١ - لقد طبع كتاب «وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى» للسمهودي مرتين: الأولى بمطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣٢٦هـ والثانية بمطبعة السعادة سنة ١٩٥٦ والصفحات المذكورة في المقال عن الطبعة الأولى.

أن معظم ما نقله السمهودي عن ابن زبالة كان مباشرة، خاصة فيما يتعلق بأخبار المدينة وخططها في زمنه.

لقد تناول ابن زبالة بالبحث اسم المدينة، وحرمها، وبدء سكنها، وتاريخ اليهود فيها وعشائرهم، والأوس والخزرج وخطط عشائرهم، وطريق الهجرة. وفصّل في مسجد الرسول وأصله وذرعه وعلاماته وزخرفته، وتخليقه، والمنبر، والسواري، والأسطوان، والمنائر، وتوسيعات المسجد في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وقبر الرسول ﷺ وقبور الصحابة، والسقايات والبلاليع، وآداب المسجد، والقناديل والأبواب، والدور التي حوله، كما بحث أسواق المدينة، وسوق هشام، والمصلى، وعدداً كبيراً من المساجد التي صلى فيها الرسول ﷺ، والبقيع وآبار المدينة، وصدقات النبي، وطريق النبي إلى مكة، ومساجده في الحجاز والعقيق.

ويتبين مما ذكرنا أن نطاق بحث ابن زبالة واسع، تناول مختلف المواضيع، إلى درجة يمكن القول بأنه وضع الطريق الذي سار عليه من ألف بعده عن المدينة، كابن النجار والمراغي والسمهودي. غير أنه لا يمكن الجزم بالتسلسل الذي اتبعه ابن زبالة في بحثه، إذ ربما عدل السمهودي أو بدل فيه، وقد أشار السمهودي إلى أن ابن زبالة صدَّر كتابه في بدء من سكن المدينة، بينما وضعها السمهودي بعد بحثه عن تسمية المدينة وحرمها (وفاء ج ١ ص ١١٠).

أما أسلوب ابن زبالة فهو دقيق مركز خال من اللغو أو الزخارف اللفظية، وكتابته بسيطة واضحة مفهومة.

يحيى بن الحسن العلوي:

لقد ذكرنا أعلاه أن السمهودي يقول: إن «يحيى وابن زبالة هما أقدم من أرخ للمدينة، وهما عمدة في ذلك»، وهذا المؤلف هو يحيى بن الحسين بن جعفر العلوي (وفاء ج ١ ص ٤٨) وهو جد أمراء المدينة الذين كانوا يحكمونها

في زمن السمهودي (وفاء ج ١ ص ١٧٤)، وهو من أصحاب مالك «وكانت وفاته سنة ٢٧٧ هـ عن ثلاث وستين سنة (وفاء ج ١ ص ٢٥٢) وهو من الشيوخ المؤلفين، حتى إن السمهودي يقول: إن «ابن زبالة وإن كان ضعيفاً ولكنه اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب به» (وفاء ج ١ ص ٢٥٢)

وكتاب يحيى عنوانه «أخبار المدينة» (وفاء ج ١ ص ١٧٤، ٣٠٣ ج ٢ ص ١٧، ٤٠١) وقد اطلع السمهودي على عدة نسخ منه، فمنها نسخة رواها راوٍ لم يذكر اسمه (وفاء ج ١ ص ٤٠٨) ومنها نسخة رواها ابنه طاهر عن أبي الحسن المدائني (وفاء ج ١ ص ٣٦٠)، وثالثة رواها طاهر عن أبيه مباشرة (وفاء ج ١ ص ٤٨، ١٧٤، ٣٠٥، ٣٤٣، ج ٢ ص ٤٠٢) ورابعة رواها الحسين بن محمد بن يحيى حفيد المؤلف (وفاء ج ١ ص ١٧٥، ٣٥٠ ج ٢ ص ٤٠٢)، وقد ذكر من رواة نسخة طاهر، ابن فراس (وفاء ج ١ ص ٣٩٤)، وقد ذكر السمهودي أن بين النسخة التي رواها طاهر عن أبيه والتي رواها الحسين اختلاف حيث روى الأول خبراً لم يروه الثاني (وفاء ج ٢ ص ٢٠٤).

إن أبرز شيوخ يحيى الذين اقتبس منهم هو ابن زبالة، حيث كان يروي عنه بدون تعقيب (وفاء ج ١ ص ٢٥٢)، وقد أشار السمهودي إلى مثل هذه الاقتباسات في ستة وأربعين موضعاً في الجزء الأول غير أن يحيى يورد أخباراً عن غير طريق ابن زبالة وفي نفس المواضيع التي تناولها هذا، وبذلك يمكن اعتبار كتابه مكملاً لكتاب ابن زبالة.

وقد روى يحيى عن شيوخ آخرين غير ابن زبالة، ذكر منهم السمهودي أكثر من ثمانين شيخاً، وقد روى عن كل واحد منهم تقريباً رواية واحدة.

لقد فقد كتاب يحيى، ولم تبق منه إلا مقتطفات نقلها المتأخرون، فقد نقل منه الزين المراغي في خمسة مواضع، والسخاوي في أربعة مواضع، غير أن أوسع من نقل عنه هو السمهودي، فقد نقل عنه في ٢١٠ مواضع، وهو مقدار

يكفي لتكوين فكرة عامة عن نطاق الكتاب، ويبدو من هذه المقتطفات أن يحيى بحث في هجرة الرسول ﷺ ونزوله قباء ثم استقرار مقامه في بني النجار، والمربد، وبناء المسجد، وتحويل القبلة، والمنبر، ومعتكف الرسول، وبيوت زوجات النبي، وأبواب المسجد، وتوسيعه، والدور التي حوله، وزيادة الخلفاء وخاصة الوليد، والمؤذنين، والحرس، ومواضع قبر الرسول والخلفاء، وتجمير المسجد، والبلاليع، والأبواب، والمصلى وقباء، وبعض مساجد المدينة التي صلى فيها. ويتبين من هذا أن بحثه مقصور على المدينة دون ما حولها من وديان أو مساجد.

علي بن محمد المدائني:

يذكر ابن النديم أن المدائني ألف كتابين أحدهما عن المدينة، والثاني عن حمى المدينة وجبالها وأوديتها، (الفهرست ص ١٥١ طبعة القاهرة) غير أن المصادر المتأخرة لم تنقل منهما، وحتى السمهودي لم ينقل منه إلا نصاً واحداً عن وادي قناة (وفاء ج ٢ ص ٢١٥).

وجدير بالملاحظة أن المدائني من أهم المؤرخين المسلمين الأولين، وقد كان العماد الأول للطبري في أخباره عن خراسان، وفي كثير من أخباره عن أحداث البصرة، كما أنه ألف عدداً من الكتب عن الوفود، ومزاح النبي ﷺ، وأمهاته، ورسائله، وكتبه، وأقطاعه، وخطبه، وعهوده، وأمواله، وعماله (الفهرست ص ١٤٧).

وهذه العناوين تدل على سعة أفق المدائني، واهتمامه بالنواحي الإدارية والاجتماعية والمالية التي لم يتناولها ابن اسحق والواقدي والكثرة من مؤرخي السيرة الذين تابعوا هذين المؤلفين، اللهم ما عدا ابن سعد الذي بحثها دون أن يشير إلى المصدر الذي استمد منه معلوماته، ومن الصعب أن نعتبر إغفال مؤرخي السيرة وابن سعد للمدائني راجع إلى تجريحهم له، إلا لما اعتمد عليه الطبري مثل هذا الاعتماد الكبير، يصعب أن نفهم لماذا أن مؤرخاً عظيماً

كالمدائني، يعتمد الناس على معظم كتبه في مختلف المواضيع، إلا في تاريخ المدينة ودراسة حياة الرسول ﷺ.

عمر بن شبة:

وممن ألف في تاريخ المدينة عمر بن شبة النمري الذي ولد سنة ١٧٣ هـ، وسكن بغداد أمداً من الزمن، ثم انتقل إلى سامراء حيث توفي سنة ٢٦٢ هـ، وكان «معاصراً ليحيى وقبله بيسير» وفاء ج ١ ص ٢٥٢).

لقد ذكر ابن النديم لابن شبة كتباً عن البصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة وعن أمـراء كل منهـا، فضـلاً عن كتب أخـرى عن بعض أحـداث التـاريخ الإسلامي، وفي الشعر والنسب واللغة. ويمكن القول بأنه من أوائل من كتب عن تاريخ أكثر من مدينة بل كتب عن تاريخ عدة مدن اشتهرت بالتنافس بينها، مما يدل على أن كتابته لا تعبر عن نزعةٍ إقليمية محلية، بل عن تقدير فلسفي، لأهمية دراسة تاريخ المدن.

وجدير بالملاحظة أن الطبري يروي كافة أخبار المدائني تقريباً عن طريق ابن شبة، فابن شبة هو الراوية الأول للمدائني فيما كتبه عن الأحداث، فهل إن كتب ابن شبة عن المدينة هي في الأصل من تأليف المدائني وإن ابن شبة هو مجـرد راوية لهـا؟ إننـا لا نعتقد ذلك، لأنه لو كان هذا هو الأمر، لأشار إليه المؤرخون كما أشاروا إلى رواياته عن المدائني في الأحداث الأخرى، والواقع أن الطبري يميز ما يرويه عن ابن شبة، وبين ما يرويه عن المدائني بطريق ابن شبة، كمـا أن ابن النديم يعدد بتفصيل كتب ابن شبة ولا يخلطها بالكتب التي ألفها المدائني، فهناك تمييز واضح بين مؤلفات ابن شبة الذاتية وبين ما يرويه عن المدائني، لذلك لا يمكن القول بأن أبحاث ابن شبة عن المدينة، ومكة، هي نفس أبحاث المدائني رواها عنه ابن شبة، إنما هي أبحاث مستقلة، وهذا قد يدل على أن كتـب المدائني عن مكة والمدينة كانت ضعيفة، وإن ابن شبة أدرك ضعفها فقام بتأليف كتب شاملة واسعة أصبحت هي المرجع دون كتب المدائني.

لقد كان كتاب «أخبار المدينة» لعمر بن شبة مصدراً نقل عنه عدد من المؤرخين المتأخرين، فقد نقل عنه السخاوي في التحفة اللطيفة (انظر مثلاً ج ٢ ص ٤٩ / ٦٠ / ٨١ / ٩٨ / ١٣٥ / ٢٠٤ / ٢٠٧ / ٢٥٤ / ٢٩٩ / ٣٥٢) كما روى عنه الذهبي (انظر التذكرة ج ٢ ص ٥١٦).

غير أن أوسع من نقل عنه هو السمهودي، حيث أشار إليه في حوالي ٣٥٠ موضعاً من كتاب وفاء الوفا، ونقل عنه نصوصاً يختلف طولها، وهذه المنقولات تدل على سعة الكتاب، وتعطي فكرة عن نطاق بحثه ومدى دقته. وقد وصفه بأنه «يوضح الأمور إيضاحاً تاماً وهو إمام ثقة» (ج ١ ص ٢٥٢) غير أنه لم يظفر بكل الكتاب حيث يقول: «ولم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد ولو ظفرت به لكان الشفاء» (ج ١ ص ٢٥٢).

لقد اهتم ابن شبة بوصف جغرافية المدينة ومنطقتها، فتحدث عن آبارها، ووديانها، وأسواقها، ومساجدها (وقد نقل السمهودي منه عنها قرابة المائة نص)، كما أولى الجوانب الاقتصادية عناية خاصة، ففصل في ذكر الصدقات من الأراضي والمزارع والبيوت وأورد نصوصاً كثيرة من كتب الصدقات، كما أشار إلى الملكيات.

وقد أولى ابن شبة المهاجرين عناية خاصة، فتحدث عن دورهم وخططهم، وكان المصدر الأول للسمهودي فيما نقله عن المهاجرين، ولم ينقل السمهودي عن ابن شبة نصوصاً تتعلق بخطط الأنصار، الأمر الذي يرجع إلى أن ابن شبة لم يبحثها. أو أنه بحثها ولكن السمهودي لم ير أن بحثه وصل مستوى بحث المؤرخين الآخرين فلم ينقل عنه.

ويبدو أن ابن شبة قد رتب بحثه عن المهاجرين تبعاً لعشائرهم، فهو يذكر العشيرة ثم يفصل في ذكر دور رجالها، ومن العشائر التي ذكرها: دور بني تيم[1]

---

١ ـ إن أرقام صفحات كتاب السمهودي المذكورة عن ابن شبة فقط هي من طبعة مطبعة السعادة بتحقيق محي الدين عبد الحميد.

(٤٧٣ / ٥٠٩ / ٣٢٦ / ٧٣١) ودور بني عدي بن كعب (٧٢٣ / ٧٢٥ / ٧٤٤ / ٨٨١ انظر أيضاً التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٨١) ودور بني زهرة (٥٣٩ / ٧٢٤ / ٧٢٨ / ٧٤٣) ودور بني عبد شمس (٧٣٧ / ٧٨٢) ودور بني أسد (٧٢٣ / ٧٤٥) دور عامر بن لؤي (٧٤٣ / ٧٤٤) ودور بني مخزوم (٧٥٩) ودور بني جمح (٧٦٢) ودور بني هاشم (٧٣٤) ودور غفار (٧٥٧).

ويظهر مما نقله السخاوي في التحفة اللطيفة أنه ترجم للأشخاص أيضاً.

اعتمد ابن شبة في بعض ما كتبه على مشاهداته وخبراته الشخصية، كما اعتمد على عدد كبير من الرواة ذكرهم، ولكنه قلما ينقل من أي منهم أكثر من رواية واحدة. بل حتى الذين نص السمهودي على أنهم شيوخ ابن شبة مثل سليمان بن داود (٤٩٨) وخلاد بن يزيد بن عبد العزيز (٦٥٩) لم ينقل منهم إلا رواية أخرى، ولكن يشذ عن هذا ما رواه عن أبي غسان محمد بن يحيى الكناني).

وأبو غسان هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني. ومن أصحاب مالك (٧٨١ / ٧٨٨ انظر أيضاً ص ٥٤٤ / ٥٦٠) «وكان عالماً بأخبار المدينة ومن بيت كتابةٍ وعلم» (٣٨٦).

نقل السمهودي عن أبي غسان في ٥٤ موضعاً، منها ١٤ بصورة مباشرة، والباقي عن طريق عمر بن شبة، ولم تذكر المصادر لأبي غسان كتاباً ألفه، ونرجح أن علمه انتقل عن طريق الرواية الشفهية» وأن عمر بن شبة هو أكبر رواته، وأنه حتى الأربعة عشر رواية التي لم يذكر مصدرها السمهودي، جاءت عن طريق عمر بن شبة أيضاً.

إن ثلاثين من النصوص التي رواها السمهودي عن ابن شبة مسندة، وهو يذكر رجال السند في معظمها، وأغلب رواياته فيها ذكر لرجل واحد، ولكن هناك سبع روايات يذكر في سنده أكثر من شخص. وهناك بعض الروايات التي لا يذكر فيها اسم صاحب السند بل يكتفي بالقول أخبرني الثقة (٥٤٨) الثقات

(١٠٣٨) من أثق به (٥٣٢ / ٦. ٨ / ٨٣١) غير واحد من أهل العلم (٨٥٠) بعض مشايخنا (٨٤٦) بعض أصحابنا (٥٠١).

تنـاولت روايات أبي غسان التي نقلها السمهودي مسجد الرسول ﷺ، والبقيع وما فيه من قبور وبعض المساجد التي صلى فيها، وبعض أماكن المدينة كسوق زباله، وسوق هشام، وأريس، وحسيكة، وقباء، والعقيق، ورضوى.

الزبير بن بكار:

وممن كتب عن المدينة وما يجاورها الزبير بن بكار الذي توفي سنة ٢٥٦ هـ وهو تلميذ ابن زباله (وفاء ج ١ ص ١٥٠) وراوية كتابه (ج ١ ص ١٤).

ألف الزبير كتباً عديدة في مواضيع منوعة، عن الشعراء والمغنين وعن نسب قريش، وكان أعلم الناس بأنساب قريش خصوصاً آل الزبير، وقد اعتمد في هذا الكتاب على كتاب عمه مصعب الزبيري، فتابعه مع إضافات كثيرة قيمة.

وألف الزبير أيضاً كتابه «أخبار المدينة» (وفاء ج ٢ ص ١٦٢، السخاوي التحفة ج ٢ ص ١٦١، ١٦٢، ٣١٩.

كما ألف كتاباً عن العقيق سماه ياقوت كتاب العقيق (ج ٤ ص ٨٨٠، ج ٢ ص ٨٥٠) أو عقيق المدينة (ج ٤ ص ٦٧٣) أو العقيق في المدينة (ج ٤ ص ٤٩٢) وسماه السمهودي «معارف العقيق» (وفاء ج ٢ ص ٢٠٨) وقال ابن الفقيه الهمداني «وفي العقيق وقصوره وأوديته وحرارة أخبار كثيرة وللزبير بن بكار فيه كتاب مفرد» (البلدان ص ٢٦).

أما كتاب الزبير «أخبار المدينة» فهو كتاب مفقود لا نعلم نطاقه وطبيعته، لأن ما نقله السمهودي عنه أقل من أن يكفي لإصدار حكم واضح عليه. ومما يزيد الأمر صعوبة أن الزبير بن بكار هو تلميذ ابن زبالة (وفاء ج ١ ص ١٥٠) وراوية كتابه (وفاء ج ١ ص ١٤) وأن مؤرخي المدينة اعتمدوا على ابن زبالة

في دراستهم للمدينة، ولذلك لم ينقلوا من الزبير عن أخبار المدينة وخططها إلا نصوصاً قليلة جداً. فالسمهودي الذي يعتبر كتابه أوسع مؤلف عن المدينة لم يشر إلى أنه نقل عن الزبير نصوصاً في غير العقيق، إلا نصين الأول عن خطط بني مغالة وحديلة (ج ١ ص ١٥٠ وانظر نفس النص في ياقوت ج ١ ص ٧٤٨) والآخر عن مؤذن مسجد الأحزاب (ج ٢ ص ٤٣ انظر أيضاً ياقوت ج ١ ص ١٤٧) أما بقية النصوص التي رواها عن الزبير، فقد أشار إلى أن الزبير أخذها عن ابن زبالة (انظر مثلاً ج ١ ص ١٣ - ١٤، ص ٣٩١، ج ٢ ص ١٨٨).

وقد نقل ياقوت عن الزبير نصوصاً تعلق بأماكن المدينة منها ما ذكرناه أعلاه ومنها ذكره عن البقال (ج ١ ص ٦٩٩) والراجح أنه أخذها من أخبار المدينة، ولكنه نقل نصوصاً كثيرة منه عن مكة وآبارها (انظر ج ١ ص ١٤٦ / ٣٤٦ / ٥٢٤ / ٦٥٩ / ٧٤١ ج ٢ س ١٤، ج ٣ ص ٢٨ / ٣٠٥ / ٦٤، كما نقل عنه البكري نصوصاًعن المدينة ربما كانت مأخوذة من «أخبار المدينة» (انظر ص ٣٧٧ / ٤٩٨ / ٥٩٤ / ٩٥٦ / ٩٨٤) هذا فضلاً عن نصوص أقرب إلى أنها مأخوذة من كتاب النسب أو الكتب الأخرى.

نقل السمهودي نصوصاً طويلة عن الزبير بن بكار عن العقيق والوديان والغدران التي تصب فيه (ج ٢ ص ٢١٠ - ١١، ٢١٩، ٢٢٠) وهي تشمل العقيق منذ مبتدئه حتى مصبه، في البحر، ما عدا القسم القريب من المدينة. ولكن يظهر أن ما نقله السمهودي هو ملخص وليس بالأصل، بدليل أنه في الجزء الثاني:

١ - يذكر في ص ٢١٠ الفلجة مجردة، ثم يذكر في ص ٣٥٦ فلجة من أودية العقيق كما سبق. قال الزبير وفيها يقول أبو وجرة السعدي:

إذا تربعت ما بين الشريق إلى روض الفلاح أولات السرج والعنب
واختلت الجو فالأجراع من حرج فما لها من ملاحات ولا أحلب

٢ - يذكر في ص ٢١٠ مرخ، وينقل في ص ٣٧٢ عن الزبير مرخ وذو

مرخ في العقيق وأنشد لأبي وجرة.

٣ - يذكر في ص ٢١٠ «شعاب الحمري والفراء وعيرين» ولكنه يقول في ص ٣٤٧: ولهذا قال الزبير في أودية العقيق: ثم شعاب الحمراء والفراة وعيرين، قال وفي عيرين يقول الأحوص:

أقوت زواوة من أسماء فالجمد   فالنصف فالسفح من عيرين فالسند

٤ - يذكر في ص ٢١٠ «ثم راية الغراب» ويقول في ص ٣٥٣ يقول «قال الزبير في أودية العقيق: ثم راية الغرب وفيها يقول معن بن أوس وذكر البيت:

فمندفع العلان من جنب منشد   فنصف الغراب خطبه وأساوده

٥ - يذكر في ص ٢١٠ «ثم نبعة العشرة ثم نبعة الطوى ثم الحنينة ثم النبعة».

وهو يعيد ذكرها في ص ٣٨٤ ويضيف «قال الزبير عقبة: وفي النباع يقول خفاف بن ندبة: عشقت دياراً ببطن النباع. فاقتضى أن النباع ما ذكر

٦ - يذكر في ص ٢٢٠ وادي ترعة مما يلقى أضم من ناحية القبلة. ويذكر في ص ٢٧٠ «قال الزبير عقبه: وفي ترعه يقول بشر السلمي:

أرى أبلي أحست نحن لقاحها   بترعة ترجو أن أحل بها إبلا»

٧ - يذكر في ص ٢٢٠ عن السيول بعد عين أبي زياد باضم «ثم تلتقي هذه السيول وادي نقمى»، ويقول في ص ٣٨٤ «وسبق في مجتمع الأودية أن وادي نقمى يلقاها أسفل من عين أبي زياد بالغابة وروى الزبير عقبه عن عمر بن عبدالله بن معمر أن اسم نقمى ليس نقمى وإنما هو نقمان أي بالتثنية، وان اسمه أولاً كان عرس، فخرج رجلان من العرب لقومهما فرجعا فلم يحمدا فقيل نقمان أي بالتثنية فسميا بذلك السبب نقما».

ويتبين من كل هذه النصوص الاضافية التي أوردناها نقلاً عن السمهودي في آخر كتابه، إن ما كتبه عن العقيق في (ص ٢١٠ - ١١، ٢٢٠) هو مختصر، فقد حذفت منه الأشعار، يضاف إلى ذلك أن ياقوت ينقل عن كتاب العقيق للزبير أماكن في العقيق منها روضة العقيق (ج ٢ ص ٨٥٤) ومنيرة (ج ٤ ص

٦٧٣) ونسر (ج ٤ ص ٧٨٠) وهي غير مذكورة عند السمهودي، مما يدل على حذف السمهودي بعض ما أورده الزبير، غير أننا لا نستطيع الجزم بمقدار ما حذف.

أولى السمهودي القسم الذي يمر من العقيق قرب المدينة عناية خاصة، فأورد عنه تفاصيل وافية ذكر فيها الاقطاعات والمزارع والقصور الواقعة عنده، وكثيراً من الأشعار التي تذكر هذه الأماكن، وقد استوعب ذلك منه اثنين وعشرين صحيفة من الجزء الثاني (١٨٨ ـ ٢١٠) وقد ذكر من مصادره عنها ابن زبالة (١٨٧ / ١٨٨ / ١٩٠ / ١٩٩ / ٢٠٦ / ٢٠٨ / ٢٠٩). وأبو غسان (١٨٧) وأبو العباس العراض (١٨٧) وابن شبة (١٨٧ / ١٩٠ / ١٩١ / ٢٠٦ / ٢٠٩) والهجري (١٨٨ / ١٩٩ / ٢٠٠) وعياض (١٨٩) والمطري (١٨٩) والمجد (١٩٥) والأسدي (١٩٥) والزبير (١٨٨ / ١٩٠ / ١٩٤ / ١٩٦ / ٢٠٠ / ٢٠٨).

ولا ريب أن هذه المصادر التي نص عليها السمهودي لم ترو إلا بعض المادة الواسعة التي ذكرها في هذا الفصل غفلاً عن المصدر. غير أنه بالمقارنة مع ما ذكرته الكتب الأخرى يمكن تعيين مصدرها: ففي ص ١٩١ يذكر اقطاع مروان بن الحكم لعبدالله بن عياش ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس، ولا ينسب مصدر القول، وهذا النص نفسه موجود في السمهودي (ج ٢ ص ٣٣٩) وفي ياقوت (ج ٣ ص ٤٧٥) منسوباً إلى الزبير بن بكار، مما يدل على أن الفصل كله إلى ص ١٩٥ مأخوذ من الزبير، ومما يؤيد ذلك أنه يتناول أملاك الزبيريين التي عني الزبير بها واشتهر بمعرفته فيها، يضاف إلى ذلك أن معلوماته محلاة بكثير من الأشعار، وهي مما يتميز به الزبير.

كما أن كثيراً من المادة المذكورة عن العرصة (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) مأخوذة من الزبير بدليل أنه يقول بعد ذكره أبياتاً «قال الزبير ولم يصح عندي الشعران» (ص ٢٠١).

وهذا ينطبق على ما ذكره عن الجماوات وخاصة من منتصف ص ٢٠٨ إلى منتصف ص ٢٠٩ والواقع أن السمهودي يذكر في ص ٢٠٦ «نقل ابن زبالة وغيره أن الجماوات ثلاث: الأولى جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم وبئر عروة» وهذا النص ينقله ياقوت منسوباً إلى الزبير (ج ١ ص ٨٥٣).

ومهما كانت هنات ما نقله السمهودي عن الزبير بن بكار فيما يتعلق بالعقيق، فإنه يمكن تكوين فكرة عنه، وهو الدقة والتركيز، والاهتمام بالأخبار والشعر، ومراعاة التسلسل الجغرافي إلى قدر محدود، غير أنه لا يقارن بالسكوني الذي بحثه أقرب إلى الجغرافية الصرفة من حيث اهتمامه بذكر تسلسل المواضع الجغرافي.

أبو عبد الله الأسدي:

وممن ألف عن المدينة ومنطقتها أبو عبدالله محمد بن أحمد الأسدي (ج ١ ص ٦٨) وقد فقد كتابه، إلا أن السمهودي اعتمد عليه في أكثر من خمسين موضعاً من الجزء الثاني. وقد وصفه بأنه من المتقدمين (ج ٢ ص ٥٤ / ١٨٩) وأنه «يؤخذ من كلامه أنه كان في المائة الثالثة» (ج ٢ ص ١٦٤)، وذكر أن له «منسك» ذكر فيه المساجد التي تزار بالمدينة ومنها مسجد النور ثم ذكر المساجد التي تزار بناحية المدينة وما حولها مسجد النور أيضاً (ج ٢ ص ٧٣) ومسجد السقيا (ج٢ ص ١٤٣) وعينين (ج ٢ ص ٥٤).

وقد صرح بنحوه الإمام أبو عبدالله الأسدي فإنه ذكر المساجد الخارجة عن المدينة ثم ذكر المساجد التي بالمدينة (ج ١ ص ٥٥٣) «الإمام أبا عبدالله الأسدي من المتقدمين لما عدد من كتابه الأماكن التي تزار في المدينة الشريفة قال مسجد الفتح على الجبل ومسجد ذباب على الجبل» (ج ٢ ص ٥١).

نقل السمهودي عن أبي عبدالله الأسدي في الجزء الثاني نصوصاً كثيرة عن أماكن مسجد عينين «وقد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدي من المتقدمين وسماه مسجد العسكر فقال حتى تعد يد المساجد ومسجد العسكر

ومسجد عيين هذا في أصل الجبل» (ج ٢ ص ٥٤). الطريق بين المدينة ومكة فذكر بئر عروة (١٩٥) وذي الحليفة (١٦٦ / ٢٥٤ / ٢٩٤) والسيالة (١٦٦ / ٣٩٠) وورقان (٢٩٠ / ٢٩٢) ومسجد الظبية (١٦٧) والروحاء (٣١٤) وشنوكة (٣٣١) ومسجد المنصرف (١٦٨) والرويثة (١٦٩ / ٣١٦) ومسجد المنبجس (١٧٠) والعرج (٣٥٩) والحفيرة (٢٧٠) والطلوب (١٧١ / ٣٢٣) والأثاية (٢٨١) والعائد (٣٤٢) وتعهن (٢٧١) والأبواء (١٧٢) والجحفة (١٧٢) وخم (٣٠١) والمدارج (٣٦٩) وامج (٢٤٩ / ٢٨١) ولحيا جمل (٣٦٦) والجي (٣٨٤) والبيضة (١٧٣) وخليص (١٧٣ ـ ٤) والتنعيم (١٧٥) ومسجد عائشة (١٧٦) وكراع الغميم (٣٥٤) وقدس (٣٥٩) ووادي الأزرق (٢٨١).

ووصف من طريق نجد بركة أوطاس (١٨٣) والرحضية (٢٤٢) وحزم عوال (٣٢٣) وأفاعية (٢٤٨) وقباء (٣٥٨) وبطن نخل (٢٦١) وكليه (٣٦٥).

ووصف من طريق الكوفة ذو القصة (٣٦٢) والطرف (٣٣٩) والمغيث (٣٧٦) والربذة (٢٢٧) وفيد (٢٣٥) ونخيل (٣٨٢) ونهر السائب (٣٥٤) والقاحة (٣٥١).

كما أنه وصف طريق البصرة ولكن لم ينقل منه في وصف هذا الطريق إلا ما قاله في ضريه (٢٢٨) أما شمال المدينة فلم ينقل منه إلا وصف ذي المروة (٣٧٢).

يتبين من النصوص التي نقلها السمهودي عن الأسدي اهتمامه بالمساجد التي صلى فيها الرسول ﷺ، والطرق التي تتفرع من المدينة، فسجل أبعادها بالأميال، وأعلام البريد، والمياه والآبار، والعشائر من السكان.

عرام بن الأصبغ السلمي:

وممن ألف عن الحجاز عرام بن الأصبغ السلمي الذي لا نعلم عنه سوى الإشارة التي ذكرها ابن النديم بقوله: إنه أحد الأعراب الذين ألف كتاباً أسماه «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما

فيها من المياه» وقد نشر الكتاب مع مقدمة عبد العزيز الميمني في مجلة الكلية الشرقية التي تصدر في لاهور، معتمداً على مخطوطة من دار الكتب السعيدية بحيدر آباد، ثم أعاد محمد عبد السلام هارون نشره سنة ١٣٧٢ هـ معتمداً على مخطوطة حيدر آباد ومخطوطة أخرى منسوخة عنها، ثم أعاد نشرها سنة ١٣٧٥ هـ كحلقة ثامنة من سلسلة نوادر المخطوطات، وكتب لها مقدمة ونقداً لحمد الجاسر وقد بين أن هذه النسخة هي من رواية السيرافي عن أبي محمد السكري عن أبي سعد عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك المعرف بأبي الأشعث الكندي عن عرام.

لقد تكلم عرام في كتابه عن رضوى، وأماكنها، وينبع والجار ومنطقتها، ثم ورقان ومنطقته، وآره، وذره، وشمنصير، وهرشي، والشراة، وساية، وجبال مكة والطائف. ثم عن حدود الحجاز، ووصف منطقة المدينة، وشوران والرحضية وذورولان وعريفطان، وابلى، والسوارقية وبقية المناطق التي في شرقي الحجاز، وطرق نجد إلى عكاظ. وهو يذكر الجبال والوديان والنباتات والقرى والسكان والطرق الواقعة في كل من هذه المناطق.

لقد كان عرام مصدراً رئيسياً لكل من البكري وياقوت والسمهودي، حتى يكاد كل منهم يكون قد نقله جميعه.

لقد ذكر البكري في ص ٥ من كتابه معجم ما استعجم «وجميع ما أورده في هذا الكتاب عن السكوني فهو من كتاب أبي عبيد الله عمرو بن بشر السكوني في جبال تهامة ومحالها، يحمل جميع ذلك عن أبي الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندي عن عرام بن الأصبغ السلمي». ويقول في ص ٦٥٥ عند الكلام عن رضوى «قال السكوني أملى عليّ أبو الأشعث عبد الرحمن ابن محمد بن عبدالله الكندي قال أملى عليّ عرام بن أصبغ السلمي أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى والمياه وما تنبت من الأشجار فأولها رضوى».

ولم يورد البكري ذكراً لأبي الأشعث في غير هذين المكانين من كتابه،

مما يجعل دور أبي الأشعث هو دور الناقل فحسب.

وقد ذكر البكري عرام في مكانين آخرين، فقد ذكر في ص ١٠ «وزعم عرام بن الأصبغ أن حد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة، فنصفها حجازي ونصفها تهامي، وقال في موضع آخر «الجلسى ما بين الجحفة إلى جبلي طي، والمدينة جلسية وأعمال المدينة فدك وخيبر ووادي القرى» والجملة الأولى موجودة في المطبوع (ص ٤٢٤) كما يذكر في (ص ٨١٠) نصاً عن شمنصير ويقول «هكذا قال عرام بن الأصبغ عن الحديبية».

يصرح البكري بنقله عن السكوني في ٤٧ موضعاً بعضها نصوص طويلة تصف المنطقة وصفاً دقيقاً مستوعباً أماكنها ومواقعها وطرقها وأهلها، تتطابق مع ما هو موجود في كتاب عرام المطبوع، ومع ما أورده ياقوت والسمهودي.

وهذه المواضع التي نقل عنها البكري تفاصيل وهي موجودة في كتاب عرام المطبوع تتناول:

في البكري	في كتاب عرام
ص	ص
ابلى ٩٨ ـ ١٠١	٤٢٨ ـ ٤٢٤
ارثد ١٣٦	٣٩٩، ٣٩٦
الجار ٣٥٦	٣٩٨ ـ ٩
رضوى ٦٥٥ ـ ٦	٣٩٦ ـ ٨
شراء ٧٨٦ ـ ٧	٤١٣ ـ ٤
شمنصير ٨١٠ ـ ١١	٤٠٩ ـ ١١
قدس ١٥٠ ـ ٥٢	٤٠٣ ـ ٧

إن التشابه بين مادة البكري وعرام يؤكد على أن مادة هذه المواضيع مأخوذة من عرام، ويظهر الاعتماد الكبير على عرام الذي أخذ البكري مادته عن طريق

السكوني، ولا بد أن نشير إلى وجود نصوص أخرى متفرقة لم يذكر البكري المصدر الذي استمده منها، ولكن تشابه مادتها مع ما جاء في كتاب عرام يدل على أنه أخذها منه عن طريق السكوني. ، ومما يجدر ذكره أن في نصوص البكري بعض الاختلاف عن نصوص كتاب عرام المطبوع، وقد كنا نود أن ناشر الكتاب استوعب مقارنة النصوص التي أوردها البكري والمصادر الأخرى، وسجل الاختلاف في القراءات.

وفي البكر معلومات عن عرام غير موجودة في كتاب عرام المطبوع، نجدها عند الكلام عن رضوى، وشمنصير، وقدس، وعند الكلام عن حد الحجاز.

أورد ياقوت عن عرام خمساً وسبعين نصاً موجودة كلها في كتاب عرام المطبوع، ما عدا ثلاثة مواضع هي شروح لغوية ورواية لبيت شعر، وقد نص ياقوت في كل هذه المواضع على أنه أخذها من عرام، إلا في موضعين نص على أنه أخذهما عن أبي الأشعث عن عرام. وقد نقل ياقوت عشرين نصاً ذكر أنه أخذها عن أبي الأشعث الكندي، ولكن كل هذه النصوص العشرين موجودة في كتاب عرام المطبوع، الأمر الذي يدل على أن عرام هو المصدر الأصلي، وأن أبا الأشعث لم يكن له غير دور الراوية الناقل.

ومن الغريب أن ياقوت عندما يعدد مصادره في بداية المعجم. يذكر ممن «قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب وهم. . وأبو الأشعث الكندي في جبال تهامة» (ج ١ ص ٧) ولا يذكر ياقوت في هذه المقدمة عرام، فكأنه يعتبر أبا الأشعث هو المصدر، هذا بالرغم من كثرة ما نقله عن عرام وصرح به، غير أننا في دراستنا هذه نعتبر ما نقله ياقوت عن أبي الأشعث هو في الحقيقة معلومات عرام في الأصل، وأن ياقوتاً ينسبها مرة إلى عرام، وهو المصدر الأصلي، ومرة إلى أبي الأشعث، وهو الراوية، وجدير بالملاحظة أن ياقوت لم ينقل عن السكوني نصاً من عرام، مما يدل على أنه لم يعتمد فيما نقله عن عرام على رواية السكوني.

لقد استوعب ياقوت فيما نقله عن عرام وأبي الأشعث، كل ما جاء في كتاب عرام المطبوع.

يختلف ياقوت عن البكري في طريقة نقل النصوص عن عرام، فالبكري ينقل عن المنطقة نصوصاً طويلة، يشمل كل منها ذكر أماكن غير قليلة، أما ياقوت فقلما ينقل نصاً واحداً طويلاً يشمل أكثر من مكان، بل في الأغلب ينقل نصوصاً قصيرة يتعلق كل منها بمكان واحد، وكثيراً ما يكرر نفس النص في أكثر من مكان إذا كان في النص ذكر لأكثر من مكان، فكثرة نصوص ياقوت لا تدل على أنه نقل أكثر منما نقله البكري، غير أن نصوص ياقوت لا تخرج عن نطاق الكتاب المطبوع، وإن كانت قراءاته لبعض الكلمات والنصوص تختلف عما ورد في الكتاب المطبوع. وقد كنا نتمنى لو أن ناشر الكتاب المطبوع أشار عند كل نص إلى موضع ذكره في معجم ياقوت والبكري والسمهودي، ودوّن اختلاف النصوص والقراءات.

أبو عبيد الله عمرو بن بشر السكوني:

لقد ذكرنا أن البكري اعتمد على كتاب عرام عن طريق أبي الأشعث، عن السكوني، وأن ما أورده السكوني عن عرام بنصه في كتاب عرام المطبوع، كما يرد فيما نقله ياقوت والسمهودي عن عرام.

غير أن البكري يستمد من السكوني معلومات أخرى قيمة لا ترد في كتاب عرام، ولا ينسبها أحد إلى عرام ومنها:

١ ـ ضرية (٨٥٩ ـ ٨٧٨) وهو وصف مستوعب شرح فيه تاريخ المنطقة في الإسلام وما حدث فيها من تطور وإنماء في الري والزراعة وخصومات حول الملكيات، ثم وصف ما في المنطقة من أماكن ووديان وجبال وينابيع ومياه ومناجم متسلسلة جغرافياً بحيث يمكنك أن ترسم خريطة واضحة لها.

لم يذكر البكري بصراحة ووضوح المصدر الذي اعتمد عليه في هذه المعلومات، غير أنه يذكر السكوني في موضعين من البحث: فهو عند الكلام

عن وادي ذي عشث يقول «يصب فيه وادي مرعى، هكذا قال السكوني: مرعى بالميم، وأظنه تُرعى بالثاء المضمومة، لأني لا أعلم مرعى اسم محل» (ص ٨٧١). كما أنه عند كلامه عن أمرات يقول: «ورواه السكوني: إلى أبرق الدءاث ذي الأمرات» (ص ٨٧٦) وهاتان الإشارتان توحيان بأنه قد أخذ المعلومات من السكوني.

ومما يؤيد أن البكري أخذ معلوماته عن ضرية من السكوني، قوله عند الكلام عن الحسلات أنها «هضاب محدودة مذكورة في رسم ضرية، وهناك ماء يسمى حسله: هكذا وقع في كتاب السكوني» (ص ٤٤٦) والحسلات وحسلة مذكورة في الفصل المكتوب عن ضرية (انظر: ص ٨٧٠).

وكذلك عند الكلام عن حليت وأنها في ضرية حيث قال «وذكر السكوني هناك (في ضرية) أنه جبل» (ص ٤٦٢) والنص موجود في الفصل المكتوب عن ضرية (ص ٤٦٢).

وعند الكلام عن خزاز يقول: «وخزاز في ناحية منعج دون أمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة إليهن كل من سلك الطريق، ومنعج على مقربة من حمى ضرية هذا قول السكوني» (ص ٤٩٦) وهذا موجود في الفصل المكتوب عن ضرية وإن لم يكن حرفياً (ص ٨٧٧).

وعند الكلام عن فروع يقول: «وماء لبني عبس آخر يقال له الفَرْعَ أو الفروع لا أحقه ذكره السكوني قد تقدم ذكره في رسم ضرية» (ص ١٠٢٣) وهذا مذكور في الفصل المكتوب عن ضرية (ص ٨٦٤).

٢ ـ فيد (١٠٢٣ ـ ١٠٣٥) وصف البكري منطقتها وجبالها وأوديتها ومياهها وعشائرها والمسافات بينها، وقد ذكر في ثنايا هذا الوصف «وقال السكوني» «هكذا قال السكوني» بشكل يدل على أنه أخذ النص من السكوني.

وقد ذكر البكري في مكان آخر (ص ٢٦٠) «البعوضة وهي ماءة في حمى

فيد بينها وبين فيد ستة عشر ميلاً على ما يأتي في ذكره في رسم فيد نقلاً عن كتاب السكوني».

٣ ـ عقد البكري فصلاً طويلاً عن حمى الربذة (ص ٦٣٣ ـ ٦٣٧) ذكر فيه حدوده وآباره ومياهه وجباله وعشائره والمسافات بين أماكنه بنفس الأسلوب والطريقة التي بحث فيها فيد وضرية.

لم يذكر البكري في هذا النص من أين استقى معلوماته، غير أنه يذكر في مواضع أخرى ما يدل على أنه استمد هذا الفصل من السكوني، فهو يقول في ص ١٤٢ ٠ «أروم وأرام قال السكوني هما جبلان في قبلة الربذة» كما يقول في ص ٥٠٢ : «وذكر السكوني أن الخضرمة ماءة في حمى الربذة فانظره هناك» وكلا النصين موجودان في هذا الفصل (ص ٦٣٥) وإذا لاحظنا أن هذا الفصل مكتوب بنفس الأسلوب والطريقة التي كتب فيها عن «فيد» وعن «ضرية» أمكننا القول بأنها مأخوذة من السكوني أيضاً.

٤ ـ عقد البكري فصلاً عن تيماء (ص٣٢٩ ـ ٣٣١) تحدث فيه عن الطرق الأربعة التي بين المدينة وتيماء ثم وصفها، وقد ذكر في أولها «قال السكوني» (ص ٣٢٩) مما يدل على أنه أخذ الفصل منه.

غير أن هذا الفصل غير كامل لأن البكري يقول في (ص ١٤٨) «الأسماء هكذا ذكره السكوني ولست منه على يقين وإليه تنسب عين الأسماء وهي على مرحلة من المدينة وأنت تريد تيماء وانظرها في رسم تيماء». غير أن هذا المكان غير مذكور في الفصل المكتوب عن تيماء.

٥ ـ فدك (ص ١٠١٥ ـ ١٠١٦) حيث ذكر موقعها وعشائرها والطرق الموصلة لها، وقد ذكر في هذا البحث «ثم مترفقا لبني قتال بن يربوع، هكذا قال السكوني، وإنما هو رياح بن يربوع . .» مما يدل على أنه أخذ النص من السكوني.

٦ ـ خيبر (ص ٥٢١ ـ ٥٢٤) وقد بحث في الطرق المؤدية لها وجبالها

ووديانها وحصونها ومياهها، وذكر في (ص ٩٢٣) «صح ما أوردته من كتاب السكوني».

٧ ـ النقيع (ص ١٣٢٣ ـ ١٣٣٣) وقد وصف فيه أبعاد حمى النقيع والآثار التي على حدوده ووديانه ومياهه ونباتاته ومزارعه والملكيات التي عليه، وأشار في بحثه هذا إلى السكوني مرتين، حيث يقول في ص ١٣٢٥ «هكذا نقل السكوني» وفي مكان آخر «هكذا لفظ السكوني» مما يدل على أنه أخذها منه.

٨ ـ في البكري فصل طويل عن العقيق (٩٥٢ ـ ٩٥٨) ذكر فيه الاعقة واقطاع العقيق ثم الطرق المؤدية إليه ومسافاتها، ثم نص من ابن اسحق عن محطات طريق الرسول ﷺ إلى بدر. إن أسلوب هذا الفصل لا يختلف عنه في الفصول التي ذكرناها عن السكوني، مما يدل على أن البكري أخذها من السكوني أيضاً.

٩ ـ ينقل البكري نصوصاً مطولة عن العرج (ص ٩٣٠ ـ ٩٣١) وملل (ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩) وذروه (ص ٦١٢) وغديرخم (ص ٤٩٢ / ٥١٠) والأشعر (ص ١٥٥ ـ ١٥٨) ويشير في كل منها إلى رواية السكوني أو ضبطه كما نقل السكوني مما يدل على أنه أخذها منه.

ويذكر البكري في (ص ٢٧٤) «وقد تقدم في رسم الأشعر بأسفل نملى البلدة والبليدة وهما عينان لبني عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص فانظره هناك، وكذلك قال محمد بن حبيب، كما قال السكوني فيما نقلته عنه عند ذكر الأشعر قال البليد ماء لآل سعيد بن عنبسة بن العاص بوادٍ يدفع في ينبع» وهذا مذكور بنصه في كلام البكري عن الأشعر (ص ١٥٨) وهو دليل آخر على أن البكري أخذه من السكوني.

إن النصوص التي نقلها البكري عن السكوني مطولة شاملة تكوّن لباب كتاب البكري وجوهره، وهي أشمل وأدق ما فيه، وقد اعتبر البكري نفسه هذه النصوص أساساً شاملاً حتى أنه إذا جاء اسم المكان في مكانه الأبجدي فإن

البكري يقتصر في الكلام عليه بأن يشير إلى أنه بحثه في الفصل المعين الذي ذكر المكان ضمنه، ولنوضح ذلك بالقول أنه عند كلامه عن حمى ضرية، يذكر حليت وما لديه من معلومات عنها، وهي أحد جبال ضرية، فإذا ما جاء دور الكلام عن حليت في مكانها من الترتيب الأبجدي فإنه يكتفي بالقول «انظرها في رسم ضرية» دون أن يضيف أية معلومات أو يورد شيئاً عنها في هذا المكان، وعلى هذا الأساس يمكن تركيز كتاب «معجم ما استعجم» للبكري وحصره على فصول معينة أهمها ولبابها هو ما رواه عن السكوني وعرام، أما ما تبقى من معلومات فهي زائدة وغير مهمة، اللهم إلا ما يورده من أشعار مستمدة من اللغويين.

إن الفصول الشاملة التي نقلها البكري عن السكوني تشمل بعض سواحل إقليم الحجاز، والمنطقة الجبلية منه «وهي التي نقلها عن عرام» ثم منطقة خيبر، وفدك، وتيماء، والنقيع والربذة، وضرية، وفيد، وربما أجا وسلمى، أي أنها شملت منطقة واسعة تمتد من أواسط نجد تقريباً إلى تيماء والبحر الأحمر ومكة. وإذا كنا نعلم مصدره عن جبال الحجاز، وهو عرام، فإننا لا نعلم مصدره عن المناطق الأخرى. ولذلك سنعتبره صاحب هذه المعلومات.

إن كثيراً من النصوص التي أخذها البكري عن السكوني، أوردها السمهودي أيضاً حرفياً ولكنه نسبها إلى الهجري.

١ - في بحث النقيع نقل السمهودي نصوصاً من عدة مصادر، ومنها الهجري، وهي موجودة حرفياً تقريباً في الفصل الذي كتبه البكري، كما نقل السمهودي في المعجم الذي يكوّن الفصل الثاني من الباب السابع لبقاع المدينة وأعراضها وأعمالها نصوصاً عن عدة أمكنة في العقيق منسوبة إلى الهجري وكلها موجودة في الفصل الذي كتبه البكري عن النقيع معتمداً على السكوني.

ونورد أدناه جدولاً للأماكن التي أخذ السمهودي معلوماته عنها من

الهجري، ونصوصه تتفق حرفياً مع ما ورد في البكري.

	البكري ص		السمهودي (الجزء الثاني) ص
الحمى	١٣٢٤	=	٢٢٢
برام والوتد ولصاف	١٣٢٥	=	٢٨٨ / ١٨٠
الوتد	١٣٢٥	=	٢٨٧
عسيب	١٣٢٥	=	٣٤٥
مقمل	١٣٢٥	=	٢٤١
أثيث وآثاث	١٣٢٥	=	٢٤١ / ٣٩٢
قرار ملس	١٣٢٦	=	٢١٢ / ٢٤٨
المرخ	١٣٢٨	=	٢١٢
رواوه	١٣٢٨	=	٣١٤
الأثبة	١٣٢٨	=	٢٤١
رابغ	١٣٢٨	=	٣٠٩
الخليقة	١٣٢٨	=	٣٠٠
الجثجاثة	١٣٢٩	=	٧٦
شوطي	١٣٢٩	=	٣٣٣
روضة الجام	١٣٢٩	=	٣١٥
حمراء الأسد	١٣٣٠	=	٢٩٥
ثنية الشريد	١٣٣١	=	٣٤٧
شجرة المحرم	١٣٣١	=	١٩٩ (نص أطول يختلف في بعض التفاصيل).
مزارع عروة	١٣٣١	=	٢٩٠
الجماوات	١٣٣٢	=	٢٠٦ / ٢٠٨ (في البكري مختصره جداً)

العرصات	١٣٣٢	=	٢٠٠
الجرف	١٣٣٣	=	١٩٩
الزغابة	١٣٣٣	=	٣١٨
أضم	١٣٣٣	=	٢٤٧ / ٢٢٠
الغابة وعين الصورين	١٣٣٣	=	٣٥١
ثرمد	١٣٣٣	=	٢٩٢
الحفياء	١٣٣٣	=	٢٩٢

٢ ـ ضرية وقد عقد لها البكري فصلاً طويلاً (٧٥٩ ـ ٧٧٨) ذكرنا من قبل أنه اعتمد فيه على السكوني.

وقد عقد السمهودي لضرية فصلاً طويلاً (٢٢٨ ـ ٢٣٤) نقل في أوله ستة عشر سطراً عن ابن الكلبي والأصمعي والأسدي وابن سعد والمجد، ثم نقل الباقي عن الهجري، وختم النقل بقوله انتهى ما لخصته مما نقله الهجري، ثم ذكر عن ابن جني حكايات وأشعاراً ليست لها علاقة وثيقة بالموضوع. ومن هذا يتبين أن ما نقله عن الهجري هو أساس بحثه وجوهره.

وقد أورد السمهودي في مواضع أخرى من كتابه نصوصاً عن بعض المواضع في ضرية ذكر صراحة أنه نقلها عن الهجري: من ذلك كلامه عن عين ضرية (ص ٢٣٢) فقد كرر ذكرها حرفياً في (ص ٣٣٩)، وعن شعر (ص ٢٣٣) فقد كررها في (ص ٣٢٩)، ومدعى (ص ٢٣٤) فقد كررها في (ص ٣٧٠) الجفر (ص ٢٣١) فقد كررها في (ص ٢٨١) وكل هذه النصوص المكررة ذكر صراحة أنه أخذها عن الهجري مما يعزز أن كل الفصل مأخوذ من الهجري.

وعند مقارنة المادة المكتوبة عند السمهودي بالمادة التي عند البكري نلاحظ أن السمهودي قد اختصر بعض النصوص وحذفها، ولكن ما أورده مذكور بالحرف عند البكري؛ اللهم ما عدا الاختلاف في قراءة بعض الكلمات (وهي قليلة ومؤملة في المخطوطات).

غير أن السمهودي يورد بعض المعلومات التي لا ترد عند البكري: ومن ذلك المعلومات التي قدمها (ص ٢٢٩) عن أعمال إبراهيم بن هشام، وقد أشار إليها البكري باقتضاب (ص ٨٦٠). وكذلك ما أورده عن العين التي حفرت بين نقـء وأضـاخ، والعين التي عملهـا عثمان بن عنبسة (ص ٨٦١)، وهي غير مذكورة في البكري، وكذلك هدم بني العباس حفيرة سليمان (السمهودي ص ٢٣٣، البكري ص ٨٦٨).

وقد ذكر السمهودي نصوصاً صرح بنقلها عن الهجري وهي مذكورة عند البكري

	البكري	السمهودي
	ص	ج ٢ ص
ابرق خترب	٨٦٤	٢٤٠
الشيماء	٨٦٧	٣٣٠
عين سليمان	٨٦٨	٢٣٣
الشطون	٨٧١	٣٢٩
انسان	٨٧٧	٢٥٠

٣ ـ فيد: وهي تشغل ثلاث صفحات من كتاب البكري (ص ١٠٣٢ ـ ١٠٣٥) اعتمد في معظمها على السكوني، ومادتها موجودة بنفسها في كتاب السمهودي (ج ٢ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨) غير أنه ذكر في أولها «قال الهجري، وفي آخـرهـا» هذا آخـر ما لخصته عن الهجري» مما يدل على اعتماده فيها على الهجري. غير أن في كلام السمهودي عن فيد اضافات غير موجودة في كتاب البكري، وتبدأ هذه الإضافة من بعد كلامه على صحراء الحلة، حيث يدرج كلامـاً طويلاً عن سويقة والجبل الذي فيه معدن البجادي، وكبد منى، وقادم وقويدم، واشيق. ولما كانت هذه الاضافة في آخر الفصل، لذا نعتقد أنها ساقطة من النسخة المطبوعة من كتاب البكري.

٤ ـ الربذة: فقد نقل السمهودي عنها معلومات ملخصة عما في البكري

دون الإشارة إلى مصدره، غير نص واحد أشار فيه إلى أنه أخذه عن الهجري وهو موجود في البكري.

٥ ـ نقل السمهودي عن الهجري نصوصاً وردت في المادة التي كتبها البكري عن الأشعر منقولة من السكوني وهي:

	البكري	السمهودي (ج ٢)
حورتان	١٥٥	٢٩٦
ظلم	١٥٧	٢٧٢
بواط	١٥٤	٢٦٦
بلدة والبليدة	١٥٨	٢٦٦
عبود	١٢٥٩	٣٩٤ / ٣٤١

٦ ـ وقد نقل السمهودي أيضاً عن الهجري نصوصاً عن بين (ج ٢ ص ٣٩٣) والأجرد (ج ٢ ص ٣٤٦) وقدس (ج ٢ ص ٣٥٩) وهي غير موجودة في كتاب البكري.

إن نطاق معلومات الهجري ومادته التي أوردها السمهودي تشبه في جملتها وتفصيلها المادة التي أوردها البكري عن السكوني، وهذا التطابق في النطاق والتفاصيل يحملنا على افتراض ثلاثة فروض:

١ ـ إن المؤلف الذي يسميه السمهودي الهجري هو نفسه الذي يسميه البكري «السكوني» ولكن مما يضعف هذا الاحتمال أن السمهودي يذكر عند الكلام عن غيقة «وقال السكوني هو ماء لبني غفار» (ج ٢ ص ٣٥٤) مما يدل على أنه كان واضحاً في ذهنه وجود راوية اسمه السكوني، وأنه غير الهجري. ثم إنه يصعب فهم أية علاقة بين النسبة إلى السكون وإلى هجر، وذلك لأن السكون قبيلة يمانية النسب استوطن بعض أفرادها الكوفة والشام والفسطاط، ولم يستوطن أحد منهم هجر التي هي مدينة مشهورة في البحرين أغلب أهلها

من عبد القيس وبكر ولم تذكر المصادر أن فيها أحد من السكون.

٢ - إن الهجـري هو غير السكـوني وإن كلا منهمـا روى عن مصـادر أقدم، فأما الشطر الأول فمعقول، وإما كونهما استمدا من مصدر أقدم فإنه أمر يحتم علينا، إن صح، أن نعطي بذلك التقدير الأكبر لهذا المصدر الجغرافي المجهول، غير أن هذا إن صح، فإنه يضعنا أمام إشكال آخر وهو أن مؤلفي المعاجم الجغرافية الرئيسة الثلاثة، وهم البكري وياقوت والسمهودي، اهتموا بذكر المصادر الأولى وكانوا مطلعين عليها، ولا يعقل أن ثلاثتهم وقد قدروا هذا المصدر بدليل كثرة ما نقلوه عنه، يجهلون اسمه وينسبون المعلومات إلى الراوية الثاني دونه، بالرغم من سعة اطلاعهم على المصادر الأولى، والتي تتجلى من مجرد القاء نظرة على فهرست أسماء رواتهم.

٣ - إن الهجري هو غير السكوني، وإن أحدهما قد روى معلوماته عن الثاني وهذا الافتراض يتطلب دراسة دقيقة لكتب التراجم.

فأما الهجري فإن السمهودي يسميه أبو علي الهجري (وفاء ج ١ ص ٦٩) ويذكـر في مكـان آخـر من كتـابه «وفي أبيات الهمزة في كتاب الهجري عن محمد بن قليع عن أشياخه قالوا ما برقت السماء قط على عظم (وهو جبيل قرب المدينة) إلا استهلت، وكانوا يقولون إن على ظهره قبر نبي أو رجل صالح، قال وأنا أقول إن عظم من منزلي إذا بدوت في ضيعتي بالثنية بحيث ناله دعائي، فقلما أصابنا مطر إلا كان عظم أسعد جبالنا به وأوفرها حظاً (ج ٢ ص ٢٤٧) وواضح من هذا النص أن الهجري هو من أهل المدينة، وأن له ضيعة يتبدى فيها أحياناً بالثنية قرب جبل عظم الذي يقع على ثمانية أميال غربي المدينة.

ولأبي علي الهجري كتاب النوادر، وهو كتاب ضخم منه مخطوطتان، إحداهما في مكتبة جامعة كلكتا، والأخرى في دار الكتب المصرية، وقد طبعه الدكتور حمود عبد الأمير حمادي في بغداد بجزئين (١٩٨٠، ١٩٨١) معتمداً على مخطوطة القاهرة، وأكثره شعر ولغة وذكر للعشائر، أما ما يتعلق بالجغرافية

فقليل متفرق أطوله ما ذكره عن دارات العرب (١ / ٦٥ - ٧٤) وعن تيمين (١ / ٤٥٣ - ٥٤) وضرية (٢/ ١٠) ولم ينقل ياقوت عن الهجري شيئاً، أما البكري فقد نقل نصاً واحداً عن الهجري ١٠١٧.

أما السكوني هذا فلم أجد فيما قرأته من الكتب من يترجم له أو يذكر اسم كتابه. أما الكتب التي بحثت البلدان، والتي أوردت ما ذكره ابن النديم منها في الضميمة التي أضفتها إلى كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» ص ٢٨٨ - ٢٩٢ فلم يذكر منها كتاب ألفه السكوني.

ذكر ياقوت أبو عبيد الله السكوني واحداً من ستة ممن اعتمد عليهم من طبقة أهل الأدب الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية» (ج ١ ص ٧) وقد نقل عنه ستين نصاً تتعلق كلها بجغرافية الجزيرة وأماكنها، دون أن يكون فيها أي نص عن مكان خارج الجزيرة أو عن تعبير لغوي. وقد ترجم ياقوت لأبي عبد الله أحمد بن الحسن بن اسماعيل السكوني الكندي النسابه، كان له اختصاص بالمكتفي ثم بالمقتدر. . له كتاب في أسماء مياه العرب ونقلته غير تام معجم الأدباء (٣ / ٨).

ويمكن تصنيف ما نقله ياقوت حسب المواقع إلى ما يلي:

١ - المنطقة التي تقع في العراق وهي على طريق حاج واسط (٢ / ٤٥٦، ٣ / ٧٧٦) (٤ / ٣٧٥).

٢ - منطقة الكوفة: فقد ذكر قرب الكوفة! خفان (٢ / ٤٥٦) وسنداد (٣ / ١٦٤) وضارج (٣ / ٤٦١) والضجوع (٣ / ٤٦٦) والسلمان (٣ / ١٢١) والنسوخ (٤ / ٧٨٢) والرحبة (٢ / ٧٦٢).

كما ذكر عنه أماكن تقع على طريق الشام: الرهيمة (٢ / ٨٨٠) قصر مقاتل (٤ / ١٢١) القطقطانة (٤ / ١٣٧) فضلاً عن أنه وصف محطاته (٤ / ١٣٧ / ١٢١).

٣ ـ طريق حاج الكوفة: ذكر منها: العذيب (٣ / ٦٢٦) المعينة (٤ / ٥٨٠) المكمن (٤ / ٦١٥) شراف (٣ / ٣٧٠) الشباك (٣ / ٢٤٨) الغوير (٣ / ٨٠٧) الشعب (٣ / ٢٩٦) زبالة (٢ / ٥١٢) ذو القصة (٤ / ١٢٥) الشجية (٣ / ٢٦٢) شرج (٣ / ٢٧٤) فيد (٣ / ٩٢٧) اذنه (١ / ١٧٩) عالج (٣ / ٥٩١) الشيحة (٣ / ٣٤٦) سميراء (٣ / ١٤٨) أمر (٤ / ٤٩٥) الربايع (٢ / ٧٤٨) حبشي (٢ / ١٩٧) السقيا (٣ / ١٠٤) وشل (٤ / ٩٣٠)٠ واردات (٤ / ٨٨٠) العباسية (٣ / ٦٠٠) العنابة (٣ / ٧٣٢) النجفة (٤ / ٧٦١) قرورى (٤ / ٧٥) طمية (٣ / ٥٤٨) النقرة (٤ / ٨٠٤) العسيلة (٣ / ٨٢٢) غمر كنده (٣ / ٨١٣).

٤ ـ طريق حاج البصرة ذكر منها:

الشجى (٣ / ٢٦٢) حفر أبي موسى (٢ / ٢٩٤) ماوية (٤ / ٤٠٤) ذات العشيرة (٣ / ٦٨٢) الينسوعة (٤ / ١٠٤١) النباج (٤ / ٧٣٥) القريتان (٤ / ٧٧) عنيزة (٣ / ٨٣٨) قنة (٤ / ١٩٤) الوقبى (٤ / ٩٣٤) الرايعة (٢ / ٧٤٥) ناجية (٤ / ٦٢٩) ظلال (٣ / ٥٧٨) القوارة (٤ / ١٩٦) متالع (٤ / ٤١١) ضرية (٣ / ٤٧١) بطن الرمة (٢ / ٨٢٢) قطن (٤ / ١٣٨) التينان (١ / ٩١٠) خو (٣ / ٦٨٢) فلجة (٣ / ٩١١) الدثينة (٤ / ٥٥٠) وجره (٤ / ٩٠٥) ساق (٣ / ١٢) زم (٢ / ٩٤٦).

٥ ـ منطقة جبلي طي فقد ذكرها بتفصيل (١ / ١٢٢)، كما ذكر سلمى (٣ / ١٢٠) ذو صحا (٣ / ٣٦٨) العريمة (٣ / ٦٦٢) الموقف (٤ / ٦٨٨) السلامية (٣ / ١١٣) سقف (٣ / ١٠٣) بقعاء (١ / ٧٠١) قراقر (٤ / ٤٩) شبرم (٣ / ٢٥٤).

وذكر بين جبلي طي وتيماء أماكن: عرنان (٣ / ٦٥٦) الدبر (٢ / ٥٤٥) صماخ (٣ / ٤١٦) وادي القرى (٤ / ٨١) وطرقها (٤ / ٧٦) دومة الجندل (٢ / ٦٢٥).

٦ ـ منطقة اليمامة فقد ذكر طرقها (١ / ٢٨٧، ٣ / ٨٠٢). وذكر من قراهـا العرض (٣ / ٦٤٣) العقيق (٣ / ٧٠٠) قرية بني سدوس (٤ / ٨٤) ملهم (٤ / ٦٣٩) موشوم (٤ / ٦٨٢) ثرمداء (٩٢٢١) قرقرى (٤ / ٦٢) ذات غسل (٣ / ٨٠٢) الشطبتان (٣ / ٢٨٨) فلج (٣ / ٩٠٨) أكمه (١ / ٣٤٤) قرن (٤ / ٧٣) القصيم (٤ / ١٢٧) لصاف (٤ / ٣٥٦) طويلع (٣ / ٥٦٣).

يتبين مما أوردناه أعلاه، أن ياقوت يتفق مع البكري والسمهودي في نقله عن السكوني معلومات عن جبلي طي وتيمـاء، ولكنه يختلف عنهما من حيث أنه لا ينقل عن السكوني كثيراً عن منطقة ضرية، كما أنه لا يشير إلى أنه أخذ معلومات من عرام عن طريق السكوني، ولكنه ينقل عن السكوني نصوصاً تتعلق بمناطق لم ينقل منه عنها البكري والسمهودي، وهذه المناطق تشمل اليمامة وأواسط الجزيرة وشرقيها.

إن عدم نقل ياقوت عن السكوني فيما يتعلق بضرية راجع إلى أنه فضل عليه الأصمعي وأبي زياد الكـلابي، هذا مع العلم أن الصـورة التي يعـطيها السكوني عن ضرية أوضح وأشمل لأنها تتناول تاريخ المنطقة وجغرافيتها مرتبة تبعاً لمواقع الأماكن، وهي صورة يبدو أن البكري أدرك أنها أوضح وأجدر بالنقل فاعتمدها مَفضِّلاً إياها على ما كتبه الأصمعي الذي بالرغم من سعة معلوماته، فإن أساس بحثه هو توزيع العشائر ومياهها وإن الصورة التي يقدمها مفككة فجة.

وهنا يتساءل المرء: لماذا لم ينقل البكري عن السكوني معلومات عن أواسط الجـزيرة وشـرقيها واليمامة، كما فعل ياقوت؟ هذا مع العلم أن بحث البكري عن اليمن واليمامة وأواسط وشرقي الجزيرة لا يقارن في تفككه وضحالته ببحثه عن مناطق غرب وشمال غربي الجزيرة، كما أنه لا يقدم صوراً شاملة عن مناطق اليمن وأواسط وشرقي الجزيرة كما يفعل عن مناطق غربي وشمال غربي الجـزيرة. إن هذا قد يفسـر سببـه في أن البكري لم يطلع على كل ما كتب

السكوني، أو أن كتاب البكري المطبوع هو غير كامل. والرأي الأخير هو الذي أرجحه، وذلك لأن البكري كثيراً ما يحيل القارىء إلى أبحاث يقول إنه ذكرها في كتابه، ولكننا لا نجدها في المطبوع.

كما أنه يذكر في (ص ٣٧٩) وقد تقدم من قول السكوني «تميماً كلها بأسرها باليمامة» وهو نص يدل على أن البكري قد بحث اليمامة، وأنه نقل في ذلك عن السكوني، غير أننا لا نجد ذلك في الكتاب المطبوع الذي بين أيدينا.

أما عدم نقل السمهودي منه فيرجع إلى أن أواسط وشرقي الجزيرة خارجة عن نطاق بحثه.

وعلى هذا نرى ما يبرر الافتراض بأن السكوني تناول في بحثه جغرافية الجزيرة كلها، ولكن هذا البحث لم ينقل لنا كاملاً، وأن كتاب ياقوت ينقل بعض ما بحثه السكوني، وكتاب البكري ينقل بعضه، وأن مادة الكتابين المأخوذة عن السكوني متكاملة.

لا يدعي ياقوت أنه نقل في كتابه «معجم البلدان» كل معلومات السكوني، ومن الراجح أنه لم يفعل ذلك بل اقتصر على اختيار ما رآه ملائماً إما لدقته وشموله، أو لانفراد السكنوي بإيراده. ولعل هذا يتجلى بوضوح في وصف طريق حاج الكوفة والبصرة ومحطاته، فإن ياقوت نقل عن السكوني معلومات غنية عن أماكن صغيرة نسبياً ولم يذكر عنه مادة تتعلق بالمحطات الرئيسية التي يذكرها الجغرافيون والرحالون عادة. وليس من المعقول أن يهتم عالم مدقق كالسكوني، بأماكن صغيرة، ويترك الأماكن المهمة، بل الأرجح أنه وصف كل الطريق وصفاً مفصّلاً دقيقاً، ولكن ياقوت لم يعتمد عليه في وصف الأماكن البارزة الرئيسة، واكتفى بالاعتماد عليه فيما انفرد به وهو مقدار واسع وقيم جداً.

أما بحث اليمامة فقد اعتمد ياقوت بالدرجة الأولى على محمد بن أبي

حفصة فنقل عنه نصوصاً كثيرة، تظهر اطلاع هذا العالم ودقته، ولكن بالرغم من ذلك لم يهمل السكوني الذي اهتم بذكر الطرق والمنابر.

ثم إن ياقوت رتب مادته تبعاً للحروف الهجائية، فهو إذا اعتمد على مؤلف فإنه لا ينقل ما ذكره ذلك المؤلف كاملاً، بل يفكك البحث ويفرقه تبعاً للترتيب الهجائي للكلمات، وعلى هذا فلا يمكن استنباط صورة دقيقة عن طريقة بحث أي مؤلف بمجرد الاعتماد على النصوص التي نقلها ياقوت عن ذلك المؤلف.

إن الملاحظتين السابقتين لا تمنعان من إعطاء فكرة عامة عن بحث السكنوي، فهو يهتم بطرق المواصلات، والأبعاد بين الأماكن وتحديد الأبعاد بالأميال، والأماكن القريبة من محطات الطرق الرئيسة، والآبار وأعماقها، والسكان وعشائرهم والعلاقات بينهم، وأنه يتبع الطريقة التي اتبعها في الفصل المكتوب عن ضرية وفيد وخيبر وغيرها مما نقله البكري بصورة أكمل، وأنه إذا ألقى المرء نظرة فاحصة على كل النصوص التي روتها هذه الكتب عن السكوني، فيحق له أن يقول إن السكوني من أدق وأشمل من وصف جزيرة العرب عامة، ومنطقة الحجاز وما يجاورها خاصة، وإن دراسته لا تقل في مستواها عن وصف ابن الحائك الهمداني لليمن في كتابه صفة جزيرة العرب.

أما المؤلفات عن مكة المكرمة فقد أفردنا عنها كلاماً وضعناه في أول الفصول التي كتبناها عن مكة.

الفصل الثالث

تحديد الحجاز عند المتقدمين

لا ريب في أن الحجاز من أهم أقسام جزيرة العرب، وأن موقعه معروف بصورة عامة، غير أن حدوده غير واضحة لأن تعبير «الحجاز» كان موجوداً قبل ظهور الإسلام، أي في العهود التي كانت جزيرة العرب يعم فيها التفكك السياسي، ولم تكن هناك دولة واحدة تجمعها وتوحدها وتنظم إدارتها، بل كانت فيها مجموعة من القبائل التي يستقر كل منها في دار، أو منطقة معينة غير دقيقة الحدود، وفيها كذلك بعض المدن التي يتمتع كل منها باستقلال، ويقوم بتنظيم إدارة نفسه مثل مكة والمدينة، وفيها أيضاً بعض الإمارات والمشيخات التي استطاع رئيس كل منها أن يوسع سلطانه وسيطرته على بعض القبائل، وبذلك كانت التقسيمات الإدارية إن صح التعبير، غير ثابتة ولا واسعة ولا متطابقة مع الأقسام الجغرافية، فالحجاز إذن لم يكن تعبيراً إدارياً دالاً على إقليم تظله إدارة واحدة تنظم أموره.

أما بعد الإسلام فقد أصبح الحجاز ضمن الدولة الإسلامية التي شملت في أواخر أيام الرسول ﷺ معظم الجزيرة العربيّة، ثم توسعت حتى أصبحت تمتد من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي. وقد أوجد المسلمون تقسيمات إداريّة تتلاءم مع الظروف والأحوال التي كانوا يواجهونها، ودون أن يخضعوا للتقسيمات الجغرافية ، كما أن هذه التقسيمات التي اتبعوها لم تكن ثابتة بل تعرضت إلى تبدلات غير قليلة. لذلك فإنه في العصْر الراشدي والأموي لم يكن للحجاز والٍ عام بل كان لكل من المدينة ومكه والطائف والٍ خاص يمتد

سلطانه إلى مناطق تختلف سعتها، وتصل أحياناً إلى أطراف العراق فتشمل بذلك معظم بلاد نجد. ومن المعلوم أن هذه التقسيمات قامت بناء على ظروف تاريخية، ولم تراع الأحوال الجغرافية. غير أن تعبير الحجاز ظل مستعملاً كوحدة إقليمية، وخاصة عند الجغرافيين وعند اللغويين، ومما زاد في أهمية هذا التعبير الصلة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الوثيقة بين المدن التي كانت فيه.

ولا جدال في أن كلمة (الحجاز) كلمة عربية صِرفة، وأن معناها الحد الفاصل، ولكن الخلاف هو على السبب الذي أطلق على هذه المنطقة اسم الحجاز، وكذلك على الأقاليم التي يحجز بينها، وعلى حدوده الجغرافية.

يروى أن حريث بن حسان قال للرسول ﷺ: يا رسول الله: إن رأيت أن تجعل الدهناء حجازاً بيننا وبين بني تميم؟. أي حداً فاصلاً يحجز بيننا وبينهم[1]. قال الحسن: إنما سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز على الأنهار والأشجار[2]. ويذكر ياقوت: وقال بعض أهل السير: إنه لما تبلبلت الألسن ببابل وتفرقت العرب إلى مواطنها سار طسم بن أرم في ولده وولد ولده يقفو آثار إخوته. وقد احتووا على بلدانهم فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجازاً لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطيبها وكثرة خيرها[3].

إن هذه النصوص التي أوردناها تعطي الحجاز تعريفات لغوية وتاريخية، ولا تدل على أي أمر ذي علاقة بالجغرافية أو الإدارة، كما أنها تشير إلى موقعه بصورة عامة ولا تحدّد هذا الموقع بدقة.

غير أن عدداً غير قليل من المصادر عرفت الحجاز تعريفاً جغرافياً، وحاولت تحديد موقعه وتبيان حدوده، فيذكر ابن الكلبي في كتابه: «افتراق

---

١ ـ معجم ما استعجم ١١، لسان العرب ٧ / ١٩٧.

٢ ـ معجم ما استعجم ١١.

٣ ـ معجم البلدان ٢ / ٢١٩.

العـرب» فيما نقله البكري (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتـوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارهم وأخبارهم: تهامه، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن، وذلك أن جبل السراة، وهو أعظم جبال العـرب أقبـل من قعـرة اليمن حتى بلغ أطـراف بوادي الشـام فسمتـه العرب حجازاً، لأنه حجز بين الغور، وهو تهامه، وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر)[1].

يذكر القزويني أن «الحجاز» حاجز بين اليمن والشام. ويقول الخليل فيما رواه عنه البكري[2]: (سمي حجازاً لأنه فصل بين الغور وبين الشام، وبين تهامه ونجد)، ولا ريب في أن وجود كلمة الغور في هذا النص غريب، والأصح أن تكون اليمن، فيكون الحجاز قد سمي كذلك لأنه يحجز بين اليمن والشام. وإذا صح هذا التفسير فيكون اصطلاح الحجاز إدارياً. وصلته بالجغرافية ضعيفة، ولا نستطيع البت في صحّة ذلك حتى تكمل المعلومات عن إدارة اليمن القديمة.

وذكر ابن الكلبي فيما نقله عنه ابن الفقيه وياقوت أن الحجاز: (ما يحجز بين تهامه والعروض وما بين اليمن)[3] وهي جملة غريبة جغرافياً، لأنه قد يقال إنه يفصل بين تهامة والعروض، أو بين العروض واليمن أما أنه يفصل بين الثلاثه فأمـر لا يمكن تصوُّره جغرافيّاً، وعلى هذا فيكون تعريف ابن الكلبي يعكس أحـوالاً إدارية لأزمنـة كانت فيه كل من تهـامـة والحجاز، والعروض (اليمامة والبحرين) واليمن أقساماً إدارية قائمة بذاتها، أو دولاً، وكان الحجاز أيضاً قسماً قائماً بذاته، وكان ممتداً بحيث يشمل هضبة نجد ويتصل بالعروض.

يروي الزبير بن بكار عن عمه[4] أن «معنى حجاز، وجلس، واحد» ويروى

---

١ ـ معجم ما استعجم ١١، معجم البلدان ٢ / ٢١٩.

٢ ـ معجم ما استعجم ١٢.

٣ ـ كتاب البلدان ٢٧، معجم البلدان ١ / ٩٠٢.

٤ ـ معجم ما استعجم ٧.

البكري عن مصدر لم يذكر اسمه يقول: «معنى الحجاز وجلس واحد واحد» غير أن هذا القول الذي لم يردده أحد، قد يكون صدىً لأحوال إدارية قديمة، كانت فيه الحجاز وهضبة نجد متوحدان، في ظل دولة واحدة، ويكونان قسماً إدارياً واحداً أو لعله يعكس الأحوال الإدارية بعد الإسلام، وهو على أي حال لا يعبر عن الأحوال الجغرافية[1].

يذكر سليمان بن عياش فيما رواه عنه الزبير بن بكار في كتاب «نسب قريش»[2] والبكري[3] كما ذكر الأصمعي فيما رواه عنه ابن الفقيه وياقوت[4] أنه (سمي الحجاز حجازاً لأنه يحجز بين تهامه ونجد). إن هذا التعريف مستند إلى أسس جغرافية، حيث أن تهامه وهي من الأراضي المتموجة بين سهول الغور الساحلية الضيقه الممتدة على طول البحر الأحمر، تختلف عن هضبة نجد المرتفعة. ومن المعروف أن جبال السراة تكون ـ وخاصة في أواساطها ـ متقطعة ومنخفضة ومنفصلة عن نجد، وهذه الحقيقة الجغرافية لم تفت العلماء في الماضي، فقد أدركوا العلاقة بين الحجاز والسراة، ولكنهم اختلفوا في تقدير هذه العلاقة، فقد ذكر ابن دريد فيما رواه عن البكري «سمي حجازاً» لأنه حجز بين نجد والسراة، وبذلك اعتبر الحجاز متميزاً عن السراة وواقعاً في شرقيها كما يفصلها عن نجد[5].

ومن المعلوم أن سلسلة جبال السراة تمتد من أقصى جنوب الجزيرة إلى شماليها، تاركه سهول تهامة الضيقة في الغرب، وهضبة نجد في الشرق، وأن هذه السلسلة تكون مرتفعة متصلة في الجنوب، ثم تنخفض وتتقطع في الوسط والشمال.

---

١ ـ معجم ما استعجم ١١.

٢ ـ نسب قريش ٥٢.

٣ ـ معجم ما استعجم ٨٠٥.

٤ ـ البلدان ٧، معجم البلدان ٣ / ٦٥.

٥ ـ معجم ما استعجم ١١.

عرف الهمداني السراة بقوله: (جبل السراة الذي بين نجدها وتهامتها وسمي طوداً)[1]، وذكر نصر فيما نقله عنه ياقوت: (السراة وهي الجبال المتصلة بعضها ببعض الحاجزة بين تهامه واليمن)[2] وذكر الحازمي فيما نقله عنه ياقوت: (السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامه واليمن، ولها سعه باليمن أخص)[3].

وقد ذهب عدد من الرواة إلى أبعد من ذلك فصرحوا أن الحجاز هي السراة، فيقول البكري: (وجبل السراة هو الحد بين تهامه ونجد وذلك أنه أقبل من قعره اليمن وهو أعظم جبال العرب، حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً، وقطعته الأودية حتى انتهى إلى نخله فمنه خيطى ويسوم، وهما جبلان بنخله، وقد طلعت الجبال منه بعد، فكان منه الأبيض جبل العرج، وقدس، واره، والأشعر، والأجرد)[4]، وذكر الهمداني وياقون ما يشبه هذا فقالا: (السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها، أقبل من قعره اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام، فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر)[5]، وقد نسب ياقوت هذا القول إلى سعيد بن المسيب[6]، وينقل صاحب كتاب «نخبة الدهر» عن قدامة بن جعفر: وأعظم الجبال في اليمن جبال السراة، ويسمى الحجاز لأنه حجز بين تهامه ونجد.. وهو أخذ من قعر عدن إلى أطوار الشام[7].

ويذكر ياقوت: (وقال قوم: الحجاز هو جبال تحجز بين تهامه ونجد، يقال لأعلاه السراة، كما يقال لظهر الدابّة السراة[8]. ويذكر البكري عند كلامه عن

---

١ ـ صفة جزيرة العرب ١٠٨.

٢ ـ معجم البلدان ٣ / ٣٢٩.

٣ ـ كذلك ٣ / ٦٥.

٤ ـ معجم ما استعجم ٨.

٥ ـ صفة جزيرة العرب ١٩، وانظر معجم ما استعجم٨.

٦ ـ معجم البلدان ٢ / ٢٠٦، ٣٠ / ٦٦.

٧ ـ نخبة الدهر ٢٢٠.

٨ ـ معجم البلدان ٣ / ٦٥.

السراة: (وصار الجبل نفسه، وهو سراته وهو الحجاز وما احتجز به في شرقيه من الجبال، وانحاز إلى فيد والجبلين إلى المدينة، ومن بلاد مذحج: تثليث وما دونها إلى ناحية فيد، فذلك كله الحجاز [1].

إن القول بأن السراة هو الحجاز حتى لو قبل على علاته، فإنه غير وافٍ ولا دقيق، فمن المعروف أن بعض أقسام السراة وخاصة ما كان منها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازاً، وإن تعبير الحجاز محدد في وسط السلسلة كما أن جبال السراة تنحدر تدريجياً إلى البحر وإلى هضبة نجد، فتبقى تحديد عرض الحجاز. وكذلك تحديد امتداد طوله. وقد أورد الرواة عدداً من النصوص التي يستدل منها على تحديد الحجاز بشكل أدق.

وأكثر هذه النصوص تتصل بتحديد تهامة ولكن يمكن القول بأنها هي ذاتها حد الحجاز.

ويقول الهمداني: (ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز)[2]. ويقول الأصمعي: (فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفه وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامه، وتهامه تجمع ذلك كله)[3]، ويقول أيضاً في معرض كلامه عن تحديد نجد فيما رواه عنه ياقوت: (وما ارتفع من بطن الرمة.. فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق)[4]. ويقول البكري: (وإنك إذا ـ انحدرت في ثنايا ذات عرق متهم إلى أن تبلغ البحر)[5].

---

١ ـ معجم ما استعجم ٩.

٢ ـ صفة جزيرة العرب ٥٠، وانظر معجم ما استعجم ٨.

٣ ـ ذكر صفة جزيرة العرب ٤٨، معجم ما استعجم ٩، معجم البلدان ٢ / ٧٧، ٢٠٦.

٤ ـ معجم البلدان ٣ / ٦٥١، ٤ / ٧٤٦.

٥ ـ عن صفة جزيرة العرب ٢٢٧، معجم ما استعجم ٣٢٢، معجم البلدان ١ / ٩٠١، ٢ / ٨٣١.

ذكـر عدد من الـرواة العـرج حداً فاصـلاً بين الحجـاز وتهـامة. فيذكر الأصمعي: (وطرف تهامه من قبل الحجاز مدارج العرج) وذكر الهمداني: (طول الحجاز من حد العرج إلى السراة[1]) «إذا تصوبت في ثنايا العرج إلى أقصى بلاد بني فزارة فأنت متهم، وإذا تجاوزت فزارة إلى أرض كلب فأنت في الجناب».

وقـد ذهبت بعض الـروايات في تحـديد الحجـاز إلى أبعـد مما أورده أصحاب النصوص المذكورة أعلاه، فذكر البكري: (وكان رسول الله ﷺ يسير من الرويثة، فينزل الأثاية، وهي بئر دون العرج بميلين، عليها مسجد للنبي: وبـالاثاية أبيات وشجر أراك، وهناك ينتهي حد الحجاز)[2] وقد ذكر الزبير بن بكار[3] والبكري[4]: (أن سليمان بن عياش أجاب الزبير بن بكار عندما سأله عن منتهى الحجاز قال: ما بين بئر أبيك بالشقره إلى أثاية العرج، فما وراء بئر أبيك فمن نجد، وما وراء أثاية العرج فمن تهامة»، ويقول البكري (ص ١٣):

(وأما تهامة فإنك إذا هبطت عن الأثاية، إلى الفرع وغيقة إلى طريق مكة، إلى أن تدخل مكة تهامة، إلى ما وراء ذلك من بلاد عك كلها تهامة، والمجازة وعليب وقنونى كلها تهامة)[5].

ويذكر عرام: (حد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة، فبعض المدينة حجازي، ونصفها تهامي، ومن القرى الحجازية بطن نخل، وبحذاء بطن نخل جبل يقال له الأسود نصفه حجازي ونصفه نجدي وهو جبل عال، وهذه حدوده الشرقية)[6] وذكر الأصمعي أن حد الحجاز الغربي تهامـة: بدر والسقيا ورهاط وعكاظ[7]

---

١ ـ صفة حزيرة العرب ٢٧.

٢ ـ معجم ما استعجم ٦٨٦.

٣ ـ نسب قريش ٥٣.

٤ ـ معجم ما استعجم ٨٠٥.

٥ ـ معجم ما استعجم ١٣

٦ ـ جبال تهامة ٤٢٤.

٧ ـ معجم ما استعجم ١٠، معجم البلدان ٢ / ٢٠٥.

ويروي البكري عن الحربي : ومن المدينة إلى طريق مكة إلى أن تبلغ الأثاية مهبط العرج فهو حجاز وما وراء ذلك فهو تهامة، وأرض جهينة كلها حجاز مور وبلاد عك وإلى الجند . . . من أرض تهامة [1].

ما ارتفع من بطن الرمة، فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق (ياقوت ٣ / ٦٥١، ٤ / ٧٤٦ وذكر عرام أن من القرى الحجازية بطن نخل[2] كما ذكر أن جبلي قدس الأبيض وقدس الأسود هما من الحجاز[3].

وذكر ياقوت (٣ / ٥٩٣) «ومن أهل الحجاز من ليس بنجدي ولا غوري، وهم الأنصار ومزينة، ومن خالطهم من كنانة، ممن ليس من أهل السيف فيما بين خيبر إلى العرج، فما يليه من الحرة، فإذا انحدرت إلى مدارج العرج وثنايا ذات عرق فأنت متهم» [4].

ويقول الأصمعي : «ما احتزمت به الحرار، حرة شوران. وحرة واقم، وحرة للنار، وعامة منازل سليم إلى المدينة، وذلك الشق كله حجاز» [5] وهذا تعريف قائم على أسس جيولوجية، لأنه يقتصر على الإشارة إلى المناطق البركانية.

ويقول الحربي : «وأرض جهينة والقبلية كلها حجاز» [6] ويروي عمر بن شبة بسند عن محمد بن عبد الملك الأسدي «أن الحجاز اثنتا عشرة داراً : المدينة، وخيبر، وفدك، وذو المروة، ودار بلي، ودار بعض هوازن، وجُل سليم، وجل هلال» [7].

---

١ ـ معجم ما استعجم ١٣ (عن محمد بن فضاله).

٢ ـ جبال تهامة ٤٢٤.

٣ ـ نقلاً عن معجم البلدان ٤ / ٣٩.

٤ ـ معجم البلدان ٣ / ٥٩٣.

٥ ـ معجم البلدان ٢ / ٢٠٥، هضبة جزيرة العرب ٣٠٥.

٦ ـ معجم ما استعجم ١٣.

٧ ـ معجم ما استعجم ١٠.

وذكـرت بعض المصـادر تحديدات وفي الحجاز فذكر الأصمعي وحد الحجـاز الأول بطن نخل وأعلى رمه وظهر حرة ليلى، والثاني مما يلي الشام شغب وبدا، والثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ، والرابع مما يلي سايه وودان، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نخل وأعلى رمه، ومكة في تهامة المدينة في الحجاز [1]، وذكر ابن فضالة «وحد الشام ما وراء تبوك، من الحجاز وكذلك فلسطين، ومن المدينة إلى طريق الكوفة إلى الرمه حجاز، وما وراء ذلك نجد إلى أن تشارف أرض العراق آخر طريق االبصرة إلى بطن نخل حجاز، وما وراء ذلك نجد إلى أن تشارف البصرة، ومن المدينة إلى طريق مكة إلى أن تبلغ الأثاية مهبط العرج حجاز، وما وراء ذلك فهو تهامة، وإلى مكة إلى جدة إلى ثور وبلاد عك وإلى الجند وإلى عدن أبين هذا غور كله من أرض تهامه، وما وراء المدينة إلى طريق صنعاء إذا سلك على معدن بني سليم حجاز إلى الجرد إلى نجران إلى صنعاء، ومن المدينة إلى بطن نخل إلى شباك أبي عليه إلى الربذة، ومـا وراء ذلك إلى الشرف إلى أوراح، وضرية واليمامه نجد.. وأرض جهينة والقبلية كلها حجاز»[2].

وقـد أجمل الفاسي الآراء المتعلقة بتحديد الحجاز فقال «ومما يناسب ذكـره في هذا الكتاب بيان الحجاز لتكرر ذكره فيه وهو مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها، وبهذا نسر الإمام الشافعي في الأم الحجاز فيما عنه البندنيجي.

وفي دخول اليمن في الحجاز وجهان

وقيل: إن تبوك وفلسطين من الحجاز

وقيل: إن حدود الحجـاز ما بين جبلي طي إلى طريق العراق، وسمي حجازاً لأنه حجز بين تهامه ونجد قاله ابن الكلبي والأصمعي وغيرهما.

واليمامه المشار إليها من اليمن على مرحلتين من الطائف، وعلى أربع من مكة قاله النووي في تهذيب الأسماء واللغات.

---

١ ـ الأصمعي نقله عنه ياقوت ج ٢ ص ٢٠٥، البكري: ١٠ ـ ١١.

٢ ـ البكري ص ١٢ ـ ١٣.

فعلى هذا لا تكون البلاد المعروفة بجبله من الحجاز لأنها عن الطائف أبعد مما بين الطائف واليمامة، وبلاد بجبلة واليمامة في جهة واحدة وهي جهة نجد اليمن ولكن بلاد بجبله أكثر دخولاً في اليمن من اليمامة فلا يستقيم بلاد بجله في الحجاز والله أعلم.

وأهل مكة إلى الآن لا يطلقون الحجاز إلا على الطائف وما قرر (قرب؟) من ليه، ولا يطلقون ذلك على بلاد بجله ولعل ذلك لكونها داخلة في اليمن والله أعلم[1].

وقد ذكرت بعض المصادر أماكن قالت أنها الحجاز الشمالي، فذكر محمد بن فضاله «حد الشام منا وراء تبوك، وتبوك من الحجاز»[2]، وذكر الأصمعي «حد الحجاز مما يلي الشام شغب وبدا»[3]، ونقل ياقوت قول مالك أن سرغ «قرية بوادي تبوك وهي آخر حد الحجاز الأول» وأضاف إلى ذلك هو أن سرغ أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك»[4]، وقال الفيروز آبادي أن «سرغ آخر أعمال المدينة»[5].

إن هذه النصوص تحدد شمال الحجاز بتبوك، أو سرغ، أو شعب وبدا، وهي متقاربة، ومن المعلوم أن يصعب تحديد خط حدود في المناطق الصحراوية فلا بد أن تحد الحدود إما بجبال بارزة أو مناطق سكنى واضحة.

أما إشارة ابن فضاله إلى فلسطين فإنها لا تجزم بأن فلسطين من الحجاز، ومن المعلوم أن فلسطين كانت دائماً جزءاً من بلاد الشام وليس من الحجاز.

أما حدود الحجاز الشرقية، فقد تباينت فيها آراء الرواة، وقد ذكرنا من قبل

---

١ ـ الفاسي: شفاء الغرام ص ٧٣.

٢ ـ معجم ما استعجم ١٢ ـ ١٣.

٣ ـ معجم البلدان ٢ / ٢٠٥، معجم ما استعجم ١٠ ـ ١١.

٤ ـ معجم البلدان ٣ / ٧٧.

٥ ـ وفاء الوفا ٢ / ٣٢٢.

أقوال الأصمعي وابن فضاله أن ذات عرق هي الحد بين الحجاز ونجد، غير أن هنـاك آراء أخـرى فيذكـر عرام: (حد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة، فنصف المـدينـة حجازي ونصفها تهامي، ومن القرى الحجازية بطن نخل، وبحذاء بطن نخل جبل يقال له الأسود، نصفه حجازي، ونصفه نجدي، وهو جبل شامخ)[1].

ويذكر الهمداني: «وصار ما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طي إلى المدينة وراجعاً إلى أرض مذحج عن تثليث وما دونها إلى ناحية فيد، حجازاً»[2] ويذكر الحربي: (وما وراء المدينة إلى طريق صنعاء إذا سلك على معدن بني سليم حجاز)[3] ويذكر عمارة بن عقيل فيما رواه ياقوت (ما سأل من حَرّة بني سليم وحَرّة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر، وما سال من ذات عرق مقلا فهو نجد إلى أن يقطعه (طريق؟) العراق)[4].

ويذكـر ياقـوت أن غمـرة: وهـو منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها، وهو فصل ما بين تهامة ونجد[5]، وقد أورد البكري هذا القول وأضاف إليه: (كما أن وجرة فصل ما بين نجد وتهامة من طريق البصرة وإنك إذا خلفت عجلز مصعدا فقد أنجدت، وعجلز فوق القريتين[6].

ويذكر البكري: (وحد الحجاز الأول بطن نخل وأعلى الرمة وظهر حَرّة ليلى)[7] وقد أورد ياقوت هذا النص (٢ ـ ٢٠٥) ونسبه إلى الأصمعي. وذكر ابن

---

١ ـ جبال تهامه ٤٢٤.

٢ ـ هضبة جزيرة العرب ٣٨.

٣ ـ معجم ما استعجم ١٣.

٤ ـ معجم البلدان ٢ / ٢٠٥.

٥ ـ كذلك ٣ / ٨١٤.

٦ ـ معجم ما استعجم ١٠٠٣ ـ ٤، وانظر: صفة جزيرة العرب ٢٧، معجم البلدان ٤ / ٧٤٦.

٧ ـ معجم ما استعجم ١٠، ٣٧.

فضاله فيما رواه البكري : أنه من المدينة إلى طريق الكوفة إلى الرمة حجاز، وما وراء ذلك نجد، إلى أن تشارف أرض العراق آخر طريق البصرة إلى بطن نخل حجاز وما وراء ذلك نجد، إلى أن تشارف البصرة[1]. أما عرام فيذهب إلى أبعد من هذا في التدقيق حيث يقول : (وبحذاء بطن نخل جبل يقال له الأسود نصفه حجازي ونصفه نجدي)[2].

أما الأصمعي فيذكر أن حده (مما يلي ساية وودان)[3].

ويذكر الكلبي فيما رواه عنه ابنه هشام أن (حدود الحجاز ما بين جبلي طيء أي طريق العراق لمن يريد مكة إلى الشعف، تهامة، ثم مستطيلاً إلى اليمن [4].

أما الحدود الجنوبية للحجاز فقد ذكرنا قول الأصمعي أنها «من قبل نجد ذات عرق»، وأن «ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز» كما ذكرنا الروايات التي تقول إن الأثاية، وهي بئر دون العرج بميلين فيها ينتهي حد الحجاز، غير أن الأصمعي يذكر أن حد الحجاز مما يلي تهامة «بدر والسقيا وعكاظ [5] وإن من حدود الحجاز الجنوبية» الجد الرابع مما يلي ساية وودان، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نخل وأعلى الرمة [6].

تبين مما تقدم أن الرواة العرب أدركوا الأسس الجغرافية لتحديد الحجاز فاعتبروه الحد الفاصل بين تهامة، وهي السهول الممتدة على ساحل البحر الأحمر، وبين نجد وهي الهضبة التي تنحدر تدريجياً من الغرب إلى الشرق، ومع أنهم اختلفوا في ذكر الأماكن التي تقع على أطرافه الشرقية والغربية، إلا

---

١ ـ معجم ما استعجم ١٢.

٢ ـ جبال تهامة ٤٢٤.

٣ ـ نقله معجم ما استعجم ١٠، معجم البلدان ٢ / ٢٠٥.

٤ ـ معجم ما استعجم ١١.

٥ ـ معجم ما استعجم ١١، معجم البلدان ٢ / ٢٠٥.

٦ ـ معجم ما استعجم ١٢

أن هذه الاختـلافات ليست واسعة، إذ أنها تقتصر على الاختلاف في اختيار واحد من الأماكن الكثيرة الواقعة عليها ومن حيث العموم فإن الطرق الرئيسية تسير على طرفي الحجاز، طريق يسير في طرفه الشرقي، وطريق آخر يسير في طرفه الغربي، غير أن بعضهم توسع في حدوده الشرقية حتى جعلوه يمتد إلى فيد، وإلى جبلي طي، وبـذلـك تأثروا بالتنظيمات الإدارية وتجاوزوا الحدود الجغرافية، وبالنظر لقلة هذا البعض فإنه يمكن الحكم عليه بعدم الدقة.

الفصل الرابع

أرض الحجاز

«عرض جغرافي»:

١ ـ المناطق الشمالية

تبوك:

تبوك من أبرز المعالم العمرانية في الأطراف الشمالية من الحجاز، وهي حصن له عين ماء ونخيل وحائط ينسب إلى الرسول ﷺ، ويقال أن أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيباً كانوا بها، ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من جعرين[1].

وهي بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وأرضها حرة[2].

وكان بها بير تنطم فأمر عمر بن الخطاب ابن عريض اليهودي أن يطمه[3] وفيها عين الموله[4].

وفي الشمال من تبوك تقع سرغ «وهو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام، وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وقال مالك بن أنس هي قرية بوادي تبوك، وهي آخر عمل الحجاز الأول، وبها مات ثابت بن عبدالله بن الزبير[5].

---

١ ـ ابن حوقل ١ / ٣٢، ياقوت ١ / ٨٢٥.

٢ ـ ياقوت ٢ / ٢٤٧.

٣ ـ ياقوت ١ / ٨٢٥.

٤ ـ ياقوت ٤ / ٦٩٠.

٥ ـ ياقوت ٣ / ٧٧، وانظر السمهودي ٢ / ٣٢٢.

وفي الأطــراف الشمــالية من تبـوك جبلي «حسمى في غربيهم، وفي شرقيهم شروري»[1]. وحسمى أرض غليظة، وماؤها كذلك، تنزلها جذام[2].

وقـد أرسـل الـرسول ﷺ سرية مع زيد بن حارثة إلى حسمى[3] ويذكر البكري أن الرسول ﷺ في طريقه إلى تبوك مر بركوبه وهي ثنية معروفه صعبة المركب[4]، كما مر بالمنتفق وهو واد به وشل يروي الراكب والراكبين [5] وفي طريقها قنة العلم وهي أرض واسعة ينزلها العرب في زمن الربيع، وهي كثيرة العظى ليس بها ماء عذب، وهي من قبلي وسيطه، وفي قبليها ماء عذب يقال له سجر، والعلم جبل عال من غربيها منسوبة إليه [6].

ذكـر ابن اسحاق المساجد التي صلى فيها الرسول ﷺ في طريقه إلى تبوك، ولا بد أن كلًّا من هذه المساجد كان في محطة على ذلك الطريق؛ ونقل ياقـوت خاصة ما ذكره ابن اسحق من الأماكن مفرقة حسب الترتيب الأبجدي لأسمـائها، ولكنهما لم يحددا مواقع هذه المساجد، والراجح أن ما ذكره ابن اسحق رتب تبعاً لتسلسل مواقعها، وعلى أي حال فلا بد أن كلًّا منها كان في منهل ماء، علماً بأن المصادر لم تقدم معلومات إضافية عن معظمها. ورواية ابن اسحق:

«وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة:

مسجد بتبوك

ومسجد بثنية مدران [7]

---

١ ـ البكري ٤٤٦ ياقوت ٢ / ٢٦٧.

٢ ـ ياقوت ٢ / ٢١٢، البكري ١١٩، ٤٤٧.

٣ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٦٣.

٤ ـ البكري ٦٧.

٥ ـ البكري ١٢٦٦.

٦ ـ ياقوت ٤ / ١٤٥.

٧ ـ انظر ياقوت ٤ / ٤٩٣، وهو يسميها (مردان، ١ / ٩٣٦، ٢ / ٤٩٩، البكري ١٢٠٠.

ومسجد بذات الثوراب[1]

ومسجد بالأخضر[2]

ومسجد بذات الخطمى[3]

ومسجد بآلاء[4]

ومسجد بطرف البتراء من ذنب كواكب[5]

ومسجد بالشق، شق تارا[6]

ومسجد بذي الجيفة

ومسجد بصدر حوضى[7]

ومسجد بالحجر[8]

ومسجد بالصعيد[9]

ومسجد بالوادي اليوم، وادي القرى[10]

---

١ ـ البكري ٦٩٥ ويقول أنها على مرحلتين من تبوك.

٢ ـ البكري ١٢٤، ياقوت ١ / ١٦٤.

٣ ـ البكري ٥٠٤.

٤ ـ البكري ١٨٥.

٥ ـ ذكرت في غزوة لحيان: البكري ٢٢٤، ياقوت ١ / ٤٨٨.

٦ ـ البكري ٣٠٠.

٧ ـ يذكرها ياقوت حوحاء ٢ / ٣٦١.

٨ ـ يذكر السمهودي عن ابن زباله «العلاء» ويقول: أنه والوادي الذي قبله في وادي القرى (٢ / ١٨٢).

٩ ـ ياقوت ٣ / ٣٩٢.

١٠ ـ ينقل السمهودي عن الحافظ عبدالغني أن مسجد الصعيد هو اليوم مسجد وادي القرى ويعلق السمهودي على ذلك بقوله «فهذا والذي قبله هو الذي بالسوق، ولكن المجد (الفيروز آبادي)، غابر بين الثلاثة آخذاً بظاهر العبارة ولأن في رواية أخرى لابن زبالة صلى رسول الله ﷺ في المسجد، الذي بصعيد قزح من الوادي وتعلمنا مصلاه بأحجار وعظم، فهو المسجد الذي يجتمع فيه أهل البوادي (السمهودي ٢ / ١٨٢.

ومسجد بالرقعة من الشقة، شقة بني عذرة[1]
ومسجد بذي المروة
ومسجد بالفيضاء
ومسجد بذي خشب[2]
خيبر:

خيبر منطقة تقع على بعد ٢٥٠ ميلاً شمالي المدينة، وفيها عدد من الوديان أكبرها وادي السرر ووادي خاص اللذان يجريان إلى الجنوب ويصبان في البحر الأحمر، ومن وديانها الأصغر واديا بعث[3] ووادي الرجيع الذي اتخذ فيه الرسول ﷺ مقره عندما قاتلهم[4].

وتتوفر في خيبر وأطرافها المياه والينابيع التي تقوم عليها المزروعات وخاصة النخيل والشعير وكانت لها خيبر ريف الحجاز طعاماً وودكاً وأموالاً، وقد اشتهر صبحاني خيبر بأنه أجود تمور الحجاز، غير أن توفر المياه في خيبر جعلها موبوءة بالملاريا[5] وكانت تغل أربعين ألف وسق[6].

تذكر أخبار غزوة خيبر أنه كان في وديانها سبعة حصون رئيسة هي الكتيبة، والوطيح، وسلالم، وشق، والغموص، وناعم، والحصون الثلاثة الأولى تقع على

---

١ ـ البكري ٦٦٦، ياقوت ٢ / ٨٠٠، ٣ / ٣٠٩.
ويذكر السمهوري أن ابن زباله ذكر مسجد بقرية بني عذرة، ويقول: قال أبو عبيد البكري أخشى أن يكون بالرقمة من الشقة، شقة بني عذرة، وقال ابن زبالة بدله بالسقيا، قال المجد في أسماء البقاع، والسقيا من بلاد عذرة قريبة من وادي القرى ٢ / ١٨٢.
٢ ـ هنا ينتهي نص ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٤ / ١٨٦.
٣ ـ انظر تفاصيل أوفى في بحثنا «أحكام الرسول ﷺ في الأراضي المفتوحة، مجلة كلية الآداب والعلوم م ١ سنة ١٩٥٧.
٤ ـ مغازي الواقدي ٦٤٤.
٥ ـ مغازي الواقدي ٦٣٤، ٧٠٤.
٦ ـ مغازي الواقدي ٦٤٦، ٦٦٠، الحيوان للجاحظ ٦ / ١٨.

وادي خاص[1]، وهو يبعد عن مركز خيبر بريد[2] أي قرابة أربعة أميال وكانت عنده الصهباء وهي أهم المناطق الزراعية في خيبر[3] وهذه الحصون الثلاثة متقاربة حتى أن بعض المصادر اعتبرت الوطيح وسلالم حصنين فرعيين من الكتيبة[4].

أما الشقق والنطاة فقد سميا بواديين بينهما أرض تسمى السبخة والمخاضة[5] وكانت في النطاة عين وافرة المياه موبوءة بالملاريا [6] وفيه عدة حصون أبرزها حصن مرحب وقصره، ومنزل أخيه ياسر من بني قسمة [7] كما أن فيه حصن ناعم، وحصن قلعة الزبير [8] وحصن النزار [9].

أما الشقق فكانت فيه عين لشمس الحمة، يجري ماؤها في فلج من الأرض[10] وبالقرب من الشق كان حصن ناعم والقموص[10] ويبدو أن هذه الحصون الثلاثة كانت في الجهات الجنوبية من خيبر لأنها كانت أول ما هاجمه الرسول ﷺ منها وقد أبدت مقاومة شديدة استسلمت بعدها.

استوطن اليهود خيبر في أزمنة لم تحددها المصادر التاريخية ولعلهم جاؤوها بعد أن طردهم الرومان من فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد وقد اشتغل أهلها بالزراعة، وكانوا يموّنون كثيراً من القبائل المقيمة في الأطراف

---

١ ـ أبو داود: آماره ٢٤.

٢ ـ وفاء الوفا ٢ / ٢٣٠.

٣ ـ مغازي الواقدي ٦٧٠.

٤ ـ وفاء الوفا ٢ / ٣٦٤، البكري ٥٢٣، ياقوت ٤ / ٢٣٧.

٥ ـ مغازي الواقدي ٦٤٥ ـ ٧، ابن سعد ٢ ـ ١.

٦ ـ وفاء الوفا ٢ / ٣٥٠، ١ / ٧٧.

٧ ـ البكري ٣١٢، ياقوت ٤ / ١٩٢، وفاء الوفا ٢ / ٣٨٣.

٨ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٧٧.

٩ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٨٢، الأموال لأبي عبيد ٥٦.

١٠ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٨٢، ياقوت ٢ / ٣٣٠.

الشمـالية من الحجاز، وحالفوا هذه القبائل وخاصة غطفان وفزارة التي أبدت نشاطاً ضد الرسول ﷺ وانضمت إلى الأحزاب في حصار المشركين للمدينة في غزوة الخندق، كما أنها صارت ملجأ لبعض اليهود الذين أقصاهم الرسول ﷺ من المـدينـة، وخـاصـة بنـو النضير الذين لجؤوا إليها وأخذوا يقومون بنشاط دبلوماسي للتأليب على الرسول وتكتيل خصومه.

فدك:

يذكر ياقوت أن «فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة»[1] ويقول عرام أن فدك من أعمال المدينة، وبعد أن يعدد هذه الأعمال يقول «ولهذه المـواضـع أعمال عريضة واسعة»، ويقول محمد بن عبد الملك الأسدي أن الحجاز اثنا عشر داراً، وإن من هذه الدور فدك[2].

ويروي أبـو عبيد عن الـزهري في آية ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ هذه لرسول الله ﷺ خاصة قرى عربية فدك وكذا وكذا، ويعلق أبو عبيد على هذا النص «وهي في العربية قرى عربية بتنوين إلا أن يكون كما قالوا: دار الآخرة وصلاة الأولى، والمحدثون يقولون قرى عربية بغير تنوين»[3]، ويقول البكري «قرى عربية كل قرية في أرض العرب نحو خيبر وفدك والسوارقية وما أشبه»[4].

وذكـر البكـري أن «فدك معروفة بينها وبين خيبر يومان وحصن يقال له الشمروخ، وأكثر أهلها أشجع»[5]، ولا بد أن سكن أشجع فدك تم بعد اجلاء اليهود الذين كانوا يسكنونها، وكان رئيسهم عندما أخضعهم الرسول ﷺ يوشع

---

١ ـ ياقوت ٣ / ٨٥٥.

٢ ـ البكري ١٠.

٣ ـ الأموال ٩، وانظر البكري ٩٣٠.

٤ ـ البكري ١٥٥.

٥ ـ البكري ١٠١٦، وانظر: ٨٠٨.

ابن لولى[1] وذكر ابن شبه من صدقات علي «واد يقال له ترعة بناحية فدك بين لابتي حرة»[2].

وذكر البكري «البديع أرض من فدك وهي مال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، وأنه باع لابن هشام بن عبد الملك نصفه بعشرين ألف دينار[3]. ولعل هذه هي نفس بديع التي يذكر ياقوت أنها ناحية بين فدك وخيبر بها مياه وعيون لبني فزارة وحرة بعد وادي أختال[4] فهي نفس يزمع التي يذكر النقيري أنها قرية لولد الرضا كثيرة الفواكهِ والعيون وهي على بعد عشرة أميال من فدك [5].

يذكر ابن شبة في كلامه عن أملاك علي بن أبي طالب «وله بناحية فدك وادٍ بين لابتي حَرّة يدعى «رعية» فيه نخـل ووشـل من ماء يجـري على سقـا بزرنوت، فذلك من صدقته.

ولـه أيضاً بناحية فدك وادٍ يقال له الأسحن، وبنو فزاره تدعي فيه ملكاً ومقاماً، وهو اليوم في أيدي ولاة الصدقة من الصدقة.

وله أيضاً بناحية فدك مال بأعلى حرة الرجلاء يقال له القصيبة، كان عبد الله بن حسن بن حسن عامل عليه بني عمير مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على أنه إذا بلغ ثمره ثلاثين صاعاً بالصاع الأول فالصدقة على الثلث، فإذا انقرض بنو عمير، فمرجعه إلى الصدقة، فذلك اليوم على هذه الحال بأيدي ولاة الصدقة»[6].

---

١ ـ فتوح البلدان ٤٤، السمهودي ٢ / ٢٧٠.

٢ ـ تاريخ المدينة.

٣ ـ البكري ٢٣٢ ـ ٣.

٤ ـ ياقوت ٤ / ١٠١٣.

٥ ـ البكري ١٣٩٢، ١٠١٦.

٦ ـ تاريخ المدينة: ٢٢٤ ـ ٢٥.

ذكر البكري أن أقرب الطرق من المدينة إلى فدك من النقره مسيرة على جبال يقال لها الحبالة والقذالا، ثم جبل يقال له جبار، ثم يربغ وهي قرية لولد الرضا وهي كثيرة الفاكهة والعيون، ثم تركب الحرة فتهبط إلى فدك.

وطريق أخرى وهي طريق مصدق بين ذبيان وبين محارب من المدينة إلى القصه.. ثم ينزل نخلاً.. ثم ينزل المعنية.. ثم الثاملية.. ثم الرقمتين.. ثم مرتفعاً.. ثم فدك، ثم الحراضه، ثم خيبر، ثم الصهباء.. ثم دارة[1].

لم يذكر ياقوت من هذه الأماكن غير يربغ وحيان غير أن نص البكري يظهر أن فدك تقع في الأطراف الجنوبية الشرقية من خيبر، وأنها بالقرب من حرة الرجلاء.

ذكرت المصادر عدداً من الأماكن بين فدك وخيبر، ومما ذكرته:

١ - الجثا «موضع بين فدك وخيبر يطأه الطريق»[2].

٢ - بديع «ناحية بين فدك وخيبر بها مياه وعيون لبني فزاره وبني مره بعد وادي اختال وقبل ماء هجج»[3].

٣ - الهجج وهو ماء بين خيبر وفدك انتهى إليه علي بن أبي طالب في سريته إلى بني سعد بن بكر[4].

وذكر ياقوت بين معدن النقرة وفدك موضعين هما وادي الفرس[5] وحيان[6]. وذكر نصران «شق من قرى فدك تعمل فيها اللجم»[7]، وذكر البكري

---

١ - البكري: ١٠١٥ - ٦.

٢ - ياقوت ١ / ٣٤.

٣ - ياقوت ٢ / ١٠١٣.

٤ - ابن سعد ٢ - ١ / ٦٥، ياقوت ٤ / ١٠١٣.

٥ - ياقوت ٣ / ٧٨٥.

٦ - ياقوت ٢ / ٣٩٧.

٧ - ياقوت ٢ / ٣٠٨.

أن «مرخ وادٍ بين فدك والوابشية خضر نضر»[1].

وقـد أكثرت كتب الفقه والتاريخ من ذكر فدك إذ أن الرسول ﷺ عندما انتصر على أهل خيبر «بلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى الرسول ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ وفيها عين فواره ونخيل كثير[2]. وقد جعل لهم الرسول ﷺ نصف الأرض ونصف الثمر[3] وفي زمن خلافة عمر قوّموا نصف تربتها بقيمة عدل فدفعها إلى اليهود وأجلاهم إلى الشام[4].

وقد أثارت فدك نقاشاً بعد وفاة الرسول ﷺ فطالبت فيها فاطمه، ولكن أبا بكر اعتبرها ملكاً للدولة، وتعرضت ملكيتها إلى تبدلات متعددة، وكانت مما تمسك به الشيعة [5].

وادي القرى

ذكرنا في الكلام عن مساجد الرسول ﷺ في طريقه إلى تبوك أن مسجد وادي القرى هو المحطة الخامسة بعد المدينة في ذلك الطريق، وأنه المحطة الحادية عشر في جنوبي تبوك.

يقع وادي القرى بين تيماء وخيبر[6]، وهو يتلو مكة والمدينة واليمامة في الكبر[7] وذكر ابن الكلبي «سمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمر البلاد، وآثار القرى إلى الآن ظاهره، إلا أنها في وقتنا

---

١ ـ ياقوت ٤ / ٤٩٢.

٢ ـ ابن هشام ياقوت ٣ / ٨٥٥.

٣ ـ الأموال لأبي عبيد ٩، فتوح البلدان ٤٤.

٤ ـ فتوح البلدان ٤٦.

٥ ـ انظر ما كتبه عن ذلك فتوح البلدان ٤٤ ـ ٤٦.

٦ ـ ياقوت ٤ / ٥٣.

٧ ـ ابن حوقل ١ / ٣١.

هذا كلها خراب ومياه جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد»[1].

كان وادي القرى قديماً منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله وآثارها إلى الآن باقية، ونـزلها بعدهم اليهود واستخرجوا كظائمهـا وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها، ثم نزلتها قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلى، فعقدا مع اليهود حلفاً، وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل كل عام، ومنعوها لهم على العرب ودفعوا عنها قبائل قضاعة[2].

وأكبر مركز في وادي القرى قرح[3]، ويروى أن فيها هلك قوم عاد[4]، وكان فيهـا مسجـد الـرسـول ﷺ وهي، سوق وادي القـرى وقصبتهـا[5]، ويذكـر المقدسي «ليس بالحجاز اليوم للراحل أعمر وآهل وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكه من هذا، عليها حصن منيع، على قربته قلعة قد أحدق به القرى واكتف به النخيل، وتمور رخيصة، وأخبار حسنة، ومياه غزيرة، ومنازل أنيقة، وأسواق حارة، عليه خندق وثلاثة أبواب محددة، والجامع في الأزقة. في محرابه عظم، وهو بلد شامي مصري عراقي حجازي، غير أن ماءهم ثقيل وتمرهم وسط، وحمّامُهم خارج البلد»[6].

ومن معالم وادي القرى: الحجر، وهي في شمالي وادي القرى ـ كما يتبين من وصف محطات طريق تبوك ـ وهي قرية صغيرة، قليلة السكان[7]، وهي من وادي القرى على يوم بين جبال، وكانت بها منازل ثمود»[8]، ويقول المقدس

---

١ ـ ياقوت ٣ / ٨١ وانظر أيضاً ٤ / ٨١، ٧٧٨.

٢ ـ ياقوت ٤ / ٨١.

٣ ـ ياقوت ٤ / ٨١.

٤ ـ ياقوت ٤ / ٥٣، ٢ / ٥٣٣.

٥ ـ ياقوت ٤ / ٥٣.

٦ ـ أحسن التقاسيم ٨١.

٧ ـ الاصطخري، ابن حوقل ١ / ٣٢، ياقوت ٢ / ٢٠٨.

٨ ـ ياقوت ٢ / ٢٠٨

«الحجر صغيرة حصينة كثيرة الآبار والمزارع، ومسجد صالح بالقرب على نشزة مثل الصفة، قد نقر من صخرة، وثم عجائب ثمود وبيوتهم»[1].

والجبال التي تقع الحجر في أضعافها تسمى الأثالث: وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة، فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل، لا يكاد يرتقي كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها أحد إلا بمشقة وبها بئر ثمود»[2].

يبعد وادي القرى عن تيماء أربع ليال[3]، وبينهما ثجر، وهو ماء لبني القين بن حسر، وبينهما أيضاً جبل صارة[4].

وفي الشمال من وادي القرى تقع العلا[5]، وجبل وابش[6]، وشغب وهي ضيعة للزهري بها قبره[7]، وهي منهل بين مصر والشام[8]، ويقع معدن الحراضه بينها وبين الحوراء[9].

أما بدا فتقترن في المصادر مع شغب «وهي واد قرب أيلة من ساحل البحر وقيل بوادي القرى، وقيل بوادي عذرة قرب الشام[10]، وهي على جادة مصر عامرة آهلة[11].

---

١ ـ أحسن التقاسيم ٨٤.

٢ ـ ياقوت ١ / ١١٥، ٢ / ٥٨.

٣ ـ ياقوت ٤ / ٧٦.

٤ ـ ياقوت ٣ / ٣٦٠ عن السيد علي.

٥ ـ ياقوت ٣ / ٧٠٩.

٦ ـ ياقوت ٤ / ٨٧٢، البكري ٢٧٨.

٧ ـ البكري ٨٠٢، ياقوت ٣ / ٣٠٢.

٨ ـ البكري ٢٣٠.

٩ ـ البكري ١٠٧٨.

١٠ ـ ياقوت ١ / ٥٢٣.

١١ ـ أحسن التقاسيم ٨٤.

ومن وراء بدا وشغب تقع حلية وهي قرب وادي القرى [1].

وفي الأطراف الجنوبية الشرقية من تيماء يقع جبل عرنان وهو في قول السكوني «بين تيماء وجبلي طي، وقال نصر عرنان جبل معروف، وقال غيره عرنان اسم جبل بالجانب دون وادي القرى إلى فيد.. وقال الأصمعي عرنان وادي وقيل غايط واسع من الأرض[2]، وذكر البكري أن عرنان جبل بالجناب دون وادي القرى[3].

والجناب تعارض سلاح وخيبر ووادي القرى[4]، وهي أرض عذرة وبلى[5]، ويقول نصران الجنالب من ديار بني فزاره بين المدينة وفيد[6].

ورد ذكر أماكن بين وادي القرى وبلاد عذره، ولما كانت هذه البلاد تقع في جنوب وادي القرى، فالراجح أن هذه الأماكن تقع في جنوبي وادي القرى، وهي:

١ ـ سقيا الجزل وهي قرية من قرى وادي القرى من بلاد عذرة[7].

٢ ـ السرجية، وهي من بلاد عذرة[8]، ومن المشارق[9]، وتقع مياسر بينها وبين السقيا[10].

---

١ ـ ياقوت ٢ / ١١١.

٢ ـ ياقوت ٣ / ٦٥٦.

٣ ـ البكري ٩٣٥.

٤ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٨٧، ٤ ـ ٢ / ٧٤ ياقوت ٢ / ١٢٠.

٥ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ١١٨، ٤ ـ ٢ / ٧٤.

٦ ـ ياقوت ٢ / ١٢٠.

٧ ـ البكري ٧٤٣ عن محمد، بن حبيب، وانظر ياقوت ٣ / ١٠٤ عن يعقوب.

٨ ـ ياقوت ٢ / ٧٦٢ عن نصر.

٩ ـ البكري ٧٩٣.

١٠ ـ البكري ١٢٨.

٣ ـ أديم، وهي «عند وادي القرى من ديار عذرة كانت لهم بها وقعة مع بني مرة [١] ومن الأماكن التي ذكرت قرب وادي القرى دون أن تحدد المصادر مواقعها:

١ ـ أم قرحة. وهي على سبع ليال من المدينة وفيها فترات [٢].
٢ ـ الكفاف.
٣ ـ سفان.
٤ ـ ركبان.
٥ ـ اطلاح.
٦ ـ الصعيد.
٧ ـ شيبان.
٨ ـ سمنه.
٩ ـ النقاب [٣].
وذكري البكري قرب وادي القرى الرقم، والبويرة [٤].

وفي الجهات الشمالية تقع حرة ليلى وهي «لبني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يطأها الحاج في طريقهم إلى المدينة، وعن بعضهم أن حرّة ليلى وراء وادي القرى من جهة المدينة، فيها نخل وعيون، وقال السكري حرّة ليلى في بلاد بني كلاب»[٥].

ورد ذكر عدد من الأماكن في حرّة ليلى:

---

١ ـ ياقوت ١ / ١٧١.
٢ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٦٥.
٣ ـ هذه الأماكن مذكورة في ياقوت بالتتابع ٤ / ٢٨٥، ٣ / ٩٧،، ١ / ٢٨٧، ٣ / ٢٠٨، ٣ / ١٤٦.
٤ ـ البكري ٦٦٦، ٩٩٩ وانظر عن البويره ١٣٢٠، ٣٣٠ / ٢٨٥.
٥ ـ ياقوت ٢ / ٢٥٠.

١ ـ الضعن: وهو فوق ذي أمرّ، وبه قرنا أم حسان[١]، وهو قبل قنا[٢].

٢ ـ النقب وهي في طريق تيماء براس حرّة ليلى[٣].

٣ ـ حش أعيار[٤]، وهو في العدنة[٥].

٤ ـ حيران وهو جبل[٦].

٥ ـ برد[٧].

٦ ـ لظف، وهو قبل برد[٨].

---

١ ـ البكري ٨٧٩.

٢ ـ البكري ٢٤٠.

٣ ـ البكري ٣٣٠.

٤ ـ البكري ٣٨٣.

٥ ـ البكري ٩٢٤.

٦ ـ البكري ٤١٧، ٤٧٨.

٧ ـ البكري ٢٤٠، ٣٢٩.

٨ ـ البكري ١١٥٩.

٢ ـ المناطق الغربية من المدينة:

إضَم:

إن الوادي الرئيسي بين المدينة والبحر هو وادي إضم «وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلا منها عند السد يسمى الشـظاة، وإلى أسفل إضماً إلى البحر، ويصب في هذا الوادي في الأطراف الشمالية الغربيـة واديا بطحان والعقيق في زغابة التي يسمى الوادي بعدها اضـم.

نقل السمهودي عن الزبير مجرى وادي أضم وما ينصب فيه من الأودية فقال: ثم تمضي هذه السيول إذا اجتمعت في زغابة فتنحدر على عين أبي زياد والصورين من أدنى الغابة.

ثم تلتقى هذه السيول وادي نقمى ووادي نعمان أسفل من عين زياد
ثم تنحدر هذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفيها

ثم يلقاها وادي ذي أوان ودوافعه من الشرمه
ويلقاها من الغرب واد يقال له بواط والحزاز
ويلقاها من الشرق وادي الأتمة
ثم تمضي من وادي اضم حتى يلقاها وادي برمه الذي يقال له ذو البيضة من الشام
ويلقاها وادي ترعة من القبلة
ثم يلتقى هو ووادي العيص من القبلة
ثم يلقاه دوافع وادٍ يقال له حجر
ووادي الجزل الذي به السقيا

والرحبة من نخيل ذي المروة مغرباً
ثم يلقـاه وادي عمودان في أسفل ذي المروة
ثم يلقاه واد يقال له سفيان حين يغيض إلى البحر عند جبل يقال له أراك
ثم يدفع إلى البحر من ثلاثة أودية يقال لها اليعبوب والنتيجة وحقيب[1].

نقل ياقوت عن ابن السكيت أن «أعلا اضم القناة التي تمر دوين المدينة» ونقل عن السيد عُلَيّ أن اضم «يسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلا منها عند السد الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى اضماً إلى البحر»[2].

ويذكر ابن زبالة أن «سيول العالية ترجع إلى بطحان وقناة، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبي وقاص»[3]، وينقل عن ابن شبة «أن هذه الأودية تجتمـع بزغابة، وهو بطرف وادي اضم»[4] ويذكر المطري أن السيول تجتمع سيل بطحان والعقيق والزغابه ونقمى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلاً واحداً، ويأخذ في وادي الضيقة إلى اضم جبل معروف، ثم إلى كرى من طريق مصر ويصب في البحر[4].

الغابة

تقع الغابة في الجهات الشمالية الغربية من المدينة[5]، وذكر ابن سعد والفيروز آبادي أنها تبعد عن المدينة بريداً (١٢ ميل)[6]، وروى ياقوت أنها تبعد

---

١ ـ وفاء الوفا ٢ /٢١٩ ـ ٢٢٠ عن الزبير، ويضيف السمهودي «وذكر ابن شبة نحوه وكذلك الهجري».

٢ ـ ياقوت ١ / ٢٨١، ٣٠٥، ٢ / ٢٨١، وانظر عن السد السمهودي ٢ / ٢٤٧ (عن الفيروز آبادي).

٣ ـ وفاء الوفا ٢ / ٢١٩.

٤ ـ وفاء الوفا ٢ / ٢٢٠.

٥ ـ ياقوت ٣ / ٧٦٧، السمهودي ٢ / ٣٥١.

٦ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٥٨.

ثمانية أميال[1]، وقال السمهودي: إنه يمكن التوفيق بين الروايتين «يحمل البريد على أقصاها، وما بعده على أثنائها، وأما أدناها فعند الحفيا»[2].

وكانت الغابة قبل الإسلام وبية، نزلها بنو قريظة والنضير عند أول قدومهم المدينة، فكرهوها لأنها وبيه فانتقلوا عنها إلى منازلهم في المدينة[3]، وكانت فيها طرفاء صنع منها منبر الرسول ﷺ[4].

وفي زمن الإسلام اشتراها الزبير بمائة وسبعين ألفاً، ثم بيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف، واشترى عبدالله بن جعفر منها قطعة بأربعمائة وخمسين ألفاً، ثم باعها بستمائة ألف لمعاوية الذي اشترى أيضاً سهماً منها بمائة ألف، كما اشترى ابن زمعه سهماً آخر بمائة ألف، وبقى بعد وفاء ديون الزبير من ثمنها ألف ألف ومائة ألف وزعت على نسائه[5].

وكانت في الغابة أملاك للعباسي أيضاً[6].

خشب وذي المروه والحوراء

تبعد خشب مرحلة عن المدينة[7]، بينهما مخيض[8] وبشار ابن شرحبيل[9]، وكان فيها قصر مروان[10]، وحائط لعبدالله بن مروان[11].

---

١ - ياقوت ٣ / ٧٦٧.

٢ - السمهودي ٢ / ٣٥٢.

٣ - الأغاني ١٩ / ٩٥.

٤ - ياقوت ٣ / ٧٦٧.

٥ - ابن سعد ٣ - ١ / ٧٦، وانظر السمهودي ٢ / ٣٥١.

٦ - السمهودي ٢ / ٣٥٢.

٧ - ياقوت ٢ / ٤٤٥، السمهودي ٢ / ٢٨٣.

٨ - ابن سعد ٤ / ١٦٧.

٩ - ابن سعد ٤ - ٢ / ٣٢.

١٠ - ابن سعد ٤ / ١٦٧.

١١ - السمهودي ٢ / ١٨٢.

وفي شمـالي خشب يقـع ذو المروة[1]، وهي من المشارق[2]، على ثمانية برد من المدينة[3] وكانت فيها عيون ومزارع بقيت آثارها إلى زمن السمهودي[4] وفوقها تقع بلاكث وكانت فيها عيون ونخل لقريش وهي بينها وبين ذي خشب [5].

وفي أسـافـل ذي المـروة تقع طيخة[6]، والحوراء التي ينبع منها مجرى طيخ[7] وبين ذي المروة والمدينة جبل عثمان[8]، وبينهما وبين سقيا الجزل جبل ذهبـان[9] أمـا ظلم، وهـو بالقرب من خشب فستتحدث عنه عند الكلام عن القبلية. وأما سقيا الجزل فهي جنوبي ذهبان[10]، وبالقرب منها مياسر[11].

القبلية

تدعى المرتفعات الجبلية التي بين المدينة وينبع «القبلية»، وقد عرفها الشريف عُلَيّ بأنها «سراة فيما بين المدينة وينبع، ما سال منها إلى ينبع يسمى الغور، وما سال منها إلى أودية المدينة سمي القبلية، وحدها من الشام ما بين الحت، وهو جبل من جبال بني عرك من جهينه، وما بين شرف السيالة، أرض يطؤها الحاج وفيها جبال وأودية [12]»

---

١ ـ ياقوت ٤ / ٧٠٢، وانظر ٣ / ٥١٢، ٥٦٨، البكري ١٠٣٨.

٢ ـ البكري ٧٩٣.

٣ ـ السمهودي ٢ / ١٨٢ (عن المطري).

٤ ـ

٥ ـ ياقوت ٤ /٧٠٢، وانظر ١ / ٧١١، ٥٩٤.

٦ ـ ياقوت ٤ / ٥٦٨.

٧ ـ البكري ١٠٣٨، ياقوت ٣ / ٥٦٨.

٨ ـ ياقوت ٣ / ٦١٦.

٩ ـ ياقوت ٢ / ٧٢٥.

١٠ ـ ياقوت ٤ / ٧٢٥ عن ابن السكيت.

١١ ـ ياقوت ٤ / ٧٠٢ عن ابن حبيب.

١٢ ـ ياقوت ٤ / ٣٢، السمهودي ٢ / ٣٥٩.

اشتهرت القبلية بالسرية التي بعثها الرسول ﷺ إلى حي من جهينه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار وعليهم أبو عبيدة بن الجراح، فأصاب المسلمين في الطريق جوع شديد فأكلوا الخبط، وبها سميت غزوة الخبط(١)، وهي بناحية ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة أيام(٢).

وكانت في القبلية معادن اقطعها الرسول ﷺ بلال بن الحارث المزني وحدّد في كتابه حدودها فذكر «وأعطاه معادن القبلية جلسيها وغوريها: غشية، وذات النصب، وحيث صلح الزرع من قدس إن كان صادقاً»(٣).

وذكر الشافعي أن إقطاع بلال من ناحية الفرع، وأن تلك المعادن لا يؤخذ منها الزكاة إلى اليوم(٤)، ولم تذكر المصادر أي المعادن كانت فيها وذات النصب تبعد عن المدينة أربعة برد(٥).

ذكر علي بن وهّاس العلوي في القبلية أسماء عدد من الأودية لم يحدد مواقعها بدقة، فمما ذكر البلياء(٦)، وشمس(٧)، والرس(٨)، وثاجة(٩)، والناصفة(١٠).

---

١ - ابن سعد ٢ - ١ / ٩٥.
٢ - ياقوت ٢ / ٣٩٩.
٣ - ياقوت ٤ / ٣٢ - ٣ عن المعجم الكبير للطبراني.
٤ - الأم ٢ / ٣٧، وانظر أبو عبيد ٣٣٨، الموطأ ١٩٠، وانظر ابن سعد ٣ - ١ / ١٥١ حيث يذكر أن فتح المعدن زمن أبي بكر.
٥ - الأم ١ / ١٦٢، الموطأ ١ / ١٢٥، المدونه طبعة الساس ١ / ١٢٢، السمهودي ٢ / ٣٨٢. ويذكر السمهودي أنها من نواحي الفروع، عند ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام ٢ / ٣٥٩ ياقوت ٤ / ٧٨٥، البكري ١٠٣٩ وانظر عن غشية ياقوت ٣ / ٨٠٣، السمهودي ٢ / ٣٥٣.
٦ - ياقوت ١ / ٧٣٤.
٧ - كذلك ٣ / ٣٢٤.
٨ - السمهودي ٢ / ٣١١.
٩ - ياقوت ١ / ٩١٤، ويقول السمهودي: إنه بحرض ٢ / ٢٧٢.
١٠ - ياقوت ٤ / ٧٢٩، السمهودي ٢ / ٣٨١.

وذكر من الجبال التي من القبلية المقشعر[1]، والزغبية[2]، والقلادة[3]، والكويره[4]، وصرار [5]، وسكاب [6].

الأجرد والأشعر

وأشهـر ما في القبلية جبلي الأجرد والأشعر اللذين يجري بينهما وادي بواط [7] فأما الأجرد فقد سمي بذلك لانجراده، وهو يسمى الأقرع أيضاً [8]، وهو شامي بواط [9]، وكان يعتبر من جبال جهينة[10]، غير أنه أصبح من منازل مزينـة[11] ومن أودية الأجرد الشمالية وادي رشاد «وهو يصب في اضم، وكان اسمه غوى، فسماه الرسول ﷺ رشاداً، وهو لبني عفان[12]، ويقابله مبكثه وهو تلقاء بواط»[13].

ويلي رشاداً عين الحاضره وفيها قبر عبد العزيز بن محمد من أحفاد عبد الرحمن بن عوف، ويليها تبزر وبه عيون صغار منها الأذنية وهي من أحسن أموال

١ ـ ياقوت ٤ / ٦٠٧، السمهودي ٢ / ٣٧٦.
٢ ـ ياقوت ٢ / ٩٣٣.
٣ ـ ياقوت ٤ / ١٥٦، السمهودي ٢ / ٣٦٢.
٤ ـ ياقوت ٤ / ٣٣١، السمهودي ٢ / ٣٦٦.
٥ ـ ياقوت ٣ / ١٠٥، ٣٧٧، ٢ / ٥١٠، السمهودي ٢ / ٣٣٥، وهو غير صرار التي على طريق العراق سعد ٢ ـ ١ / ٤٤.
٦ ـ ياقوت ٣ / ١٠٥.
٧ ـ السمهودي ٢ / ٢٤٢.
٨ ـ البكري ١١٢.
٩ ـ السمهودي ٢ / ٢٤٢، البكري ١١٢.
١٠ ـ ياقوت ١ / ٢٣٤.
١١ ـ البكري ١١٢.
١٢ ـ البكري ١١٢، وانظر السمهودي ٢ / ٣١١.
١٣ ـ البكري ١١٢.

عبدالله بن محمد الطلحي وعين الظليل لمبارك التركي، وكذلك عيون تبدد في أسنان الجبال.

ومن أودية الأجرد التي تصب في الغور هزر، وهي لبني جشم؛ ومن المياه فيه بئر بني سباع بذات الحرى، وبئر الحواتكة بزقب الشطان وهو بالمنصف بين عين بني هاشم التي بملل وبين عين اعظم(١).

ومن أودية الأجرد تيتد، ويذكر الهجري أنه «يلي وادي الحاضر به عيون صغار خيرها عين يقال لها أذينة وعين يقال لها الظليل، وعيون تيتد كلها تدفع من أسنان الجبال، فإذا أسهل غراسها لم ينجب زرعها وذلك أن صاحبها وكان من جهينة ذمها وقال هي جبل، فقال النبي ﷺ لا أسهلت تيتد، فما استمهل منها فلا خير فيه(٢) ويذكر ياقوت(٣)أن فيها نخلاً من صداق الرسول ﷺ أما الأشعر فقد سمى بذلك لكثرة شجره(٤)، وهو جنوب الأجرد. «ينحدر على ينبع من أعلاه»(٥) وينزله قوم من مزينة(٦)، وفي جهته الجنوبية وادي الروحاء(٧).

بواط

وبين الأجرد والأشعر وادي بواط، وهو في شمالي الأشعر(٨)، وعندهما جبلانْ متفرقا الرأسين أصلهما واحد، وبينهما ثنية تسلكها المحافل، سلكها رسول الله ﷺ في غزوة ذي العشيره من ينبع(٩)، وبواط قريب من رضوى، يبعد

---

١ ـ البكري ١١٢ ـ ١١٣.
٢ ـ السمهودي ٢ / ٢٧٢.
٣ ـ ياقوت ١ / ٩٠٤.
٤ ـ البكري ١٥٤.
٥ ـ ياقوت ١ / ٢٧٩.
٦ ـ البكري ١٥٤.
٧ ـ البكري ١٥٤، السمهودي ٢ / ٢٦٦، عن الهجري.
٨ ـ البكري ١٥٤، ١١٢، سعد ١ ـ ٢ / ٤ وهو يذكر أنها حياة وانظر ياقوت ١ / ٧٥.
٩ ـ البكري ١٥٤، السمهودي ٢ / ٢٦٦.

عن المدينة أربعة برد [1]، وهو لجهينة، وفي أطرافه الغربية يسكن بنو دينار وبنو الربعة من جهينة [2]. ويلقاء وادي بواط مبكث الذي يسيل من الأجرد [3].

الحورتان وظلم

ومن أودية الأشعر حورتان الشاميه واليمانيه، وهما لبني كليب بن كثير وبني عوف بن وعل الجهنيين[4]، والحورة هي الشعب في الوادي.

فأما حورة الشامية فكان فيها منزل لعبد الملك بن مروان يقال له ذو الحماط لأن موضعه كان شجيراً بالحماط؛ وفيها أيضاً كان ينزل محمد بن جعفر الطالبي في بقاع بني دينار.

وقد وصف البكري منطقة الحورا بتفصيل فقال:

ويلي الحورة الشامية ينازعها من شقها الشامي حراض، وبها بئر يقال له بئر حراض، وكان لعمران بن عبدالله بن مطيع بفرع حراض قصر، وهناك أيضاً حريض، وهو لبني الربعة، فيه ماء يسيح ولا يفضي إلى شيء ينتفع به ويلي حريضاً ظلم[5]، وحدرة لبني الحارث، وهم بطن من مرة من بني الربعة. وبأسفل ظلم بئر يقال لها بئر عطيل المليحي، وهو من الربعة. وبفرع ظلم الصهوة وهي صدقة عبدالله بن عباس على زمزم، وفيها رقيق يتناسلون إلى القرن الرابع، وهم يقتلون الخزم من الصهوة لزمزم.

---

١ - ابن سعد ١ - ٢ / ٤، وانظر البكري ٢٨٢.

٢ - السمهودي ٢ / ٢٦٧، البكري ١٥٤. وأنه جبل لجهينة (بكري ٣٨، ابن سعد ١ - ٢ / ٤).

٣ - البكري ١١٢.

٤ - ياقوت ٢ / ٣٥١، السمهودي ٢ / ٢٩٦. عن الهجري.

٥ - يذكر ياقوت عن نصر «ظلم جبل بالحجاز بعد اضم وجبل لجهينة(ياقوت ٣ / ٥٨٠)، ويذكر عرام أن ظلم جبل مشهور من جبال الحجاز «ومن أم المدينة من بطن نخل فإن الطريق تكتنفه ثلاثة أجبل أحدها ظلم وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شيئاً، وهرم بني عوال وهما لغطفان (البكري ٩٠٦)

ويلي ظلماً من شقه الشامي مليحتان: مليحة الرمث ومليحة الحريص، لأن بها شعباً ضيقاً يحرص الإبل، أي يقشر جلودها بخشبه[1].

وهناك جبل سمان . . والعويسجة.

وبين ظلم والمليحتين الدحلان[2] دحل وعنمر، وهو جبل عظيم بين مليحة وصعيد ظلم، وبطرف هذا الجبل الشامي ماء يقال له الأشل، وبطرفه الغربي ردهة عاصم. ثم يلي الملحتين بواطان[3].

أما حورة اليمانيه ففيها وادي كان يسمى ذو الضلاله، فسماه الرسول ﷺ ذي الهدى[4]، وكان يحمل منه إلى المدينة العسل والحنطه والرياخية[5] وفيها أيضاً المخاضه، وهي قاع كانت وعرة وفيها غرض، أي شق، يستخرج منه الشب، وكانت لقوم من جهينة ثم صارت لعبد الرحمن بن محمد بن عزيز[6]

وذكر البكري بعد كلامه عن حورة الشاميه الأماكن التالية دون أن يحدد مواقعها، غير أن سياق كلامه يدل على أنها تقع جنوب حورة اليمانية فقال:

ومن أودية الحورة وادٍ ينزع في الفقارة، يسكنه بنو عبدالله الحصين الأسلميون، والخارجيون رهط الخارجي الشاعر، وهم من عدوان، تزعم جهينة أنهم حالفوهم من الجاهليه . وبأسفل الحورة عين عبدالله بن الحسن التي تدعى سويقة[7] ثم تنفذ بين السفح والمشاش[8] وبها ذات الشعب. وبها المليحة.

---

١ ـ انظر السمهودي ٢ / ٣٧٧.

٢ ـ انظر ياقوت ٢ / ٥٥٨ وهو يضبطها «دخل».

٣ ـ البكري ١٥٧.

٤ ـ السمهودي ٢ / ٢٩٦ عن الهجري.

٥ ـ السمهودي ٢ / ٢٩٦.

٦ ـ البكري ١٥٤، وانظر السمهودي ٢ / ٢٩٦.

٧ ـ البكري ١٥٥ ـ ٦، وانظر السمهودي ٢ / ٢٩٦.

٨ ـ وهي غير المشاش التي يذكر السمهودي أنها واد يصب في عرصة العقيق ٢ / ٢٧٧.

ويأسفل المليحة هضبة يقال لها الجباء لكثرة نحلها، والجباء موضع بيوت النحل وهي بين الشويله وبين حورة
وفيها نقب يقال له القويقل

وبين الشاجه وحوره يقع مشجر، وهو من أودية القبلية ويدفع فيما بين الفرش والفريش[1] وهو ماء لجهينة إلى جنب مشجر[2]، وبطن واديه يسمى الجريب [3] وهي بناحية فرش [4]

وديان الأشعر

ومن أودية الأشعر الغربية التي تصب من البحر عباثر، وكانت في القرن الرابع لبني عثم من جهينة، وفيها طريق يفضي إلى ينبع[5]. وذكر السمهودي أن «عباثرواد من الأشعر يبين نخل ويواط به نقب يؤدي إلى ينبع، وهو لبطن من جهينة ابتاع موسى بن عبدالله الحسين الذي عالج به عينا[6].

ومن أودية الأشعر الغربية نملى وهي تصب على ينبع، وبها بئران يقال لهما الصريح، واحدةلبني زيدبن خالد الحراميين، والأخرى للكلبيين. وينقل السمهودي عن الأصمعي أن «نملى جبال حواليها جبال متصله فيها سواد وليست بطوال، ومن مياه غلى الحنجرة والودكاء[7].

ويأسفل نملى البليد والبليدة وبهما عينان لبني عبدالله بن عنبسه بن سعيد بن العاص[8]، ويذكر السمهودي أنها قرب الفقيره التي تحمل منها الحنطة

---

١ ـ السمهودي ٢ / ٣٦٨.
٢ ـ البكري ١٢٥٩، ٣٧، ياقوت ٤ / ٩١٣.
٣ ـ البكري ١٢٥٩.
٤ ـ البكري ١١٨٢، السمهودي، ٢ / ٣٦٨.
٥ ـ البكري ١٥٧.
٦ ـ السمهودي ٢ / ٣٤٢.
٧ ـ كذلك ٢ / ٣٨٥.
٨ ـ البكري ١٥٨، ٢٧٤.

الرياضية إلى المدينة[1]، وأن البليد لآل علي بن أبي طالب وفيها لآل سعيد بن العاص[2] ومن أودية الأشعر طاس، وهو يصب في الصفراء، وهو لبني عبد الجبار الكلبيين[3].

يليل

يليل من الوديان الشهيرة يذكر أبو الأشعث أنه وادي ينبع[4]، ويذكر يعقوب أنه وادي الصفراء، أو أنه بوادي الصفراء[5]، ويقول السمهودي أنه واد بناحية ينبع والصفراء ويصب من البحر[6]، أما البكري فيقول أن وادي يليل يصب في غيقة، وغيقة تصب في البحر[7]، وينقل البكري عن الزبير بن بكار أن «واد يدفع في بدر»[8] وينقل ياقوت أن «يليل بين بدر والعين، العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش، والقليب بدر من العدوة الدنيا[9].

ويذكر ياقوت «مضيق يليل»[10] وأن «يليل قرية قرب وادي الصفراء[11] ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بالقول أن يليل تمتد منه شعبة إلى ينبع وتنحدر الأخرى إلى غيقه، وأنه قرب بدر ووادي الصفراء.

---

١ - السمهودي ٢ / ٢٦٦.
٢ - ياقوت ١ / ٧٣٥ - ٦.
٣ - البكري ٢٧٤.
٤ - ياقوت ٣ / ٥، ١٢.
٥ - ياقوت ٢ / ٣٩٦، ٣ / ٨٢٩، ٤ / ١٠٢٦، وانظر البكري ٤٣٩.
٦ - السمهودي ٢ / ٣٩٢.
٧ - البكري ٣٥٦، ٦٥٦.
٨ - البكري ١٣٩٩.
٩ - ياقوت ٤ / ١٢٦، ١ / ٣٥٥.
١٠ - ياقوت ٤ / ٤١٠.
١١ - ياقوت ٤ / ١٠٢٦.

وفي يليل عين النجير[1]، ومنهـا شرب أهل الجار[2]، لأنها قرب الجار، وهي على شاطىء النجير[3] ، وهي «عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون وأكثرها ماءً وتجري من رمل لا يستطيع الزارعون السير عليها إلا في مواضع يسيره من احناء الرمل، وتصب في البحر عند ينبع، فيها نخل ويتخذ فيها البقول [4] والبطيخ.

ومن الأودية التي تدفع في يليل وادي رحقان[5]، وهو وادٍ عن يمين المتوجه من النازية إلى المستعجلة، وسيل يصب عن يسار المستعجلة في خيف بني سالم، وقد ذكر ابن اسحق في سير الرسول ﷺ إلى بدر أن الرسول ﷺ سلك من ناحية من النـازيه حتى جزع وادي يقـال له رحقـان بين النـازيه ومضيق الصفراء، أي قطع طرف الوادي المذكور مما يلي المستعجله وهي أدنى مضيق الصفراء[6].

ويدفع في رحقان وادي حرض[7]، ووادي الضبوعة[8]وهو «منزل عند يليل بين مشيرب وبين الخلائق، مشيرب شامي ذات الجليس»[9]

وبالقرب من يليل شعبة عبدالله وقد سلكها الرسول ﷺ عندما خرج يريد قريشاً، ثم صب على اليسار حتى هبط يليل[10].

---

١ ـ ياقوت ٤ / ١٠٢٦، السمهودي ٢ / ٣٩٢.

٢ ـ البكري ٨٣٦، وانظر: السمهودي، ٢ / ٣٨١.

٣ ـ البكري ٨٣٦، السمهودي ٢ / ٣٩٢.

٤ ـ ياقوت ١ / ٥١١ ـ ٢.

٥ ـ البكري ٤٣٩.

٦ ـ انظر البكري ٦٤٤، ياقوت ٢ / ٧٦٨، ٤ / ٦٢٨، السمهودي ٢ / ٣٧٣، ٣٨٣.

٧ ـ البكري ٤٣٩.

٨ ـ ياقوت ٣ / ٤٦٤.

٩ ـ السمهودي ٢ / ٣٨٣.

١٠ ـ ياقوت ٢ / ٢٩٧١، ٣٣٤، ٧٢٣.

رضوى

جبل رضوى قرب ينبع[1]، ويبعد عنها مسيرة يوم وعن المدينة على سبع مراحل وهو على ليلتين من البحر[2] وينحدر غوره إلى الساحل[3]، وفي جهته الشرقية حورا[4] ووادي الصفراء، فهو يمتد جنوبي ينبع ويمر بينه وبين عزور طريق المعرفة الذي تختصره القوافل السائره بين الشام ومكة[5]. وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية. ومن رضوى يقطع حجر المسن ويحمل إلى الدنيا كلها[6].

ويذكر أبو زيد أن رضوى جبل أخضر من شعابه مياه كثيرة وأشجّار[7] ويذكر عرام أن رضوى وعزور ينبتان الشوحظ والنبع و القرظ والرنف، وفيهما جميعاً مياه وأوشال لاتجاوز الشفة، تخرج من شواهقه لا يعلم متفجرها[8].

ورضوى لجهينة [9] ويقربه فيما بينه وبين ديار جهينة مما يلي البحر ديار للحسينيين يسكنون بيوت الشعر وهم سبعمائة بيت، وهم بادية مثل الأعراب ينتقلون من المياه والمراعي لا تمييز بينهم وبين بادية الأعراب في خلُق ولا خلْق وتتصل ديارهم مما يلي المشرق بودان، ومن سكانه أيضاً نهد وهم وبرخاصة.

عزور وثافل

يقع بالقرب من رضوى جبل عزور «بينهما قدر شوط فرس» ويُذكر الجبلان

---

١ ـ ياقوت ١ / ٤٢٣، ٢ / ٧٩٠.

٢ ـ عرام البكري ٦٥٥، ياقوت ٢ / ٧٩٥، السمهودي ٢ / ٣١١.

٣ ـ ياقوت ٢ / ٧٩٠ عن ابن السكيت.

٤ ـ ياقوت ٢ / ٧٩٠، البكري (٣).

٥ ـ عرام.

٦ ـ ابن حوقل ١ / ٣٣، ياقوت ٢ / ٧٩٠.

٧ ـ ياقوت ٢ / ٧٩٠ عن أبي زيد، وانظر ابن حوقل ١ / ٣٣.

٨ ـ البكري ٦٥٦.

٩ ـ البكري ٦٥٦.

معاً في أغلب المصادر و يشار إلى منتوجاتهما الزراعية[1].

وعلى بعد من رضوى وعزور يمتد جبل ثافل وهو في شرقي عدوة غيقه، بالقرب من يليل «جبلان يقال لهما ثافل الأكبر وثافل الأصغر، وهما لضمرة خاصة، وهما أصحاب حلال ورعية ويسار، وبينهما ثنية لا تكون رمية سهم، وبينهما وبين رضوى وعزور ليلتان، نباتهما العرعر والقرظ والظيان والايدع والبشام». ويذكر عرّام أن «بين هذه الجبال جبال صغار وقرادد، وينسب كل جبل إلى ما يليه[2]. وثافل جبل مزينه[3].

وفي ثافل الأكبر عدة آبار في بطن وادٍ يقال له يرثد، ويقال للآبار الدباب، وهو ماء عذب كثير غير منزوف أناشيط قدر قامة[4].

وفي ثافل الأصغر ماء دوّار في جوفه يقال له القاحة، وهما بثران غزيرتان[5]. وقد اشتهرت القاحة بغزوة انفذها الرسول ﷺ إليها وترددت في كتب السيرة وأجمل السمهودي ما قالوه فيها فقال: «القاحة على ثلاث مراحل من المدينة كما في البخاري، وهي قبل السقيا لجهة المدينة بنحو ميل قاله المجد وقال الحافظ ابن حجر وغيره، ويقال لواديها وادي العبابيد وكذلك قال عياض، وذكر الأسدي أنه يقال له وادي العائد وأنها لبني غفار»[6].

وفي قفا ثافل ماء يقال له معيط لكنانة[7].

---

١ ـ انظر البكري ٦٥٦، ياقوت ٣ / ٦٦٩.

ويجد أن يميز عن مكان آخر بهذا الاسم يقع بين الزرواء والجحفة (ياقوت ٢ / ٧٢٧، ٦٦٩).

وانظر البكري ٣٦٨، ١٢٣٣.

٢ ـ عرام ٣٩٩، البكري ١٣٢، ياقوت ١ / ٩١٤ ـ ١٥.

٣ ـ البكري ٣٣٤ / ١٢٤٦.

٤ ـ عرام ٤٠١، ياقوت ١ / ٩١٥، البكري ١٣٢، وانظر ياقوت ١ / ١٩٢، ٤ / ٩١٠.

٥ ـ عرام ٤٠١، ياقوت ١ / ٩١٤، البكري ١٣٦ السمهودي ٢ / ٣٥٧.

٦ ـ السمهودي ٢ / ٣٥٧.

٧ ـ البكري ٣٣٤، ويذكر في مكان آخر أنه لمزينة (١٢٤٦) وأشار إليه ياقوت دون أن يحدده =

الحوراء

تقع الحوراء في شمالي جبل رضوى[1] بينها وبين ينبع ثلاثة أيام[2] وهي فرضة ترفأ إليها السفن من مصر[3]، وكانت «ساحل خيبر لها حصن وربض عامر فيه سوق من نحـو البحر»[4] وكانت في القرن السابع الهجري خربه، فيقول ياقوت «وقد خبرني من رآها سنة ٦٢٦ وقد ذكر أنها ماءة ملحة وبها أثر قصر مبني بعظام الجمال وليس بها أحد ولا زرع ولا ضرع»[5]. ومن أرض الحوراء التجبار[6].

ومن الأماكن الساحلية قرب الحوراء العويند، وهو موضع قرب مدين[7]، وهو «ساحل قرح، عامر كثير العسل، ولها مرسى حسن»[8].

ومن الحوراء ذو المرخ، وهو في ساحل البحر قرب ينبع»[9] وهو موضع كثير شجر المرخ ينسب إليه[10].

وبالقرب من الحوراء بينها وبين الضيقة يقع جبل الستار بينه وبين ينبع ثلاثة أيام[11].

= (٤ / ٥٨١).

١ ـ البكري ١٣١.

٢ ـ ياقوت ٣ / ٣٩.

٣ ـ البكري ١٣١٠، ياقوت ٤ / ١٩٧، ٢ / ٧٩٠ عن ابن السكيت.

٤ ـ أحسن التقاسيم ٨٣.

٥ ـ ياقوت ٢ / ٣٥٦.

٦ ـ ابن سعد ١ ـ ٢ / ٦.

٧ ـ ياقوت ٣ / ٧٤٨.

٨ ـ أحسن التقاسيم ٨٤.

٩ ـ ياقوت ٤ / ٤٩٢، السمهودي ٢ / ٣٧٢.

١٠ ـ البكري ١٢١٠.

١١ ـ ياقوت ٣ / ٣٩.

وفي شمالي الحوراء وبقربها يقع معدن الحراضة، بينها وبين شغب وبدا وينبع[1] وهو قريب من طيح الذي يقع في أسافل ذي المروة[2].

ينبع

تقع ينبع على ساحل البحر، على يمين (شمالي) رضوى لمن كان منحدر من المدينة إلى البحر، على ليلة من رضوى، ومن المدينة على سبع مراحل[3].

وذكر عرّام أن ينبع «لبنى حسن بن علي، وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وفيها عيون عذاب، وواديها يليل، وهي قرية غناء، وواديها يصب في غيقه»[4]، وقال ابن حوقل «ينبع حصن وبه نخل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب يتولاها ولده»[5]، وقال المقدسي «ينبع كورة جليلة حصينة الجدار، غزيرة الماء، أعمر من يثرب وأكثر نخيلاً حسنة الحصن، حارة للسوق، لها بابان، الجامع عند أحدهما، الغالب عليها بنو حسن»[6].

يقول السمهودي أن ينبع من نواحي المدينة «وإنما أفردت عنها في الأعصر الأخيرة، سميت به لكثرة ينابيعها»[7]، ويقول الشريف بن سلمة بن عياش الينبعي أنه عدّ بها مائة وسبعين عيناً[8].

أشارت عدة مصادر إلى أن ينبع كانت إقطاعاً لعلي بن أبي طالب[9] وذكر

---

١ - ياقوت ٢ / ٢٣٠، البكري ١٠٣٨.

٢ - البكري ١٠٣٨.

٣ - عرام ٣٩٧، السمهودي ٢ / ٣٩٢، ويذكر السمهودي أيضاً أن ينبع على أربعة أيام من المدينة.

٤ - عرام ٣٩٧، السمهودي ٢ / ٣٩٢.

٥ - ابن حوقل ١ / ٣٣.

٦ - أحسن التقاسيم ٨٣.

٧ - السمهودي ٢ / ٣٩٢.

٨ - ياقوت ٤ / ١٠٣٩، وانظر السمهودي ٢ / ٣٩٢.

٩ - الأم للشافعي ٣ / ٢٧٦، ابن حوقل ١ / ٣٣، ياقوت ٤ / ١٠٣٩.

البكري أن «ينبع وادي علي بن أبي طالب هو رضوى، قفاها حجاز وبطنها غور يضربه الساحل[1].

أورد ابن شبه تفاصيل عن أصول وسعة أملاك علي بن أبي طالب في ينبع فقال: إنه لما «أخذ رسول الله ﷺ ينبع أقطعها الكشد، فقال يارسول الله إني كبير، ولكن اقطعها لابن أخي، فقطعها له، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري بثلاثين ألف درهم، فخرج عبد الرحمن إليها فرمى بها وأصابه سافيها وريحها فقدرها(؟) وأقبل راجعاً، فلحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بمنزل، وهي بلية دون ينبع.. ثم ابتاعها علي، فكان أول شيء عمله فيها البغيبغة وأنفذها»، ويروى عن القعنبي أن عمر رضي الله عنه قطع لعلي رضي الله عنه ينبع، ثم اشترى علي رضي الله عنه، إلى قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عيناً، فبينما هم يعملون فيها إذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فأتى علي رضي الله عنه فبشر بذلك، فقال يسر الوارث»، ويروى عن ابن أبي يحيى بسند عن عمار بن ياسر «أقطع النبي ﷺ علياً رضي الله عنه بذي العشيرة من ينبع، ثم أقطعه عمر رضي الله عنه، بعدما استخلف إليها قطيعة، ثم تصدق بها»[2].

ونقل ابن شبه عن ابن أبي يحيى أيضاً (كانت أموال علي رضي الله عنه عيوناً متفرقة بينبع، منها عين يقال لها «عين البحير»، وعين يقال لها «عين أبي نيزر»، وعين يقال لها «عين نولا»، وهي اليوم تدعى العدر، وهي التي يقال أن علياً رضي الله عنه، عمل فيها بيده، وفيها مسجد النبي ﷺ متوجهه إلى ذي العشيرة يتلقى عير قريش، ومن هذه العيون أشراب بأيدي أقوام، زعم بعض الناس أن ولاة الصدقه أعطوهم إياها، وزعم الذين هي بأيديهم أنها ملك لهم الا عين نولا فإنها خالصة، إلا نخلات فيها بيد امرأة يقال لها بنت يعلى مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

١ ـ البكري ١٣١٠.

٢ ـ تاريخ المدينة ٢١٩ ـ ٢٢١.

وعمل علي رضي الله أيضاً بينبع البغيبغات، وهي عيون منها عين يقال لها «خيف الأراك»، ومنها عين يقال لها «خيف ليلى»، ومنها عين يقال لها «خيف بسطاس» (نسطاس؟) فيها خليج من النخل مع العين.

وكانت البغيبغات مما عمل علي رضي الله عنه وتصدق به، فلم تزل من صدقاته حتى أعطاها حسين بن علي عبدالله بن جعفر بن أبي طالب يأكل ثمرها ويستعين بها على دينه ومؤونته على أن لا يزوج ابنته يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فباع عبد الله تلك العيون من معاوية رضي الله عنه ثم قبض حتى (حين) حتى ملك بنو هاشم الصوافي، فكلم فيها عبدالله بن حسن بن حسن أبا العباس وهو خليفة، فردها في صدقة علي رضي الله عنه، فأقامت في صدقته. حتى قبضها أبو جعفر في خلافته وكلم فيها الحسن بن زيد المهدي حين استخلف وأخبره خبرها، فكتب إلى زفر بن عاصم الهلالي وهو والي المدينة، فردها مع صدقات علي رضي الله عنه، ولعلي أيضاً ساحق على عين يقال لها «عين الحدث» بينبع، واشترى علي عين يقال لها العصيبه موات بينبع»[1].

وذكر الهجري معلومات فيها إضافة إلى ما تقدم فقال في كلام عنونه «معارف من صدقات علي بن أبي طالب عليه السلام بينبع عن موسى بن عبدالله الأصغر قال:

الأراك أجراها عبد[2] بن الحسن

والخليج أجراه الحسن بن زيد

وأما كشش، وخيف ليلى والروضه فمن عمل علي عليه السلام هزة البغيغات وهي بالمعلاة، معلاة ينبع، وأما المعلاة التي يطرقها القدر فهي معلاة الصفراء بوادي يليل.

---

١ ـ تاريخ المدينة ٢٢١ ـ ٣، وانظر السمهودي ٢ / ١٢٧١، ٢٦٣، نوادر الهجري ١ / ٣٧٢، وانظر نص وقفية علي رضي الله عنه أملاكه في ينبع تاريخ المدينة لابن شبة ٢٢٥ ـ ٨، مصنف عبدالرزاق ١٠ / ٣٧٥ ـ ٦.

٢ ـ نوادر الهجري ١ / ٢٧٢ ـ ٣.

وبـاقي صدقات علي عليه السلام في السافله من ينبع وهي التي تلي البحر وهي عين أبي مسلم، وعين أبي نيزر، وعين بولا، والبحور، وقالوا البحير، فهذه عيون السافلة، وكان علي عليه السلام يعمل في هذه العيون بيده وأما عين جبير فعملها عبدالله بن الحسن، وقال بعض ولد يحيى بن عبدالله هي كشكش بكافين، الأصل كشش[1].

ذكرت المصادر عدداً من المواضع بالقرب من ينبع وأشارت إلى مواقع بعضها، فمن الأماكن التي ذكرت قرب البحر.

١ ـ قاعس والمناخ ومنزل أيقب وهي أماكن يؤدين إلى ينبع إلى الساحل[1].

٢ ـ الخبيب وهو أسفل سيل ينبع حين واجه البحر[2].

٣ ـ عرم واد ينحدر من ينبع[3].

٤ ـ الأمالج والأمليج من أسافل ينبع[4].

٥ ـ تريم، وهو وادٍ بين المضايق ووادي ينبع ثم قريب من مدين[5]، وبقرب شراوة[6].

٦ ـ المجاز موضع قريب من ينبع والقصيبة[7] التي هي وادٍ بين المدينة وخيبر[8] وهما بالقرب من هضبة بوابة الواقعة قريبة من ساحل البحر[9].

---

١ ـ ياقوت ٤ / ١٧ عن ابن السكيت.

٢ ـ كذلك ٢ / ٤٠١ عن ابن السكيت.

٣ ـ كذلك ٣ / ٦٥٥.

٤ ـ البكري ٩٧٢.

٥ ـ ياقوت ٢ / ٧٢٧ عن ابن السكيت، وانظر السمهودي ٢ / ٢٧٠.

٦ ـ ياقوت ٣ / ٢٧٠.

٧ ـ كذلك ٤ / ٢١٦.

٨ ـ السمهودي ٢ / ٣٦٢.

٩ ـ ياقوت ١ / ٧٥٤، ٢ / ٣٠٠ عن السيد عُلَيّ.

٧ - رجع وهو جبل أسود بين الصفراء وينبع [1].

٨ - الغيل وهو جبل أسود بين الصفراء وينبع، وهو من أعراض ينبع، وبالقرب منه المسلح والاتم، فيه مزارع على السداني[2].

٩ - خيزة «من أعمال ينبع من أرض تهامة»[3].

١٠ - خيبر وهو جبل في صدر نجلاء يدفع في ينبع[4].

خفينن وغيقه

يقول محمد بن حبيب أن خفينن ماء قريب من ينبع بينها وبين المدينة، وهما شعبتان واحدة تدفع في ينبع والأخرى في خشرمه، وخشرمه تدفع إلى البحر[5] وعند الخشرمه وادي دعان وهو بين المدينة وينبع وبه عين للعثمانيين[6].

أما غيقه فإن ابن السكيت يقول إنها «حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة» وأنها موبهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشعر، وينقل ياقوت أن غيقه خبت من ساحل بحر الجار فيه أودية، ولها شعبتان أحداهما يرجع فيها والأخرى من يليل وهو بوادي الصفراء[7].

ويتصل بغيقة وديان منها وادي الأراك وهو «فرع من دون ثاقل»[8] وطموى وهو جبل تصب شعابه في غيقه[9].

---

١ - البكري ١٣٠٩.

٢ - ياقوت ٤ / ٧٦٤.

٣ - ياقوت ٢ / ٣٩٩، السمهودي ٢ / ٢٩٧.

٤ - السمهودي ٢ / ٣٨١.

٥ - البكري ٥٠٦، ياقوت ٢ / ٤٥٧، السمهودي ٢ / ٢٩٩، وانظر عن الخشرمة ياقوت ٢ / ٤٤٥.

٦ - البكري ٥٠٦ ياقوت ٢ / ٥٧٧، ولعله هو ددعان الذي يذكر ياقوت ٤ / ٩١٦ والبكري ٣٧٥ أنه موضع قرب ينبع.

٧ - ياقوت ٣ / ٨٢٩، السمهودي ٢ / ٣٥٤.

٨ - ياقوت ١ / ١٨٢.

٩ - ياقوت ٣ / ٩٠٣.

وفراقد وهي من شق غيقه تدفع إلى وادي الصفراء[1].
ويتصل بغيقه بعال وهي أرض لبني غفار قرب عسفان[2].
و ذو ظبيه وهي موضع بين ينبع وغيقه[3].
ودعان وهو واد قرب ينبع فيه عين للعثمانيين[4].

أما مريخ فهو قرن أسود قرب ينبع بين برك ودعان، ويقول الأصمعي أن مريخه والممها ماءتان يقال لهما الشعبان وهما إلى جنب المردمة [5].

وبين ينبع والساحل قاعس والمناخ ومنزل، وهي القب [6] والخايعان وهما شعبتان تدفع واحدة من غيقه والأخرى في وادي الصفراء [7].

العذيبه والجار

وفي الجنوب من ينبع، تقع العذيبه، وهي قرية وماء[8] وفي جنوب العذيبه تقع شنوكه على ستة عشر ميلاً من الجار، وواسط بين العذيبه والجار. وأبرز معلم في جنوبي ينبع هي الجار وقد وصفها عرام بقوله «الجار مدينة على ساحل بحر القلزم وهي فرضة ترقى إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين والبحرين وسائر بلاد الهند، ولها منبر، وهي آهله، وشرب أهلها من البحيرة وهي عين يليل، وبالجار قصور كثيرة، ونصف الجار جزيرة من البحر ونصفها على الساحل»[9]، ويقول ابن حوقل أن الجار فرضة المدينة.. على شاطىء البحر

---

١ - ياقوت ٣ / ٨٦٥.
٢ - ياقوت ١ / ٦٧١.
٣ - ياقوت ٣ / ٥٧٣.
٤ - ياقوت ٢ / ٥٧٧، وانظر ٤ / ٩١٦، البكري ١٣٧٥، السمهودي ٢ / ٣٠٦.
٥ - ياقوت ٤ / ٥١٤.
٦ - ياقوت ٤ / ١٧.
٧ - ياقوت ٢ / ٣٩٦.
٨ - البكري ٩٢٨، ياقوت ٣ / ٦٢٦، ١ / ٣٥٥.
٩ - عرام ٣٩٨، البكري ٣٥٥، ياقوت ٤ / ٥.

وهي أصغر من جده[1]. ويقول المقدسي «الجار على ساحل البحر مدينة محصنة بثلاث حيطان والربع البحري بها دور شاهقة وسوق عامر، خزانه المدينة، ومدنها، يحمل اليهم الماء من بدر والطعام من مصر، وليس لجامعهم صحن[2] ويشرب أهل الجار من عين بحير التي في يليل.

ومن الجار إلى ينبع اثنان وسبعون ميلاً[3]، وإلى بدر ستة عشر ميلاً[4]، وإلى المدينة ثلاث مراحل[5].

ويحذاء الجار جزيرة قراف في البحر تكون ميلاً في ميل، لا يعبر إليها إلا بالسفن وهي مرسى الحبشة خاصة، وسكانها تجار كنحو أهل الجار، يؤتون بالماء من على فرسخين[6].

وعلى بعد سبعة أميال من الجار يقع السرير[7] وهو فرضة أهل السفن الواردة من مصر والحبشة على المدينة [8]، وهو في بلاد كنانه[9].

وفي شمال الجار وادي خريق، وهو متصل بينبع[10]

وبين الجار والمدينة البساق وكان لأمية بن الحرث بن الأسكر[11]، وثنيه

---

١ ـ ابن حوقل ١ / ٣١.

٢ ـ أحسن التقاسيم ٨٣.

٣ ـ البكري ٨٨٤.

٤ ـ البكري ٢٣١.

٥ ـ ابن حوقل ١ / ٣١.

٦ ـ عرام ٣٩٩، البكري ٣٥٥، ياقوت ٢ / ٥، ٤ / ٤٨.

٧ ـ البكري ٧٣٧.

٨ ـ ياقوت ٣ / ٩٨٨، السمهودي ٢ / ٣٢٢.

٩ ـ البكري ٧٣٧.

١٠ ـ ياقوت ٢ / ٤٣١، السمهودي ٢ / ٢٩٨.

١١ ـ ياقوت ١ / ٦٠٩.

خريم[1] وتسمى أيضاً خيفا خريم وهي «ثنية بين المطيق والصفراء، وهي على طريق الجار عادلة عن طريق المدينة يميناً[2]، كان عليها طريق الرسول ﷺ منصرفه من بدر[3]، وعلى ستة أميال من الجار تقع رابيثا البرتان[4]، والبضيع وهو شرقي الجار، أسفل من عين الغفاريين.

وبين الجار وودان تقع البزواء، وهي بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل، من أشد بلاد الله حراً يسكنها بنو حمزه، وبينه وبين الجحفه وادي رابغ دون عزور[5] وبين الجار وودان أيضاً كلفى وهي خلع في جانب الرمل أسفل من دعان[6] وهي أسفل من الثنيه وفوق الشعراء، وودان أسفل من الثنيه[7] وفي الشمال الغربي من كلفى يقع الأجاول[8].

معالم الطريق بين المدينة وبدر

تتيسر عن المعالم القريبة من المدينة على الطريق السالك إلى مكة، معلومات وافية لاهتمام مؤرخي السيرة والمحدثين والجغرافيين في وصف طريق الرسول ﷺ إلى بدر والتي ذكر ابن اسحق تفاصيل معالمها فقال: إن الرسول ﷺ سلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفه، ثم على أولات الجيش، ثم مر على تربان، ثم على ملل، ثم على غميس الحمام من مريين، ثم على صخيرات اليمام، ثم على السياله، ثم على فج الروحاء، ثم على شنوكه، وهي الطريق المعتدله، ونزل رسول الله

---

١ - ياقوت ٢ / ٤٣١.

٢ - البكري ١٠٣٨.

٣ - ياقوت ١ / ٥٤٦، ٢ / ١٠٨.

٤ - ياقوت ٢ / ١٠٨، ١ / ٥٤٦.

٥ - ياقوت ٢ / ٧٢٧.

٦ - ياقوت ٤ / ٣٠٠.

٧ - البكري ١١٠، ٣٥٦، ياقوت ٤ / ٣٠٠.

٨ - ياقوت ١ / ١٣١.

ﷺ سجسج وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازيه يريد بدراً فسلك في ناحية منها، حتى جزع وادياً يقال له رحقان بين النازيه وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق، ثم انصب منه حتى إذا كان قريباً من الصفراء. . فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين. فتركهما والصفراء بيسار.

وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران. . ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك ثنايا يقال لها الأصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبه، وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل ثم نزل قريباً من بدر»[1].

يتبين من هذا الوصف أن الرسول ﷺ سلك الطريق العام بين المدينة حتى المنصرف، ثم سلك طريقاً فرعياً إلى بدر يمر بالنازيه بمضيق الصفراء، فذفران، فالدبه، ثم بدر، وسنبحث من معالم الطريق العام في فصل تالٍ ويقتصر هنا على الكلام عن الطريق الخاص المؤدي إلى بدر والمتفرع من الطريق العام.

تقع بدر على يمين الطريق بين المدينة ومكة، وقد وردت عن معالم الطريق بينه وبين بدر روايتان، فالأولى هي رواية ابن اسحق التي يذكر فيها أن الرسول ﷺ ترك الطريق العام بالمنصرف «وسلك ذات اليمين على النازية حتى جزع وادياً يقال لها رحقان بين النازية ومضيق الصفراء، وهي قرية بين جبلين. فتركهما والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران. . ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك ثنايا يقال لها الأصافر، ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبه، وترك الحنان بيمين، وهو كثيب عظيم كالجبل، ثم نزل قريباً من بدر» ويتبين من هذا أن المعالم بين المنصرف وبدر هي النازية، فرحقان فمضيق الصفراء، فذفران، فثنايا الأصافر، فالدبه، فالحنان، فبدر[2].

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٢ / ٢٥١ ـ ٢٥٤، وانظر البكري ٩٠٥، ابن سعد ٢ ـ ١ / ٧ ياقوت ١ / ٥٢٥، ٢ / ٣٤٦، ٤ / ٦٦٣، ٧٨٧، ١٠١٤.

٢ ـ ابن هشام ٢ / ٢٥٤.

والرواية الثانية هي التي ذكرها ابن سعد حيث قال «وبين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان، وكان الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ إلى بدر على الروحاء، وبين الروحاء والمدينة أربعة، ثم بريد بالمنصرف، ثم بريد بذات أجدال، ثم بريد بالمعلاة، وهي خيف السلم، ثم بريد بالأثيل، ثم ميلان إلى بدر»[1].

انفرد ياقوت بذكر المعالم التي ذكرها ابن سعد، فذكر نص ابن سعد[2] وذكر أن أجدال هي البريد الخامس لمن يريد المدينة[3]، وأن المعلاة «بينه وبين بدر الأثيل[4]، وإن ذو أثيل وادٍ كثير النخل بين بدر والصفراء لبني جعفر بن أبي طالب[5]. ولعل قلة المعلومات عن هذه المعالم راجعة إلى أنها لم تعد مطروقة بعد زمن الرسول ﷺ.

نقل البكري وياقوت معالم الطريق التي ذكرها ابن اسحق في عدة مواضع من كتابيهما[6].

فأما النازية فقد ذكر ياقوت أنها «عين ثرة على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة قرب الصفراء، وهي إلى المدينة أقرب، وإليها تضاف[7].

ويقول عرام «إذا جاوزت عين النازية وردت ماءة يقال لها الهديبه، وهي ثلاثة آبار ليس عليهن مزارع ولا نخل ولا شجر، وهي بقاع كثيرة وتكون ثلاث فراسخ في طول ما شاء الله. وهي لبني خفاف بين حرتين سوداوين وليس ماؤهم

---

١ - ابن سعد ٢ - ١ / ٧.
٢ - ياقوت ١ / ٥٢٤ - ٥.
٣ - كذلك ١ / ١٣٣.
٤ - كذلك ٤ / ٥٧٧.
٥ - كذلك ١ / ٤٢١.
٦ - انظر ياقوت ١ / ٥٢٤ - ٥، ٧٨٤، ٣ / ٢١٤، ٤ / ٦٦٣، وانظر ١ / ١٣٣ أهذال، ٢ / ٣٤٦ (الحنان)، ٢ / ٥٤٧ (البريه). وانظر البكري ٩٩ - ١٠٠، ٩٥٨.
٧ - ياقوت ٤ / ٧٢٨.

بالعـذب، وأكثر ما عندها من النبات الحمض، ثم ينتهي إلى السوارقية على ثلاثة أميال[١].

أمـا رحقان فقد ذكر البكري أنه وادٍ قرب المدينة بين النازية والصفراء وعليه سلك رسول الله ﷺ في طريقه إلى بدر[٢]، واقتصر ياقوت على القول بأن الرسول ﷺ سلكه في غزوة بدر[٣].

أما المضيق فالمقصود به مضيق الصفراء وهي معلم بارز سنذكره أدناه.

أما الأصافر فقد ذكر ياقوت أنها ثنايا سلكها النبي ﷺ في طريقه إلى بدر[٤] وأنها جبل يجاور منشد[٥].

وذكـر أن شبـه «بلد بين الأصـافر وبدر عليه سلك النبي لما سار إلى بدر»[٦] تقـع الصفراء في واد بين جبال تتصل بها حدائق النخيل والعيون[٧] وهو كثير النخل والزروع والخير[٨].

وماء الصفراء عيون كلها، وماؤها يجري إلى ينبع[٩]، ومن عيون الصفراء عين الحزماء وهي لحكم بن نظلة الغفاري[١٠].

---

١ ـ ياقوت ٤ / ٩٥٦.

٢ ـ البكري ١٤٤.

٣ ـ ياقوت ٢ / ١٧٦٨.

٤ ـ ياقوت ١ / ٢٩١، البكري ١٣٥٠.

٥ ـ البكري ٤٦٢، ١٢٦٩.

٦ ـ ياقوت ٢ / ٥٤٧.

٧ ـ رحلة ابن جبير ١٨٨.

٨ ـ ياقوت ٣ / ٣٩٩، السمهودي ٢ / ٣٣٥.

٩ ـ ياقوت ٣ / ٣٩٩، البكري ٨٣٦.

١٠ ـ ياقوت ٢ / ٤٢٦، ٣ / ١٣٠.

والصفراء قرية كثيرة الزرع[1]، وفيها حصنان يعرفان بالتوأمين، وحصن يعرف بالحسنيه، وآخر يعرف بالجديد، إلى حصون كثيرة وقرى منتشرة[2] وهي أرض كنانه[3]، ثم أصبحت لجهينة والأنصار وبني فهر ونهد[4] وكان أبو رهم الصحابي ينزلها[5].

والصفراء وأعمالها من الفرع ومضافة إليها [6].

وفي الشمال الغربي منها وقبلها وادي ذفران الذي يصب سيله فيها والحنان وهو كثيب عظيم كالجبل [7]. إذ أن الرسول في سيره إلى بدر «قطع الخيوف وجعلها يساراً ثم جزع الصفراء ثم صب في ذفران حتى افتق من الصدمتين أو الخيفة»، وكان بئر ذفران في زمن السمهودي «مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع بين بالجص مرتفع عن الطريق يسيراً يتبرك الناس بالصلاة فيه وليس بقربه مساكن، وامامه قبر قديم محكم البناء لعله قبر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب[8] ويذكر ابن سعد أن عبيدة دفن بذات أجذال بالمضيق أسفل من عين الجدول[9] مما يدل على أن ذات أجذال قرب ذفران.

وحوالي الصفراء قنان وضعاضع صغار[10]، كما أن حولها عدد من الجبال

---

١ - ياقوت ٣ / ٣٩٩، البكري ٨٣٦ (عن عرام).

٢ - رحلة ابن جبير.

٣ - ابن سعد ٤ - ١ / ١٨٠.

٤ - ياقوت ٣ / ٣٩٩، البكري ٨٣٦.

٥ - ابن سعد ٤ - ١ / ١٨٠.

٦ - البكري ١٠٢٠.

٧ - البكري ٢٢٧، ياقوت ٤ / ٤٤٢.

٨ - السمهودي ٢ / ٤٢٦، ٣ / ١٣٠.

٩ - ابن سعد ٣ - ١ / ٣٥.

١٠ - ياقوت ٣ / ٣٩٩ (عن عرام).

من أبرزها جبلي مسلح ومخرىء وهما لبني النار، بطن من غفار[1]، ومن معالمها ارابن وهو «منزل على نقا مبرك ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء»[2]. وبالقرب من مبرك مناخ وهو أيضاً نقب على قفا الأشعر[3].

وبين الصفراء وينبع جبل النطع، وهو جبل أسود مطل على الغور عن يسار ينبع لجهينة[4]، ويتصل بالنصع غارب، وهو موضع[5].

بدر

كانت بدر عند ظهور الإسلام «مجتمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه ثم يتفرق الناس إلى بلادهم ابتاعوا وربحوا للدرهم درهماً»[6].

ووصفها المقدسي في القرن الرابع أنها «مدينة صغيرة من نحو الساحل، جيدة التمور، وثم عين النبي، وموضع الوقعة، ومساجد بناها ملوك مصر»[7].

وتقع ادمان وهي شعبة تدفع عن يمين بدر بينها وبين بدر ثلاثة أميال والعقنقل وهو كثيب رمل ببدر.

---

١ ـ البكري ١٣٢٧، ياقوت ٤ / ٤٤٢، السمهودي ٢ / ٣٧٤، ٣٦٩.
٢ ـ ياقوت ١ / ٢٨١، ٢٣٠.
٣ ـ ياقوت ٤ / ٤١٠٠.
٤ ـ البكري ١٣٠٩، ياقوت ٤ / ٧٨٧، السمهودي ٢ / ٣٨٢.
٥ ـ البكري ٦٨٩.
٦ ـ ابن سعد ٢ـ ١ / ٤٢.
٧ ـ أحسن التقاسيم ٨٣.

٣ ـ المناطق الجنوبية الشرقية من المدينة

جبل آرة والفرع وودان

يقـول السكوني[١]: إن على يسار الطريق من المدينة إلى مكة «مقابلاً قدساً الأسود جبل من أشمخ ما يكون، يقال له آرة، وهو جبل أحمر تخـر من جوانبه عيون، على كل عين قرية.

فمنها فرية غناء كبيرة يقال لها: (الفرع) وهي لقريش والأنصار ومزينة، ومنها أم العيال صدقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢].

وعليها قرية يقال لها المضيق[٣]، ومنها قرية يقال لها المحضة[٤]، ومنها قرية يقال لها الوبرة[٥]، ومنها قرية يقال لها خضرة، ومنها قرية يقال لها الغفوة. تكتنف آرة من جميع جوانبه وفي كل هذه القرى نخيل وزروع، وهي من السقيا على ثلاث مراحل عن يسارها مطلع الشمس، وواديها يصب في الأبواء ثم في ودان وهي قرية من أمهات القرى لضمره وكنانة وغفار وفهر قريش ثم الطريفه،

---

١ ـ البكري ١٠٥١ ـ ٢، ياقوت ١ / ٦٠ (عن عرام باختصار). وانظر البكري ٨، ٣٧، ٨٨، ٩١، ياقوت ٢ / ٢٠٦، ٣ / ٦٦ وهو يذكر أنه لمزينة.

٢ ـ ياقوت ١ / ٣٦٣، ونقل السمهودي عن ابن حرام أنها عين لجعفر بن طلحة بن عبدالله أنفق عليها مائتي ألف دينار وكانت تسقي أزيد من عشرين ألف نخلة ٢ / ٢٤٨.

٣ ـ انظر ياقوت ٤ / ٥٦٠.

٤ ـ ياقوت ٤ / ٤٢٧.

٥ ـ يذكـر ياقوت أنها قرية ذات نخل ٢ / ٩٠١، وانظر ٢ / ٢٢٥٣، ويذكر البكري أنها تجاهها حرة الوبره وهي على ثلاثة أميال من المدينة، وهي ما بين الميل الرابع من المدينة إلى خفيرة أرض المغيره بن الأخنس التي من وادي العقيق ١٣٣٠.

والطريفه ليست بالكبيرة على شاطىء البحر، واسم وادي آره حقل[1]. وقرية يقال لها ربعان.

الفرع من أهم المعالم العمرانية في أطراف المدينة، وهي من أعراضها[2] وأعمالها وهي «حصن له جامع»[3]. «بها مسجد جامع» وأهلها من قريش والأنصار ومزينة[4]، وبها زرع ونخل ومياه كثيرة وهي قرية غناء[5]، غير أن منطقتها أصبحت فيما بعد خراباً «وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة أكثرها خراب وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق»[6].

تقع الفرع على بعد أربعة أيام من المدينة في جنوبها[7] وهي عن يسار السقيا على ثمانية برد من المدينة[8]، وهي تقع في جنوبي وادي العقيق الذي يجري بينها وبين المدينة[9]، والطريق إليها يعترض النقيع يساراً للخارج من المدينة وما أقبل من الحره وما دبر من النقيع وثنية عمق يصب من الفرع، وما قبل من الحرى يدفع من العقيق[10].

ويقع منشد على بعد ثمانية أميال من حمراء الأسد من طريق الفرع[11]

---

١ ـ يقول ياقوت أنه من منازل بني سليم ٢ / ٢٩٨، ٨٤٨.

٢ ـ البكري ١٢٠١ عن عرام.

٣ ـ أحسن التقاسيم ٧٩، وانظر ياقوت ٤ / ٢٥٩.

٤ ـ البكري ٢٥١.

٥ ـ السمهودي ٢ / ٢٥٦.

٦ ـ ياقوت ٤ / ٤٥٩.

٧ ـ ياقوت ٤ / ٤٥٩.

٨ ـ السمهودي ٢ / ٤٥

٩ ـ ياقوت ٤ / ٢٥٩.

١٠ ـ ياقوت ٤ / ٨١٠، السمهودي ٢ / ٢١٠.

١١ ـ ياقوت ٤ / ٦٦٤، السمهودي ٢ / ٣٧٨. وانظر البكري ١٤٤.

وبين الفرع والمدينة أودية المنتقى وذو السلايل ورواوه [1]، والأخير غدير يفضي إليه سيل النقيع [2].

امتلك الزبيريون بالفرع أراض أحيوها فيروي البكري عن الزبير بن بكار «إن أسماء بنت أبي بكر قالت لابنها عبدالله يا بني اعمر الفرع، قال نعم يا أماه قد عمرته واتخذت به أموالاً قالت والله لكأني أنظر إليه حين فررنا من مكة مهاجرين وفيه نخلات وأسمع به نباح الكلاب.

فعمل عبدالله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام، وعمل عروة أخوه عين النهد وعين العسكر.

واعتمل حمزة بن عبدالله عين الربض والنجفة: قال الزبير سألت سليمان بن عباس لم سميت عين الربض، قال منابت الاراك في الرمل تدعى الأرباض، وسميت النجفة لأنها من نجف الحرة»[3].

وأشارت المصادر إلى النجفة والربض فيروي البكري «قال الزبير كان حمزة بن عبدالله بن الزبير قد أعطاه أبوه الربض والنجفة عينين بالفرع تسقيان أزيد من عشرين ألف نخلة[4].

ومن مزارع الفرع أم العيال، وقد ذكر عرام أنها صدقة فاطمة الزهراء وأنها عين عليها قرية[5]، وينقل السمهودي عن ابن حزم أنها عين لجعفر بن طلحة بن عبدالله التيمي، انفق عليها مائة ألف دينار وكانت تسقي أزيد من عشرين ألف نخلة[6]. ويذكر البكري أن جعفر بن طلحه.. كان «جميلاً وسيماً فلزم

---

١ - ياقوت ٤ / ٦٥٧، وانظر ٢ / ٨٢٧، وعن السلايل ٣ / ١١٥.
٢ - البكري ١٣٢٨، ١٢٦٦.
٣ - البكري ١٠٢٠.
٤ - البكري ١٠٢١، ياقوت ٤ / ٧٦٠ (عن السهيلي).
٥ - ياقوت ١ / ١٦٣.
٦ - السمهودي ٢ / ٢٤٨.

علاج عين أم العيال ولها قدر عظيم وأقام بها وأصابه الوباء فقدم المدينة وقد تغير فرآه مالك بن أنس فقال هذا الذي عمر ماله وأخرب بدنه[1].

وبناحية الفرع فجاج وفيها أموال لعروة بن الزبير، وتوفي فيها[2]، وقد سلكها الرسول ﷺ في طريقه إلى المدينة عند الهجرة[3].

وبناحية الفرع فوقها معدن بحران وكان للحجاج بن علاط البهزى، وقد بلغه الرسول ﷺ بعقب غزوة السويق يريد قريشاً وأقام به شهرين ثم عاد إلى المدينة[4].

والطريق من المدينة إلى الفرع له ثلاثة مسالك: أحدها إلى نقم والثاني إلى الحشرج، والثالث وهو أطولها يمر باستاره وهي قرية كان ينزلها يزيد بن عبدالله بن زمعه[5].

كانت الفرع من أشرف ولايات المدينة.. وصاحبها يجبي اثنى عشر منبراً: منبر بالفرع، ومنبر بمضيقها على أربعة فراسخ منها يعرف بمضيق الفرع، ومنبر بالسوارقية، وبسايه، وبرهاط، وبعمق الزرع، وبالجحفة وبالعرج، وبالسقيا، وبالأبواء، وبقديد، وبعسفان، وباستاره: هذه كلها من أعمال الفرع[6].

وعن يمين جبل آرة يقع الحشا وهو جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعه وضمره[7].

---

١ - البكري ١٩٦.

٢ - ابن سعد ٥ / ١٣٥ البكري ١١٦٠.

٣ - ابن هشام (البكري) ١١٦٠، ياقوت ١ / ٦٣٧.

٤ - ياقوت ١ / ٤٩٨، السمهودي ٢ / ٢٥٨، ٣٥٥ (عن ابن إسحاق)

٥ - البكري ١٣٢٢.

٦ - البكري ١٠٢٠ - ١، وانظر ما كتبنا في فصل الإدارة من هذا الكتاب.

٧ - البكري ٤٥٠، ياقوت ١ / ١٠٠، ٤٤٩.

ويكتنف الحشا وادٍ يقال له البعق، ويكتنفه الأيسر وادٍ يقال له شس وهو بلد مهيمه[1].

الأبواء

تقع الأبواء على نصف ميل من جبل الحشا[2]، وهو جبل الأبواء[3]، وهي تقع في وادي البعق[4]، ويسمى واديها ارثد[5]، وأهلها أخلاط من الناس[6]، أكثرهم أسلم[7] والأبواء قرية جامعة عظيمة[8]، من أعمال الفرع [9]، وفي واديها من نبات الطرفاء ما لا يعرف في وادٍ أكثر منه، وعلى خمسة أميال منها مسجد للنبي[10] ويقال له البيضة[11]، وهي منطقة وبيئة[12].

وعلى ثمانية أميال من الأبواء تقع حرة الأفاعي، سميت بذلك لكثرة ما فيها من أفاعي اضطرت الناس إلى الانجلاء عنها[13].

وعلى ميلين من الأبواء شعاب تسمى تلعان اليمن[14].

تبعد الأبواء عن السقيا أحد عشر ميلاً، وفي وسط المسافة بينهما عين

---

١ - البكري ٤٤٩، ياقوت ١ / ٢٨٧.

٢ - البكري ٤٤٩.

٣ - البكري ٤٥٠.

٤ - ياقوت ٢ / ٢٧١.

٥ - البكري ١٣٦، ياقوت ١ / ١٩٢، السمهودي ٢ / ١٤٤.

٦ - البكري ١٠٢.

٧ - البلدان لليعقوبي ٣١٠.

٨ - ابن رسته ١٧٨.

٩ - البكري ١٠٢١ ياقوت ١ / ١٠٠.

١٠ - البكري ١٠٢، السمهودي ٢ / ١٧٢ (على ميلين).

١١ - السمهودي ٢ / ١٧٢ عن الأسدي.

١٢ - ياقوت ١ / ١٠٠.

١٣ - البكري ٢٣٩.

١٤ - السمهودي ٢ / ١٧٢.

القشيري، وهي عين كثيرة الماء يشرف عليها جبل قدس [1].

وكانت لعبدالله بن مطيع أموال وبئر فيما بين السقيا والأبواء تعرف ببئر ابن مطيع [2] وبين السقيا والأبواء وادي مطعن [3]، والربا [4].

السقيا

السقيا قرية جامعة من عمل الفرع، وهي بطريق الحاج القديمة، من أسافل أودية تهامه وهي تلي الجحفة وبينهما ١٩ ميلاً[5]، وتليها الأبواء وبينهما ١٩ ميلاً أيضاً، وتبعد عن العرج ١٧ ميلاً[6]، وعن الرويثه عشرة فراسخ[7]، وتبعد عن المدينة ٩٦ ميلاً[8].

والسقيا «منزل فيه أهل كثير وبستان كبير ونخل»[9] وهي «قرية عظيمة قريبة من البحر على مسيرة يوم وليلة»[10].

وفي السقيا آبار كثيرة وبرك وعيون، وكثير منها صدقات الحسن بن زيد[11] ويقول الأسدي» بالسقيا عشرة آبار، وعند بعضها بركة، فيها عين غزيرة الماء ومصبها في بركة في المنزل، وهي تجري إلى صدقات الحسن بن زيد عليها نخل وشجر كثير، وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٢٤٣، ثم انقطعت في

---

١ ـ السمهودي ٢ / ١٧٢ ويذكر البكري بينهما ١٩ ميل ٩٥٤.

٢ ـ ابن سعد ٥ / ١٠٧.

٣ ـ ياقوت ٤ / ٥٦٨.

٤ ـ ياقوت ٢ / ٢٤٦.

٥ ـ ياقوت ٣ / ١٠٣، وانظر السمهودي ٢ / ٣٢٣.

٦ ـ البكري ٩٥٤.

٧ ـ البكري ٦٨٦.

٨ ـ السمهودي ٢ / ٣٢٣.

٩ ـ الأعلاق النفيسة لابن رسته ١٧٨.

١٠ - ياقوت ٣ / ١٠٣، السمهودي ٢ / ٣٢٣.

١١ - البكري ٦٨٦.

سنة ٢٥٣، وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزيح عليها ثلاثون بئراً، وفيها ما أحدث المتوكل خمسون بئراً، وماؤهن عذب وطول رشائهن قامة وبسط وأقل وأكثر(١).

ورقان وقدس والعرج

يقول عرام «لمن صدر من المدينة مصعداً أول جبل يلقاه على يساره ورقان، وهو جبل عظيم أسود، كأعظم ما يكون من الجبال، ينقاد من سياله إلى المتعشى بين العرج والرويثه ويقال للمتعشى الحي، وفي ورقان أنواع الشجر المثمر وغير المثمر، وفيه القرظ والسماق والخزم، وفيه اوشال وعيون عذاب.. وسكان ورقان بنو أوس من مزينة(٢).

ويتصل بورقان قدس(٣) وهو من جبال تهامه(٤)، وهما جبلان يقال لأحدهما قدس الأبيض، وللآخر قدس الأسود، والأبيض يقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال له ركوبة، وهو جبل شامخ ينقاد إلى المتعشى بين العرج والسقيا(٥) أما قدس الأسود فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها صمت(٦).

والقدسان لمزينة وأموالهم ماشيه من الشاة والبعير، وفيهما أوشال كثيرة(٧) وبالقرب من جبل قدس موضع السر في ديار مزينة (٨).

ويقابل القدسين على يمين الطريق للمصعد جبلان يقال لهما نهبان نهب الأسفل ونهب الأعلى، وهما لمزينة، ولبني ليث فيهما شقص، وفي نهب الأعلى ماء عليه نخلات يقال له ذو حيم، وفيه أوشال غير هذه البئر المذكورة،

١ ـ السمهودي ٢ / ٣٢٢ ـ ٣.
٢ ـ البكري ١٣٧٧، ياقوت ٤ / ٩٢١.
٣ ـ البكري ١٠٥، ١٣٧٧، ياقوت ٤ / ٣٩.
٤ ـ البكري ٨.
٥ ـ ياقوت ٤ / ٣٩.
٦ ـ ياقوت ٤ / ٣٩.
٧ ـ ياقوت ٤ / ٣٩، البكري ١٠٥.
٨ ـ ياقوت ٣/٧٦.

ويفرق بين النهبين وبين قدس وورقان الطريق وفيه العرج[1].

يسمى قدس الأبيض جبل العرج[2]، وهي حدود تهامه والحجاز، إذا انحدرت من مدارج العرج وثنايا ذات عرق كنت متهماً[3].

وهي قرية جامعة[4]، والمسجد فيها على تلعة من ورائها، على ثلاثة أميال[5] وواديها يدعى المنبجس فيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين[6].

وعند العرج عقبة ركوبه[7]، يذكر ابن زباله أن الرسول ﷺ صلى فيها وبنى بها مسجداً هو مسجد تعهن[8].

وذكر البكري أن العرج تبعد ميلين جنوب الأثاية، وسبعة عشر ميلاً شمال السقيا[9].

ويجاور قدس القهر[10]، وعنده حذور[11] ووادي طلخام[12].

---

١ ـ البكري ١٠٥٢، ياقوت ٤ / ٩٢٢، السمهودي ٢ / ٣٥٩.

٢ ـ البكري ٦٢٢، ١٠٥٠، ياقوت ٣ / ٦٦.

٣ ـ البكري ١٣ ياقوت ١ / ٩٠٢، ٣ / ٥٩٣، ٧٤٧، ٨٢١.

٤ ـ البكري ٦٨٦، ٩٣٠.

٥ ـ البكري ٩٣١.

٦ ـ البكري ٩٣٠، ياقوت ١ / ٧٦٧؛ السمهودي ٢ / ٣٧٨.

٧ ـ ياقوت ٢ / ٢٠٦، ٣١١، السمهودي ٢ / ٣١٣، ١٦٩.

٨ ـ السمهودي ٢ / ١٦٩.

٩ ـ البكري ٩٣١، ٩٥٤، ١٢٥٧.

١٠ ـ البكري ١١٠٠.

١١ ـ البكري ٤٤٤.

١٢ ـ البكري ١١٠٠.

٤ ـ المناطق الجنوبية الشرقية من المدينة

السوارقيه

السوارقيه قرية جامعة[١]، وهي من منابر الفرع[٢] كثيرة الحصون، بها بساتين ومزارع كثيرة ومواشي[٣]، وهي «قرية غناء كبيرة، كثيرة الأهل فيها منبر ومسجد جامع وسوق تأتيها التجار من الأقطار، لبني سليم خاصة، ولكل من بني سليم فيها شيء، وفي مائها بعض الملوحة، ويستعذبون من آبار في وادٍ يقال له سوارق، ووادٍ يقال له الأبطن، ماء خفيف عذب، ولهم مزارع ونخيل كثيرة من موز وتين وعنب ورمان وسفرجل وخوخ، ويقال له الفرسك، ولهم إبل وخيل وشاء، وكبرياءهم باديه إلا من ولد بها فإنهم ثابتون بها، والآخرون بادون حولها، ويميرون طريق الحجاز ونجد من طريق الحاج إلى حد ضريه، وإليها ينتهي حدهم إلى سبع مراحل، ولهم قرى حولهم[٤] وبالقرب من السوارقيه عدد من القرى والبلدان منها:

١ ـ جناب وهو «بلد في جنب السوارقيه».

٢ ـ قبيا وهي لأهل السوارقيه[٥]، وماؤها أجاج نحو ماء السوارقيه، وبينهما ثلاثة فراسخ، وبها سكان كثيرة، ومزارع ونخل وشجر[٦].

---

١ ـ البكري ٧٦٥.

٢ ـ البكري ١٠٢١.

٣ ـ أحسن التقاسيم ٧٩.

٤ ـ ياقوت ٣ / ١٨٠ ـ ١٨١، السمهودي ٢ / ٣٢٥ عن عرام.

٥ ـ ياقوت ١ / ١٤٣، السمهودي ٢ / ٢٤٣.

٦ ـ ياقوت ٤ / ٢١١، البكري ١٠٠.

٣ ـ الأرن وهو موضع بين الأتم والسوارقيه على جادة الطريق بين منازل بني سليم وبين المدينة[١].

كان وادي قوران من أهم الوديان قرب السوارقيه بينه وبين السوارقيه مقدار فراسخ، يصب من الحرة، فيه آبار كثيرة عذبة طيبة ونخل وشجر، وفيه قرية يقال لها الملحاء، وغدير ذي مجر»[٢].

فأما الملحاء فهي بطن وادٍ يصب من الحرة فيه ثلاث آبار عذاب ونخل وشجر[٣] وحواليها هضاب يقال لها هضبات ذي مجر، وذي مجر غدير بينهن كبير في بطن قوران وبأعلى قوران لقف، وهو ماء آبار كثيرة عذب ليس عليها مزارع ولا نخل فيها لغلظ موضعها وخشونته[٤]، وفي لقف قرية جبلة وهي من غربي ذروه[٥] وقد سلك الرسول لقفاً في طريقه إلى الهجرة.

وفي السوارقيه ماءة في سبخه تسمى الرفده[٦] وبإزائها شواحط وهو جبل شامخ وحواليها نخلات واجام يستظل بها الماء شبيهة بالقصور[٧].

وفوق السوارقيه ماء يقال له ذنبان العيص[٨] «وبأسفل بيضان (في الشوحط) موضع يقال له العيص فيه ماء يقال له ذنابة العيص كثرت أشجاره من السلم وانصال فلذلك قيل له عيص[٩] وبين العيص والمدينة أربعة ليال وبينها

---

١ ـ ياقوت ١ / ٢٢٣.

٢ ـ ياقوت ٤ / ١٩٨، السمهودي ٢ / ٣٦٣.

٣ ـ البكري ١٠٠، وانظر ياقوت ٤ / ٤١٩، السمهودي ٢ / ٣٦٨.

٤ ـ ياقوت ٤ / ٣٦٣، السمهودي ٢ / ٣٦٧.

٥ ـ ابن هشام البكري ١١٦١، ياقوت ١ / ٩٣٧.

٦ ـ ياقوت ٢ / ٧٩٦.

٧ ـ البكري ٨١٣، ١٠١، ياقوت ٤ / ٥٨٢.

٨ ـ ياقوت ٣ / ٧٥٣، السمهودي ٢ / ٣٤٨.

٩ ـ البكري ٨١٤، ياقوت ٢ / ٧٢٣.

وبين ذي المروه ليلة[1] وبين ينبع والعيص يقع جمدان[2].

يقول عرام بعد ذكر الرحيضة «ثم يميل نحو مكة مصعداً إلى وادٍ يقال له عريفطان، وحذاءه جبال يقال لها ابلى وقنة يقال لها السوده لبنى حقاق (خفاف) من بني سليم ومـاؤهم الضبعيه وهي آبـار عذاب يزرع عليها وأرض واسعه، وكانت بها عين يقال لها النازيه بين بني حقاف (حفاف)، وبين الأنصار فتضاروا فيها فسدوها وهي عين ماؤها عذب كثير وقد قتل فيها أناس كثيرون بذلك السبب وطلبها سلطان البلد مراراً بالثمن الكثير فأبوا»[3].

«وحذاء أبلى من شرقيها جبل يقال له ذو المرقعه وهو معدن بني سليم، وتجاوز عين النازيه فترد مياهاً يقال لها الهديبه وهي آبار ثلاث ليس لها نخل ولا شجر في بقاع واسعه بين حرتين تكون ثلاثة فراسخ عرضاً في طول ما شاء الله أن يكون أكثر نباتها الحمض، وهي لبني خفاف، ثم تنتهي إلى السوارقيه على ثلاثة أميال من عين النازيه وهي قرية لبني سليم[4] وبالقرب من السوارقيه عدة جبال منها:

١ ـ مغار وهو «جبل فوق السوارقيه في بلاد بني سليم في جوفه احساء منها حسى يقـال له السهدار يفور ماء كثير وهو سبخ بحذائه حاميتان سوداوان في جوف أحدهما ماءة ملحة يقال لها الرفده وواديها يسمى عريفطان وعليها نخيلات واجام يستظل فيهن الماء وهو على طريق زبيده، وتقول بني سليم منقار زبيده»[5].

٢ ـ الصحن «جبل في بلاد بني سليم فوق السوارقيه عن أبي الأشعث قال وفيه ماء يقـال له الهباءه وهي أفواه آبار كثيرة مخرقة الأسافل يفرغ بعضها في

---

١ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٦٣.
٢ ـ ياقوت ٢ / ١١٥.
٣ ـ السمهودي ٢ / ٣٨١.
٤ ـ البكري ٩٩، ياقوت ٤ / ٩٥٦ السمهودي ٢ / ٣٨٦.
٥ ـ ياقوت ٤ / ٥٨٢.

بعض الماء الطيب العذب يزرع عليها الحنطة والشعير وما أشبه»[1].

أما الهباءه فيقول البكري إن حذاء شوحط «بلد يقال له الصحن وفيه مياه يقال لها الهباءه آبار كثيرة متخرقة الأسافل يفرغ بعضها في بعض عذبة يزدرع عليها[2].

٣ ـ شواحط «وهو جبل مشهور قرب المدينة ثم قرب السوارقيه كثير النمور والأراوى وفيه أوشـال ينبت الغضـور والثغام[3] يقول عرام «بحذاء شواحط من نواحي المدينة والسوارقيه وادٍ يقال له برك كثير النبات بين السلم والعرفط وبه مياه، قال ابن السكيت في تفسير قول كثير:

فقـد جعـلت أشـجـار برك يمـينـاً وذات الشمـال من مريخـة أشـأمـا

قال الأشجان مسايل الماء وبرك ها هنا نقب يخرج من ينبع إلى المدينة عرضه نحو من أربعة أميال أو خمسة كان يسمى بركاً فدعا له النبي»[4].

يقول الحربي «على مسيرة يوم من السوارقيه حبس سبل وهي في حرة بني سليم، والحبس وجمعه أحباس فلوق في الحرة تمسك الماء لـو وردت عليها أمة لوسعتها»[5].

يروي ياقوت أن الحبس بين حرة بني سليم والسوارقيه ويقول نصر «حبس سيل وراء إحـدى حرتي بني سليم وهما حرتان بينهما فضاء كلتاهما أقل من ميلين، وقال الأصمعي الحبس جبل مشرف على السلماء لو انقلب لوقع عليهم»[6].

١ ـ ياقوت ٣ / ٣٧١، السمهودي ٢ / ٣٣٤.

٢ ـ البكري ٨١٤.

٣ ـ ياقوت ٣ / ٣٣١، السمهودي ٢ / ٣٣١.

٤ ـ ياقوت ١ / ٥٩١، البكري ٨١٣، السمهودي ٢ / ٢٦٠.

٥ ـ البكري ٢٦٥.

٦ ـ ياقوت ٢/١٩٦؛ السمهوري ٢/٣٨٤.

ويروي ياقوت في مكان آخر «قال الأصمعي الثلماء لبني قره من بني أسد وهو في عرض القنه في عطف الحبس أي بلزقة ولو انقلب لوقع عليهم، وهي قنـة على فرسخين والحبس جبـل لهم، وقال في موضع آخر من كتابه عزور جبل ماءة الثلماء وهي ماءة عليها نخل كثير وأشجار، وقال نصر الثلماء ماءه لربيعة بن قريط بظهر نملى»[1].

حرَّة بني سليم

تسمى حرة بني سليم «أم صبّار»[2]، وهي مكـونة من حرّتين إحداهما الخدريه[3] و «الاتم جبل حرة بن سليم، ويشمل حاذه، ونقيا والقيا[4].

تحف الحره النقيع من شرقيه، وفيها قيعان دوافع من بطن النقيع»[5]، ومن هذه الدوافع المصامه، وهي مياه متصلة بأعلى النقيع وأسفل حرة بني سليم[6] ومنها أيضاً بقاع النقيع وهي غدر نصيف أعلاها براجم واذكرها يلبن[7].

وأسفل منه غدير سلامه، وهو على ليلة من المدينة[8].

ويدفع من حرة سليم من العقيق ذو الغصن[9]، وعنده جبل البرام وهو على عشرين فرسخاً من المدينة[10]، وبالقرب من برام جبل معتمل وهو جبل أحمر مسطح ويتلوه الوتد[11].

---

١ ـ ياقوت ١/٩٣٣.
٢ ـ ياقوت ٢ / ٣٦٥.
٣ ـ ياقوت ٢ / ٢٢٧.
٤ ـ ياقوت ١ / ١١٤.
٥ ـ البكري ٣٢٤.
٦ ـ ياقوت ٢ / ٥٦٦.
٧ ـ البكري ١٣٢٥.
٨ ـ البكري ١٣٩٧، ياقوت ٤ / ١٠٢٤ عن ابن حبيب.
٩ ـ البكري ٩٩٨، ٧٤٩.
١٠ ـ ياقوت ١ / ٥٣٨، ٢ / ١٠١.
١١ ـ البكري ١٣٢٥

وأسفل حرّة بني سليم يقع ذر وهو مكان كثير السلم وينحدر منه شرقاً ضاجع [1] ويأخذ من حرّة سليم دفاق وعران، وهما يصبان من البحر[2] .

وفي شرقي الحرة جبلي ذو بحار والرقرق، والاهول بأعلى التسرير وهو لعمرو بن كلاب، تخرج سيوله من النير[3]. وفي حرة سليم عسجل[4].

ويقع بئر معونة بين حرّة بني سليم وأرض بني عامر، على أربعة مراحل من المدينة وقد اشتهرت بالغزوة التي قام بها المسلمون ولحقتهم حسائر.

معدن بني سليم

أما معدن سليم فهو ماء[5]، من أعمال المدينة على طريق نجد[6]، وفيه ناس كثيرة، وهو منسوب إلى فرّان من بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، نزلت على بني سليم فدخلوا فيهم وصاروا معهم، وكان يقال لهم بنو القين[7].

وبالقرب من معدن بني سليم يقع خبيص على يمين الحاج إلى مكة[8] وبين المعدن والسوارقيه يقع الشعث وعنيزات وهما قرنان صغيران[9] وماء الطريق[10]، وارن[11]. ويقع العمق على جادة الطريق إلى مكة بين المعدن وذات عرق[12]، ويقع جبل شروري بين العمق والمعدن[13]، وتقع ركيه من وراء المعدن[14].

---

١ ـ البكري ٥٤٩، ٤٣٦، ياقوت ٣ / ٤٥٩.
٢ ـ البكري ٥٥٣.
٣ ـ ياقوت ١ / ٤٩٨.
٤ ـ ياقوت ٣ / ٦٧٢.
٥ ـ ياقوت ٢ / ٨٦٥.
٦ ـ ياقوت ٤ / ٥٧٢.
٧ ـ البكري ٢٨، ياقوت ٢ / ٨٦٥.
٨ ـ ياقوت ٢ / ٢٠١.
٩ ـ ياقوت ٣ / ٢٩٨.
١٠ ـ ياقوت ٣ / ٧٨٨.
١١ ـ ياقوت ٢ / ٢٢.
١٢ ـ البكري ٩٦١، ياقوت ٣ / ٧٢٨
١٣ـ البكري ٧٩٤.
١٤ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٢٩.

الفصل الخامس

المياهُ والري

يقع الحجاز في المنطقة الصحراوية، فمناخه جاف وأمطاره نادرة ومياهه قليلة وليست فيه أنهار دائمة الجريان تكفي مياهها للإرواء والزراعة، ولكن فيه عدداً من الوديان التي تجري فيها المياه على إثر سقوط الأمطار، وبذلك تكون مياهها مؤقتة ولا تدوم طويلاً وكثيراً ما تجري فيها المياه سيولاً قوية جارفة تكتسح ما يقف أمامها، وبذلك لا تفيد في الزراعة، غير أن انخفاض قيعان الوديان كثيراً ما يجعلها رطبة فتيسر الانيات، وقد تساعد على الزراعة.

كل هذا جعل الري في الحجاز يعتمد بالدرجة الأولى على المياه الجوفية التي قد تكون قرب سطح الأرض أو تظهر على ذلك السطح.

ذكرت المصادر وجود المياه في بعض المناطق دون أن تحدد طبيعة هذه المياه، وأكثر من ذكرها ياقوت في كتابه «معجم البلدان» والبكري في كتابه «معجم ما استعجم» والسمهودي في كتابه «وفاء الوفا»، وعرام بن الأصبغ في كتابه «جبال تِهامة»، ونذكر أدناه المياه التي ذكرتها المصادر ومواضع وجودها.

وأدّى المشقق وهو في طريق تبوك فيه ماء يخرج من الأشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة (ياقوت ٤ / ٥٤٤، البكري ١٢٦٦).

سمنه وهي ماء بين المدينة والشام قرب وادي القرى (ياقوت ٣ / ١٤٦).

شجر: ماء لبني القين بن جسر بين وادي القرى وتيماء (ياقوت ١ / ٩١٩).

وشجر ماء عذب في قبلي جبل العلم في طريق السالك إلى تبوك (ياقوت ٤ / ١٤٥).

الطرف ماء قرب المرقى «ياقوت ٣ / ٥٣١».

الجريب وهو بطن واد بالفرش يقال له مثعر، وهو ماء لجهينة، وإلى جانب مثعر مشجر ماء آخر لجهينة (ياقوت ٤ / ٤١٣، ٤ / ٦٥٧، البكري ٣٧ / ١٢٥٩.

بوانة قريبة منها ماءه يقال لها القصيبة وماءاً آخر يقال له المجاز (ياقوت ١ / ٧٥٤، وفاء الوفا ٢ / ٣٠٠).

عمق ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز (البكري ٩٦٧).

عزور جبل ماءه الثلماء وهي ماءه عليها نخل كثير وأشجار (ياقوت ١ / ٩٣٣).

تربان، فيه مياه كثيرة مرية (ياقوت ١٨ / ٨٣٣)، وقال: أبو زياد هو واد به مياه كثيرة (البكري ٣٠٨).

ويقابل القدسين عن يمين الطريق للمصعد جبلان يقال لهما نهبان نهب الأسفل ونهب الأعلى، وفي نهب الأعلى ماء عليه نخلات يقال له ذو خيم وفيه أوشال غير هذه البئر (البكري ١٠٥١).

العذيبة، قال ابن السكيت ماء بين ينبع والجار (البكري ٩٧٢).

المريسيع وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل (البكري ١٢٢٠).

وقال ابن السكيت هي حساء على شاطئ البحر فوق العذيبة، وقال في موضع آخر في غيقه مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشعر (ياقوت ٣ / ٨٢٩).

قال عرام إذا خرجت من عسفان لقيت البحر وانقطعت الجبال إلا أودية مسماة بينك وبين مر الظهران أن يقال لواد منها مسيحة ولوادٍ آخر مدركة وهما واديان كبيران بهما مياه كثيرة منها ماء يقال له الحديبية بأسفله مياه تنصب من رؤوس الحَرّة مستطيلين إلى البحر (ياقوت ٤ / ٤٤٩ عرام ٤١٥ مع بعض اختلاف).

الفرنق ماء بابلي بين معدن بني سليم والسوارقيه (ياقوت ٣/ ٧٨٨).

وعند أبلى . . «بحذائه حاميتان سوداوان في جوف إحداها ماء ملحة يقال لها الرمذة حواليها نخلات وأجام يستظل بها الماء (عرام ٤٣٤) (بكري ١٠١ ياقوت ٤ / ٥٨٢ انظر أيضاً البكري ٨١٣)ويروي ياقوت «الرمذة ماء في سبخه بالسوارقيه» (ياقوت ٢ / ٧٩٦).

«قال عرام إذا جاوزت عين النازيه وردت ماءة يقال لها الهبية وهي ثلاث آبار عليهن مزارع . . «ياقوت ٤ / ٩٥٦ البكري ٩٩٨، وفاء الوفا ٢ / ٣٨٦، عرام ٨ / ٤٣١).

يتبين من هذه النصوص أن المياه تطلق في الغالب على ما فيه ماء قليل كالمشقق ولكنه قد يستعمل للبئر، وكثيراً ما تكون المياه في بطون الوديان كتربان وأودية عسفان ومثعر ومشجر وقد تكون جارية كالمياه التي في أسفل الحديبية، وقد تكون عليها مزروعات كالعزور.

الآبار:

ذكـرت المصـــادر عدداً غير قليل من الآبــار تقـع أغلبهـا على طرق المـواصلات وخاصة حول المدينة، فيذكر ياقوت أن سعد قرب المدينة على طريق فيد، قصر ومنازل وسوق وماء عذب على جادة الطريق كان يسلك من فيد إلى المدينة (ياقوت ٣ / ٩١).

فأمـا الروحاء فيقول ابن رسته «فيها أهل وسوق صغير وماؤها من الآبار (الأعلاق النفيسة ١٧٨) وذكر السمهودي «بها آبار متعددة فلم يبق بها اليوم سوى بئر واحدة» (وفاء ٢ / ١٦٨) «وبها اليوم بركة تملا للحاج تعرف ببركة طار ولعله جددها وجعل لها معلوماً ووقفاً» وفاء ٢ / ٣١٤ و«سجسج بئر الروحاء» (البكري ٧٢٤ / ٩٥٨، وفاء ٢ / ٣١٤ عن ابن اسحق) و«بئر ذات العلم وتعرف أيضاً بالروحاء والبئر المذكور متناهية بعد الرشاء لا يكاد يلحق قعرها وهي معينة» (رحلة ابن جبير ص ١٨٨).

«وقال الأسدي وبالروحاء آبار كثيرة منها تعرف بمروان عندها بركة للرشيد، وبئر لعثمان بن عفان عليها سانية وسيل مائها إلى بركتها، وبئر تعرف بعمر بن عبدالعزيز في وسط السوق يسقى منها في إحدى الركبتين، وبئر تعرف بالواثق وهي شرابا والمنزل طول رشائها ستون ذراعاً (وفاء ٢ / ٣١٤).

«وبملل آبار كثيرة: بئر عثمان وبئر مروان وبئر المهدي وبئر المخلوع (الأمين) وبئر الواثق وبئر السدرة وعلى ثلاثة أميال من القرية عشرة أنقرة عملت في رأس عين شبيهة بالحياض وتعرف بأبي هشام» (البكري ١٢٥٦).

«وبئر الحواتكة وهي بزقب الشطان وهو بالمنصف بين عين بني هاشم التي بملل وبين عين أظم (البكري ١١٣).

أما السقيا فقد «قال السهيلي سميت السقيا بآبار كثيرة فيها وبرك، وسئل كثير لم سميت بذلك فقال لأنهم سقوا بها ماء عذباً، قال قتيبة هي عين «وفاء ٢ / ٣٢٢ وانظر البكري ٧٤٢ وعلى سبعة أميال من السقيا بئر للطلوب يتلوه لحي جمل.

أما المريسيع فهو بئر لبني المصطلق كانوا ينزلون عليه (ابن سعد ٢ ـ ١ / ٤٥) ويسميه البكري ماء (البكري ١٢٢٠).

ولعبدالله بن مطيع بئر بين السقيا والابواء (ابن سعد ٥ / ١٢٧).
«والجحفة ماؤها من الآبار» (ابن رسته ١٧٨).
«ورابغ فيه عين وآبار ونخل» (البكري ١٣٥٠).
«وفي ثافل الأكبر عدة آبار في بطن واد يقال له يرثد يقال للآبار الدباب وهو ماء عذب غير منزوف أنا شيط قدر قامة، وفي ثافل الأصغر ماء دوار في جوفه يقال له القاحة وهما بئران عذبتان غزيرتان» (عرام ص ٤٠١، ياقوت ١ / ٩١٤، البكري ١٣٦ وانظر عن القاحة وفاء ٢ / ٣٥٧) ومن قفا ثافل ماء يقال له معيط (البكري ـ ١٢٤٦ / ٣٣٤)».
«وقبل كراع الغميم بثلاثة أميال الجنابذ آبار وقباب ومسجد وهو المنصف

بين عسفان وبطن مر» (البكري ٩٥٧).

«وبعد كراع الغميم الذي هو قرب عسفان «موضع يقال له مسدوس آبار لبعض ولد أبي لهب» (البكري ٥٦) «وذكر الأسدي أن امج بعد خليص بجهة مكة بميلين، قال وبعده بميل وادي الأزرق ويعرف بعران، وامج لخزاعة وبه نحو عشرين بئراً يزرع عليها» (المناسك للحربي ٤٦١ (وفاء ٢ / ٢٤٩) وفي العشيرة والسيالة آبار (المناسك للحربي ٣١٢، ٤٤٣).

وبالقرب من السوارقية عدد غير قليل من الآبار والينابيع.

فيقول عرام «إذا جاوزت عين النازية وردت ماءه يقال لها الهيبة وهي ثلاث آبار ليس عليهن مزارع ولا نخل ولا شجر وهي بقاع كثيرة تكون ثلاثة فراسخ في طول ما شاء الله، وهي لبني خفاف بين حرّتين سوداوين وليس ماؤهم بالعذب أكثر ما عندها من الغبات الحمض ينتهي إلى السوارقية على ثلاثة أميال منها وهي قرية غناء كبيرة من أعمال المدينة (عرام / ٣٩٨، ياقوت ٤ / ٩٥٦، وفاء ٢ / ٣٨٦، البكري ص ٩٩).

وفوق السوارقية شوحط والصحن «وفيه ماء يقال له الهباءة وفيه ماء وهي أفواه آبار كثيرة مخرقة الأسافل يفرع بعضها في بعض الماء الطيب العذي يزرع عليها الحنطة والشعير وما أشبه» (عرام ٤٣٥، ياقوت ٣ / ٣٧١، ٤ / ٩٤٧، البكري ٨١٤ وفاء ٢ / ٣٣٤. وانظر أيضاً: عرام ٤٣١، البكري ١٠٠، ياقوت ٣ / ١٨٠. وكان في بطن نخل ثلاثمائة بئر (وفاء ١ / ١٤٩). وفي وادي الصحن ووادي بيضان آبار (عرام ٤٣٥).

العيون:

ذكرت المصادر عدداً كبيراً من العيون في الحجاز، وكثير منها يتجمع في المناطق القريبة من البحر قرب ينبع.

فيذكر مؤلف المناسك أن بينبع مائة عين غزيرة (المناسك ٤١٣، البكري ٦٥٦) ويروي عرام عن ينبع «وفيها عيون عذاب غزيرة» (عرام ٣٩٨) «وقال الشريف بن سلمة بن عياش الينبعي عددت بها ١٧٠ عيناً (ياقوت ٤ / ١٠٣٩)

ويقول السمهودي إن ينبع سميت لكثرة ينابيعها مقال بعضهم عددت بها مائة وسبعين عيناً (وفاء ٢ / ٣٩٢) ولا ريب في أن المقصود ببعضهم «هو الشريف بن سلمة المذكور في نص ياقوت، وقد أشارت المصادر إلى وفرة المياه في ينبع دون تخصيص العيون (انظر ابن حوقل ١ / ٣٣ المقدسى ٨٣).

وبالقرب من ينبع اضم وفيه عين الحب (ياقوت ١ / ٣٤٦) وآلات (ياقوت ١ / ٣٢٠) ويذكر عرام «الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع (عرام / ٣٩٨، ياقوت ٣ / ٣٩٩، البكري / ٨٣٦، وفاء ٢ / ٣٢٥).

وينبع «واديها يليل يصب في غيقة . . وفي يليل هذه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماءً، تجري في رمل فلا تمكن الزارعين عليها إلا في مواضع يسيرة من أحفاء الرمل فيها نخيل وتتخذ البقول والبطيخ وتسمى هذه العين البحير (عرام / ٣٩٨، ياقوت ٢ / ٥)، ومن هذه العين شرب أهل الجار وهي تبعد فرسخين (عرام /٣٩٨، ياقوت ٢ / ٥، البكري / ٣٥٥).

ويقرب هذه المنطقة الحرزة وهي من أودية الأشعر يفرغ في القفارة . . وبه المليحة وبأسفله العين التي تدعى سويقة (وفاء ٢ / ٢٩١) ويقول البكري: «إن الحرزة موضع تلقاء سويقة لآل الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب»(البكري / ٤٤١).

ويقول السمهودي: «سويقة عين عذبة كثيرة الماء بأسفل حرزة على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمين المتوجه إلى مكة لولد عبدالله بن حسن» (وفاء ٢ / ٣٢٦ - ١٦٦).

ويقول البكري: «البثنة أرض تلقاء سويقة بالمدينة اعتملها عبدالله بن حسن بن حسن. . وبأسفل الحورة عين عبدالله بن الحسن التي تدعى سويقة

ثم تنفذ بين السفح واعشاش وبها ذات الشعب وبها المليحة» (البكري ١٥٦).

ويقول الزمخشري: «بين عين بواد يقال له حورتان». (وفاء ٢ / ٣٩٣).

ويقول السمهودي عن بين «وسيلهما يصب في حورتين فلا تخالف وأثر العين والقرية اليوم موجودة هناك». (وفاء ٢ / ٣٩٣).

لقد ذكرنا من قبل أنه على بعد ميل من سويقيه تقع السيالة (وفاء ٢ / ١٦٦ - ٣٢٦). ويذكر السمهودي أن السيالة بها آبار كثيرة.. وكانت قد تجدد منها بعد النبي عيون وسكان (وفاء ٢ / ١٦٦).

وفي هذه المنـطقـة أيضاً يقع عيود «وبطرفه عين الحسن بن زيد على الطريق منقطعة فيها يقول ابن معقل الليثي: قد ظهرت عين الأمير مظهراً بسفح عيود أتته من مرا» (وفاء ٢ / ٤٤١).

ومن المناطق التي تكثر فيها العيون شمنصير فيقول عرام «شمنصير وهو جبل ململم لم يعله أحد قط ولا درى ما على ذروته.. والمياه حواليه ينابيع عليها النخيل والحماظ». (عرام ٤٠٩). «وقال ابن جني في كتاب هذيل لقد قرأت بخطه شمنصير جبل سايه، وسايه واد عظيم به أكثر من سبعين عيناً وهو وادي أمج.. (ياقوت ٣ / ٢٦ / ٣٢٢) انظر أيضاً (بكري ٨١١، وفاء ٢ / ٣٢١) «والكديد بين امج وعسفان.. وهو ماء عين جاريه عليها نخل كثير» (البكري ١١١٩). «الجحفة وبها آبار يسيره وعلى ميلين عين وبها بركة كبيرة ربما عزّبها الماء (المقدسي ٥٧) وفي رابغ عين وآبار ونخل» (البكري ص ١٣٥٠).

«ويطيف بذره قرية من القرى يقال لها جبله في غربيه والستار قرية تتصل بجبله وواديها واحد يقال له لحف وبه عيون.. وفي شرقي ذرة قرية يقال لها القصر وقرية يقال لها الشرع وهما شرقيتان، في كل واحدة من هذه القرى مزارع ونخيل على عيون وهي على واد يقـال له رحيم؛ ومن أودية الحـاضـرة وبهـا

قبر عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن عوف وهي عين لهم، ويصب على الحاضرة البلى وفيه نخل وهو لمحمد بن ابراهيم اللهبي، ثم يلي الحاضرة تبرز وبه عيون صغار عين لعبدالله بن محمد بن عمران الطلحي يقال لها الأذنبة وهي خير ماله، والضليل لمبارك التركي وعيون تبدد في أسنان الجبال». (البكري ١١٢ ـ ٣).

ومن الأماكن التي فيها العيون والينابيع السقيا فيروي السمهودي عن الأسدي.. وبالسقيا مسجد لرسول الله ﷺ إلى الجبل وعنده عين عذبة «ثم ذكر أن بالسقيا أزيد من عشر آبار وأن عند بعضها بركة، ثم قال وفيها عين غزيرة» ومصبها في بركة في المنزل وهي تجري إلى صدقات الحسن بن زيد عليها نخل وشجر كثير وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٢٤٣ ثم انقطعت في سنة ٢٥٣، قال وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئراً وفيها ما حدث في أيام المتوكل خمسون بئراً وماؤهن عذب وطول رشائهن قامة وبسط وأقل وأكثر، (وفاء ٢ /).

ويقول الأسدي أيضاً عند الكلام عما بين ودّان والسقيا: «وإن في الوسط بينهما عين القسيري وهي عين كثيرة الماء.. قال.. وفي وسط الأبواء مسجد لرسول الله وذكر بها آباراً وبركاً منها بركة بقرب القصر. وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع وبركة قديمة». (وفاء ٢ / ١٧٢، وانظر عن عيون السقيا البكري ٧٤٢).

«وقال الأسدي.. وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن.. وقال: إنها عين ماء خربة.. وقال عياض تعهن عين ماء سمي بها الموضع وهي ثلاثة أميال من السقيا». (وفاء ٢ / ٢٧١ ـ ٢).

ومن المناطق التي تتوفر فيها الينابيع الفرع «وبها منبر ونخل ومياه كثيرة وهي قرية غناء كبيرة وأجمل عيونها عينان غزيرتان إحداهما الربض والأخرى

النجف يسقيان عشرين ألف نخلة». (وفاء ٢ / ٣٥٦).

ويقول عرام: «ومن عن يسار الطريق مقابلاً قدسا الأسود جبل من ا شمخ ما يكون يقال له آرة وهو جبل آحر تخر من جوانبه عيون على كل عين قرية، فمنهـا قرية غناء كبيرة يقال لها الفرع وهي لقريش والأنصار ومزينة، ومنها أم العيال قرية صدقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وعليها قرية يقال لها المضيق، ومنهـا قرية يقال لها المحضة، ومنها قرية يقال لها الوبرة ومنها قرية يقال لها خضرة ومنها قرية يقال بها، الغفوة، تحف آره من جميع جوانبه وفي كل هذه القـرى نخيل وزروع وهي من السقيا على ثلاث مراحـل من عن يسـارها». (عرام / ٤٠٥، وفاء ٢ / ٢٣٩) ومن عيون الفرع أم العيال (النسب للزبير بن بكار ٥٢، جمهرة النسب لابن حزم ١٤٠، البكري ٢٠٢١، ياقوت ٣ / ٨٧٨).

وتوجد بعض الينابيع قرب السوارقية فيروي عرام بعد الكلام عن وادي عريفطان «وحذاءه قنة يقال لها السودة لبني خفاف من بني سليم وماؤهم الصعبية وهي آبـار ينزع عليها وهو ماء عذب وأرض واسعة، وكانت بها عين يقال لها النازية بين بني خفاف وبين الأنصار فتضاربوا فسدوها وهي عين ماؤها عذب كثير وقـد قتـل ناس بذلـك السبب كثير وطلبهـا سلطان البلد مراراً بالثمن الكثير فأبـوا..». (عـرام ٤٢٨، ياقوت ٤ / ٩٥٦، البكري ٩٩ - ١٠٠، وفاء ٢ / ٣٨١ / ٣٨٦).

و «الرحضية.. حذاءها قرية أو ارض يقال لها الحجر وبها مياه وعيون وآبار لبني سليم». (عرام ٤٢٧).

ومن المواضع التي ذكرت المصادر فيها عيون:

بدر: وكانت فيها عينان (المناسك ٤١٩، البكري ٢٣١).

يليل: وفيها عين البحير (عرام ٣٩٨، البكري ٨٣٦، ياقوت ٥١١٨).

الصفراء: (عرام ٣٩٨، البكري ٨٣٦).

رابغ وخليص: (المناسك ٤٥٦، ٤٦١، ٥٤٢).
ورقان: (البكري ١٣٧٧).
الظهران: (ياقوت ٣ / ٥٨١).
مران: (وفاء الوفا ٢ / ١٢٨٧).
رهاط: (المناسك ٢١٩، البكري ٢٣١).

أمواه منوعة:

ذكرت المصادر أنواعاً من الأمواه، منها:

الغدران

وأشهرها غدير خم قال عرام: «إنه دون الجحفة على ميل وإن واديه يصب في البحر لا ينبت غير المرخ والتمام والأراك والعشر، وإنه من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبداً من ماء المطر». (عرام ٤١٣) وقال الأسدي إنه على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق، حذاء العين مسجد لرسول الله وبينهما الغيضة وهي غدير خم وهي على أربعة أميال الجحفة.

وقال عياض غدير خم غدير تصب فيه عين، وبين الغدير والعين مسجد للنبي ﷺ وقال النووي اسم لغيضه على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور (وفاء ٢ / ٣٠١).

وذكرت المصادر أيضاً «غدير الأشطاط قريب من عسفان» (ياقوت ١ / ٢٧٩) وبالقرب من ذي رولان، غدير يقال له المختبى لأنه بين عضاه وسد وسلم وخلاف (عرام / ٤٢٨)، وغدير يقال له غدير السدرة من أنقاها ماءً وليس حواليه شجر (عرام ٤٢٨) وهو قرب السوارقيه.

وبالقرب من السوارقية أيضاً «ذو مجر غدير كبير في بطن وادي قوران هذا وبأعلاه ماء يقال له لقف ماء آبار كبيرة عذب ليس عليه مزارع (عرام / ٢٣٣، ياقوت ٣ / ١٩٨ / ٤١٩ البكري ص ١٠٠ وفاء ٢ / ٣٦٨).

الأوشال

يقول عرام «الوشل ماء يخرج من شاهقة لا يطورها أحد ولا يعرف منفجرها وليس شيء من تلك الأوشال يجاوز الشقه». (عرام ٣٩٧).

ويقول ابن منظور: «الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر فيه قليلاً قليلاً لا يتصل قطره وقيل لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل، وقيل هو ماء يخرج من بين الصخر قليلاً قليلاً والجمع أوشال، وجبل أوشل يقطر منه الماء. . أبو عبيد الوشل ما قطر من الماء وقد وشل يشل.

قال أبو منصور: ورأيت في البادية جبلاً يقطر في لجف منه من سقفه ماء فيجتمع في أسفله يقال له الوشل، والأوشال مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع رواه أبو حنيفة (لسان العرب ١٤ / ٢٥١).

ذكر عدد غير قليل من الأوشال في الحجاز، فذكر عرام أن جَبَلَيْ رضوى وعزور فيهما مياه أوشال (عرام ٣٩٧).

وأن «قدس» وفيها أوشال كثيرة وذكر أن جبلَيْ نهبان الأسفل والأعلى وهما يقابلان قدس عن يمين الطريق للمصعد، وأن نهب الأعلى فيه ماء عليه نخلات يقال لها ذو حيم وفيه أوشال هذه البئر» (عرام ٤٠٣، البكري ١٠٥٠).

و«شواحط وهو جبل قرب السوارقية وفيه أوشال». (عرام ٤٣٤ ياقوت ٣ / ٣٣١ وفاء ٢ / ٣٣١).

وذكر أن جبال السارة فيها أوشال عِذاب وعيون غير قرقد ويسوم فليس فيها إلا ما يجتمع في القلات من مياه الأمطار بحيث لا ينال ولا يعرف مكانه (عرام ٤١٧).

و «جبال عرفات تتصل بها جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أوشال وكظائم فقر». (عرام ٤١٩).

«وقال ابن اسحق في غزوة تبوك وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الـراكب والراكِبَيْن والثلاثة بواد يقال له المشقق». (ياقوت ٣ / ٥٤٢، البكري ١٢٦٦).

الاحساء

«وقيل غيقه خبت من ساحل بحر الجار فيه أودية ولها شعبتان أحدهما يرجع فيها والأخرى في بليل وهو بوادي الصفراء.

وقال ابن السكيت غيقه حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة، وقال في موضـع آخر «غيقه مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشعر» (ياقوت ٣ / ٨٢٩، وفاء ٢ / ٣٥٤).

البرك

ويذكر المقدسي أن امج بها بركة وقناة. (المقدسي ٧٩).

ويقول ابن رسته: إن «الرويثة وفيه برك وفيه الماء الذي يقال له الاحساء. (الاعلاق النفيسة ٧٨) وقال السهيلي سميت السقيا بآبار كثيرة فيها وبرك. (وفاء ٢ / ٣٢٢).

البثور

يقول عرام «وفي حد تباله قرية يقال لها رنية وقرية يقال لها بيشة وتثليث ويبمبم والعقيق عقيق تمـرة، وكلهـا لعقيل مياههـا بثور، والبثر يشبه الاحساء يجري تحت الحصى على مقدار ذراع وذراعين ودون الذراع وربما أثارته الدواب بحوافرها». (عرام / ٤٢١).

الحياض

يذكر أبو عبدالله محمد بن أحمد الأسدي في وصف الطريق بين مكة والمدينة أن من ذي الحليفة إلى الحضيرة ستة أميال قال وهي متعشا وبها بئر طيبة وحوض، وعمر بن عبدالعزيز هو الذي حفر البئر (وفاء ١ /٦٩).

وذكر الأسدي بالرويثة من الآبار والحياض (وفاء ٢ / ١٦٩).

الجنابذ

يقول البكري «وقبل كراع الغميم بثلاثة أميال الجنابذ آبار وقباب ومسجد وهو المنصف بين عسفان وبطن مر (البكري ٩٥٧).

الرياض

يقول ياقوت «الأجاول وهو موضع قرب ودّان فيه روضة ذكرت في الرياض، وقال ابن السكيت الأجاول أبارق بجانب الرمل عن يمين كلفي من شماليها». (ياقوت ١ / ١٣١).

الاعذاء

يقول عرام «ثم يتصل بخلص آره ذره وهي جبال كثيرة متصلة ضعاضع ليست بشوامخ في ذراها المزارع والقرى وهي لبني الحارث بن بهثة بن سليم وزروعها اعذاء، ويسمون الاعذاء العثرى وهو الذي لا يسقى ولهم عيون ماء في صخور لا يمكن أن يجروها إلى حيث ينتفعون به». (عرام ٤١٧).

القنان

يقول عرام: «وفي أبلى مياه ومنها بثر معونة وذو ساعدة وجماجم أو حماحم - شك - والوسباء وهذه لبني سليم وهي قنان متصلة بعضاً إلى بعض (عرام ٤٢٩) وهو يقول عن «وحواليها قنان - وواحده قنه - وضعاضع خفار - واحداها ضعاضع - والقنان والضعاضع جبال حفا - لا تسمى (٣٩٨) ويقول عند كلامه عن جبال السراة «وفي هذه الجبال أوشال عذاب وعيون غير قرقد ويسوم فليس فيها إلا ما يجتمع في القلات من مياه الأمطار بحيث لا ينال ولا يعرف مكانه». (عرام ٤١٧).

الاحباس والمصانع

ذكرت المصادر عدداً من الأحباس في الحجاز، ووردت في تعريف الحبس عدة أقوال، فيقول عارم: والحبس حجارة مجتمعة يوضع بعضها على بعض قال الشاعر:

وإن التفـاني نحـو حبس ضعـاضـع   وإقبـال عيني في الـضـبـا لطويل
(عرام ٤١٠، ياقوت ٣ / ٤٧٥).

ويقول ابن منظور: والحبس كل ماسد به مجرى الوادي في أي موضع حبس، وقيل الحبس حجارة أو خشب تبنى في مجرى الماء لتحبسه كَيْ يشرب القوم ويسقوا أموالهم والجمع أحباس سمى الماء به حبساً كما يقال نهى، قال الفرزعة التيمي:

من كعـشـب مستـوفـر الـمـجس   راب منـيف مثـل عرض الـتـرس
فشـمـت فيهـا كعـمـود الـحـبس   أمـعـسـهـا يا صاح أي معس
حتى شفـيت نفـسـهـا من نفـسـي   تلك سليـمـي فاعـلمـن عرس

وفي الحديث أنه سأل ابن حبس سيل فإنه يوشك أن يخرج منه نار تضيء منها أعناق الإبل ببصري هو من ذلك.

وقيل هي فلـوق في الحَرّة يجتمع فيها ماء لو وردت عليه أمة لوسعها، أبو عمر والحبس مثل المصنعة يجعل للماء وجمعه أحباس، والحبس الماء المستنقع.

قال الليث شيء يحبس به المـاء نحو الحباس في المزرفة يحبس به فضول الماء، والحباسة في كلام العرب المزرفة، وهي الحباسات في الأرض وقد أحاطت بالدبرة وهي المشارة يحبس فيها الماء حتى تمتلىء ثم يساق الماء إلى غيرها.

ابن الأعرابي. . الحبس حجارة تكون في فوهة النهر تمنع طغيان الماء (لسان العرب ٧ / ٣٤٥).

ويقول ابن سيده «أبو عبيد: الحبس مثل المصنعة وجمعه أحباس وهو الماء المستنقع. ابن السكيت الحبس حجارة تبنى على مجرى الماء ليحتبس فيشرب منه القوم ويسقوا مواشيهم أبو حنيفة كل مصنعة حبس والجمع أحباس.

صاحب العين وهي الحباسة (المخصص ١٠ / ٥٣).

وذكرت المصادر عدداً من الأحباس في الحجاز فذكر ياقوت:

قال الزمخشري: الحبس جبل لبني قرة، وقال غيره الحبس بين حَرّة بني سليم والسوارقية وفي حديث عبدالله بن حبش تخرج نار من حبس سبل، قال أبو الفتح نصر حبس سيل ورواء إحدى حرتي بني سليم بينهما فضاء كلتاهما أقل من ميلين، وقال الأصمعي: الحبس جبل مشرف على السلماء لو انقلب لوقع عليهم (ياقوت ٢ / ١٩٦ وفاء ٢ / ٣٨٤) ويقول ابن منظور «حبس سيل اسم موضع بحَرّة بني سليم بينها وبين السوارقية مسيرة يوم وقيل حبس سيل» (لسان العرب ٧ / ٣٤٥).

ويقول عرام أن شمنصير «وبغربيه قرية يقال لها الحديبية ليست بالكبيرة ويحذائها جبيل يقال له ضعاضع وعنده حبس كبير يجتمع عند الماء (عرام ٤١٠، ياقوت ٣ / ٤٧٤، البكري ١٠) يتبين من أقوال اللغويين التي ذكرناها أعلاه الحبس يسمى أيضاً المصنعة.

وفي تعريف المصانع يقول ابن منظور: الصنع الحوض، وقيل شبه الصهريج يتخذ للماء، وقيل خشبة يحبس بها الماء وتمسكه حيناً، والجمع من كل ذلك أضاع، والصناعة كالصنع التي هي الخشبة، والمصنعة كالصنع الذي هو الحوض أو شبه الصهريج يجمع فيه ماء المطر، والمصانع أيضاً ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها، قال لبيد:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع   وتبقى الدار بعدنا والمصانع

قال الأزهري سمعت العرب تسمي أحباس الماء الأصناع والصنوع واحدها صنع. . والزلف المصانع، قال الأصمعي وهي ما سكات لماء السماء يحتفرها الناس فيملؤها ماء السماء يشربونها، وقال الأصمعي: العرب تسمي القرى مصانع واحدتها مصنعة قال ابن مقبل:

أصوات نسوان أنباط بمصنعة   بجدن للنوح واجتبن التبابينا

والمصنعة والمصانع الحصون، قال ابن بري شاهده في قول البعيث:

بنـي زياد لذكـر الله مصـنـعـة من الحجـارة لم ترفـع من الـطين

وفي الحديث من بلغ الصنع بسهم الصنع بالكسر، المواضع يتخذ للماء وجمعه أصناع وقيل أراد بالصنع هنا الحصن (لسان العرب ١٠ / ٥٧٩).

وذكر ابن سيده قول ابن دريد: المصنعة والصنع الموضع يتخذ ويحتفر فيه بركة يحتبس فيها الماء.

ويقـول الخليل الصناعة والصنع خشبة يحبس بها الماء، ويقول أيضاً «وهي الأصناع وكل ما اتخذ من بئر أو بناء مصنعة». (المخصص ١٠ / ٥٣).

لم يذكـر من كتب عن جغرافية الحجاز وأماكنها المصانع في الحجاز ولكن ذكرها في الحديث أن صح يدل على وجودها، أو قد يدل على أنها كانت تسمى كذلك، ثم أبدل اسمهـا بالأحياس، وقد ذكرت عدة مصانع في جزيرة العرب.

الزلف

إن إشارة ابن منظور إلى أن الزلف هي المصانع تتكرر أيضاً في مكان آخر، الزلفة المصنعة والجمع زلف، قال لبيد:

حتـى تحـيرت الـديار كأنـهـا زلـف وألـقـي قتـبـهـا الـمـحـزوم

(لسان ج ١١ ص ٣٩، مخصص ج ١٠ ص ٥٣).

وأورد ابن بري هذا البيت شاهداً على الزلف جمع زلفة وهي الحجارة، قال وقال أبو عمرو والزلف في هذا البيت مصانع الماء وأنشد الجوهري للعماني:

حتـى إذا ماء الـصـهـاريج نشف من بعـد ما كانـت ملاء كالـزلـف

قال وهي المصانع، وقال أبو عبيدة هي الأجاجين الخضر، قال وهي المزالف أيضـاً، وفي حديث يأجـوج ومأجوج «ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض حتى

يتركها كالزلفة وهي مصنعة الماء»، أراد أن يغدر الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء.

وقيل الزلفة المرآة شبهها بها لاستوائها ونظافتها، وقيل الزلفة الروضة، ويقال بالقاف أيضاً وكل ممتلىء من الماء زلفة، وأصبحت الأرض زلفة واحدة على التشبيه كما قالوا أصبحت قروا واحداً.

وقال أبو حنيفة الزلف الغدير الملآن. قال الشاعر:

جثجاثها وخزاماها وثامرها هباثب تضرب النغبان والزلفا

وحكى ابن بري عن أبي عمر الزاهد قال الزلفة ثلاثة أشياء.. البركة والروضة والمرآة، قال وزاد بن خالويه رابعاً أصبحت الأرض زلفة ودثة من كثرة الأمطار (لسان ١١ / ٣٩ - ٤٠).

وانظر أيضاً عن حديث يأجوج ومأجوج (ابن ماجه فتن ١١٠، ابن حنبل ١٨٢/٤) ويذكر صاحب العين: الخرنق مصنعة الماء (مخصص ٥٣/١٠ لسان ٣٦٥/١١).

لم تذكر كتب الجغرافية والبلدان في الحجاز زلفة والخرنق ولكن ورودها في الحديث قد يدل على أن استعمال الكلمة أبطل بعد الرسول وحل محله الحبس، أو أنه كان محلياً.

الفقر

ومن وسائل الري أيضاً الفقر، والفقر والقنا واحد، وواحد الفقر فقير (عرام ٤١٣)

ويقول البكري «الفقر القنى تحت الأرض وأحدها فقير». (البكري ٧٨٦).

ويروي ابن سيده أبو عبيدة القناة التي تجري تحت الأرض وجمعها قنى ويقال لضمها الفقير وجمعه فقر وهو الصنبور وقد تقدم الصنبور في المزاردة. (المخصص ١٠ / ٣٣).

ويقـول ابن منظور «الفقير فم القناة التي تجري تحت الأرض. . وقيل الفقير مخرج الماء من القناة (لسان ١ / ٣٧١).

وقد ذكرت في الحجاز عدة أماكن تروي بالفقر، فيقول عرام: ثم يطلع من الشراة على ساية وهو واد بين حاميتين وهما حرتان سوداوان وبه قرى كثيرة مسماة، وطرق كثيرة من نواحي كثيرة. . . فأعلاها قرية يقال لها الفارع بها نخل كثيرة وسكانها من كل أفناء الناس، ومياهها عيون تجري تحت الأرض، فقر كلها والفقر والقنا واحد، وواحد الفقر فقير.

ثم أسفل منها مهايع. . ثم خيف يقال له خيف سلام، والخيف ما كان مجنباً عن طريق المسك يميناً وشمالاً متسعاً. . . ومياهها فقر أيضاً وباديتها قليلة. . .

وأسفـل من ذلك خيف ذي القبر. . وماؤه فقر وعيون تخرج من ضفتي الوادي كلتيهما (عرام ٤١٣ ـ ٤١٤)، انظر أيضاً البكري ٧٨٦ عن الفارع، وعن الخيوف (ياقوت ٢ / ٥٠٨، البكري ٧٨٧).

ويذكر عرام عند كلامه عن جبال مكة «ثم جبال عرفات تتصل بها جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أوشال وكظائم فقر منها المشاش وهو الذي يخرج بعرفات ويتصل إلى مكة». (عرام ـ ٤١٩).

المسك

يعـرف عرام المسـك بأنها «هي مواضع تمسك الماء واحدها مساك». (عرام ٣٩٧).

ويقول ابن منظور «والعرب تقول للتناهي التي تمسك ماء السماء مسـاك ومساكة ومساكات. . أبو زيد المسيك من الأساقي التي تحبس الماء فلا ينفح وأرض مسيكة لا تنشف الماء لصلابتها (لسان العرب ١٢ / ٢٧٩).

وقد ذكرت المسك في الحجاز فيقول عرام عند الكلام عن رضوى وعزور

«ويصب الجبلان في وادي غيقة، وغيقة تصب في البحر ولها مسك». (عرام ٣٩٧).

ويقول عند الكلام عن وادي ذورولان: وبأعلى هذا الوادي رياض تسمى الفلاج جامعة للناس أيام الربيع وفيها مسك كثيرة يكتفون به صيفهم وربيعهم إذا أمطروا وليس بها آبار ولا عيون. (عرام ـ ٤٢٧).

ماء السماء والسد

يذكر عرام أن شوران فيه مياه سماء كثيرة يقال لها البجرات وكرم وعين وامـاء وهـو ما يكون السنين ويذكر أيضاً «والسد ماء سماء أمر رسول الله ﷺ بسده. ومنها القرقرة ماء سماء لا تنقطع هذه المياه لكثرة ما يجتمع فيها ومن السد قناة إلى قبا (عرام ٤٢٥).

ويروي السمهـودي وفي قاموس المجد: اضم جبل والوادي الذي فيه المدينة النبوية عند المدينة يسمى قناة ومن أعلى منها عند سد الشظاة ويسمى عند المدينة القناة (وفاء ٩٢ / ٢٤٧، ياقوت ١ / ٢٨١ ـ ٣٠٥، ٤ / ٢٨١).

ويروي السمهـودي السـدماءسمـاءفي حرم بني عوال، ولعله يعني السد الذي في الطريق التي كان الرشيد يسلكها من المدينة إلى معدن بني سليم بين المدينة والرحضية على عشرين ميلاً من المدينة قاله وبه ماء كثير في شعب كان معاوية عمل له سداً يحبس فيه الماء شبيها بالبركة (وفاء ٢ / ٣٢١).

المياه في مكة:

تطلبت الأحوال الخاصة في المدن اتخاذ تدابير لتنظيم أمور المياه، بما في ذلـك السيطرة على الفيضـانـات والسيول، وحفر الآبار والعيون، ووضع تشريعات خاصة بتنظيم مجرى المياه في الوديان ومـا يتفرع منها، وقد وصلتنا معلومات مفصلة عما كان قائماً في مكة والمدينة في العهود الإسلامية الأولى.

فأما عن الأحوال في مكة فإن الأزرقي وهو أقدم كتاب واسع وصلنا عن

أحوالها، عقد فصلاً عن سيول مكة أشار فيه إلى بعضها في الجاهلية، وفصّل في السيول الجارفة التي حدثت بعد الإسلام، وأضاف ناشر الكتاب ملحقاً بالسيول التي اجتاحت مكة بعد زمن الأزرقي، وذكر الأزرقي ما عمله الخلفاء للسيطرة على مياه السيول.

السيول وضبطها: السدود:

فذكر الأزرقي أنه حدث في سنة ١٧ هـ سيل قوي اجتاح وديان مكة وأغرق المسجد الحرام وما حوله «فعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تلك السنة الردم الذي يقال له ردم عمر، وهو الردم الأعلى من عند دار جحش بن رئاب التي يقال لها دار ابان بن عثمان إلى دار أبيه، فبناه بالظفائر والصخر العظام، فسمعت جدي يذكر أنه لم يعله سيل منذ رَدَمَهُ عمر إلى اليوم، وقد جاءت بعد ذلك أسيال عظام، كل ذلك لا يعلوه منها شيء».

ويذكر أيضاً أنه في سنة ٨٠ هـ كان سيل الجحاف في وقت الحج، فباغت الناس يوم التروية، فذهب بهم وبمتاعهم وأحاط بالكعبة، وجاء دفعة واحدة وهدم الدور الشوارع على الوادي، وقتل الهدم ناساً كثيرين، ورقى الناس في الجبال واعتصموا به.. فكتب عبد الملك إلى عامله على مكة يأمره بعمل ظفاير للدور الشارعة على الوادي للناس من المال الذي بعث به وعمل ردماً على أفواه السكك يحصن بها دور الناس من السيول، وبعث رجلاً نصرانياً في عمل ظفائر المسجد الحرام وظفائر للدور من جنبي الوادي، وكان من ذلك الرَّدم الذي يقال له ردم الحزامية على خط الحزامية، والردم الذي يقال له ردم بني جمح، وليس لهم ولكن لبني قراد الفهريين فغلب ردم بني جمح.. فأمر عامله بالصخر العظام فنقلت على العجل وحصر الأرباض دون دور الناس فبناها وأحكمها من المال الذي بعث به.. ومن تلك الظفائر أشياء إلى اليوم قائمة على حالها من دار ابان بن عثمان التي هي عند ردم عمر، هلم جراً إلى دار ابن الجوار فتلك الضفاير التي في ارباض تلك الدور كلها مما عمل من ذلك المال.

وأما أظفار دار اويس التي بأسفل مكة ببطن ثحر الوادي فقد اختلف فيها

علينا من أمرها، فقال بعضهم: هي من عمل عبدالملك، وقال آخرون: لا بل هي من عمل معاوية بن أبي سفيان، وهو أثبتهما عندنا (أخبار مكة ٢ / ١٣٥ - ٦) وانظر من ردم بني جمح وكان يقال له (ردم بني قراد ٢ / ٢١٣).

وذكر البلاذري ردمى عمر بن الخطاب وعبدالملك بن مروان فذكر عن ردم عمر «أقبل السيل حتى دخل المسجد من أعلى مكة فعمل عمر الردمين جميعـاً: الأعلى بين داربة وهـو عبدالله بن الحارث ودار ابان بن عثمان بن عفـان، والأسفل عند الحمارين وهو الذي يعرف بردم أبي أسيد (فتوح البلدان ٥٢ عن ابن الكلبي)، ويلاحظ أن البلاذري ذكر لعمر ردمين، أما الأزرقي فذكر له ردماً واحداً».

وأما ردم عبدالملك فإن البلاذري ذكر حدوث سيل الجحاف سنة ٨٠ هـ وعلى أثره كتب عبدالملك إلى عامله على مكة يأمره بعمل ضفائر الدور الشارعة على الـوادي وضفائر المسجد، وعمل الردم على أفواه السكك لتحصن دور الناس وبعث لعمل ذلك رجلاً نصرانياً فاتخذ الضفائر وردم الردم الذي يعرف بردم بني قراد، وهـو يعـرف ببني جمـح، واتخذت ردوم بأسفل مكة. (فتوح البلدان ٥٣).

وذكر الأزرقي أنه في زمن المأمون حدث سيل عظيم ذهب بأناس كثير وهدّم دوراً كثيرة مما أشرف على الوادي «فأرسل بمال عظيم فأمر أن يعمل به في المسجد ويبطح ويعزق وادي مكة فعزق منه وادي مكة وعمر المسجد الحرام وبطح، ثم لم يعزق وادي مكة حتى كانت سنة ٢٣٧ فأمرت أم أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله باثني عشر ألف دينار لعزقه فعزق بها عزقاً مستوعباً (٢ / ١٣٨)، غير أن المصادر لم تذكر تفاصيل عن ماهية العزق الذي حدث في زمن المأمون والمتوكل.

العيون:

ومن أبـرز مشاريع الري في مكة هي عين زبيدة، ويذكر الأزرقي أنها

كانت من الأصيل عيوناً في الحِلّ أي خارج حرم مكة، فيها عين مشاش، فاتخذت لها بركاً تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها ثم أجرت لها عيوناً عن حنين، فصرفت عينه إلى البركة وجعلت حائِطَهُ سدار تجتمع فيه السيل (أخبار مكة ٢ / ١٨٧).

وقد علق السيد رشدي ملحس على نص الأزرقي بقوله: عين حنين أو عين زبيدة تنبع من جبل شاهق يقال له طار يقع جبال الثنية.. في طريق مكة الطائف.. وكان يجري الماء من قبل طار إلى حائط حنين فاشترت السيدة زبيدة ذلك الحائط وأجرت الماء في قنوات إلى مكّة كما أشار إلى ذلك الأزرقي..

وأجرت السيدة زبيدة عيناً أخرى من وادي نعمان فوق عرفات تنبع من ذيل جبل كرا في منتهى وادي نعمان وتجري منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات إلى البرك التي في عرفات ونرجح أن هذه البرك من عمل عبدالله بن عامر بن كريز فتمتلىء منه يشرب منه الحجاج في يوم عرفات ثم استمر عمل القناة إلى أن خرجت من أرض عرفات إلى خلف طريق ضب المعروف اليوم باسم القناطر فإلى مزدلفة ومنها إلى بئر مطوية عظيمة تسمى بئر زبيدة الواقعة خلف منى في وادي عرفة (أخبار مكة للأزرقي ٢ / ٢٦٥).

الآبار:

اعتمد أهل مكة في الحصول على حاجاتهم من الماء على الآبار بالدرجة الأولى. وذكر البلاذري (فتوح ٤٧٠٠٢٥٠) والأزرقي ٢/١٧٣، وانظر ١/١٤ الآبار التي كانت في مكة قبل الإسلام وبعده فأما الآبار التي كانت قبل الإسلام، فذكروا أسماء ٢٨ بئراً منها ستة خارج الحرم، وهي ترجع إلى قبل زمن رئاسة قصي، أما الباقية فكلها في داخل الحرم، وأكثرها في بطن مكة، وبعضها منسوب إلى العشائر، وبعضها إلى أفراد بارزين من عشائر مكة، أما الآبار التي أنشئت بعد الإسلام فذكر البلاذري والأزرقي سبعة آبار وأضاف الأزرقي إليها تسعة آبار، ولم يرد في الأخبار ذكر لبيع هذه الآبار أو شروط للإفادة من مائها،

والرّاجح أن استعمالها كان مشاعاً ومجانيّاً وأنّها كانت تسد الحاجة في الأوقات الاعتيادية ولكنها لا تكفي لسد الحاجة في موسم الحج.

ويذكر الأزرقي أنّه عندما حفر عبدالمطلب زمزم أصبحت معتمد الناس، وخاصة الحجاج في التزود بالماء، وأنها بعد حفرها عفت على آبار مكة كلها (١ / ٦٤) علماً بأن ماء زمزم مج.

ولم يرد في المصادر استعمال مياه الآبار في مكة للزراعة.

البرك:

يروي البلاذري «كانت قريش قبل جمع قصي اياها وقبل دخولها مكة تشرب من حياض مصانع على رؤوس الجبال ومن آبار (فتوح البلدان ٤٧).

غير أن المصادر لم تذكر أسماء المصانع والحياض حول مكة، وإنما ذكر الأزرقي حياض زمزم في المسجد الحرام، وحياض ابن هشام بمفضى مأزمي منى (الأزرقي ٢ / ٢٢٤).

أنشئت في مكة عدة برك، من أقدمها وأشهرها بركة القسري وقد نسبت إلى مُنشئها خالد بن عبدالله القسري الذي ولي مكة للوليد بن عبدالملك ثم لهشام، وكانت تسمى أيضاً بركة البردي وهي بفم الثقبة (الأزرقي ٢ / ٦٢، ٦٥ - ١١٣) وكانت عند بير ميمون، فعملها بحجارة منقوشة طوال وأحكمها وأنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها عيناً تسكب فيها من الثقبة وبنى سد الثقبة وأحكمه، والثقب شعب يفرغ فيه وجه بثير، ثم شق من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام (الأزرقي ٢ / ٨٥) وكانت فيها أسماك (٢ / ١١٣).

ويذكر الأزرقي أن المأمون أمر صالح بن العباس في سنة ٢١٠ «أن يتخذ له بركاً في السوق خمساً لئلا يتعنى الناس إلى بركة أم جعفر، فأجرى عيناً من بركة أم جُعفر من فضْل مائها في عين تسكب في بركة البطحاء عند شعب ابن

يوسف في وجه دار ابن يوسف ثم يمضي إلى بركة عند الصفا، ثم يمضي إلى بركة عند الحناطين، ثم يمضي إلى بركة عند الصفا ثم يمضي إلى بركة بفوهة سكة الثنية دون دار أويس، ثم يمضي إلى بركة عند سوق الحطب، ثم إلى الماجلين الذين في حايط ابن طارق بأسفل مكة (الأزرقي ٢ / ١٨٧).

وذكر الأزرقي حياض زمزم، وحياض ابن هشام وهذه بمفضى مأزمي منى (٢ / ٢٢٤) ولعل هذه الحياض هي بئر القسرية التي حفرها خالد القسري بأمر من هشام بين مأزمي منى، في الثنية التي عن يسار الذاهب إلى مِنى من مكة (الأزرقي ٢ / ١٦٥).

العيون:

ذكر الأزرقي أن معاوية اتخذ عشرة حيطان (بساتين) في مكة لكل منها عين ومشرع، وذكر مواقع هذه الحيطان فقال: كان معاوية بن أبي سفيان قد أجرى في الحرم عيوناً واتخذ لها أضيافاً فكانت حوايط، وفيها النخل والزرع منها:

١ ـ حايط الحمام وله عين، وهو من حمام معاوية الذي بالمعلّاة إلى موضع بركة أم جعفر، وكان معاوية بعد هو الذي عمله وملأه عجدة.

٢ ـ حائط عوف. . وكانت عين تسقيه، وكان فيه النخل.

٣ ـ حائط الصفى.

٤ ـ حائط مورش وكان فيه النخل والزرع.

٥ ـ حائط خرمان وكان فيه النخل والزرع حديثاً من الدهر.

٦ ـ حائط مقيصرة. . وكان فيه النخل.

٧ ـ حائط حراء. . وكان فيه النخل.

٨ ـ حائط ابن طارق بأسفل مكة. . وكان فيه النخل.

٩ ـ حائط فخ.

١٠ ـ حائط بلدح.

وأضاف الأزرقي حائطي ابن العاصي، وسفيان في بلدح، ثم قال: وكانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت فأمر أمير المؤمنين الرشيد بعيون

منهـا فعملت وأحييت وصـرفت في عين واحـدة يقال لها «الرشا» تسكب في الماجلين اللذين أحدهما لأمير المؤمنين الرشيد بالمعلّاة، ثم تسكب في البِركة التي عند المسجد الحرام.

ونشير إلى السـد الـذي عنـد الطائف، ويروى أنه بُني في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان وهو يمتد على بعد ستة أميال شرقي الطائف وهو مبني من الجرانيت، ويبلغ طول الجزء الباقي منه الآن خمسة وثمانون متراً ويبلغ ارتفاعه بين ٢٥ / ١٠ ـ ٥ / ٩ متراً وقد وصفه توبنشل في كتابه عن المملكة العربية السعودية (ص ٥٠) كما وصفته الدكتورة سعاد ماهر في دراستها لآثار الحجاز (عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز ٤٨).

المدينة: الوديان والسدود:

أما المدينة فإنها تختلف عن مكة من حيث إنها تقع في أرضٍ منبسطة واسعـة تقع حولها مرتفعات أو جبال منخفضة منعزلة وغير متواصلة، وتخترق الأجـزاء الجنـوبية منهـا عدد من الـوديان، وأهمهـا وادي العقيق، وبطحان، ومهـزرو، ومـذينيب، ورانونا تجري فيها مياه تكفي لقيام المزارع وخاصة من النخيل والشعير وبعض الخضر، وفي بعض الأوقات يزداد الماء في هذه الوديان فتهدد ما حولها بالغرق، مما يتطلب إقامة ما يمنع الغرق كما أنه يتطلب فتح قنوات لزراعـة الأراضي البعيدة عن الوديان.

وكان خطر الفيضان خاصة من مهزور الذي يتخوف منه الغرق على أهل المـدينـة وكـان سيل مهزور إذا طغا وخيف على المدينة يصرف ماؤه إلى بئر المـرانية، غير أنه سال في ولاية عثمان سيلاً عظيماً وخيف على المدينة منه الغرق، فعمل عثمان الردم الذي عند بئر مدري ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة (تاريخ المدينة المنورة ١٦٩).

وفتح عثمان بن عفان من وادي العقيق خليجاً يسمى خليج بنات نائلة ليسقي الأرض التي امتلكتهـا بنـاتـه من زوجتـه نائلة (تاريخ المدينة المنورة

١٦٦)وذكر المجد أن هذا الخليج كان عند الجرف ومن أمواله بئر جشم وبئر جمل، وأنه استعمل فيه ثلاثة آلاف من سبي بعض الأعاجم (وفاء ٢ / ٢٨٠).

وأنشأ عبدالله بن عمرو بن عثمان سداً على رانونا ليرفع الماء ويسقي مزارعه (تاريخ المدينة المنورة ١٦٨)، (وفاء الوفا ٢ / ١٢١، ٣٣٥).

وذكر السمهودي أن معاوية أنشأ سداً بين المدينة والرحضية في شعب فوفر فيه ماءً كثيراً (وفاء ٢ / ٣٢١)، وذكر أيضاً سداً بقرب عير يعرف في زمنه بسد عنتر، وسد الصهباء عند صبر (وفاء ٢ / ١).

الآبار:

تجري وديان المدينة في الأطراف الجنوبية والغربية، كما يجري وادي قناة في أقصى الطرف الشمالي، أما النواحي الأخرى التي تكوِّن أكثر أرض المدينة فتعتمد على الآبار التي لم تكن مياهها عذبة، ويروي موسى بن طلحة أنه: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء (معجم البلدان ١ / ٤٣٢) وكانت مياه الآبار للشرب والغسيل، كما كانت لري المزارع، ونظراً لكلفة حفر الآبار وأهمية الماء، فقد كان ثمنه غالياً، ويروي موسى بن طلحة أن صاحب بئر رومه كان يبيع منها القربة بمُدّ. (معجم البلدان ١ / ٤٣٢، وفاء الوفا ٢ / ١٣٧).

وكانت أثمان الآبار عالية، وخاصة بعد تزايد سكان المدينة في زمن الراشدين، فبئر جشم في رانونا، وكان لرجل من غسان، بيع في زمن خلافة عمر بن الخطاب بثلاثين ألف درهم (الموطأ ٢ / ١٣١، البكري ٣٨٣، وفاء الوفا ٢ / ٢٥١).

وبئر روما اشتراها عثمان بمبلغ اختلف الرواة فيه بين عشرين ألفاً وأربعين ألفاً (تاريخ المدينة المنورة، وفاء الوفا ٢ / ١٣٧، معجم البلدان ١ / ٤٣٢).

وقد دفعت هذه الأوضاع بعض أغنياء الصحابة إلى التبرع بالآبار وجعلها صدقة، فقد تبرع عثمان بن عفان ببئر رومه، وتبرع أبو طلحة الأنصاري ببئر حاء (البكري ٤٣١).

الفصل السادس

المنتوجات الزراعية

إن وقوع الحجاز في منطقة صحراوية شحيحة الأمطار، معدومة الأنهار، وقليلة المياه جعلته إقليماً أجرد، وقد أشار القرآن الكريم إلى أحوال مكة حيث ذكر دعاء إبراهيم الخليل ﴿رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع﴾ علماً بأن هذه الإشارة إلى وادي مكة لا إلى كل الحجاز.

والواقع أن كتب الجغرافية والبلدان ذكرت بعض المناطق الجرداء في الحجاز حيث لا يوجد أي نبات، وأغلب هذه المناطق هي شرقي الحجاز بالقرب من حرّة سليم والسوارقية، ولا ترجع قحولتها لمجرد انعدام الماء، إذ إن في بعضها آباراً ولكن التربة عامل هام أيضاً، وقد ذكر عَرّام معلومات كثيرة عن المناطق الجرداء، وعن نباتات بعض المناطق. وكل رقم نذكره دون اسم المصدر فإنما المقصود به أنه من عَرّام، الذي يقول عند الكلام عن قرية الملحاء وهي بوادي قوران: إن حواليها هضبات ذي مجر وبأعلاه ماء يقال له لقف ماء آبار كثيرة عذب ليس عليه مزارع ولا نخل لغلظ موضعها وخشونته (٤٣٣ وانظر ياقوت ٤ / ٣٦٣).

وحذاء أبلى جبل يقال له ذو الموقعة.. وحذاءه من عن يمينه من قبل القبلة جبل يقال له نفار وهما جبلان عاليان لا ينبتان.. وليس قرب نفار ماء، والخرب حبل بينه وبين القبلة لا يُنبت شيئاً ثابتاً» (٤٣٠) وفوق لقف بئر شس ثم ذات الفار وحذاءها جبل يقال له أقراح، شامخ مرتفع أجرد (٤٣٣).

ويذكر أيضاً صحراء مستوية قرب افيعيه وأفاعية وفيها بعض الآبار المالحة

ص ٤٣٧) وبالقرب من أفاعية «هضبة كبيرة يقال لها خطمه ولابة، وهي حرشفة حرة سوداء لا تنبت شيئاً يقال لها: منيحه وهي لجسر وبني سليم». (٤٣٨).

«وعكاظ صحراء مستوية ليس لها جبل ولا علم». (٤٤٠).

«وجبل حذاء شوران يقال له: ميطان به ماء بئر يقال لها: خفة وليس به شيء من النبات». (٤٢٦).

«وادي يقال له عريفطان معن ليس به ماء ولا رعي، وحذاءه جبال يقال لها أبلى». (٤٢٨).

«وجبال مكة وليس بهما نبات ولا في جميع جبال مكة إلا شيء يسير من الضهياء يكون في الجبل الشامخ». (٤٣٤).

«والخريطة تلي الشراة جبل صلد لا يُنبت شيئاً» (ياقوت ٢ / ٢٧٠، وفاء ٢ / ٣٢٨).

«ظلام وهو جبل أسود شامخ لا ينبت شَيْئاً». (٤٢٤ ياقوت / ٣ / ٥٣١).

غير أن المناطق القاحلة محدودة مبعثرة، ويوجد بجانبها مناطق تعيش فيها نباتات منوعة، وقد ذكر عرام مناطق متعددة مُبيّناً النباتات التي تعيش فيها، وبعض هذه المناطق تختص بنبات واحد، وبعضها تختص بأكثر من نبات.

المنتوجات الزراعية

يقول عرام إن الغضور ينبت في كل جبال تِهامة. . (٤٠١) وإن جبل شواحط «فيه الأوشال تُنب الغضور والثغام». (٤٣٤).

أما الأرطي فيقول عرام: إن ودان «يتصل بها مما يلي مغيب الشمس من عن يمينها بينها وبين البحر خبت والخبت الرمل الذي لا ينبت غير الأرطي وهو حطب، وقد يدبغ به أسقية اللبن خاصة، وفيها متوسطاً للخبت جبيل أسود شديد السواد يقال له طفيل» (٤١، البكري ص ١٣٥١).

يقول الدينوري: «وأخبرني أعرابي من ربيعة قال الأرطي والغضا متشابهان إلا أن الغضا أعظمهما للغضا خشب تسقف به البيوت». (كتاب النبات ص ٢٤٧).

وينبت الجيهل في حسنا وهي صحراء بين العذيبة والجار (ياقوت ٢ / ٢٦٨ عن ابن حبيب) (وفا ٢ / ٢٩١).

أما الحمض فيكثر عند الهديبه «وهي ثلاث آبار ليس عليهن مزارع ولا نخل ولا شجر وهي بقاع كثيرة، تكون ثلاثة فراسخ في طول ما شاء الله وهي لبني خفاف بين حرّتين سوداوين وليس ماؤهم بالعذب، أكثر ما عندها من النبات الحمض ينتهي إلى السوارقية على ثلاثة أميال منها وهي قرية غنّاء كبيرة من أعمال (٤٣١، ياقوت ٤ / ٩٥٦، بكري ـ ٩٩، وفاء ٢ / ٣٨٦) ويكثر السماق في ورقان (٤٠١). «وأهل الحجاز يسمون السماق الضمخ وأهل نجد يسمونه العرتن، واحِدُهُ عرتنة». (٤٠٢).

ويقول أبو حنيفة «له ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ، قال: ولا أعلمه ينبت بشيء من أرض العرب إلا ما كان بالشام» ونص أبي حنيفة إما أنه غير مضبوط أو أن السماق أدخلت زراعته فيما بعد ولكننا نرجح الأمر الأول.

الدوم ينبت في وديان غزال ودوران وكلية التي تأتي من شمنعير (٤١٢، البكري ١٣٥١).

والدوم هو المقل ٤١٢ (أبو حنيفة ص ١٦٤ / ١٦٧) وينسج من خوصها حصر تسمى الطغى باسم الخوص (أبو حنيفة ص ١٦٧).

الطرفاء:

وهو بوادي الأبواء ما لا يعرف في واد أكثر منه.

النشم:

يقول عرام: إنه ينبت في جبال ذره (٤٠٧) وإنه «وقد يعمل من النشم القسي والسهام، وهو خيطان لا ورق له (٤٠٨).

ويقول ابن سيده: إنه من عتق العيدان (المخصص ١١ / ١٤٢).

أما ابن منظور فيقول: إنه «شجر جبلي تتخذ منه القسي وهو من عتق العيدان (لسان العرب ١٦ / ٢٤).

الرنف:

وهو من نباتات رضوى وعزور وهو شجر يشبه الضهياء (عرام ٣٩٦).

العشر:

وهو من نباتات غدير خم (٤١٣).

التالب:

وهو من أشجار جبال ذرة (٤٠٧).

«والتالب: من عتق العيدان التي تتخذ منها القسي ومنابته جبال اليمن، وله عناقيد كعناقيد البطم، فإذا أدرك وجف اعتصر للمصابيح وهو أجود لها من الزيت، وتقع السرفة في التالبة فتعريها من ورقها (مخصص ١١ / ١٤٢).

الغرز والصليان:

وهما من الكلأ الذي يعيش بطن نخل (٤٢٤).

الضال:

وهو يكثر في العيص (٤٣٦).

الشقب:

وهو من نباتات القدسين (٤٠٣).

العرفط:

وهو في وادي برك (٤٣٤).

الثغام:

وهو في وادي برك وجبل برثم (٤٣٤ ـ ٥).

الأسحل:

وهو من نباتات جبال السراة (٤١٧).

الخلاف:

وهو في وادي المختبى (٤٢٨).

الخلاف:

وهو الصفصاف وهو بأرض العرب كثير، وأخبرني أعرابي قال نحن نسميه

السوجر وهو شجر عظام وأصنافه كثيرة وكُلّها خـوار خفيف». (أبو حنيفة ص ١٤٢).

الشقاح:

وهو في كل جبال تهامة (٤٠٩). والشقاحِ الرياس (٤٠٩).

والشقـاح نبت الكبر ويقول ابن رسول الغساني «والكبر الذي يكون في البلد الكثير الحرارة بمنزلة الكبر الذي يكون في تِهامة». (المعتمد ٢٨٢).

الأراك:

وهو ينبت في وادي العرج (٤٠٤) ووديان ذره، وشمنصير غزال، ودوران وكليه، (عرام ٤١٧)، (بكري ١٣٥)، وفي غدير خم (٤١٣) ومن معادن الأراك عرفة (أبو حنيفة ص ٧)، «وهي أفضل ما استيك بفرعه وبعرقه من الشجر وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن. . قال: وللأراك ثلاث ثمرات فمنهن المرد والكباث والبربر، فأما الكباث فضخام يكاد يشبه التين، وأما المرد فأشده رطوبة وليناً وهو على لون الكبـاث، وأمـا البـربر فكأنه الخرز الصغار إلا أن لونه ولون الثمرة واحد. . ويأكله الناس.

قال أبو زياد: ومنابت الأراك بطون الأودية وما اجتمع منه في مكان يسمى عيصاً. ويقول الدينوري الأراك هو الحمض (أبو حنيفة ٨).

البشام:

وهـو من نبـات الثافلين (٣٩٩) وفي الحشاجبل الأبواء (٤١١) وجبال السـراة (٤١٧) «وهـو شجـر طيب الرائحة والطعم يستاك بقضبانه. . ومنابت البشام الحزون والجبال» (أبو حنيفة ص ٤٦).

الثمام:

وهو من نبات وادي العرج (٤٠٤) وغدير خم (٤١٣).

الخزم:

وهو من أشجار جبل ورقان (٤٠٢) والحشاجبل الأبواء (٤١١ ياقوت ١ / ١٠٠).

السّدر:

وهو كثير في جبال ذره (٤٠٧) ويوجد أيضاً في غدير المختبى (٤٢٨).

السَّلم:

ويوجد في غدير المختبى (٤٢٨) ويكثر في وادي برك (٤٣٤) والعيص (٤٣٦).

المرخ:

وهـو من نبات وادي العرج (٤٠٤) ووديان شمنصير وآره وغزال ودوران وكلية (٤١٢).

النبح:

وهو من أكثر نباتات شمنصير (٤٠٩) والشراة (٤١٣) «وكل هذه الجبال تنبت القرظ» (٤١٧) وهو في جبال السراة (٤١٧) وخاصة «يسوم وقرقد فإنهما لا ينبتان غير النبح والشوحط» (٤١٧).

النص:

وهو كثير في عقبه العلم في طريق تبوك (ياقوت ٤ / ١٤٥).

الطلح:

وهو من أشجار جبال ذرة (٤٠٦).

الظيان:

وهو من نبات ثافل الأكبر وثافل الأصغر (٣٩٩).

وللظيان ساق غليظة، وهو شاك - أي غليظ الشوك - ويحتطب، وله سنفه كسنفة العشرق والسنفه ما تَدلّى من الثَّمرة خرج عن أغصانه، والعشرق ورق يشبه الحند قوقا منتنة الريح (٣٩٩).

العظاه:

من النباتات التي في غدير المختبى (٤٢٨).

العفار:

وهو من أشجار جبال ذرة (٤٠٧).

«والعفار ورده طيب أبيض طيبة الريح كأنها السوسن». (٤٠٨).

الغرب:

وهو من أشجار جبلي السراة (٤١٧).

المرخ:

وهو من نباتات أودية شمنصير وذرة غزال، ودوران وكليه (٤١٢ بكري ١٣٣١).

النخيل:

النخيل من أهم الأشجار التي تعيش في أماكن مختلفة من الحجاز، وخاصة حيث تتوفر المياه، وذكر مالك «تمر القرى العظام مثل خيبر ووادي القرى وذي المروه وما أشبهها من القرى» (المدونه ٩ / ٨)

ينبع

«حصن به نخل وماء وزرع» (ابن حوقل ١ / ٣٣) وهي «غزيرة الماء لعمر من يثرب وأكثر نخلاً» (المقدسي ٨٣).

والصَّفراء:

«قرية كثيرة النخل والمزارع» (٣٩٨ ياقوت ٣ / ٣٩٩ البكري - ٨٣٦).

وهي «واد كثير النخل والعيون والزروع». (وفاء ٢ / ٣٣٥).

وسويقيه وكان بها نخل كثير عقره... (الأغاني ١٤ / ٨٥ وفاء ٢ / ٣٢٦).

وفي قريتي القصر والشرع وهما في شرقي ذره «في كل واحدة من هذه القرى مزارع ونخيل وعيون (٤٠٨).

«وفي نهب الأعلى ماء في دوار من الأرض في بئر واحدة كبيرة غزيرة الماء عليها مباطخ، وبقول، ونخيلات يقال لها: ذو خيمى وفيه أوشال». (٤٠٣).

وفي الفرع حيث أن على عيونها التي تجري في لحف آرة توجد الفرع، وأم العيال، والمضيق، والمحصنه والوبره، وخضرة، والغفوة» وفي كل من هذه

القرى نخيل وزروع». (عرام ص ٤٠٥).

إن «الريـض والنجف يسقيان عشرين ألف نخلة». (وفاء ٢ / ٣٥٦).
وفي قرية الفارع الواقعة قرب عسفان «نخل كثير». (٤١٣).
وكذلك في مهايع «نخل ومزارع وموز ورمان وعنب». (٤١٤).
وفي خيف ذي القبر «به نخل كثير وموز ورمان» (٤١٤ ياقوت ٢ / ٥٠٨ ـ ٩ البكري ص ٧٨٧ وكذل خيف النعم «به نخيل ومزارع». (٤١٥).
ووادي الظهران الذي تقع فيه مر الظهران «فيه عيون كثيرة ونخيل وجميز». (٤١٥).
و«ميفعان قرية فيها مياه وزروع ونخيل وفواكه». (٤١٩).
«معدن البرم وهي كثيرة النخيل والزروع والمياه مياه آبار» (٤١٩، ياقوت ٤ / ٥٧٢).
و«الطائف ذات مزارع ونخيل وموز وأعناب وسائر الفواكه». (٤٢٠).
و«الرحضية» بها آبار عليها زروع كثيرة ونخيل (٤٢٧).
و«وادي ذوردلان» به قرى كثيرة تنبت النخيل منها قلهى وتقتد (٤٢٧).
والسوارقية فيها «مزارع ونخيل وفواكه كثيرة». (٤٣١).
وقرية (القيا) التي تبعد ثلاثة فراسخ عن السوارقيه بها سكان كثير ونخيل ومزارع وشجر. (٤٣٢ ياقوت ج ٤ ص ٢١١ بكري ١٠).
وقرية الملحان ببطن وادي قوران «فيه مياه وآبار كثيرة عذاب طيبة ونخل وشجر». (٤٣٢ ياقوت ٤ / ١٩٨ البكري ١٠٠ وفاء ٢ / ٣٦٣).

والرفدة: في وادي عريفطان «عليها نخيلات وآجام» (٤٣٤ ياقوت ٤ / ٥٨٢ البكري ٨١٣) وجفينة» بها مزارع ونخل كثير كل ذلك على الآبار ٥ (٤٣٦).
ومران «قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع». (٤٣٨).
وقباء «بها مزارع كثيرة على آبار ونخيل ليس بكثير». (٤٣٨).
وكذلك في الثلماء وهو ماء جبل عزوز «عليها نخل كثيرة وأشجار» (ياقوت ١ / ٩٣٣).

وفي الكديد «بين أمج وعسفان وهو ماء عين جاريه عليها نخل كثير» (البكري - ١١١٩).

وفي أمج «تمور وخضر ومزارع» (مقدسي ص ٧٩) «وهي كثيرة المزارع والنخيل». (البكري ١٤٦، ١٩٠).

وفي السقيا «بستان كبير ونخل» (دارسته ١٧٨) و «النخيل والبساتين متصلة من قرح إليها» (المقدسي ص ٨٤).

وفي ساية «نخيل ومزارع وموز وعنب» (ياقوت ٣ / ٨٣٩ بكري ٧٨٧ وفاء ٢ / ٣٢١).

وكذلك في وديان شمنصير (البكري - ١٣٥٠) ورابغ (البكري - ١٣٥٠) وحهراء وهي بين مكة وجدة (ياقوت ٢ / ٢١٦ / ٢٢٠) والرفده (البكري ١٠١ ياقوت ٤ / ٥٨٢).

وفي وادي عران (ياقوت ٣ / ٣٢٣).

يقول صاحب زهر الرياض: «بلغت أنواع التمر ماية وبضعاً وثلاثين منها الصيحاني» (الجواهر الثمينه ص ١١٣ وفاء ١ / ٥١).

ويقول: «التمر اثنا عشر نوعاً» (الجواهر الثمينه ص ١١٣). «وقال بعضهم: أحسن أنواع الرطب الحلو، ثم الطبرجلي، ثم الفريسي، ثم السكر، ثم البرني، ثم الحلي، . . وأشرف أنواع التمر البرني والشلبي والبردي والخضروي والجعفري والجاوي واللبانة وهي القصب» (الجواهر الثمينه ١١٤).

يقول: «الثمر اثنا عشر نوعاً سيدها البرني، وغرس أهل المدينة له أكثر وعنايتهم به أثمر وإذا غرس في غير المدينة لا يحسن حسنه فيها وثمره أعلى من غيره بل ولا يذكر في سلمهم غالباً غيره، يحمل إلى الأقطار تبركاً به. ومُدّه في الرخا بثمانية كبار، وفي الغلا بعشرين فأكثر، وهو مع ذلك واجد الودي قليل القيمة، وهو أزهر الزهو أحمر الرطب شبيه بأصابع العذارى يلذ أكله وهو رطب وثمر». (الجواهر الثمينة ص ١١٣).

ويقول السمهودي: «والبردي أغلى قيمة من البرني لقلة وحيه (وجوده؟) لعل جميع ما في المدينة لا يصل إلى خمسين نخله وهو أصفر الزهر أحمر، إلى الكدرة مكبكب مسلوب من أسفله يحمل إلى الروم وغيرها في الدباب والمراطبين يقاربه الشقري والطبرجلي والعريس متقاربة في الشكل والسكر والبيض والعذق كذلك، والبربري والحادي متقاربان والحلي والجعفري أحمر البسر زيتوني لون الرطب» (الجواهر الثمينة ص ١١١).

ويقول ابن منظور: «البردي من جَيِّد التمر يشبه البرني عن أبي حنيفة وقيل البردي ضرب من تمر الحجاز جيد معروف وفي الحديث أنه أمر أن يؤخذ البردي في الصدقة وهو بالضم نوع جيد من التمر». (لسان العرب ٤ /٥٤).

أما تمور المدينة فقد ذكر مالك والشافعي منها الجعرور ومصران الفاره وحبيق المدونة / ١٠٠ الأم ٢ / ٢٦ وكذلك البرني والعجوه والصيحاني والبردي (مدونه ٩ / ٣٣، ٩٩، الأم ٣ / ١٨، ٨٣ ٩١ وذكر مالك البرني (المدونة ٢٥ / ١٠١، ٩ / ١٣، ١٥) والشافعي (الأم ١١/٢) وذكر مالك الصيحاني في مواضع أخرى (٩ / ١٢، ١٣، ١٥، ٢٦) وقال أبو زيد العشيرة حصن صغير بين ينبع وذي المروه ويفضل ثمره على سائر تمور الحجاز إلا الصيحاني بخيبر، والبردي والعجوة بالمدينة (ياقوت ٦٨١/٣)، وانظر عن البردي، الأم للشافعي (٢ / ١١، ٢٦، ٣ / ٢٩).

ويقول السمهودي: «ولم تزل العجوة معروفة بالمدينة باشرها الخلف عن السلف، يعلمها كبيرهم وصغيرهم علماً لا يقبل التشكيك، وقال الداوودي: هي من أوسط التمر كما هو المشاهد اليوم، وقال غيره هي من أجود تمر المدينة ومراده أنها ليست من رديه. وقال ابن الأثير: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد وهو مما غرسه النبي ﷺ بالمدينة.. بالفقير والعالية (وفاء ٥/١) وذكر مالك العجوه (المدونه ٩ / ٣٣، ٩٩، ١٢ / ٢٧)، والشافعي (الأم ٣ / ٢٩، ٨٣)، وذكر الكليني أنه المسمى بالعراق الصرفان (الكافي ٦ / ٣٤٣).

أما الصيحاني فيروي السمهودي عن إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموي أسطورة تنسب تسميته بهذا الاسم إلى زمن النبي ثم يقول: «وبالمدينة اليوم موضع بجفاف يعرف بالصيحاني» (وفاء ١ / ٥١) ويقول أن «الصيحاني وهو نخل يعرف إلى الآن بهذا الاسم، وهو بيد أولاد صفوى ابن سليمان بن الطفيل الحسيني قلت هو من أم عشر مجرى السيل بالحرَّة الغربيَّة بعضه لبني السفر وبعضه لبعض بني الحسين» (الجواهر الثمينة ص ١١٣).

وذكر مالك الصَّيْحَاني (المدوّنه ٩ / ٢، ١٣، ١٥، ٣٣، ٩٩) والشافعي: (الأم ٣ / ٨٩).

ومن تمور المدينة أيضاً جنيب (الأم ٣ / ٨٣) والدقلة (الأم ٢ / ٢٦) وعرق ابن زيد والشقم (المدونه ١٢ / ٢٧).

وأم جرذان وهو «بالمدينة مثل البرني بالبصرة تلقط أبداً حتى لا يبقى عليها شيء» (المخصص ١١ /١٣٣)، وهي تشبه المشان في العراق (الكافي ٦ / ٣٤٤).

أما التمور الرديئة فقد ذكر منها الجعرور، ومعى الفاره، وعذق ابن حبيق، فقد ذكر الشافعي أنها مما لا يجوز أن تخرج في الصدقة (الأم ٢ / ٢٦) وانظر المدوّنه ٢ / ١٠٠، ٩ / ١٥، ويروي الطبري في تفسير آية: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تأكلون﴾. وقال: هو الجعرور ولون حبيق فنهى رسول الله ﷺ أن يؤخذ منها الصدقة (التفسير ٣ / ٥٦).

الكروم والعنب

فأما العنب فإن عرام ذكر أنه يزرع في مهايع (٤١٤)، وجبال السراة (٤١٧)، وساريه (وفاء الوفا ٢ / ٣٢١)، والسوارقيه (٢٣١، وفاء الوفا ١/٣٢٥)، وفي ثنيّه الشريد التي فيها «أعناباً ونخلاً لم يرد مثلها» (وفاء الوفا ٢ / ٢٠٩) كما يزرع في الطائف (٤٢٠) التي كانت من أشهر مناطق زراعته وخاصة الوهط.

وكان العنب من أبرز أشجار الفاكهة في الحجاز، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، منها ستة مقرونة بالنخيل (البقرة ٢٦٦ الإسراء ٩١، النَّحل ١١ / ٦٧، المؤمنون ٣٩ / يس ٣٤، ثلاثة ذكرت فيها جنات من أعناب. الأنعام ٩٩، الرعد ٤، الكهف ٣٢، عبس ٢٨.

وذكره، مالك[١] والشافعي[٢] وورد ذكر العنب الأبيض والأسود[٣] والزبيب الأسود والأحمر[٤] وذكر عَرّام أن الكروم تزرع في مهايع[٥]، والسوارقية[٦] وجبال السراة[٧] وسارية[٨] وفي ثنية الشريد التي فيها أعناب ونخل لم يرد مثلها[٩].

وكانت المدينة من مناطق زراعته فقد ذكر «واشتهرت بير للنبي . . بالعنب الجيد، وبالجملة فإن في قبا من الكروم أنواعاً مختلفة منها المدني، وهو أنواع منه البرني ويقال له المراودي وهو أجودها لرقته وحلاوته، وهو يحاكي الزيتي من أعناب الشام، ومنه الأبيض وهو دونه متوسط، ومنه الحجازي وهو أنواع البياض، ويختلف في الرقة والغلظ، ومنه السوادي وهو أحسن منه، ومنه الخمري وهو أجوده لأعجم الصفارة . . وأحسن العنب ما كان في حدائق قبا ثم العالية ثم جفاف، ثم يأتي بساتين المدينة، وكان بالعقيق كروم كثيرة[١٠] ويحكى أنه كان لسعد بن أبي وقاص بالعقيق كرم تباع ثمرته بألف دينار[١٠].

---

١ ـ المدونه ٩ / ٦.

٢ ـ الأم ٣ / ٢١، ٤١، ٤٨، ٥٦، ٥٧.

٣ ـ تفسير الطبري ١٣ / ٦٨.

٤ ـ المدونه ٩ / ٣٣، ٣٦.

٥ ـ جبال تهامة ٤١٤.

٦ ـ كذلك ٢٣١، انظر وفاء الوفا ١/٣٢٥.

٧ ـ كذلك ٤١٧.

٨ ـ وفاء الوفا ٢ / ٣٢١.

٩ ـ كذلك ٢ / ٢٠٩.

١٠ ـ الجواهر المضية ٩٠ ـ ٩١.

ومن أشهر مناطق زراعة الأعناب الطائف[1] وقد اشتهرت الوهط بزراعته ومن أنواع عنب الطائف الرازقي، وهو عنب أبيض طويل الحب ويسمى أيضاً الملاحي[2] و«أطراف العذارى، وهو عنب أسود طوال كأنه البلوط يشبه بأصابع العذارى المخظبة بطوله عنقوده نحو الذراع[3].

أشجار الفاكهة:

يسزرع في الحجاز عدد من أصناف أشجار الفاكهة، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر العنب والتين والزيتون والرمان، وذكر فقهاء أهل الحجاز الأولين أصنافاً متعددة من أشجار الفاكهة، لعل كثيراً منها مما كان يزرع في الحجاز.

فذكر الشافعي، الكمثرى، والفرسك (التوت)، والتين، والعنب، والأجاص والزبيب[4]، والأترج والموز، والراتج والصنوبر، والجوز، واللوز، والفستق والسفرجل[5].

وذكر مالك بن أنس: الجوز، واللوز، والتفاح، والرمان، والسفرجل، والأترج والتين والفرسك[6] وذكر الكليني: التين، والكمثرى، والأجاص، والأترج، والموز[7]والرمان، والتفاح، والشيشقان والسفرجل، والعنب الرازقي[8].

---

١ - جبال تهامة ٤٢٠.

٢ - لسان العرب ١١ / ٤٠٦.

٣ - لسان العرب ١١ / ١٢٤.

٤ - الأم ٣ / ٢١.

٥ - كذلك ٣ / ٥٦، وانظر ٣ / ١١٢.

٦ - المدونه ٢ / ٥٤.

٧ - الكافي ٦ / ٣٦٤.

٨ - كذلك ٦ / ٣٤٨.

وذكر مالك والشافعي الأترج[1] والفرسك[2]، واللوز،[3] والجوز[4]، والسفرجل[5] وذكر مالك في المدونة: الخوخ[6]، والرمان[7]، والسفرجل[8]، واللوز[9] والفستق[10] والموز[11].

وذكر الشافعي: الكمّثرى[12]، والتين[13]، والحبة الخضراء[14] والأجاص[15] نحو الذراع..

ويزرع التين في الينابيع التي حول جبل شمنصير (٤٠٩) وفي السوارقيه (٤٣١، وفاء الوفا ٢ / ٣٢٥) وفي قدس (وفاء الوفا٢).

ويزرع الرمان في ورقان (٤٠٢)، ومهايع، وخيف ذي القبر (٤١٤) وفي سايه (وفاء الوفا ٢ / ٣٢١) وفي السوارقيه (٤٣١، وفاء الوفا ٢ / ٣٢٥)، ويقول أبو حنيفة الدينوري إن الرمان «هو بالسراة كثير ولا يربى، ويظهر فيه هناك إلى

---

١ - المدونة ٥٤/٢، ١٥/١٢، ٢٨، ١٧٣، الأم ١٤/٣، ١٠٥.

٢ - المدونه ١٥ / ١٧٣، الأم ٣ / ٢٣، ٤١، ٤٨، ٥٦، ٥٧، ٩٢، ١١٢.

٣ - المدونه ١٢ / ٢٩، ٧، الأم ٣ / ٤٣، ٥٨.

٤ - المدونه ١٢ / ٢٩، ٣٧، الأم ٣ / ٤٢، ٤٣، ٥٨.

٥ - المدونه ٩ / ٦، ١٢، الأم ٣ / ١١٢، ١١٣.

٦ - المدونه ١٠ / ٣، ١٢، ٢٨، ٣١، ٥ / ١٧٣، وانظر تفسير الطبري ١٣ / ٦٨.

٧ - المدونه ١٠ / ٣، ١٥، ١٧٣.

٨ - كذلك ٩ / ٦، ١٢.

٩ - كذلك ١٢ / ٢٩.

١٠ - كذلك ١٢ / ٢٩، ٣٧.

١١ - كذلك ٩ / ١٢، ٢٣، ٢٨، ١٥ / ١٢٣.

١٢ - الأم ٣ / ٤٨، ٥٦، ٥٧.

١٣ - كذلك ٣ / ٥٦.

١٤ - كذلك ٣ / ١٩.

١٥ - كذلك ٤٨/٣، لسان العرب ١٢٤/١١

المفـرخ ويتمـدحه الناس، وتأكله
ويزرع الخـوخ والسفرجل في الاب
الوفا ٢ / ٣٢٥) ويزرع الموز في
(٤١٤، وفاء الوفا ٢ / ٣٢١) وفي
وخاصة في مطار وهي إحدى قرى ا
وانظر ٤١٤).

ويزرع قصب السكر في الس
أما البطيخ فيزرع في نهب
٨٣٦).

ذكر أبو حنيفة الدينوري في ؟
تنبت في السَّراة، دون أن يحدد مو
سراة الحجاز، أم في سراة اليمن
الأشجار:

الأتم: وهو شجر زيتون يكون بالسراة في الجبال عظام لا تحمل (٣٨).
الحمر: وهو التمر الهندي وهو بالسراة كثير وكذلك ببلاد عمان (١٣٤).
الخزم: وهو شجر مثل الدوم سواء، غير أنه أقصر وأعرض وأعبل، والشبه واحد (١٤٣) وهو النبات الوحيد في جبلي قملى وتعمل، كما يكثر في جبل قدس (١٤٤).

الألب: وهو شجره شاكه كأنها شجر الأترج، ومنابتها ذرى الجبال وهي قليلة جداً.. وهي أجناس كثيرة.. وأخبث الألب ألبٌ أخضر في جبل من السراة في شق تهامة (٤٢).

الجـوز وشجـره كثير بأرض العـرب من بلاد اليمن ويحمـل ويربى، وبالسرواه شجر جوز لا يربى، وتصنع منه جفان وقصاع (٤٩).

البقول والخضر:

ذكر مالك بن انس[1] والشافعي[2] من أصناف القطنية والحبوب الحمص، والعدس، والفول والدخن، كما ذكرا الحمص والجلبان، واللوبيا، والأرز، والدخن، والسلق، والعدس، والشعير، والذرة[3]، وقد ذكر الشافعي هذه المنتوجات واضاف إليها الذرة الحمراء[4].

وذكر الكليني الأرز، والحمص، والباقلي، واللوبيا، والماش، والجاورس والباذروج، والكراث، والكرفس، والكزبرة، والخس، والجرجير، والسلق، والقرع والفول، والجزر، واللفت أو السلجم، والقثاء، والباذنجان، والبصل، والثوم والسعتر[5].

وذكر مالك والشافعي البصل، والفجل والخس[6]، والقثاء[7]، والبطيخ[8]، وذكر ابن سعد أن ابن عمر كان يقذر القثاء والبطيخ فلم يكن يأكله لأنه كان يصنع فيه بالعذرة[9]، وذكر مالك والشافعي أيضاً الخربز[10] والقرط الأخضر والقصيل[11]، والسلق[12].

---

١ ـ المدونه ١٢ / ٣٣.

٢ ـ الأم ٢ / ٢٩.

٣ ـ المدونه ٢ / ١٠٨.

٤ ـ الأم ٢ / ٢٩.

٥ ـ الكافي ٦ / ٣٤٤، ٣٦٢ ـ ٣٧٥.

٦ ـ المدونه ١٢ / ٣٢، الأم ٣ / ٧٣، ١١٣.

٧ ـ المدونة ٩/٦، ٢٥، ٢٩، ٣/١٠، الأم ٢/٢٩، ٣٠/٤٠ ـ ٤٢، ٥٦/٥٨/١١٢.

٨ ـ المدونه ٩ / ٢٩، ٩٥، ١٠ / ٣، ٢١، ٤٥، الأم ٣ / ١١٣.

٩ ـ ابن سعد ٤ ـ ١ / ١٢٠.

١٠ ـ المدونه ٢ / ٥٤، ٩ / ٨٥، الأم ٣ / ٤٠، ٤٢، ٥٦ / ٥٨ / ١١٣.

١١ ـ المدونه ٩ / ١٤٨، الأم ٣ / ١١٣.

١٢ ـ المدونه ٩ / ٣٥، ٥٩، ٦١، الأم ٣ / ١٥، ١٨.

وذكر مالك في المدونة السمسم[1] والجلجلان[2] ، والجزر والخس[3] ، والقصب، والبقل والقرط، والبطيخ ، والقثاء، والخربز[4] ، والجليان[5] ، والبرسيم[6] .

وذكر الشافعي القنبيط، والهندبا، والجرجير، والخيار، والباذنجان، والخربز والبطيخ الشافعي[7] ، كما ذكر القصب[8] ، وقصب السكر، والقصب الحلو[9] ، وسكر العشر[10] والقرط الأخضر[11]، وذكر أيضاً الذرة والدخن والأرز[12]، والذرة الحمراء، وذرة نطيس[13]، وذكر أن بعض الناس يقتات الدَّخن في الجدب[14].

الحنطه والشعير:

وكان الشعير من مزروعات المدينة عند ظهور الإسلام، وعليه عماد السكان في الغذاء، أما الحنطة فكانت زراعتها قليلة، وكانت تستورد من الشام واليمامة، غير أنه بعد الإسلام زرعت الحنطة في المدينة وعدد من المناطق

---

١ ـ المدونه ٩ / ١٠٩، ١٢ / ٣٢.

٢ - كذلك ٢ / ١٠٩ .

٣ - كذلك ٩ / ٨٥.

٤ - كذلك ٢ / ٥٤.

٥ - كذلك ٩ / ١٤.

٦ - كذلك ٩ / ٠٦ / ١٤٨.

٧ - الأم ٣ / ١١٣ .

٨ - كذلك ٣ / ٣٨، ٤ / ٥٩.

٩ - كذلك ٩ / ٢٢ .

١٠ ـ كذلك ٣ / ١٨ .

١١ - كذلك ٣ / ٥٩ .

١٢ ـ كذلك ٣ / ١٨، ١٥٢ .

١٣ - كذلك ٣ / ٨٤.

١٤ ـ كذلك ٢ / ١٦٠ .

الأخرى، ففي المدينة كانت تزرع في أراضي طلحة (ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٥٨)، وكانت مزارع معاوية في المدينة تغل من الحنطة سنوياً مائة ألف وُسق (تاريخ اليعقوب ٢ / ٢٣٤، وفاء الوفا ١ / ١٢٧). وذكر عرام أنها تزرع في وادي الصحن وفي وادي بيضان (٤٣٥)، وكانت حورة اليمانية يُحمل منها إلى المدينة العسل والحنطة الرياضية التي تأتي من ناحية الوقر (وفاء ٢ / ٢٩٦).

ذكر الشافعي في الأم، الميسانية والشامية والمصرية[١] كما ذكر الحنطة المائية والشامية[٢] والحنطة اليمانية[٣] والحنطة السوداء[٤].

أما مالك فذكر في المدونة الحنطة المحمولة والسمراء[٥]، وذكر أن السمراء هي الشامية[٦] وأشار إلى أن المحمولة بيضاء[٧] وأنها هي المصرية[٨] وفي كتب الحديث إشارة إلى سمراء الشام[٩].

وفي كتب الحديث إشارات إلى قلة الحنطة في المدينة في أيام الرسول ﷺ، فقد روت كتب الحديث «ما شبع آل محمد من خبز بُرّ» وأن الرسول ﷺ قال: «وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره»[١٠]. ويروى أنه «ما أشبع رسول

---

١ ـ الأم ٣ / ٨٤.
٢ ـ كذلك ٣ / ١١٢.
٣ ـ كذلك ٣ / ٩٠.
٤ ـ كذلك ٣ / ١٧.
٥ ـ المدونه ٨ / ١٣٦ ـ ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ٩ / ٣٣،٣٤، ٥٩، ٦١، ٦٢، ١٠٠، ١٣٢.
٦ ـ كذلك ٩ / ١٣.
٧ ـ كذلك ٩ / ٣٣
٨ ـ كذلك ٩ / ١٠، ١٣، ٣٥
٩ ـ كتب الزكاه في مسلم ٨، ٢٠، الترمذي ٣٥، النسائي ٣٨، ٤٢، ابن ماجه ٢١.
١٠ ـ الموطأ: صفة النبي ٢٧، البخاري، اطعمه ٢٧، ٣٨ بيوع ١٤، ايمان ٢٢، مسلم زهد ٥١، ابن حنبل ٤ / ٤٤٢، ٦ / ٢٠٩

الله أهله من خبز حنطة»[1] .

وكانت الحنطة ترد مكة من اليمامة[2] .

أما الشعير فكانت زراعته شائعه، ومنه الغذاء، وقد تردَّد في الأحاديث ذكر الأسودان في الغذاء، وهما الشعير والتمر.

المنتوج:

وردت في المصادر أرقام لمنتوجات بعض المزارع في الحجاز، فذكر أن غلة مزارع معاوية في المدينة بلغت سنوياً ١٥٠ ألف وُسق تمر ومائة ألف وسق حنطة، (اليعقوبي ٢ / ٢٣٤، وفاء ١٢٧).

وكانت الربض والنجفة عينان في الفرع لحمزة بن عبدالله بن الزبير تسقيان أكثر من عشرين ألف نخلة (نسب قريش للزبير ٥٢ وفاء ٢ / ٣٥٦، البكري ١٠٢١، ياقوت ٣ / ٨٧٨).

وكانت في أم العيال عشرين ألف نخلة أنفق عليها جعفر بن طلحة مائتي ألف دينار (ابن حزم ١٤٠، وفاء ٢ / ٢٤٨).

وتغل البغيبغه ١٠٠٠ وسق (وفاء الوفا ٢ / ٢٦٢ عن الواقدي).

وفي الوهط عشرة آلاف درهم سنوياً (الذخائر ٢٠٥) وفيها ألفي شجرة من النخل والموز والأترج (مناسك ٢٤٩). وفي ثنية الشريد أعناب ونخل لم ير مثلها (نسب الزبير ١ / ٣٦٥).

فيذكر الزبير بن بكار أن عبدالملك بن يحيى الزبيري اشترى من أبي عبيدالله عيناً له يقال لها ملح بسايه بعشرة آلاف دينار (نسب قريش ٧٧).

---

١ ـ مسلم: زهد ٣٢، ٣٣، ترمذي: اطعمه ٤٨، ابن حنبل ٢ / ٤٣٤

٢ ـ البخاري: مغاري ٧٠، مسلم: جهاد ٥٩، ابن حنبل ٣ / ٤٥٢، ٢٤٦، ٢٨٣.

وعرض معاوية في عين أبي نيزر عشرين ألف دينار، وباع علي بن الحسين عين تحنس للوليد بن عتبة بن أبي سفيان بسبعين ألف دينار (وفاء ٢/٣٤٩).

وقد اشترى الزبير الغابة بمائة وسبعين ألفاً، ثم بيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف (وفاء ٢ / ٣٥١).

الفصل السابع

أهل الحجاز: العشائر

الحجاز إقليم واسع يقع بين هضبة نجد وسواحل البحر الأحمر، ويشغل أكثر النصف الغربي من أراضي شبه جزيرة العرب، وهو وثيق الاتصال بأقاليم الجزيرة الأخرى، وليست له حدود جغرافية فاصلة كلياً، كما أن أراضيه منوعه، ففيه جبال تتباين ارتفاعاتها واتجاهاتها، وفيه عدد غير قليل من الوديان التي تختلف في سعتها وطولها، وفيه سهول ساحلية طويلة، تسمى تهامة، وفيه كثير من المناطق الجرداء، وعدد من المناطق المعشبة والمراعي، ومناطق تتوفر فيها المياه الباطنية التي تكفي لبعض الزراعة.

ولم تكن في الحجاز عند ظهور الإسلام دولة تهيمن عليها وتشرف على توجيهها وتنظم إدارتها، كما أنه فيما عدا مكة والمدينة والطائف، لم يرد فيه ذكر مدينة منوعة السكان أو أن لها تنظيماً إدارياً خاصاً. وكان النظام القبلي هو السائد، وهو أساس التنظيم الاجتماعي والسياسي، وهو عام في المراكز الحضرية والريف والبوادي.

وكانت لكل قبيلة منطقة تقيم فيها وتهيمن عليها وتعتبر بلادها داراً لها، ويتوقف عدد أفراد القبائل ومساحة «دار» كل منها، على مدى تماسكها وقدرتها على الدفاع عن ديارها من الغزوات والتعديات الخارجية، وكثيراً ما تحدث انقسامات داخلية في القبيلة الواحدة تؤدي إلى نزاعات دموية وانفصال بينها وخروج القسم الأضعف للسكنى في مناطق أخرى، مع احتفاظهم بشجرة نسبهم.

وتتوقف حِرف أبناء القبيلة على الأوضاع الجغرافية للمنطقة التي تعيش فيها، فإذا توفرت فيها مياه كافية للزراعة فإنهم يستقرون للعمل في الزراعة، وخاصة زراعة النخيل والشعير وبعض الخضراوات وقد تكون المياه وافرة لدرجة تكفي لإقامة عدد من الأفراد كبيرٍ نسبياً، ويسمى المكان الذي يقيمون فيه باسم خاص يميزه، ومع أن كلاً من هذه الأماكن تسكنه عشيرة واحدة يجمع أفرادها نسبٌ واحدٌ، إلا أنه قلما تسمى الأماكن باسم العشيرة التي تسكنها، وإنما تطلق عليها أسماء خاصة عربية في أصولها ولكن ليست لها دلالة على طبيعتها أو سكانها أو امتدادها التي لا تعرف إلا بتقديم معلومات إضافية عنها، كأن يقال: إنها جبل أو واد أو ماء. وقلّما يُشار إلى الأحوال الإدارية للمنطقة، كأن يوصف المكان بأنه قرية أو مدينة.

أهل المدر وأهل الوبر:

غير أن المصادر اشارت إلى الوضع الحضاري لسكان بعض المناطق من حيث إنهم يوصفون بأنهم «أهل مدر» أو «أهل وبر» ويقصد بالتعبير الأول للسكان الذين يقيمون دائماً في مساكن مبنية ثابتة، ويمتهنون من حيث العموم الزراعة، وقد يربون بعض المواشي والحيوانات كالغنم والماعز والإبل والحمير والخيل، أو قد يقومون ببعض الحرف والصناعات البيتية والمحلية لسد حاجاتهم المحدودة.

أما أهل الوبر فإنهم رعاة يعتمدون في حياتهم على تربية الماشية، وخاصة الأغنام والإبل ويقيمون عادة حول الآبار، ويتنقلون موسمياً إلى حيث يتوفر الكلأ، وخاصة في فصل الربيع، ويكون محور مقامهم منطقة الآبار التي يستقرون فيها في الصيف والشتاء، والغالب أنهم يقيمون في بيوت من الشعر، ومن هنا جاءت تسميتهم «أهل الوبر» وقد يُسمّون «أهل البادية».

وكثيراً ما يكون أهل البادية جماعة متميِّزة عن أهل المدر، فيذكر في المصادر أن المكان الفلاني أهلُهُ من العشيرة الفلانية، وأن باديتهم من عشيرة

أخرى قد تكون بعيدة في النسب عن عشيرة أهل المدر، والغالب أن العلاقة تكون وثيقة بين أهل المدر ومَنْ يُحيط بهم من أهل الوبر، وذلك لاشتراكهم في المصالح، وأغلب المنازعات تحدث بين سكان المناطق الواسعة وبين القبائل الكبيرة.

والعلاقات الثقافية وثيقة بين أهل المدر وأهل الوبر من سكان المنطقة الواحدة، لأنهم مرتبطون بالنَّسب وبالاتصالات المستمرة، فضلاً عن اللغة والمثل الاجتماعية والأخلاقية المتشابهة، غير أن سكنى أهل الوبر في البادية وتنقلهم يجعلهم أكثر عزلة وأوغل في البداوة وما تشمله من عدم الثبات والاستقرار اللذين لهما تأثير كبير في المواقف والأحوال السياسية، ولذلك فإن أهل الوبر يُسمون أيضاً «الأعراب» وهم مرتبطون بالبادية. وكان لوضعهم هذا أثرٌ كبير غير جيد من الإسلام ودولته، ونزلت عدة آيات تعيب مواقفهم **﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألَّا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾** (التوبة ٩٧).

﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تُؤْمِنُوا ولكن قُولُوا أسلمنا ولَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ في قُلوبِكم﴾. (الحجرات ١٤).

والعربي يعتز بذاته ويعتد بفرديته، ولكن المجتمع الذي يعيش فيه، سواء كان من أهل المدر أو أهل الوبر، يقتضي أن يتميز بعض ذوي المواهب والخصائص في مجتمعهم مهما كان محدوداً، فتكون لهم مكانة خاصة تقررها تصرفاتهم ويقربها أقرانهم، ثم يصبحوا بالتدريج رؤساء يوجهون جماعتهم وقد يتكلمون عنهم، وتستقر مكانتهم بالاعتراف الضمني وليس بالانتخاب الشكلي، ويختلف مدى امتداد سلطان هؤلاء الرؤساء، فقد يكون مقصوراً على جماعة محدودة تقيم معه، أو قد يمتد إلى كل المدرة، أو كل القبيلة الواسعة. غير أن ذوي السلطان الواسع على القبيلة كلها عددهم محدد، وهم أشبه برؤساء جمهوريات، والغالب أنهم لا يسودون إلا بعد تقدم العمر، وتتوقف أعمالهم من حيث طبيعتها ومداها على تصرفاتهم الشخصية.

عشائر الحجاز:

ينقل البكري عن محمد بن عبدالملك الأسدي «الحجاز اثنتا عشرة داراً، المـدينة وخيبر، وفدك وذو المروة، ودار بلى، ودار أشجع، ودار مزينه، ودار جهينه، ودار بعض بني بكـر بن معاوية، ودار بعض هوازن، وجل سليم، وجل هلال»[1].

ويلاحظ أن المقصـود بالحجـاز هنا هو مرتفعات السراة العريضة التي تفصل بين تهامة، وهي المنخفضات الساحلية، وبين الهضبة الكبرى في شبه جزيرة العرب، وهي نجد. وهي لا تصل في حَدِّها الجنوبي إلى مكة.

إن هذه هي تقسيمات جغرافية عامة واسعة، ويمكن اتخاذها دليلاً، ولكن لا يمكن الاقتصـار عليها عند دراسة التطورات السكانية وتاريخها، حيث أن بعض قبائل الحجاز امتدت مساكنها إلى تهامة ونجد، والعكس صحيح أيضاً، وأن دراسة التاريخ تقوم على دراسة أحوال السكان وحركاتهم بالدرجة الأولى.

ويلاحظ أن نص الأسدي الذي أوردناه أعلاه، ذكر صنفين من الديار: أحدهما أماكن جغرافية هي المدينة، وخيبر، وفدك، وذو المروة، ولم يُشر إلى سكانها، كما أنه لم يُسمّها دُوراً، والآخر هي ديار قبائل. ولا ريب في أنه عدّد فيها القبائل الرئيسة، وأغفل ذكر قبائل يتردد ذكرها في أخبار سيرة الرسول ﷺ.

وينقـل البكـري عن عمـر بن شبة بعد كلام طويل عن تاريخ حركات العشائر في المناطق الغربية من الجزيرة ثم يقول: «وجاء الله عز وجل بالإسلام وقـد نزل الحجـاز من العرب أسد، وعبس، وغطفان وفزارة، ومزينة، وفهم، وعدوان، وهذيل، وخثعم، وسلول، وهلال، وكلاب بن ربيعة، وطيء، وأسد وطيء حليفان، وجهينة»[2].

ويلاحظ أنه اقتصر على ذكر قبيلتين ممن ذكرها الأسدي، وهما مزينة

---

١ ـ معجم ما استعجم ١٠.

٢ ـ معجم ما استعجم ٩٠.

وأشجع، وأضاف إليهما قبائل أخرى تقيم في جنوبي مكة، وفي شمال شرقي الحجاز.

وذكر البكري في أماكن أخرى من مقدمة كتابه بعض القبائل التي تسكن السَّراة في جنوب مكة[1].

ومن مجمل المعلومات المفصلة والمتفرقة التي أوردها البكري، والتي أوردتها كتب السيرة والجغرافية، يمكن استخلاص الصورة التالية عن القبائل التي كانت تسكن في الحجاز والمناطق الغربية من شبه جزيرة العرب.

عشائر شمالي الحجاز:

إن الأراضي الواقعة في شمالي المدينة بينها وبين بلاد الشام أراضٍ وعرة قليلة المياه والمراعي، والسكان، وأبرز العشائر فيها أشجع، وأسد، وغطفان، وثعلبة، وعذرة، وكانت موغلةً في البداوة، ولم تكن لها علاقات وثيقة مع قريش، وإنما كانت لها صلة بخيبر وطيء، فكونت بينها حلفاً، غير أن عيينة بن حصن رئيس فزارة فسخ الحلف وأخذ يعمل لحسابه دون أخذ رأي الآخرين، ولكن يبدو أنه احتفظ بعلاقة طيبة مع بني أسد.

وأبرز قبيلة تقيم في شمالي المدينة هي أشجع، وكانت ديارها تمتد إلى منتصف الطريق إلى تيماء، وهي تكوّن أكثر سكان فدك[2] وتشارك جهينة في سكن الأشحذين[3] كما أنها تشارك مرة سكنى عيتد[4] ومع ذبيان في سكنى

---

١ ـ معجم ما استعجم ٥٣، ٥٨ ـ ٦٦، ٩٠.

٢ ـ انظر عن هذه الأماكن البكري ٣٦٧، ٩١٥، ياقوت ٢ / ٢٥٠، ٣ / ٥٥٤، ٤٦٩، ٢ / ٧١٩

٣ ـ ياقوت ٣ / ٢٢٣، ٧٤٧، ٢ / ٧٥٦، البكري ٩٨١.

٤ ـ ياقوت ١ / ٤٠٧.

ذبال[1] ومع عبس في سكنى حبيب[2].

وفي الشمال من أشجع كانت ديار عذرة وهي أكبر عشائر تلك المنطقة، وكان «فيهم العدد والشرف، ومنهم رزاح بن ربيعه أخو قصي لأمه وفيهم كان بيت بني عذرة[3]، وكانت منازلها تمتد شمالاً إلى أطراف الشَّام، ومن منازلها حسمي وتبوك ووادي القِرى وقد ذكر ياقوت عدداً من الأماكن في ديار عذرة دون أن يحدد مواقعها، وأورد البكري عن السكوني محطات الطريقين بين المدينة وتيماء، وأولهما يسير من المدينة إلى الصهباء فاشحذين، فالعين، فالجباب فتيماء، وأما الثاني فيمر من المدينة إلى البيضاء فبطن أضم، فعش، فمطرانين، فتيماء ويذكرأن المحطة الثالثة في كل من الطريقين (العين وعش) هي لعذرة.

وفي الشمال من عذرة كانت منازل سعد هذيم «بوادي القرى والحجر والجناب وما والاها من البلاد».

وفي أقصى الشمال كانت قبائل من بلى تنزل شغب وبدا وهي فيما بين تيماء والمدينة وفي المناطق الشمالية الشرقية كان بنو مرة، ومن ديارهم حرة ليلى وعتائد، والحجر، ويشتركون مع غطفان في سكن طواله، وضرغد، وذرة، وعينود.

أما غطفان فإن ديارها في شمالي هضبة نجد، وتمتد أطراف ديارها إلى خيبر التي بينها وبين غطفان العوق، والرجيع، ومن ديارهم بين خيبر وجبلي طي أول، وهو على يومين من ضرغد.

وفي ديارهم يجري الثلبوت، وأواخر وادي الرمة وهو الوادي الطويل الذي يمتد في ممر ببادية البصرة فيمر في أرض بني سعد يسمونه الدهناء ثم يمر في بلاد بني أسد فيسمونه منعج، ثم يمر في دار غطفان فيسمونه الرمة ووادي الرمة «يكون مسيرة يوم تنزل أعاليها بنو كلاب، ثم تنحدر فتنزل عبس وغيرهم

---

١ - البكري ٣٤٣.

٢ - ياقوت ٢ / ٦٣٦.

٣ - ياقوت ٢ / ٨٢٢.

من غطفان، ثم تنحدر فتنزل بنو أسد.

تتكون غطفان من عدة عشائر كبيرة أبرزها فزارة وعبس فأما فزارة فكانت أبرز ديارها الابانين، وهما جبلان يمر بينهما وادي الرمة، يسمى أحدهما ابان الأبيض، والثاني ابان الأسود وهذان الجبلان يقعان شرقي الحاجر. ومن بلادهم وادي الجريب، وتمتد ديارهم إلى حمى ضرية الذي لهم فيه أحد عشر ميلاً.

وفي الأطراف الجنوبية الشرقية من ديار فزارة، كانت منازل عبس «فيما بين ابانين والنقرة وماوان والربذة»[1]، ومن منازلهم التي بقرب الرمة قطن وهو «جبل ململم يجري من ورائه عيون، كثير النخل و المياه بين الرمة وأرض بني أسد. . عن يمين النباج والمدينة بين أثال وبطن الرمة[2]»، وبالقرب من قطن وادي خو وهو يصب في ذي العشيرة الذي يصب في الرمة[3] وفي شمالي قطن يقع تياسان وهما علمان[4].

ومن منازلهم أكمة الخيمة، وبها ماء يقال له أيضارة وهي، فيما بين الرمة من وسطها فوق ابانين بينهما وبين الشمال[5].

ولبني عبس أمواه دخلت في الحمى منها ماء بحبح والبئر، وهي واسعة الجوف إلى جوف ابرق خترب[6] كما أن لهم أسافل وادي ثادق[7] وكذلك العصيم[8]، وقروري وهي بين الحاجر والنقرة[9].

---

١ ـ البكري ٧٨، ياقوت ٤ / ٤٠٠.

٢ ـ ياقوت ٤ / ١٣٩.

٣ ـ ياقوت ٣ / ٦١٢ ,

٤ ـ ياقوت ١ / ٦٠٤.

٥ ـ ياقوت ٢ / ٥١٠، ٣ / ٧٧١.

٦ ـ البكري ٨٦٦.

٧ ـ ياقوت ١ / ٩١٤.

٨ ـ ياقوت ٤ / ١٤٧.

٩ ـ البكري ١٠٦٥.

أما بنو أسد فإن ديارهم تقع في شرقي ديار فزارة وعبس[1] ويمر بها وادي الـرمـة، وهو يُسَمَّى في ديارهم منعج[2] ويمر أيضاً ثادق وهو واد ضخم يفرغ بالرمة، وأسفل ثادق لعبس وأعلاه لبني أسد لافنائهم، وعلى مسيرة يومين من الأبانين تقع هضبتا خزاز[3].

وتمتد ديار بني أسد على طريق الحاج قرب سميراء[4] ومن ديارهم إليه أبرق قرب الأجفر، والقنان[5] ومن الأماكن التي تقع بين أسد وعبس أمثال وهو حصن ببلاد عبس بالقرب من بلاد بني أسد، وقطن[6].

والأماكن التي تلتقي فيها طيء وأسد هي حساء، ووريث[7].

أما محارب فديارهما عند الجريب، وهو وادٍ يصب في الرمّة بينهما الشربة وهي التي نهايتها الجنوبية عند الحزيز[8] وحزيز محارب هو «ماء عن يسار سميراء للمصعد إلى مكة[9] وفي ديارهم أضاخ وهي من الشربة[10].

ومن أماكنهم الأقصى وهو يبعد عن الربذة بريدين، ويليه هضب البلس وهو مجمع السعاة[11] وجبل أريك وهو أحد أخيلة معدن النقرة[12].

---

١ ـ البكري ١٣٢١.

٢ ـ ياقوت ٢ / ٦٣٦، ٤ / ٦٦٦.

٣ ـ ياقوت ٢ / ٤٣٢.

٤ ـ ياقوت ١ / ٨٩٣.

٥ ـ ياقوت ١ / ٣٥٥، ٤ / ١٩٥.

٦ ـ البكري ١٠٦، ٤٤٢، ١٢٥٢، ١٠٨٣.

٧ ـ ياقوت ٢ / ٢٦٥، البكري ٦٩٠.

٨ ـ البكري ٧٩١.

٩ ـ البكري ٢٦٧.

١٠ ـ البكري ١٦.

١١ ـ ٦٣٦.

١٢ ـ ياقوت ١ / ٢٢٨.

عشائر الحجاز الأوسط:

كانت المناطق التي في الأطراف الغربية والجنوبية من المدينة تشغلها منذ القديم قبيلة جهينة، ويقول البكري «تفرقت قبائل جهينة في تلك الجبال وهي الأشعر والأجرد وقدس وآره ورضوى، وقد امتدوا وانتشروا في أوديتها وشعابها وعراضها. وأسهلوا إلى بطن أضم وأعراضه، وهو واد عظيم تدفع فيه أودية ويفرغ في البحر، ونزلوا ذا خشب وينند والحاضرة ولقفا والعيص وبواط والمصلى وبدرا وجفاف وودان وينبع والحوراء، ونزلوا ما أقبل من العرج والجنبتين والرويثة والروحاء، ثم استطالوا على الساحل وامتدوا في التهائم وغيرها، حتى لقوا بلياً وحذام بناحية حقل من ساحل ثيماء، وجاورهم في منازلهم على الساحل قبائل من كنانه، ونزلت طوائف من جهينة بذي المروه وما يليها إلى فيف»[1].

ويذكر في مكان آخر أن جهينة «نزلوا جبال الحجاز الأشعر والأجرد وقدساً وآره ورضوى وأسهلوا إلى بطن إضم»[2]. ويقول: إن أشجع ومزينة وسعد هذيم اقتطعت منها بعض الأراضي، ولكن «لم تزل جهينة في تلك البلاد وجبالها والمواضع التي حصلت لها بعد الذي صار لأشجع ومزينه من المنازل والمحَالّ التي هم بها إلى أن قام الإسلام وهاجر النبي ﷺ»[3].

وذكر كل من البكري وياقوت كثيراً من الأماكن التي وردت في نص البكري، ونسباها إلى جهينة، ومن هذه الأماكن الأشعر، والأجرد، ورضوى، واضم، وبواط، وبدر، وينبع، والصفراء، والأبواء، وذو المروة، والعرج وورقان، ومشجر، ومشعر، والقبلية. غير أن كثيراً من هذه الأماكن كانت منسوبة أيضاً إلى عشائر بارزة أكثرها من فروع جهينة.

أما ضمرة فكانت ديارها في الأطراف الجنوبية الغربية من المدينة، وأبرز أماكنهم ودّان التي كانت على ممر قوافل قريش، وقد وجه إليها الرسول ﷺ أول

---

١ ـ معجم ما استعجم ٣٧.

٢ ـ كذلك ٨ ـ ٩.

٣ ـ كذلك ٣٨.

غزواته ووادع في هذه الغزوة رئيسهم محش بن عمرو(1).

ومن أماكنهم قرب ودان المرود، ورابع(2)، والبزواء وهي «بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودان. وغيقه من أشد بلاد الله حَرّاً»(3) وتمتد منازلهم إلى الجحفة، حيث أن من مياههم كلية وهي بين الجحفة ومشلل(4) والمرود، ولهم أيضاً، جبلا ثافل الأكبر وثافل الأصغر(5)، ووادي الأثير بين بدر والصفراء، كما أن لهم شراج ربكة، والحشا، وارثد، ووادي الدوم، البغيبغة وركية، والخرار، ولهم أيضاً بواط من بطن ينبع(6).

وفي الجنوب من ديار ضمرة، كانت ديار غفار وتشمل الصفراء وبدر وتمتد إلى بعال قرب جبل عسفان، وكانت لهم أيضاً غيقة وهي بالقرب من الجار، ووادي العبابيد بين السقيا وبدر.

وكانت أسلم تسكن جبل العرج، وبين وهي على بريد من المدينه قرب السياله، وجمدان، بين قديد وعسفان، وشبكة شدخ، ومر الظهران.

أما ليث فكان من ديارها جبل شراء، وهو قرب جبل عسفان، ولهم بعض جبل نهبان، وتعهن، وذو الريان، وامج، وكلهامياه قرب السقيا. ويسكن بالكديد بنو الملوح، وهم إحدى عشائر ليث.

وكانت مزينة في المرتفعات الوسطى جنوبي المدينة، وتختلط ديارها

---

١ ـ ابن سعد ١ ـ ٢ / ٣، الطبري ١ / ٢٦٦٨.

٢ ـ معجم البلدان لياقوت ٣ / ٥٠٥.

٣ ـ معجم ما استعجم للبكري ٢٤٨، معجم البلدان ١ / ٦٠٦، وفاء الوفا ٢ / ٢٦٠.

٤ ـ معجم ما استعجم ٩٥٦.

٥ ـ عرام ٣٩٩، معجم ما استعجم ١٣٢.

٦ ـ معجم ما استعجم ١٢٢٢، ٤٤٩، ٤٦٢، ٥٦٣، ٦٥٩، ٦٦٩، ٤٩٢، ٥١١، ياقوت ١ / ١٢١.

بجهينة، فكانت تسكن جبل رضوى، وقدس، وآره وما والاها [1]، وكذلك جبال نهبان الأسفل والأعلى [2]، وثافل، وورقان [3].

ويقع في ديارهم النقيع وبعض أودية الفرع، بالإضافة إلى الوديان الممتدة بين الجبال في بلادهم وفي الجنوب من ديار مزينه كانت خزاعه تقيم في المرتفعات الواقعة في ثلث الطريق بين المدينة ومكة، وأبرز منازلهم عسفان[4]، وخيف سلام، وخيف النعم[5]، ورابغ، وقديد[6]، وامج، وغزل وذو دوران، وكلية، وهي أودية تأتي من جبل شمنصير وتجري بين هرشي والجحفة [7].

أما كنانة فكانت ديارها في المنخفضات الساحلية القريبة من مكة، وهي تمتد إلى السواحل الواقعة في الجنوب الغربي من مكة، فهي تخالط ضمرة، وغفار، وخزاعة في الشمال، وهذيل في الجنوب، وكانت معظم الوديان التي تجري من مرتفعات السراة إلى البحر أعلاه وصدورها لهذيل وأسافلها لكنانة.

ومن هذه الوديان حدثة، وحلبة، وسعيا، والعجن، ومركوب، ومعلكان، والوصيف.

ومن المرتفعات في بلادهم تضرع وتضارع، والسلام والشارق وجبل

---

١ ـ الطبري ١ / ١٢٦٩.

٢ ـ معجم ما استعجم ٨٨، ياقوت ٣ / ٦٦، ٤ / ٣٩.

٣ ـ معجم ما استعجم ١٠٥٢، ياقوت ٤ / ٣٥١.

٤ ـ معجم ما استعجم ٩٤٣، ياقوت ٣ / ٦٧٢.

٥ ـ البكري ٧٨٧، ياقوت ٢ / ٢٠٨، ٥٠٩.

٦ ـ البكري ٦٢٩، ١٠٥٥.

٧ ـ معجم ما استعجم ١٣٥٢.

الوتر. ولهم من المياه التلاعة، وحذارق ومعيط وهو «ماء في قفا ثافل»، ومن الوديان شاجن وصاري واحليل [1].

وكان في خم أناس من خزاعة وكنانة [2]، وودان «لضمرة وغفار وكنانة [3].

كانت ديار هذيل في المرتفعات الغربية من مكة وكانت لهم «جبال من جبال السراة، ولهم صدور أوديتها وشعابها الغربية، ومسيل تلك الشعاب والأودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها، وجيران هذيل في جبالها فهم وعدوان» [4].

وديار هذيل في المرتفعات، أما الأراضي المنخفضة الساحلية فكانت لكنانة، وقد ذكرنا أسماء الأودية التي أعاليها لهذيل وأدانيها لكنانة.

ومن منازل هذيل العرج، وشمنصير، والجرف في مدان وغمران بعسفان وكبكب، وذو المجاز وهو «خلف كبكب» نخله اليمانية، ونخلة الشامية، والمراخ وهي بين النخلتين [5].

ومن أبرز عشائر هذيل هم بنو لحيان [6]، ومنهم سدنة سواع في رهاط [7] وكانت من منازلهم عسفان [8]، وكان من منازلهم غران وهو وادٍ بين امج وعسفان ويمتد إلى سايه [9]، ومن منازلهم ذو دوران وهو واد يأتي من شمنصير [10] ومن

---

١ ـ النظر عن مواقعها ياقوت.

٢ ـ ياقوت ٢ / ٤٧١.

٣ ـ ياقوت ٤ / ٩١٠.

٤ ـ البكري ٨٨.

٥ ـ انظر عن كل منها ياقوت

٦ ـ البكري ٤٩٩.

٧ ـ ياقوت ٣ / ١٨١.

٨ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٣٩ ابن هشام ٣ / ١٦١ ياقوت ٣ / ٦٧٣.

٩ ـ ياقوت ٣ / ٧٨٢، ١٠٤٦ البكري ٩٩.

١٠ ـياقوت ٢ / ٦١٤، ٣ / ٦٧٣.

منـازلهم الهدة، وهي بين عسفان ومكة، وفي صدرها الرجيع[1] ومن منازلهم رخمة والهزوم والبان[2].

كانت ديار خزاعـة في المـرتفعـات الـواقعة في ثلث المسافة بين مكة والمدينة وأبرز ما في منازلهم عسفان[3]، وبقربه خيف سلام «فيه منبر وناس كثير من خزاعة ومياهها قنى، وباديتها قليلة من جشم وخزاعة»[4]، وكذلك خيف النعم، وهو أسفل خيف سلام «وأهله غاضرة وخزاعة ونجّار بعد ذلك»[5].

ومن ديارهم «غزال وذو دوران وكلية، وهي أودية تأتي من شمنصير وتمر بالطريق بين هرشي والجحفة، وتقع كلية جنوب الغرابات، ومن منازلهم رابغ والالحاح وقديد، وشنابك وهي بين قديد والجحفة، وامج، وعيود، والغرابات، والنبضـاء، وشنـابـك، وشـطبا، وشقرا، وعلايل، وعبعب، والكديد والوتير، ويشتركون مع كنانة في وادي ضم، ومع ضمرة في وادي الحشا[6]. ولهم المريسيع[7].

---

١ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٣٩ ابن هشام ٣ / ١٦١ الطبري ١ / ١٤٣٤ البكري ٦٤١، ٩٩٣.

٢ ـ ياقوت ٢ / ٧٧١، ٤ / ١٩٧.

٣ ـ ياقوت ٣ / ٦٧٢ البكري ٩٤٣.

٤ ـ ياقوت ٢ / ٨ البكري ٧٨٧.

٥ ـ ياقوت ٢ / ٥٠٥ البكري ٧٨٧.

٦ ـ انظر ما ورد عن كل منها في ياقوت.

٧ ـ البكري ١٢٢٠.

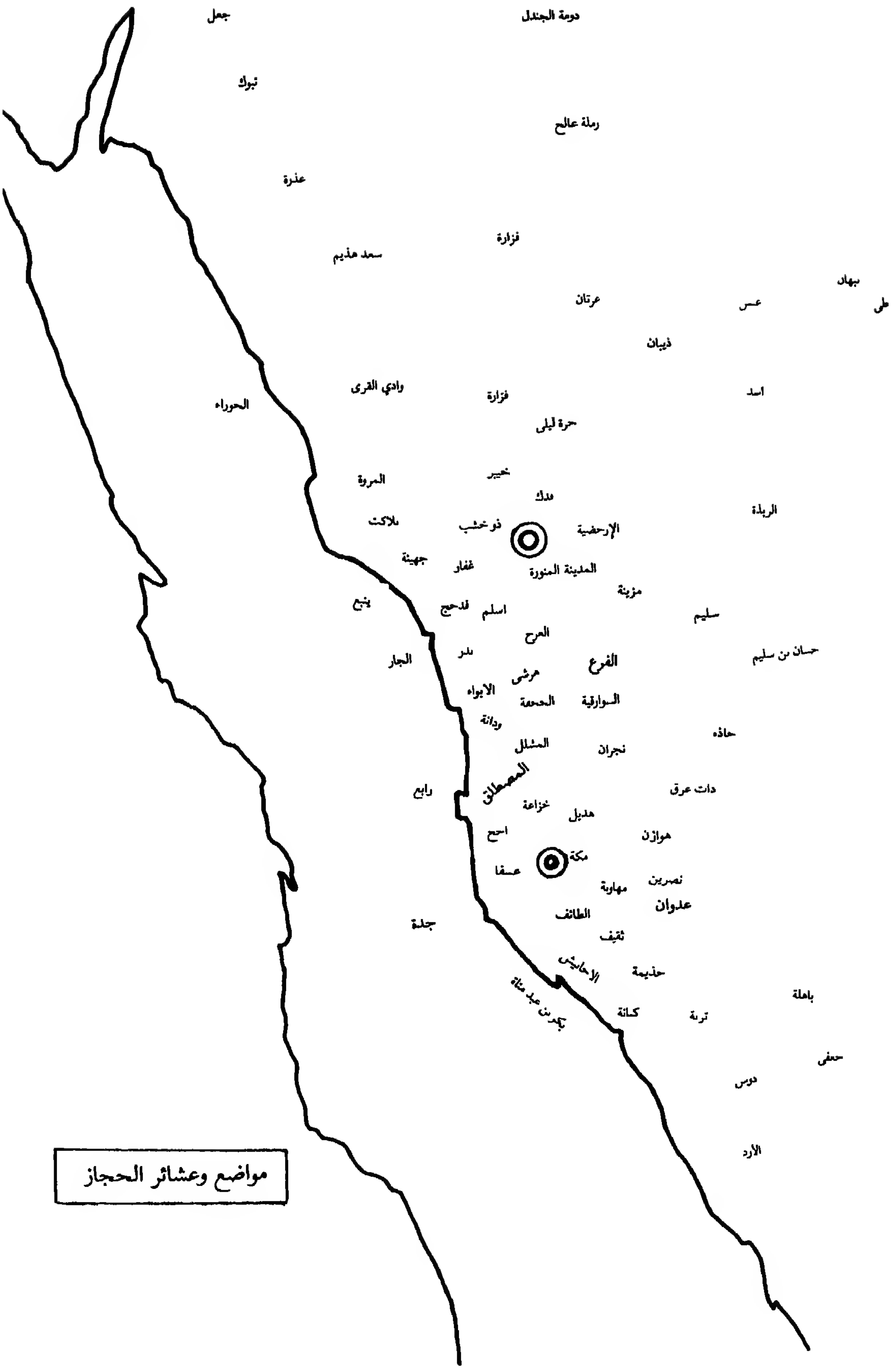

مواضع وعشائر الحجاز

الفصل الثامن

طرق المواصلات في الحجاز

١ - طرق المواصلات القديمة:

كانت في الحجاز عنـد ظهور الإسلام عدة مراكز تجمعات بشرية، ينتج بعضها ما يفيض عن حاجته، في حين أن بعضها لا يسد حاجته، ويتحتم عليه استيراد ما ينقصه ويحتاجه من مناطق أخرى، وهذا يتطلب إما تنظيم السفر بين المناطق المنتجة والمناطق المستهلكة، أو إنشاء أسواق موسمية أو سنوية، يردها الناس سالكين طرقاً تربط مناطقهم بتلك الأسواق، يضاف إلى ذلك وجود مراكز دينية، يزورها الناس، ويحجون إليها من مناطق نائية، مما يتطلب أيضاً وجود سبل مسلوكة بين هذه المراكز وبين المناطق التي يسكنها عباد آلهة تلك المراكز.

كل هذه العوامل تحتم وجود طرق مواصلات منظمة، تربط بين المناطق المنتجة والأسواق، وبين المراكز الدينية مع المناطق الأخرى، ومما لا شك فيه أن هذه الـطرق محلية، وهي تسلك السُّبُـل التي تتـوفر فيها المياه وتقل فيها العقبـات والصعـوبـات. ومـع أننـا نعلم بعض هذه الأسواق والمراكز الدينية والمناطـق المنتجة، غير أننا لا نعلم - بتفصيل ودقة - المناطق التي تتعامل مع هذه المحلات، ولا مدى الاتصالات وكميتها وانتظامها، لكي نبتّ في أمر طرق المواصلات الداخلية التي كانت موجودة في الحجاز.

ثم إن الحجـاز كانت له صلات تجـارية بالمنـاطق المجـاورة الأخرى كاليمامة والبحرين والعراق والحبشة واليمن وبلاد الشام، و تشير الكتب إلى أن

هذه الصلات قديمة وهي تربط مصالحه بمصالح البلاد والأقاليم الأخرى الغنية، ولما كان حجم هذه التجارة غير ضئيل، فقد كان لا بد من زيادة الاهتمام بالمواصلات.

في كتب التاريخ إشارات إلى الصلات التجارية التي كانت بين الحجاز والأقاليم الأخرى، وخاصة عند ظهور الإسلام، غير أن معلوماتنا عن طرق القوافل ومسالكها ضئيلة إلا التي كانت تسير إلى اليمن حيث كانت تمر بنخلة التي أرسل إليها الرسول ﷺ سَرِيَّة هي من أوائل سراياه، فهاجمت قافلة قرشية قادمة من جهة اليمن، وظفرت بأحمالها ولكن المعلومات التي عن هذه الغزوة لا تبين الطريق الذي كانت تسلكه القافلة، ولا الطريق الذي سلكه المسلمون، بل كل ما تثبت هو أن نخلة كانت تقع على طريق القوافل.

أما طريق القوافل إلى بلاد الشام فلدينا عنه تفصيلات أوفى، لأنه كان يمر قريباً من المدينة، فتعرض لغزوات الرسول ﷺ أكثر من غيره، وكان هذا سبباً لتقديم معلومات أوفى عنه.

من الأماكن التي ذكرت في كتب السيرة وهي ذات علاقة بالقوافل القرشية التي تسير بين مكة والشام:

١ - ودَّان: وكانت إليها أول غزوات الرسول ﷺ وتسمى أيضاً غزوة الأبواء. وذكر ابن هشام أنه وادع فيها بني ضمرة[١] أما ابن سعد فيقول: إن الرسول ﷺ خرج إليها يعترض عيراً لقريش، وأنه وادع فيها بني ضمرة، كما يضيف أن بين ودان والأبواء ستة أميال[٢].

٢ - ثنية المَرَة: حيث أرسل سرية لقيت جمعاً عظيماً من قريش فلم تصطدم بهم[٣] ويضيف ابن سعد أن المسلمين لقوا أبا سفيان ومن معه «وهو

---

١ - سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٢.

٢ - الطبقات ٢ / ٨.

٣ - سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٣.

على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة، وأنت تريد قُديداً عن يسار الطريق ليرعوا إبلهم[1].

٣ ـ سيف البحر من ناحية العِيص: وقد غزاها النبي فلقي أبا جهل مع ثلاثمائة من أهل مكة فحجز بينهم مجديُّ بن عمرو الجهني وكان موادعاً للطرفين[2] وقد أرسل إليها الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة زيد بن حارثة[3].

٤ ـ بواط: غزاها النبي ولم يلق فيها كَيداً[4].

٥ ـ الخرّار: من أرض الحجاز وقد غزاها سعد بن أبي وقاص مع عدد من المهاجرين[5] ويقول ابن سعد «والخرار حين تروح من الجحفة إلى مكة آبار عن يسار المحجة قريب من خم[6].

كل هذه الغزوات والسرايا كانت موجهة إلى الأطراف الغربية من إقليم الحجاز، وقد أشارت المصادر إلى أنها كانت موجهة ضد قريش وقوافلها مما يحمل على الاعتقاد بأنها كانت على طريق القوافل القرشية إلى بلاد الشام.

والحق أن هذه ليست الغزوات الرئيسية التي قام بها أو وجهها الرسول ﷺ نحو المناطق الغربية، فهناك غزوات أخرى كغزوة الرَّجيع الذي هو «ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدر الهدة[7] وهي على سبعة أميال منها (الرجيع) وعلى سبعة أميال من عسفان[8] وهي غزوة ثأرية من عضل والقارة الذين اعتدوا

---

١ ـ الطبقات لابن سعد ٢ ـ

٢ ـ سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٩.

٣ ـ طبقات ابن سعد ٢ / ٨٧.

٤ ـ سيرة ابن هشام ٢ / ٢٣٤.

٥ ـ كذلك ٢ / ٢٣٨.

٦ ـ الطبقات ٢ ـ ١ / ٧.

٧ ـ سيرة ابن هشام ٢ / ١٦١، ابن سعد ٢ / ٥٥.

٨ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٥٥.

على بعض القوات الإسلامية، وغزوة بني المصطلق على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قُديد إلى الساحل[1] والمريسيع: بينها وبين الفرع نحو من يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد[2] وكلها غزوات ثأرية لا علاقة لها بقريش وقوافلها ولذلك لا تفيد في معرفة طرق القوافل القرشية.

قدمت كتب السيرة تفاصيل عن أسماء المواقع التي تقع على الطريق الذي سلكه بين المدينة وبدر عند الكلام عن غزوة بدر الكبرى، وعن غزوة ذي العشيرة، كما ذكرت تفاصيل عن طريق الرسول إلى تبوك والطريق الذي سلكه عند الهجرة إلى المدينة.

وهذه الأماكن إذا افترضنا صحة المعلومات التي قدموها وأنهم لم يذكروا فيها الأماكن التي عرفت عن الطريق بعد الإسلام، فإن نصوصهم لا تستلزم أن تكون الطرق التي سلكها الرسول ﷺ هي نفس الطرق التي تسلكها القوافل التجارية خاصة وأن ظروف الرسول ﷺ عندما سلكها، كانت ظروفاً خاصة حاول في بعضها التخفي وتجنب الطرق العامة كيما يباغت خصومه، وقد ذكر صراحة عن الطريق الذي سلكه للهجرة انه تجنب الطريق المألوف.

كما أن الطريق بين المدينة وتبوك يمكن اعتباره طريقاً داخلياً، لأن قوافل التجارة لم تكن تمر بمكة.

ولا بد من القول أن الرسول ﷺ وجه عدة غزوات وسرايا إلى أماكن وعشائر في غربي المدينة ومن ذلك إلى قرقرة الكدُر، وفيها بنو سُليم[3] وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سدّ معاوية[4] وذي أمر، وفيها

---

١ ـ ابن هشام ٢ / ٢٣٢.
٢ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٦٣.
٣ ـ ابن هشام ٢ / ٤٢١.
٤ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٣١.

غطفان[1] والفُرع ناحية بُحران[2] والفردة من أرض نجد بين الرُّبذة والغمرة ناحية ذات غرق يعترض لعير قريش[3] وإلى حمراء الأسد وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحلَيْفة إذا أخذتها في الوادي[4].

وإلى قطن «وهو جَبَل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمة»[5] وبئر مَعونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة سُليم، وكلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرَّة بني سليم أقرب[6].

وذات الرقاع وهو جبل فيه بقع حمر وسواد وبياض قريب من النُّخَيْل بين السَّعْدية والشُّقرة[7] وغزوات أخرى - ليس هذا محل تفصيلها.

وفي كتب السيرة إشارة إلى الطرق الرئيسية : -

١ - لقد ذكر ابن سعد طريق الرَّبْذة ويقع عليه ذو القصة «موضع بينه وبين المدينة ٢٤ ميلاً والمراض «على ٣٦ ميلاً من المدينة[8].

٢ - جادة العراق: وكانت تقع عليه الفردة من أرض نجد بين الربذة والغمرة وذات عرق[9].

٣ - المحجة : فيقول ابن سعد «المراض دون النخيل على ٣٦ ميلاً من المدينة طريق البصرة على المحجة[10]، ولما كانت المراض على طريق الربذة فيمكن القول بأن هذا هو طريق المحجة.

---

١ - ابن هشام ٢ / ٢٢٥.
٢ - ابن هشام ٢٩ / ٤٢٥، ابن سعد ٢ - ١ / ٣٥.
٣ - ابن سعد ٢ - ١ / ٣٦.
٤ - ابن سعد ٢ / ٤٩، ابن هشام ٢ / ٥٣.
٥ - ابن سعد ٢ - ١ / ٢٠.
٦ - ابن هشام ٣ / ١٨٤، ابن سعد ٢ - ١ / ٥١.
٧ - ابن سعد ٢ - ١ / ٥١
٨ - ابن سعد ٢ - ١ / ٨٥، ٣٦.
٩ - التنبيه والاشراف ٢١.
١٠ - ابن سعد ٢ / ٨٧.

كما يذكر «تُربان فيما بين ملل والسيالة على المحجة»[1].

٤ ـ سنن الطريق: ففي سرية ذي قرَد وكان القائد «أبو سلمة المخزومي» نكب عن سنن الطريق وسبق الأخبار وانتهى إلى أدنى قطن[2].

أما الطرق بين مَكَّة والشام فقد أشارت كتب السيرة إلى بعضها: ـ

١ ـ فإن الرسول ﷺ عندما توجه إلى بدر، سار من المدينة إلى المنصرف، حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية، ثم مر بعدة أماكن حتى وصل شنوكة «وهي الطريق المعتدلة»[3].

ولا بد أن بدراً كانت تقع على ذلك الطريق، وأن المدينة كانت نائية عنه، ولعل بواط كانت تقع عليه ولهذا أرسل إليها الرسول ﷺ سرية[4].

٢ ـ طريق الساحل. فلما علم أبو سفيان بوصول النبي ﷺ إلى بدر حوّل طريق القافلة، فساحلت العير[5] فلزموا الساحل[6].

ويسمى هذا الطريق طريق المُعْرقة «وهي طريق كانت عير قريش تسلكه إلى الشام على الساحل، وفيه سلكت عيرهم حين كانت وقعة بدر، وفي حديث عمر أنه قال لسلمان: «أين تأخذ إذا صدرت: أعلى المعرقة أم على المدينة»[7].

وطريق المعرقة تختصره العرب إلى الشام وإلى مكة «وهو بين جبلي رَضوى وعزور[8] ولا نعلم أين يتصل هذا الطريق بالآخر، وإن كنا نعلم أن طريق

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١٥٤/١ .

٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ٢٠/١ .

٣ ـ ابن هشام ٢٥١/٣، ياقوت ٣٣٠/٣، وفاء ٣٣١/٢.

٤ ـ الطبري ٢٦١/١، التنبيه والاشراف ٢٠٢ .

٥ ـ ابن سعد ٢ ـ ٢٧٨/١ .

٦ ـ الطبري ٢٦٧٠/١ .

٧ ـ البكري ٢٤٣ .

٨ ـ البكري ٢٥

التجار إلى الشام يمر بالتجبار وهو موضع بين حورة السفلى وبين منخوس[1] وقد أرسل إليه الرسول ﷺ طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد يترصدان عير قريش، وفيها أبو سفيان[2] ولعل على هذا الطريق يقع العِيص الذي هو عند ساحل البحر وقد أرسل إليه الرسول حمزة أول سرية لترصد عير قريش[3].

والعِيص «من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام[4]. وكانت تقع عليه الحوراء[5].

طريق الشمال:

إن الطريق الذي بين مصر وفلسطين وبين مكة كان في القرن الرابع الهجري يسير إلى أيْلة، ثم إلى مَدْيَن ومنها يتفرع فرعين (أحدهما إلى المدينة على بدا وشغب قريتان بالبادية كان بنو مروان أقطعوهما الزهري وبها قبره، حتى ينتهي إلى المدينة على المروة، وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة فيجتمع بها طريق أهل العراق، وفلسطين ومصر[6].

وفي ياقوت أن الجحفة هي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحلُيفة[7].

ويبدو أن هذا الطريق هو الذي كان في زمن النبي ﷺ فيروي البكري «وثبت أن رسول الله ﷺ قال مهلّ أهل الشام من الجحفة ومهلّ أهل المدينة من ذي الحلَيْفة»[8].

---

١ - كذلك ٩٥٦ - ٧.

٢ - كذلك ٦٥٦.

٣ - ابن سعد ٣ - ١ / ٤؛ الطبري ٣ / ٣٦٩.

٤ - ابن هشام ٣ / ٣٧٣.

٥ - ابن سعد ٣ / ٣٧٨.

٦ - ابن حوقل ١ / ٤٠، معجم البلدان ٤ / ٤٦٨.

٧ - معجم البلدان ٢ / ٣٥.

٨ - معجم ما استعجم ٣٦٩.

غير أن الطريق بين المدينة ومكة لم يظل ثابتاً بعد زمن الرسول، فيروي السمهودي عن المطري: (وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف مسجد الغزالة كانت طريق النبي ﷺ إلى مكة على يساره مستقبل القبلة وهي الطريق المعهودة قديماً، ثم السُّقيا، ثم تنية هرشا وهي طريق الأنبياء)، قال: «وليس بهذا الطريق اليوم مسجد يعرف غير هذه الثلاثة مساجد يعني سوى مسجد ذي الحليف قلت: سببه هجران الحجاج لهذا الطريق وأخذهم من طرف الروحاء على النازية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر وذكر لي بعض الناس ممن سلك تلك الطريق أن كثيراً من مساجدها موجود»[1].

ويقول السمهوري «وذكر الأسدي: أن ودَّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ينزل به من لا ينزل الأبواء فمن أراده رحل من السُّقيا إليه، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع، وبركة قديمة، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هَرْشا بينها وبين ودان خمسة أميال وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل.

قلت وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل ودَّان وهي معطشة لا ماء بها إلا ما يحمل من بدر إلى رابغ[2].

ويذكر السمهودي «أن هرشا هي طريق حاج المدينة اليوم، لكن تكون هرشا على يسارهم لأنهم يسيرون في الخبت وودان أسفل منها إلى رابغ، فإنها كانت ملتقى الطريق قديماً ولها طريقان وكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد[3] و «هرشا ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة»[4].

٣ ـ طريق نجد الذي تمر بالقردة وكانت تمر به قوافل قريش، وقد أرسل رسول الله إليها سرية بقيادة زيد بن حارثة اعترضت إحدىٰ القوافل[5] ويذكر

---

١ ـ وفاء الوفا ١ / ١٦٨.
٢ ـ كذلك ٢ / ١٧٢.
٣ ـ كذلك ٢ / ٢٨٧.
٤ ـ كذلك ٢ / ١٧٢.
٥ ـ ابن سعد ٣ / ٢٥.

المسعودي أن زيد بن حارثة ذهب إلى «الموضع المعروف بالقردة من أرض نجد بين الربذة والغمرة وذات عرق من جادة العراق يعترض عِيراً لقريش تريد الشام فظفر بها[1].

لقد كانت مشكلة الأمن من أهم المشكلات التي واجهها أهل مكة لتأمين سير القوافل، وقد استطاعوا معالجة الأمر بالطرق الدبلوماسية، حيث عقدوا سلسلة من الاتفاقيات مع القبائل التي تقع على طرق التجارة ليضمنوا بها سير قوافلهم دون أي اعتداء، وتدعى هذه الاتفاقيات «الإيلاف» وقد ذكرها القرآن الكريم في سورة خاصة.

ولعل من الأساليب الدبلوماسية التي اتبعوها أيضاً هي المصاهرات التي تمت بين عدد من ذوي النفوذ من قريش وشخصياتها مع رجال من القبائل التي تقع دارها على هذه الطرق، وفيما عدا ذلك ليست لدينا إشارات إلى التدابير التي اتخذت فيما يتعلق بطرق المواصلات.

تطور أحوال الطرق بعد الإسلام

ولما ساد الإسلام في الحجاز والجزيرة انتشر الأمن والاستقرار وتوقفت الغزوات، ولكن الحاجة إلى طرق المواصلات ازدادت لأسباب متعددة منها:

١ ـ حركات الجيوش، فقد كانت في الحجاز قاعدة الدولة الإسلامية، ومنه توجهت معظم الجيوش التي قامت بالفتوح الأولى، وقد ظلت حركة الجيوش حتى بعد إنشاء الأمصار الإسلامية، لأن البعوث استمرت ترسل من الحجاز إلى عدد من ميادين القتال، كما أن كثيراً من البعوث أو أفراد المقاتلة كانوا يعودون بعد إنجاز الحملات إلى أهاليهم في الحجاز فلا يجمرون في الثغور، يضاف إلى ذلك أن الاضطرابات التي حدثت في الحجاز في العصرين الأموي والعباسي كثورة المدينة وثورة ابن الزبير وثورة محمد النفس الزكية

---

١ ـ التنبيه والاشراف ٢١٠.

استلزمت إرسال قوات عسكرية كبيرة لإخمادها ونشر الأمن، هذا فضلاً عن بعض الغزوات التي جاءتها من بعض الثوار كالخوارج وغيرهم وكل هذا كان يستلزم العناية بالطرق لتضمن تسهيل تحرك الجنود وهدايتهم فيها.

٢ ـ الحاجات الإدارية، فإن نشوء الدولة الإسلامية قد رافقته تنظيمات مالية خاصة للصرف على أهل الحجاز فمن ذلك جباية الصدقات من الرعاة البدو الذين كانوا منتشرين في مناطق متعددة، وقد استلزمت هذه الجباية تقرير طرق معينة يسلكها الجباة يتوفر فيها اليسر والسهولة لملاقاة أكبر عدد ممن عليهم دفع الصدقات بأيسر وأقصر ما يمكن، وهكذا نشأت طرق خاصة للمصدقين، نجد وصف بعضها عند البكري وياقوت.

ثم إن الحجاز أصبح خاضعاً لدولة واسعة موحدة تفرض عليه نظاماً إدارياً معيناً لضمان الأمن والجباية وغيرها الأمر الذي استلزم تقسيم الحجاز إلى عدة أقسام إدارية، وهي تقتضي طرقاً تربط بين مركز الولاية وبين أقسامها التابعة لها.

٣ ـ حاجات السكان، فإن توسع الدولة الإسلامية قد رافقه انتعاش مادي في عدد غير قليل من المناطق، فظهرت أو نمت عدة مناطق كانت «خامدة» فيما مضى وأخذت تنتج مقادير طيبة من المنتجات الزراعية والمعدنية، وقد أقام كثير من ملاكي هذه المناطق المنتجة فيها ولكنهم لم يقطعوا صلاتهم بمقرات الادارة فكان هذا دافعاً للاهتمام بالمواصلات ولتشعبها وتعددها.

٤ ـ الحج، فقد أصبح في الحجاز مركزان مُقدَّسان هما مكة التي يعتبر الحج إليها من أركان الإسلام الخمسة، والمدينة التي قضى فيها الرسول ﷺ السنوات العشر الغنية الأخيرة من حياته ثم دفن فيها، كما عاش وثوى فيها كثير من الصحابة الأولين، ومع أن مراكز العبادة القديمة قد أزيلت إلا أن مكة لم يعد الحج إليها واجباً مقصوراً على عدد محدود من العرب، بل أصبح واجباً على كل القادرين من كافة المسلمين الذين انتشروا بعد تكوين الدولة الإسلامية من أواسط آسيا حتى الأطلسي وكان عددهم في تزايد مستمر.

إن المكـانـة الكبيرة للحج في الدين الإسلامي، وأثر الحج في جلب الناس، والدعاية، وحرص الخلفاء على الاستفادة منه لأغراض سياسية جعلهم يهتمون بكل ما يتعلق بالحجاز وتوفير الراحة لهم، ومن ذلك اهتمامهم بالطرق التي كان يسلكها الحجاج فعنوا بها من حيث إزالة العقبات ووضع العلامات وغير ذلك مما سنفصله.

ومن الطبيعي أن تنصب العناية على الطرق الرئيسية التي تربط الحجاز بالأقـاليم الأخـرى وهي ستـة، مصر (والمغرب) بلاد الشام، الكوفة (العراق وشمال إيران) البصرة (وجنوب إيران) اليمامة (وشرقي الجزيرة) اليمن (وجنوب الجزيرة).

٥ ـ التجارة: فإن ظهور الامبراطورية الإسلامية قد أدى إلى نشر الأمن والسلم وإزالـة الحدود وما يتبعها من عراقيل في وجه التبادل التجاري، وإلى حرية العمـل والنشاط في الميادين الاقتصادية، وأخذ الحجاز بفضل خبرات أهله ونشاطهم يحتل مكانته باعتباره إقليماً يتركز فيه أعظم النشاط الاقتصادي، حيث أخذت الأموال تنصب فيه، وزادت الثروة، وارتفع مستوى المعيشة، وزاد البـذخ في الصـرف، فضـلاً عن أن صلات الحجـازيين بمختلف أجـزاء الامبـراطورية ساعد على عقد الصفقات الكبيرة فزادت أهمية الحجاز كمركز تجـاري ومـالي، وصـارت السلع تأتيه من مختلف الأقاليم وازدادت منتجات خراسـان والشـرق الأقصى وبقية الأقاليم فيه. وتطلب كل ذلك العناية بطرق المواصلات خاصة، وأن كثيراً ممن كان يقوم بالتجارة هم ممن لهم صلة وثقى بالحاكمين مما يمكن أن يؤثروا عليهم.

٢ ـ طريق المدينة ـ مكة ومحطاته في العهود الإسلامية الأولى

لا ريب في أن الـطريق بين مكة والمدينة هو أهم الطرق التي تخترق الحجـاز في العصـور الإسـلامية، وذلك لأنه كان يصل بين هاتين المدينتين المقدستين مما كان على العدد الكبير من الحجاج أن يسلكوه سنوياً بالإضافة إلى من كان يقوم بزيارة المدينتين لأغراض دينية أو تجارية أو خاصة، ومما لا شك فيه أن كثيراً ممن كانوا يسلكونه، هم من العلماء أو ممن يحبون الاطلاع على الأماكن التي مر بها النبي ﷺ أو أقام فيها، ولما كان الرسول ﷺ قد سلك هذا الطريق في هجرته وحَجِّه ومر ببعضه في كثير من غزواته، فلا بد أن تكون صلة الـرسول ﷺ به مما يثير اهتمام عددٍ كبيرٍ من الناس الذين يتشوقون إلى الاطلاع شخصياً على الأماكن التي مرّ أو صلّى أو أقام بها الرسول ﷺ، أو كانت لها علاقة به.

وقد أدت الأهمية «الدينية» لهذا الطريق إلى تأكيد كثير ممن كتبوا عن هذا الطريق على الأماكن التي لها صلة بالرسول ﷺ. وعلى ثبات أسماء كثير من هذه الأماكن، الأمر الذي يولد صعوبة في تتبع التطورات التي حدثت على كل من هذه الأماكن عبر الزمن. على أن مما يخفف أثر هذه الصعوبة هو أن معظم محطات الطريق تقوم على الآبار أو في بطون الأودية أو في المسالك الميسرة، أي أن قيامها مستند على عوامل جغرافية في هذه المنطقة الجرداء نسبياً، والتي لم تحدث فيها عبر العصور الإسلامية الطويلة تبدلات أساسية.

إن أهمية هذا الطريق تزداد في الفترات التي تزدهر فيها الحياة الاقتصادية في هاتين المدينتين، والواقع أنه في الوقت الذي احتفظت فيه مكة بأهميتها الدينية كمركز للحج، وبأهميتها كمحطة رئيسة للقوافل البرية القادمة من اليمن،

فإن المدينة شهدت ازدهاراً كبيراً بعد الهجرة، حيث ساد الأمن وتزايد عدد السكان، ووجدت دوافع جديدة للنشاط والعمل، فلما قامت الفتوح واتسعت الدولة الإسلامية ازداد ازدهار الحياة الاقتصادية في المدينة، وظل النشاط قائماً فيها حتى بعد أن انتقل مقر الخلافة إلى الشام في زمن الأمويين وإلى العراق في زمن العباسيين، إذ أن تحويل الخلفاء مقرهم منها لم يؤد إلى هجرة أهلها، فظلت مركز الحياة الفكرية ومن أكبر مراكز الحياة الاقتصادية، وساعدها على ذلك اهتمام الخلفاء بها وبأهلها وحرصهم على دفع العطاء لأهلها، وعنايتهم ببذل الهدايا والعطايا لرجالها.

ومن المؤكد أن هذا الازدهار استمر حتى أواسط القرن الثالث الهجري حيث بدأت عوامل تؤثر في جمود وتردي الأحوال الاقتصادية التي لها تأثير كبير في طرق المواصلات، غير أن هذا الطريق، بالرغم من أهميته الدينية والتجارية، فإن يمكن اعتباره محلياً، أما الطريق بين مكة والأقاليم الشمالية بما فيها بلاد الشام ومصر يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة[1] و (الجحفة هي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة)[2].

وكان هذا الطريق قائماً في زمن الرسول ﷺ، إذ يروي البكري «وثبت أن رسول الله ﷺ قال **مَهِلّ أهل الشام من الجحفة، ومَهِلّ أهل المدينة من ذي الحليفة**»[3].

وبالنظر لما للحج من مكانة كبيرة باعتباره أحد أركان الإسلام الخمسة، ولما له من أثر في الدعاية، فقد حرص الخلفاء على الاهتمام به وبتوفير الراحة للحجاج تدعيماً للدِّين الذي هو أساس المجتمع والدولة أو لأغراض سياسية، فكان مما عنوا به الطريق التي يسلكها الحجاج.

---

١ ـ صورة الأرض لابن حوقل ١ / ٤٠، معجم البلدان ٤ / ٤٦٨.

٢ ـ معجم البلدان ٢ / ٣٥.

٣ ـ معجم ما استعجم ٣٦٩.

ومن أول الأعمال المطلوبة في هذا الباب هو توفير الماء والمأوى للمسافرين وخاصة المحتاجين منهم، والواقع أن القرآن الكريم أبدى اهتماماً واضحاً بأبناء السبيل فذكرهم في ثمان آيات متفرقات، وأكد في سبعة منها على وجوب مساعدة ابن السبيل مادياً، ووضعهم في صف ذوي القربى والمساكين في خمس آيات وقرنهم باليتامى في أربع آيات، وجعل الإنفاق على ابن السبيل أحد أبواب صرف موارد الصدقات.

والاهتمام بابن السبيل هو أحد المظاهر العامة لاهتمام الإسلام بالناس، كما أن تكرر ذكر ابن السبيل يدل على كثرة عددهم وعلى أنهم كوّنوا مشكلة اجتماعية محسوسة تتطلب المعالجة، كما أن تباعد زمن نزول هذه الآيات يدل على استمرار مشكلتهم، أي أنها كانت مشكلة ظاهرة مستمرة.

وقد اهتم المسلمون بأمر ابن السبيل، فأوقف عدد منهم الأبنية والبيوت لهم، ولا بد أن دافعي الصدقات كانوا يدفعون بعض زكاتهم لابن السبيل. ويروي الشافعي بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه «أنه كان يشرب من سقايات كان يضعها الناس بين مكة والمدينة»[1].

واهتم الخلفاء بابن السبيل، فاتخذ «عمر رضي الله عنه في المدينة (دار الرقيق) وقال بعضهم الدقيق، فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يُحتاج إليه يعين به المنقطع والضيف ينزل لعمر» كما أنه «وضع في طريق السبيل بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ويحمل من ماء إلى ماء»[2]، ويروي الواقدي عن كثير بن عبدالله المزني عن جده، أنه كان ممن قدم مع عمر إلى مكة للعمرة سنة ١٧ هـ «فمر بالطريق فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازل ما بين مكة والمدينة، ولم يكن قبل ذلك بناء، فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظِلّ والماء»[3].

١ـ الأم ٣ / ٢٧٩.

٢ ـ الطبقات لابن سعد ٣ ـ ١ / ٢٠٣.

٣ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢٢٠، فتوح البلدان للبلاذري ٥٣، تاريخ الطبري ١ / ٢٥٢٩.

وهذا النص يظهر الإعمار الذي بدأ يزدهر بين مكة والمدينة والذي مرجعه ازدياد أهمية المدينة واستقرار البدو الذين كانت ديارهم في تلك المنطقة، وتحولهم إلى حياة مستقرة حضرية.

وقد ذكرت المصادر عناية الوليد بن عبدالملك بصورة خاصة بأمر طريق الحجاز، فيروي الواقدي بسند عن صالح بن كيسان أن الوليد كتب إلى عمر بن عبدالعزيز وكان والياً على المدينة «في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك، وكتب الوليد إلى خالد بن عبدالله بذلك»[1]، ويروي المدائني أن الوليد كان «عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد: مسجد دمشق، ومسجد المدينة، ووضع المنار»[2].

ومن مظاهر عناية الخلفاء بالطرق هو وضع الأميال في الطريق، فيذكر القلقشندي أن الوليد «هو أول من بنى الأميال في الطرقات»[3]، ويذكر الكليني عن أبي عبدالله « قال وأي شيء البريد، قال ما بين ظل عير إلى فيء وعير، قال ثم عبرنا زماناً، ثم رأى بنو أمية يعملون أعلاماً على الطريق وأنهم ذكروا ما تكلم به أبو جعفر فزرعوا ما بين ظل عير إلى فيء وعير ثم جزّوه إلى اثني عشر ميلاً فكان ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع لكل ميل فوضعوا الأعلام، فلما ظهر بنو هاشم غيروا أمر بني أمية غيره، لأن الحديث هاشمي، فوضعوا إلى جنب كل علم علماً[4].

ويتبين من هذا أن الأمويين اهتموا بوضع الأعلام حول المدينة، ولعلهم وضعوها على طريق المدينة مكة أيضاً، ثم أزال العباسيون آثارهم كما ذكر الكليني، غير أنهم تابعوهم من هذه الأعمال.

---

١ ـ الطبري ٢ / ١٢٩٦.

٢ ـ الطبري ٢ / ١٢٧١.

٣ ـ مظاهر الأناقة ١ / ١٢٦.

٤ ـ الكافي ٣ / ٤٣٢.

فيروي الطبري أنه في سنة ١٣٤ «فيها ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال»(١) ويروي أنه في سنة ١٦١» أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زباله، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل وبتجديد الأميال والبرك، وحفر الركايا مع المصانع، وولى ذلك يقطين بن موسى فلم يزل ذلك إليه إلى سنة ١٧١، وكان خليفة يقطين في ذلك أخوه أبو موسى(٢) وأمر المتوكل بعمل أعلام وأميال لطريق ثنية هرشي(٣) ويتضح من هذا:

١ - أن أبا العباس بنى قصوراً من القادسية إلى زبالة، وربما إلى مكة.

٢ - أن أبا جعفر بنى منازل أيضاً.

٣ - أنه كانت قبل المهدي أميال وبرك لا نعلم متى أنشئت وقد تكون أنشئت في زمن أبي العباس أو أبي جعفر أو قبلهما.

٤ - أن المهدي بنى قصوراً أوسع من قصور أبي العباس، وأنه ترك قصور أبي جعفر وجدّد الأميال والبرك، وحفر الركايا مع المصانع.

وفي سنة ١٦٦ أمر المهدي «بإقامة البريد بين مدينة الرسول ﷺ وبين مكة واليمن بغالاً وإبلاً ولم يقم هناك بريد قبل ذلك(٤) وقد أمر المتوكل بعمل أعلام وأميال لطريق ثنية هرشي.

كانت للرسول ﷺ علاقة بهذه الطرق، فقد سلكها في الهجرة، وفي محاولته العمرة التي أثمرت صلح الحديبية، وكذلك في فتح مكة، كما أنه جهز عدة غزوات وسرايا إلى عدد من القبائل المقيمة في تلك المناطق، فكان لا بد أن يشير إليها مؤلفو السيرة. ويلاحظ أن المصادر الأولية الرئيسة في السيرة هي

---

١ - الطبري ٣ / ٨٢.

٢ - الطبري ٣ / ٤٨٧.

٣ - وفاء الوفا للسمهودي ٢ / ١٧٢.

٤ - الطبري ٣ / ٥١٧.

ما كتبه موسى بن عقبة، وابن اسحق، والواقدي.

فأما موسى بن عقبه فقد انفرد، اعتماداً على عبدالله بن عمر، بذكر سبع مواقع تقع على هذا الطريق وصلى فيها الرسول بين مكة والمدينة، ووصف كلا منها وصفاً دقيقاً(1) غير أن موسى بن عقبة لم يصف كل الطريق، أي أنه أغفل الكلام عن عِدّة أماكن.

ووصف ابن اسحق طريق الهجرة وطريق بدر مُعدّداً المحطات الرئيسة فيهما(2) فأما طريق الهجرة فقد شمل ما بين مكة والمدينة، ولما كان الرسول ﷺ قد سلك في معظم أجزاء طريق الهجرة غير الطريق المألوف، فإن ابن اسحق في وصفه ذلك الطريق أشار إلى الشاذ والمألوف من المحطات.

وذكر ابن اسحق محطات طريق بدر التي سلكها الرسول وهي نفس محطات طريق مكة إلى المنصرف(3). غير أن ابن اسحق لم يصف هذه المحطات ولا ذكر الأبعاد فيها.

وقد نقل ما أورده ابن اسحق معظم من كتب عن السيرة، كما نقلها البكري كاملة(4)، ونقل بعضها في أماكن متعددة.

وذكر ابن سعد محطات الطريق إلى بدر حيث قال:

«وبين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان: وكان الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ إلى بدر على الروحاء، وبين الروحاء والمدينة أربعة أيام (برد؟)، ثم بريد بالمنصرف، ثم بريد بذات أجذال، وبريد بالمعلاّة وهي خيف السلم، ثم بريد بالأثيل، ثم ميلان إلى بدر»(5).

---

1 ـ صحيح البخاري: كتاب الصلاة. الباب ٨٩.

2 ـ سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٤ فما بعد.

3 ـ سيرة ابن هشام ٢ / ٢٥١ ـ ٢٥٣.

4 ـ معجم ما استعجم ١٤.

5 ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٧.

ويلاحظ أن ابن سعد لم يذكر البرد (أي المحطات) الأربعة التي بين المدينة والروحاء.

وذكر ياقوت «بين بدر والمدينة سبعة برد: بريد بذات الجيش، وبريد عبود وبريد المرغة، وبريد المنصرف، وبريد ذات أجذال، وبريد المعلاة، وبريد الأثيل ثم بدر»[1]. وكرر ذكر كل من عبود[2] والمنصرف[3] وأجذال[4].

ويلاحظ أن القسم الثاني من نص ياقوت يطابق ما أورده ابن سعد، مما يدل على اعتماده عليه، ولعل القسم الأول من ياقوت مأخوذ من نسخة أخرى من ابن سعد.

وذكر ابن اسحق الطريق إلى ينبع في كلامه عن غزوة ذات العشيرة حيث قال: إن الرسول ﷺ سلك على نقب بني دينار، ثم على فيفار الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق، فصلى عندها فثم مسجده.. ثم ارتحل رسول ﷺ فترك الخلائق بيسار، وسلك شُعبةً يقال لها شعبة عبدالله، وذلك اسمها اليوم، ثم صب لليسار حتى هبط بيليل فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، واستقى من بئر الضبوعة، ثم سلك الفرش، فرش ملل، حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع»[5].

ثم ذكر الطريق الذي سلكه في غزوة بني لحيان حيث قال «فخرج من المدينة ﷺ.. فسلك على غراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مخيض، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار فخرج على يين، ثم

---

١ ـ معجم البلدان ١ / ٥٢٥.

٢ ـ كذلك ٣ / ٦٠٨.

٣ ـ كذلك ٤ / ١٦٣.

٤ ـ كذلك ١ / ١٣٣.

٥ ـ سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧٤.

على صخيرات التمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغَذَّ السير سريعاً حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان، وغران واد بين امج وعسفان، إلى بلد يقال له ساية غران»[1].

ومن الأماكن التي بين مكة والمدينة وأورد ذكرها ابن اسحق في كلامه عن غزوات الرسول ودّان، وهي غزوة الأبواء[2] والخرّار من أرض الحجاز[3] وسفوان من ناحية بدر[4] وحمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال[5] والرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدر الهدأة[6] والمريسيع من ناحية قديد إلى الساحل[7]، وبقعاء ماء بالحجاز فويق النقيع[8].

ويلاحظ أن ابن اسحق لم يذكر من أبعاد هذه المواقع غير حمراء الأسد وقد قدرها بالأميال.

وذكر ابن سعد في كلامه عن غزوات الرسول ﷺ عدة أماكن تقع بين مكة والمدينة مع معلومات أوفى عن موقعها وبعدها:

فقد ذكر «حمراء الأسد وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي»[9].

«الهدة على سبعة أميال منها (الرجيع) والهده على سبعة أميال من عسفان»[10].

---

١ ـ كذلك ٣ / ٣٢١.
٢ ـ كذلك ٢ / ٢٢٢.
٣ ـ كذلك ٢ / ٢٣٨.
٤ ـ كذلك ٢ / ٢٣٨.
٥ ـ كذلك ٣ / ٥٣.
٦ ـ كذلك ٣ / ٦٦.
٧ ـ كذلك ٣ / ٣٣٢.
٨ ـ كذلك ٣ / ٣٣٦.
٩ ـ ابن سعد ٢ ـ ٣٥/١.
١٠ ـ كذلك ٢ ـ ٣٩/١.

«المريسيع بينها وبين الفرغ نحو من يوم، وبين الفرغ والمدينة ثمانية برد» [1].

«ذا العشيرة وهي لبني مدلج بناحية ينبع، وبين ينبع والمدينة تسعة برد» [2].

«بطن عزن بينها وبين عسفان خمسة أميال» [3].

وقد تكلم عن محطات هذا الطريق وأبعاده عدد من مؤلفي كتب المسالك والجغرافيين المشهورين. فيذكر ابن خرداذبه طريق الجادة من المدينة:

«من المدينة إلى الشجرة وهي ميقات أهل المدينة ستة أميال، ثم إلى ملل فيها آبار اثنا عشر ميلاً. ثم إلى السيالة فيها آبار تسعة عشر ميلاً، ثم إلى الرويثة فيها برك أربعة وثلاثون ميلاً، ثم إلى السقيا فيها نهرٌ جارٍ وبستان ستة وثلاثون ميلاً، ثم إلى الأبواء فيها آبار، تسعة وعشرون ميلاً، ثم إلى الجحفة وهي من تهامة وفيها آبار والبحر منها على ثمانية أميال وهي ميقات أهل الشام سبعة وعشرون ميلاً، ثم إلى قديد فيها آبار، سبعة وعشرون ميلاً، ثم إلى عسفان فيها آبار، أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى بطن مر فيها عين وبركة ثلاثة وثلاثون ميلاً، ثم إلى مكة ستة عشر ميلاً» [4].

وذكر قدامة في هذا الطريق نفس المحطات والأبعاد التي ذكرها ابن خرداذبه سوى أنه يذكر أن بين الجحفة وقديد ستة وعشرين ميلاً، وبين عسفان وبطن مر ستة عشر ميلاً، علماً بأنه يذكر مياه كل محطة بما يخالف ابن خرداذبه [5].

أما ابن رسته فإنه يحذف ملل ويذكر بين الشجرة والسياله ٣١ ميلاً، وإن

---

١ ـ كذلك ٢ / ٦٣.

٢ ـ كذلك ٢ / ١٠.

٣ ـ كذلك ٢ / ٧٩.

٤ ـ المسالك ١٣١.

٥ ـ كتاب الخراج ١٨٧ (طبعة ذي غوية).

بين السقياط الأبواء تسعة عشر ميلاً وبين جحفة وقديد ٢٩ ميلاً، وبين عسفان وبعله مر ٢٤ ميلاً[1].

وذكر اليعقوبي «من المدينة إلى مكة عشر مراحل عامرة آهلة:

فأولها ذو الحليفة ومنها يُحرم الحاج إذا خرجوا من المدينة، وهي على أربعة أميال من المدينة، ومنها إلى الحفيرة وهي منازل بني فهر من قريش.

وإلى ملل وهي في هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن أبي طالب.

وإلى السيالة وبها قوم من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان بها قوم من قريش وغيرهم.

وإلى الروحاء وهي منازل مزينة، وإلى الرويثة وبها قوم من ولد عثمان بن عفان وغيرهم من العرب.

وإلى الصرح هي أيضاً منازل مزينة، وإلى سقيا بني غفار وهي منازل بني كنانة.

وإلى الأبواء وهي منازل أسلم، وإلى الجحفة وبها قوم من بني سليم، وغـديرهم من الجحفة على ميلين عادل عن الطريق، وإلى قديد ربها منازل خزاعة، وإلى عسفان، وإلى سر الظهران وهي منازل كنامة، وإلى مكة[2].

ويلاحظ أنه ذكر أكثر من عشرة أماكن، كما أنه يختلف عن ابن خرداذابه من حيث أنه لا يذكر الأبعاد بين المحطات، كما أنه يذكر الحفيرة والروحاء، والعرج، التي لا يذكرها ابن خردا ذبة. أما المقدسي فقد ذكر «تأخذ من مكة إلى بطن مرّ مرحلة، ثم إلى عسفان مرحلة ثم إلى خليص وامج مرحلة، ثم إلى الخيم مرحلة، ثم إلى الجحفة مرحلة، ثم إلى الأبواء مرحلة، ثم إلى سقيا بني غفار مرحلة، ثم إلى العرج مرحلة، ثم إلى الروحاء مرحلة ثم إلى رويثة مرحلة،

---

١ - الأعلاق النفيسة ١٧٨.

٢ - البلدان ٣١٣ - ٣١٤.

ثم إلى يثرب مرحلة[1] ويلاحظ من هذا أن المقدسي حذف كل المحطات بين الرويثة والمدينة، وأضاف الخيم.

ويتبين مما تقدم أن مؤلفي كتب المسالك الجغرافيين الذين ذكرناهم كلهم ممن عاش في العراق، وأن ابن خرداذبه هو المصدر الذي نقل عنه قدامة وابن رسته، وقد ذكر المواضع حسب مواقعها، وذكر الأبعاد وبيَّنها مقدرة بالأميال أما اليعقوبي والمقدسي فقد ذكر كل منهم محطات الطريق بالتتابع، وأبعادها مقدّرة بالمراحل.

وقد ألف بعض العلماء من أهل الحجاز، إبان القرون الإسلامية الثلاثة الأولى عدة مؤلفات عن الحجاز ومنطقة المدينة وأبرز هؤلاء المؤلفين هم الزبير بن بكار، وابن شبّة، وابن زبالة، ويحيى بن الحسين، وعرّام بن الأصبغ، ومحمد بن عبدالله الأسدي، ولم يصلنا من هذه الكتب إلا كتاب عرّام وبعض كتاب ابن شبّة، أما بقية الكتب فقد فقدت ولكن بقيت منها مقتطفات كثيرة وخاصة مما نقله السمهودي في كتاب (وفاء الوفا) والبكري في «معجم ما استعجم» وكتاب المناسك المنسوب للحربي، ومع أننا لا نستطيع الجزم من هذه المقتطفات على شكل التنظيمات الأصلية لتلك الكتب وما إذا كانت قد أفردت، كلها أو بعضها فصولاً خاصة عن الطريق بين المدينة ومكة ومحطاته، إلا أنه يتبين من النقول الكثيرة التي أوردها السمهودي في فصله القيم عن أماكن هذا الطريق، أن محمد بن عبدالله الأسدي عَنىٰ بوصف هذا الطريق وأفاض في وصف محطاته وأبعاده.

فأما ابن شبّة فإن القسم الباقي من كتابه يتحدث عن الخلفاء وعن خطط المهاجرين في المدينة. أما عرّام فإنه تحدث في كتاب «جبال تهامة وأوديتها» عن عدد من الأماكن والمناهل وأهلها وزراعتها، وفيها عدد مما يقع على الطريق بين المدينة ومكة ولكنه لم يحدد مواقع هذه الأماكن بدقة، ولم يتكلم عنها

---

١ ـ أحسن التقاسيم ١٠٦.

حسب تتابع موضعها الجغرافي[1].

وفي كتاب المناسك صفحات كثيرة، عن أماكن الطريق بين المدينة ومكة ذكرها بالتسلسل وحدّد أبعادها عن بعضها، وقدم معلومات قيّمة عن عدد منها.

وفي كتاب معجم ما استعجم ثلاث صفحات وصف فيها محطات الطريق بين مكة والمدينة، والأبعاد بينها[2]. ويلاحظ أن أسماء المحطات وتسلسلها والأبعاد بينها تُطابق تقريباً ما أورده كتاب المناسك، مما قد يدل على اعتماد ان البكري اعتمد على كتاب المناسك ولخصه.

وعند مقارنة المعلومات التي وردت في هذه المصادر يتجلى التشابه الكبير بين ما أورده كل من ابن خرداذبه وقدامة وابن رسته، مما يدل على اعتمادهم على مصدر واحد هو في الراجح كتاب ابن خرداذبه، أما الاختلافات التي بينهم فالأرجح أنها من خطأ النساخ.

والخلاف الذي بين هذه المصادر في الأبعاد عن المواضع القريبة من مكة هي:

	ابن خرداذبه	قدامه	ابن رسته
الجحفه ـ قديد	٢٧	٢٦	٢٩
عسفان ـ بطن مر	٣٣	١٦	٣٤
بطن مر ـ مكة	١٦	١٦	١٨

ويلاحظ أن المسافة بين الجحفة وقديد عند البكري والأسدي هي ٢٤

---

١ ـ انظر ما كتبناه عن «مصادر دراسة المدينة والحجاز».

٢ ـ معجم ما استعجم ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

	خرداذبه	قدامه	ابن رسته	اليعقوبي	المقدسي	البكري	الأسدي	المناسك	ابن الفقيه الهمذاني
المدينة				مرحلة					
الخليفة						٦	٥	٥	
الشجرة	٦	٦	٦	مرحلة		٨	٦	٦	
ملل	١٢	١٢		مرحلة		٨	٦	٦	٢٤
السيالة	١٩	١٩	٣١	مرحلة		٧	٧	٧	
الروحاء				مرحلة		١١	١١	١١	٢٤
الرويثة	٣٤	٣٤	٣٤	مرحلة		٢٤	١٣	٢٣	١٣
العرج				مرحلة	مرحلة	١٢	٤٢	١٠	٢٤
	٣٦	٣٦	٣٦						
				مرحلة	مرحلة	١٧	١٠	٣١	٢٤
الأبواء	١٩	١٩	١٩	مرحلة	مرحلة	١٩	٧+٧	١٩	١٩
الجحفة	٢٧	٢٧	٢٧	مرحلة	مرحلة	٢٣		٢٣	٢٣
قديد	٢٧	٢٦	٢٩	مرحلة					٢٤
عسفان	٢٤	٢٤	٢٤	مرحلة	مرحلة	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
بطن مر	٣٣	١٦	٣٤			مرحلة	١٩	-	٢٣
مكة	١٦	١٦	١٨	مرحلة		١٣		-	١٣

ويلاحظ ان المقدسي يحذف بين المدينة والرويثة وان ابن رستة يحذف مسلسل ويضع من الشجرة إلى السيالة ٣١ بين الجحفة وقديد ٢٩، بين عسفان وبطن مر ٣٤ وبين بطن مر ومكة ١٨.

أما الأبعاد بين المحطات التي أوردها البكري والأسدي ومؤلف المناسك فهي متشابهة إلا فيما يلي:

	البكري	الأسدي	المناسك
المدينة ـ الحليفة	٦	٥	٥ ١/٢
الحليفة ـ الشجرة	٨	٦	٦
الشجرة ـ ملل	٨	٦	٦
الروحاء ـ الرويثة	٢٤	١٣	٢٣
القيا ـ الأبواء	١٩	١٩	١٤

يتبين مما تقدم أن المصادر العربية ذكرت ثلاثة مقاييس، هي الأيام والمراحل والبريد، والميل والفرسخ، أما الفرسخ فلم يذكر إلا في نص واحد أورده البكري عن المسافة بين الرويثة والمدينة وهو ٢١ فرسخاً والعرج والسقيا[١] وتدل قلة وروده على عدم شيوع استعماله في الحجاز. أما تعبير المراحل فالراجح أنه قديم وهو يستعمل لسير القوافل لأن المرحلة تستدعي نظاماً معيناً في السير، ويكون في بدايتها مستقر يوفر الراحة وحاجات السفر المحلية للدواب والبشر والمرافقين لهم، من مأكول وعلوفة ولوازم الدواب من برادع وسروج وأقتاب. والمفروض أن المرحلة ذات طول مناسب لسير القوافل ولكن الذي يتحكم فيها هو توفر المياه، وليس البُعد بدقة.

لم تستعمل كتب السيرة تعبير المراحل لتقدير المسافات بين الأماكن ولكن بعض الكتب استعملتها فيذكر البخاري أن «القاحة على ثلاثة مراحل من المدينة»[٢].

---

١ ـ معجم ما استعجم ٦٨٦، ٩٣٠، والفرسخ ثلاثة أميال، أي حوالي تسعة كيلو مترات (انظر: هينتس المكاييل والأوزان الإسلامية).

٢ ـ معجم ما استعجم ١٠٤١، معجم البلدان ٤ / ٥، وفاء الوفا ٢ / ٣٥٧

ويذكر السمهودي أن «الفرع . . على مرحلة من المدينة»[1]، وأن «آرة هي من السقيا على ٣ مراحل «والسيالة أول مرحلة لأهل المدينة»[2] وخم على أربع مراحل من مكة[3].

فأما الأيام فقد ذكرها ابن سعد كمقياس بين عدة أماكن فقال «غمرمرزوق وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد طريق الأول إلى المدينة[4] «المريسيع بينها وبين الفرع نحو من يوم[5] «بين ضربة والمدينة سبع ليال»[6] «العيص وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلة»[7] وبين فدك والمدينة ست ليال[8].

«تربة وهي بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء»[9].
«السيّ ناحية ركبه من وراء المعدن وهي من المدينة على خمس ليال»[10].
«القبلية بينها وبين المدينة خمس ليال»[11].

ويقدر الشافعي مسيرة الليلة ٢٣ ميلاً هاشمياً فهو يقول «فللمرء عندي أن يقصر فيما كان مسيرة ليلتين قاصدتين وذلك ستة وأربعون ميلاً بالهاشمي . . وأقـرب هذا من مكـة ستـة وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية وهي مسيرة ليلتين

---

١ ـ وفاء الوفا ٢ / ٣٥٦.
٢ ـ كذلك ٢ / ٣٢٦.
٣ ـ معجم البلدان ٢ / ٣٥.
٤ ـ ابن سعد ٢ / ٨٤.
٥ ـ كذلك ٢ / ٦٣.
٦ ـ كذلك ٢ / ٧٨.
٧ ـ كذلك ٢ / ٨٧.
٨ ـ كذلك ٢ / ٨٩.
٩ ـ كذلك ٢ / ١١٧.
١٠ ـ كذلك ٢ / ١٢٧.
١١ ـ كذلك ٢ / ١٣٢.

قاصدتين دبيب الأقدام وسير الثقل»[1].

ومن الأبعاد التي ذكرت في الحجاز هي البريد، وقد ذكرت محطاته في الطريق بين المدينة وبدر[2] كما ذكر أن الفرع على ثمانية برد من المدينة[3] وذكرت خاخ على بريد من المدينة وهي في طريق الفرع[4] وهناك إشارات إلى أعلام الطريق يكتب عليها الميل الفلاني من البريد (الحليفة)[5]، مسجد عرق الظبية[6] وعقبة هرش[7] غير أن المصادر لا تذكر قط تقدير المسافات بالبرد، مما يدل على عدم وجود البرد فيها، وأن البرد، كانت منتظمة بين المدينة وبدر، وبين المدينة والفرع دون غيرها من الأماكن، ولعل قصر تنظيمها على هذه المناطق هو اضطراب الأمن فيها وخاصة في أوائل العصر العباسي حيث حدثت هجرات بني حرب.

يذكر ابن منظور

«والبريد فرسخان، وقيل ما بين كل منزلين بريد، والبريد الرسل على دواب البريد وسكك البريد كل سكة منها اثنا عشر ميلاً، وفي الحديث «لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد»، وهي ستة عشر فرسخاً، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة الآف ذراع والسفر الذي يجوز فيه القصر أربعة برد، وهي ٤٨ ميلاً بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة، وقال ابن الأعرابي كل ما بين المنزلتين فهو بريد.. والسكة موضع كان يسكنه الفيوج المرتبون من بيت أو قبة أو رباط،

---

١ - الأم ١ / ١٦٢.

٢ - ابن سعد ٢ - ١ / ٧، معجم البلدان ١ / ٥٢٥، وقد أشار ياقوت إلى البريد في ذكر كل من ذات أجذال (١ / ١٣٣) وعبود ٣ / ٦١٨ والمنصرف ٤ / ٦٦٣.

٣ - ابن سعد ٢ - ١ / ٥، ٤٥، معجم البلدان ١ / ٤٩٨، وفاء الوفا ٢ / ٢٥٦.

٤ - وفاء الوفا ٢ / ٢٩٧.

٥ - كذلك ٢ / ٢٥٣.

٦ - كذلك ٢ / ٣٦٧ عن الأسدي.

٧ - كذلك ٢ / ١٧٢ عن الأسدي.

وكان يرتّب في كل سكة بغال وبعد ما بين السكتين فرسخان وقيل أربعة» [1].

أما الأميال فإن طولها معروف، إذ إن الميل الإسلامي يبلغ حوالي كيلو مترين، غير أنه يوجد اختلاف بين المصادر التي تُقدِّر الأبعاد بالأميال، وهذا يرجع :

١ ـ إما أن الأميال كانت متباينة الطول، وأن طولها يتوقف على الذراع المستعمل وهذه الأذرع متباينة.

٢ ـ اختلاف نقاط البداية والنهاية للمقاييس، وتتضح هذه الخلافات إذا كان المقياس متصل من بدايته أو نهايته بمدينة كبيرة كالمدينة المنورة، أو بقرب بيوت منتشرة وليست متجمعة، فيكون الخلاف نتيجة نقطة البداية، ويبدو أن بعض القرى الحجازية لم تكن متجمعة، وهذا طبيعي في القرى التي فيها عدة آبار متباعدة فتتجمع بيوت حول كل بئر، وتكون متباعدة، وإن كانت بمجموعها تكون قرية. وقد أشار مالك إلى قرى متجمعة كالجحفة.

ويذكر الزبير بن بكار أن «الجثجاثة بادية من بوادي المدينة أقصاها على سبعة عشر ميلاً وأدناها على ستة عشر ميلاً بالميل الصغير بها منازل لآل حمزة وعباد وثابت بني عبدالله بن الزبير، وكان اتخذها عبدالله بن الزبير[2].

إن هذا النص يذكر «الميل الصغير»

غير أن أكثر مما يتردد في كتب العصر العباسي عن الأميال هي الميل الهاشمي وهو الذي في طريق مكة[3] وعند وضع علامات الأميال كان يكتب عليها الميل والبريد ففي الحليفة «مكتوب على الميل الذي وراءها قريب من العلمين ستة أميال من البريد[4] ومن عقبة هرشي «من أصل العقبة مسجد للنبي

---

١ ـ لسان العرب ٤ / ٥٣، والبريد في تقدير هينتس ٢٤ كيلو متراً.

٢ ـ نسب قريش ١ / ٦٨.

٣ ـ لسان العرب ٤ / ٥٣.

٤ ـ وفاء الوفا ٢ / ٢٩٣.

ﷺ حد الميل الذي مكتوب عليه سبعة أميال من البريد»[1] ومن مسجد عرق الظبية «الآن حجرٌ قد نقش عليه بالخط الكوفي عند عمارته الميل الفلاني من البريد الفلاني[2] ويقول: الفيروز آبادي «فرسخ الطريق ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف»[3] ويقول أيضاً «الميل مسافة من الأرض متراخية بلا حد، أو مائة ألف إصبع إلا أربعة آلاف اصبع، أو ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المُحْدَثين»[4] ويقول المسعودي: «والميل أربعة آلاف ذراع بالسواد وهو الذراع الذي وضعه المأمون لذرع الثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل، والذراع أربع وعشرون اصبعاً والأصبع من شعيرات مضموم بعضها إلى بعض، والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال ومنهم من يجعل الميل ثلاثة آلاف ذراع والفرسخ أربعة أميال وكلاهما يؤدون إلى شيء واحد[5].

ويذكر الفاسي «والذراع الذي حررنا به هو ذراع الجديد المستعمل في القماش بديار مصر والحجاز والذراع الذي حرر به الأزرقي هو ذراع الهندي[6].

لقد وصفت المصادر الطريق الرئيسي بعدة تعابير منها الطريق المعتدلة[7] وطريق الجادة[8] والطريق الأعظم[9] والمحجة[10] ويلاحظ أن هذا الطريق الرئيسي كان الناس أحياناً لا يسلكون بعض أجزائه فيذكر الأسدي أن «ودان

١ ـ كذلك ٢ / ١٧٢ عن الأسدي.

٢ ـ كذلك ٢ / ١٦٧ عن الأسدي.

٣ ـ القاموس المحيط ١ / ٢٦٦.

٤ ـ كذلك ٤ / ٥٣.

٥ ـ التنبيه والاشراف ٢٥، وانظر أيضاً مروج الذهب ١ / ٨٨ (طبعة صادر).

٦ ـ شفا الغرام ٥٩.

٧ ـ معجم البلدان ٣ / ٣٣٠، وفاء الوفا ٢ / ٣٣١.

٨ ـ معجم البلدان ٢ / ٧٤٦، وفاء الوفا ٢ / ٣١٠.

٩ ـ معجم ما استعجم ١٢٥٦.

١٠ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٥٤، وانظر أيضاً معجم البلدان ١ / ٨٣٣.

ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ينزل به من لا ينزل الأبواء. فمن أراده رحل من السقيا إليه، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع وبركة قديمة، ثم يرجل منه فيخرج عند ثنية هرشى بينها وبين ودان خمسة أميال، وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل[1].

ثم إن الطريق الرئيسي حدثت فيه تبدلات، فالسمهودي علق على نص الأسدي المذكور أعلاه بقوله «قلت وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل ودان، وهي مُعْطشة لا ماء بها إلا ما يحمل من بدر إلى رابغ».

أما عن هرشى وهي ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة[2] فيقول السمهودي «هرشى طريق حاج المدينة اليوم لكن يكون هرشى على يسارهم لأنهم يسيرون في الخيت، وودان أسفل منها إلى رابغ، فإنما كانت ملتقى الطريق قديماً ولها طريقان، وكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد»[3].

ويذكر السمهودي «وقال المطري... وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريق النبي إلى مكة على يساره مستقبل القبلة وهي الطريق المعهودة قديماً، ثم السقيا، ثم ثنية هرشى وهي طريق الأنبياء.. قال وليس بهذا الطريق اليوم مسجد يعرف غير هذه الثلاثة مساجد، يعني سوى مسجد ذي الحليفة.. قلت سببه هجران الحجاج لهذا الطريق وأخذهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر، وذكرني بعض الناس ممن سلك تلك الطريق أن كثيراً من مساجدها موجودة[4].

ويذكر مؤلف درر الفوائد المضيئة «وهذا بين المدينة ومكة على طريق

---

١ - وفاء الوفا ٢ / ١٧٢.
٢ - كذلك ٢ / ١٧٢.
٣ - كذلك ٢ / ١٨٧.
٤ - كذلك ١ / ١٦٨.

الحاج عشرة أيام أو أزيد، ولها طريق آخر يسمى الدرب الماشي ومسافته خمسة أيام، وهو بمقدار النصف فانظر إلى هذا التفاوت في التعريجات وما حمل الحاج على سلوك الطريق البعيدة إلا لاتصال المدن من جانب من طريق الاستزادة لزاد نقص أو قضاء حاجة نسيت قبل اقتحام البر وملاقاة وجه المغير .

وكذلك لطريق مكة مسلك آخر غير الدرب المعتاد يرد منه العربان والرواحل ويسمى عندهم درب الظهر لو سلك الحاج منه كان أقرب من الطريق المعتاد وبكثير، إلا أنه لما كان كثير الوعر في بعض المواضع ضيقاً، عدل عنه إلى الطريق المعتاد[1].

---

١ ـ درر الفوائد المضية ٤٤٠.

الفصل التاسع

منازل الطريق بين المدينة ومكة

ذو الحليفة :

ذو الحليفة هي أول محطة في طريق مكة والمدينة[1] ومنها مهل أهل المدينة[2] وكانت منزل رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة لحجٍ أو عمرة، فكان ينزل تحت شجرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة[3].

والمسجد الأكبر الذي يُحرم الناس منه هو مسجد الشجرة «ومن الشجرة كان يُهل بالحج وهناك كان يقلد الهدى، وبالشجرة ولدت أسماءُ ومحمد بن أبي بكر[4] وثبت عن النبي من طريق ابن عمر وابن عباس وأنس وجابر وعائشة أنه وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة[5] وذي الحليفة في الأصل واد يدفع في المُلحاء وكان عندها قصر عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب[6].

يقول المقدسي : إن ذا الحليفة قرية عند يثرب بها مسجد عامر وبالقرب منها آبار ولا يرى بها ديار[7] ويقول السمهودي أن بها مسجد المغرس، وهو في آخر الحليفة كما سنذكر. وفي الحليفة البئر التي تسميها العوام بئر علي وينسبونها

١ ـ البكري : معجم ما استعجم ٩٥٤.

٢ ـ البكري ٣٦٨ ياقوت ٢ / ٣٥.

٣ ـ ياقوت ٣ / ٢٦٠.

٤ ـ السمهودي ٢ / ١٨٩.

٥ ـ البكري ٤٦٤.

٦ ـ البكري ١٢٥٤.

٧ ـ احسن التقاسيم ٧٧.

إلى علي بن أبي طالب[7] ويقع مسجد ذي الحليفة على شفير وادي العقيق[8].

وتختلف الروايات في بُعدها عن المدينة، فيذكر البعض أنها تبعد ستة أميال عن المدينة[9] وفي رواية أخرى أنها تبعد سبعة أميال، وقد أورد السمهودي اختلاف الروايات في بُعد ذي الحليفة عن المدينة، ويذكر صاحب المناسك أن من المدينة إلى ذي الحليفة خمسة أميال ونصف، ويذكر أحمد والطبراني والبزار أنها على فرسخين أي ستة أميال، ويقول الإسنوي وابن حزم أنها على فرسخ من المدينة أي ثلاثة أميال.

أما أبو عبدالله الأسدي فيقول: إن الشجرة التي يُحرم منها أهل المدينة هي على خمسة أميال ونصف مكتوب على الميل الذي وراءها قريب من العلمين ستة أميال من البريد، ومن هذا الميل أهَلَّ رسول الله ﷺ، فالميل المذكور عند المسجد لأنه محل إهلاله، وأول ذي الحليفة قبله بنصف ميل، ويعقب السمهودي على ما ذكر بقوله: «وقد اختبرت ذلك بالمساحة فكان من عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب السلام إلى عتبة باب مسجد الشجرة بذي الحليفة ١٩٧٣ ذراعاً ونصف بذراع اليد المتقدم تحديده في حدود الحرم وذلك خمسة اميال وثلثي ميل ينقص مائة ذراع وكان المسجد أول ذي الحليفة.. وأول الحليفة قبله بنصف ميل[10].

البيداء:

وأمام ذي الحليفة البيداء وهي « أرض ملساء تبصر منها المدينة[11]

أ٧ - السمهودي. وفاء الوفا ٢ / ٢٩٤ وسنرمز إليه (وفاء).

٨ - ابن جبير، الرحلة ١٨٩.

٩ - ياقوت ٣ / ٢٦٠ البكري ٤٦٤.

١٠ - البكري ٤٦٤.

١١ - ياقوت ٢/١٢٦؛ السمهودي ٢/١٦٤.

وهي فوق علمي الحليفة إذا صعدت من الوادي[١٢] في أولها بئر[١٣] وقال المطري ضمن تتبعه «هي التي إذا رحل الحاج من ذي الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب[١٤] وتبصر المدينة من البيداء[١٥].

ويعقب السمهودي أن «البيداء عند آخر ذي الحليفة، وكان هناك علمان للتمييز بينهما، ولذا قال الأسدي في تعداد أعلام الطريق: إن على مخرج المدينة علمين، وعلى مدخل ذي الحليفة علمين، وعلى مخرج ذي الحليفة علمين، وقال في موضع آخر: والبيداء فوق علمي ذي الحليفة إذا صعدت من الوادي، وفي أول البيداء بئر»، وكأن البيداء ما بين الحليفة وذات الجيش[١٦] ويقول في مكان آخر: «لكنه كما سبق في البيداء إن على مخرج ذي الحليفة علمين آخرين، وأن البيداء فوق علمي الحليفة إذا صعدت من الوادي. . لأن البيداء هي الموضع المشرف على ذي الحليفة وذلك على نحو غلوة سهم من مسجدها والأعلام المذكورة موجودة»[١٧].

ودون مصعد البيداء في أواخر الحليفة مسجد المعرس[١٨] ويقول السمهودي «ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره في قبلة مسجد ذي الحليفة على نحو رمية سهم منه وهو قديم البناء بالقصة والحجارة المطابقة»[١٩] ويقول ياقوت: «المعرس مسجد ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة كان رسول الله

---

١٢ ـ وفا ٢ / ٢٩٤.

١٣ ـ ياقوت ٢ / ٢٢٦.

١٤ ـ وفاء ٢ / ٢٩٤ و ٢٦٨ عن البكري وابن حجر.

١٥ ـ المناسك ٤٢٨.

١٦ ـ وفاء ٢ / ٢٦٨.

١٧ ـ ابن جبير ١٦٧.

١٨ ـ وفا ٢ / ٢٩٣.

١٩ ـ وفا ٢ / ١٦٤.

ﷺ يعرس فيه ثم يرحل لغزاة أو غيرها»[20].

يقول ابن شبّة: (إن فوق ذي الحليفة التي هي الحرم في القبلة قبل حمراء الأسد موضعاً من أعلى العقيق يسمى الحليفة العليا، فيكون المحرم الحليفة السفلى) ويعقب السمهودي على هذا الكلام (ولم أره في كلام غيره ولعله الحليفة، أما ذو الحليفة المحرم فهو أيضاً من وادي العقيق، ولذا روى أبو حنيفة كما في جامع مسانيده عن ابن عمر قال: قام رجل فقال يا رسول الله من أين المَهِلّ؟: قال يُهل أهل المدينة من العقيق)[21].

حمراء الأسد:

حمراء الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة[22] وفي رواية ابن سعد حمراء الأسد هي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي[23] وهي منتظمة بالعقيق، قال الزبير كان سعد بن أبي وقاص قد اعتزل بطرف حمراء الأسد في قصر بناه واتخذ هناك أرضاً حتى مات فيه ودفن بالمدينة[24] والعقيق.. يفضى إلى حمراء الأسد.. وبالحمراء قصور لغير واحد من القرشيين[25] وفي شق حمراء منشد وفي شقها الأيسر أيضاً شرقياً خاخ.. ثم يفضي إلى ثنية الشـريد)[26] وهو يضيف «قلت وعلى يسار المصعد من ذي الحليفة جبل يعرف بحمراء خلة والظاهر أنه منشد وليس هو حمراء»[26] ويقول البكري (منشد واد في بلاد مزنية)[26أ] ويقول في مكان آخر

---

٢٠ ـ ياقوت ٤ / ٥٧٣.

٢١ ـ وفا ٢ / ٢٩٤.

٢٢ ـ البكري ١٣٣٠ ياقوت ٢ / ٣٣٣.

٢٣ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٣٥.

٢٤ ـ البكري ١٣٣٠ انظر أيضاً وفاء ٢ / ٢٩٥ عن الهجري.

٢٥ ـ البكري ١٣٣٠، وفاء ٢/٢٩٥ (عن الهجري).

٢٦ ـ البكري ١٣٣٠.

٢٦أ ـ البكري ١١٤٨.

«منشد هو جبل بالمدينة عنده عين . . والأصافر جبل مجاور له»[٢٧].

خاخ:

يقول الهجري: (وفي شق حمراء الأسد الأيمن خاخ بلد به منازل لمحمد بن جعفر بن محمد وعلي بن موسى الرضى وغيرهما وبئر محمد بن جعفر وعلي بن موسى ومزارعهما تعرف بالحضر وخاخ. . ذكرها ابن الفقيه في حدوده وقال هي بين شوظا والناصفة. وقال الواقدي: «روضة خاخ بقرب ذي الحليفة على بريد من المدينة» ورواه بعضهم. . ويبين فيه أن المكان على قريب من اثني عشر ميلاً من المدينة، وبقرب خاخ من خليقة عبدالله بن أبي أحمد[٢٨] وهي من الأحماء التي حماها النبي والخلفاء الراشدون بعده[٢٩].

ويتصل بخاخ اسقق[٣٠] وذو المسن[٣١]

أما شواطي المذكورة في نص الهجرة فهي من دوافع الحَرّة في العقيق[٣٢] أما الناصفة فهي من (أودية العقيق وعده الزمخشري من أودية القبلية[٣٣] وهي من طريق مصدق هوازن[٣٤] وعند خاخ وثنية الشريد يقع جبل الغراء[٣٥].

---

٢٧ - البكري ١٢٦٠.

٢٨ - وفا ٢ / ٢٩٧ انظر أيضاً ياقوت ٢ / ٣٨٤ - ٥.

٢٩ - ياقوت ٢ / ٣٨٤.

٣٠ - البكري ١٤٩.

٣١ - البكري ١٢٢٩.

٣٢ - البكري ١٣٢٩.

٣٣ - وفا ٢ / ٣٨١.

٣٤ - البكري ١٢٣٦.

٣٥ - ياقوت ٣/ ٨٦٠.

ذات الجيش والحفيرة:

ذات الجيش فيها أحد أعلام حرم المدينة[٣٧] وقال بعضهم: «ذات الجيش موضع قرب المدينة، وهو واد بين ذي الحليفة وبرثان، وهو أحد منازل رسول الله ﷺ إلى بدر وإحدى مراحله عند منصرفه من غزاة بني المصطلق وهناك جيش رسول الله ﷺ في ابتغاء عقد عائشة»[٣٨].

ذكر القتبي أن ذات الجيش من المدينة على بريد. . قال يحيى بن يحيى بين ذات الجيش والعقيق ميلان، وفي تفسير ابن المواز عن ابن وهب أن بين ذات الجيش والعقيق خمسة أميال، ، وقال عيسى بن القاسم: بينهما عشرة أميال، وذكر مطرف أن العقيق من المدينة على ثلاثة أميال، ويخط عبدالله بن إبراهيم في عرض كتابه بين ذات الجيش والعقيق سبعة أميال[٣٩] ويروي السمهودي «وعن ابن وهب أنها على ستة أميال من العقيق، وكأنه أراد من طرفه الذي بذي الحليفة، ويقرب منه قول ابن وضاح هي على سبعة أميال من العقيق، وقال ابن القاسم بينها وبين العقيق عشرة أميال، وعن الثعلبي اثنا عشر ميلاً وقيل بينهما ميلان»[٤٠] وذات الجيش دون الحفيرة بثلاثة أميال.

يقول السمهودي: (قال ابن زباله ذات الجيش نقب ثنية الحفيرة من طريق مكة والمدينة مصعدين إلى جهة الغرب وهي على جادة الطريق، قلت ويؤيده قول ياقوت: ذات الجيش موضع بعقيق المدينة أراد بقربه أو لأن سيلها يدفع فيه كما سيأتي وقد رأيته يطلق ذلك على ما يدفع في العقيق وإن بعد عنه، وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي في وصف الطريق بين مكة والمدينة أن من ذي الحليفة إلى الحفيرة ستة أميال، قال وهي متعشى وبها بئر طيبة

---

٣٧ - وفا ١ / ٦٧.

٣٨ - ياقوت ٢ / ١٧٨ انظر أيضاً وفا ١ / ٦٩، ٢ / ٢٨٣ - ٤.

٣٩ - البكري ٤١٠، وفاء ٢/٢٨٣.

٤٠ - وفا ٢ / ٢٨٣.

وحوض، وعمر بن عبدالعزيز هو الذي حفر البئر وبها أبيات ومسجد. ومقتضاه أن يكون ثنية الحفيرة بعد البئر فلعلها ثنية الجبل المسمى اليوم بمفرج، وهناك واد قبل تربان يسمونه سهمان ينطبق عليه الوصف المذكور وهو موافق لقول من قال ذات الجيش وادي ذي الحليفة وتربان فأطلق اسمها على الوادي التي هي فيه، ولقول عياض ذات الجيش على بريد من المدينة وهو ظاهر رواية الطبراني المتقدمة لكنه مخالف لما سيأتي من معنى التحديد بالبريد وهناك حبس النبي ﷺ في ابتغاء عقد عائشة.

وقال أبو علي الهجري ذات الجيش شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة، قال وصدر الحفيرة وما قبل من الصلصين يدفع في بئر أبي عاصية ثم يدفع في ذات الجيش وما دبر منها يدفع في البطحاء، ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين في وادي العقيق، وذات الجيش تدفع في وادي أبي كبير وهـو فوق مسجد الحرم والمعرس، وطرف أعظم الغربي يدفع في ذات الجيش وطرفه الثاني يدفع في البطحاء[٤١] ويقول ياقوت إن الحفير منزل بين الحليفة وملل يسلكه الحاج[٤٢].

أعظم:

أما أعظم فيقول البكري: (أعظام موقع بقرب ذات الجيش وهي على ثمانية أميال من المدينة)[٤٤]، ويقول في مكان آخر (أعظام جبال معروفة وهي من صدر ذات الجيش)[٤٥] ويروي السمهودي (أعظم جبل عظيم كبير شمال

---

٤١ ـ وفا ١ / ٦٩ ولما أرسل الرسول ﷺ كعب بن مالك لتحديد حرم المدينة أعلم على ذات الجيش (وفا ١ / ٦٧).

٤٢ ـ ياقوت / ٢ / ٢٩٧.

٤٤ ـ البكري ١٧١.

٤٥ ـ البكري ١٤٢.

ذات الجيش قاله المجد، وفي كتاب الهجري عن محمد بن قليع عن أشياخه قالوا: ما برقت السماء قط على أعظم إلا استهلت وكانوا يقولون إن على ظهره قبر نبي أو رجل صالح وأنا أقول إن أعظم هي منزلي إذا بدوت في ضيعتي بالتثنية بحيث يناله دعائي فقلما أصابنا مطر إلا كان أعظم أسعد جبالنا به وأوفر حظاً(٤٦) ويقول المطري إن أعظم شامي ذات الجيش(٤٧).

أما مشيرب (فهو ما بين جبال في شامي ذات الجيش بينها وبين خلائق الضبوعة والضبوعة منزل عند يليل)(٤٨).

أما وادي أبي كبير فهو (واد معروف يصب فيه وادي ذات الجيش وهو منسوب إلى أبي كبير بن وهب بن عبد بن قصي وقد انقرض ولد عبد بن قصي)(٤٩).

وبقرب ذات الجيش جبل أرنم وهو على ٨ أميال من المدينة(٥٠)

تربان:

أما تربان فيقول ابن سعد: إنه (فيما بين ملل والسيالة على المحجة)(٥١) ويقول أبو زياد الكلابي (هو واد بين ذات الجيش وملل والسيالة على المحجة نفسها فيه مياه كثيرة مرية نزلها رسول الله ﷺ في غزوة بدر وبها كان منزل عروة بن أذينة الشاعر الكلابي(٥٢) ويقول الأصمعي (تربان على بعد ١٨ ميلاً من

---

٤٦ ـ وفا ٢ / ٢٤٧.

٤٧ ـ وفا ١ / ٦٩.

٤٨ ـ وفا ١ / ٦٩.

٤٩ ـ البكري ١١١٣.

٥٠ ـ البكري ١٤٢.

٥١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٥٤.

٥٢ ـ ياقوت ١ / ٨٣٣.

المدينة على طريق مكة[٥٣] ويقول البكري تربان وطنب جبلان[٥٤]

ويقـول السمهودي «قال الأسدي بين الحفيرة أي التي تنسب الثنية لها وبين ملل ستـة أميال فتـربـان فيما بين ذلك،وبين ثنية مفرح موضع يقال لها سهمان»[٥٥] ويقول ياقوت (تربان واد بين ملل وأولات الجيش كان عليه طريق النبي إلى بدر وبه كان أحد منازله)[٥٦] ويقول ياقوت في مكان آخر «ذات الجيش موضع قرب المدينة وهو واد بين تربان ذي الحليفة وبرثان[٥٧].

ملل:

ملل واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش سويقة، وهو مبتدأ بني الحسن بن علي بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في أضم[٥٨] وهو يلقى أضم بذي خشب[٥٩].

وملل يميل يسرة عن الطريق إلى مكة، وهو طريق يخرج إلى السيالة وهو أقرب من الطريق الأعظم[٦٠] ويقول ياقوت: إنه منزل على طريق المدينة إلى مكة[٦١].

وتبعد ملل عن المدينة ٢٢ ميلاً[٦٢] أو ٢١ وعن ابن وضاح ٢٢ ميلاً وقيل:

---

٥٣ ـ البكري ٣٠٨ وانظر أيضاً عن طريق بدر البكري ٩٥٧ ياقوت ٣ / ٨١٦، ٤ / ١٠٤٦ وفا ٢ / ٢٧٠.

٥٤ ـ البكري ٥٥٦.

٥٥ ـ وفا ٢ / ٢٧٠.

٥٦ ـ ياقوت ١ / ٥٤٧ وفا ٢ / ٢٦٠ عن المجد ويضيف السمهودي (ولعله تصحيف).

٥٧ ـ ياقوت ٢ / ١٧٨.

٥٨ ـ ياقوت ٣ / ٨٧٤ ـ ٥، ٤/٦٣٧.

٥٩ ـ وفاء ٢ / ٣٧٧.

٦٠ ـ البكري ٢٥٦.

٦١ ـ ياقوت ١ / ٣٦٤، ٤ / ٦٣٧.

٦٢ـ البكري ٤٦٥.

١٨ ميلاً وقيل على ليلتين منهـا[٦٣] ويروي ياقــوت أنهـا تبعـد ٢٨ ميلاً عن المدينة[٦٤] وهي تبعد عن السيالة ٧ أميال[٦٥] و ٨ أميال من الحفير[٦٦] وكان كثيّر عزّة يقول: إنما سميت ملل لتملل الناس بها وكان الناس لا يبلغونها حتى يحلوا[٦٧].

وبملل آبـار كثيرة: بئـر عثمان وبئر مروان وبئر المهدي وبئر المخلوع (الأمين) وبئر الواثق وبئر السدرة، وعلى ثلاثة أميال من القرية عشرة أنقرة عملت في رأس عين شبيهة بالحياض تعرف بأبي هشام[٦٨] ولعل هذه العين هي التي يقصدها البكري بقوله «ركب إبراهيم بن هشام والي المدينة إلى عينه بملل»[٦٩] ويروي البكري (بئر الحواتكة وهي بزقب الشطان.. وهو بالمنصف بين عين بني هاشم التي بملك وبين عين أضم)[٧٠].

ومما قد يفيد في فهم زراعة ملل قول الدينوري «الملل مكان مستو ينبت العرفط والسيال والسمر يكون نحواً من ميل أو فرسخ وإذا أنبت العرفط وحده فهو وهط كما يقال، وإذا أنبت الطلح وحده فهو غول وجمعه غيلان، وإذا أنبت النصى والصليان[٧١].

لقد ذكرنا من قبل أن ملل واد.. يصب في الفرش فرش سويقة وهو

---

٦٣ ـ وفاء ٢ / ٣٧٧.

٦٤ ـ ياقوت ٤ / ٦٣٧.

٦٥ ـ البكري ١٢٥٦.

٦٦ ـ البكري ٤٦٥.

٦٧ ـ البكري ١٢٥٦ ياقوت ٤ / ٦٣٧ وفا ٢ / ٣٧٧.

٦٨ ـ البكري ١٢٥٦.

٦٩ ـ البكري ٨٧٩.

٧٠ ـ البكري ١١٣.

٧١ ـ ياقوت ٤ / ٦٣٧.

مبتدأ بني الحسن بن علي بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب[٧٢] والراجح أن ملل، لا فرش سويقة هو مبتدأ بني الحسن وبني جعفر لأن اليعقوبي يقول (وملل في هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن أبي طالب)[٧٣].

ويقع قرب ملل ذو السرح وهو (وادٍ بين مكة والمدينة)[٧٤] وأخزم وهو جبل من ناحية ملل والروحاء[٧٥] وما يعرف في زمن السمهودي خزيمة[٧٦] ويقول ابن حبيب أن الخوى موضع بملل[٧٧].

وبين الفرش وملل يقع وادي الغميس[٧٨] ولعله هو غميس الحمايم الذي «من مر بين ملل وصخيرات اليمام، اجتاز به رسول الله ﷺ يوم بدر»[٧٩] ويقول البكري: إن (مريان موضع بين تربان وغميس الحمام)[٨٠].

الفرش:

يقول ياقوت الفرش واد بين غميس الحمايـم وملل، وفرش وصخيرات الثمام كلها منازل نزلها رسول الله ﷺ حين سار إلى بدر، وملل واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش سويقة، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في أضم ثم يفرغ في البحر[٨١].

---

٧٢ ـ ياقوت ٤ / ٦٣٧، ٣ / ٨٧٤ ـ ٥.

٧٣ ـ البلدان ٣١٣.

٧٤ ـ ياقوت ٣ / ٧٠.

٧٥ ـ ياقوت ١ / ١٦١، وفاء ٢/٢٤٤.

٧٦ ـ وفا ٢ / ٢٤٤.

٧٧ ـ البكري ٥٢٠.

٧٨ ـ ياقوت ٣ / ٧٣١ وفا ٢ / ٣٤٦.

٧٩ ـ ياقوت ٢ / ٣٢٩ البكري ١٠٠٥، ١٢١٩.

٨٠ ـ البكري ١٢١٩.

٨١ ـ ياقوت ٣ / ٨٧٤ ـ ٥.

وبالفرش جبل يقال له صفر أحمر كريم المغرس وبه ردهة وبناء لزيد بن حسن[٨٢] وكان صفر «منزل أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب. وبه صخيرات تعرف بصخيرات أبي عبيدة»[٨٣] وهو (يقابل عبود، الطريق بينهما، وبه بناء كان للحسن بن زيد وبقضاه ردهة العجوزين)[٨٤] ويقول البكري، إن: (العجوزان من الفرش وهما هضبتان في قفا صفر وبها ردهة)[٨٥] وكان أبو عبيدة يسكن ردهة العجوزين[٨٦].

وبالقرب من حفر العواقر وهي «جبال في أسفل فرش وعن يسارها وهي إلى جانب جبل يقال له حفر من أرض الحجاز»[٨٧].

أما عبود فيقول البكري إنه جبل[٨٨] ويقول نصر (عبود جبل على مراحل يسيره من المدينة بين السيالة وملل وقيل أجبل سود من جانب النقيع)[٨٩] ويقول الزمخشري (عبود وصفر جبلان بين المدينة والسيالة ينظر أحدهما إلى الآخر وطريق المدينة يجيء بينهما، وقيل عبود البريد الثاني من مكة «المدينة» في طريق بدر... وقال أبو بكر بن موسى: عبود جبل بين السيالة وملل له ذكر في المغازي)[٩٠].

ويروي السمهودي (قال الهجري قال أبو الحسين عبود جبل بين يدفع

---

٨٢ ـ البكري ١٢٥٧.

٨٣ ـ ياقوت ٣ / ٤٠٠.

٨٤ ـ وفا ٢ / ٣٣٥.

٨٥ ـ البكري ١٢٥٨، ٩٢٣.

٨٦ ـ وفا ٢ / ٣٣٥.

٨٧ ـ ياقوت ٣ / ٧٤٢ عن ابن السكيت بكري ١٢٥٧ ـ ٨ وفا ٢ / ٣٤٧.

٨٨ ـ بكري ١١٤٨.

٨٩ ـ ياقوت ٣ / ٦١٢.

٩٠ ـ ياقوت ٣ / ٦٠٨.

في بين وبين ملل ومريين طريق يسلك هناك ويريد مريين بطرف عبود)[٩١].

ويقول الهجري أيضاً في وصفه فرش ملل (عابد وعبود ثلاثة أجبل، وعبود في الوسط وهو الأكبر وهو بين مدفع بين وبين ملل مما يلي السيالة وقيل عنه البريد الثاني من المدينة وبطرفه عين الحسن بن زيد على الطريق منقطعة)[٩٢].

وبالقرب من فرش الفريش (يفصل بينهما وادٍ يقال له مثغر كان بها منازل وعمائر)[٩٣]

وبالفرش هضبة عدنه (كان بها منزل داود بن عبدالله بن أبي الكرام وبني جعفر بن إبراهيم[٩٤] ويذكر ياقوت عدنه ويقول: إنها قرب ملل لها ذكر في المغازي[٩٥].

وبأسفل الفرش جبلي ضاحك وضويحك[٩٦] وبينهما وادي يين[٩٧] فأما يين فهي عين بواد يقال له حورتان وسبيلها يصب في الوادي، وكانت قديماً منازل أسلم ثم صارت قرية يين.

فأما يين فهي قرب ملل[٩٨] على يمين مكة وهي غير يين التي يقول ابن سعد إنها بلاد أسلم وهي على بريد المدينة[٩٩]

ويقـول البكري: إنها (قرية من قرى المدينة تقرب من السيالة كأن

٩١- وفا ٢ / ٣٩٤.

٩٢ - وفا ٢ / ٣٤١

٩٣ - وفا ٢ / ٣٥٥.

٩٤ - وفا ٢ / ٣٤٢.

٩٥ - ياقوت ٣ / ٦٢٣.

٩٦ - ياقوت ٣ / ٤٨٢ وفا ٢ / ٣٩٣.

٩٧ - ياقوت ٣ / ٧٤٢ عن ابن السكيت وفا ٢ / ٣٣٨، ٣٣٩.

٩٨ - وفا ٢/ ٣٩٤.

٩٩ - ابن سعد ٤ - ٢ / ٤٤ ياقوت ١ / ٨٠٠ انظر أيضاً ابن سعد.

عبدالرحمن بن المغيرة[٩٩] يقول السمهودي (قال الزمخشري يين عين بواد يقال له حورتـان وهي اليوم لبني زيد الموسوي من بني الحسين. . قلت وسهلهما يصب في حورتين وأثر العين والقرية اليوم موجودة هناك، وكان بها فواكه كثيرة حتى نقل الهجري أن يين بلد فاكهة المدنية وكانت تعرف من قريب بقرية بني زيد فوقع بينهم وبين بني يزيد حروب فجلا بنو زيد عنها إلى الصفراء وبنو يزيد إلى الفرع فخرجت وكانت منازل أسلم قديماً[١٠٠].

وبناحية فرش ملل أيضاً مثعر[١٠١]

وبين السيالة وفرش تقع صخيرات الثمام[١٠٢]وهي على طريق مكة[١٠٣] وقد ذكرتها كتب المغازي في طريق سير النبي إلى بدر وذات عشيرة فقال ابن اسحق مروا على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام من مريين ثم على صخيرات اليمام ثم على السيالة[١٠٤].

السيالة:

السيالة قرية جامعة[١٠٥] وبها آبار أعظمها بئر الرشيد فتحها تسعة أذرع[١٠٦] وهي أرض يطؤها طريق الحاج، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

وبين المدينة والسيالة ٢٩ ميلاً، وبين السيالة وملل ٧ أميال، وملل أدنى إلى المدينة ومنها إلى الروحاء ١٢ ميلاً[١٠٨].

٩٩ - البكري ٢٩٧.

١٠٠ - وفا ٢ / ٣٩٣.

١٠١ - البكري ٣٧ ياقوت ٤ / ٦٥٧ غير أنه يسميه (منتخر).

١٠٢ - ياقوت ١ / ٩٣٤.

١٠٣ - البكري ٨٢٧.

١٠٤ - ياقوت ٢ / ٢٧٣ انظر أيضاً ياقوت ١ / ١٤٤.

١٠٥ - وفا ٢ / ٣٢٦.

١٠٦ - البكري ٧٧٠.

١٠٨ - ياقوت ٣ / ٢٠٨ عن ابن السكيت. وفا ٢ / ٣٢٦.

والسيالة لولد الحسن بن علي بن أبي طالب[109] وقبل أن تصل إلى السيالة بميلين مسجد لرسول الله، وهي ثلاثة مساجد لرسول الله في طريق مكة أولها مسجد الحرّة والثاني مسجد الشجرة والثالث مسجد السيالة عند شجرة طلع)[110].

يروي الأسدي «وعلى ميل منها عين تعرف بسويقة لولد عبدالله بن حسن كثيرة الماء وعذبة وهي ناحية عن الطريق، والجبل الأحمر الذي يسرة الطريق حين يخرج من السيالة يقال له ورقان يسكنه قوم من جهينة لا ينقطع، وذكر آباراً كثيرة بالسيالة، وعلق السمهودي: «وقوله على ميلين من السيالة أراد من أولها ولهذا قال المطري شرف الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل وكانت الصخيرات صخيرات التمام عن يمينك وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة فهذه السيالة، وكان قد تجدد بها بعد النبي ﷺ عيون وسكان، وكان لها واد من جهة المدينة، ولأهلها أخبار وأشعار وبها آثار البناء وسواق واخرها الشرف المذكور، والمسجد عنده، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة، ثم تهبط في وادي الروحاء مستقبل القبلة ويعرف اليوم بوادي بني سالم بطن من حرب الحجاز. قلت وتلك القبور التي عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء ولعله لكون بعضهم فيها ممن قتل ظلماً من الأشراف الذين كانوا بالسيالة[111] وبالسيالة عفارية وهو جبل أحمر[112].

وعلى ميل من السيالة عين تعرف بسويقة لولد عبدالله بن حسن[113] وكانت من جملة صدقات علي بن أبي طالب[114] وهي كثيرة الماء عذبة وهي

١٠٩ـ البكري ٧٧ وفا ٢ / ١٦٦ عن الأسدي انظر أيضاً البكري ١٢٥٦.

١١٠ ـ وفا ـ ٢ / ١٦٦ عن أبي عبدالله الأسدي، اليعقوبي، البلدان ٣١٤.

١١١ ـ وفا ٢ / ٣٢٦.

١١٢ ـ وفا ٢ / ١٦٦ ـ ٧، ٣٢٦.

١١٣ ـ ياقوت ٣ / ٦٨٨ البكري ٩٤٨ عن ابن حبيب.

١١٤ ـ وفا ٢ / ١٦٦، ٣٢٦.

ناحية عن الطريق[115] وكان محمد بن صالح بن موسى الحسني خرج على المتوكل فأنفذ إليه أبا الساج في جيش ضخم فظفر به وبرجاله من أهله فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم وخرب سويقة وعقر بها نخلاً كثيراً وعقر منازلهم وما أفلحت سويقة بعد ذلك[116].

وتقع تلقاء سويقة الحزرة وهي لآل الحسن بن حسن بن علي والحزرة من أودية الأشعر يفرغ في القفارة، سكانه بنو عبدالله بن الحصين الاسلميون وبه المليحة وبأسفلها العين التي تدعى سويقة[118] وتلقاء سويقة البثنة وهي أرض أعملها عبدالله بن حسن بن حسن[119].

الروحاء:

يقول السمهودي: (قال الأسدي وبين السيالة والروحاء أحد عشر ميلاً وبينها وبين ملل سبعة أميال.. وقال المطري شرف الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة، وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل، وكانت الصخيرات صخيرات الثمام عن يمينك وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة فهذه السيالة[120].

ويروي في مكان آخر (قال المجد موضع من عمل الفرع على نحو ٤٠ ميلاً، من المدينة وفي صحيح مسلم على ٣٦ ميلاً، وفي كتاب ابن شبّه على ٣٠ ميلاً، وقال أبو غسان إن ورقان بالروحاء من المدينة على أربعة برد، وقال أبو عبيدة البكري قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما ٤١ ميلاً، وذكر الأسدي في موضع أنها على ٥ أو ٣٦ ميلاً، وقال: إن الروحاء

---

١١٥ - وفا ٢ / ١٦٦، ٣٢٦.

١١٦ - الأغاني ١٥ / ٨٥ وفا ٣٢٦.

١١٨ - البكري ١/٤٤.

١١٩ - البكري ٢٢٦.

١٢٠ - وفاء ٢ / ١٦٦.

اسم للوادي وفي أثنائه منزلة الحجاج فيحمل أقل المسافات على إرادة أوله لما يلي المدينة وأكثرها على آخره ومتوسطها على وسطه.. وسبق في مسجد الروحاء أن من الشرف يهبط في وادي الروحاء وأن النبي ﷺ قال هذا واد، من أودية الجنة(١٢١).

يقول اليعقوبي: إن الروحاء منازل مزينة(١٢٢) ووصفها البكري بأنها قرية جامعة متصلة البيوت(١٢٣).

يقول ابن رسته: «الروحاء فيها أهل وسوق صغير وماؤها من الآبار تباع بها شواهين وصقورة»(١٢٤).

ويقول الأسدي: (وبالروحاء آثار لرسول الله ﷺ وبها قصران وآبار كثيرة تعرف بمروان عندها بركة للرشيد، وبئر لعثمان بن عفان، عليها سانية وسيل مائها إلى بركتها بئر تعرف بعمر بن عبدالعزيز في وسط السوق لسني منها في إحدى البركتين، وبئر تعرف بالواثق وهي شر آبار المنزل طول رشائها ستون ذراعاً)(١٢٥).

ويقول السمهودي: (إن بها آباراً متعددة فلم يبق بها اليوم سوى بئر واحدة)(١٢٦) ويقول في مكان آخر: (وبها اليوم بركة تملأ للحاج تعرف ببركة طار ولعله حددها وجعل له معلوما ووقفا(١٢٧) ويقول البكري: إن سجسج بئر الروحاء(١٢٨)

---

١٢١ - وفاء ٢ / ٣١٤

١٢٢ - البلدان ٣٢٤.

١٢٣ - البكري ٦٣٨ عن مالك بن أنس.

١٢٤ - الأعلاق النفيسة ١٧٨.

١٢٥ - وفاء ٢ / ٣١٤.

١٢٦ - وفاء ٢ / ١٦٨.

١٢٧ - وفاء ٢ / ١١٤.

١٢٨ - البكري ٩٥٨، ٤٢٧ وفاء ٢ / ٣١٤ انظر أيضاً ٢ / ١٦٨.

والـروحاء بحذاء الأشعر من شقة الثاني[١٢٩] وعن يمين ورقان سيالة والروحاء والرونية والمرج عن يساره[١٣٠] وبين المنصرف والروحاء جبل قتائد[١٣١].

وبـالروحاء قبر يزعمون أنه قبر مضر بن نزار[١٣٢] يقول البكري: (روى واحد أن رسول الله ﷺ قال وقد صلى في المسجد الذي ببطن الروحاء عند قرن الظبية: «هذا واد من أودية الجنة.. وروى نافع عن ابن عمر أن هذا الموضع هو المسجد الصغير دون الموضع الذي يشرف على الروحاء، وروى البخاري أن ابن عمر كان لا يصلي في المسجد الصغير المذكور، كان يتركه عن يساره وراءه ويصلي أمـامه إلى العرق نفسه، يريد عرق الظبية، قال والعرق الجبل الصغير الذي عند منصرف الروحاء وينتهي طرفه إلى حافة الطريق دون المسجد بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة[١٣٣].

وعلى ميلين من الروحاء، في الطريق بينها وبين السيالة يقع مسجد الظبية الذي كانت فيه مشاورة الرسول ﷺ للصحابة في قتال أهل بدر، وفي هذا المـوضـع أيضـاً قتل عقبة بن أبي معيط، وقد وصف المطري موقع هذا المسجد حيث قال: ثم تهبط في وادي الروحاء.. فتمشى مستقبل القبلة وشعب على يسـارك إلى أن تدور الـطريق بك إلى المغـرب وأنت في أصل الجبل الذي على يمينك، فأول ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير في قبلته فتهدم على طول الزمان، صلى فيه رسول الله ﷺ ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية، ويبقى جبل ورقان على يسارك.. وفي المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفي عند عمارته الميل الفلاني من البريد الفلانـي، ويضيف

١٢٩ ـ البكري ١٥٤.
١٣٠ ـ البكري ٣٧٧.
١٣١ ـ البكري ١٠٤٨.
١٣٢ ـ البكري ٦٨٣ وفاء ٢ / ٣١٤.
١٣٣ ـ البكري ٦٣٨ وانظر البخاري كتاب الصلاة الباب ٨٤.

السمهودي قوله: (وآثار هذا المسجد اليوم موجودة هناك)(١٣٤).

وعلى ثلاثة أميال من هذا المسجد وقبل أن تصله يقع جبل شنوكه إذ يروي ابن اسحق: أن الرسول ﷺ في طريقه إلى بدر مر على فج الروحاء ثم على الشنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية. (١٣٥) وقد وصفها الأسدي بقوله: شنوكة جبل بعد شرف الروحاء بقليل يقابل الشِّعب المعروف بشعب علي، وهو شعب شنوكة على ثلاثة أميال من مسجد شرف الروحاء(١٣٦)، وذكر البكري أن شنوكة بين العذيب والجار على ستة عشر ميلاً من الجار و٣٢ ميلاً من ينبع(١٣٧).

وعلى بعد ثلاثة أميال من الروحاء، وفي آخر واديها من جهة الجنوب وعلى الطرف الغربي من الجبل يقع مسجد المنصرف، وهو من مساجد الرسول ﷺ وقد صلى فيه ﷺ وقد أصبح هذا المسجد يسمى فيما بعد مسجد الغزالة، وقد تشعب هذا المسجد حتى أنه لم يبق منه في زمن المطري أي في القرن السادس «إلا عقد الباب»، ثم ازداد الخراب فيه فتهدم في زمن السمهودي (ولم يبق إلا سوقه)(١٣٨).

وقد وصف المطري موقع هذا المسجد بقوله: وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريق النبي ﷺ إلى مكة على يساره مستقبل القبلة، وهي الطريق المعهودة قديماً، ثم السقيا، ثم ثنياهرشي وهي طريق الأنبياء.. وليس بهذا الطريق اليوم مسجد يعرف غير هذه الثلاثة مساجد يعني سوى مسجد ذي الحليفة. ويضيف السمهودي على سبب تهدم

---

١٣٤ ـ وفاء ٢ / ١٦٧.

١٣٥ ـ وفاء ٢ / ١٦٨.

١٣٦ ـ وفاء ٢ / ٣٣١.

١٣٧ ـ وفا ٢ / ٣٣١.

١٣٨ ـ البكري ١٨٤.

المساجد بقوله: (سببه هجران الحجاج لهذا الطريق وأخذهم من طريق طرف الروحاء، على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر، وذكر لي بعض الناس ممن سلك تلك الطريق أن كثيراً من مساجدها موجود)[١٣٩].

الرويثة:

الرويثة هي المنزل الرئيسي التالي للروحاء، والمسافة بينهما ثلاثة عشر ميلاً أو ستة عشر ميلاً في قول الأسدي[١٤٠] / ٩ / ٢١٦ و ٢٤ ميلاً في رواية البكري[١٤١] وهي متعشى بين المرج والروحاء[١٤٢].

والرويثة قرية جامعة[١٤٣] تسكنها جهينة[١٤٤] وبها قوم من ولد عثمان بن عفان وغيرهم من العرب[١٤٥] وفيها منهل يعمر أيام الحاج وفيه برك وفيه الماء الذي يقال له الإحساء[١٤٦] ووصف (الأسدي) ما بالرويثة من الآبار والحياض قال: ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لبيوتها الحمراء وللذي في دبرها عن يسارها قبل المشرق الحسناء[١٤٦].

تقع الرويثة في وادي الجي[١٤٧] وقال الأسدي إن الجي (به منازل وبئران عذبتا الماء.. انتهى). وهو في سفح الجبل الذي سال بأهله وهم نيام[١٤٨]

---

١٣٩ ـ وفا ١ / ١٦٨ ـ ٩.

١٤٠ ـ وفا ١ / ١٦٨ ـ ٩، ١٤٤ وفاء ٢ / ١٦٩.

١٤١ ـ البكري ٩٥٤.

١٤٢ ـ ياقوت ١ / ٩٢٥، ٢ / ٨٧٥ وفا ٢ / ٣١٦.

١٤٣ ـ البكري ٦٨٦.

١٤٤ ـ البكري ٣٨.

١٤٥ ـ اليعقوبي: البلدان ٣١٤.

١٤٦ ـ الأعلاق النفيسة ١٧٨.

١٤٧ ـ وفا ٢ / ١٦٩.

١٤٨ ـ ياقوت ١ / ٨٠٣ البكري ٢٩٨.

ويقال لوادي جي أيضاً المتعشى وينتهي عنده ورقان[149].

وفي الجي أماكن وشعبان منها جبا[150] وثرا وهي أسفل وادي الجي[151] طريق الحاج يطأه[152] وبينه[153] ويقربها الرغام[154].

وبزره (شعبة تدفع على بئر الرويثة العذبة، وقال ابن السكيت: هما برزتان وهما شعبتان قريب من الرويثة تصبان في درج المضيق من يليل[155] وبرزه (ناحية على ثلاثة أيام من المدينة بينها وبين الرويثة)[156] وهي في ديار بني كِنانة[157]، وورقان بين العرج والرويثة[158].

وبين الرويثة والروحاء الأثاية[159] وثعال[160].

العرج:

يقول البكري عند وصفه الطريق بين المدينة ومكة من الرويثة إلى الاثاية ١٢ ميلاً، ومن الأثاية إلى العرج ومنها إلى السقيا ١٧ ومنها إلى الأبواء ١٩[161]

---

١٤٩ - ياقوت ٢ / ١٨٢ وفا ٢ / ٣٨٤.

١٥٠ - ياقوت ٢ / ١٨٢ وفا ٢ / ٣٨٤.

١٥١ - ياقوت ٢ / ١٢.

١٥٢ - ياقوت ١ / ٩٢ البكري ٢٤٨، ٣٤٠ وفا ٢ / ٢٧٣.

١٥٣ - ياقوت ١ / ٩٢١.

١٥٤ - البكري ٢٩٨ ياقوت ١ / ٨٠٣.

١٥٥ - البكري ٦٦٢.

١٥٦ - ياقوت ٢ / ٥٦٤ البكري ٢٤٨.

١٥٧ - ياقوت ١ / ٦٠٤ عن نصر.

١٥٨ - البكري ٢٤٨.

١٥٩ - البكري ٩٥٤.

١٦٠ - الموطأ ١ / ٢٥٥ البكري ١٠٦، ٦٨٣.

١٦١ - ياقوت ١ / ٩٢٥.

ويقول أيضاً (العرج قرية جامعة على طريق مكة من المدينة بينها وبين الرويثة ١٤ ميلاً وبين الرويثة والمدينة ٢١ فرسخاً. . وعلى ثلاثة أميال منها مسجد النبي. . ومن العرج إلى السقيا ١٧ ميلاً[١٦٢] وعقبة العرج على أحد عشر ميلاً من الرويثة بينهـا وبين العرج ثلاثة أميال[١٦٣] وهي الحد بين تهامة والحجاز[١٦٤].

والعرج قرية جامعة على طريق مكة من المدينة[١٦٥] وهي من منابر الفرع[١٦٦] وهي من بلاد أسلم[١٦٧] وتسكنها جهينة[١٦٨] ومزينة[١٦٩] ووادي العرج يدعى المنبجس، فيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين، وعلى ثلاثة أميال منها مسجد النبي يدعى مسجد العرج وقال البخاري: هذا المسجد في طرف تلعة من وراء العرج بني السلمان، قال السكوني على خمسة أميال من العرج وأنت ذاهب إلى هضبة عندها قبران أو ثلاثة عليها رضم حجارة عند سلمات عن يمين الطريق[١٧٠] وكان لزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ضيعة يقال لها العرج وكان له فيها حوار[١٧١].

والمدارج هي «عقبة العرج قبله بثلاثة أميال مما يلي المدينة قاله الأسدي وبها ثنية العابر وركوبه، وقال الأصمعي طرف تهامة من جهة الحجاز مدارج

---

١٦٢ ـ البكري ٩٥٤.

١٦٣ ـ البكري ٩٣٠.

١٦٤ ـ البكري ٦٨٦ ويلاحظ أنها غير العرج التي في الطائف انظر ياقوت ٣ / ٦٣٧.

١٦٥ ـ ياقوت ١ / ٢، ٩٠٢ / ٣ ، ٥٩٣، ٨٢١، ٤ / ٧٤٧.

١٦٦ ـ البكري ٦٨٦.

١٦٧ ـ البكري ١٠٢١.

١٦٨ ـ البكري ٩٣١.

١٦٩ ـ البكري ٣٨.

١٧٠ ـ اليعقوبي: البلدان ٣١٤.

١٧١ ـ البكري ٩٣٠ ـ ١.

العرج وإذا تصوبت من ثنايا العرج فقد اتهمت[١٧٢].

أما ركوبه فهي ثنية عند العرج على ثلاثة أميال منه لجهة المدينة[١٧٣] على يمين ثنية العـابـر، وثنية العـابـر هي عقبـة العرج، والعرج بعدها بثلاثة أميال[١٧٤] ويروي ابن اسحق في طريق الهجرة (ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العابر عن يمين ركوبه)[١٧٥]

يقول الأسدي في وصف الطريق الذاهب إلى مكة أن من الرويثة إلى الجي أربعـة أميال ثم قال وعقبـة العرج على أحد عشر ميلاً من الرويثة ويقال لها المدارج بينها وبين العرج ثلاثة أميال وبها أبيات وبئر عند القصبة، وقبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادي مسجد لرسول الله ﷺ يعرف بمسجد الاثاية وعند المسجد بئر تعرف بالأثاية انتهى. وقال المجد: الأثاية موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة ٢٥ فرسخاً وفيه بئر وعليها المسجد المذكور وعندها أبيات وشجر أراك وهو منتهى حد الحجاز. وهو موافق لما ذكره الأسدي فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج وهي بقربها[١٧٦].

ورقان:

وبين العرج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة يمتد جبل ورقان وهو جبل أسود ينصب ماؤه إلى ريم[١٧٧] وقد وصف عرام هذا الجبل فقال: ولمن صدر من المدينة مصعداً أول جبل يلقاه على يساره ورقان وهو جبل عظيم أسود كأعظم ما يكون من الجبال ينقاد من سيالة إلى المتعشى بين

---

١٧٢ ـ الأغاني ١٤ / ١٦٠.

١٧٣ ـ وفاء ٢ / ٣٦٩ انظر أيضاً ياقوت ١ / ٩٠٢، ٣ / ٥٩٣، ٨٢١، ٤ / ٧٤٧.

١٧٤ ـ وفا ٢ / ٣١٣.

١٧٥ ـ وفا ٢ / ١٦٩.

١٧٦ ـ وفا ٢ / ٣١٣.

١٧٧ ـ وفا ٢ / ١٦٩ ـ ١٧ وهو يروى عن المطري أن الأثاية غير معروفة.

العرج والرويثة ويقال للمتعشى الجي، وفي ورقان أنواع الشجر المثمر وغير المثمر، وفيه القرط والسماق والخزم، وفيه أوشال وعيون عذاب، والخزم شجر يشبه ورقه ورق البردي وله ساق كساق النخلة يتخذ منه الأرشية الجياد وسكان ورقان بنو أوسل بن مزينة وهم أهل عمود[178] وهو جبل مزينة[179] وقال الأسدي أنه على يسار الطريق حين يخرج من السيالة[180] وعن يمين ورقان سيالة والروحاء والرويثة والعرج عن يساره وينحدر من ورقان وادي ملل[181].

ونهبان جبل يفصله عن قدس وآره الطريق[182].

قدس وآره:

قال عرام بالحجاز جبلان يقال لهما القدسان قدس الأبيض وقدس الأسود وهما عند ورقان، فأما الأبيض فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها ركوبة وهو جبل شامخ ينقاد إلى المتعشى بين العرج والسقيا، وأما قدس الأسود فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها حمت، والقدسان جميعاً لمزينة وأموالهم شبه من الشاة والبعير وهم أهل عمود وفيهما أوشال كثير[183] وقال يعقوب: قدس وآره جبلان لجهينة بين حرة بني سليم والمدينة[184] ويقول السمهودي (قال الهجري جبال قدس غربي ضاف من النقيع، وقدس جبال متصلة عظيمة كثيرة الخير تنبت العرعر والخزم وبها تين وفواكه وفراع وفيها بستان ومنازل كثيرة من مزينة، وسبق أن صدور العقيق ما دفع في النقيع من قدس، وذكر الأسدي أن الجبل الأيسر المشرف على عين القشيري يقال له قدس أوله في العرج وآخره

---

١٧٨ - ياقوت ٤ / ٩٢١.

١٧٩ - ياقوت ٤ / ٩٢١ البكري ٣٧٧ وفا ٢ / ٣٩٠.

١٨٠ - ياقوت ٤ / ٦٣٧.

١٨١ - وفا ٢ / ٣٩٠.

١٨٢ - ياقوت ٤ / ٦٣٧.

١٨٣ - ياقوت ٤ / ٨٣٠.

١٨٤ - ياقوت ٤ / ٣٩ البكري ١٠٤٩ وفا ٢ / ٣٥٩.

وراء هذا الفلق[185] ويروي ياقوت (قال محمد بن الهيصم المري سمعت مشيخة مزينة يقولـون صدر العقيق ماء دفع في النقيع بين قدس ما قبل الحرة وما دبر من النقيع وثنية عمق ويصب في الفرع وما قبل الحرة الذي يدفع في العقيق يقال لها بطاويح كلها في أودية في المدينة تصب في العقيق[186].

والسر قرب جبل قدس[187]

وانحازت مزينة إلى جبال رضوى وقدس وآره وما وراءها وما حاق بها من أرض الحجاز[188].

ويلي قدس القهر[189] (بكري ١١٠٠) وقال أبو زياد القهر أسافل الحجاز مما يلي نجداً من قبل الطائف[190] وبقرب القهر وادي طلخام[191] وحزور[192] وقير[193].

يقول عرام (ومن عن يسار الطريق مقابلاً قدسا الأسود جبل من أشمخ ما يكون يقال له آره وهو جبل تخر من جوانبه عيون، على كل عين قرية، منها قرية غناء كبيرة يقال لها الفرع وهي لقريش والأنصار ومزينة، ومنها أم العيال قرية صدقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعليها قرية يقال لها المضيق، ومنها

---

١٨٥ ـ البكري ١٠٥١.

١٨٦ ـ وفا ٢ / ٣٥٩.

١٨٧ ـ ياقوت ٤ / ٨٨٠ البكري ٣٢٣.

١٨٨ ـ ياقوت ٣ / ٧٦.

١٨٩ ـ البكري ٨٨.

١٩٠ ـ البكري ١١٠٠.

١٩١ ـ ياقوت ٢ / ٢٠٩.

١٩٢ ـ البكري ١١٨٩.

١٩٣ ـ البكري ٤٤٤.

قرية يقال لها المحضة، ومنها قرية يقال لها الوبرة، ومنها قرية يقال لها خضرة، ومنها قرية يقال لها الغفوة تكتنف آره من جميع جوانبه، وكل هذه القرى نخيل وزروع وهي من السقيا على ثلاثة مراحل وعن يسارها مطلع الشمس وواديها يصب في الأبواء ثم في ودان وهي قرية من أمهات القرى لصخر وكنانة وغفار وفهر وقريش ثم من الطريفة، والطريفة قرية ليست بالكبيرة على شاطىء البحر، واسم وادي آره حقل، وقرية يقال لها ولعان)[١٩٤] وبالقرب من آره ولعان[١٩٥].

السقيا:

والمنزل الرئيسي الذي يلي العرج هو السقيا، وهي حد الحجاز مما يلي تهامة[١٩٦] تبعد عن العرج ١٧ ميلاً وعن الأبواء ١٩ ميلاً[١٩٧] وعن الرويثة ١٠ فراسخ[١٩٨] وعن الفرع ١٩ ميلاً[١٩٩] ويقول المجد وابن قتيبة أنها على يومين من المدينة، ولكن الأسدي يقول أنها على أربعة أيام وأن بينهما ١٠٠ ميل[٢٠٠]

السقيا قرية عظيمة قريبة من البحر على مسيرة يوم وليلة[٢٠١] وهي قرية جامعة من عمل الفرع[٢٠٢] ومنزل فيه أهل كثير وبستان كبير ونخل[٢٠٣] (قال

---

١٩٤ ـ البكري ١٣٨٢.

١٩٥ ـ عرام ٤٠٤ وفا ٢ / ٢٣٩ وانظر أم العيال ياقوت ١ / ٣٦٣ وفاء ٢ / ٢٤٨ نسب قريش ٢٩٠ وعن الوبرة ياقوت ٤ / ٩٠١، ٢ / ٢٥٣ البكري ١٣٣ وعن المطيق ياقوت ٤ / ٥٦٠

١٩٦ وفا ٢ / ٣٧٥.

١٩٧ ـ ياقوت ٤ / ٩٤٠ وفا ٢ / ٣٩٠ أما عن حقل فانظر ياقوت ٢ / ٢٤٧، ٢٩٨، ٨٤٨.

١٩٨ ـ البكري ١١.

١٩٩ ـ البكري ٢٠٣.

٢٠٠ ـ البكري ٦٨٦.

٢٠١ ـ ياقوت ٣ / ١٠٣ وفا ٢ / ٣٢٢ عن عياض.

٢٠٢ ـ ياقوت ٣ / ١٠٣، وفاء ٢/٣٢٣.

٢٠٣ ـ الأعلاق النفيسة ١٧٨.

السهيلي سميت السقيا بآبار كثيرة فيها وبرك، وسئل كثير لم سميت بذلك؟ فقال: لأنهم سقوا بها ماء عذبا، وقال ابن الفقيه لما رجع تبع من المدينة نزل السقيا وقد عطش بها فنزل عليه بها مطر فسماها السقيا)[٢٠٤] (وقال الأسدي وبالسقيا مسجد لرسول الله ﷺ إلى الجبل وعنده عين عذبة وبالسقيا أزيد من عشرة آبار وأن عند بعضها بركة وفيها عين غزيرة الماء ومصبها في بركة في المنزل وهي تجري إلى صدقات الحسن بن زيد عليها نخل وشجر كثير وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٢٤٣ ثم انقطعت في سنة ٢٥٣، قال وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئراً، وفيها ما أحدث في أيام المتوكل: خمسون بئراً وماؤهن عذب وطول رشائهن قامة وبسط وأكثر وأقل)[٢٠٥].

وعلى ثلاثة أميال بعد السقيا لجهة مكة بئر تعهن[٢٠٦] وبتعهن صخرة يقال لها أم عقى[٢٠٧] وتعهن وذو الريان وأمج مياه لبني ليث بن بكر، وتعهن بين القاحة والسقيا في طريق مكة والمدينة[٢٠٨].

وعلى ميل من السقيا تقع القاحة[٢٠٩] وهي في وادي العبابيد[٢١٠] وعلى ثلاثة مراحل من المدينة[٢١١] (قال نصر موضع بين الجحفة وقديد وقال عرام في ثافل الأصغر وهو جبل ذكر في موضعه دوار في جوفه يقال لها القاحة وفيها بئران

---

٢٠٤ - وفا ٢ / ٣٢٢ وانظر ياقوت ٣ / ١٠٣ عن ابن الكلبي.

٢٠٥ - وفا ٢ / ٣٢٢.

٢٠٦ - وفا ٢ / ١٧٢، ٦٧١ - ٢ البكري ١٠٤٢.

٢٠٧ - البكري ٧٤٣ وفا ٢ / ٢٧١.

٢٠٨ - البكري ٣١٥.

٢٠٩ - وفا ٢ / ٢٧١.

٢١٠ - البكري ٩٥٥ وفا ٢ / ٣٥٧.

٢١١ - ياقوت ٤ / ٥ البكري ١٠٤١ - ٢.

عذبتان غزيرتان(٢١٢)، وقال الأسدي وعلى ميل من الطلوب مسجد رسول الله ﷺ بموضع يقال له لحيا جمل، والطلوب بئر غليظة الماء بعد العرج بأحد عشر ميلاً والسقيا بعـد الطلوب بستة أميال. قال: وقبل السقيا بنحو ميل وادي العائد ويقال له وادي القاحة وينسب إلى بني غفار، فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا والقاحة وبعد العرج بالمسافة المذكورة ويؤيده أن ابن زباله روى في سياق هذه المساجد حديث أن رسول الله احتجم بمكان يدعى لحى جمل بطريق مكة وهو محـرم وفي رواية له احتجم بالقاحة وهو صائم محرم ففيه بيان قرب ذلك من القاحة(٢١٣). ويروي السمهودي رواية تدل أن جمل أو القاحة بعد السقيا بينها وبين الأبواء، وأنها على سبعة أميال من السقيا(٢١٤).

ثافل:

يقول عرام وعن يسار المصعد من الشام إلى مكة جبلان يقال لهما ثافل الأكبر وثافل الأصغر وهما لضمرة خاصة، وهم أصحاب حلال ورعية ويسار، وبينهما ثنية لا تكون رمية سهم، وبينهما وبين رضوى وعزور ليلتان، نباتهمـا العرعر والقرظ والظيان والايدع والبشام(٢١٥) وفي ثافل الأكبر عدة آبار في بطن واد يقال له يرثد، يقال للآبار الدباب، وهو ماء عذب كثير غير منزوف أناشيط قدر قامـة، وفي ثافـل الأصغر ماء دوار في جوفه يقال له القاحة، وهما بئران عذبتان غزيرتان وهما جبلان كبيران شامخان، وكل جبال تهامة تنبت الغضور وبينها وبين رضوى وعزور سبع مراحل(٢١٦).

وثافل جبل مزينة(٢١٧) وفي قفا ثافل ماء يقال له معيط لكنانة(٢١٨) بين السقيا

٢١٢ - وفا ٢ / ٣٥٧.

٢١٣ - وفا ٢ / ١٧١.

٢١٤ - وفا ٢ / ١٧١ انظر أيضاً ٢ / ٣٦٦.

٢١٥ - عرام ٣٩٩.

٢١٦ - عرام ٤٠١ ياقوت ١ / ٩١٤ البكري ١٣٦.

٢١٧ - البكري ٣٣٤، ١٢٤٦.

٢١٨ - البكري ٣٣٤، ٢٤٦ ويكتفي ياقوت بالقول أنه اسم موضع ٤ / ٥٨١.

والأبواء يجري في وادي مطعن[٢١٩] وبينهما كذلك الدبا وهو موضع من طريق الجادة بين مكة والمدينة[٢٢٠].

الأبواء:

الأبواء هي المنزل الذي يلي السقيا في الطريق إلى مكة وهي (قال كثير إنما سميت الأبواء للوباء الذي بها ولا يصح هذا إلا على القلب، وبواديها من نبات الرفاء مالا يعرف في واد أكثر منه، وعلى خمسة أميال منها مسجد النبي[٢٢١] وهي من أعمال الفرع من المدينة[٢٢٢] وهي منازل أسلم[٢٢٣] وقد وصفها البكري بأنها قرية جامعة ووصفها ابن رستة قرية عظيمة قريبة من البحر على مسيرة يوم وليلة والماء بها من الآبار[٢٢٤] وصخرة[٢٢٥] والأبواء تبعد عن السقيا[٢٢٦] ١٩ ميلاً، وعن الجحفة ٢٣ ميلاً[٢٢٧]) قال الأسدي ودون الأبواء بميلين مسجد النبي ﷺ يقال له مسجد الرمادة وذكر ما حاصله أن الأبواء بعد السقيا لجهة مكة بواحد وعشرين ميلاً وأن في الوسط بينهما عين القشيري وهي عين كثيرة الماء ويقال للجبل المشرف عليها الأيسر قدس وأوله في العرج وآخره وراء هذه العين والجبل الذي يقابلها يمنة يقال له ثافل ويقال للوادي الذي بين هذين الجبلين وادي الأبواء[٢٢٨].

---

٢١٩ - ياقوت ٤ / ٥٦٨ - ٩ عن يعقوب ويسميه البكري مطعن ١٢٤٠.

٢٢٠ - ياقوت ٢ / ٧٤٦.

٢٢١ - البكري ١٠٢.

٢٢٢ - ياقوت ١ / ١٠٠ البكري ١٠٢١.

٢٢٣ - اليعقوبي . البلدان ٣١٤.

٢٢٤ - الأعلاق النفيسة ١٧٨.

٢٢٥ - البكري ٤٤٩.

٢٢٦ - البكري ١٣٦، ٤٦٢ عن ابن حبيب وفا ٢ / ١٤٤ ياقوت ٢ / ١٩٢.

٢٢٧ - ياقوت ١ / ١٠٠.

٢٢٨ - وفا ٢ / ١٧٢.

وبين الأبواء والسقيا يقع الربا وهو من طريق الجادة بين مكة والمدينة[٢٢٩] وقد ذكرت في الشعر كثيراً[٢٣٠] وكذلك يقع وادي مطعن[٢٣١].

وآره من السقيا على ثلاث مراحل عن يسار مطلع الشمس وواديها يصب في الأبواء ثم في ودان ثم في الطريق[٢٣٢] وبئر ابن مطيع وهي بئر حفرها عبدالله ابن مطيع في زمن معاوية وزرع عليها[٢٣٣].

وبين الأبواء والجحفة وادي الشطين[٢٣٤].

وعلى خمسة أميال وشيء من الأبواء مسجد لرسول الله ﷺ يقال له البيضة[٢٣٥].

و(الشبا قريب من الأبواء لجهينة[٢٣٦]) وقال أبو الحسن المهلبي شباه واد بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف والشبا لبني جعفر من بني جعفر بن أبي طالب[٢٣٧].

وحداء موقع تلقاء الأبواء[٢٣٨].

وحرة الأفاعي «وهي بعد الأبواء بثمانية أميال مما يلي مكة كانت منزل

---

٢٢٩ - ياقوت ٢ / ٧٤٦ وفا ٢ / ٣١.

٢٣٠ - البكري ١٢٤٠ ياقوت ٢ / ٦٣١، ٨٤٢، ٤ / ٣٠٤، ٥٦٩.

٢٣١ - ياقوت ٤ / ٥٦٨.

٢٣٢ - البكري ١٠٢٥.

٢٣٣ - ابن سعد ٥ / ١٠٧.

٢٣٤ - ياقوت ٣ / ٢٩٢ انظر أيضاً البكري ١٠٢١.

٢٣٥ - وفا ٢ / ١٧٢ عن الأسدي.

٢٣٦ - البكري ٧٧٧.

٢٣٧ - ياقوت ٣ / ٥٧٣.

٢٣٨ - البكري ٤٢٩.

للناس فيما مضى فأجلتهم الأفاعي»[٢٣٩].

والأبواء جبلها الحشا، وهو جبل شامخ مرتفع، وهي منه على نصف ميل[٢٤٠] وفي كنف جبل الحشا واد يقال له البعق وبكنفها الأيسر واد يقال له شمس وهو بلد مهيمة لا تكون به إبل يأخذها الهيام.. والحشا لخزاعة وصخر[٢٤١].

هرشى:

وعلى ثمانية أميال من الأبواء تقع عقبة هرشى[٢٤٢] وهي على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة[٢٤٣].

وهرشى جبل من بلاد تهامة.. هضبة ململمة لا تنبت شيئاً، وهي في أرض مستوية، وهي من الجحفة يرى منها البحر، وعقبة هرشى سهلة المصعد صعبة المنحدر والطريق من جنبها... ويتصل بها مما يلي المغرب عن يمينها بينها وبين البحر خبت، والخبت الرمل الذي لا ينبت غير الأرطى، وهو الحطب، وفي وسط خبت جبيل صغير أسود شديد السواد يقال له طفيل[٢٤٤].

ينقل السمهودي عن الأسدي أن «علم منتصف الطريق ما بين مكة والمدينة دون العقبة بميل، وفي أصل العقبة مسجد للنبي ﷺ حد الميل الذي مكتوب عليه. سبعة أميال من البريد»، وينقل عن البخاري رواية عن عبدالله أن رسول الله ﷺ نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشى ذلك المسيل لاحق بكراع هرشى بينه وبين الطريق قريب من غلوة، وكان عبدالله بن

٢٣٩ - البكري ٤٣٥.

٢٤٠ - البكري ٤٤٩.

٢٤١ - البكري ٤٥٠.

٢٤٢ - وفا ٢ / ١٧٢ عن الأسدي

٢٤٣ - البكري ١٣٥٠ ياقوت ٤ / ٩٦٠ وفا ٢ / ٢٨٧.

٢٤٤ - وفا ٢ / ١٧٢ - ٣.

عمر يصلي الى سرحة هي أقرب السرحات الى الطريق وهي أطولهن[٢٤٥].

ويقول السمهودي ان هرشى هي طريق حجاج المدينة اليوم، ولكن يكون هرشي على يسارهم لانهم يسيرون في الخبت، وودان أسفل منها رابغ فانما كانت ملتقى الطريق قديماً ولها طريقان وكل من سلك واحداً منها أفضى به به الى موضع واحد[٢٤٦].

ويلي هرشى شراء (وهو جبل مرتفع شامخ لبني ليث وبني ظفر من بني سليم وهو دون عسفان من عن يسارها وفيه عقبه تذهب الى ناحية الحجاز لمن سلك من عسفان يقال له الخريطة مرتفعة جداً، ثم تطلع من شراء على ساية وهو واد بين حاميتين وهما حرتان سوداوان به قرى كثيرة سكانها من أفناء الناس ومياهها عيون تجري تحت الأرض فقر كلها، والفقر القني تحت الأرض واحدها فقير، ووالي ساية من قبل صاحب المدينة وفيها نخل ومزارع وموز وعنب أهلها لولد علي بن أبي طالب وفيها من افناء الناس)[٢٤٧].

وعلى ميلين من هرشى تقع ذو الاظافر وهي هضبات[٢٤٨].

شمنصير:

يقول عرام (وعلى الطريق من ثنية هرشي الى الجحفة ثلاثة أودية: غزال وذو دوران وكلية تالهان من شمنصير وذروه وكلها لخزاعة[٢٤٩] يروي ياقوت (شمنصير جبل في بلاد هذيل، وقرأت بخط ابن جني في كتاب هذا لفظه قال شمنصير جبل بساية، وساية واد عظيم به أكثر من سبعين عيناً وهو وادي

---

٢٤٥ ـ وفاء ٢/١٧٢ ـ ٣.

٢٤٦ ـ وفا ٢ / ٣٨٧.

٢٤٧ ـ البكري ٩٥٤ وفا ٢ / ٢٤٧ وانظر أيضاً البكري ١٦٢، ١٣٥٠ ياقوت ١ / ٢٩١.

٢٤٨ ـ وفاء ٢/٢٤٧

٢٤٩ ـ البكري ٣٥١ ياقوت ٣ / ٧٩٧ عن عرام.

أمج)[٢٥٠] ويقول السمهوري (شمنصير جبل ساية)[٢٥١] ويقول عرام (يتصل بضرعاء وهي قرية قرب ذروة من آره شمنصير وهو جبل ململم لم يعله قط أحد ولا درى ما على ذروته، فأعلاه القرود والمياه مواتية تحول ينابيع. . ويقال أن أكثر نباته النبع والشواحط وينبت عليه النخل والحمض)[٢٥٢].

فأما غزال (وهو واد يأتيك من ناحية شمنصير وذروة وفيه وهو لخزاعة خاصة وهم سكانه أهل عمود)[٢٥٣] ويقول البكري (غزال ثنية عسفان تلقاها قبله بأرجح من ميل وعند تلك الثنية واد يجيء من ناحية ساية يصب إلى أمج) ولما خرج الرسول وأصحابه محرمين إلى مكة (نزلوا ثنية الغزال بعسفان فإذا هم بحمار وحش)[٢٥٤]. ويقول السمهودي (أن غزال واد يأتي من ناحية شمنصير سكان خزاعة)[٢٥٥].

وبين ثنية الغزال وبين أمج يقع وادي جمدان[٢٥٦].

أما ذو دوران فهو (واد يأتي من شمنصير وذروه وبه بيران يقال لأحداهما رحبة وللأخرى سكربه وهو لخزاعة)[٢٥٧]ويقول البكري (ذروه تنبت النخل والأراك والمرخ والدوم وهو المقل وكلها لخزاعة)[٢٥٨] ويقول ابن حبيب (ذروان ما بين قديد والجحفة)[٢٥٩]. و (قال الأصمعي ونصر غزت بنو كعب ابن عمير

---

٢٥٠ ـ ياقوت ٣ / ٣٢٢.

٢٥١ ـ البكري ٨١١ عن ابن الأعرابي وفا ٢ / ٣٣١.

٢٥٢ ـ ياقوت ٣ / ٣٢٢.

٢٥٣ ـ ياقوت ٣ / ٧٩٧.

٢٥٤ ـ بكري ٩٥٦.

٢٥٥ ـ وفاء ٢ / ٣٥٣.

٢٥٦ ـ ياقوت ٢ / ١١٥.

٢٥٧ ـ ياقوت ٢ / ٦١٤.

٢٥٨ ـ البكري ١٣٥٢.

٢٥٩ ـ البكري ٥٦١.

من خزاعة بني لحيان بأسفل من ذي دوران فاقتنعت منهم بنو لحيان)[٢٦٠].

وفي وادي دوران يقع بئر رحبة قرب الجحفة[٢٦١].

أما كلية فقد قال عرام (واد يأتيك من شمنصير بقرب الجحفة على ظهر الطريق ماء آبار يقال لتلك الآبار كلية وبها سمي الوادي وكان النصيب يسكنها وكان بها يوم للعرب)[٢٦٢] ويقول البكري (وبأعلى كلية ثلاثة أجبل صغار منفردات من الجبل يقال لها سنابك وغدير خم واد هناك يصب في البحر)[٢٦٣] ومن الجحفة إلى كلية ١٢ ميلاً وهي ماء لبني ظمره ومن كلية إلى المشلك تسعة أميال[٢٦٤].

ودون كلية شطب وهو واد حذاء مرخم إلى بلاد ضمرة[٢٦٥].

وفي أسفل كلية الغرابات وهي أمواه لخزاعه[٢٦٦].

وفي غربي شمنصير قرية يقال لها الحديبية ليست بكبيرة وبحذائها جبل صغير يقال له ضعاضع وعنده حبس كبير يجتمع فيه الماء، وهؤلاء الريتان لبني سعد بن بكر اضآر النبي[٢٦٧] ويقول ياقوت: والحبس حجارة مجتمعة يوضع بعضها على بعض قال بعض الشعراء:

وإن التفاتي نحو حبس ضعاضع ... وإقبال عيني الضياء طويل[٢٦٨]

---

٢٦٠ - ياقوت ٢ / ١٤.

٢٦١ - ياقوت ٢ / ٧٦٩.

٢٦٢ - ياقوت ٤ / ٣٠٣.

٢٦٣ - البكري ١٣٥٢.

٢٦٤ - البكري ٩٥٦.

٢٦٥ - ياقوت ٣ / ٢٨٩.

٢٦٦ - ياقوت ٣ / ٧٧٩.

٢٦٧ - ياقوت ٣ / ٤٧٤ البكري ٨١٠ وفا ٢ / ٣٣٩ عن عرام.

٢٦٨ - ياقوت ٣ / ٤٧٤ ـ ٥.

ويقول البكري عن الحديبية وضعاضع (وهي القريات لسعد ومسروح، وفي سعد هذه نشأ رسول الله ﷺ ولهذيل ومنهم فيها شيء، ومياههم بثور وهي إحساء وعيون وليست بآبار)[٢٦٩].

يقول نصر (ذروة ناحية من شمنصير وهو ميل بناحية حرة بني سليم وقيل واد يفرغ في نخل ويخرج من حرة النار مشرقاً تلقاء الحرة فينحدر على وادي نخل[٢٧٠] ويقول أبو زيد (جبله حصن في آخره وادي الستارة بتهامة ناحية ذروة)[٢٧١]

ويتصل شمنصير بقرية يقال لها ضرعاء وهي في أسفل رخيم قرب ذره فيها قصور ومنبر وحصون يشترك بين الحرث فيها هذيل وعامر بن صعصعة[٢٧٢].

يقول عرام: فيما يطيف بشمنصير وهو جبل قرية يقال لها رهاط بقرب مكة على طريق المدينة وهي بوادي يقال له غران وبقرب وادي الحديبية وهي قرية ليست كبيرة وهذه المواضع لبني سعد وبني مسروح الذين نشأ فيهم رسول الله[٢٧٣] ويقول البكري أنه كان برهاط منبر تابع للفرع[٢٧٤]، وأنها قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة[٢٧٥].

وكان برهاط سواع[٢٧٦].

---

٢٦٩ - البكري ٨١٠ عن عرام.

٢٧٠ - ياقوت ٢ / ٧٢٤.

٢٧١ - ياقوت ٢ / ٢٧.

٢٧٢ - ياقوت ٣ / ٤٦٩ انظر أيضاً ٣ / ٣٢٣ وفا ٢ / ٣٣٨.

٢٧٣ - ياقوت ٢/٨٧٨ وفا ٢/٣١٦ كذلك ياقوت ٣ / ٣٢٣ البكري ٨١٠.

٢٧٤ - البكري ١٠٢١.

٢٧٥ - البكري ٦٧٨.

٢٧٦ - وفاء ٢ / ٣١٦.

ودّان:

وأسفل من هرشى على ميلين بما يلي المغرب ودان، يقطعها المصعدون من حجاج المدينة وينصبون فيها صادرين من مكة(٢٧٧)، وودان قرية جامعة من نواحي الفرع بينها وبين هرشى ستة أميال وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة وهي لصخر وغفار وكنانة وقد أكثر نصيب من ذكرها في شعره قال أبو زيد ودان من الجحفة على مرحله، بينها وبين الأبواء على طريق الحاج في غربيها ستة أميال وبها كان في أيام مقامي بالحجاز رئيس للجعفريين أعني جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة، وبينهم وبين الحسينية حروب ودماء حتى استولى طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم، فصاروا حرباً لهم فضعفوا(٢٧٨)، وذكر الأسدي (أن ودان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ينزل به من لا ينزل إلى الأبواء، من أراده رحل من السقيا إليه وبه عيون غزيرة عليها سبعة فشارع وبركة قديمة ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هرشى بينها وبين ودان خمسة أميال، وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل، قلت: وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل ودان وهي معطشة لا ماء بها إلا ما يحمل من بدر إلى رابغ(٢٧٩).

وبالقرب من ودان مرتج (وقيل هو في صدر نجلاء واد لحسن بن علي بن أبي طالب)(٢٨٠).

وعند ودان مناة، الصنم المعروف(٢٨١).

---

٢٧٧ - ياقوت ٤ / ٩٦٠ البكري ١٣٥٠ وفا ٢ / ٣٨٧.

٢٧٨ - ياقوت ٤ / ٩١٠ وفا ٢ / ٣٩٠.

٢٧٩ - وفا ٢ / ١٧٢.

٢٨٠ - ياقوت ٤ / ٤٨٦ وفا ٢ / ٣٧١.

٢٨١ - ياقوت ٤ / ٦٥٤ وانظر أيضاً ١ / ٢٣٦.

وعندها أيضاً روضة الأجاول[٢٨٢]، ويقول ابن السكيت الأجاول أبارق بجانب الرمل على يمين كلفى من شمالها.

والبزواء (بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودان)[٢٨٣].

والمرود (موضع بين الجحفة وودان من ديار بني ضمرة من كنانة وهناك رابغ)[٢٨٤].

رابغ:

أمـا رابـغ فهي (واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة.. وقال ابن السكيت رابغ بين الجحفة وودان وقال في موضع آخر رابغ واد من دون الجحفة يقطعه طريق الحاج من دون عزور، وقال الحازمي بطن رابغ واد من الجحفة له ذكر في المغازي وفي أيام العرب، وقال الواقدي هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الأبواء والجحفة)[٢٨٥]. (وهي بعد عقبة هرشى على أميال من الطريق مشرقاً وفيه عين وآبار ونخل)[٢٨٦]، وهي من منازل خزاعة[٢٨٧].

وكـراع الغميم بين رابـغ والجحفـة وقد أقطعه رسول الله ﷺ أوفى بن مواله العنبري وشرط عليه اطعام ابن السبيل والمنقطع وكتب له كتاباً في أديم أحمر[٢٨٨].

---

٢٨٢ ـ ياقوت ٢ / ٨٤٢، ١ / ١٣١ ويقول ابن السكيت أن الأجادل أبارق بجانب الرمل عن يمين كلعن من شمالها (ياقوت ١ / ١٣١).

٢٨٣ ـ ياقوت ١ / ٦٠٦.

٢٨٤ ـ ياقوت ٤ / ٥٠٥ ولعلها هي البرود التي يذكرها ياقوت ١ / ٥٩٧.

٢٨٥ ـ ياقوت ١ / ٧٢٧ ـ ٨ وعن كثرة ورودها في شعر كثير عزة انظر ياقوت ١ / ٢٩١، ٥٨١، ٧٤٧، ٨٤٧.

٢٨٦ ـ البكري ١٣٥٠.

٢٨٧ ـ البكري ٦٢٥ ويذكر ابن سعد أنها على عشرة أميال من الجحفة ١ ـ ٢ / ٢.

٢٨٨ ـ ياقوت ٣ / ٨١٨.

الجحفة:

والمنزل التالي للأبواء هي الجحفة، وهي قرية كبيرة[289]، ومدينة عامرة[290]، ومنزل عامر[291]، جامعة[292]، ذات منبر[293]، وهي من منابر الفرع[294]، وهي من الكبر ودوام العمارة نحو مدينة فيد، وليس بين مكة والمدينة منزل يستقبل بالعمارة والأهل سائر السنة كهي، ولا بين المدينة والعراق مكان يستقبل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد وهي في ديار طي[295] يسكنها بنو جعفر، عليها حصن ببابين وبها آبار يسيرة وعلى ميلين يمين وبها بركة كبيرة بما عز بها وهي كثيرة الحمى[296] فيها سوق، وماؤها من الآبار وبينها وبين فرضة البحر ثمانية أميال[297] وبها قوم من بني سليم[298] وكانت في زمن ياقوت خراب[299]، يقول السمهودي الجحفة أحد المواقيت قرية كانت كبيرة ذات منبر[300] ويقول الأسدي بعد ذكر ما بالجحفة من الآبار والبرك والعيون وفي أول الجحفة مسجد لرسول الله ﷺ يقال له عزور وفي آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله ﷺ يقال له الأئمة[301].

---

٢٨٩ - ياقوت ٢ / ٣٥ ابن رسته ١٧٨.

٢٩٠ - أحسن التقاسيم ٧٧.

٢٩١ - ابن حوقل ١ / ٣٣.

٢٩٢ - البكري ٣٦٨.

٢٩٣ - ياقوت ٢ / ٣٥ البكري ٣٦٨.

٢٩٤ - البكري ١٠٢١.

٢٩٥ - ابن حوقل ١ / ٣٣.

٢٩٦ - أحسن التقاسيم ٧٧.

٢٩٧ - الأعلاق النفيسة ١٧٨.

٢٩٨ - البلدان لليعقوبي ٣١٤.

٢٩٩ - ياقوت ٢ / ٣٥.

٣٠٠ - وفا ٢ / ٢٧٩.

٣٠١ - وفا ١٧٣.

يروي الكلبي: أن العماليق أخرجوا بني عقيل وهم أخوة عاد بن أرم فنزلوا الجحفة وكان اسمها يومئذ مهيمة فجاءهم سيل واجتحفهم فسميت الجحفة[٣٠٢] ويقول عياض «سميت الجحفة لأن السيول أجحفتها وحملت أهلها وقيل إنما سميت بذلـك من سنـة سيل الجحـاف سنـة ٨٠ لذهـاب السيل بالحجـاج وأمتعتهم»[٣٠٣] ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة وثب على أصحابه وباء شديد حتى أهمدتهم الحمى فما كان يصلي مع رسول الله ﷺ إلا اليسير فدعا لهم وقال اللهم أحبب لنا المدينة كما أحببت إلينا مكة واجعل ما كان بها من وباء بخم «رواية أخرى وانقل حماها إلى الجحفة»[٣٠٤].

وفي أول الجحفة مسجد النبي ﷺ بموضع يقال له عزور وفي آخرها عند العلمين مسجد الأئمة[٣٠٥].

وبين الجحفة وبين ساحل الجار نحو ثلاث مراحل، وبينها وبين أقرن موضع من البحر ستة أميال وبينها وبين المدينة ست مراحل وبينها وبين غدير خم ميلان، وقال السكري الجحفة على ثلاث مراحل من مكة[٣٠٦] ويذكر ياقوت أيضاً في أماكن أخرى أن: من الجار الى ساحل الجحفة نحو ٣ مراحل[٣٠٧] ومن جدة إلى ساحل الجحفة خمس مراحل[٣٠٨] وبين الأبواء وبين الجحفة مما يلي

---

٣٠٢ - ياقوت ٢ / ٣٥ البكري ٣٦٨ وفا ٢ / ٣٨٠.

٣٠٣ - وفا ٢ / ٣٨٠.

٣٠٤ - ياقوت ٤ / ٤٦٠، ٢ / ٣٥ وفا ١ / ٤٠ ويروى أنه دعا بنقلها إلى خيبر (ياقوت ٣ / ٢٤٤) أو إلى مهيعـة (البكري ٣٧٠ ومهيعة هو اسم الجحفة ياقوت ٢ / ٣٥، ٤ / ٧٠٢ البكري ٣٠٧ ويقال أنه مكان قريب منها (ياقوت ٤ / ٧٠٢).

٣٠٥- البكري ٣٦٨.

٣٠٦- ياقوت ٢ / ٣٥.

٣٠٧- ياقوت ٢ / ٥.

٣٠٨ - ياقوت ٢ / ٤١.

المدينة ٢٣ ميلاً[٣٠٩] وإن غدير خم على ٣ أميال منها[٣١٠] ويقول عرام: أن بين غدير خم والجحفة ميل[٣١١] ويقول اليعقوبي: أنه على ميلين[٣١٢] ويقول البكري: بين الجحفة والبحر نحو من ستة أميال. . وغدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة[٣١٣] ويقول السمهودي: الجحفة على خمس مراحل وثلثي مرحلة من المدينة وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة[٣١٤].

والجحفة: هي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة[٣١٥] وثبت أن رسول الله ﷺ قال مهلّ أهل الشام من الجحفة ومهلّ أهل المدينة من ذي الحليفة، ومهلّ أهل نجد من قرن[٣١٦].

وتوضيحاً لما سبق يقول ياقوت: ولأهل مصر وفلسطين إذا جاوزوا مدين طريقان إلى المدينة أحدهما على شعب بدا وهما قريتان بالبادية كان بنو مروان اقطعوهما الزهري المحدث وبها قبره حتى ينتهي إلى المدينة على المروة، وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة فيجتمع بها فريق أهل العراق وفلسطين ومصر[٣١٧].

والجحفة أول الغور إلى مكة وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عرق

---

٣٠٩ - ياقوت ١ / ١٠٠.

٣١٠ - ياقوت ٢ / ٤٧١.

٣١١ - ياقوت ٢ / ٤٧٣.

٣١٢ - البلدان ٣١٤.

٣١٣ - البكري ٣٦٠.

٣١٤ - وفا ٢ / ٢٧٩.

٣١٥ - ياقوت ٢/ ٣٥، وفاء ٢/ ٣٨٠.

٣١٦ - ياقوت ٤ / ٢ ٧٠ البكري ٣٦٩ أحسن التقاسيم ٧٧.

٣١٧ - ياقوت ٤ / ٤٦٨.

وأول الغور من طريق المدينة أيضاً الجحفة[318].

وقد ذكرت بالقرب من الجحفة عدة أماكن منها:

١ ـ الحبلى: وهي عقبة الجحفة على سبعة أميال من السقيا[319].

٢ ـ الزبيب: ميقات الغرب في البحر جبل إزاء الجحفة[320].

٣ ـ نيل العقاب وهو موضع بين مكة والمدينة قرب الجحفة[321].

٤ ـ القاحة: بين الجحفة وقديد[322].

٥ ـ المرود: موضع بين الجحفة وودان من ديار بني ضمرة من كنانة وهناك رابغ[323].

٦ ـ إحياء ماء من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق[324].

غير أن أشهر مكان قرب الجحفة هو غدير خم.

خليص:

وقد وصف ابن جبير خليص بقوله (وهي في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل، لها جبل فيه حصن مشيد في قمته، وفي البسيط حصن آخر قد أثر فيه الخراب، وبها عين فوارة قد أحدثت لها أخاديد في الأرض مسربة يستقي منها على أفواه كالآبار يجدد الناس بها الماء لقلته في الطريق بسبب القحط المتصل)[325].

---

٣١٨ ـ ياقوت ٢ / ٣٥ .

٣١٩ ـ ياقوت ٤ / ٣٥٣.

٣٢٠ ـ أحسن التقاسيم ٧٨.

٣٢١ ـ ياقوت ٤ / ٨٦٠ البكري ١٣٤١.

٣٢٢ ـ ياقوت ٤ / ٥.

٣٢٣ ـ ياقوت ٤ / ٥٠٥.

٣٢٤ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٢.

٣٢٥ ـ ياقوت ٢ / ٤٧١ وفا ٢ / ٣٠١.

عسفان :

عسفان من المنازل الرئيسية في طريق المدينة إلى مكة[٣٢٦]، وهي على مرحلتين من مكة، أي على ٣٦ ميلاً منها[٣٢٧]، وهي قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع[٣٢٨] قرية عظيمة حسنة كثيرة الأهل كثيرة النخل والزرع فيها بركة يجري إليها الماء من جبل[٣٢٩] وهي في بسيط من الأرض بين جبال وبها آبار تنسب لعثمان وشجر المقل فيها كثير، وبها حصن عتيق البنيان ذو أبراج مشيدة غير معمورة قد أثر فيه القدم وأوهته قلة العمارة ولزوم الخراب[٣٣٠].

وعسفان لخزاعة خاصة[٣٣١] وهي لبني المصطلق من خزاعة، وهي كثيرة الآبار والحياض[٣٣٢] وهي حد تهامة[٣٣٣] ومن منابر الفرع[٣٣٤].

وبالقرب من عسفان بطن غران وبينها وبين عسفان خمسة أميال، ويسكنها بنو لحيان[٣٣٥] وقد غزاها الرسول، ويروي ابن سعد طريق سيره حيث يقول: خرج من المدينة فسلك على غراب ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار فخرج على يين ثم على صخيرات التمام ثم استقام به الطريق على السيالة فاغذ السير سريعاً حتى نزل على غران. . وهي منازل بني لحيان،

٣٢٦ـ البكري ٨٦٣.

٣٢٧ ـ ياقوت ٢ / ٤٧١.

٣٢٨ ـ ياقوت ٢ / ٤٧١.

٣٢٩ ـ البكري ١٣٥٢، ياقوت ٦٧٣/٣.

٣٣٠ ـ ياقوت ٢ / ٤٧١، ٤ / ٤٦٠ وفا ٢ / ٣٠١ وفيه تفاصيل أوفى

٣٣١ ـ ياقوت ٢ / ٣٠١.

٣٣٢ ـ البكري ٥١١، ٤٩٢.

٣٣٣ ـ البكري ٤٩٢.

٣٣٤ ـ البكري ١١٦١.

٣٣٥ ـ ابن سعد ١ ـ ٢ / ٣.

فوجدهم قد تمنعوا في رؤوس الجبال فلما أخطأه من عدوه ما أراد قالوا لو أنّا هبطنا عسفان فنرى أهل مكة قد جئناها فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم[٣٣٦].

والرجيع ماء لهذيل لبني لحيان منهم بين مكة وعسفان بناحية الحجاز من صدر الهداة[٣٣٧].

والهداة على سبعة أميال من عسفان إذا رحت من مكة عن يسار الطريق وسكانها بنو ضمرة وناس من خزاعة.

وبالقرب من عسفان خيف ذي القبر وهو اسفل خيف سلام وإنما اشتهر بخيف ذي القبر لأن أحمد بن الرضا قبره هناك.

أما خيف سلام فهو بلد بقرب عسفان على طريق المدينة فيه منبر وناس كثير من خزاعة، ومياهها قنى وباديتها قليلة من جشم وخزاعة. . وقيل إنما سماه خيف سلام الرشد، وخيف ذي القبر أسفل من خيف سلام وليس به منبر وإن كان آهلاً، وبه نخيل كثيرة وموز ورمان، وسكانه بنو مسروح وسعد وكنانة وتجار الفاق، وماؤه من القنى وعيون تخرج من ضفتي الوادي وبقبر أحمد الرضا سمي خيف ذي القبر وهو مشهور به، وسلام هذا كان من أغنياء هذا البلد من الأنصار قاله أبو الأشعث الكندي. . وقال أسفل وعند بير خم يقع ميثب.

قديد والمشلل:

والمنزل التالي الرئيسي للجحفة هي قديد وهي (قرية جامعة)[٣٤٢] و(قرية

---

٣٣٦ - ياقوت ٤ / ٧١٢.

٣٣٧ - البكري ٧٨٧ وفا ٢ / ٣٦٠.

عظيمة)[٣٤٣] من منابر الفرع[٣٤٤] وقد مر بها النبي في طريق هجرته[٣٤٥] وهي كثيرة المياه والبساتين[٣٤٦] كثيرة الأهل خصبة وماؤها من الآبار والبحر[٣٤٧] وبها منازل لخزاعة[٣٤٨].

يهبط على قديد من ناحية البحر جبل المشلل وبينهما وادي عزور[٣٤٩] وهي تبعد عن قديد ثلاثة أميال[٣٥٠].

وقد دفن على المشلل مسلم بن عقبة المري[٣٥١] والقاسم[٣٥٢].

وبالمشلل ماء غسان[٣٥٣] وجبيل[٣٥٤].

وكانت مناة منصوبة على البحر عند قديد[٣٥٥] وقراضم بين المشلل والخيمتين[٣٥٦].

وبقديد أيضاً سميحة[٣٥٨].

٣٤٣ـ الأعلاق النفيسة ١٧٨.

٣٤٤ ـ البكري ١٠٢١.

٣٤٥ ـ البكري ١١٦١.

٣٤٦ ـ البكري ١١٦١ وفا ٢ / ٣٦٠.

٣٤٧ ـ الأعلاق النفيسة ١٧٨.

٣٤٨ ـ البلدان لليعقوبي ٣١٤.

٣٤٩ ـ ياقوت ٤ / ٥٤٣ البكري ٢٣٤.

٣٥٠ ـ ابن سعد ٥ / ١٤٣، البكري ١٠٧٥.

٣٥١ ـ البكري ٧٢٣، ٩٧٦، ١٢٣٣، ٧٥، ١٢١ ياقوت ٣/٥٤٣.

٣٥٢ ـ ابن سعد ٥ / ١٤٣.

٣٥٣ ـ ياقوت ٣ / ٨٠١.

٣٥٥ـ ياقوت ٤ / ٦٥٢ البكري ١٠٥٥، ٩٥٦.

٣٥٦ـ البكري ١٠١٧.

٣٥٨ـ ياقوت ٢ / ١٤٧.

وبين قديد وعسفان وادي أثامد[٣٥٩] وجمدان وهو جبل بالحجاز من منازل بني سليم[٣٦٠] وفي جمدان موضع اسمه الدف[٣٦١].

أما قاحة فهي: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل، وقال نصر هي موضع بين الجحفة وقديد[٣٦٢].

وشنابك: ثلاثة أجبل صغار منفردات من الجبال بين قديد والجحفة من ديار خزاعة[٣٦٣].

ولفت ثنية في جبل قديد[٣٦٤].

وذهبان: قرية بالساحل بين جدة وبين قديد[٣٦٥].

والمريسيع: وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل وكان نزلها بنو المصطلق من خزاعة وقد غزاهم النبي[٣٦٦] ويروي ابن سعد أن المريسيع بينها وبين الفرع نحو من يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد[٣٦٧] ويقول المجد أنه على ساعة من الفرع[٣٦٨].

٣٥٩- ياقوت ١ / ١١٦.

٣٦٠- البكري ٣٩١ ياقوت ٢ / ١١٥.

٣٦١ - ياقوت ٢ / ٥٧٩.

٣٦٢ - ياقوت ٤ / ٥.

٣٦٣ - ياقوت ٣ / ٣٢٦، البكري ١٣٥٢.

٣٦٤ - ياقوت ٤ / ٣٦١.

٣٦٥ - ياقوت ٢ / ٧٢٥.

٣٦٦ - ياقوت ٤ / ٥١٧ البكري ١٢٢.

٣٦٧ - ابن سعد ٢ - ١ / ٤٥.

٣٦٨ - وفا ٢ / ٣٧٣.

وبالقرب من قديد خيمة أم معبد التي مر بها الرسول ﷺ في طريق هجرته[٣٦٩] وقد ذكر الأسدي مسجداً قبل قديد بثلاثة أميال وذكر أن خيمة أم معبد الخزاعية وموضع مناة الطاغية في الجاهلية نحو هذه المسافة[٣٧٠].

عقبة خليص:

وعلى ثمانية أميال وشيء من قديد تقع خليص، وهي تسمى أيضاً عين ابن يزيع، وعلى ثلاثة أميال منها تقع عقبة خليص، وهي عقبة تقطع حرة تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة، وعند هذه الحرة مسجد للرسول ﷺ[٣٧١].

غدير خم:

ذكرنا عند الكلام عن الجحفة أن غدير خم يبعد عنها ثلاثة أميال في أغلب الروايات، أو ميلين على ما يقول اليعقوبي، أو ميل واحد على قول عرام، وقد يمكن التوفيق بين هذه الروايات بإرجاع الخلاف بينها إلى نقاط ابتداء المقاييس.

يقول عرام «ودون الجحفة على ميل غدير خم وواديه يصب في البحر لا ينبت فيه غير المرخ والثمام والأراك والعشر، وغدير خم هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء المطر أبداً وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير»[٣٧٢].

ويقول البكري «وغدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق، وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف، وهي والغيضة التي تسمى خم، وبين الغدير والعين مسجد النبي ﷺ وهناك نخل ابن المعلى وغيره».

---

٣٦٩ - ياقوت ٢ / ٥١١.

٣٧٠ - وفا ٢ / ١٧٣ عن الأسدي.

٣٧١ - ياقوت ٣ / ٦٧٣ ويذكر أنها على ثلاث مراحل من الجحفة

٣٧٢ - ياقوت ٢ / ٤٧١.

وذكر صاحب المشارق أن خم اسم غيضة هناك وبها غدير نسبة إليها قال وخم موضع تصب فيه عين بين الغدير والعين وبينها مسجد رسول الله ﷺ.

(وقال الخازمي خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير).
وغدير خم واد هناك يصب في البحر.
وغدير خم موصوف بكثرة الوخامة.

قال الأسدي وعلى ثلاثة أميال من الجحفة يسره عن الطريق حذاء العين مسجد لرسول الله ﷺ وبينها الغيضة وهي غدير خم وهي على أربعة أميال عن الجحفة.

يقول السكوني «موضع الغدير خم يقال له الخرار» ويذكر البكري إن «الخرار ماء لبني زهير وبني بدر ابني ضمرة، قال الزبير هو واد بالحجاز يصب على الجحفة وإليه انتهى سعد بن أبي وقاص بسرية بعثه بها النبي ﷺ وانصرف فلم يلق كثيراً، وكان الخرار لبني عبدالله بن عامر فاشتراه منهم الوليد بن عبدالملك».

وقد مر به الرسول ﷺ في طريق هجرته حيث إن دليله عبدالله بن أريقط مال به من أسفل مكة ثم مضى على الساحل أسفل من عسفان ثم سلك من أمج ثم عارض الطريق بعد أن وصل قديدا فسلك الخرار ثم سلك ثنية المرة ثم سلك لقفا(٣٨١).

وقد أرسل الرسول ﷺ سرية سعد بن أبي وقاص بعثه يعترض قريشاً حين تمر به وعهد إليه أن لا يجاوز الخرار، والخرار حين تروح من الجحفة إلى مكة آبار عن يسار الجحفة قريب من خم(٣٨٢).

---

٣٨١ - ابن سعد ٢ ـ ١ / ٢.

٣٨٢ - ابن سعد ٢ ـ ١ / ٢ انظر أيضاً ياقوت ٣ / ٦٧٣.

أما خيف النعم فيه منبر وأهله غاضره وخزاعة وتجار بعد ذلك وناس وبه نخيل ومزارع، وهو إلى عسفان ومياهه خرارة كبيرة(٣٨٣).

وبير معاوية بين عسفان ومكة منسوبة إلى أبي عبيدالله بن معاوية وزير المهدي، كان المهدي اقطعه هذا الموضع فيما اقطعه لما استوزره فسميت به(٣٨٤).

الكديد:

وبين عسفان وأمج يقع الكديد وهو يبعد ٤٢ ميلاً عن مكة(٣٨٥) وهو بعد عين خلص بثمانية أميال لجهة مكة يمنة الطريق(٣٨٦)، ويسكنه بنو الملوح وهم من بني ليث وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير لابن محرز المكي(٣٨٨) ومن أمج إلى الروضة أربعة أميال، ومن الروضة إلى الكديد ميلان، ومن الكديد إلى عسفان ستة أميال(٣٨٩) وبين قديد والكديد ستة عشر ميلاً، والكديد أقرب إلى مكة.

وعلى ثلاثين ميلاً من الكديد جبل سعد وعنده قصر ومنازل وسوق وماء عذب على جادة طريق كان يسلك من فيد إلى المدينة.

وبشمى واد بتهـامـة يصب إليه البشائم، وقال ابنَ الأعرابي بشمي واد يصب في عسفان أو أمج وله نظاير خمس وبشام موضع سمي بذلك لكثرة هذا الشجر به.

---

٣٨٣ ـ ياقوت ٤ / ٢٨ عن أبي بكر الهذلي.

٣٨٤ ـ ياقوت ١ / ٤٣٥.

٣٨٥ ـ وفا ٢ / ٣٦٥.

٣٨٦ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٨٩.

٣٨٨ ـ البكري ١١١٩.

٣٨٩ ـ البكري ٩٥٦.

وعن يسـار عسفـان شراء: وهو جبل شامخ مرتفع في السماء من دونه عسفان تأوي إليه القرود وينبت النبع والشوحط وهو لبني ليث خاصة ولبني ظفر من سليم وهو عن يسار عسفان وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز لمن سلك عسفان يقال لها الخريطة مصعدة مرتفعة جداً، والخريطة تلي الشراة جبل صلد لا ينبت شيئاً ثم يطلع من الشراة على ساية.

وقرب عسفان تقع بعال: أرض لبني غفار تتصل بغيقة. قال الحازمي، ثم نقله نصر، وزاد أنه موضع بالحجاز قرب عسفان وهي شعبة لبني غفار تتصل بغيقة وقيل جبل بين الأبواء وجبل جهينة في واديه خلص ويقول البكري أن بعال والقبب جبلان[٣٩٦] وقرب عسفان أيضاً غدير الاشطاط[٣٩٧]، وهو تلقاء الحديبية[٣٩٨].

أما كراع الغميم فيقول ياقوت: أنه واد أمام عسفان بثمانية أميال وهذا الكراع جبل أسود في طرف الحرة عند إليه[٣٩٩] ويقول نصر: الغميم موضع قرب المـدينـة بين رابـغ والجحفة ويقول ابن حبيب : الغميم بجانب المراض، والمراض بين رابغ والجحفة ويقول البكري : من عسفان إلى كراع الغميم ثمانية أميال، والغميم واد والكراع جبل أسود عن يسار الطريق طويل شبيه بالكراع، وقيل الغميم بميل سقاية العدني ومسجده، وعلى أثر ذلك موضع يقال له سدوس آبار لبعض ولد أبي لهب، ومن كراع الغميم إلى بطن مر ١٥ ميلاً، وقبل كراع الغميم بثلاثة أميال الجنابذ: آبار وقباب ومسجد وهي المنصف بين عسفان وبطن مر[٤٠٢].

٣٩٦- ياقوت ١ / ٦٧١، ٢ / ٢٢٤ البكري ٤٨١.

٣٩٧- ياقوت ١ / ٢٧٩.

٣٩٨- البكري ١٥٣.

٣٩٩- ياقوت ٤ / ٢٤٧.

٤٠٢- البكري ٩٥٦ - ٧.

وبين وادي بطن مر وعسفان عن يسار الذاهب إلى مكة يقع وادي الستارة وطول هذا الوادي نحو من يومين وبالقرب من هذا الوادي واد مثله يعرف بساية[٤٠٣].

بطن مر:

إن المنزل الرئيسي الأخير في الطريق بين المدينة ومكة بطن مر يقول عرام: إذا خرجت من عسفان لقيت البحر وانقطعت الجبال والقرى إلى أودية مسماة بينك وبين مر الظهران يقال لواد منها مسيحة، ولواد آخر مدركة، وهما واديان كبيران بهما مياه كثيرة منها ماء يقال له الحديبية بأسفله مياه تنصب من رؤوس الحرة مستطيلين إلى البحر[٤٠٤].

أما بطن مر فيقول ابن رسته: هي قرية عظيمة حسنة كثيرة الأهل كثيرة النخيل والزرع فيها بركة يجري إليها الماء من جبل[٤٠٥] ويقول ابن جبير وبطن مر وهو واد خصيب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة الماء تسقي منها أرض تلك الناحية، وعلى هذا الوادي قطر متسع وقرى كثيرة وعيون ومنها تجلب الفواكه إلى مكة[٤٠٦] ويقول اليعقوبي: مر الظهران وهي منازل مكة[٤٠٧].

يقول الأسدي: بين مكة وبطن مر سبعة عشر ميلاً، وببطن مر مسجد لرسول الله ﷺ وبركة للسبيل طولها ٣٠ ذراعاً وربما ملئت هذه البركة من عين يقال لها العقيق.. وبحضرة هذه البركة بئران[٤٠٨].

---

٤٠٣ ـ ياقوت ٢ / ٢٧.

٤٠٤ ـ ياقوت ٤ / ٤٤٩.

٤٠٥ ـ الأعلاق النفيسة ١٧٨.

٤٠٦ ـ رحلة ابن جبير ١٨٢.

٤٠٧ ـ البلدان لليعقوبي ٣١٤.

٤٠٨ ـ وفا ٢ / ١٧٤.

سميت مر لمرارة مياهها[409] وقال أبو غسان سميت بذلك لأن في بطن الوادي بين مر ونخلة كتاباً بعرق من الأرض أبيض هجاء مر، وببطن مر تفرعت خزاعة وعنده نزل الرسول ﷺ عند صلح قريش[410] وكان رسول الله ﷺ ينزل المسيل الذي في أدنى مر الظهران حتى يهبط من الصفراوات ينزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ليس بين منزل رسول الله وبين الطريق[411] وقال المراغي يقال أنه المسجد المعروف بمسجد الفتح، وقال التقى الفاسي المسجد الذي يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادي مر الظهران يقال إنه من المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ ثم ذكر ما قاله المراغي حياش قال وبيضه في عصرنا ورفع أبوابه صوناً له الشريف حسن بن عجلان. وهذا المسجد ينظره الذاهب من الجموم إلى مكة عن يساره السيل[412]، ويقع واديا ضاح ونبط قبل مر[413].

قال البكري مخبر قرية بين علاف ومر[414].

التنعيم:

وعلى بعد سبعة أميال من مرتفع سرف، بينهما سرف التنعيم[415] وفي سرف أعرس الرسول ﷺ بميمونة مرجعه من مكة[416] وهناك قضى نسكه وماتت

---

409 - البكري ١٢٥٧، ١٢١٢.

410 - البكري ١٢١٢.

411 - البكري ١٢١٣.

412 - وفا ٢ / ١٧٤.

413 - البكري ٨٥٢.

414 - البكري ٢٢٨.

415 - البكري ٩٧٥.

416 - ياقوت ١ / ٨٧٩، ٣ / ٧٧.

ميمونة[417] وبالقرب منها المسحاء[418].

ثم يتلو ذلك التنعيم وقد سمي بذلك لأن الجبل الذي عن يمينه يقال له نعيم والذي عن يساره يقال له ناعم والوادي التنعيم[419].

يقول البكري أن التنعيم بين مر وسرف، بينه وبين مكة فرسخان، ويقول الأسدي أن التنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال وهو موضع الشجرة، وفيه مسجد لرسول الله ﷺ وفيه آباره، من هذا الموضع يحرم من أراد أن يعتمر[421].

وفي التنعيم عدة مساجد أشهرها مسجد عائشة، غير أن المصادر المتأخرة اختلفت في تحديده، فيذكر الأسدي ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد عائشة، وهو بعد الشجرة بميلين، وهو دون مكة بأربعة أميال وبينه وبين أنصاب الحرم غلوة، ويذكر التقي الفاسي عن هذا المسجد: وهذا المسجد اختلف فيه، فقيل هو المسجد الذي يقال له مسجد الهليلجة لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب، وهو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك، وقيل هو المسجد الذي بقربه بئر هو بين هذا المسجد وبين المسجد الذي يقال له مسجد علي بطريق وادي مر الظهران، وفي هذا أيضاً حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك.

ورجح المحب الطبري أنه المسجد الذي بقربه البئر، وهو الذي يقتضيه كلام اسحق الخزاعي وغيره: قال أن بين مسجد الهليلجة وأول الأعلام ٧١٤ ذراعاً بذراع الحديد، وذرع ما بينه وبين المسجد الآخر ٨٧٢ ذراعاً بالذراع

---

٤١٧ - البكري ٧٣٥ وفا ٢ / ١٧٥.

٤١٨ - البكري ١٢٢٤.

٤١٩ - البكري ٣٢١ ويقول في مكان آخر أن الأنصم هو وادي التنصيم (٢٠٠).

٤٢١ - وفا ٢ / ١٧٥.

المذكور، وقد أضاف السمهودي والأقرب لكلام الأسدي أن مسجد عائشة رضي الله عنها هو مسجد الهليلجة لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثاني، ولعل المنسوب للنبي ﷺ هو مسجد الشجرة ويسمى مسجد علي(٤٢٢).

إن ثنية التنعيم تسمى الثنية البيضاء(٤٢٣)وقد وصفها الأزرقي بأنها التي تسلك إلى التنعيم، وهي فوق جبل البرود الذي قتل فيه الحسين بن علي (شهيد فخ) وهي بين بلدح وفخ ويقول أيضاً: أسفل الثنية البيضاء يقع وادي فخ الذي يمتد إلى بلدح(٤٢٤).

وعند مسجد عائشة في التنعيم تقع خيمة جمانة(٤٢٥) ومن قبلها يسرة يقع مسجد ابتناه محمد بن علي الشافعي، وهو وراء الأكمة، ثم خرب فأصلحه أبو العباس عبدالله بن محمد بن داود وجعل على بيره قبة، وهو أمير مكة، ثم بنته العجوز وجودته وأحسنت بناءه(٤٢٦).

وبعد التنعيم تقع حدود الحرم من طريق المدينة، عند بيوت غفار(٤٢٧).

ذو طوى:

أما ذو طوى فهو يلي الثنية البيضاء، وفي ظهره جبل الحصحاص وبينهما ثنية الحصحاص وسقاية أهيب وجبل مسلم(٤٢٨).

ويفرع في ذي طوى شعب المطلب، وهو خلف شعب الأخنس وكذلك

---

٤٢٢ - وفا ٢ / ١٧٥.

٤٢٣ - ياقوت ١ / ٧٩٢.

٤٢٤ - الأزرقي: أخبار مكة ٣ / ٢٤٠ - ١.

٤٢٥ - الأزرقي ٢ / ١٦٨.

٤٢٦ - الأزرقي ٢ / ١٦٩.

٤٢٧ - الأزرقي ٢ / ١٠٤.

٤٢٨ - الأزرقي ٢ / ٢٤١.

شعب زريق وشعب أشرس الذي يفرع على بيوت ابن مدد[٤٢٩].

كداء:

وبين ذي طوى ومكة تقع ثنية كداء التي يهبط منها إلى ذي طوى وهي التي دخل منها قيس بن سعد بن عبادة يوم الفتح، وخرج منها رسول الله ﷺ إلى المدينة وعليها بيوت يوسف بن يعقوب الشافعي ودار آل طرفة الهذليين يقال لها دار اراكه[٤٣٠].

ويشرف على كداء الجبل الأبيض المشرف على شعب ارني على يمين القادم إلى مكة، وأما على يسار القادم فيقع قرن أبي الأشعث وهو مشرف على كداء، وهو من الجبل الأحمر، وأبو الأشعث رجل من بني أسد بن خزيمة يقال له كثير بن عبدالله بن بشر[٤٣١].

وعلى يسار القادم من المدينة يقع جبل المقلع وعليه بيت لعبدالله على طريق بير عنبسة[٤٣٢].

وقد وصف الأسدي المواقع بعد مسجد عائشة بقوله: فخ بعد مسجد عائشة رضي الله عنها بنحو ميلين وعقبة المذنبين بعد فخ، يميل يسرة عن الطريق، وطريق ذي طوى إلى المسجد نحوا من نصف ميل، وقال أيضاً يستحب الصلاة بمسجد ذي طوى وهو بين مسجد ثنية المذنبين المشرفة على مقابر مكة وبين الثنية التي تهبط على الحصحاص، وذلك المسجد ثنية زبيدة[٤٣٣].

---

٤٢٩ - الأزرقي ٢/٢٤٣.

٤٣٠ - الأزرقي ٢/٢٤٠.

٤٣١ - الأزرقي ٢/٢٤٠.

٤٣٢ - الأزرقي ٢/٢٤١.

٤٣٣ - وفاء ٢/١٧٦.

ووصف موسى بن عقبة مسجد ذي طوى بقوله في رواية عن عبدالله بن عمران أن النبي ﷺ كان ينزل ذي طوى ويبيت حتى يصبح يصلي الصبح حتى يقدم مكة، ومصلى رسول الله ﷺ على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بنى ثم، ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة، وأن عبدالله حدثه أن النبي ﷺ استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلى النبي ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة(٤٣٤).

---

٤٣٤ ـ وفاء ٢/١٧٥.

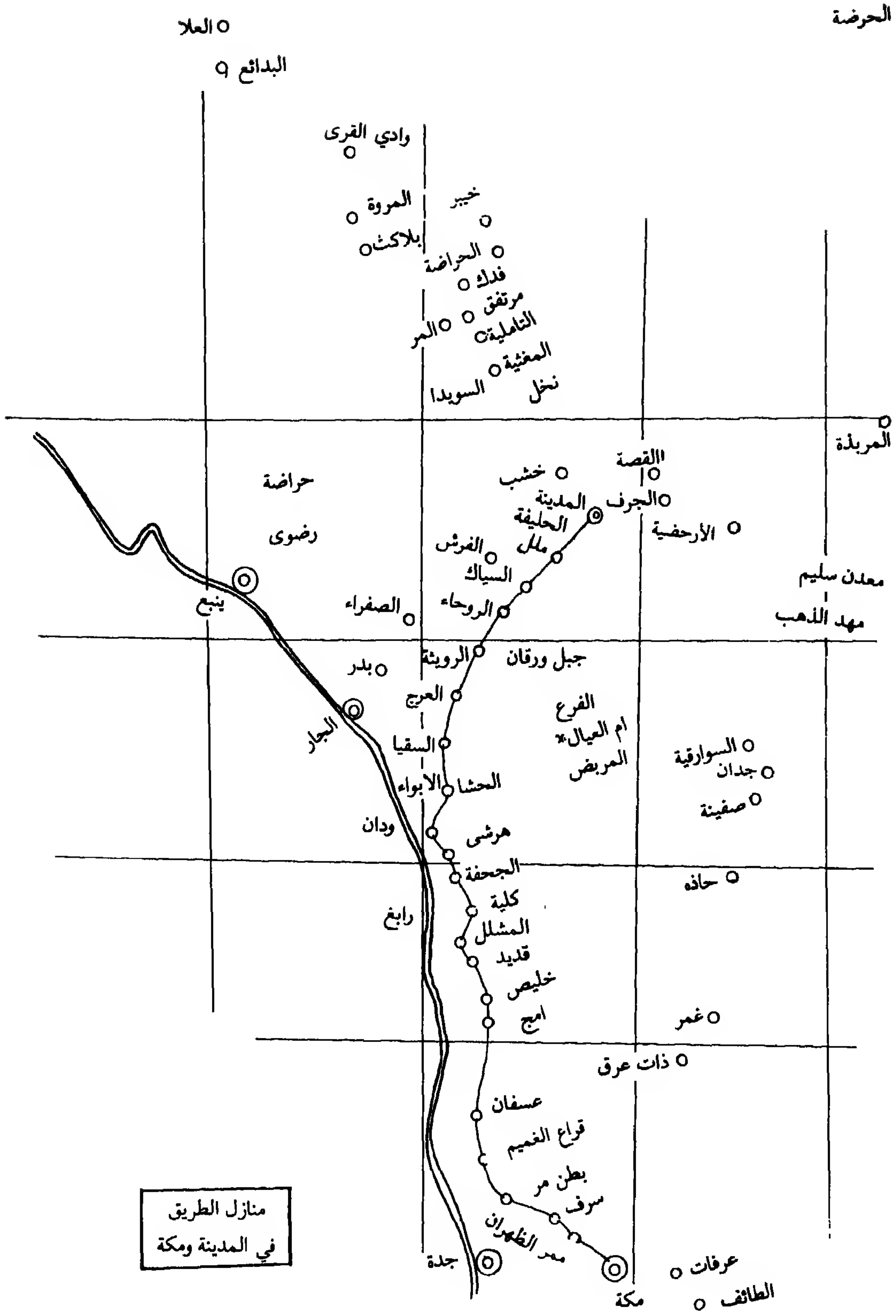
الحرضة
العلا
البدائع
وادي القرى
خيبر
المروة
بلاكث
الحواضة
فدك
مرتفق
التاملية
المر
المغثية
نخل
السويدا
المربذة
القصة
خشب
حراضة
المدينة
الجرف
الحليفة
الأرحضية
رضوى
ملل
الفرش
السيالة
معدن سليم
ينبع
الصفراء
الروحاء
مهد الذهب
بدر
الرويثة
جبل ورقان
العرج
الفرع
الجار
ام العيال
السقيا
السوارقية
جدان
المربض
الحشا
الأبواء
صفينة
ودان
هرشى
الجحفة
حاذه
كلية
رابغ
المشلل
قديد
خليص
امج
غمر
ذات عرق
عسفان
قراع الغميم
بطن مر
سرف
ممر الظهران
جدة
مكة
عرفات
الطائف
منازل الطريق
في المدينة ومكة

الفصل العاشر

إدارة الحجاز
في العهود الإسلامية الأولى

وردت في القرآن الكريم عدة تعابير عربية الأصول، مثل أم القرى، حاضر، مدينة، بلدة، قرية، أرض، وكل من هذه الكلمات تدل على نوع من التنظيمات الإدارية، إلا أنه يصعب تحديد معنى كل منها، لأن الحجاز عند ظهور الإسلام كان مكوناً من عدة مجتمعات قبلية أو قروية أو مدنية ولم تكن توحده دولة واسعة لذلك لم تكن فيه النظم الإدارية التي تنظم الدول أو الامبراطوريات. فالتعابير الإدارية الواردة في القرآن قد تكون جذورها ممتدة إلى أزمنة قديمة هيمنت فيه على الحجاز دولة كبيرة نظمت إدارته، أو أنها كانت تتعلق بالمدن المستقلة التي شملت كل منها دولة صغيرة محصورة بالمدينة وما حولها من البقاع.

ومعلوماتنا عن الأحوال الإدارية في الحجاز قبل الاسلام محدودة جداً، وأغلبها مستمد من الأوضاع السائدة في مكة والمدينة اللتين عندنا عنهما، بحكم ظهور الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية فيهما، معلومات وافية نسبياً، وقد درس تنظيمات مكة كل من «لامنس» في كتابه عن مكة عند ظهور الإسلام، وحميد الله خان في مقاله عن إدارة مكة، ويتبين من دراستيهما أن التنظيمات التي كانت سائدة فيها قامت لسد حاجة البلد لتنظيم الدفاع وتأمين حاجات الحجاج وتنظيم شؤون مراكز العبادة، وهي تشبه ما كان قائماً في دول المدن المماثلة، إلا أنه يصعب البت فيما إذا كانت تنظيمات مكة عند ظهور الإسلام

قد اقتبست من غيرها، أو أنها قد تكونت في مكة نتيجة ظروفها وحاجاتها. وقد أبقى الرسول ﷺ هذه التنظيمات وترك إدارتها لرجالها القدماء، غير أن تطور الأحوال بعد الإسلام أدى إلى تناقص أهمية بعض هذه التنظيمات، خاصة وأن الحج، رغم تزايد عدد القائمين به بسبب انتشار الإسلام، مدته قصيرة جداً، لذلك فإن التنظيمات المتعلقة بالحج كان نشاطها وقتياً. غير أنه بجانب التنظيمات الإدارية بالحج أنشئت بعد الفتح الإسلامي تنظيمات جديدة اقتضتها الظروف والتطورات الجديدة.

لا ريب في أن التقسيمات الإدارية تتأثر بالدرجة الأولى بالأحوال الجغرافية التي تحدد هذه التقسيمات وتعطي كلًا منها الطابع المميز لها، غير أن هناك عوامل أخرى تؤثر في تقرير التقسيمات الإدارية. ومن ذلك الأحوال السياسية والاجتماعية والأمور العسكرية وأحوال الأمن، وقد كانت هذه العوامل الأخيرة قوية لدرجة حملت المسلمين على عدم الاقتصار على مراعاة العوامل الجغرافية، فلم يراعوا تقسيم الإقليم إلى منطقة تهامة والغور والحجاز ونجد، كما أنه لم تكن فيه قبل الإسلام سوى مدن وقرى ودارات وقبائل لكل منها منطقة محددة يصعب مراعاتها وإبقاؤها حرفياً.

ترجع الأسس العامة للتنظيمات الإدارية في الحجاز إلى عهد الرسول ﷺ، فقد استطاع بعد الهجرة أن يكون دولة ذات تنظيمات خاصة منبعثة من أهداف الإسلام ومن الظروف التي كانت تحيط بالرسول ﷺ، وكانت هذه الدولة في بداية الأمر مقصورة على المدينة، ثم امتد سلطانها تدريجياً إلى المناطق المجاورة إلى أن شملت مكة، ثم كافة بلاد الحجاز ومعظم أقاليم الجزيرة، ومن المعلوم أن توسع الدولة الإسلامية في هذه البلاد كان يرافق انتشار الإسلام، وأن معظمه تم بطريقة سلمية، وعن طريق اتفاقيات وعهود مع القبائل ورؤسائها أقروا بموجبها الانضمام إلى دولة الإسلام، ويتبين من دراسة هذه الاتفاقيات أن الرسول اهتم بالدرجة الأولى بنشر الإسلام وسلطان دولته، ولذلك لم يهتم كثيراً بفرض تنظيمات إدارية معقدة أو بفرض سلطة سياسية قوية تؤدي

إلى تبديل أساسي في الأحوال القائمة، هذا فضلاً عن أن الحجاز عند ظهور الإسلام لم يكن فيه تنظيم سياسي أعلى أو دولة ذات سلطة عليا شاملة، لذلك كانت القبائل والعشائر والقرى كل منها تكون دولة قائمة بذاتها غير خاضعة لسلطة عليا خارجية شاملة، وقد راعى الرسول ﷺ هذه الأوضاع عندما ضم هذه البلاد إلى حظيرة الإسلام فلم يفرض عليها مطالب كثيرة أو ثقيلة ولم يطلب منها أن تجري تبديلات أساسية في تنظيماتها الإدارية وأبقى، فيما يظهر، العشائر وأقر معظم رؤسائها القدماء، واكتفى بإرسال المعلمين والجباة، وأبقى لمكة والطائف كيانهما، وعين لكل منهما أميراً، فعين على مكة عتاب بن أسيد الأموي، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص[1].

وقد ظل الحجاز بعد الإسلام يعين فيه ثلاثة ولاة، على المدينة وعلى مكة وعلى الطائف، ويسمى والي كل من مكة والمدينة أميراً كالأمصار الأخرى، أما الطائف فكان واليها أقل مكانة منهما، حتى أن الأمويين كانوا يعينون على مكة أو المدينة من أثبت كفاءة في ولاية الطائف.

إن الأحوال الجديدة التي تكونت على أثر امتداد سلطان الدولة الإسلامية في عهد الرسول إلى الحجاز وبقية مناطق الجزيرة طرأت عليها بعد وفاته تطورات سريعة عميقة نتيجة للتوسع الهائل للدولة الإسلامية التي ضمت أقاليم واسعة غنية لها تقاليد إدارية تكونت واستقرت خلال فترة طويلة من الزمن، فإن السلطة العليا التي أوجدها الرسول ﷺ في الحجاز ازدادت قوة نتيجة توسع الدولة الذي جلب لها موارد ضخمة ومنحها كثيراً من عناصر القوة، وقدم لها مصادر جديدة للقوة، فلم تعد تكتفي بالاعتماد على ما في الحجاز من إمكانيات عسكرية ومادية، كما اكتسب الإداريون المسلمون خبرات واسعة مما عرفوه أو واجهوه في الأقاليم المفتوحة، ونقلوا بعض هذه الخبرات إلى الحجاز وقد أدى تحطيمها المحاولات التي قام بها بعض المعارضين للدولة إلى ازدياد قوتها وإدخال بعض التعديلات في نظمها الإدارية.

---

١ ـ النظر تفاصيل أوفى في كتابنا «الدولة في عهد الرسول ﷺ».

غير أن إدارة الحجاز بعد الفتح الإسلامي ظلت تختلف عن إدارة الأقاليم المفتوحة الأخرى وفي المشرق والمغرب وذلك لأن هذه الأقاليم كان لها عند الفتح نظام إداري معقد تكون خلال قرون طويلة واستقر. ثم إن الأحوال التي كانت سائدة في الحجاز تختلف عما كان سائداً في الأقاليم المفتوحة من حيث الإنتاج الزراعي، وازدهار الصناعة والتجارة، وازدحام السكان ومهنهم وطبقاتهم وتوزيعهم ومستوى معيشتهم وأساليب حياتهم. وأخيراً فإن الحجاز هو الإقليم الذي عاش فيه الرسول ﷺ ونشر منه دعوته إلى الإسلام، وقد تم انتشار الإسلام فيه في زمنه، ثم أصبح مقر الخلافة وقيادة الجيوش الإسلامية التي فتحت الفتوح وكونت الدولة الإسلامية الواسعة، فهو لم يجر عليه رق، وكان هو الحاكم لا المحكوم، ولا بد أن الأحوال الإدارية فيه تتأثر بهذه الأوضاع الخاصة.

إن وضع الحجاز يشبه أوضاع الأمصار الإسلامية كالكوفة والبصرة والفسطاط من حيث أن الإسلام يسيطر عليه ويؤثر في إدارته، غير أنه يختلف عن هذه الأمصار في بعض النواحي:

١ ـ إن الأمصار الإسلامية كانت قواعد تستقر فيها وتتحرك منها الجيوش التي تفتح الأقاليم الأخرى وتضمن فيها استتباب الأمن والسلام، فالطابع العسكري يميزها، أما الحجاز فمع أنه كان يمد الدولة ببعوث المقاتلة، إلا أن مقدار هذه البعوث أقل.

٢ ـ إن الأمصار الإسلامية هي مدن عربية إسلامية أسست في مناطق مفتوحة غير إسلامية وهي إذ ذاك غير عربية بالمعنى المفهوم، لذلك كان التباين واسعاً جداً بينها وبين المنطقة المجاورة لها، فكانت الأمصار معزولة عما حولها من المناطق، وقد انقضى وقت طويل إلى أن سدت، أو ضاقت هذه الفجوة الواسعة بين الأمصار والمناطق المحيطة بها.

أما الحجاز فقد كان إقليماً عربياً إسلامياً، والصلة بين مدنه وريفها وباديتها وثيق، فكلهم عرب، وكثير من سكان المدن، وخاصة في المدينة،

هم من عشائر البادية نفسها، كما أن عدداً من أفراد أهل المدن استوطن في الريف. فالتباين الموجود بين مدن الحجاز وباديته قائم على أساس الحرف، إذ أن معظم أهل البادية رعاة.

٣ - إن الأمصار الإسلامية مسؤول كل منها عن إدارة الأقاليم المفتوحة التابعة لها، فالمصر هو الذي يعين الولاة والجباة ويشرف على استتباب الأمن والنظام في هذه الأقاليم، ويعتمد المصر في ماليته على الواردات المجبية من هذه الأقاليم، وقد استلزم ذلك أن تقوم في كل مصر إدارة معتمدة على الأعاجم تشرف على الجباية وشؤون الأقاليم، وكانت هذه الإدارة تستخدم الأعاجم وتطبق أساليبهم في الإدارة.

أما الحجاز فإن المراكز الإدارية فيه يمتد سلطانها إلى مناطق عربية، يسكنها العرب ويطبق فيها ما يطبق على العرب المسلمين، ولذلك لم تكن فيها حاجة لاستخدام الأعاجم ولم تكن لدواوينها لغة غير العربية. إلا أننا لا نعلم التقاليد والأساليب التي كانت تتبعها الدواوين في الحجاز.

ثم إن الواردات في الحجاز كانت تأتي من الأمصار جملة، فالإدارة المالية في الحجاز كانت أبسط وأقل تعقيداً، وهي قائمة على جباية الأراضي الزراعية التي يعمل فيها العرب المسلمون، ويطبقون فيها أحكام الإسلام الجديدة دون مراعاة لتقاليد قديمة نظراً لعدم وجود تقاليد إدارة إقليمية في الحجاز.

لدينا عن التنظيمات الإدارية في عهد الرسول معلومات وافية نسبياً، وقد أورد المؤرخون هذه المعلومات في ثنايا كلامهم عن علاقة الرسول بمختلف المناطق وتتبعهم أخبار توسع الإسلام، أما عن العهود التي تلت عهد الرسول ﷺ فإن معلوماتنا قليلة ولا تكفي لتكوين صورة متماسكة عن الأحوال الإدارية. ولعل مرجع ذلك أن الحجاز لم يعد بعد عهد الراشدين مركزاً للدولة الإسلامية بل أصبحت الأمصار الأخرى مركز الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية،

فظهر فيها كثير من الرجال الذين لعبوا دوراً كبيراً في الإدارة والسياسة، كما ظهر عدد من المؤلفين الذين اهتموا برجال الأمصار ودونوا عنهم المعلومات، أما الحجاز فإنه لم يكن له بعد الردة الدور نفسه الذي قامت به الأمصار الأخرى، كما أن العلماء الذين اهتموا بتدوين الأحداث التاريخية والإدارية في الحجاز كانوا قليلين ولم تصلنا كتبهم كاملة، بل إن أغلبها جاء فيها مقتطفات نقلها العراقيون، ولا بد أنهم عند النقل اختاروا ما يهمهم وبذلك أهملوا ما يتعلق بإدارة الحجاز التي لاتهمهم كثيراً لأنها محلية بعيدة عنهم.

لا ريب في أن المدينة ومكة هما المدينتان الرئيسيتان في الحجاز، وقد حظيت كل منهما باهتمام الناس وألفت عن كل منهما، كما بينا، عدة كتب عن أحوالها وولاتها وقضائها. ومن سوء الحظ أن هذه الكتب لم تصلنا كاملة، كما أنها ركزت اهتمامها على أحوال هاتين المدينتين دون بقية أماكن الحجاز، وقد تناقصت هذه الكتب بعد القرن الثالث.

وقد تحدث عدد من البلدانيين المسلمين الذين ظهروا في القرنين الثالث والرابع عن تقسيمات الحجاز الإدارية، وسنعرض أقوالهم، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء الجغرافيين ظهروا في القرن الثالث فما بعد، فكلامهم ينطبق على أحوال القرن الثالث ولا يمكن الجزم بأن هذه التنظيمات هي نفس ما كان قائماً في القرنين الأول والثاني. كما أنهم جميعهم لم يكونوا من أهل الحجاز، ولا نعلم فيما إذا كانوا قد استمدوا معلوماتهم من الدواوين وسجلاتها في بغداد، أم مما سمعوه عن أحوال الحجاز.

يذكر الأصمعي أن «الحجاز اثنتا عشرة داراً، المدينة، وخيبر، وفدك، وذو المروة، وداربلي، ودار أشجع، ودار مزينة، ودار جهينة ونفر من هوازن، وجل سليم، وجل هلال، وظهر حرة ليلى»[1] وقد نسب البكري هذا الكلام إلى عمر بن شبه عن بعض رجاله عن محمد بن عبدالملك الأسدي[2].

١ ـ ياقوت، ج ٢ ص ٢٠٥.

٢ ـ البكري، ص ١٠.

ويلاحظ أن هذا النص يغفل ذكر الطائف ومكة، كما أنه يخلط بين مدن (المـدينة، ذو المروة) ومناطق (خيبر، فدك، حرة ليلى) ومواطن عشائر (بلى، أشجع، مزينه، جهينة، هوازن، سليم، هلال) وهو لا ينص صراحة على أن هذه الأقسام كانت كلها وحدات إدارية، إذ لم تشر المصادر إلى ولاة على العشائر.

وذكر اليعقوبي أعمال مكة[1] وذكر ابن الفقيـه بعض أعمال المدينة[2] وذكر ابن خرداذبه أعراض المدينة[3] ومخاليف مكة[4].

غير أنه لم يذكر أحد تقسيمات الحجاز الإدارية غير المقدسي فإنه ذكر «فأما الحجاز فقصبته مكة، ومن مدنها يثرب، وينبع، وقرح، وخيبر، والمروة، والحوراء، وجدة، والطائف، والجار، والسقيا، والعوينِد، والجحفة، والعشيرة، هذه أمهـات دونهن بدر، خليص، أمـج، الحجر، بدا، يعقوب، السوارقيه، الفرع، السيرة، جبله، مهايع، حاذة»[5].

والراجح أن تقسيمات المقدسي قائمة على أساس كبر المدن، وأنه لم يصف فيها التقسيمات الإدارية، إذ أن هذا هو أسلوبه في الكلام على بقية الأقاليم، وليس هناك دليل على أنه لم يطبق هذه الطريقة على الحجـاز. والواقع أن المعلومات المتجمعة من المصادر الأخرى لا تؤيد أن كافة الأماكن التي ذكرها المقدسي كانت مراكز إدارية، كما يلاحظ أن المقدسي اعتبر مكة قصبة الحجاز، ثم عدد مدنها، وكلها ما عدا جدة تعتبر عند بقية المصادر تابعة إلى المدينة، أما المواضع التي تذكر بقية المصادر أنها تابعة لمكة فلم يذكر منها المقدسي غير جدة.

---

١ ـ اليعقوبي : البلدان ص ٣١٢.

٢ ـ ابن الفقيه، ص ٢٦.

٣ ـ ابن خرداذبه، ص ١٢٨.

٤ ـ م. ن ص ١٣٣.

٥ ـ المقدسي ص ٦٩.

ذكرت عدة مصادر الأقسام الإدارية التابعة إلى كل من مكة والمدينة، فأما مكة فإن اليعقوبي يسميها أعمال مكة[1] أما ابن خرداذبه[2] ومحمد بن سهل الأحول[3] فيسميان الأقسام التابعة لها مخاليف، وهو تعبير إداري يستعمل في اليمن.

أما المدينة فقد ذكرت بعض المصادر لها أعمالاً[4] وذكرت مصادر أخرى أعراض المدينة[5] .

فأما الأعراض فإن ياقوتاً يذكر «الأعراض قرى بين الحجاز واليمن والسراة، قال الأزهري، وقال الأصمعي أخصب ذلك العرض وأخصبت أعراض المدينة وهي قراها التي في أوديتها، وقال شمر أعراض المدينة هي بطون سوادها حيث الزرع والنخل»[6].

وروى البكري عن الأصمعي «الأعراض القرى، وأعراض المدينة قراها والمحاضر المياه القريبة من القرية العظيمة»[7].

وقد أشارت المصادر إلى أماكن وصفتها بأنها أعراض، فذكر ياقوت، النجيل وهو من أعراض المدينة من ينبع[8]. ويذكر أيضاً أن أمج من أعراض المدينة[9].

---

١ ـ اليعقوبي ص ٣١٦.

٢ ـ ابن خرداذبه ص ١٣٣ .

٣ ـ انظر البكري ص ٣٠٨.

٤ ـ ابن الفقيه ص ٢٦ ، البكري ص ١٠ .

٥ ـ ابن خرداذبه ص ١٢٦، ابن رسته ص ١٧٧ ، ياقوت ج ١ ص ٣١٣.

٦ ـ ياقوت ج ١ ص ٣١٣ (الأعراض).

٧ ـ البكري ص ١١٢٨ .

٨ ـ ياقوت ج ٤ ص ٧٦٤، السمهودي ج ٤ ص ١٣١٨ .

٩ ـ ياقوت ج ١ ص ٣٥٧، ج ٢ ص ١١٥، السمهودي ج ٤ ص ١١٣٠ .

وذكر السمهودي «ذو عظم من أعراض المدينة»[1].

وينقل البكري عن محمد بن سهل الأحول «مدين من أعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط»[2].

يذكر ابن خرداذبه «أعراض المدينة منها تيماء.. ومنها دومة الجندل.. ومنها فدك وقرى عربية والوحيدة ونمرة والحديقة وعادي وخضرة والسائرة والرحبة والسيالة وسايه ورهاط وغراب والأكحل والحميه»[3].

ويورد ابن رسته هذا النص[4] غير أنه يحذف منها السيالة وغراب ولكنه يضيف الفرع وذو المروة ووادي القرى ومدين وخيبر. وبالنظر لأهمية هذه الأماكن وتطابق نص ابن خرداذبه وابن رسته في بقية الأماكن، فالراجح أن الأماكن الخمسة التي انفرد بها ابن رسته هي ساقطة من نسخة ابن خرداذبه الحالية.

ومن التعابير المستعملة لوصف الأقسام التابعة للمدينة إدارياً هي تعبير «عمل أو أعمال» فيذكر ابن الفقيه «ومن عمل المدينة مران وقبا والدثينة ويقال الدفينة وفلجه وضرية وطخفه وأمرّه وأضاخ ومعدن الحسن»[5].

ويتبين من هذه القائمة أن ابن الفقيه عدَّد المواضع الواقعة شرقي الحجاز، ولم يذكر من غربي الحجاز موضعاً، مما يدل على أن قائمته غير كاملة، والواقع أن وصفه هذه الأماكن بأنها (من عمل المدينة) دليل على أنها ليست كاملة.

يذكر عرام: «وأعمال المدينة فدك، وخيبر، ووادي القرى، والمروة

---

١ ـ السمهودي ج ٤ ص ٢٢٦٧.

٢ ـ البكري ص ١٢٠١.

٣ ـ ابن خرداذبه ص ١٢٨.

٤ ـ ابن رسته ص ١٧٧.

٥ ـ ابن الفقيه ص ٢٦.

والجار والفرع، ولهذه المواضع أعمال عريضة واسعة إلا الجار فإنه ساحل»[1].

ويتبين من نص عرام أن «العمل» هو قسم إداري بصرف النظر عن حجمه وكيانه، فقد يكون العمل مقسماً إلى أعمال. ولكنه أورد في قائمته أعمال المدينة، أي الأقسام الرئيسية، ولم يذكر الأعمال الفرعية لكل من هذه الأعمال الرئيسية، وغني عن البيان أن قائمته تشمل الأقسام التي في الحجاز ولذلك لم يدخل ما كان خارجه من مواضع، كما أنه يذكر في مكان آخر منبر الفرع، وهي تشمل معظم المواضع الواقعة جنوبي المدينة، فكأنه كان يرى أن هذه المواضع الجنوبية تابعة للفرع التابع بدوره إلى المدينة.

يذكر مؤلف المناسك: (وحدثني محمد بن عبدالحميد بن الصباح العثماني من أهل الجحفة قال المدينة تجبى على أربعة عشر منبراً. فأولها خيبر، ثم وادي القرى وبه أخلاط من الناس، ثم المروة، وهي لجهينة، ثم العيص، وهي لجهينة والحسينيين، ثم ينبع وبها مائة عين غير عين، وهي لعلي بن أبي طالب. ثم الجار، وهو ساحل البحر، ثم الصفراء، وهي للجعفريين والعثمانيين، ثم ودان، وقد خربت، ثم الفرع عامرة، ثم السائرتين، وبين كل واحدة [وواحدة] وبهما منبران، ثم جبلة أكثر أهلها الفرس، ثم رهاط وقد ذكرتها فيما تقدم. والجحفة من عمل المدينة وقديد، وكانت عسفان من عملها ثم صارت لصاحب مكة)[2].

لا ريب في أن المقصود بالمنبر المكان الذي تقام فيه الجمعة، ويتفق الفقهاء على أن من شروطه وجود مجتمع مقيم ذي عدد كاف، ويرى البعض ضرورة وجود والٍ فيه، دون أن يعينوا مكانة ذلك الوالي، وواضح من سياق كلام المؤلف أنه يقصد بها هنا المواضع التي فيها الولاة، غير أنه لا يحدد فيما إذا كانت هذه الأماكن وحدات إدارية كل منها يتبع المدينة، أم أن بعضها وحدات

---

١ ـ البكري ص ١٠.

٢ ـ كتاب المناسك ص ٤١٣.

إدارية صغرى تتبع وحدة أكبر متصلة بالمدينة.

فيروي البكري أن «الفرع من أشرف ولايات المدينة، وصاحبها يجبي اثني عشر منبراً، فمنبر بالفرع، ومنبر بمضيقها على أربعة فراسخ منها يعرف بمضيق الفرع، ومنبر بالسوارقية وبساية وبرهاط وبعمق الزرع وبالجحفة وبالعرج وبالسقيا وبالأبواء وبقديد وبعسفان وبإستارة، هذه كلها من عمل الفرع[1].

تشير المصادر الأخرى إلى وجود المنابر في المواضع المذكورة.

فأما الفرع فإن عياض يذكر أن: (به مساجد للنبي ومنابر وقرى كثيرة)، ويذكر المجد أن: (بها منبر ونخل ومياه كثيرة)[2].

وأما السوارقية فيذكر عنها عرام أنها قرية غناء كبيرة كثيرة الأهل فيها منبر ومسجد جماعة[3].

وأما الجحفة فيذكر ياقوت أنها «قرية كبيرة ذات منبر»[4] ويقول ابن رسته أنها قرية عظيمة فيها سوق[5]. ويذكر البكري أنها «قرية جامعة بها منبر»[6] ويقول السمهودي أنها قرية كانت كبيرة ذات منبر[7]. ونص السمهودي يشير إلى أنها لم تعد في الأزمنة كبيرة، وقد يدل على أنها لم تعد ذات منبر.

أما عسفان فيذكر عرام أن بها منبراً[8]، ويذكر أن خيف النعم «به منبر وهو إلى والي عسفان[9]. ويذكر مؤلف المناسك عن محمد بن عبد الحميد العثماني أن عسفان من عمل المدينة (ثم صارت لصاحب مكة)[10].

---

١ ـ البكري ص (١٠٢٠ ـ ١٠٢١).

٢ ـ السمهودي ج ٤ ص ١٢٨١.

٣ ـ عرام ص ٤٣١، ياقوت ج ٣ ص ١٨٠، السمهودي ج ٩ ص ١٢٣٨.

٤ ـ ياقوت ج ٢ ص ٣٥.

٥ ـ ابن رسته ص ١٧٨.

٦ ـ البكري ص ٣٦٧.

٧ ـ السمهودي ج ٤ ص ١١٧٤.

٨ ـ عرام ص ٤١٥.

٩ ـ عرام ص ٤١٥.

١٠ ـ المناسك ٤٠.

وقد استعملت بعض المصادر تعبير (قرية جامعة) صفة لعدد من المواضع التي ذكر النص السابق أنها منابر للفرع.

فمما وصف بأنه قرية جامعة السوارقية[١] والرويثة[٢] وقديد[٣] ويقول ابن رسته أنها قرية عظيمة[٤] وساية[٥] والجحفة[٦] والسقيا[٧] والأبواء[٨].

ويتبين من هذا أن كافة المواضع التي ذكر البكري أنها منابر للفرع، وصفت المصادر كلاً منها بأنها قرية جامعة، الأمر الذي يدل على أن التعبيرين مترادفان، غير أننا لا نعلم فيما إذا كان المقصود بكلمة «جامعة» أنه يصلي فيها الجمعة، أم أنها مركز إداري لعدة مواضع تابعة لها، علماً بأن المصادر لم تذكر اسم والٍ لأي منها.

وذكر البكري أن «الصفراء وأعمالها من الفرع ومنضافة إليها»[٩].

كما ذكر أن «إستارة قرية من عمل الفرع»[١٠].

إن النصوص المذكورة أعلاه تشير إلى أنه كانت تتبع المدينة عدة ولايات أشرفها الفرع غير أن المصادر لم تذكر من الولايات التابعة للمدينة سوى مهايع وساية، فأما مهايع فإن عرام يقول إنها قرية كبيرة غناء بها منبر[١١] وتذكر بعض

١ ـ البكري ص ٧٦٥.
٢ ـ م. ن ص ٦٨٦.
٣ ـ م، ن ص ١٠٥٤، السمهودي ج ٤ ص ١٢٨٧.
٤ ـ ابن رسته ص ١٨٧.
٥ ـ البكري ص ٧١٥.
٦ ـ م. ن ص ٣٦٨..
٧ ـ ياقوت ج ٣ ص ١٠٣، السمهودي ج ٤ ص ١٢٣٤.
٨ ـ البكري ص ١٠٢.
٩ ـ البكري ص ١٠٢٠.
١٠ ـ م. ن ص ١٤٨، ٧٢٢.
١١ ـ عرام ص ١١٤.

المصادر أن «واليها كان من قبل صاحب المدينة [1] وأما ساية فإن البكري وصفها بأنها قرية جامعة [2] ويقول عرام لها والٍ من قبل صاحب المدينة»[3] وينقل السمهودي عن المجد الفيروز آبادي أن ساية «واد من أعمال المدينة ولم يزل واليه من قبل صاحبها زماناً، وانفرد عن حكمها، كسائر أعراض المدينة»[4].

ذكر عرام في كلامه عن تهامه عدة مواضع، واصفاً كلًا منها بأن بها منبراً، فمما ذكر ينبع «وبها منبر وهي قرية غناء»[5] والجار «وبها منبر وهي قرية كبيرة آهلة[6] والضرعاء قرية بها قصور ومنبر وحصون»[7] ويذكر أن مران «قرية غناء كبيرة وبها حصن ومنبر»[8] والسوارقية «بها منبر ومسجد جماعة وهي قرية غناء كثيرة الأهل»[9].

والراجح أن هذه المواضع كانت أقساماً إدارية تابعة للمدينة نظراً لأن موقعها أقرب إلى المدينة وقد ذكر ابن الفقيه صراحة أن مران من أعمال المدينة [10]

كما ذكر مؤلف المناسك عن محمد بن عبدالحميد منها ينبع، والحجاز.

---

١ - ياقوت ج ٤ ص ٦٩٢، السمهودي ج ٤ ص ١٢١٥.

٢ - البكري ص ٧١٥.

٣ - عرام ص ٤١٤، البكري ٧٨٧، ياقوت ج ٢ ص ٢٦، السمهودي ج ٤ ص ١٢٣١.

٤ - السمهودي ج ٤ ص ١٢٣١.

٥ - عرام ص ٢٩٧.

٦ - م. ن ص ٣٩٨.

٧ - م. ن. ص ٤٠٨.

٨ - م. ن ص ٤٣٨.

٩ - م. ن ص ٤٣١.

١٠ - ابن الفقيه ص ٢٦.

أما عرام فيذكر عند كلامه من أعمال المدينة أن لكل منها أعمالاً عريضة واسعة إلا الجار فإنه ساحل[1].

لقد ذكرت المصادر أسماء عدد من الأشخاص ولي كل منهم على موضع في الحجاز.

فأما على الجار فقد استعمل عمر بن الخطاب عبدالله بن سعد بن نوفل[2] وعلى خيبر وفدك ولى عبدالله بن الزبير سليمان بن خالد الزرقي[3] وعلى العقيق ولى الرسول ﷺ «هيصم المزني، وإن ولاة المدينة لم يزالوا يولون عليه حتى كان داود بن عيسى فتركه في سنة ١٩٨ هـ»[4].

ويروي الزبير بن بكار عن اسحاق بن إبراهيم التميمي عن إدريس بن أبي حفصة أن زياد بن عبدالله الحارثي استعمل ابن أبي عاصية على ينبع[5].

لقد كانت المدينة قاعدة للرسول ﷺ وسع منها دولة الإسلام حتى أصبحت لا تشمل الحجاز وحده، بل معظم أقاليم الجزيرة، وقد قضت عوامل متعددة على الرسول ﷺ أن يجعل مكة مركزاً إدارياً قائماً بذاته عليه والٍ خاص وكذلك اليمن، أما القبائل العربية في الجزيرة فقد كان يرسل لها مصدقين من المدينة.

ولما توفي الرسول ﷺ وانتفضت معظم أقاليم الجزيرة، كانت الجيوش التي خرجت من المدينة هي التي قضت على حركات الردة وأعادت فتح الجزيرة وضمها إلى الإسلام فأصبحت بذلك الجزيرة ما عدا مكة واليمن، تابعة للمدينة وهذا تنظيم ينسجم مع ما كان في زمن الرسول ﷺ، فيذكر ابن سعد أن أبا

---

١ - البكري ص ١٠.

٢ - البخاري: التاريخ ٣ - ١ ص ١٠٧.

٣ - البلاذري ج ١٥ ص ٣٥٥.

٤ - السمهودي ج ٤ ص ١٠٦٧.

٥ - الموفقيات ص ١٧٨.

هريرة، وكان والي البحرين في زمن عمر جاء المدينة ومعه خمسمائة ألف درهم من جبايتها[1] ويذكر كذلك أن العلاء بن الحضرمي جاء بمواردها أيضاً[2].

غير أنه حدثت في العصر الأموي بعض التبدلات الإدارية فيروي الشعبي: (أول من جمع له العراقان وخراسان وسجستان والبحرين وعمان زياد، وإنما كانت البحرين وعمان إلى ولاة الحجاز)[3] ويوضح أبو نعيم سبب هذا التبدل فيقول: «فلم يزل أمر أصبهان في جملة أهل البصرة إلى سنة ٤١ وصارت الجماعة على معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل علي رضي الله عنه فعمد معاوية فأخذ أصبهان من أهل البصرة ودفعها إلى أهل الكوفة. وأخذ البحرين وعمان من أهل الحجاز فأعطاها أهل البصرة مكان أصبهان»[4].

أما مناطق الجزيرة الأخرى فقد ظلت تابعة إلى المدينة، فيروي البلاذري: (وكان مجرى عيون الطف وأعراضها مجرى أعراض المدينة وقرى نجد وكانت صدقتها إلى أعمال المدينة، فلما ولي إسحاق بن إبراهيم بن مصعب السواد للمتوكل ضمها إلى ما في يده فتولى عماله عشرها وصيرها سوادية فهي على ذلك إلى اليوم)[5].

أما صدقات القبائل القاطنة في نجد وشرقي الحجاز فكانت إلى المدينة بدليل طرق المصدقين التي وصفها السكوني وأبي زياد الكلابي.

ويذكر مصعب الزبيري أن عكرمة بن عبدالرحمن المخزومي سعى على سعد والرباب (أيام كانت اليمامة تضم إلى المدينة)[6].

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ ص ٢١٦.

٢ ـ م. ن. ٤ ـ ١ ص ٩.

٣ ـ مرآة الزمان مخطوطة أكسفورد marsh 289 .

٤ ـ تاريخ أصبهان ج ١ ص ٢٩ (٣٦٥ المنجد).

٥ ـ البلاذري، فتوح ص ٢٩٧، ياقوت ج ٣ ص (٥٣٩ ـ ٥٤٠).

٦ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش ص ٣٠٥.

وصدقات بكر بن وائل إلى صاحب طريق مكة وهي ٣٠٠٠ درهم[١].

تختلف المصادر في تعداد الأماكن التابعة لمكة وأوسع قائمة هي التي ذكرها ابن خرداذبه والبكري، فقد ذكر ابن خرداذبه أن مخاليف مكة النجدية هي الطائف ونجران وقرن المنازل والفتق وعكاظ والزيمة وتربة وبيشة وتبالة والهجيرة وثجة وجرش والسراة ومخاليفها بتهامة: ضنكان وعشم وبيش وعك ويبن[٢].

وأورد البكري نقلاً عن محمد بن سهل الأعور قائمة ابن خُرداذبه محذوفاً منها الزيمة وثجة وبيش والفتق. ويلاحظ أن المكانين الأولين لم يذكرهما مصدر غير ابن خرداذبه. أم الفتق فقد ذكره ابن رسته فقط، وبيش ذكرها اليعقوبي، وذكر البكري وقدامة من مخاليف مكة النجدية كتنة.

وقد ذكر ابن رسته[٣] المخاليف النجدية فقط مع حذف الزيمة وثجة. ولعل عدم ذكره المخاليف التهامية راجع إلى تقصير في المخطوطة وليس إلى الأصل.

أما قدامة[٤] فلم ترد في قائمته المخاليف التهامية كما أنه لم يورد من المخاليف النجدية الفتق وزيمة وثجة والهجيرة، ونعتقد أن الاسمين الأخيرين سقطا من المخطوطة، لأن المصادر الأخرى تذكرها وخاصة ابن خرداذبه الذي اعتمده قدامة ونقل عنه كثيراً.

وقد أورد اليعقوبي[٥] من قائمة ابن خرداذبه والبكري والطائف ونجران وقرن المنازل وتبالة والسراة وعشم وبيش، غير أنه ذكر من مخاليفها أيضاً السرين

---

١ ـ ابن خرداذبه ص ١٢٧.

٢ ـ م. ن. ص ١٣٣.

٣ ـ ابن رسته ص ١٨٤.

٤ ـ قدامة ص ٢٤٨.

٥ ـ اليعقوبي ص ٣١٦.

والحسبة ورعيلاء الهوذة ورعيلاء البياض وهي معادن سليم وهلال وعقيل، وعثر وجدة ورهاط ونخلة وذات عرق ومر الظهران وعسفان والجحفة، وكانت تلحق أحياناً بمكة وأحياناً بالمدينة، وأما جدة فإن بعض المصادر أشارت إلى أنها ساحل أي ميناء وليس مخلافاً، ولعل الإدارة الخاصة للميناء جعلت المصادر التي أوردنا نصوصها أعلاه لا تدخلها ضمن المخاليف، إذ أن تابعيتها لمكة لا يمكن إنكاره.

ويلاحظ أن معظم الأماكن التي انفرد اليعقوبي بذكر تابعيتها لمكة تقع جنوبي مكة. وقد يفسر ذلك بأن هذه الأماكن أصبحت مراكز مخاليف في عهد اليعقوبي بدل الأماكن التي أغفل ذكرها مما ذكرته المصادر الأخرى، إذ أن اليعقوبي يتفق مع تلك المصادر بأن مخاليف مكة تمتد إلى نجران.

إن الأماكن التي ذكرها كل من ابن خرداذبه وقدامة والبكري وابن رسته تقع كلها جنوبي مكة، ولم يذكر أحد منهم مخلافاً لمكة يقع شماليها.

أما اليعقوبي ففضلاً عن ذكره عسفان والجحفة وهما يقعان شمال مكة، فإنه ذكر معدن سليم التي لم تذكر المصادر الأخرى وضعه الإداري.

ولا بد من الإشارة إلى أن المقدسي الذي ينفرد بالتقسيمات الإدارية التي يذكرها يذكر البلدان التابعة لمكة وهي: الطائف وجدة وأمج وخليص والسوارقية والفرع والسيرة ومهايع وحاذة وجبلة[1] وكل هذه الأماكن ما عدا الطائف تقع شمالي مكة، كما أنه لا يذكر غير الطائف مكاناً تابعاً لمكة جنوبيها.

وذُكر شيخ الربوة[2] المخاليف التهامية التابعة لمكة ما عدا يبن وذكر أيضاً المنجرة ونعم ويليل وحلى والمهجم والشرجة وأبيات حسن ولكنه لم يذكر أي

---

١ ـ المقدسي ص ٧٩ ـ ٨٠.

٢ ـ شيخ الربوة ص ٢١٥.

مخلاف من التي اعتبرتها المصادر من المخاليف النجدية. كما ذكر جدة ونخلة ومر الظهران.

أما ياقوت فقد ذكر أن بيشة من عمل مكة[1] وأن شرون من عمل قرن معية والفتق من مخاليف الطائف[2].

وذكر مصعب الزبيري أن هرون الرشيد ولى عبدالله بن المصعب اليمن وزاده معها ولاية عك، وكانت عك إلى والي مكة[3] ويذكر البكري ربما ضم عك إلى اليمن[4] مما يدل على أنها آخر مخاليف مكة من جهة الجنوب ويذكر البكري أيضاً أن «شرون من عمل مكة وهو آخر حدود اليمن»[5].

ذكر عرام في كتابه جبال تهامة بعض المواضع التي اعتبرتها المصادر أنها من مخاليف مكة، ولكن وصفها بأنها قرية أو ذات منبر، ولم يذكر وضعها الإداري. ومن المعلوم أنه لا يمكن اعتبار دراسة عرام كاملة لأنه قصر بحثه على تهامة فحسب ولم يشمل كل الحجاز، ولا ركز على الجوانب الإدارية، لذلك يمكن القول أن كلامه عن الإدارة ناقص.

وذكر عرام أن كلاً من الطائف وتبالة بها منبر[6] وذكر مواضع وصفها قرى وهي: قعيقعان وراسب والحوطة ورنية وبيشة والرحضية والحجر وجفينة وذو النخل.

أما جدة فلها وضع خاص، حيث لم يرد ذكرها في قائمتي ابن خردا ذبه ومحمد بن سهل الأحول، أما اليعقوبي فقد ذكرها من أعمال مكة ووصفها بقول

---

١ ـ ياقوت ج ١ ص ٧٩١.

٢ ـ م. ن. ج ٤ ص ٧٢، ٣ / ٨٥١.

٣ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش ص ٢٤٢.

٤ ـ البكري ص ٣٠٩.

٥ ـ م. ن. ص ٧٩٥.

٦ ـ عرام ص ٤٢٠.

«جدة وهي ساحل»[1]. أما المقدسي فقد ذكرها من مدن مكة دون أي تعليق[2]، أما البكري فقد وصفها حاضرة البحر[3] ويذكر الفاسي أن جدة «وهي الآن ساحل مكة الأعظم، وعثمان بن عفان أول من جعلها ساحلاً بعد أن شاور الناس في ذلك لما سئل فيه في سنة ٢٦ هـ، وكانت الشعيبة ساحل مكة قبل ذلك»[4]. عقد الفاكهي في كتابه «المنتقى في أخبار أم القرى» فصلاً بعنوان «ذكر حدود مخاليف مكة ومنتهاها» جاء فيه:

«وأعمال مكة ومخاليفها كثيرة ولها أسماء نقصر عن ذكرها لاختصار الكتاب ولكننا نذكر منتهى حدودها التي تنتهي إليها:

فآخر أعمالها مما يلي طريق المدينة الشريفة موضع يقال له جنابد ابن صيفي فيما بين عسفان ومر وذلك على يوم وبعض يوم.

وآخر أعمالها مما يلي طريق الجادة في طريق العراق الغمر وهو قريب من عرق وذلك على يوم وبعض يوم.

وآخر أعمالها مما يلي اليمن في طريق تهامة اليوم موضع يقال له ضنكان وذلك على عشرة أيام من مكة.

وقد كان آخر أعمالها فيما مضى بلاد عك داخلاً في اليمن إلى قريب من عدن، وآخر أعمالها مما يلي اليمن في طريق البحر وطريق صنعاء موضع يقال له نجران فهو آخر مخاليفها وأبعدها من مكة. ونجران على عشرين يوماً من مكة.

ومن الواضح أن هذه الحدود كانت قائمة في العهود المتأخرة أما في

---

١ ـ اليعقوبي ص ٣١٦.

٢ ـ المقدسي ص ٧٩.

٣ ـ البكري ج ١ ص ٨٧.

٤ ـ الفاكهي ج ٢ ص ٥٠، وانظر أيضاً الفاسي ج ١ ص ٢٤.

العهود الأولى فقد أشارت المصادر إلى بعض الاختلافات فيها ومن ذلك:

١ ـ كانت ولاية عك إلى والي مكة، وقد أشرنا من قبل إلى المصادر التي تؤيد ذلك.

٢ ـ إن الطائف كان لها خطر عند الخلفاء فيما مضى وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده.

٣ ـ يذكر كتاب المناسك عن محمد بن عبدالحميد العثماني أن عسفان من عمل المدينة «ثم صارت لصاحب مكة»[١]، ويذكر عرام أن عسفان بها منبر[٢] وأن خيف النعم به منبر وهو إلى والي عسفان[٣].

وقد أورد الفاسي نص ابن خرداذبه[٤] ونص الفاكهي[٥] وناقشهما ثم أضاف:

وليس كل ما ذكره الفاكهي وابن خرداذبه في مخاليف مكة معدوداً اليوم من أعمال مكة لأن كثيراً من ذلك ليس لأمير مكة الآن فيه كلام، وأبعد مكان عن مكة لأميرها الآن فيه كلام، الحسبة وهي بلدة في صوب اليمن عن طريق تهامة وبينها وبين قنونا يومان وبين حلي يومان، وكلامه فيها باعتبار أن له على موارعها كل سنة مائة غرارة مكية وله مثل ذلك على بلدة يقال لها دوقة على يوم من الحسبة، وله مائتا غرارة على الواديين وله مثل ذلك على الليث، ويبعث أمير مكة إلى كل من هذه الأماكن من يقبض ذلك من أهلها، وأبعد هذه الأماكن عن مكة لأميرها فيه كلام الآن وادي الطائف ووادي ليه ولأمير مكة فيهما من الكلمة والعادة على أهلهما أكثر مما له على الأماكن السابقة ذكرها ووادي

---

١ ـ المناسك ص٤٠.

٢ ـ عرام ص ٤١٥.

٣ ـ م. ن. ص ٤١٥.

٤ ـ الفاسي، ج ١ ص ٢١، ٢٢.

٥ ـ م. ن. ج ١ ص ٣٧.

الطائف ووادي ليه داخلان في ولاية قاضي مكة وله بهما نواب، وأبعد مكان عن مكة في صوب المدينة لأمير مكة الآن فيه كلام وادي الهدة، هدة بني جابر، وهو على مرحلة من مر الظهران.

وولاة مكة الآن يأخذون ما يغرق في البحر فيما بين جدة ورابغ ويرون أن ذلك يدخل في عملهم، وجدة من أعمال مكة في تاريخه وهي على مرحلتين من مكة»[1].

تشير المصادر إلى أن بعض المدن في الحجاز لها حدود معينة مثبتة بأعلام تضعها الدولة وقد أشارت المصادر إلى بعض هذه الأعلام، فيذكر الأسدي أن الشجرة التي يحرم منها أهل المدينة هي على خمسة أميال ونصف، مكتوب على الميل الذي وراءها قريباً من العلمين «ستة أميال من البريد»[2] وواضح من هذا النص أن الأعلام هي غير إشارات البريد، ولذلك فإن لها أغراضاً مخالفة.

يقول السمهودي «أول البيداء عند آخر ذي الحليفة، وكان هناك علمان للتمييز بينهما، ولذا قال الأسدي في تعداد أعلام الطريق أن على مخرج المدينة علمين، وعلى مدخل ذي الحليفة علمين وعلى مخرج ذي الحليفة علمين، وقال في موضع آخر: والبيداء فوق علمي ذي الحليفة إذا صعدت من الوادي، وفي أول البيداء بئر»[3].

ويقول أيضاً، إن على مخرج ذي الحليفة علمين آخرين وإن البيداء فوق علمي الحليفة إذا صعدت من الوادي. . لأن البيداء هي الموضع المشرف على ذي الحليفة وذلك على نحو غلوة سهم من مسجدها، والأعلام المذكورة موجودة»[4].

---

١ ـ الفاسي ج ١ ص ٢٥.
٢ ـ السمهودي ج ٤ ص ١١٩٤.
٣ ـ م. ن. ج ٤ ص ١١٥٧.
٤ ـ م. ن ج ٤ ص ١١٩٥.

ويتبين من هذا النص على أنّ دي الحليفة لها في كل من مدخلها ومخرجها علمين وأن هذه الأعلام هي غير أعلام المدينة.

وقد ورد ذكر أعلام لأماكن أخرى، فيذكر الأسدي «وعلى مدخل الروحاء علمان وعلى مخرجها علمان»[1] كما يذكر أن الجحفة «في آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله ﷺ يقال له الأئمة»[2].

ويقول أن «علم المنصف بين المدينة ومكة دون عقبة هرشي بميل»[3].

كما يقول «وفي أصل العقبة مسجد للنبي ﷺ حد الميل الذي مكتوب عليه سبعة أميال من البريد[4]»، ويتضح من هذا النص الأخير[5] أن العلمين غير البريد.

إن وجود إشارات تقرر حدود المدن هو أمر مألوف في الشرق الأوسط في القديم، فمن المعروف أنه كان في مدخل الحيرة الغريين، كما كان في مداخل نينوى تماثيل، ولعل هذه الأعلام هي إما تماثيل أو حجارة لها صبغة قدسية في القديم، ثم زالت قدسيتها وبقيت علامات للمدن ولا نعلم أكانت هذه الأعلام قائمة منذ العصور السابقة للإسلام، أم أنها استحدثت.

إن وظيفة الأمير هي الوظيفة الرئيسية في مكة والمدينة، فالأمير يمثل أعلى سلطة تنفيذية، وهو يمثل الخليفة في المدينة، وهو مسؤول عن تطبيق أوامر الخليفة وتنفيذ القواعد التي تضعها أو تقرها الخلافة، وعن الإشراف على الإدارة وسير أمور الدواوين وضمان استتباب الأمن والنظام، ومنع ما من شأنه أن يهدد الأمن أو يعكر صفوه أو يحدث الاضطرابات والقلق.

---

١ - م. ن. ج ٤ ص ١٢٢٢.

٢ - م. ن. ج ٣ ص ١٠١٧.

٣ - السمهودي ج ٣ ص ١٠١٧، البكري ص ١٣٥٢.

٤ - السمهودي ج ٣ ص ١٠١٧.

٥ - السمهودي ج ٣ ص ١١٩٥.

وقد يستلزم ذلك التدخل لفض الخلافات بين السكان وحل مشاكلهم، وهو يتمتع بسلطات واسعة تجعله شبه حاكم مستقل إبّان ولايته، ومع أنه مسؤول أمام الخليفة الذي له حق التولية والعزل والأمر والمنع والمراقبة، إلا أن الخليفة لم يكن عملياً يتدخل في تحديد سلطة الأمير إبّان إمارته.

لم توجد قواعد محدودة واضحة تبين سلطات الأمير ونطاق حكمه، والواقع أن الأمير كان يتبع بصيرته وتفكيره في تطبيق العداالة واتباع المبادىء العامة السياسية والأخلاقية التي وضعها الإسلام وأكد عليها الرسول ﷺ في إدارته، والتي تعبر عما يطابق العدالة، وما ينسجم مع مثل الإسلام والأساليب التي ألفها العرب في تسيير أمورهم، ولذلك يصعب أن نطبق على ذلك العصر ما قد ألفناه في زماننا من وجود قانون إداري ذي أحكام دقيقة مفصلة تبين حقوق وواجبات الحاكم أو المحكوم، وتبين نطاق سلطات كل موظف، والواقع أن الأمير كان يعين في المصر عدداً من الموظفين، أبرزهم القاضي وصاحب الشرط، غير أنه كان بمقدوره أن ينظر ويحكم في أي قضية يرتئيها حتى وإن كانت أدخل في اختصاص أولئك الموظفين.

لقد كانت للأمير السلطة العليا في الإدارة، والسلطان لا يعدى عليه، وليس في النظام الإسلامي مجالس منتخبة لها سلطات قانونية في التشريع أو في مراقبة الولاة ومناقشة أعمالهم وتقييد سلطاتهم، وكل هذا يجعل الوالي أو الأمير من الناحية النظرية أقرب إلى الحاكم المطلق.

إلا أن كثرة الصحابة ثم التابعين، ومن عاش في إدارة الرسول ﷺ وشهدها، وكذلك من مارس قيادة الجيوش أو إدارة المدن والأقاليم ثم استقر في المدينة أو مكة متخذاً منها مقاماً دائماً له ولأهله، وما كان للمقيمين بالمدينة منهم من خبرة واسعة، والمكانة الكبيرة التي كانوا يتمتعون بها، والحرص العام على مراعاة العدالة والصالح العام، كل هذه كانت تكوّن منهم شبه بلوتوقراطية تحيط بالأمير وتوجهه وتمنعه من الاشتطاط في التصرف خاصة وأن الخلفاء

الأمويين، ولا سيما الأولين منهم، كانوا يحرصون على سماع آراء المقيمين في المدينة.

غير أن التطورات التي حدثت في الحجاز، والثورات التي قام بها الحسين ثم الزبير ومشاركة عدد غير قليل من أهل الحجاز في هذه الثورات، ووقوف عدد غير قليل منهم موقف المعارض، والانتصارات العسكرية التي نالها الأمويون، والتي أدت إلى قمع هذه الثورات بالقوة، أضعفت مكانة أهل المدينة ومكة عند الخلفاء الأمويين، كما أن تزايد استيطان أهل المدينة ومكة والحجاز في الأمصار، وتزايد أهمية هذه الأمصار اقتصادياً وعسكرياً وإدارياً كان لهما أثر كبير في تناقص مكانة أهل المدينة والحجاز وتضاؤل صوتهم في بلاط الخلافة الأموية المهيمنة على الدولة. ولا بد أن نشير إلى أن الأجيال التالية للصحابة لم يكن لها نفس الروح والأفكار والنزعات التي كانت لآبائهم، وقد انغمر كثير منهم في حياة الترف المادي الذي يشغل عن الاهتمام بالمصالح العامة.

إن تضاؤل مكانة أهل المدينة في بلاط الخلافة الأموية لم يصل إلى حد زوالها، فقد ظل يقيم في المدينة عدد من أفراد الأسرة الأموية ومناصريها، وظل الحجاز يضمّ مكة، قبلة المسلمين في صلواتهم الخمس ومركز الحج الذي هو من أركان الإسلام الخمسة، بينما ضمت المدينة رفات الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة الأولين. ومهما كان عدد من ترك المدينة ومكة واستوطن الأمصار المفتوحة، فقد ظل الحجاز، وخاصة المدينة ومكة، تتبع التقاليد التي اتبعها الرسول ﷺ، وتضم أكبر عدد ممن تحدر عن صحب الرسول، فتضاؤل مكانة أهلها في بلاط الخليفة، عوّض عنه تزايد مكانتها في نفوس المسلمين عامة، أي أنها خسرت بلاطاً وكسبت دولة، ولا بد أن نشير إلى أن الخلفاء الأمويين لم يقطعوا تماماً صلتهم بأهل الحجاز، فقد عملوا على كسب ودهم وجلب رضاهم، وتناسوا الثورات التي أنشبها أهل الحجاز ضدهم، وعملوا على تقوية الأواصر معهم، فتزاوجوا منهم، واستمروا يغدقون على عدد من

رجالهم العطايا والهبات ويقربونهم حتى وإن كانوا من ألصق الناس بالمعارضين. وحرصوا على قيامهم بالحج تلبية لفرائض الإسلام ومحاولة لإبقاء الصلة مع أهل الحجاز، ولاشك في أن الحجاز هو الإقليم الوحيد الذي وليه ثلاثة ممن أصبحوا خلفاء (وهم مروان وعبدالملك وعمر بن عبدالعزيز)، وهو أيضاً الإقليم الوحيد الذي زاره أكثر من مرة كل من الخلفاء الأمويين، ما عدا الخمسة الأخيرين الذين لم يبق كل منهم في دست الخلافة إلا فترة قصيرة مملوءة بالاضطرابات.

كانت المدينة مركز الرسول ﷺ والثلاثة الأولين من الخلفاء الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان، وكان كل منهم يمارس الحكم وإدارة المدينة بنفسه مباشرة دون أن يعين لها والياً خاصاً وقد كان الرسول عند غيابه عن المدينة في غزواته يختار أحد الصحابة للإشراف على إدارة المدينة خلال غيابه، ويظهر من أسماء من ذكرت المصادر اختيار الرسول لهم لولاية المدينة أنه لم يقتصر على اختيار شخص واحد، ولم يراع قاعدة عامة في أساس الاختيار الذي لم يكن يثير أي اعتراض أو مشاكل، ولم يستغله المتأخرون لأي تسويغ سياسي، اللهم ما خلا اختياره أبا بكر لإقامة الصلاة في مرضه الأخير. أما الخلفاء الراشدون الثلاثة فلم تذكر المصادر إلا سفر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ثم إلى الجابية، ولا ريب أنه، والخليفتين الأول والثالث، قاموا بالحج مما اقتضاهم مغادرة المدينة مؤقتاً، ولا نعلم من عينوا مكانهم لإدارة المدينة إذا كانوا قد عينوا أحداً؛ أما الخليفة الرابع وهو علي بن أبي طالب، فلم يقم بالمدينة إلا خلال الأشهر الأولى من خلافته، ثم ترك الحجاز إلى العراق حيث حملته الحوادث التي واجهته على البقاء فيه حتى مقتله، وقد عين على المدينة بعد مغادرته لها سهل بن حنيف لإدارتها. ومع أن الإمام علي لم يعتزم نقل مقر الدولة من المدينة، إلا أن انتقاله إلى العراق يمثل بداية العهد الذي لم تعد فيه المدينة أو الحجاز مركز الدولة أو المقام الدائمي للخلفاء، بل أصبحت مركزاً يقوم بإدارته ولاة يعينهم الخلفاء الذين يقيمون في بلاد الشام في العهد الأموي، ثم في العراق في العهد

العباسي. وإذا كان الخليفة علي بن أبي طالب لم يقصد مغادرته المدينة إلا مؤقتاً، فإن معاوية ومن تلاه من الخلفاء قاموا عن قصد وتصميم باتخاذ مركز الخلافة الإسلامية في الشام، وبذلك أصبحت المدينة مجرد مركز اقليم ولم تعد فيها المؤسسات المتعلقة بالخلافة.

غير أن الخلفاء الأمويين، وخاصة الأولين منهم، أولوا المدينة اهتماماً خاصاً فكان عدد كبير من أفراد الأسرة الأموية وأتباعهم ومواليهم يقيمون في المدينة، وكان الخلفاء ومعظم أفراد الأسرة الأموية يمتلكون أراض ومشاريع تجارية في المدينة وأطرافها، كما أن أول خليفة منهم، معاوية، بصورة خاصة كان يستقبل الوفود من أهل المدينة ويغدق العطايا على البارزين من رجالها، ويعمل على الحفاظ على ودهم وصداقتهم، وقد حاول يزيد متابعة سياسة والده في كسب ود أهل المدينة ولكنه لم يفلح، الأمر الذي أدى إلى قيام أهل المدينة بثورة مسلحة قمعت بشدة، فتوسعت الشقة بين الخليفة وأهل المدينة الذين أيّدوا ابن الزبير في ثورته، ولكن مروان وعبدالملك أعادا سيطرة الأمويين على الحجاز وعملا على رأب الجراح وعلى جلب أهل المدينة والحجاز أو على الأقل تخفيف كرههم، فلم تقم في الحجاز بعد ذلك أية ثورة.

يتجلى اهتمام الأمويين بالمدينة من قائمة الولاة الذين عينوهم عليها، ولا ريب أن فترة أواخر عهد يزيد، وأوائل عهد عبدالملك هي فترة ذات ظروف خاصة، لأنها تلت أحداثاً عسكرية معادية للأمويين، أما بقية الفترات فإن الولاة الذين اختيروا يظهرون اهتمام الخلفاء الأمويين بالمدينة، ففيما عدا الفترة الخاصة التي أشرنا إليها، وفي خلافة معاوية ويزيد وقبل موقعة الحرة، تناوب على ولاية المدينة خمسة من فرعي بني أمية، أما في الفترة التي بين خلافة عبدالملك وسقوط الدولة الأموية، فإنه بعد أن قضى الحجاج على حركة ابن الزبير وانتقل إلى إمارة المشرق، ولي المدينة خمسة من أفراد الأسرة الأموية واثنان ذوا صلة عائلية بالخليفة، فأحدهم هشام بن إسماعيل المخزومي هو خال الخليفة، ومحمد بن هشام هو ابن خال الخليفة، كما وليها اثنان من

الأنصار هما أبو بكر بن عمرو بن حزم وابنه، ووليها أربعة ينتمي كل منهم إلى عشيرة مضرية، وهم عثمان بن حيان المري، وعبد الرحمن بن الضحاك، وعبدالواحد النصري وخالد بن عبدالملك بن الحرث. ولا يدخل في هذا خمسة ولاة عينهم مروان بن محمد منهم اثنان من الأسرة الأموية، وثلاثة من عشائر مختلفة وهم عبدالملك بن محمد بن عطية، والوليد بن عروة، ويوسف بن عروة بن محمد بن عطية.

أما مكة فقد تعين عليها ولاة منذ عهد الرسول الذي اختار لها عتاب بن أسيد الأموي الذي ظل في عمله حتى توفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب، ثم تعاقب على ولاية مكة في عهد الخلفاء الراشدين عدد من الولاة تختلف المصادر في تسميتهم، ومهما كان هذا الاختلاف فإن الأسماء التي ذكرت تنتمي إلى عشائر مكية متعددة، ففيهم من عبد شمس، وتيم، وخزاعة، ومخزوم. غير أن الخليفة الرابع عين أبا فضالة الأنصاري ثم عين بعده قثم بن العباس.

وقد عين معاوية على مكة ولاة من الأسرة الأموية، أما يزيد فعين عدداً من عشائر مختلفة. أما عبدالملك ومن تلاه من الخلفاء، فقد عينوا ولاة منوعين، منهم ثلاثة من الأسرة الأموية فيهم عدد من أهل مكة، وفيهم عدد غير قليل من غير أهل مكة، وكلهم ممن لم يتول ولاية في مكان آخر قبل ولايته مكة، وفيهم واحد ولي العراق فيما بعد، هو خالد القسري.

وكانت ولاية مكة منفردة عن ولاية المدينة ولم تجمع الولايتان لأحد.

أما الطائف فقد وليها في زمن الرسول عثمان بن أبي العاص الذي ظل حتى خلافة عمر، ثم تلاه أخوه الحكم، ثم وليها سفيان بن عبدالله والقاسم بن ربيعة وهما ثقفيان ثم عين الخليفة علي قثم بن العباس، وفي العهد الأموي لم يذكر من ولاة الطائف غير عنبسة[1].

---

١ ـ ابن الكلبي ١٤ ب.

القضاء والحرس

لقد كان القضاء من المناصب التي ذكرت المصادر أسماء من شغلها في المدينة فقط، وإن عدم ذكر أي قاض في غير المدينة إبان العهد الراشدي والأموي دليل على عدم وجود هذا المنصب في غير المدينة، ولا نعلم كيف كان يتم البت في القضايا التي ينظرها القضاة في المدن التي فيها منهم.

لم يعين الخلفاء الراشدون في المدينة قضاة لأن كلًّا منهم كان ينظر بنفسه في القضايا التي صار ينظرها القضاة فيما بعد. وفي بداية العصر الأموي عين للمدينة قاض، وكان الولاة هم الذين يعينون القضاة[1].

ويلاحظ في قضاة المدينة في العصر الأموي أن فيهم أربعة من عشائر الأنصار وهم عمرو بن خالد الزرقي وعبدالرحمن بن يزيد الأنصاري، اللذين وليا قضاء المدينة في زمن خلافة الوليد بن عبدالملك، وأبو بكر بن عمرو بن حزم في زمن هشام، ويحيى بن سعيد الأنصاري في زمن الوليد الثاني. أما بقية من ولي القضاء فكانوا من قريش وقد شغله من أهل عبدالرحمن بن عوف اثنان من ولده وواحد حفيده وواحد ابن أخيه. أما الباقوت فمن عشائر مختلفة ومن الطبيعي أنه لم يكن فيهم أحد من الصحابة. أما الشرطة فلم يذكر إلا ولاتها في المدينة حيث ذكر اثنان فقط ممن وليها وهما مصعب بن عبدالرحمن بن عوف في زمن معاوية وعمر بن الزبير في زمن يزيد. ويمكن إرجاع قلة تردد ذكرها إلى أنها كانت أداة بيد الأمير، أما عدم ذكرها في الأماكن الأخرى فقد يرجع إلى عدم وجودها في تلك المدن. وإن الوالي في بقية المدن كان يستخدم حرسه الخاص للقيام بأعمال الشرط.

ومن الوظائف التي كانت في المدينة حرس المسجد، فيروي السمهودي عن ابن زبالة عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبدالعزيز استأجر حرساً للمسجد لا يحترف فيه أحد، وعن كثير بن زيد قال نظرت إلى حرس عمر بن عبدالعزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلي على الجنائز فيه.

---

١ - وكيع ج ١ ص ١٤١، ابن سعد ج ٥ ص ١١٧، مصعب الزبيري ص ٢٨٤.

وعن عثمان بن أبي الوليد عن عروة بن الزبير أنه قال: تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز، قلت نعم، أما إن أبا بكر قد صلى عليه في المسجد. قلت وذكر يحيى ما يقتضي أن الحرس كانوا قبل زمن عمر بن عبدالعزيز يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز في المسجد، فإنه روى عن ابن ذئب عن المقبري أنه رأى حرس مروان بن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا فيه على الجنائز[1].

١ ـ إن رواية ابن زبالة عن وجود حرس المسجد في عهد ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة (وقد كانت في خلافة الوليد) لا يناقض رواية يحيى أن الحرس كان موجوداً في زمن ولاية مروان (وقد كانت في خلافة معاوية).

إن هذا يدل أن حرس المسجد كان قائماً منذ عهد معاوية غير أننا لا نعلم فيما إذا كان قد أنشىء في زمن معاوية أم قبله.

٢ ـ ويتضح من النص المذكور أعلاه أن من واجبات حرس المسجد منع الصلاة على الجنائز في المسجد، ولعل هذه إحدى الواجبات فإن وجود مسجد جامع واحد في المدينة حيث توسعت المدينة إلى درجة كبيرة وكون المسجد المركز الاجتماعي والإداري والفكري، لا بد أن يجر وراءه تعقد واحتمال ظهور مشاكل فيه. لذلك نرى أن واجبات الحرس لم تقتصر على منع الصلاة على الجنائز، بل امتدت إلى منع حدوث المشاكل وضبط الأمن فيه.

يروي ابن النجار عن أهل السير: أن النبي ﷺ ولى العقيق لرجل اسمه هيصم المزني وأن ولاه المدينة لم يزالوا يولون عليه حتى كان داود بن عيسى فتركه في سنة ١٩٨)[2].

ويروي عبدالله بن ذكوان: (كانت بنو أمية تجري في الديوان ورقاً على

---

١ ـ السمهودي ج ٢ ص ٥٣١.

٢ ـ السمهودي ج ٤ ص ١٠٦٧.

من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق في مصلحته وفيما يصلح بئر المغيرة من علقها ودلائها)[1].

والراجح أن مقصد ابن النجار وعبدالله بن ذكوان واحد، وأن لوالي العقيق وظيفة خاصة بهذا الوادي الذي استثمر إلى درجة كبيرة بعد الإسلام وصارت فيه مزارع وقصور رائعة وحياة اجتماعية نابضة، فكان من المأمول حدوث مشاكل وقضايا تتطلب موظفاً خاصاً لحلها.

الديوان والعامل على السوق

أما الديوان فقد ذكر في المدينة فقط لأن العطاء كان مقتصراً عليها، وكان ولاته من العرب حتى كان هشام فولاه الموالي[2]. وقد ولي الديوان في زمن معاوية أربعة من الأسرة الأموية، أما بعد ذلك فقد وليه واحد من كل من زهرة، وتيم، والأنصار وأمية وغيرهم.

وكان ابن هرمز على ديوان المدينة في زمن يزيد بن عبدالملك[3] وكذلك في زمن هشام بن عبدالملك[4] وقد وليه في خلافة هشام أيضاً ابن أبي عطاء[5].

ومن الوظائف التي كانت في المدينة ومكة وظيفة العامل على السوق. وقد ذكر في المصـــادر أن سعيداً بن مينا وكان عاملاً على السوق في مكة لابن الزبير[6] والحسين بن علي على سوق مكة زمن المطيع[7].

أمـا في المدينة فقد ذكر عدد منهم في عهد عمر وعثمان وعمر بن

---

١ ـ السمهودي ج ٣ ص ١٠٥٠.

٢ ـ ابن حبيب ص ٣٧٨.

٣ ـ ابن سعد ج ٧ ص ٣٤٨.

٤ ـ الطبري ج ٧ ص ١٤٥٠.

٥ ـ السمهودي ج ٣ ص ١٠٤٦.

٦ ـ الأزرقي ج ١ ص ١٤١.

٧ ـ ابن حزم ص ٧٢.

عبدالعزيز. فأما في زمن عمر فقد ذكر عبدالله بن عتبة بن مسعود[1] وسليمـان بن أبي حثمة[2] والسائب[3]، والشفاء بنت عبدالله [4].

وذكر من زمن عثمان الحارث بن الحكم [5].

ومن زمن عمر بن عبدالعزيز سليمان بن يسار[6].

كما ذكر الأصبهاني بردان دون أن يذكر زمن تعيينه[7].

وكان صاحب السوق في المدينة يجلس بفناء دار معمر بن عبدالله العدوي[8].

ويلاحظ أن اسم الوظيفة (عامل على السوق يطابق ترجمة Agoranomos وأن هذا الاسم انتشر في بلاد المغرب والأندلس حيث كانت الحضارة الرومانية سائدة.

يذكر ابن سعد أن عبدالله بن عتبة كان يأخذ من القطنية[9]، ويذكر الشافعي أنه كان يأخذ من النبط العشر[10] ويذكر مالك أنه كان يأخذ نصف العشر من الحنطة والزيت، يريد بذلك أن يكثر الحمل إلى المدينة، ومن

---

١ ـ ابن سعد ج ٥ ص ٤٢، مالك، الموطأ ج ١ ص ٢٠٨، الأم ج ٤ ص ١٢٥، الشافعي، مسند ج ١ ص ٢٤٢.

٢ ـ مصعب الزبيري ص ٣٧٤.

٣ ـ السخاوي ج ١ ص ٦٧ (وقد ذكر الاثنين السابقين أيضاً).

٤ ـ ابن حزم ص ١٥٠، ١٥٦.

٥ ـ البلاذري، أنساب ج ٥ ص ٤٧.

٦ ـ ابن سعد ج ٥ ص ١٣٠، السخاوي ج ١ ص ٧٠، ج ٢ ص ٢٣١.

٧ ـ الأصبهاني، الأغاني ج ٨ ص ٢٧٧.

٨ ـ مصعب الزبيري ص ١٧٦ عن محمد بن يحيى، وفاء ج ١ ص ٥٤٢ عن ابن زبالة.

٩ ـ ابن سعد ج ٥ ص ٤٢.

١٠ ـ أم ج ٤ ص ١٢٥.

القطنية العشر، وهو يضيف نقلاً عن شهاب أن ذلك العشر كان «يؤخذ منهم في الجاهلية فألزمهم عمر ذلك»(1).

لدينا إشارات غير قليلة إلى العشر الذي كانت تجبيه مدن الحجاز قبل الإسلام، ففي مكة كانوا يأخذون العشور قبل الإسلام(2). وقد أعفى الرسول ﷺ عدداً من العشائر من العشور حيث نص في كتبه إليهم أنهم «لايحشروا ولا يعشروا». وإن نص الرسول على إعفائهم من هذه العشور إن هو إلا دليل على وجودها قبله(3).

ويبدو أن للعامل على السوق اختصاصات قضائية وخاصة فيما يتعلق بالمعاملات فإن الأصبهاني يذكر أن بردان متولي السوق في المدينة، «قدم إليه رجل خصماً يدعي عليه حقاً فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس»(4).

يذكر البلاذري أن عثمان «ولى الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه ويبيعه ويجيء مقاعد المتسوقين، ويصنع صنيعاً منكراً، فكلم في إخراج السوق من يده فلم يفعل»(5).

لا ريب في أن أسعار السلع المعروضة بالأسواق ذات تأثير كبير في معاش السواد الأعظم من الناس ولما كانت معظم السلع، وخاصة بعض المواد الغذائية كالزيت والحنطة والزبيب تستورد من الخارج، فهي لذلك تعتبر من التجارات وتتعرض لتدخل الحكومة بفرض العشور عليها، غير أنها في الوقت نفسه تفسح مجال الاحتكارات وما تجره من تلاعب في الأسعار، وقد أكد الفقهاء على

1 ـ مالك، الموطأ ج 1 ص 116.

2 ـ الأزرقي ج 1 ص ص 101، المسعودي، مروج الذهب ج 2 ص 58.

3 ـ انظر في ذلك مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميدالله خان، الوثائق رقم 221 إلى ابن ظبيان الأزدي 171، 184، ثقيف، 189 نهشل بن مالك وبني وائل، 48 هبيل من بلي، 84 عبد يغوث بن وعلة.

4 ـ الأصبهاني ج 8 ص 277.

5 ـ البلاذري ج 5 ص 247.

وجوب عدم تدخل الدولة في الأسعار، ونسبت إلى الرسول ﷺ أحاديث أكد فيها رفضه القيام بمحاولة للتدخل فيها وفرض أسعار رسمية لأن السعر من الله، فهو القابض والباسط، أي أن الرأي أن الأسعار تتحكم فيها قوانين طبيعية، وقد أكدت أحاديث تنسب إلى أن الرسول ﷺ نهى عن الحكرة، غير أننا لا نستطيع الجزم بأن الرسول ﷺ كان يرى وجوب بقاء حكم هذه الأمور بعده، لأن المصادر تروي لنا عدداً من المسلمين كانوا يقومون بالحكرة، فقد روي أن مروان بن الحكم احتكر النوى[1] كما احتكر سعيد بن المسيب النوى والخيط والبزر[2] لذلك يمكن اعتبار هذه الأحاديث مظهراً لاستياء الناس من أحداث كانت تجري بعد الرسول ﷺ، ومنها الحكرة، وأن الحارث كان موظفاً رسمياً يقوم بالحكرة ويؤثر في الأسعار أثار استياء الناس منه.

عقد السمهودي فصلاً قيماً، جمع فيه الروايات المتعلقة بتطور سوق المدينة[3] ويتبين من هذه الروايات:

١ ـ يروي ابن شبة عن أبي غسان أنه «كان بالمدينة في الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التي تدعى يثرب»، وسوق بالجسر في بني قينقاع، وبالصفاصف بالعصبة سوق، وسوق يقوم في موضع زقاق ابن حيين كانت تقوم في الجاهلية وأول الإسلام، وكان لذلك الموضع مزاحم.

٢ ـ إن سوق قينقاع كان أكبر وأهم الأسواق.

٣ ـ ويروي ابن شبة عن صالح بن كيسان «ضرب رسول الله ﷺ قبة في موضع بقيع الزبير فقال هذا سوقكم، فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطنابها، فقال رسول الله ﷺ لاجرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال هذا سوقكم لاتتحجروا ولا يضرب عليه الخراج.

---

١ ـ البلاذري ج ٥ ص ٢٩، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩٩.

٢ ـ سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب النهي عن الحكر.

٣ ـ السمهودي ج ٢ ص ٧٤٧ ـ ٧٤٨.

إن الأسلوب التهجمي الصارم الذي اتبعه كعب بن الأشرف لا بد أنه قد حدث في أوائل أشهر الهجرة حيث كان لا يزال لليهود نفوذ قوي وكان لا بد إزاءه أن يقف الرسول ﷺ موقف اللين، ولا بد أن دافعه حماية مصالح اليهود، ولعل كعب خشي من خطر منافسة السوق الجديد لسوق قينقاع، وهو يفسر سبب بدء الرسول ﷺ بطرد قينقاع قبل كل القبائل اليهودية الأخرى.

٤ - يروي ابن زباله عن عباس بن سهل عن أبيه أن الرسول ﷺ أتى بني ساعدة فقال إني قد جئتكم في حاجة تعطوني مكان مقابركم فأجعلها سوقاً، فأعطاه بعض القوم ومنّه بعضهم وقالوا مقابرنا ومخرج نسائنا ثم تلاوموا فلحقوه وأعطوه إياها فجعلها سوقاً.

٥ - إن سوق الرسول توسعت فيما بعد فلم تقتصر على تلك المقابر.

٦ - يروي ابن شبة وابن زبالة عن محمد بن عبدالله بن حسن أن رسول الله ﷺ تصدق على المسلمين بأسواقهم، ويروي ابن شبة عن أبي أسيد أن الرسول ضرب برجله فقال هذا سوقكم فلا ينقص منه ولا يضربن عليه خراج.

ويروي ابن زبالة أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أهل المدينة «إنما السوق صدقة فلا يضربن على أحد فيه كراء».

ويورد السمهودي عدة روايات عن منع الرسول ﷺ أحداً أن يحتكر له مكاناً في سوق المدينة.

٧ - يروي ابن زبالة أن معاوية بنى دارين بسوق المدينة يقال لإحداهما دار القطران والأخرى دار النقصان وضرب عليهما الخراج.

٨ - إن هشام بن عبدالملك بإشارة من خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل والي المدينة، بنى داراً ضخمة في السوق سد بها وجوه الدور والشوارع في السوق، وجعل لها أبواباً معمولة من الشام وأكثرها من البلقاء، وجعل لدار السوق حوانيت في أسفلها وعلالي تكرى للسكن، وكان فيها التجار فيؤخذ

منهم الكراء، فلما وصل أهل المدينة نبأ وفاة هشام وقع الناس فهدموها وانتهبت أبوابها وخشبها وجريدها فلم يمض ثالثة حتى وقعت إلى الأرض.

ويبدو أن سوق المدينة ظل حراً لا تؤخذ عليه ضريبة إلى أن جاء المهدي فوضع الخراج عليه[1].

الصوافي

ومن الوظائف التي ذكرت في المدينة ومكة هي ولاية الصوافي وهي لبيت المال[2].

وقد ذكر ابن شبة عدداً من الدور التي صارت في الصوافي، منها «دار مروان صارت في الصوافي»[3] ودار آل شرحيل «باعوا بقيتها من يحيى بن خالد بن برمك فهدمها حين هدم حش طلحة ثم صارت براها في الصوافي»[4]، ودار مليكة التي «باعها عبدالله من معاوية فصارت في الصوافي، فأدخلها المهدي في المسجد»[5]، ويروي المفضل بن سليمان «لما بلغ العمري وهو بالمدينة مقتل الحسين بفخ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخل وقبض ما لم يحرقه وجعله من الصوافي والمقبوضة»[6].

إن النصوص المذكورة أعلاه تبين أن الصوافي بيوت تمتلكها الدولة بطريقة من الطرق، غير أن نصوصاً أخرى قد يستدل منها أن الصوافي تشمل الأراضي الزراعية أيضاً، فيذكر السمهودي أنه «كان بالمدينة وما حولها عيون

١ ـ وانظر عن تطور السوق وجباية مقاعد المتسوقين من البصرة والكوفة ما كتبته في «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

٢ ـ السمهودي ج ٢ ص ٧٢١.

٣ ـ م. ن. ص ٧٢١.

٤ ـ م. ن. ج ٢ ص ٥٢٧.

٥ ـ م. ن. ج ٢ ص ٥٣٩.

٦ ـ الطبري ج ٣ ص ٥٦٣.

كثيرة تجددت بعد النبي ﷺ، وكان لمعاوية اهتمام بهذا الباب، ولهذا كثرت في أيامه الغلال بأراضي المدينة، وقد نقل الواقدي في كتاب الحرة أنه كان بالمدينة في زمن معاوية صوافي كثيرة وأن معاوية كان يجد بالمدينة وأعراضها مائة وخمسين ألف وسق، ويحصد مائة ألف وسق حنطة»[١].

ويذكر الطبري أن المهدي لما جاء الحجاز سنة ١٦٠ هـ جاءه الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن «فأحسن المهدي صلته وجائزته وأقطعه مالاً من الصوافي بالحجاز»[٢].

وقد ذكرت المصادر عدداً ممن ولي الصوافي في مكة والمدينة إبان العصر العباسي، ولم يذكر أحد ممن وليها في العصر الأموي سوى ابن مينا، وإن ورود كافة النصوص المتعلقة بالصوافي من العصر العباسي قد يدل على أن هذه المؤسسة توسعت في العصر العباسي.

وممن ذكر أنه ولي الصوافي عمر بن ماهان على البريد والصوافي في خلافة الأمين[٣] وكان سالم بن الجراح عاملاً للأمين على صوافي مكة[٤]. أما في المدينة فكان ابن مينا على الصوافي في زمن معاوية[٥]. وكان في العصر الأموي على الصوافي باليمامة إسحاق عبدالله بن أبي طلحة[٦].

ومن الوظائف المالية المذكورة في المدينة جباية الخراج فقد ذكر ابن سعد على خراج المدينة عبدالرحمن بن أبي الزناد[٧] وسليمان بن بلال المتوفى

---

١ - السمهودي ج ٣ ص ٩٨٨، ج ٧ ص ١٢٧، الجواهر الثمينة ص ٦١.
٢ - الطبري ج ٣ ص ٤٨٢.
٣ - الأزرقي ج ٢ ص ٤٨، الفاسي ج ١ ص ٢٤٨.
٤ - الأزرقي ج ١ ص ١٣٩.
٥ - السمهودي ج ١ ص ١٢٧، اليعقوبي ج ٢ ص ٢٩٧.
٦ - السخاوي، التحفة اللطيفة ج ١ ص ٢٨١.
٧ - ابن سعد ج ٥ ص ٣٠٥، ٣٠٨ السخاوي، التحفة اللطيفة ج ٣ ص ١٢٩

سنة ١٧٢[1] والراجح إنما كانا يقومان بجباية الضرائب على المزروعات، وليس على أراضي غير المسلمين كما هو مفهوم من الخراج في العراق ومصر.

ادارة المناطق القبلية

لما كان معظم سكان الحجاز والجزيرة من القبائل التي يقيم كل منها في منطقة خاصة بها (دار) ولها تنظيم سياسي خاص قائم على المشيخة. لذلك فإن الرسول ﷺ في محاولاته توسيع دولة الإسلام كان لا بد له من الاحتكاك بهذه القبائل، ولا شك في أن صغر القبائل وتعددها من العوامل التي ساعدت الرسول ﷺ على إخضاعها وضمها إلى حظيرة الإسلام، غير أن هذا الضم لم يتم دفعة واحدة أو في ظروف متشابهة، بل حدث بالتدرج وتحت ظروف منوعة، وقد أدى تنوع الظروف التي أحاطت ضم كل قبيلة إلى تنوع معاملتها، فلم تكن معاملة الرسول لكافة القبائل واحدة بل كانت بأشكال متعددة، فقد اكتفى من بعض القبائل بالموادعة، أي بالوقوف موقف الحياد المشرب بروح العطف نحو المسلمين، دون إلزامهم حتى بتبديل دينهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى الاتفاقيات التي جرت مع أمثال هؤلاء بقوله تعالى: ﴿**إلاّ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين**﴾[2].

ومما لا شك فيه أن أمثال هذه الموادعات تمت في السنوات الأولى من الهجرة عندما كانت مخاصمة قريش للإسلام خطراً مهدداً، فكانت الأحوال تقضي بعزل القبائل عن قريش مما يضعفها ويكون مكسباً للرسول ﷺ، ولا بد أن الشروط التي كان يطلبها الرسول ﷺ في السنوات المتأخرة كانت أكثر وأوسع نظراً لتثبيت سلطانه وازدياد قوته وضعف قوة قريش، ومن المحتمل أن كثيراً من الاتفاقيات التي أبرمها في السنوات الأولى قد أعيد النظر فيها فيما بعد.

تتجلى الشروط التي فرضها الرسول ﷺ على القبائل بالمعاهدات التي

---

١ ـ ابن سعد ج ٥ ص ٣١١.

٢ ـ التوبة ٤.

روتها المصادر والتي جمعها حميد الله حان في كتابه الوثائق السياسية في عصر الرسول والخلافة الراشدية وتبلغ الرسائل المتعلقة بعهد الرسول نحو مائتي رسالة، تختلف في طولها ومحتواها، فبعضها لا نعلم إلا الإشارة إليه، وبعضها لا يتجاوز كلمات، وبعضها يبلغ أكثر من صحيفة.

ولا ريب في أن هناك مبررات كثيرة للاختلاق والتزوير فيها، ومع أنه يصعب البت في المزور منها إلا أنه يمكن القول أن الكتب التي كتبت لأفراد يمنحون فيها بعض الأمور المادية كالإقطاعات أو يضفي عليهم بعض الامتيازات، كلها تثير الشك في احتمال التزوير.

إن عدداً من هذه الكتب موجه إلى ملوك وحكام البلاد الخارجة عن الجزيرة فهي لا تدخل في دراستنا، كما أن عدداً منها موجه إلى رؤساء من أهل اليمن، ولا شك في أن اليمن قد انضمت إلى حظيرة الدولة الإسلامية، غير أن أوضاعها السياسية والاقتصادية والتاريخية ربما راعاها الرسول ﷺ فجعل من كتبه لهم شروطاً خاصة متأثرة بتلك الأوضاع، يضاف إلى ذلك أن اليمن خارجة عن نطاق دراستنا لذلك سنترك تحليلها.

إن طبيعة النظام البدوي، والأوضاع، التي كانت تحيط الرسول ﷺ حتى بعد فتح مكة وضمها إلى حظيرة الإسلام الذي سادت دولته على الحجاز ومعظم أنحاء الجزيرة ـ كل هذا كان يقضي معاملة القبائل بشكل خاص يتسم بإعطائها مجالاً واسعاً من الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها، فلم يعين لها ولاة أو حكاماً، بل أقر رؤساءها السابقين أو من تختارهم العشيرة، ومع أن المصادر لا تشير إلى التطورات التي حدثت في مضامين هذه الكتب، إلا أننا نرجح أن ازدياد سلطة الخلفاء وخاصة بعد القضاء على حركات الردة والقيام بالفتوح، قد أدى إلى تقلص مكانة القبائل، ولكن لم يقض على هذه المكانة، بل ظلت كل قبيلة محتفظة بكيانها.

وهكذا يمكن القول بأنه كان يسود في الحجاز نظامان إداريان، أحدهما النظام الذي يشمل الولايات التي يعين الخليفة إدارييها لينفذوا أوامره، والنظام

الثاني يشمل القبائل المنتشرة في مختلف أنحاء الحجاز والتي تسير طبقاً لتقاليدها ونظمها، ويسيطر على كل منها رئيس أو شيخ تختاره ويحكم طبقاً للتقاليد، ويختلف مدى سلطانه باختلاف الظروف، ولكن الخليفة لا يتصرف فيه بالعزل والتعيين شأن الولاة الآخرين، كما أنه مرتبط بالعشيرة برابطة الدم، وهو يحكم وفق التقاليد القديمة وبحدودها ونطاقها.

لقد بينا أن علاقة الرسول ﷺ بالقبائل توضحها الكتب التي تنسب إليه، وقد جمعها السيد حميد الله خان في كتابه «الوثائق السياسية في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة».

ويتبين من الاطلاع على هذه الكتب أنها تختلف في تفاصيلها ومحتواها، فكثير من الكتب التي أورد نصها الرواة، مقتضبة لا تزيد على كلمات محدودة، وخاصة الكتب التي أقطع فيها الرسول ﷺ أشخاصاً إقطاعات، غير أن هناك عدداً غير قليل من الكتب التي تحوي تفاصيل الأحكام التي قررها الرسول ﷺ، مثل كتابه إلى أهل نجران، وكتابه إلى أهل تيماء، ولكن أغلبية الكتب متوسطة في الطول، يحتوي كل منها على بضعة أسطر.

إن أغلبية هذه الوثائق تسمى كتباً، ولا تحمل عنواناً يبين صنفها، كأن تكون معاهدة أو عهداً أو ميثاقاً أو أماناً أو ما إلى ذلك، ولذلك فإننا نعتمد في تصنيفها على محتواها وعلى الأحكام التي تنص عليها.

وليس في هذه الكتب ما يشير إلى تحديد المدة التي تسري عليها الأحكام، وإن عدم تحديد المدة يدل على أن الرسول كان يرى أن تكون أحكامها دائمية، ومن المفروض أن أحكامها تحدد الحد الأدنى من مطاليب الرسول، أي أن القبائل تلتزم تجاه الرسول ﷺ بما تنص عليه أحكام الكتب، وتبقى غير مقيدة بما لم تنص عليه الكتب. ومن المعلوم أن بعض أحكام هذه الكتب محدد واضح، وبعضه عام مطلق، مثل طلب الرسول ﷺ فيها طاعة الله وطاعة الرسول واعتناق الإسلام، فإن هذا يجر وراءه التزامات غير قليلة وإن كنا لا

نستطيع تحديد هذه الالتزامات بدقة، غير أن تحديد الرسول ﷺ لواجبات وحقوق من وجهت إليه هذه الكتب لا يعني أن هذا التحديد نهائي، إذ أن منطق الأمور يقتضي أن يكون للرسول ﷺ الحق في توجيه كتب أخرى يفرض فيها تحديدات إضافية أو يعطي امتيازات إضافية، غير أن الملاحظ أنه لا يوجد في هذه الكتب اثنان أو أكثر وجهت إلى عشيرة واحدة، أي أن الرسول ﷺ وجه هذه الكتب مرة واحدة ولم يوجه بعدها شيئاً فلم يضف التزامات جديدة.

ولما كانت الأحوال المحيطة بالرسول ﷺ عند إصداره الكتب غير ثابتة أو متشابهة لذلك فلا بد أن تختلف شروطها ويتجلى هذا واضحاً في الكتب التي أصدرها في أوائل أشهر الهجرة إلى جهينة وغفار اللتين كانت ديارهما بين المدينة والبحر.

ولا ريب في أن أوضاع القبائل الحجازية تختلف عن أوضاع القبائل الأخرى، وذلك بالنظر لقربها من المدينة، وهي مركز الرسول ﷺ والإسلام، وتأثرها بالتدابير والأعمال التي كان يقوم بها الرسول ﷺ، وخاصة في السنين الأولى من الهجرة عندما كانت قريش تتمتع بنفوذ كبير على قبائل الحجاز، وتقف بذلك معرقلة توسيع دولة الإسلام، ولما كان الهدف الرئيسي للرسول ﷺ في هذه المرحلة المبكرة هو التغلب على قريش وضمها إلى حظيرة الإسلام وإزالة العقبات التي كانت تضعها بوجه التوسع الإسلامي، كان لا بد من تقديم بعض التسهيلات لجلب هذه القبائل إلى جانبه وعزلها عن قريش.

إن عدد الكتب الموجهة إلى قبائل الحجاز قليل إذا قورن بالكتب الموجهة إلى أهل اليمن أو إلى أهل شرقي الجزيرة، ولكن يجدر ملاحظة أن أهل اليمن انضموا إلى الإسلام طوعاً ومن دون استعمال القوة، وأن الرسول ﷺ لم يرسل إلى اليمن جيشاً يقيم فيها، ولذلك كان لا بد أن تكون أحكام الرسول ﷺ فيهم مرنة أيضاً.

إننا سنعرض فيما يلي الأحكام التي تتجلى من كتب الرسول ﷺ بصورة

خاصة إلى أهل الحجاز، ونتطرق إلى الأحكام التي تشترك فيها بقية العشائر معهم.

فأول مايلاحظ أن كتب الرسول ﷺ موجهة إما إلى أفراد معينين، أو إلى أفراد وعشائرهم أو إلى العشائر، وإن كثيراً من الكتب الموجهة إلى الأفراد هي إقطاعات شخصية، أي أنها تتعلق بالتنظيمات المالية ولا تمت بصلة إلى التنظيمات الإدارية، لذلك لا تدخل ضمن بحثنا الحالي، غير أن عدداً غير قليل من هذه الكتب موجهة إلى أفراد وفيها أحكام إدارية، ومن المحتمل أن الرسول قصد في توجيهها أن تكون للشخص الموجهة له مع جماعته، بالرغم من عدم صراحة الإشارة إلى ذلك.

والصنف الثاني من الكتب هي الموجهة لأفراد وعشائرهم بصراحة، ولكننا لا نعلم فيما إذا كان هؤلاء هم في الأصل ذوي مكانة قيادية في عشائرهم، أي أن الرسول قد اختارهم ليضعهم في هذه المكانة الخاصة، فإذا كان الأمر الأخير فلا بد أن يكون ذلك مظهراً لانقسامات قبلية داخلية، وأنه رافقته أيضاً انقسامات داخلية، غير أنه على كل حال يبين اعتراف الرسول ﷺ للعشائر برؤساء لا بد أن كانت لهم سلطات إدارية تسير تبعاً للتقاليد البدوية، وأكثر عشائر هذين الصنفين هم أهل اليمن.

وهناك صنف ثالث من رسائل الرسول ﷺ موجهة إلى العشائر دون الإشارة إلى أفراد بارزين فيها وأكثر عشائر هذا الصنف هم من أهل الحجاز وطيء. ولا نعلم هل كان إغفال الرسول ﷺ ذكر أسماء أفراد فيها يرجع إلى عدم وجود رؤساء معتمدين فيها أم أن رؤساءها لم يؤيدوا الرسول ﷺ فتجاهلهم، وعلى أي حال فإننا لا نعلم طريقة إدارة هذا الصنف من العشائر.

تؤكد معظم كتب الرسول ﷺ أنه كان يعطيهم ذمة الله ورسوله (١٤ كتاباً) وأمان الله ورسوله (١٣ كتاباً) وقد استعملت ذمة الله، وأمان الله بشكل ثابت، أما ذمة الرسول أو أمانه فقد ذكرت أيضاً. وقد ذكر في الكتب اسم محمد، أو

الرسول، أو رسول الله وقد ورد في أحد الكتب «إن الله ورسوله جار على ذلك، في كتاب آخر إن الله ومحمد جار».

يبلغ عدد الكتب التي استعملت تعبير الأمـان ثلاثة عشر، منها خمسة موجهـة إلى عشائر الحجاز، أما التي استعملت تعبير الذمة فتبلغ أربعة عشر كتاباً، أغلبها موجهة إلى رجال أهل اليمن وعشائرها.

لقد ذكر الأمن في القرآن الكريم بصيغة الفعل في ١٩ آية، وذكر بصيغة المصدر في ثلاث آيات وكلها بمعنى الطمأنينة التي هي ضد الخوف، أما كلمة ذمة فقد ذكرت في آيتين متصلتين حيث يذكر موقف المشركين من المسلمين فيقـول تعـالى: ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهـدتم عنـد المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين. كيف وإن يظهـروا عليكم لا يرقبـوا فيكم إلاً ولا ذمـة، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون. اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون﴾[1].

ويمكن القول بأن المقصود بالأمان والذمة والجوار أنها اتفاقيات صداقة يضمن فيها الرسول لهذه القبائل عدم الاعتداء، ولعل كلمة ذمة تدل أيضاً على ضمان حمايته لهم من أي اعتداء تقوم به القبائل والقوى الأخرى ضدهم.

أما الالتزام المفروض على العشائر فقد اختلفت صيغته، فإنه في بعض الكتب تطلب إمـا إطـاعـة الله ورسوله (٣) الإسلام (٢) والإسلام وطاعة الله ورسوله (١) الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (٥) إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة (٢)، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومفارقة المشركين.

وهناك كتابان فرضا على من وجهت له «اقبل في حزب الله».

---

١ ـ التوبة (٧ ـ ١٠).

إن طاعة الله ورسوله لا بد أن تؤدي إلى الإسلام، كما أن الإسلام يستلزم طاعة الله وسوله والقيام بفرائضه. وإن عدم ذكر بعض الكتب شرط مفارقة المشركين قد يفسر بالسماح لهم بإبقاء علاقاتهم القديمة مع المشركين، خاصة وأن المسلمين كانت بينهم وبين المشركين في هذه الفترة عهود ومواثيق أشار إليها القرآن الكريم.[1]

غير أن اعتناق الإسلام والانضمام إلى دولة الإسلام كان لا بد أن تؤدي في المدى البعيد إلى إضعاف ثم قطع العلاقة مع المشركين.

وقد نص الرسول ﷺ في كتبه التي وجهها إلى عدة من العشائر في الحجاز وخاصة القريبة. من مكة مثل ضمرة وغفار، وأشجع، والبكاء، والربعة، أن لهم «النصر على من ظلمهم أوّ حاربهم»، أي أنه يقوم بحمايتهم من أي اعتداء أو هجوم، وقد أضاف على بني أسلم شرطاً أن عليهم نصر النبي، أي أن الاتفاقية معهم هجومية دفاعية.

وقد أقر الرسول ﷺ لعدد من القبائل، وخاصة طيء، وثقيف، وجرش، وغامد أن كلاً منهم، له ما أسلم عليه من أرضه، والمفروض أن هذا الشرط طبقه تجاه القبائل الأخرى التي عقد معها اتفاقيات، وإن لم ينص على ذلك.

وقد شرط مع أهل مقنا وبني وائل أن لا يعين عليهم أميراً إلا من أنفسهم، غير أنه في كتابه إلى وائل ذكر أنه يستسعى ويترفل على الأفيال. وفي كتابه إلى هبيل من بلي أن لهم سعاية نصر وسعيد بن بكر وثمالة وهذيل، إن عدم ذكر مثل هذا الشرط في الكتب الأخرى قد يدل على أن الرسول ﷺ لم يشأ أن يقيد نفسه بشكل صريح تجاه العشائر التي أغفل في كتبها هذا الشرط.

وهناك شروط منفردة كالنصح للمسلمين وإضافتهم، أو السماح لهم باستعمال المياه أو المرور بالطرق.

---

١ ـ سورة التوبة الآيات (١ ـ ٤).

يتبين من هذا العرض السريع الموجز لكتب الرسول ﷺ إلى العشائر أو رجالها، أن أهم ما كان يقدمه الحماية، وأهم ما يطلبه هو الطاعة، وأن هذه الكتب عموماً موجزة، أي أنه ترك القبائل تسير حسب نظمها القديمة وأعرافها المتعارفة، ولم يضع عليها قيوداً ثقيلة ولا ريب أن الرسول ﷺ كان يهدف نشر عقيدة التوحيد وتوسيع دولة الإسلام بضم أكبر عدد ممن يعترف بالسيادة الإسلامية، وأن هذا الانضمام كان يؤمن للقبائل حماية الرسول ﷺ من أي اعتداء خارجي، أما تفاصيل التنظيم الإداري فلم يتدخل الرسول ﷺ في تغييره أو إبداله نظراً لأنه لم يكن يمس سيادة الإسلام، وقد كان انشغال الرسول بالقضايا الكثيرة التي واجهته قبل فتح مكة وبعده، من العوامل التي جعلته ينصرف عن العمل على تبديل نظام القبائل. ذلك الانصراف الذي من مظاهره قلة الشكاوي والمشاكل التي واجهها وعدم ذكر المصادر لأسماء أشخاص عينهم على العشائر غير جباء الصدقات الذي سندرسه في بحث مستقل.

ولاة الأماكن التابعة للمدينة

قرى عربية: (منها تبوك وخيبر وفدك) عمرو بن سعيد[1]
عبدالله بن سعيد بن العاص[2]

وادي القرى: سعيد بن سعيد بن العاص[3]
دجاجة بن ربعي (للحسن بن علي)[4]
الحارث بن الحصين بن الحارث (ابن الزبير[5])
جبلة بن زفر[6]

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف ٤ ـ ٢ / ١٢٨ وخليفة ٣٨.

٢ ـ ابن حزم ٨٠.

٣ ـ م. ن. ٨٠.

٤ ـ الأصبهاني ٨ / ١٠٨.

٥ ـ البلاذري أنساب الأشراف ٤ ـ ٢ / ٢٩.

٦ ـ ابن حزم ٣٨٤.

عذرة	عامر بن ربعي بن دجاجة[1]
تبالة	جوان بن عمر[2]
الجار	سعد الجاري (لعمر[3])
المعدن	كثير بن عبدالله[4]
العروض	أبو سفيان بن الحرث (لعثمان[5]).
جرش	صرد بن عبدالله الأزدي[6]
دبا	حذيفة بن اليمان[7]
الخط	أبان بن خالد[8]
دهلك	خداش الكندي (لخالد القسري[9])
ولاة الحمى	بلال بن الحارث المزني (من زمن أبي بكر إلى معاوية)[10]

هنى	عمر.
ربيع بن مري	الوليد بن عقبة[11]
سعد بن حمل	معاوية[12]

---

١ ـ الأصبهاني ٨ / ١٢٣.
٢ ـ م. ن ١ / ٧٠.
٣ ـ ياقوت ٢ / ٦.
٤ ـ الأصبهاني ٢٠ / ٩٩.
٥ ـ الطبري، تفسير ٧ / ٤٦.
٦ ـ ابن سعد، ٥ / ٣٨٤.
٧ ـ ابن سعد ٥ / ٣٨٥.
٨ ـ ابن حزم ٨١.
٩ ـ الأصبهاني.
١٠ ـ ابن عساكر ٣ / ٢٩٩.
١١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف ٥١ (أسكوريال) «وكان لصاحب الحمى قدر ورزق هني».
١٢ ـ م. ن. ٣٩٣ «الحولي الذي حمى الخيل والإبل للخلفاء والملوك».

موظفو المدينة

الخليفة	العامل على السوق
عمر	الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس[١]
	سليمان بن أبي حثمه[٢]
	عبدالله بن عتبة بن مسعود[٣]
	السائب[٤]
عثمان	الحارث بن الحكم[٥]
عمر بن عبدالعزيز	سليمان بن يسار[٦]
	بردان[٧]

خراج المدينة

عبدالرحمن بن أبي الزناد[٨]

سليمان بن بلال[٩].

---

١ ـ ابن حزم ١٤١ / ١٤٧.

٢ ـ الزبيري، مصعب ٣٧٤.

٣ ـ الشافعي، المسند ١ / ٢٤٢، الأم ٤ / ١٢٥، ابن سعد ٥ / ٤٢ مالك ١ / ٢٠٨.

٤ ـ السخاوي ١ / ٦٧.

٥ ـ البلاذري أنساب الأشراف ٥ / ٤٧.

٦ ـ ابن سعد ٥ / ١٣٠، السخاوي ١ / ٧٠، ٢ / ٢٣١.

٧ ـ الأصبهاني ٨ / ٢٧٧.

٨ ـ ابن سعد ٥ / ٣٠٥، ٣٠٨ السخاوي ٣ / ١٢٩.

٩ ـ ابن سعد ٥ / ٣١١.

ولاة الشرط

مصعب بن عبدالرحمن بن عوف (زمن معاوية)[1]

عمرو بن الزبير (زمن يزيد)[2]

عبدالحميد بن الخطاب (زمن عمر بن عبدالعزيز)[3]

عبدالرحمن بن أبي سلمة بن عبيدالله بن عبدالله ابن عمر[4]

أيوب بن عبدالرحمن بن عثمان بن عبيدالله[5]

سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف[6]

ولاة العمل

عيينه أبو سفيان

صالح بن كيسان[7]

---

١ ـ الزبيري، مصعب ٢٦٧، ١٢٨٩، ابن حزم ١٢٢ وكيع ١ / ١١٨، ابن سعد ٥ / ١١٥، ١١٧.

٢ ـ الطبري ٢ / ٢٢٦، ابن سعد ٥ / ١٣٧.

٣ ـ الزبيري مصعب، ٣٩٦.

٤ ـ م. ن ٣٦٠، ابن حزم ١٤٤.

٥ ـ الزبيري مصعب ٣٦٧.

٦ ـ ابن حزم ١٢٢.

٧ ـ السمهودي، ٢ / ٥٢٢ (عن ابن زبالة).

ولاة المدينة

الخليفة	الوالي	القاضي	ولاة الديوان
علي	سهل بن حنيف[1]		
	تمام بن العباس[2]		
	أبو أيوب الأنصاري[1]		
الحسن	أبو هريرة[2]		
	جارية بن قدامة[2]		
معاوية	مروان بن الحكم[3] ٤٢	عبدالله بن نوفل ابن الحرث[3]	عبدالملك بن مروان[1]
	سعيد بن العاص[4] ٥٠	أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف[8]	عمرو بن سعيد بن العاص[11]
	مروان بن الحكم[5] ٥٤	مصعب بن عبدالرحمن بن عوف[9]	عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان[11]
	الوليد بن عتبة[6] ٥٨	ابن زمعه العامري[10]	حبيب بن عبدالملك بن مروان[12]

---

١ ـ خليفة ١٨٩ (طبعة أكرم العمري) السخاوي: التحفة اللطيفة ١ / ٦٨، الطبري ١ / ٣٣٩٠، ٣٤٧٤.

٢ ـ التحفة ١ / ٦٨.

٣ ـ ابن سعد، ٥ / ٢٤، ٢٦ وكيع: أخبار القضاة ١ / ١١٦، خليفة ١٩٣، طبري ٢ / ١٦، السخاوي، التحفة ١ / ٦٨.

٤ ـ ابن سعد ٥ / ٢٤، خليفة ١٩٣. طبري ٢ / ١٦، ٩٤، ١٦٤.

٥ ـ ابن سعد ٥ / ٢٤، ٤٤ خليفة ٢١٠، طبري ٢ / ١٦٤، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠، السخاوي، التحلفة ١ / ٦٨.

٦ ـ ابن سعد ٥ / ٢٦، خليفة ٢١٣، الزبيري مصعب، نسب قريش ١٣٣، وكيع ١ / ١٢٠، طبري ٢ / ١٨١.

٧ ـ ابن سعد ٥ / ١٣ خليفة ٢١٧ الزبيري مصعب ٢١٦، وكيع ١ / ١١٣، طبري ٢ / ١٦.

٨ ـ ابن سعد ٥ / ١١٥، خليفة ٢١٧ وكيع ١ / ١١٦.

٩ ـ ابن سعد ٥ / ١١٥، ١١٧، وكيع ١ / ١١٨ خليفة ٢١٠، ٢١٧.

١٠ ـ خليفة ١ / ٢١٣، ٢١٧، وكيع ١ / ١٢٠.

١١ ـ ابن حبيب المحبر ٣٧٧. ١٢ ـ الجهشياري ٢٣.

الخليفة	الوالي	القاضي	ولاة الديوان
يزيد	الوليد بن عتبة[1]		
	عثمان بن محمد بن أبي سفيان[2]	طلحة بن عبدالله ابن عوف[6]	يزيد بن عبدالله بن زمعة[8]
	عمرو بن سعيد[3]	عبدالله بن عثمان التيمي[7]	حميد بن عبدالرحمس ابن عوف[8]
	عمر بن محمد الأشجعي[4]		
	مسلم بن عقبة[5]		
	روح بن زنباع[5]		
	عبيدة بن الزبير[9]		
	عبدالله بن أبي ثور[9]		
ابن الزبير	الحارث بن حاطب الجمحي[9]		عتمان بن عبدالله بن أرقم[13]
	مصعب بن الزبير[10]		
	جابر بن الأسود الزهري[11]		
	طلحة بن عبدالله بن عوف[12]		

---

١ ـ ابن سعد ٥ / ٢٦ طبري ٦ / ١٨٨ .

٢ ـ ابن سعد ٥ / ٢٧ خليفة ١ / ٢١٨ وكيع ١ / ١٢٠ طبري ٢ / ٣٩٥.

٣ ـ طبري ٢ / ٢٢٢ خليفة ١ / ٢١٨، ٢٢١ .

٤ ـ وكيع ١ / ١٢٤ .

٥ ـ طبري ٢ / ٧٨٢ التحفة .

٦ ـ وكيع ١ / ١٢٠ .

٧ ـ خليفة ١ / ٢٥١ .

٨ ـ ابن حبيب المحبر ٣٧٨ .

٩ ـ وكيع ١ / ١٢٣ ـ ٤ .

١٠ ـ طبري ٢ / ٥٩٣، ٧٠٠، ٧٨٣ .

١١ ـ وكيع ١ / ١٢٣ طبري ٢ / ٧٨٣ سعد ٥ / ٩٠

١٢ ـ طبري ٢ / ٨١٨ خليفة ٢٦٥ وكيع ١ / ١٢٣ .

١٣ ـ ابن حبيب، المحبر ٣٧٨

الخليفة	الوالي	القاضي	ولاة الديوان
عبدالملك	طارق بن عمرو[1]	عبدالله بن قيس بن مخرمة[6]	عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم[10]
	الحجاج بن يوسف[2] ٧٣		
	يحيى بن الحكم بن مروان[3] ٧٥		ابراهيم بن محمد بن طلحة[10]
	ابان بن عثمان[4] ٧٦	نوفل بن مساحق[7]	ابن خارجه الأنصاري[9]
	هشام بن اسماعيل المخزومي[5]	عمرو بن خالد الزرقي[8]	إلى زمن هشام[9]
الوليد	هشام بن اسماعيل المخزومي[10]		
	عمر بن عبد العزيز[11] ٨٧	عبدالرحمن بن يزيد الأنصاري[12]	ابن هرمز[13]

١ ـ طبري ٢ / ٨١٨ خليفة ٢٦٥، ٢٩٤ وكيع ١ / ١٢٣.

٢ ـ طبري ٢ / ٨٥٤، ٨٦٢ خليفة ٢٩٤، ٢٩٥.

٣ ـ ابن سعد ٥ / ١١٢ طبري ٢ / ٨٧٣ خليفة ٢٩٤، ٢٩٩.

٤ ـ ابن سعد ٥ / ١١٣ خليفة ٢٩٤ طبري ٢ / ٩٤٠، ١٠٣١ / ١٠٣٩ / ١٠٤٧ / ١٠٦٣ / ١٠٨٥.

٥ ـ ابن سعد ٥ / ١١٣ خليفة ٢٩٤، ٢٩٩ طبري ٢ / ١٠٨٥.

٦ ـ ابن سعد ٥ / ١١٣ خليفة ٢٩٩ وكيع ١ / ١٢٤ طبري ٢ / ٨١٢.

٧ ـ ابن سعد ٥ / ١٢٣ خليفة ٢٩٩ وكيع ١ / ١٢٥ طبري ٢ / ١٠٨٥.

٨ ـ ابن سعد ٥ / ٢٠٦ خليفة ٢٩٩ وكيع ١ / ١٣٠ طبري ٢ / ١٠٩٥.

٩ ـ ابن حبيب المحبر ٣٧٨.

١٠ـ طبري ٢ / ١١٢٧، ١١٣٢، ١١٨٢.

١١ ـ طبري ٢ / ١١٨٢، ١٢٣٥، اليعقوبي ٢ / ٣٣٩.

١٢ ـ ابن سعد ٥ / ١٣٣ وكيع ١ / ١٣٣ خليفة ٣١٧.

١٣ ـ ابن سعد ٨ / ٣٤٨.

الخليفة	الوالي	القاضي	ولاة الديوان
	عثمان بن حيان المري[1] ٩٣	ابو بكر بن عمر بن حزم[2]	
سليمان	أبو بكر بن عمرو بن حزم[3]		
عمر	كذلك	ابو طوالة[4]	
يزيد بن عبدالملك	عبدالرحمن بن الضحاك[5]	عمر بن ابي سلمة المخزومي[7]	
	عبدالواحد النصري[6] ١٠٤	سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن[8] سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت[9]	ابن هرمز[10]

١ ـ طبري ٢ / ١٢٥٤، ١٢٥٨، خليفة ٣٢٣ وكيع ١ / ١٣٨ اليعقوبي ٢ / ٣٤٧.

٢ ـ طبري ٢ / ١١٩١ خليفة ٣١٧ وكيع ١ / ١٣٥.

٣ ـ خليفة ٣٢٣، ٣٢٩ طبري ٢ / ٣٤٦ وكيع ١ / ١٤١.

٤ ـ خليفة ٣٣١، وكيع ١٤٧.

٥ ـ خليفة ٣٤٠، ابن سعد ٨ / ٣٤٨ طبري ٢ / ١٢٩٤، وكيع ١ / ١٤٢، اليعقوبي ٢ / ٣٧٠.

٦ ـ خليفة ٢٢٢، طبري ٢ / ١٤٤٩.

٧ ـ وكيع ١ / ١٤٨، خليفة ٣٤٣.

٨ ـ خليفة ٣٤٣، وكيع ١ / ١٥٠.

٩ ـ وكيع ١٠ / ١٥١، ١٦٤، خليفة ٣٤٣.

١٠ ـ ابن سعد ٨ / ٣٤٨.

الخليفة	الوالي	القاضي
	إبراهيم بن هشام	محمد بن صفوان الجمحي[٥]
	المخزومي[١] ١٠٦	
	خالد بن عبدالملك	الصلت بن زيد[٦]
	بن الحرث[٢] ١١٤	
	أبي بكر بن حزم[٣]	أبو بكر بن عبد
		الرحمن بن يويطب[٧]
	محمد بن إبراهيم هشام	محمد بن صفوان[٨]
	المخزومي[٤] ١١٧	
		مصعب بن محمد بن
يزيد	محمد بن أبي بكر	شارحيل[٩]
	ابن عمر بن حزم[١١]	أبو بكر بن عمر بن حزم[١٠]
	يوسف بن محمد بن	سعد بن إبراهيم الزهري[١٣]
	يوسف[١٢]	يحي بن سعيد الأنصاري

١ ـ الخليفة ٣٧٣، ٣٧٨، الزبيري مصعب ١١٨، طبري ٢ / ١٤٨٧، وكيع ١ / ١٦٨.

٢ ـ خليفة ٣٧٨، وكيع ١ / ١٦٩.

٣ ـ خليفة ٣٧٣.

٤ ـ خليفة ٣٧٣، طبري ٢ / ١٥٨٦.

٥ ـ خليفة ٣٧٨، وكيع ١ / ١٦٨، طبري ٨ / ١٨٣.

٦ ـ خليفة ٣٧٨، وكيع ١ / ١٦٩.

٧ ـ خليفة ٣٧٨، وكيع ١ / ١٧١.

٨ ـ وكيع ١ / ١٧٢.

٩ ـ وكيع ١ / ١٧٥.

١٠ ـ خليفة ٣١٩، وكيع ١ / ١٧٥.

١١ ـ خليفة ٣٨٤.

١٢ ـ خليفة ٣٨٤.

١٣ ـ خليفة ٣٨٤، وكيع ١ / ١٧٨، طبري ٨ / ٢٩٩.

الخليفة	الوالي	القاضي
يزيد الثالث	عبدالعزيز عبدالله	سعيد بن إبراهيم[3]
	ابن عمرو بن عثمان[1]	
	عبدالعزيز بن عمر	عثمان بن عمر التيمي[4]
	ابن عبدالعزيز[2] ١٢٦	
مروان بن محمد	عبدالعزيز بن عمر	عثمان بن عمر بن محمد
	ابن عبدالعزيز[2]	ابن موسى[6]
	عبدالواحد بن سليمان	
	ابن عبدالملك بن محمد	
	ابن عطية	محمد بن عمران التيمي[5]
	الوليد بن عمرو[6]	
	يوسف بن عروه[6]	

---

١ ـ خليفة ٣٧٨، طبري ٢ / ١٩٤٢، وكيع ١ / ١٨٠.

٢ ـ خليفة ٣٨٨، ٤٣١، وكيع ١ / ١٨٠، طبري ٢ / ١٨٧٥ / ١١٩٤٢.

٣ ـ خليفة ٣٨٩، وكيع ١ / ١٨٠.

٤ ـ خليفة ٣٨٩، وكيع ١ / ١٨٠.

٥ ـ طبري ٢ / ١٩٨٤، خليفة ٤٣١.

٦ ـ خليفة ٤٣٣، وكيع ١ / ١٨١، طبري ٣ / ١١ (ومن قبل عمه عبدالملك).

	ولاة مكة[1]	ولاة الطائف
الرسول	عتاب بن أسيد[2]	عثمان بن أبي العاص[3]
	كذلك	كذلك
أبو بكر	الحرث بن نوفل[3]	
عمر	المحرز بن حارثه بن ربيعة بن عبد العزى[4]	كذلك[10]
	قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي[5]	سفيان بن عبدالله
	نافع بن عبدالحارث الخزاعي[6]	الثقفي[11] -
	(نائبه ابن إيزي)	الحكم بن أبي
	أحمد بن خالد بن العاص المخزومي[7]	العاص[12]
	طارق بن المرتفع الكناني[8]	عتبة بن أبي سفيان[13]
	الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب[9]	

١ - نقلنا هذه القائمة من كتاب شفاء الغرام للفاسي (٢ / ١٦٢ - ١٦) وقد أورد فيه أسماء من رويت ولايتهم مكة. وقد ذكر مصادره التي استقى منها القائمة وهم في الغالب الزبير بن بكار وابن عبدالبر والطبري وابن حزم وابن الأثير والذهبي. ولا بد من الإشارة إلى اختلاف المصادر وعدم دقة بعضها. وقد أضفنا في الهامش المظان التي ذكرت ما أورد من الولاة.

٢ - ابن سعد ٥ / ٣٣٠، خليفة ٣٧٠ طبري ١ / ٢١٣٥، اليعقوبي ٢ / ١٥٦، الفاكهي ٢ / ٣٥، ٤٠.

٣ - ابن سعد ٤ - ١ / ٣٩.

٤ - عن ابن عبدالبر والزبير، انظر فاكهي ٢ / ٤٣.

٥ - عن ابن عبدالبر كذلك ابن حجر، الإصابة ٣ / ٢٣٢ (٧١٣٨).

٦ - ابن سعد ٣ - ١ / ١٣٣، ٤ - ١ / ٣٩، ٥ / ٣٣٩، اليعقوبي ٢ / ١٨٦، طبري ٢٧٩٨، الفاكهي ٢ / ٣٥، ٤٢، ابن حجر، الإصابة ٣ / ٢٣٢ (٧١٣٨) ٢ / ٣٨١ (٥٠٧٦).

٧ - الفاكهي ٢ / ٤٢، ابن حجر، الإصابة ١ / ٤٠٦ (٢١٧٢) ٢ / ٢١٣ (٤٢٣٢).

٨ - الفاكهي ٢ / ٣٦.

٩ - عن الزبير والذهبي.

١٠ - ابن سعد ٥ / ٣٧٣.

١١ - ابن سعد ٥ / ٣٧٦، خليفة ٨١، طبري ١ / ٢٧٩٨. الأم ٢ / ٨، ١٣، إصابة ٢ / ٥٣.

١٢ - ابن سعد ٥ / ٣٧٣.

١٣ - الزبيري مصعب نسب قريش ١٢٥، ابن حجر، الإصابة ٣ / ٧٩.

	ولاة مكة	ولاة الطائف
عثمان	علي بن عدي بن ربيعه بن عبدالعزى[١]	
	أحمد بن خالد بن العاص المخزومي[٢]	القاسم بن ربيعة الثقفي[٨]
	الحرث بن نوفل[٣]	
	عبدالله بن خالد بن أسيد[٤]	
	عبدالله بن عامر الحضرمي[٥]	
علي	أبو قتادة الأنصاري[٦]	
	قثم بن العباس[٧]	
معاوية	عتبة بن أبي سفيان[٩]	عتبة[١٢]
	أحمد بن خالد بن العاص المخزومي[١٠]	
	مروان بن الحكم[١١]	
	سعيد بن العاص	
	عبدالله بن خالد بن أسد[١٢]	
	عمرو بن سعيد بن العاص[١٣]	

١ ـ عن ابن عبدالبر وابن حزم.

٢ ـ ابن حجر. إصابة ١ / ٤٠٦ (٢١٧٢).

٣ ـ عن الذهبي، كذلك ابن سعد ٥ / ١٥، ٤ ـ ١ / ٣٩.

٤ ـ الفاكهي ٢ / ٣٥.

٥ ـ عن ابن الأثير، وانظر اليعقوبي ٢ / ٢٠٥.

٦ ـ عن ابن عبدالبر خليفة ١١٨.

٧ ـ طبري ١ / ٣٣٩٠، ٣٤٤٣، إصابة ٣ / ٢١٩ (٧٠٨٣).

٨ ـ اليعقوبي ٢ / ٢٠٥، طبري ١ / ٣٠٥٧.

٩ ـ عن الفاكهي.

١٠ ـ عن ابن الأثير، أما الطبري ٢ / ١٦ والفاكهي ٢ / ٤٠ فيذكر خالد بن العاص.

١١ ـ عن ابن عبدالبر.

١٢ ـ عن الأزرقي والعتيقي والفاكهي والأزرقي.

١٣ ـ عن ابن عبدالبر والفاكهي.

١٤ ـ ابن الكلبي أنساب ١٤ ب (مخطوطة لندن).

	ولاة مكة	ولاة الطائف
	عمرو بن سعيد[1] (والمدينة)	
	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	
	عثمان بن محمد بن أبي سفيان[2]	
	الحارث بن خالد بن العاص[3]	
	عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي[4]	
	الحارث بن خالد	
	يحيى بن حكيم بن صفوان الجمحي[5]	
	الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة[6]	
ابن الزبير		عبدالرحمن بن الوليد ابن عبد شمس[7]
عبد الملك	مسلمة بن عبدالملك[8]	
	الحجاج بن يوسف[9]	
	الحرث بن خالد المخزومي[10]	
	خالد بن عبدالله القسري[11]	
	عبدالله بن سفيان المخزومي[12]	

---

١ ـ طبري ٢ / ٢١٦، ٢٦٥.
٢ ـ ابن الأثير.
٣ ـ خليفة وانظر الفاكهي ٢ / ٤٢.
٤ ـ خليفة وانظر ابن سعد ٥ / ٣٩.
٥ ـ الزبير بن بكار وانظر ابن سعد ٥ / ٣٤٩.
٦ ـ ابن سعد ٥ / ٣٦.
٧ ـ ابن حجر، اصابة ٣ / ٧٤.
٨ ـ انظر كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة.
٩ ـ انظر خليفة ١٧٢، طبري ٢ / ٨٥٤ / ٨٦٢.
١٠ ـ انظر الزبير بن بكار.
١١ ـ الأزرقي انظر طبري ٢ / ١١٩٩، ١٢٦٦.
١٢ ـ الأزرقي.

ولاة مكة

الخليفة	الوالي
	عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد[١]
	نافع بن علقمة الكنائي[٢]
	يحي بن الحكم بن أبي العاص
	هشام بن إسماعيل المخزومي[٣]
	أبان بن عثمان
	قيس بن مخرمة[٤]
الوليد	عمر بن عبدالعزيز[٥]
	خالد بن عبدالله القسري[٦]
سليمان	خالد بن عبدالله القسري[٧]
	طلحة بن داود الحضرمي[٨]
عمر بن عبدالعزيز	عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد[٩]
	عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد[١٠]
	محمد بن طلحة بن عبدالله[١١]
	عروة بن عياض النوفلي[١٢]
	عبدالله بن قيس بن مخرمة[١٣]
	عثمان بن عبدالله بن سراقة[١٤]

---

١ ـ عن الزبير بن بكار وعبدالغني المقدسي.

٢ ـ انظر خليفة ١٧٢ / ٣١٥ الفاكهي ٢ / ٣٨.

٣ ـ عن الفاكهي.

٤ ـ ذكره خليفة ١٧٢.

٥ ـ عن ابن كثير وانظر اليعقوبي ٢ / ٣٣٩.

٦ ـ اليعقوبي ٢ / ٣٤٠، طبري ٨ / ٦٧، الفاكهي ٢ / ٣٦.

٧ ـ عن الأزرقي والزبير بن بكار وانظر خليفة ٢١١، الفاكهي ٢٢ / ٣٦.

٨ ـ عن الطبري ٢ / ١٣٠٥ وانظر خليفة ٣٢٣، اليعقوبي ٢ / ٣٢٢.

٩ ـ انظر الطبري ٢ / ١٣١٤، خليفة ٢١١.

١٠ ـ عن الأزرقي والطبري وانظر خليفة ٢١٥.

١١ ـ عن ابن حيان.

١٢ ـ عن ابن الأثير والذهبي.

١٣ ـ الفاكهي ٢ / ٤١.

١٤ ـ الفاكهي ٢ / ٤٢.

	ولاة مكة	ولاة الطائف	
يزيد بن عبدالملك	عبد الرحمن بن الضحاك[1]	عبدالعزيز بن خالد	
	عبد الرحمن بن الضحاك[3]	أسيد[2] ١٠١	
	عبد الواحد النصري[5]	عبدالرحمن بن	عبدالواحد
	إبراهيم بن هشام المخزومي	الضحاك ١٠٣	النصري[4]
	خالد بن عبد الملك	عبدالواحد النصري	عبدالواحد النصري[5]
هشام	ابن الحارث[7]	إبراهيم بن هشام	إبراهيم بن هشام
	أبو بكر بن حزم[9]	المخزومي	المخزومي[6]
	محمد بن هشام المخزومي[10]	محمد بن هاشم	(١٠٥)
	محمد بن أبي بكر بن	المخزومي[8]	
	حزم[1]	محمد بن هشام	محمد بن هشام
	يوسف بن محمد بن	المخزومي	المخزومي[10]
الوليد	يوسف	مسلمة بن هشام بن عبد	(١١٤)
ابن يزيد		الملك[12]	
		يوسف بن محمد بن	
		يوسف[13]	

١ ـ طبري ٢ / ١٣٩٤، ١٤٣٦.

٢ ـ طبري ٢ / ١٣١٤، ١٣٣٥، ١٣٤٦، ١٤٣٦، خليفة ٣٢٩ الفاسي، شفاء الغرام ٢ / ١٧٤.

٣ ـ طبري ٢ / ١٤٣٧، ١٤٤٩ الفاسي شفاء ٢ / ١٧٤.

٤ ـ طبري ٢ / ١٤٣٧.

٥ ـ طبري ٢ / ١٤٧١.

٦ ـ طبري ٢ / ١٤٨٧، ١٤٩١ / ١٤٩٥. ٧ ـ خليفة ٧٣٨ وكيع ١ / ١٦٩.

٨ ـ الفاسي، شفاء ٢ / ١٧٤. ٩ ـ خليفة ٣٧٣.

١٠ ـ طبري ٢ / ١٥٨٦، ١٥٩٢، ١٦٣٥، ١٦٦٨، ١٧١٧، ١٧٢٥، ١٧٢٨، خليفة ٣٧٣، البغدادي، خزانة الأدب ١ / ٩٩.

١١ ـ خليفة ٣٧٣. ١٢ ـ الفاسي شفاء ٢ / ١٧٤.

١٣ ـ خليفة ٣٧٣، طبري ٢ / ١٧٦٨، ١٨٧٠.

	ولاة مكة	ولاة الطائف
يزيد الثالث	عبد العزيز بن عبدالله ابن عمرو[1]	
مروان بن محمد	عبد العزيز بن عبد العزيز	عبدالعزيز عمر بن عبدالعزيز[2] ١٢٦
	عبدي الواحد بن سليمان	عبد الواحد بن سليمان[3] ١٢٩
	الوليد بن عروة[4]	رومي بن ماعز
	محمد بن عبد الملك ابن مروان	محمد بن عبدالملك بن مروان[5] ١٣٠
	يوسف بن عروة بن محمد[6]	

---

١ ـ خليفة ٣٨٠، طبري ٢ / ١٨٧.

٢ ـ طبري ٢ / ١٨٧٥، ١٩١٧، ١٩٤٢، خليفة ٣٨١، الفاسي شفاء ٢ / ١٧٤

٣ ـ طبري ٢ / ١١٨٤، الفاسي ٢ / ١٧٤.

٤ ـ طبري ٢ / ٢٠١٤.

٥ ـ طبري ٢ / ٢٠١٧، الفاسي شفاء ١٧٤.

٦ ـ طبري ٣ / ٧٢.

الفصل الحادي عشر

تنظيم جباية الصَدقات

إن العلاقة بين الرسول ﷺ وقبائل الجزيرة تتجلى بالكتب التي أصدرها إلى هذه القبائل أو رؤسائها.

وهي تتباين في محتواها وفي ما اشترطه الرسول ﷺ على القبائل منها، وذلك تبعاً للأحوال التي كانت تحيط بالرسول ﷺ عند كتابتها، وبأحوال القبائل المعنية وظروفها وتقاليدها. ومن حيث العموم فإنّ هذه الرسائل كانت قصيرة، وشروطها محددة واضحة ما خلا كتابيه لأهل نجران وأهل أيْلة فإنهما مفصلان وفيهما شروط وأحكام لا نجدها في الكتب الموجهة للعشائر الأخرى.

ولما توفي الرسول ﷺ ارتدت أكثر قبائل الجزيرة، وليس هذا موضع تحليل مفهوم الردة ودوافعها ومظاهرها، بل نقصر هنا القول بأن المرتدين ـ مهما كانت دعاواهم ودوافعهم ـ رفضوا طاعة أبي بكر، وتنفيذ الالتزامات التي كانوا يقدمونها للرسول ﷺ إلا أن أبا بكر لم يتساهل في ذلك والتجأ إلى استعمال القوة ضدهم إذ لم تكن تلك الكتب التي بأيديهم أساس اتفاقيات وشروط، بل هي تسليم غير مشروط مفروض بالقوة، يلزمهم الانضمام إلى دولة الإسلام، وترك اعتناق الشرك. ولذلك لم يكن أبو بكر ملزماً تجاههم بأي شرط أو قيد محدد، وكان له الحق قانونياً بفرض ما يراه عليهم، ولم يكن بمقدورهم بعد خضوعهم بالقوة أن يطالبوا الخليفة بامتيازات أو تقييدات على ما يريده منهم. والواقع أن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب حارب بني ناجية وعبد القيس لأنّ:

الخريت بن راشد الناجي قد ردّ قومه عن طاعة علي في صفّين وكان قومه قد منعوا الصدقة في ذلك العام أيضاً فكان عليهم عقالان[1].

غير أن أبا بكر قرر حال الانتهاء من أمر الردّة توجيه الجيوش الإسلامية إلى أطراف الجزيرة وخاصة بلاد الشام لفتحها. ومع أنه لم يستخدم المرتدين في هذه الجيوش إلا أنه لا بد وأنه أدرك أهمية البدو في القتال، وأنه سيحتاجهم إن عاجلاً أو آجلاً للقيام بالفتوح.

والواقع أن عمر بن الخطاب بعد أن ولي الخلافة بعد أبي بكر سنة ١٣هـ أي بعد أقل من سنتين من القضاء على الردّة سمح للمرتدين بالاشتراك في الفتوح، فأقبل عدد كبير منهم للانضمام إلى الجيوش الإسلامية التي كثر عددها وازدادت قوتها واستطاعت أن تقوم بفتوحات عظيمة ما كان بالإمكان إنجازها بمثل تلك السرعة لولا انضمام البدو من أهل الجزيرة، فقد كانت هذه الجيوش الإسلامية معظم مقاتليها من البدو، وكذلك كان من البدو عدد كبير من القادة الذين أداروا المعارك وانتصروا فيها، وفتحوا المدن ووسعوا رقعة دولة الإسلام، وأمنوا استتباب الأمن والسلام فيها، ومن المعلوم أن الروح القبلية التي كانت لا تزال في أوائل عهد الفتوح عميقة الجذور كانت تؤثر في كثير من القادة البدو وإلى تقريب قبائلهم والاعتماد عليها، فكان لهؤلاء البدو سند من القادة والإداريين فضلاً عن دورهم في الفتوح باعتبارهم العنصر الرئيسي للجيش. ثم إن الخلفاء عندما كانوا يحتاجون إلى مقاتلة ظلوا يعتمدون على جزيرة العرب لتمدهم بالمقاتلة فكانت جزيرة العرب المستودع الأكبر للاحتياط للجيوش الإسلامية. وقد عبر عن ذلك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بوصيته لمن يخلفه: «وأوصي من بعدي بالأعراب خيراً فإنهم مادّة الإسلام» لذلك فبالرغم من أن الخلفاء كانوا قانونياً غير مقيدين بفرض ما يرونه على قبائل الجزيرة بعد استسلامهم على إثر حروب الردة، إلا أنهم عملياً كانوا يدركون ان البدو ومادته واحتياطيه، هذا فضلاً عما لهم فيه من قادة وإداريين ولا يخفى

---

١ ـ الطبري ١ / ٣٤٣٣.

أن الخلفاء باعتبارهم عرباً ومسلمين متشبعين بما أقرته تعاليم الإسلام من نظم البداوة، كانت تصرفاتهم العملية تتأثر بهذه الأمور أكثر من تأثرها بما تخوله لهم القوانين، لذلك لم يستغلوا استسلام البدو لفرض واجبات ثقيلة على القبائل، بل عملوا على فرض التزامات مقبولة وملائمة للأحوال والظروف السائدة.

ثم إن القبائل البدوية بعد فشلها في حركة الردة الانشقاقية أدركت القوة الحقيقية لدولة الإسلام، فتقبلت حكم هذه الدولة الجديدة، ولم تعد تقوم بأية حركة تمردية ضدها، وقد أدركت هذه القبائل أن تكوين دولة الإسلام وتعاظمها سيؤدي إلى منافع مادية ومعنوية غير قليلة، فإنه أنقذ الجزيرة من حالة اضطراب الأمن التي كانت سائدة، وأتاح المجال لتوحيد الجزيرة سياسياً، ووضع نواة توحيدها فكرياً وروحياً، وأحل كثيراً من مثلهم ونظمهم محل التقدير، ووفر لهم فرصة توسيع مناطق سيطرتهم، ونشر مثلهم العليا، هذا فضلاً عن المنافع المادية الكبيرة التي صاروا يجنونها من هذا التوسع. لذلك كله كانوا مستعدين لتقبل ما تفرضه الخلافة الإسلامية عليهم من التزامات وواجبات.

ولعل من أبرز ما قامت به الخلافة هو وضع تقسيمات إدارية جديدة للحجاز وجزيرة العرب. تتجلى معالمها في الأعمال والمنابر التي درسناها في فصل سابق. والتي نعلم بالتأكيد أنها كانت قائمة في القرن الثالث الهجري حيث ذكرتها المصادر. ولعلها وضعت في القرن الأول الهجري، وإن كانت المصادر لا تمكننا من معرفة ذلك بالضبط، غير أن هذه التقسيمات كما بينا من قبل لم تؤثر كثيراً في أوضاع القبائل وأنظمتها.

ولا شك في أن أهم التزام فرضته الخلافة على البدو هو الصدقات، ونقصد بها الضريبة الواجب دفعها على المواشي، ولا شك في أن الصدقة كانت في الإسلام منذ عهد الرسالة بدليل ورود ذكرها في القرآن. وقد وردت كلمة (صدّق) و (تصدّق) في ست آيات وكلمة (صَدقة) في خمس آيات وكلمة (الصدقات) في ثماني آيات، كما وردت كل من كلمة (المصدقين) في آيتين و (المتصدقين) في آيتين و (المصدقات) في آية واحدة. وكل هذه الآيات

مدنيّة، والكلمات فيها مختلفة المعاني فبعضها دفع المال للبر (تصدق) أو المال المدفوع لهذا الغرض، وهناك آيتان يتبين فيها أن الصدقة فرض واجب: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم النبي فقدِّمُوا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم، أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون﴾**[1] - ومن الواضح أن الصدقة في هذه الآية ضريبة معينة كان على المسلمين المتصلين بالرسول ﷺ سواء من البدو والرعاة أو الفلاحين أو التجار: أن يدفعوها. ويقول المفسرون إن حكمها نسخ بآية الزكاة الثانية. والآية الثانية التي ذكرت الصدقة كضريبة واجبة هي قوله تعالى: **﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق، لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين، ثم يردون إلى عذاب عظيم، وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم. خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم، ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾**[2].

لم يحدد القرآن الكريم نصاب الصدقات وطريقة جبايتها. وتنسب بعض الأحاديث إلى الرسول ﷺ تحديده نصاب الصدقات، ولا ريب في أن تأكيد بعض كتب الرسول ﷺ أن تؤخذ الصدقة من حواشي أموال الأغنياء فترد على الفقراء أي أن تظل في جبايتها وصرفها محصورة بالعشيرة ذاتها، هو الذي يفسر لنا سبب قلة الأموال والمواشي التي وصلت الرسول ﷺ من جباية الصدقات، بالرغم من توسع دولة الإسلام وشمولها معظم جزيرة العرب في آخر عهده.

لقد كان امتناع القبائل عن دفع الصدقات من أهم مظاهر حركة الردة الانشقاقية التي لم يتساهل أبو بكر تجاهها. وقد كان من أهم نتائج القضاء

---

١ ـ سورة المجادلة ١٢ ـ ١٣.

٢ ـ سورة التوبة ١٠١ ـ ١٠٤.

على هذه الحركة إلزام القبائل بدفع الصدقات. وقد تطلب ذلك تعيين مقدارها وتحديد نصابها وتنظيم طريقة جبايتها. ومع أنه أصبح للخلفاء بعد أن أخضعوا المرتدين بالقوة الحق في فرض ما يرون في هذا المضمار، إلا أنهم (عملياً) راعوا في تقديرها وجبايتها ما ينسجم مع الأوضاع الإسلامية العامة. وما يلائم ظروف وأحوال الجزيرة.

١ ـ لقد وضع تقدير الحد الأدنى للماشية الذي تجب فيه الصدقة (أي ما يسمى عند الفقهاء النصاب) بحيث ينسجم مع نصاب الضريبة على الأموال الأخرى، وهو ما يعادل واحداً من كل أربعين. وقد أثبتت كتب الفقه أصناف الحيوانات وأسنانها وأحوالها بحيث يكون نصاب الزكاة ومقدارها فيه منسجماً مع هذا الأساس.

٢ ـ كان الأساس الرئيسي في اقتصاد الصحراء هو الاقتصاد الطبيعي أي القائم على المبادلة بالنوع لا بالنقود، لأن النقود كانت قليلة عند البدو، وأن الثروة الحيوانية الرئيسية هي الأبل والماشية (الغنم) وكذلك البقر التي توجد بكميات قليلة. لذلك فإن الخلفاء لم يصرّوا على جباية الصدقات بالنقود بالرغم من أن النظام المالي المركزي الإسلامي كان قائماً على أساس النقود التي بها تقدر الجباية وتدفع النفقات ويعطى العطاء.

فيروى أن عمر بن الخطاب عند وفاته أوصى من يلي الأمر بعده «بالأعراب خيراً. . وأن لا يؤخذ دينار ولا درهم»[1].

لقد ذكرت كتب الفقه تفاصيل دقيقة عن نصاب ومقدار الصدقات المفروضة على الماشية وهذه الكتب تكاد تتفق في التفاصيل ولا تختلف إلا في بعض التفاصيل الجزئية الدقيقة.

ويتبين من دراسة هذه التفاصيل:

أ ـ أن صدقة الماشية تقدر في الأساس بالنوع، فتؤخذ الإبل من أهل

---

١ ـ الطبقات لابن سعد ٣ ـ ١ / ١٤٦، الطبري ١ / ٢٧٧٥.

الإبل، والغنم من أهل الغنم، والبقر من أهل البقر.

ب ـ لما كانت الإبل والبقر أسعارها كبيرة، ويختلف سعرها تبعاً لحالاتها وأعمارها. لذلك فقد قررت الدولة مراعاة هذين الأمرين، ولما كانت حالاتها الفردية لا يمكن حصرها أو تصنيفها في أصناف محددة، لذلك فقد تقرر أن يراعي الجباة وجوب أخذ أوسطها في الصدقة فلا يتخيرون أحسنها فيضرون بأصحاب الماشية أو يأخذون أضعفها فيضرون بمصلحة الدولة، وقد ترك لهم تطبيق هذا المبدأ. أما أعمار الحيوانات فقد وضعت لها قواعد واضحة ومفصلة.

جـ ـ يجوز أن تؤخذ صدقات على نوع من الحيوان لا من نفس ذلك النوع بل من نوع آخر. أي يجوز أن تؤخذ الغنم من أهل الإبل، أو تؤخذ البقر من أهل الغنم.

وقد وضعت لذلك قواعد دقيقة بحيث يكون ثمن ما يؤخذ صدقة يناسب مقدار الضريبة.

د ـ يجوز أن تؤخذ النقود بدل الحيوانات من أهل الإبل، والماشية، ولكن لا يلزم أصحاب الصدقة بدفع الصدقة بالنقود. وجدير بالملاحظة أنه لم يذكر من النقود إلا الدراهم مما يدل على أن الدراهم الفضية هي التي كانت شائعة.

اماكن الجباية

٣ ـ لما كان أصحاب الماشية من البدو والرعاة مضطرين بحكم الظروف الطبيعية إلى السير وراء الكلأ والمرعى في فصل الربيع، ثم التجمع عند الآبار الغزيرة المياه لذلك فقد روعي أن تُجبى الضريبة في الأماكن التي يجتمعون فيها ولا يجبرون على المجيء إلى أماكن قد لا تلائم الماشية. وقد رويت في ذلك نصوص متعددة.

فيروي ابن أبي زائدة عن معقل بن عبيدالله عن عطاء بن أبي رباح أن

الرسول ﷺ قال يوم فتح مكة «.... ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياههم وبأفنيتهم»[1].

ويروي الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أشياخه: «كان عثمان يبعث السعاة لقبض الصدقات إذا حضر الناس المياه ثم يعهد لهم فيتعدون حدوده فلا يكون فيه لذلك تغيير ولا تكبير.»[2]

ويروي أبو معاوية عن عبدالملك حفيد أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه أنه: (كتب عمر بن عبدالعزيز أن صدقوا الناس على مياههم وأفنيتهم)[3].

ويقول مالك بن أنس: سنة السعاة أن يبعثوا قبل الصيف وحين تطلع الثريا ويسير الناس بمواشيهم إلى مياههم. قال مالك: «وعلى ذلك العمل عندنا، لأن ذلك رفق بالناس في اجتماعهم على الماء وعلى السعاة لاجتماع الناس بالناس»[4].

يبين مالك في هذا الكلام أن أخذ الصدقة عند اجتماع الناس على المياه يرجع إلى سبب عملي، إذ أن الرعاة يكونون في فصل الربيع منبثين متفرقين يصعب على السعاة ضبط أماكنهم، كما أنه يصعب على الرعاة ترك المراعي والمجيء لدفع الضريبة، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك أن الغنم تلد عادة في الربيع فتكون أولادها قد كبرت إلى الصيف واستحقت الضريبة عليها.

موعد الجباية

وعن مالك أيضاً: إن السعاة كانوا يبعثون: (قبل الصيف وحين تطلع الثريا) وقد علل ذلك بأنه في ذلك الوقت «يسير الناس بمواشيهم إلى مياههم» وهذا راجع إلى جفاف الكلأ وإمحال الأرض في الصيف، مما يقتضي أن

---

١ ـ الأموال لأبي عبيد ٤٠٤.

٢ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٢٩.

٣ ـ الأموال لأبي عبيد ٤٠٥.

٤ ـ المدونة ٢ / ٩٨ (طبعة الساسي).

يعودوا للتجمع إلى حيث توجد الآبار الغزيرة المياه.

ويبدو أن جباية الصدقات في الصيف كانت مقررة منذ زمن عمر بن الخطاب على الأقل، فيروي ابن سعد: «أن عمر بن الخطاب كان يبعث مصدقيه في قُبُلِ الصيف»[1] ومما تجدر ملاحظته أن عمر كان يعطي العطاء في أول الصيف وحين تطلع الثريا، وبذلك نسق بين جباية الصدقات ودفع العطاء.

إن جباية صدقات المواشي في أول الصيف - أي تبعاً للتقويم الشمسي - أمر تستلزمه أحوال الطبيعة كما ذكرنا، غير أن الشافعي يقول: (وأُحِبُّ أن يكون أخذها في المحرم، وكذلك رأيت السعاة يأخذونها عندما كان المحرم في الصيف أو الشتاء، ولا يجوز إلا أن يكون لها شهر معلوم ولا قالوا (في الأصل نالوا)! درنا بأشهرها مع الصيف (؟) جعلنا وقتها بغير الأهلة التي جعلها الله تبارك وتعالى مواقيت»[2].

يتبين من هذا النص أن الشافعي يرى وجوب اتباع التقويم القمري في جباية الصدقات وأنه كان يدرك الصعوبات العملية من تطبيق هذا التقويم نظراً لأن موعد الجباية فيه لا يطابق دائماً الفصول التي تنسجم مع حماية الماشية، غير أنه يريد كما يظهر من النص تطبيق هذا التقويم لأسباب دينية. ويبدو من كلامه أيضاً أن التقويم الشمسي الذي أشار مالك إلى اتباعه في زمنه لم يعد مطبقاً بل حل محله في الجباية التقويم القمري. فإذا صح هذا فلا بد أن يكون قد حدث بعد عهد مالك أي حوالي أيام الرشيد. ولا بد من الإشارة إلى أن كتب التاريخ لا تذكر المشاكل التي لا بد من أنها حدثت من جَرّاء اتباع التقويم القمري في الجباية.

جـ - يتبين مما ذكرناه آنفاً أن الرعاة تتجمع في قُبُل الصيف في مياههم، ومن المعلوم أن لكل قبيلة منطقة معينة تتجول فيها، وتتجمع عند آبارها وتحافظ

---

١ - ابن سعد ٥ / ٣٨٠.

٢ - الأم ٢ / ١٤.

عليها من أي اعتداء أو محاولة غصب، ومع أن السيطرة على هذه الآبار كانت من أهم دوافع الغزو في الصحراء إلا أن مجيء الإسلام وسيطرة الدولة على الجزيرة كانا ذا أثر في إيقاف أو تقليل الغزو فأصبحت لكل قبيلة ديار معينة وآبار مثبتة، وأصبح مكان تجمع كل قبيلة معروفاً ومعيّناً.

وقد راعت الدولة المياه التي تتجمع فيها القبائل في الصيف، ونظمت جباية الصدقات على أساس مو اقع هذه المياه، وذلك تيسيراً للقبائل وتسهيلاً لمهمة الجباة.

وقد روت المصادر المنازل التي كان ينزلها مصدقو بني كلاب وفزارة؛ فأما مصدق بني كلاب فإن أبا زياد الكلابي يقول: «وإذا خرج عامل بني كلاب مصدقاً من المدينة، فإن أول منزل ينزله ويصدق عليه أُرَيْكَة، ثم يرحل من أريكة إلى العناقة، وهي لغني فيصدق عليه غنياً كلها، وبطوناً من الضّباب، وبطوناً من بني جعفر بن كلاب، ثم يرد مَذْعاً لبني جعفر، ثم يرد المَصلوق، وعلى مَذعا عظم بني جعفر وكعب بن مالك وغاضرة بن صعصعة[1].

أما مصدّق فزارة فقد روى السكوني عن طريق ابن جعفر محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي أنه قال: أخبرني أعرابي من بني جشم بن معاوية أحد بني مازن ـ قال: سعيت على بني فزارة:

فأول مجامعها الشُّبَيكة لبني زنيم بن عدي بن فزارة.
ثم الغزيلة وهي لبني الصارد (في الأصل الصادر) وناس من فزارة.
ثم نزلنا النقرة وصدقنا بني سُلَيم وبني شمخ.
ثم نزلنا الحسي ببطن الرمة.
ثم نزلنا الجنفاء.
ثم نزلنا الضُّلضُلَة فصدقنا بني عدي بن زنيم بن فزارة.
ثم نزلنا الأنقرة وأهلها مازن بن فزارة.

---

١ ـ معجم البلدان لياقوت ٣ / ٧٣٤، وانظر أيضاً ١ / ٣٣٩، ٤ / ٥٥٦.

ثم نزلنا قدة وهي لبني بدر.
ثم نزلنا الجفر ببطن الجَريب.
ثم نزلنا حدمة وهي من أصل طَهَيان[1].

ويذكر البكري «نخل لفزارة وقال السكوني: هي ماء بين القصة والثّاملية، وبها ينزل المصدق الذي يصدق خُضر مُحارب»[2].

ويستدل من الأسماء القليلة التي وصلتنا عن السعاة أنه كانت توجد صدقات على قبائل أخرى. ففي زمان عثمان ولي الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة[3]. وكعب بن مالك على صدقة مزينة[4] والوليد بن عقبة على صدقات كلب وبلقين[5] كما ذكرت المصادر أن مروان بن الحكم كان على الصدقات دون الإشارة إلى القبيلة التي صدقها[6].

أما في زمن الإمام علي فقد ذكرت المصادر أن عبد القيس امتنعت عن دفع الصدقات عام صِفيّن والعام الذي تلاها[7]. وقد ذكرت أيضاً صدقات بكر[8] وخثعم[9] وقد عين عمر بن عبد العزيز ابن زرارة على صدقات اليمامة[10] وكانت صدقات أسد وطي لمصدق واحد في زمن مروان بن الحكم الذي عين عليها أمية بن المطرف[11].

---

١ ـ معجم ما استعجم للبكري ٣٩٨.
٢ ـ كذلك ١٣٠٣.
٣ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٢٨، الطبري ١ / ٢٩٨٠.
٤ ـ الطبري ١ / ٣٠٧٠.
٥ ـ تاريخ اليعقوبي ١ / ٢٩٠ طبعة النجف.
٦ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٢٨.
٧ ـ الطبري ١ / ٣٤٣٣.
٨ ـ معجم البلدان ١ / ٣٣٦، الأغاني ١ / ٧٠.
٩ ـ المدونة ١ / ٢٥٤.
١٠ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٢٤، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ١٣٠.
١١ ـ مسند الشافعي ١ / ٢١٩، الأموال ٥٨٠.

غير أن المصادر لا تشير إلى طريق ومنازل مصدق كل من هذه القبائل تذكر نصوص غير قليلة أن الرسول ﷺ قرر في الصدقة أن تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم[1].

صرف الصدقات محلياً

ويروي الواقدي عن الحكم بن الصلت عن يزيد بن شريك الفزاري أن عمر بن الخطاب كان يبعث عليهم مسلمة بن مخلد (كان يأخذ الصدقة من أغنيائنا فيردها على فقرائنا)[2].

ومما أوصى به عمر عند وفاته: الأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم، وأن يرد على فقرائهم ومساكينهم[3].

ويروي حجاج عن ابن جريج عن خلاد عن عمرو بن شعيب أن معاذ بن جبل كان على الجَنَدِ في زمن الرسول وأبي بكر، ثم قدم عمر فرده على ما كان عليه، فبعث إليه معاذ بثلث صدقة الناس فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جابياً، ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه مني، فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً[4].

ويروي حجاج عن ابن جريج عن ابن أبي الأبيض عن أبي حازم وزيد بن سلم عن سعيد بن المسيب أن عمر بعث معاذاً ساعياً على بني كلاب أو على بني سعد بن ذبيان فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً[5].

---

١ ـ مسند الشافعي ١/٢١٩، الاموال ٥٨٠.

٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ١/٢٣٤.

٣ ـ ١/٢٧٧٥؛ الاموال ٥٩٥.

٤ ـ الأموال ٥٩٦.

٥ ـ كذلك ١٩٩ ـ ٢٠٠.

ويروي مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال، كنت مع ابن زرارة باليمامة حين بعثه عمر بن عبدالعزيز مصدقاً، قال فكتب إليه في أول سنة: أن اقسم نصفها، ثم كتب إليه في السنة الثانية: أن اقسمها كلها ولا تحبس منها شيئاً[1].

ويروي مالك أيضاً: ولقد بلغني أن طاووساً بعث مصدقاً وأعطى رزقه من بيت المال، قال: فوضعه في كوة في منزله، قال فلما رجع سألوه: أين ما أخذت من الصدقة، قال: قسمته كله، قالوا: فالذي أعطيناك، قال: ها هو ذا في بيتي موضوع، قال: فذهبوا فأخذوه[2] وقال ابن القاسم: وبلغني أن عمر بن الخطاب بعث معاذ بن جبل مصدّقاً، فلم يأت بشيء.

إن النصوص التي أوردناها سابقاً تعطي انطباعاً أن الصدقة يجب أن تبقى محلية، فتؤخذ من أغنياء القبيلة وتصرف على فقرائهم، فلا ترسل إلى المدينة، وهذا جليٌّ من كلام عمر بن الخطاب لمعاذ بن جبل حيث ألح عليه بوجوب صرفها محلياً وعدم إرسال شيء منها، وهي جلية أيضاً في النصوص التي تذكر أن السُّعاة صرفوها على أهل البلد، دون أن يرسلوها إلى المدينة.

والواقع أنّ بعض الفقهاء أكّدوا وجوبَ صرف موارد الصدقات محلياً، فقد كان مالك يرى ألا يدفع من الزكاة إلى بيت المال شيء، ولكن تفرق كلها ولا يدفع منها شيء وإن لم يجد من يفرق عليه في موضعه الذي أخذها فيه فأقرب البلاد إليه. فهو يقول: والشأن أن تقسم في موضعها إلا أن تكون كثيرة فيصرفها إلى أقرب المواضع إليها.. ووجه قسم المال أن ينظر الوالي إلى البلد التي فيها هذا المال ومنها جبي، فإن كانت البلدان متكافئة في الحال، آثر أهل ذلك البلد فقسم عليهم، ولم يخرج منهم إلى غيرهم، إلا أن يفضل عنهم فضلة فتخرج إلى غيرهم، فإن قسم في بلاده آثر الفقراء على الأغنياء. قال: وإن بلغه عن بعض البلدان حاجة وفاقة نزلت بهم من سَنَةٍ مَسَّتْهُم أو

---

١ ـ المدونة ٢١ / ٧٥٦، وانظر أيضاً الأموال ٥٩٤.

٢ ـ المدونة ٢ / ٥٦، وانظر أيضاً الأموال ٥٩٥.

ذهاب أموالهم وزراعتهم وقحط السماء عنهم، فإن للإمام أن ينظر إلى أهل ذلك البلد الذي جُبي منهم ذلك المال، فيعطيهم منه ويخرج جُلَّ ذلك ذلك إلى أهل تلك البلاد التي أصابتهم الحاجة، وكذلك بلاد الإسلام كلهم حصتهم في ذلك الفيء واحدة، يحمــل هذا الفيء إليهم من غير بلادهم إذا نزلت بهم الحاجة(١).

ويروي أبو معاوية عن أبي بردة عن إبراهيم أنه قال: تُقسَمُ الصدقة على أهل الماء فإن لم يجد على الماء من يستحقها نظر إلى أقرب المياه إليهم فقسمها، فإن لم يجد فالأقرب فالأقرب(٢).

وقد روى هُشَيم عن مغيرة عن إبراهيم ويزيد عن المبارك بن فُضالة عن الحسن: أن كلاً منهما كان يكره أن تخرج الزكاة من بلد إلى بلد لذي القرابة(٣).

وقد قال الخليفة الأموي يزيد الثالث عندما ولي الخلافة: (ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم، فإن فضل شيء نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه منه)(٤).

إن حصر صرف الصدقة بالبلد أو الماء الذي يجبى منه هو اتجاه عام وليس قاعدة محلية، فهناك نصوص غير قليلة ودلائل تظهر أن بعض الصدقات كانت ترسل إلى المدينة منذ زمن الرسول فما بعد.

وقد أشار أبو عبيد إلى عدد غير قليل من الأحاديث التي فيها دلائل على الرخصة في حملها من بلدها إلى غيره كحديث النبي ﷺ حين قال لقبيصة بن المخارق في الحمالة: «أقم حتى تأتينا الصدقة نعينك عليها، وإما أن نحملها عنك». فرأى إعطاءه إياها من صدقات الحجاز وهو من أهل نجد، ورأى حملها

---

١ ـ المدونه ٢ / ٥٦.

٢ ـ الأموال ٥٩٤.

٣ ـ الأموال ٥٩٤.

٤ ـ البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٤٢، الطبري ٢ / ١٨٣٤.

من أهل نجد إلى أهل الحجاز[1].

وكذلك حديث عديّ بن حاتم حين حمل صدقات قومه بعد النبي ﷺ إلى أبي بكر في أيام الردّة[2] ومثله حديث عمر حين قال لابن أبي ذياب وبعثه بعد عام الرمادة فقال: اعقل عليهم عقالين فاقسم فيهم أحدهما وائت بالآخر[3]، وكذلك حديث معاذ حين قال لأهل اليمن: ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم مكان الصدقة فإنه أهون عليكم وأنفع للمهاجرين[4].

والواقع أن أخبار التاريخ تؤيد أن هذا الاتجاه هو الأكثر سيادة فمن المعروف أن من أهم أسباب حروب الردة هو امتناع بعض القبائل عن إرسال الصدقات إلى أبي بكر، كما أن المصادر تؤكد أن الرسول وأبا بكر وعمر وبقية الخلفاء أوجدوا الحِمَى لإبل الصدقة.

يضاف إلى ذلك نصوص غير قليلة تذكر عدد الإبل التي جُبيت في زمن بعض الخلفاء وهي تلقي ضوءاً على الثروة الحيوانية في الجزيرة، فيروي الواقدي عن طلحةَ بن محمد بن حوشب بن بشر الفزاري عن أبيه: (رأيتنا عام الرمادة وحَصَّتِ السَّنَةُ أموالَنا فبقي من العدد الكثير الشيء الذي لا ذكر له، فلم يبعث عمر تلك السنة السعاة، فلما كان قابل بعثهم فأخذوا عقالين فقسموا عقالاً وقدموا عليه بعقال، فما وجد في بني فزارة كلها إلّا ستين فريضة، فقُسِمَ ثلاثون وقدم عليه بثلاثين[5].

لا ريب في أن هذا الرقم شاذ لأنه جاء على أثر القحط الذي أهلك الماشية وأن الأرقام الأخرى التي تذكرها المصادر تدل على أن الثروة الحيوانية

---

١ ـ الأموال ٥٩٩.

٢ ـ الأموال ٦٠٠.

٣ ـ الأموال ٦٠٠، ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢٣٣.

٤ ـ الأموال ٦٠٠.

٥ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢٣٣.

كانت أكثر من هذا بكثير، ومن سوء الحظ أن كافة المصادر التي اطلعت عليها لا تذكر مقدار ما كان يُجْبَى من كل عشيرة لنعرف توزيع الثروة الحيوانية، بل تكتفي بذكر الأرقام الإجمالية التي كانت تصل المدينة.

غير أن هذا النص يفيدنا من حيث أنه يظهر أن عمر كان يصرف نصف واردات الصدقات على العشيرة التي تجبى منها الصدقة، ويأخذ النصف الآخر إلى المدينة ولا نعلم مدى تطبيق أو استمرار هذه القاعدة في زمنه أو بعده. ويروي مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: كنت مع ابن زرارة باليمامة حين بعثه عمر بن عبدالعزيز مصدقاً، قال وكتب إليه في أول سنة: أن اقسم نصفها. ثم كتب إليه في السنة الثانية: أن اقسمها كلها ولا تحبس شيئاً[1] ويروي مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر رضي الله عنه كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير يحمل الرجل إلى الشام على بعير ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير[2].

ويروي مالك: بلغنا أن الخيل التي أعدها عمر رضي الله عنه ليحمل عليها في الجهاد ومن ركوب له عدتها أربعون ألفاً[3].

أما في زمن عثمان فيروي ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: كان مما أنكروا على عثمان أنه وَلّى الحكَمَ بن أبي العاص صدقات قضاعة فبلغت ٣٠٠ ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها[4].

ويروي الواقدي: (قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص)[5].

---

١ ـ المدونة ٢ / ٥٦.

٢ ـ وفاء الوفا للسمهودي ٢ / ٢٢٥.

٣ ـ وفاء الوفا ٢ / ٢٢٥.

٤ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٢٨

٥ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٢٩، الطبري ١ / ٢٩٨٠.

كما أن عثمان استعمل كعب بن مالك على صدقة مُزَينة وترك ما أخذ منهم له[1].

لقد وردت عدة إشارات في الكتب إلى تعدّيات سُعاة الصدقة فيروي الزبير بن بكار: استعمل بعض ولاة مكة جُوانَ بنَ عمر على تَبَالة، فحمل على خَثْعَمَ في صدقات أموالهم حِمْلاً شديداً فجعلت خثعم سنة جوان تاريخاً.

ولو شهِدَتْنِي في ليالٍ مَضَيْنَ لي
لعاين مرأً قبل عام جوان[2]

وعندما كان يحيى بن الحكم يلي المدينة شكا له الشاعر عمرو بن أحمر ابن العمَرّدِ الباهلي السُّعاة

يا يحيى يا ابن ملوك الناس أحرقنا
ظلم السُّعاة وبادَ الماء والشجر
إن قُمْت يا ابن أبي العاصي بحاجتنا
فما لحاجتنا ورد ولا صدر[3]

وقال المُخَبَّلَ بن شرحبيل بن جمل البكري في بني زهيرة وقد منعوا سعد بن مسعود المازني من التعدّي في صدقات بكر كان يليها[4]:

فدى لبني زهيرة يوم أقر وقد خُذلوا بها ـ أهلي ومالي
فهم منعوا مظالم آل بكر وقد ردوا لها قبل السؤال

ويقول ابن منظور: وفي حديث معاوية أنه استعمل ابن أخيه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان على صدقة كلْبٍ فاعتدى عليهم فقال عمرو بن العداء الكلبي[5].

---

١ ـ الطبري ١ / ٣٠٧٠.
٢ ـ الأغاني ١ / ٧٠.
٣ ـ أنساب الأشراف ٥ / ١٦٣.
٤ ـ معجم البلدان مادة أقر.
٥ ـ لسان العرب ١٣ / ٤٩١.

سعى عِقالاً فلم يترك لنا سَبَداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين؟
لأصبح الحيُّ أوباداً ولم يجدوا عند التفرق في الهَيْجا جمالين

يروي سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد أن أبا بكر قال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه، وكان عُقُلُ الصّدقة على أهل الصدقة مع الصدقة[1] ويدل هذا النص على أن عُقَلَ الصدقة هو شيء غير الصّدقة يضاف إليها، يؤخذ من أهلها، وأن مقداره قليل بحيث جعله أبو بكر حداً أدنى يحارب من أجله.

غير أن المصادر الأخرى لا تذكر العُقُل، بل تذكر العقال.

فيروي اليعقوبي أن أبا بكر وجه لقتال من منع الزكاة وقال: لو منعوني عقالاً، لقاتلتهم[2].

ويروي الواقدي عن خالد بن إياس عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، أن عمر أخر الصدقة عام الرّمادَة فلم يبعث السعاة فلما كان قابلٌ ورفع الله ذلك الجدب، أمرهم أن يخرجوا فيأخذوا عقالين، فأمرهم أن يقسموا عقالاً ويقدموا عليه بعقال[3] ويروي عن طلحة بن محمد بن حوشب بن بشر الفزاري عن أبيه أن عمر لم يبعث السعاة عام الرمادة، فلما كان قابل بعثهم فأخذوا عقالين فقسم عقالاً وقدموا عليه بعقال[4].

ويروي سيف: أن الخِرّيْت بن راشد عندما ثار على عليٍّ بعد صِفين، وأنه قد رد قومه عن طاعة علي... وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين

---

١ ـ الطبري ١ / ١٨٧٣.

٢ ـ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٨، لسان العرب ١٣ / ٤٩٢، وانظر أيضاً في كتب الحديث للبخاري: كتاب الاعتصام، ابن ماجه: الإيمان ٣٢، أبو داوود الزكاة ١، الترمذي: الايمان ١، النسائي: الزكاة ٣، الموطأ: الزكاة ٣٠.

٣ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢٣٣.

٤ ـ كذلك ٣ ـ ١ / ٢٣٣.

ومنعوها في ذلك العام أيضاً، فكان عليهم عقالان[1].

يقول ابن منظور: والعقال زكاة عام من الإبل والغنم (ثم أورد شعر عمرو بن العداء الكلبي المتقدم).

قال الكسائي: العقال صدقة عام يقال: أخذ منهم عقال هذا العام، إذا أخذت منهم صدقته وقال بعضهم: أراد أبو بكر رضي الله عنه بالعقال الحبل الذي كان تُعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة إذا قبضها المصدق وذلك أنه كان على صاحب الإبل أن يؤدي مع كل فريضة عقالاً تعقل به ورواء - أي حبلا - وقيل أراد ما يساوي عقالاً من حقوق الصدقة.

وقيل: إذا أخذ المصدق أعيان الإبل قيل أخذ عقالاً، وإذا أخذ أثمانها قيل أخذ نقداً، وقيل: أراد بالعقال صدقة العام بُعث فلان على عقال بني فلان إذا بعث على صدقاتهم، واختاره أبو عبيد وقال: هو أشبه عندي، قال الخطابي: إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر، وليس بسائر في لسانهم أن العقال صدقةُ عام، وفي أكثر الروايات: لو منعوني عناقاً وفي أخرى: جدياً، وقد جاء في الحديث ما يدل على القولين.

فمن الأول حديث عمر: أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالاً ورواء فإذا جاءت إلى المدينة باعها وتصدق بها، وحديث محمد بن مسلمة أنه كان يعمل على الصدقة في عهد رسول الله ﷺ فكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتي بعقاليهما وقرانيهما.

ومن الثاني: حديث عمر أنه أخّر الصدقة عام الرّمادة فلما أحيا الناس بعث عامله فقال: اعقل عنهم عقالين، فاقسم فيهم عقالاً وائتني بالآخر، يريد صدقة عامين، وعلى بني فلان عقالان أي صدقة سنتين وعَقَلَ المُصَدّقُ الصدقة إذا قبضها.

---

١ - الطبري ١ / ٢٤٣٢، ٢٤٣٨.

ويكره أن تشتري الصدقة حتى يعقلها الساعي، يقال لا تشْتَرِ الصدقة حتى يَعْقلَهَا المُصَدِّقُ أي يقبضها والعقال القلوص الفتية[1].

ويتبين من هذه النصوص:

١ ـ أن كلمة عقال كانت مستعملة منذ زمن أبي بكر.

٢ ـ أنها ترتبط بالسنوات، ففي كل سنة عقال بمعنى جباية.

٣ ـ أنها استعملت مكان الصدقة كاسم علم مما يدل على كثرة استعمالها في العصور الأولى.

٤ ـ أنها تقترن بالماشية والنوع لا بالنقود.

٥ ـ أن بعض الروايات ترى العقال غير الصدقة وإن كان يؤخذ معها.

٦ ـ الاختلاف الكبير في اشتقاقها.

٧ ـ أن المقصود بها: الحبل الذي تُعقَلُ بها إبل الصدقة، وكانت مما يدفع مع الصدقة (أي الزكاة).

---

١ ـ لسان العرب ١٣ / ٤٩١.

الفصل الثاني عشر

الحمى في صدر الإسلام

الحمى قبل الإسلام

ذكر اللغويون تعريفات متعددة للحمى، لعل أدقها تعريف الليث بأنه «موضع فيه كَلأٌ، يُحْمَى من الناس أن يرعى» (لسان العرب ١٨ / ٢١٧) وقد نقل السمهودي هذا التعريف، وأضاف إليه تعريفاً فقهياً وهو: «موضع من الموات يمنع التعرُّض له ليتوفر فيه الكلأ، فترعاه مواشي مخصوصة (وفاء الوفاء ٢ / ٢٢١). ومن هذه التعريفات يتبين أن للحمى ملكية عامة تتصل بالدولة فتستغلها للصالح العام، أو للشيخ ولرئيس القبيلة لستغلها لنفسه، علماً أن ما يملكه الشيخ أو الرئيس تؤول بعض فوائده للعشيره أيضاً.

يذكر الشافعي: «كان الرجل العزيز من العرب إذا انتجع بلداً مخصباً أوْفَى بكلب على جبل إن كان به، أو نشز إن لم يكن به جبل، ثم استعواه ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء فحيث بلغ صوته حماه من كل ناحية فيرعى مع العامة فيما سواه ويمنع هذا من غيره لضعفاء سائمته وما أراد قرنه معها فيرعى معها «الأم ٣ / ٢٧٠ وفاء ٢ / ٢٢٤، لسان العرب ١٨ / ٢١٧). ومن هذا يتبين أنه ليست للحمى القدسية التي للحرم، وأنه لا يشترط فيه أن يكون مكاناً مقدساً، وأنه تنفيذ محاولة لقلب المشاع إلى ملكية خاصة عن طريق القوة والسيطرة.

ينقل ياقوت: «قال الأصمعي: الحمى حميان: حمى ضَرية وحمى الربذة» قال المؤلف: ووجدت أنا حمى فَيد وحمى النَير وحمى ذي الشرى وحمى النقيع. . وحمى فيد، قال ثعلب: الحمى حمى فيد إذا كان في أشعار

أسد وطيء، فأما في أشعار كلب فهو حمى بلادهم قريب المدينة بينها وبين غرب (ياقوت ٢/٣٤٢) ويضيف السمهودي بعد إيراده هذا النص «قلت وهي، عن النقيع، بنجد. وهي متقاربة بل سيأتي ما يؤخذ منه دخول النير في حمى ضرية» (وفاء ٢ / ٩١) ويشير ياقوت إلى حمى جلسد (ياقوت ٣ / ١٢٣) وحمى ذي شرى (ياقوت ٤ / ٢٤٦).

وقد ذكرت من أحماء الجاهلية عرنة، فيروي ياقوت «بئر ألية في حزم بني عوال على نيف وأربعين ميلاً من المدينة. وقيل إليه واد بفسح الحيا، والفسح واد بجانبه عرنة، وعرنة روضة بواد ما كان يحمى الخيول في الجاهلية والإسلام بأسفلها قلهى (ياقوت ١ / ٣٥٥ ـ وفاء ٢ / ٢٥١).

ويروي ابن المجاور: «قيل أن جميع أرض زبيد كانت حمى مهلهل وكليب وذلك من حد الحجف إلى أنف قونص وفيه قصره وبركته واصطبله الذي كان يربط فيه خيله.

وأما حمى كليب ومهلهل فكان من الحجف إلى أنف قونص إلى رأس رمع وجميع جواز زبيد وأوديتها إلى حد النوبتين وقوارير طولاً في عرض مثله (المستبصر ص ٦٣ ـ ٦٤).

وهذه رواية مشكوك في دقتها. (انظر صفة جزيرة العرب ١٧٢).

احماء الرسول

وقد ذكر ياقوت: «ألجام موضع من أحماء المدينة جمع حمى (ياقوت ج ١/ ٣٥٠) دون أن يشير إلى موقعة أو يقدم تفاصيل عنه.

تروي بعض الكتب أن الرسول ﷺ قال «لا حمى إلا الله ورسوله» (أم ٣ / ٢٧٠ وفاء ٢ / ٢٢٤ ابن حنبل ٤ / ٧١، ٧٣ البخاري: المساقاة باب ١١).

غير أن هناك روايات تذكر أن الرسول ﷺ أقر لبعض الأشخاص حمى،

كما أنه حمى حمى، وقد استمرت هذه الأحماء بعد الرسول ﷺ، مما يدل على أن نسبة الحديث المذكور أعلاه ليست بمنجاة من الشك وأنها تعبر عن موقف الناس من الأحماء بعد الاسلام.

النقيع

فيروي الأصفهاني «كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبي بكر أسلمَ فحسن إسلامه ووفد إلى النبي فاستقطعه حمى بين الشعارى والسعدية، والسعدية ماء لعمرو بن سلمة، والشعارى ماء لبني قتادة بن سكن بن قريط وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال فأقطعه إياها فأحماها ابنه جَحوش فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب فأرعاهم، فحملوا نعمهم على خيلهم بغير إذنه فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم» أغاني ٢٠ / ١٦٥، انظر وفاء ٢ / ٣٣٠ وياقوت: ٣ / ٣٠٦ حيث يسميانها الشقراء بدل الشعارى.

ويروي ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر «فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس وللراحلة وللمثيرة تثير الحرث فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سحت» (طبري ١ / ١٧٣١) وقد روي نصه بشكل آخر «أن لهم حماهم الذي أسلموا عليه فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت» (الوثائق السياسية ٢١٣).

ويروي أبو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «جاء هلال أحد بني متعان إلى رسول الله ﷺ بعشور نخل فسأله أن يحمي وادياً يقال له سكبة فحمى له رسول الله ﷺ ذلك الوادي، فلما ولي عمر بن الخطاب رحمه الله كتب سفيان بن وهب إلى عمر يسأله ذلك فكتب إليه عمر: إن أُدي إليك ما كان يؤدي إلى رسول الله ﷺ من عشور نخله فاحْمِ واديه سكبة فإنما هو ذباب غيث يأكله من شاء» (السنن ١/٤٥٣ ط القاهرة ١٣٤٨، بكري ٧٤٦، الوثائق السياسية ٢٤٩).

ويروي ابن سعد أنه أعطى بني قرة حمى بكتاب هذا نصه «بسم الله

الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى محمد رسول الله بني قرة بن عبدالله بن أبي نجيح النهديين أنه أعطاهم المظلة كلها، أرضها وماءها وسهلها وجبلها حتى يرعون فيه مواشيهم وكتب معاوية بن أبي سفيان (سعد ١/٢/٢٢ الوثائق السياسية رقم ٨٩).

حمى النقيع

تروي عدة مصادر أن الرسول حمى النقيع (انظر البخاري ٣ / ١٣ ابن حنبل ٢ / ١٥٥ / ١٥٧ ابن سلام: الأموال الفقرة ٧٣٩ وفاء ٢ / ٢٢١ ـ ٣ عن ابن شبه البكري: معجم ما استعجم ١٣٢١. وقد ذكر السمهودي تفاصيل عن هذا الحمى حيث قال: «وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزني قال نزل رسول الله ﷺ بالنقيع على مقمل وصليب وقال في حمى النقيع: **«نعم مرتع لأفراس يحمى لهن ويجاهد بهن في سبيل الله»** وحماه واستعملني عليه. وعن غير واحد من الثقات عن النبي ﷺ أنه صلى على مقمل وحماه ما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين ثم زادت بنو أمية بعد والأمراء أضعاف ما حمى رسول الله بالنقيع.

وعن محمد بن هيصم المزني عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ أشرف على مقمل طرف وسط النقيع فمسجده هناك. قال ابن هيصم عن أبيه فدعا رسول الله ﷺ أبي وقال مستعملك في هذا الوادي فما جاء من ها هنا وها هنا يشير نحو مطلع الشمس ومغربها فامنعه فقال إني رجل ليس لي إلا بنات وليس معي أحد يعاونني قال فقال رسول الله ﷺ **«إن الله سيرزقك ولداً ويجعل لك ولياً»** وكان له بعد ذلك ولد، فلم تزل الولاة يولون عليه والياً منذ عهد رسول الله ﷺ يستعمله والي المدينة حتى كان داوود بن عيسى فنزله سنة ١٩٨، وإنما تركه داوود لأن الناس جلوا عنه للخوف ذلك الزمان فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه (وفاء ٢/٢٢٣).

يروي ابن عمر أن النبي ﷺ حمى النقيع للخيل، ويروي ابن شَبّة عن

ابن عمر أن النبي ﷺ حمى النقيع للخيل وحمى الربذة للصدقة (وفاء ٢ / ٢٢٢) غير أن حمى الرسول للربذة لا تؤيده المصادر الأخرى.

وما دام للحمى حكم خاص يتميز به عما حوله من الأراضي فلا بد أن تكون له حدود معينة.

وقد حدد الرسول ﷺ لحمى النقيع حدوداً، إلا أنها لم تظل ثابتة إذ يروي الزبير بن بكار «قال يعقوب المزني ثم تزايد الناس بعد في الحمى فحموا ما بين تراخم إلى يلبن واتخذوا المرابد يحبسون فيها ما رعى الحمى من الإبل حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض، قال الزبير وقال لي: لقد رأيت لأبيك أكثر من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع وهو إذ ذاك أمير المدينة ما يرعى رعاؤه منها شيئاً في الحمى حتى يكتمل العشب ويبلغ غايته فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح في الناس يؤذنهم باليوم الذي يأذن لهم يرعون الحمى فيسرع فيه رعاء أبيك والناس يداً واحدة «كفرسي رهان» (وفاء ٢ / ٢٢٣ - ٤).

يقول البكري أن «النقيع موضع تلقاء المدينة، بينها وبين مكة، على ثلاث مراحل من مكة بقرب قدس» (بكري ١٣٢٣ والصحيح على ثلاث مراحل من المدينة).

ويروي أيضاً «وروي أيضاً أن النبي ﷺ صلى الصبح في المسجد بأعلى عسيب وهو جبل بأعلى قاع النقيع، ثم أمر رجلاً صيتاً فصاح بأعلى صوته، فكان مدى صوته بريداً وهو أربعة فراسخ فجعل ذلك حمى، طوله بريد وعرضه الميل، وفي بعضه أقل، في قاع مدر طيب، ينبت أحرار البقل والطرائف، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب، وفيه مع ذلك من العضاه والعرفط والسدر والسيّال والسلم والطلح والسمر والعوسج والعرفج شجراء كثيرة وتحف هذا القاع الحرة، حرة بني سليم في شرقيه، وفيها قيعان دوافع في بطن النقيع وفي غربيه الصحرة، وأعلام مشهورة منها برام والوتد وضاف، وقد ذكر أن أول أعلامه عسيب فبرام، جبل كأنه فسطاط، والوتد في أسفل النقيع كأنه قرن منتصب ومقمل جبل أحمر

افطح بين برام والوتد شارع في غربي النقيع، وروي أن رسول الله ﷺ أشرف على مقمل وصلى عليه فسجده هناك. ويقاع النقيع غدر تصيف فأعلاها براجم وأذكرها يلبن، وغدير سلامة أسفل من يلبن وبشرقي النقيع في الحرة قلتان يبقى ماؤهما ويصيف وهما أثَيث وأثيت (بكري ١٣٢٣ ـ ٥، عن السكوني، وفاء ٢٢٢/٢ عن الهجري).

ويضيف البكري. «وليس بإزاء النقيع مما يلي الصحرة إلا ماءة واحدة، وهي حفيرة لجعفر بن طلحة بن عمرو بن عبيدالله بن معمر، يقال لها حفيرة السدرة، وسيل النقيع يفضي إلى قرار أملس، وهي أرض بيضاء جَهَاد، لا تنبت شيئاً لها حس تحت الحافر، هذا لفظ السكوني، والعرب تسمي هذه الأرض النفخاء والجمع النفاخي، ويليها أسفل منها حصير، قاع يفيض عليه سيل النقيع فيه آبار، ومزارع ومرعى للجمال من عضاه ورمث وأشجار. ويدفع أيضاً على حصير الآتمة آتمة أبي الزبير وهي بساط طويلة واسعة تنبت عصماً للمال وهناك بئر تنسب إلى ابن الزبير، وكان الأشعث المزني ينزل الأتمة ويلزمها فاستمشى ماشية كثيرة وأفاد مالاً جزلاً حتى اتخذ أصولاً واستغنى، ثم يفضي من حصير إلى غدير يقال له المَزْج لا يفارقه الماء، وهو في شق بين جبلين يمر به وادي العقيق فيحفره لضيق مسلكه وهذا الجبل المنفلق الذي يمر به السيل يقال له سقف، ثم يفضي السيل منه إلى غدير يقال له رواوة. . ولا يرى قعر هذا الغدير أبداً ولا يفارقه الماء ثم يفضي إلى غدير الطفيتين، وهو من أعذب ماء يشرب. إلا أنه يبيل الدم ثم يفضي إلى الأثبة، وفيه غدير يقال له الأثبة سميت به الأرض، وفيه مال لعباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير، كثير النخل وهو وقف، ثم أسفل من ذلك رابغ وهو فلق من جبل سقف متضايق يجتمع فيه السيل، سيل العقيق، ثم يلتقي وادي العقيق ووادي ريم (١٣٢٧ ـ ٨).

أحماء أبي بكر:

يروي ابن سعد عن هني مولى عمر «أن أبا بكر الصديق لم يحم شيئاً من

الأرض إلا النقيع، وقال رأيت رسول الله ﷺ حماه فكان يحميه للخيل التي يغزي عليها، وكانت إبل الصدقة إذا أخذت عجافاً أرسل بها إلى الربذة وما والاها ترعى هناك ولا يحمي لها شيئاً ويأمر أهل المياه لا يمنعون من ورد عليهم يشرب معهم ويرعى عليهم (ابن سعد ٥/٦).

غير أن سيف بن عمر يروي عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد: «فلما غلب أهل الردة ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه وسامح الناس. جاءت بنو ثعلبة وهي كانت منازلهم لينزلوها فمنعوا منها فأتوه في المدينة فقالوا علام نُمْنعُ من نزول بلادنا؟ فقال: كذبتم ليست لكم ببلاد ولكنها موهبي ونقدي، ولم يعتبهم وحمى الأبرق لخيول المسلمين وأرعى سائر بلاد الربذة الناس عدي بني ثعلبة ثم حماها كلها لصدقات المسلمين لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات فمنع بذلك بعضهم من بعض (طبري ١ / ١٨٧٩) ويقول ياقوت أن أبرق الربذة «من منازل بني ذبيان فغلبهم عليه أبو بكر لما ارتدوا وجعله حمى لخيول المسلمين» (ياقوت ١ / ٧٧).

يتبين من هذه النصوص أن أبا بكر أبقى حمى النقيع على ما أقره عليه الرسول ﷺ وحمى أبرق الربذة دون أن يحميها.

أحماء عمر: الربذة

يروي ابن شبة والطبراني عن ابن عمران «حمى النبي ﷺ الربذة لإبل الصدقة» (وفاء ٢/٢٢٢، ٢٢٧) غير أن المصادر الأخرى لا تؤيد ذلك، والراجح أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو أول من حمى الربذة.

فيروي ابن سعد عن «محمد بن عمر عن عكرمة بن عبدالله بن فروخ عن وجرة عن أبيه كان عمر بن الخطاب يحمي النقيع لخيل المسلمين ويحمي الربذة والشرف لإبل الصدقة» (سعد ٣ / ١ / ٢٢٠).

ويروي عن هنيٍّ مولى عمر «فلما كان عمر بن الخطاب وكثر الناس وبعث

البعوث إلى الشام وإلى مصر وإلى العراق حمى الربذة واستعملني على حمى الربذة» (ابن سعد ٥/٦).

ويذكر زيد بن أسلم عن أبيه «أن عمر بن الخطاب استعمل مولى له يقال له هُنَي على الحمى» (الأم ٣/٢٦٩) أبو يوسف ص ١٠٥ أبو عبيد ٧٤٠ وفاء ٢/٢٢٥.

ويقول البكري «الربذة هي التي جعلها عمر رضي الله عنه حمى «لإبل الصدقة وكان الذي أحماه بريداً في بريد، ثم تزيدت الولاة في الحمى أضعافاً ثم أبيحت الأحماء في أيام المهدي فلم يحمها أحد بعد ذلك (البكري ٦٣٣).

يقول الأصمعي أن «في أول الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن، والشريف إلى جنبه يفصل بينهما التسرير فما كان مشرقاً فهو الشريف وما كان مغرباً فهو الشرف» (وفاء ٢/٢٢٧)ويقول السمهودي عند كلامه عن حمى الربذة أن الربذة «قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها قاله المجد. وفي كلام الأسدي ما يقضي أنها على أربعة أيام. . . وتقدم قول الأصمعي أنها من الشرف وأنها الحمى الأيمن، وقال نصر هي من منازل الحاج بين السليلة والعقيق أي التي بذات عرق» (وفاء ٢ / ٢٢٧).

ويقول أيضاً «وروى ابن شبّة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ولهذا نقل الهجري عن جماعة أن أول من أحمى الحمى بالربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة وأن سعة حماه الذي أحمى بريدفي بريدوأن سرة حمى الزبذة كانت الحرة، ثم زادالولاة بعدفي الحمى، وآخر من أحماه أبو بكر الزبيري لنعمه وكان يرعى فيه أهل المدينة، وكان جعفر بن سليمان في عمله الأخير على المدينة أحماه لظهره بعدما أبيحت الأحماء في ولاية المهدي ثم لم يحمه أحد منذ عزل بكار الزبيري (وفاء ٢ / ٢٢٧).

ويروى عن الأسدي «الربذة لقوم من ولد الزبير وكانت لسعد بن بكر من

فزارة» (وفاء ٢ / ٢٢٧) غير أنه لا يذكر متى أخذها آل الزبير وكيف أخذوها.

«وفي تاريخ عبيدالله الأهوازي أنها خربت في سنة ٣١٩ لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل أهل الربذة عنها فخربت وكان أحسن منزل بطريق مكة» (وفاء ٢ / ٢٢٧ ياقوت ٢ / ٧٤٩).

ويروي الأصمعي عن جعفر بن سليمان «إذا عقد البعير شحماً بالربذة وسفر عليه سفرتان لا تنقصان شحمه لأنها أرض ليس فيها حمض» (البكري ٨٦٠).

وقد وصف أعلام حمى الربذة السمهودي (وفاء ٢ / ٢٢٧ ولعله أخذها من المهجري، والبكري (٦٣٣ ـ ٧) كما ذكر ياقوت الربذة وأماكنها في مواضع مختلفة من كتابه.

الشرف

لقد ذكرنا من قبل رواية الواقدي عن عكرمة عن أبي وجرة عن أبيه أن عمر حمى أيضاً الشرف (ابن سعد ٣ ـ ١/ ٢٢٠). ويقول السمهودي الشرف حماه عمر رضي الله عنه، وليس هو شرف الروحاء بل موضع بكبد نجد، قال نصر: الشرف كبد نجد وقيل واد عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أنه مراد من غاير بينه وبين حمى ضرية والربذة. قال الأصمعي: الشرف كبد نجد وكانت منازل بني آكل المرار، وفيها اليوم حمى ضرية، وفي أول الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن والشريف إلى جنبه يفصل بينهما التسرير، فما كان مشرقاً فهو الشريف وما كان مغرباً فهو الشرف «ويحتمل أن المراد بقولهم حمى الشرف والربذة حمى ضرية والربذة لما سيأتي من حمى ضرية أنه كان يقال لعامله عامل الشرف، ولم يفرد الهجري في أحماء نجد الشرف ولم يبين له محلاً وإنما ذكر الربذة وضرية مع ما سيأتي فيهما وقال الأصمعي: كان يقال من تصيف الشرف وتربع الحزن وشتى الصمان فقد أصاب المرعى ٢٢ (وفاء ـ ٢/٢٢٧ ياقوت ٣/٥/٢).

يتبين من هذه النصوص أن حمى الشرف هو حمى ضرية نفسه، ويبدو أنه كان يطلق عليه في أوائل العهود الشرف، ثم صار يطلق عليه حمى ضرية.

يقول السمهودي: «ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأسيرها ذكراً حمى ضرية وكان حمى كليب بن وائل فيما يزعم بعض أهل طيء قال وذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه كابر عن كابر وفي ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن. قلت وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد.. أجود بن جبر وقال: إن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه، قال ودلني عليه بعضهم لأقصده فقلت: هو واحد من الجاهلية.

حمى ضرية

ونقل الهجري أن أول من أحمى الحمى بضرية عمر بن الخطاب أحماه لإبل الصدقة وظهران الغزاة وأن سروح الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوهها ثم تؤوب بضرية وذلك ستة أميال من كل ناحية، وضرية في وسط الحمى، فكان على ذلك حياة عمر وصدراً من ولاية عثمان ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين ألف بعير فضاق عنه الحمى، فأمر عثمان أن يزاد ما يسع إبل الصدقة وظهران الغزاة زيادة لم يحددوها إلا أن عثمان رضي الله عنه اشترى ماء من مياه بني ضبينة كان أدنى مياه غنى إلى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية، يذكرون أن البكرة دخلت في حمى عثمان ثم لم تزل الولاة تزيد فيه واتخذوه مأكَلَه، ومن أشهرهم فيه انبساطاً إبراهيم بن هشام المخزومي زاد فيه وضيق على أهله واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير (وفاء ٢ / ٢٢٩).

«وكانت ضرية من مياه الضباب في الجاهلية لذى الجوشن الضبابي والدشمر قاتل الحسين بن علي» (وفاء ٢ / ٢٣٢).

وقد ظلت هذه الأهمية الخاصة لضرية بعد الإسلام فيقول السمهودي وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيماً، كانوا يستعملون عاملاً وحده وكانت إصابة فيه عظيمة، وكان لحواطة سلطان عظيم، وحواط كل ناحية سادة القوم

وأشرافهم، وكان يقال لعامل الحمى عامل الشرف (وفاء ٢ / ٣٢٣) يظهر أن حمى ضرية قديم يرجع إلى زمن الجاهلية، فقد كان في الشرف وهو منازل بني آكل المرار من كندة (ياقوت ٣ / ٢٨٥ وفاء ٢ / ٢٢٧ عن الأصمعي) والراجح أنه كان مقر حكمهم الذي سيطروا منه على قبائل نجد وبلادها، وكان فيه أيضاً قبر كليب (وفاء ٢ / ٢٢ عن المجد) ولعل كليباً اتخذه مقراً له محاولاً بذلك أن يرث آل كندة تقاليدهم وظل يحكم بقوة حتى قتل، فأدى مقتله إلى سلسلة الحروب المدعوة بالبسوس والتي كان من أهم آثارها عدم تكوين دولة كليبية تحل محل كندة، وإلى اضطراب الأمن في الجزيرة، وإقصاء تغلب عن هضبة نجد وابتعادها عن موضع ضرية الذي أخذت تحتله قبائل كلاب وغنيّ.

إن هذه الأهمية الكبيرة لضرية لا ترجع إلى أهمية موقعها الجغرافي بقدر ما ترجع إلى أهمية مواردها، حيث أن في هذه المنطقة أو قربها تقع أكثر مناجم الذهب في الجزيرة ولعل هذا من أهم عوامل نشوء وقوة كل من كندة وحكومة كليب التغلبي أي أن كلاً منهما اختار ضرية لكثرة مناجم الذهب فيها وليكون بمقدوره السيطرة عليها وبعد أن تم له ذلك أخذ يستخدم موارد هذه المناجم لتقوية مركزه وبسط سيطرته.

ثم إن ضرية كانت منطقة تكثر فيه الآبار والينابيع والمياه التي تصلح لاتخاذ الزروع. وقد ذكر السمهودي نقلاً عن الهجري عدداً من الينابيع والمزارع التي حدثت في ضرية في العهد الإسلامي وأخبارها، ولعل هذه المزارع كانت ترجع إلى العصر الجاهلي وأن المسلمين وسعوها، أو أعادوا حفرها أو أن ازدهار الزراعة في ضرية في العصر الجاهلي كان دافعاً للمسلمين للالتفات إليها وإحيائها.

فمما ذكره السمهودي أن «عثمان رضي الله عنه اشترى ماء من مياه بني ضبينة كان أدنى مياه غَنيّ إلى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت في حمى عثمان.. وكان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان فاستسقوهم بالبكرة

فأسقوهم فلم تزل بأيديهم.

وحفر عثمان عيناً في ناحية أرض غني خارجة عن الحمى بناحية الماء الذي يقال له نفي على نحو خمسة عشر ميلاً من أضاخ، وفقرت لها بها فقر كبيرة، وابتنى عماله عندها قصراً أثره بيِّن، قرب واردات، مقبل ولم تجر فتركها العمال فلم يحرك ذلك السيح إلى اليوم، ودفنت غني في فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر فنسيت عيونه.

وأدنى مياه بني تميم إلى أضاخ ماء يقال له أضيخ لبني الهجيم وقد دفن منذ دهر، فقال ناس من بني عبدالله بن عامر لأصهار لهم من بني الهجيم: نحن نستسقي لكم آل عثمان فنسقى، فرغبوا في ذلك فأجابهم آل عثمان فاستطعن الهجيميون قومهم إليه فلقيهم رعاء غنيٍّ، فسألوهم فقالوا: إن بني عثمان ولونا أمره. وقد أدّت هذه الخصومة إلى إهمال هذا الماء فصار مواتاً في سنة مائة وخمس وخمسين.

واحتفر عبدالله بن مطيع حفيرة هي في أيدي الضباب على بريد من ضرية على طريق أضاخ للمدينة في ناحية شُعبَى.

وكان الكنديون يسقون وماؤهم يسمى الثريا.

وقُنيع ماء للعباس الكندي على ظهر محجة أهل البصرة في دارة من دارات الحمى يقال لها دارة عسعس، فلما أجلى الكنديون عن قنيع تنازعت بنو أبي بكر بن كلاب وبنو جعفر فقالت أبو بكر: نحن أحق بماء حلفائنا وقال الجعفريون: هو عند بيوتنا فنحن أحق به... «ثم أخذه الجعفريون».

واحتفر بعض بني حسن بن علي بالحمى واتخذ إلى جنب حفرته عيناً ساحت ثم خرجت في غربي طحفة بشاطىء الريان على ثلاثة عشر ميلاً من ضرية وهي بيد ناس من بني جعفر ثم من بني ملاعب الأسنة من جهة بني أختهم الحسنيين.

وكان لبني الأدرم وهم من بني تيْم بن لؤي، ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ١٨ ميلاً من ضرية يسمى الجفره ومعهم نفر من بني عامر بن لؤي، فاحتفر سعيد بن سليمان المساحقي العامري (القاري؟) عيناً وأساحها وغرس عليها نخلاً كثيراً على ميل أو نحوه من حفر بني الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم أسود، وهي عامرة كثيرة النخل.

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة احتقر بالحمى حفيرة بالهضب اليمنى على ستة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية سماها النامية وأخرى بناحية شُعبَى بين ضرية، وحفر بنو الأردم على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أي انفراج واتساع من جبال.

ولما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام بفاضحة ونزلها بولده حتى مات، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن فخرج مع محمد فلما قتل هرب إلى البصرة، ثم رجع إلى فاضحة وتزوج من بني جعفر، ثم من بني الطفيل فأولد عبدالله فزوجه ابنة القاسم بن جندب الفزاري، وكان علماً من أعلام العرب ينزل باللواء، وكان القاسم لا يسير أبداً ولم يكن حج قط ولا يكاد يقدم ضرية، وأولاده عبد الله من ابنته في بقية من أموالهم بفاضحة.

واحتفر عبدالله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ودفن حفيرة ابن هشام وأخفى مكانها، واحتفر جوشن مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بني الأدرم وحفرة المساحقي سماها الجوشنية، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الأنصار وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان فنازعهم محمد بن جعفر بن مصعب بحق بني الأدرم وكان من أشد الرجال فقاتلهم وحده.. واستعدى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة.. واختصموا في الجوشنية والحفيرة، حتى قضى لبني الأدرم والمساحقي فكلمهم الناس فسبقوهم بها، وكان الأنصاريون أهل عمود وماشيه، فلما كانت الفتنة أكلتهم اللصوص من قيس من

كلاب وفـزارة فلحقـوا بطيء وناسبوهم فأمنوا مدة، ثم أغارت عليهم لصوص فتفرقوا وتركوا البادية، وكانت بنو الأدرم وبنو بحير القريشيون قد كثروا بالجفر، ثم وقع بينهم شر وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض فنهبهم بنو كلاب وفزارة وقتلوا بعض رجالهم فلحقوا بالمدينة وتفرقوا (وفاء ٢ / ٢٢٩ ـ ٢٣٢).

«وأما عين ضرية وسيحها فيقال أنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان وهو الذي حفرها واغترس النخل وضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء وهو سد يعترض الوادي فيقطع ماءه وينحبس زماناً ليكون أغزر للعين، فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قبضوا، ففي آخر ولاية أبي العباس وكانت تحته أم سلمة المخزومية من بني جعفر بن كلاب وفد أخ لها معروف بن عبدالله عليه فأكرمه فسـألـه أن يقطعه عين ضرية فأقطعه وكان بدوياً ذا زرع، فلما أرطب نخلها نزلها بأهله وكانت نعمه ترد عليه وسأله ناس من ضرية أن يعريهم من نخلِهِ فأعراهم وصار يجني للضيفان من الرطب ويحلب لهم من إبله فمكث نحو شهرين فأتاه ضيفان بعد ما ولى الرطب فأرسل فلم يؤت إلا بقليل وقال له الرسول: ذهب الرطب إلا ما ترى فقال: يسوؤني أن أعود على ضيفاني من نخلكم، وكان قيمه على العين زرع قثاء وبطيخاً فأتاه بشيء منه فقال: قبح الله ما جئت به واحذر أن يراه عيالي، وكره النخل وأراد بيعه فاشتراه منه عبدالله الهاشمي عامل اليمامة بألفي دينـار ثم ولاه أبـا جعفـر بن سليمان إذ سأله إياه فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين في سماطي ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتاً فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزروع ثمانية آلاف درهم في السنة (وفاء ٢ / ٢٣٢ ـ ٣).

«ولمـا ولي أبـو خليد العبسي خال الـوليد عمـل ضرية نزلها وحفر في جوف الشاة في حق غني فقيرة، فلما ولي بنو العباس هدمت غني تلك الحفرة وسووها بالأرض (وفـاء ٢ / ٢٣٣) ولبني عبس ماء في شعب يقـال له الأسـودة ولهم بالحمى ما يقال له ضحح في ابط رميلة الحسى، حسى بني حصبة. ولهم الحاء

بها نخل كثيرة ولهم مياه أخرى (وفاء ٢ / ٢٣٣).

ولضرية أهمية كبرى كمرعى فيقول الأصمعي «كان يقال من تصيف الشرف وتربع الحزن وشتى الصمان فقد أصاب المرعى» (ياقوت ٣ / ٣٨٥ وفاء ٢ / ٢٢٧).

«وحكى ابن جني في «النوادر الممتعة» عن الفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض المشيخة. لقيت أعرابياً فقلت ممن الرجل؟ فقال من بني أسد فقلت فمن أين أقبلت؟ قال من هذه البادية قلت: فأين مسكنك منها؟ قال مساقط الحمى حمى ضرية بأرضٍ لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا عنها حولاً، قد نصحتها الغدوات وحفتها الفلوات فلا يملولح ترابها ولا يعمر جنابها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ولا حمى، فنحن فيها بأرفه عيش وأرغد معيشة» (وفاء ٢ / ٢٣٤).

وتؤكد المصادر أن عمر حمى الحمى من أجل إبل الصدقة فتروي عدة مصادر أن عمر كان يحمل على ثلاثين ألف بعير في سبيل الله كل سنة (ابن سعد ٣ - ١/٢٣٠ عن الواقدي). يذكر مالك أنها أربعين ألفاً (أموال ٧٤٢ وفاء ٢/٢٢٥) ويضيف السمهودي عن مالك «بلغنا أن الخيل التي أعدها عمر رضي الله عنه ليحمل عليها في الجهاد ومن لا مركوب له عدتها أربعون ألفاً».

النقيع

وقد حمى النقيع لخيل المسلمين، والربذة والشرف لإبل الصدقة (ابن سعد ٣ - ١ / ٢٢١ عن الواقدي).

ويروي زيد بن أسلم عن أبيه «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له على الحمى فقال له ويحك يا هني اضمم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فإن دعوته مجابة، ادخل لي رب الصريمة ورب الغنيمة، ودعني من نعم عثمان بن عفان وابن عوف، فإن ابن عفان وابن عوف إن هلكت ماشيتها رجعا إلى المدينة إلى نخل وزرع، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاءني

يصيح : ياأمير المؤمنين! ! والماء والكلأ أهون عليّ من أن أغرم له ذهباً أو ورقاً، والله إن هذه لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام، ولولا هذا النعم الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت على الناس من بلادهم شيئاً (أبو يوسف الخراج ١٠٥، وفاء ٢ / ٢٢٥). ويذكر القاسم بن سلام بعد إيراده هذا النص «قال أسلم فسمعت رجلاً، من بني ثعلبة يقول يا أمير المؤمنين حميت بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية، وأسلمنا عليها في الإسلام، يرددها عليه مراراً وعمر رافع رأسه إليه فقال: البلاد بلاد الله، وتحمى لنعم مال الله يحمل عليها في سبيل الله» (الأموال فقرة ٧٤٠/٧٤٠).

يتبين من هذا النص:

١ ـ أن الأحماء للمصلحة العامة.

٢ ـ يقررها الخليفة.

٣ ـ يشمل أراضي كان بعض الناس قد وضعوا أيديهم عليها.

٤ ـ أنها لأغراض الرعي.

٥ ـ يباح للناس استعمالها فهي ليست ملكية خاصة.

٦ ـ يجوز منع بعض الناس أو كلهم عنها.

٧ ـ ليست لها صبغة قدسية أو دينية أو لأغراض دينية.

يقول الشافعي: «وقول عمر: لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت على المسلمين من بلادهم شبراً. إني لم أحمها لنفسي أو لخاصتي وإني حميتها لمال الله الذي أحمل عليه في سبيل الله، وكانت من أكثر ما عندي مما يحتاج إلى الحمى فنسب الحمى إليها لكثرتها، وقد أدخل الحمى خيل الغزاة في سبيل الله فلم يكن ليحمل عليه أولى بما عنده من الحمى مما تركه أهله ويحملون عليها في سبيل الله لآن كلاً لتعزيز الإسلام، وأدخل فيها الإبل الضوال لأنها قليل لعوام من أهل البعد» . . . إن ما دخل ما فضل من سهمان أهل الصدقة من إبل الصدقة وهم عوام من المسلمين يحتاجون إلى ما جعل لهم مع إدخاله من ضعف عن النجعة ممن قل ماله وفي تماسك أموالهم عليهم غنى

عن أن يدخلوا على أهــل الفيء من المسلمين وكــل هذا وجـه عام النفـع للمسلمين» (الأم ٣/٢٧١).

لقد أثارت مسألة الحمى مشكلات كثيرة وكانت من القضايا التي أخذها بعض المسلمين على الخليفة الثالث عثمان فيرى أبو مخنف بإسناده: «أنكر على عثمان ما أنكر عليه أن حمى الحمى» وهذا كلام غير دقيق، إذ أن عثمان لم يبدأ بإحماء الحمى، بل سبقه في ذلك الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر ولا يكون هذا التعبير صحيحاً إلا إذا افترضنا أن أبا مخنف يشير إلى حمى معين.

وقد نقل الواقدي عن معمر عن الزهري، أن عثمان حمى النقيع لخيل المسلمين وكـان يحمل في كل سنة على خمسمائة فرس وألف بعير. وكانت الإبـل ترعى بناحية الربذة في حمى لها (أنساب ٣٨/٥) غير أن هذه الرواية تناقض الروايات المتعددة الأخرى التي تقول: إن الرسول ﷺ هو الذي حمى النقيع.

فيد

تشير المصـادر إلى حمى فيد (انظر ياقوت ٢ / ٣٤٣ وفاء ٢ / ٢٢١) ويذكر السمهودي: «وفيد منزل في طريق الحاج العراقي مسيرة يوم (؟) من المدينة..

يقـول الأسـدي: وفيد «لطيء لبني نبهان وبه أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم وبه ثلاث عيون، عين النخل احتفرها عثمان بن عفان، والأخرى تعرف بالحارة في وسط الحصن والسوق احتفرها المنصور، والثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدي وبفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا».

ويقول الهجري: وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم ممن كان أول من أحماه ولا كم كانت سعته أول ما أحمى، إلا أن فيداً كان موضعه الذي هو به اليوم فلاة من الأرض بين بني أسـد وطيء. وكـانت إلى جبل طيء أقرب فذكـر أهـل العلم ممن لقيت من أهله أنـه التقطت به ركيتان كانتا جاهليتين التقطهما أناس من بني أبي سلام ومعهم نفر من طيء وهم يرعون هناك في ولاية

بني مروان، وأن أول من حفر به حفراً في الإسلام أبو الديلم مولى فزارة فاحتفر العين التي هي اليوم قائمة وأساحها وغرس عليها، وكانت في يده حتى قام بنو العباس فقبضوها فهي اليوم في أيديهم (وفاء ٢ / ٢٣٥ ـ ٦).

ويعقب السمهودي على كلام الهجري بقوله «وكأنه لم يقف على ما ذكره الأسدي من عين عثمان رضي الله عنه. ولعله أول من أحماه» (وفاء ٢ / ٢٣٦).

فإذا صح هذا الاستنتاج يكون مبعث الانتقاد على عثمان هو اتخاذه فيداً حمى، وهذا عمل لا يثير كافة المسلمين بل لا بد أنه أثار بعضهم.

وقد نقل السمهودي ملخص البحث المفصل الذي ذكره الهجري عن حمى فيد.

تذكر روايات أخرى أن عثمان زاد في الحمى فيروي أبو مخنف أن الثائرين على عثمان كان مما عابوه عليه فقالوا: زدت في الحمى لإبل الصدقة على ما حمى عمر فقال إنها زادت في ولايتي (أنساب ٥ / ٦٢) فقالوا أرأيت ما حميت من الحمى الله أذن لك؟ أم على الله تفتري؟. فقال: امضه. نزلت في كذا وكذا، قال وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زادت إبل الصدقة (طبري ١ / ٢٩٦٣).

ويروي الطبري أيضاً أن عائشة خطبت من مكة بعد مقتل عثمان، وكان مما قالته: «اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب واستعمال من حدثت سنه وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها» (طبري ١ / ٣٠٩٧).

وروى الطبري أن عثمان قال «وقالوا حميت حمى، وإني والله ما حميت، حُميَ قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعيه واحداً واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون

بين من يليها وبين أحد تنازع. ثم ما منعوا ولا نحّوا منها أحداً إلا من ساق درهماً ومالي من بعير غير راحلتين، ومالي ثاغية ولا راغية وإني قد وليت وإن أكثر العرب بعيراً وشاء فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجّي» (طبري ١ / ٢٩٥٢).

وقد أشارت المصادر إلى إضافات عثمان للحمى وتوسيعه إياه فيروي الهجري أن حمى ضرية كان ستة أميال من كل ناحية «حياة عمر وصدراً من ولاية عثمان ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين ألف بعير فضاق عنه الحمى فأمر عثمان أن يزاد ما يسع إبل الصدقة وظهران الغزاة فزاد زيادة لم يحددوها إلا أن عثمان اشترى ماء من مياه بني ضبينة كان أدنى مياه غنى إلى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت في حمى عثمان (وفاء ٢ / ٢٢٧) غير أن هذا العمل لا يكفي لتوضيح سبب الاحتجاج الشديد على عثمان بسبب الحمى.

الأمويون والحمى:

لم يذكر من العصر الأموي سوى حمى واحد، فيروي ابن شبة عن أبي عبيدة «كان زياد قد أرعى مسكِيْناً الدارمي حمى له بناحية العُذيْب في عام قحط حتى أخصب الناس» (الأغاني ١٨/٦٨).

ونحن نرجح أن الأمويين لم يحاولو إحماء حِمَى جديد تحاشياً من أن تحدث لهم المشاكل التي حدثت لعثمان. واكتفوا بتوسيع الحمى التي كانت مقررة قبل مجيئهم.

ولا شك أن الأحماء كانت تحدث مشاكل فإن الروايات تظهر أن الغرض الرئيسي منها هو مراعي للإبل والخيل، وربما الأغنام. غير أن خصوبة أرضها كانت تودي إلى تجاوزات عليها مما كان يتطلب حراسة قوية واشتباكات غير قليلة سجلت الكتب بعضها. يضاف إلى ذلك أن تطور الحياة الاقتصادية ومحاولات إحياء الأراضي الزراعية امتد إلى هذه المناطق. وأن هذا الاحياء كان يؤدي إلى خلق الملكيات الفردية في داخل الحمى وإلى تقليص مساحة

المراعي فيه مما يتطلب إضافة أراض جديدة إليه لتعوض عما تفقده المراعي من مساحات وهكذا كانت الأحماء مناطق معرضة لكثير من المشاكل الاقتصادية والمالية فضلاً عن مشاكل الأمن الذي يحدث نظراً لموقعها النائي نسبياً في الصحراء، وبعدها عن مقرات الجيوش، وسعة مساحاتها وانكشاف حدودها وكثرة البدو القريبين منها، الأمر الذي يتطلب لها إدارة قوية وحراسة يقظة.

غير ان إدارة الحمى لم تقتصر على حمايته من التجاوزات، بل كان عليها أن تنظر أيضاً في حل كثير من المشاكل التي كانت تحدث بين الرعاة والزراع أنفسهم أو مع بعضهم، هذا فضلاً عن الإشراف على إبل الصدقة ومواشيها. وهو أم غير سهل.

يروي ابن سعد أن عمر بن عبدالعزيز «كتب فيما حمى من الأرض ألا يمنع أحد مواقع القطر فابح الأحماء ثم أباحها» (ابن سعد ٥/٢٨١).

ويروي ابن عبدالحكم أنه كتب «ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة. وقد كانت تحمى فتجعل فيها نعم الصدقات فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس فنرى في ترك حماها والتنزه عنها خيراً إذا كان ذلك من أمر وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، إنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء» (سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٨١).

وقد كانت بجانب الأحماء العامة، أحماء شخصية، وقد أشار جرير إلى ذلك بقوله:

ونرعى حمى الأقوام غير محرم علينا ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وقد روى ابن عبدالبر أن عمر بلغه عن يعلى بن أمية وكان عاملاً على اليمن أنه حمى لنفسه فأمره أن يمشي على رجليه إلى المدينة فمشى أياماً إلى صعدة فبلغه موت عمر فركب» (وفاء ٢ / ٢٢٥).

الفصل الثالث عشر

العَطاء والرزق وتطور تنظيمه في الحجاز

من أبرز ما تتميز بـه الأمصار الإسلامية في العهود الأولى هو أن معظم سكانها العَرب كانوا يتسلمون من الدولة مقداراً مقرراً من المال سنوياً يسمى العطاء الذي كان من أهم أبواب الصرف في الدولة والمعتمد الأساس للناس في معاشها، لذا كانت له أهمية رئيسة في الحياة الاقتصادية ومعيشة الناس. وبالنظر لهذه الأهمية ولكون الدولة هي التي تقوم بتوزيعه فقد كان له أثر في ازدياد أهمية دور الحكومة في معيشة الناس وتنظيمها، كما أنه وفر لها الوسيلة للهيمنة على الناس وحياتهم المعاشية.

ويعتمد العطاء بالدرجة الأولى على الوضع المالي للدولة ومقدار مواردها، ولما كانت هذه الموارد محدودة وغير ثابتة في زمن الرسول ﷺ، لذلك لم يكن مقدار ما يعطى للأفراد ثابتاً، غير أن المبدأ الأساس هو توزيع هذه الموارد على المسلمين، والمقاتلة خاصة.

ولما ولي أبو بكر الخلافة ازداد عدد المسلمين، وكثر عدد المقيمين في المدينة بصورة خاصة، وازدادت موارد الدولة، فكان لا بد أن تبرز مشكلة تنظيم توزيع العطاء.

تذكر الروايات أن أبا بكر «كان يسوي بين الناس في القسم، الحر والعبد، والذكر والأنثى والصغير فيه سواء»[1]. ويروى بسند عن عائشة أنها

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٥١، ١٣٧، ٢١٣ أبو يوسف، كتاب الخراج ص ١٤ اليعقوبي ٢ / ١٥١، ١٥٤ الشافعي الأم ١ / ١٣٤.

قالت: «قسم أبي أول عام الفيء، فأعطى الحر عشرة وأعطى المملوك عشرة والمرأة وأمتها عشرة، ثم قسم في العام الثاني فأعطاهم عشرين»[1] ويقول اليعقوبي أن أبا بكر «وجه العلاء الحضرمي في جيش فافتتح الزارة وناحيتها من أرض البحرين، وبعث إلى أبي بكر بالمال فكان أول مال قسمه أبو بكر في الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد، لكل إنسان»[2].

إن روايتي ابن سعد واليعقوبي لا تتناقضان، إذ تدلان على أن أبا بكر كان يوزع كافة ما يرده، فأصاب الفرد من ذلك مرة ديناراً (عشرة دراهم) ومرة عشرين درهماً.

وكان أبو بكر يوزع العينيات أحياناً، فيروي ابن سعد أن أبا بكر اشترى مرة في الشتاء قطائف أتى بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة[3].

أما طريقة التوزيع فيروي ابن سعد أنه «كان أبو بكر يقسمه على الناس نفراً نفراً، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا» ويقول أيضاً أن أبا بكر كان يعطي كل ما في بيت المال حتى لا يبقى فيه شيء[4] كما يذكر أنه لما توفي أبو بكر «دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخل بهم بيت مال أبي بكر، ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهماً، ووجدوا خيشة للمال ففتحت فوجدوا فيها درهماً فرحموا على أبي بكر»[5]. وكان أبو بكر يأخذ في كل يوم من بيت المال ثلاثة دراهم أجرة[6].

ويتبين مما تقدم أن أبا بكر وضع أسس تنظيمات مستقرة للعطاء، وأنه

---

١ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ١٣٧.

٢ ـ اليعقوبي ٢ / ١٠١.

٣ ـ ابن سعد ٢ / ١٥٢.

٤ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٥١.

٥ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٥٢.

٦ ـ اليعقوبي ٢ / ١٥٤.

وزع كل ما كان يرده من مال بالتساوي على كافة الناس دونما تمييز ولا ريب أن قلة المال الوارد وقصر مدة خلافة أبي بكر كانا من العوامل التي جعلته يتبع هذه القاعدة خلال مدة خلافته القصيرة

تنظيم العطاء في خلافة عمر بن الخطاب:

ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر، تمت في خلافته أحداث خطيرة أبرزها أن العرب المسلمين استطاعوا فتح أقاليم واسعة غنية ذات موارد مالية كبيرة وثابتة، وزاد عدد المقاتلة المشتركين في الفتوح، فكان لا بد أن يقوم الخليفة عمر بضبط الموارد وتنظيم توزيعها على الناس وفق أسس تلائم الأحوال الجديدة. فيروي أبو يوسف «لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص شاور أصحاب محمد ﷺ في تدوين الدواوين، وقد كان اتبع رأي أبي بكر في التسوية بين الناس فلما جاء فتح العراق شاور الناس في التفضيل»[1]، ويروى عن ابن أبي نجيح قوله «فلما كان عمر بن الخطاب وجاءت الفتوح فَضَّل، وقال لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه، ففرض لأهل السوابق والقدم، وأنزلهم على قدر منازلهم من السوابق»[2]. ويروى عن أبي معشر عن مولى عمرة وغيره أنه «لما جاءت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفتوح وجاءت الأموال قال إلا أن أبا بكر رضي الله عنه رأى في هذا المال رأياً ولي فيه رأي آخر، لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه»[3]، ويروى عن المجالد بن سعيد عن الشعبي «أن عمر لما فتح الله عليه وفتح فارس والروم جمع أناساً من أصحاب رسول الله فقال ما ترون، فإني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المال فإنه أعظم للبركة، قالوا اصنع ما رأيت فإنك إن شاء الله موفق»[4].

---

١ ـ الحراج ٢٤.

٢ ـ الخراج ٢.

٣ ـ الخراج ٤٣.

٤ ـ الخراج ٤٤.

أما أبو عبيد القاسم بن سلام فيروي أنه «لما افتتح عمر العراق والشام وجبى الخراج جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله الذين افتتحوه»(١).

ويروي أبـو يوسف عن محمـد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمه بن عبدالرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال «قدمت من البحرين بخمسمائة ألف دزهم، فأتيت عمر ممسياً، فقال عمر أيها الناس إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا وإن شئتم أن نعد لكم عددنا وإن شئتم أن نزن لكم وزنًا، فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين دَوِّن للناس دواوين ليعطوا عليها، فاشتهى عمر ذلك»(٢).

ويروى بسند عن سعيد بن المسيب أنه «لما قدم على عمر رضي الله عنه بأخماس فارس. . ثم قال انحثوا لهم أو نكيل لهم بالصاع؟ قال ثم أجمع رأيه على أن يحثو لهم فحثا لهم، فقال وهذا قبل أن يدون الدواوين»(٣).

ويروي القاسم بن سلام عن عبدالله بن صالح عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية فقال: ومن أراد أن يسأل عن المال فيأتني فإن الله تبارك وتعالى جعلني له خازناً أو قاسماً، إني بادٍ بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهن ثم المهاجرين الأولين(٤).

ويروي الواقدي عن عدة رواة أن عمر بن الخطاب أجمع على تدوين الدواوين في المحرم سنة ٢٠ هـ(٥).

ويقول اليعقوبي إنه في سنة ١٨ «أجرى عمر الأقوات في تلك السنة

---

١ ـ الأموال فقرة ٥٤٩.

٢ ـ الحراج ٤٥.

٣ ـ الخراج ٤٧

٤ ـ الأموال ٥٤٧

٥ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣ البلاذري: فتوح البلدان ٤٥٠.

على عيالات قوم من المسلمين»[1].

يتبين من هذه النصوص أن تنظيم العطاء لم يتم حال تولي عمر الخلافة، ومن المحتمل أن رواية أبي يوسف عن أشياخه من المدنيين (الخراج ٢٤) تنطبق على كيفية الإعطاء قبل تنظيم الخراج، أما النصوص الأخرى فأكثرها تتحدث عن تنظيم الخراج بعد توسع الفتوح وازدياد الموارد، دون تحديد وقته بالضبط. أما رواية الواقدي فتشير صراحة إلى أنه تم سنة ٢٠ ولكن رواية أبي هريرة (الخراج ٤٥) تدل على أنه حدث قبل ذلك. وتشير رواية ابن سلام (٥٤٧) إلى أن الخراج كان قد تقرر في مؤتمر الجابية ولعله قبل ذلك فهي تتسق مع رواية أبي هريرة. وأما رواية اليعقوبي فإنها تحدد تنظيم العطاء سنة ١٨ هـ.

يروي أبو عبيد عن ابن عمر أن عمر «كان لا يعطي أهل مكة عطاء ولا يضرب عليهم بعثاً ويقول هم كذا أو كذا كلمة لا أحب أن أقولها»[2]. غير أن روايات أخرى تشير إلى أنه كان يعطي كل من يساهم في الفتوح دون أي تمييز.

فيروي القاسم بن سلام بسند عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان «يوصي من يؤمره على جيش أو سرية «وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن فعلوا فإن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين»[3]. ويروى عن عبد الله بن صالح عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه «أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية، ثم قال فمن أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه

---

١ ـ التاريخ ٢ / ١٧٠.

٢ ـ الأموال ٥٦٣

٣ ـ الأموال ٥٢٣.

العطاء، فلا يلومنّ رجل إلا مناخ راحلته»[1]. ويروى عن نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبيه عن أبي عبيدة بن الجراح «أن رجالاً من أهل البادية سألوا عمر أن يرزقهم فقال لا والله لا أرزقكم حتى أرزق أهل الحاضرة، فمن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة»[2]. ويروى عن أبي اليمان عن صفوان بن عمر قوله «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى يزيد بن الحصين أن مر للجند بالفريضة، وعليك بأهل الحاضرة، وإياك والأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم»[3].

وقد علق أبو عبيد القاسم بن سلام على هذه الروايات بقوله «فأما دور الأعطية على المقاتلة وإجراء الأرزاق على الذرية فلم يبلغنا عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الأئمة بعده أنه فعل ذلك إلا بأهل الحاضرة الذين هم أهل الغناء عن الإسلام، وقد روى عن عمر شيء كأنه مفسر لهذا القول»[4] وهو يروي عن عبدالرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عمر العمري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال عمر ما من أحد من المسلمين إلا له في هذا المال حق أو منه. وهو يروي عن إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان عن الزهري أن العباس وعلي دخلا على عمر يختصمان «فذكر عمر الأموال وقال، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له حق فيها، أو قال حظ، إلا بعض من تملكون من أرقائكم، فإن عشت إن شاء الله لأوتين كل مسلم حقه، أو قال حظه، حتى يأتي الراعي بسرو حمير لم يعرق فيه جبينه»[5].

ويروي ابن سعد عدة روايات عن زيد بن أسلم «سمعت عمر بن

---

١ ـ الأموال ٥٤٨.

٢ ـ الأموال ٥٥٨.

٣ ـ الأموال ٥٥٩.

٤ ـ الأموال ٥٦٢.

٥ ـ الأموال ٥٢٥ انظر أيضاً ابن سعد ٢ ـ ١ / ٢١٥، المدونة لمالك ٢ / ٦.

الخطاب يقول والله لئن بقيت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم رجلاً واحداً»[1].

ويروي الواقدي عن ابن الكلبي عن أبيه بسند قال «رأيت عمر بن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديداً فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى توفي»[2].

ويمكن التوفيق بين الروايات المذكورة آنفاً بأن عمر بن الخطاب كان يعطي العطاء لكل أهل المدينة، ولمن يساهم في الفتوح من غيرهم، وأنه كان يفكر في تعميم العطاء على كل أهل الجزيرة، ولكنه لم ينفذ ما فكر فيه، فبقيت سجلات الديوان مقصورة على المدينة فقط، وبموجبها يدفع العطاء حتى لمن لم يجعل مقامه الثابت فيها.

لم يتبع الخليفة عمر بن الخطاب في العطاء مبدأ التسوية الذي سار عليه أبو بكر. وقال «لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه أهل السوابق والمشاهد في الفرائض»[3].

اتخذ عمر معركة بدر أساساً في توزيع العطاء، فأعطى من اشترك فيها أعلى العطاء، وقد اختلفت الروايات في مقدار ما خصص لأهل بدر، فيروي مصعب بن سعد أن عمر فرض للمهاجرين البدريين ستة آلاف درهم[4] ويروي ابن سعد بسند عن ابن عمر أنه فرض لهم أربعة آلاف[5] ويروي اليعقوبي أن أهل بدر كانوا في ثلاثة آلاف[6] غير أن الأغلبية المطلقة للمصادر تذكر أن عمر

---

١ - ابن سعد ٣ - ١ / ٢١٧.

٢ - ابن سعد ٣ - ١ / ٢١٤.

٣ - الخراج ٤٣، ابن سعد ٣ - ١ / ٢١٣ عن ابن أبي نجيح وأبي معشر.

٤ - الأموال ٥٥٢، ابن سعد ٣ - ١ / ٢١٩

٥ - ابن سعد ٤ - ١ / ٣٤٩ - ١ / ٢٩١ الأموال ٥٥٢.

٦ - التاريخ ٢ / ١٧٥

فرض لأهل بدر في خمسة آلاف[1] ومن الطبيعي أن تعدد هؤلاء الرواة يرجح أن المهاجرين من أهل بدر كانوا في خمسة آلاف من العطاء.

أما الأنصار من أهل بدر فإن مصعب بن سعد يروي أنهم كانوا في ستة آلاف[2] ويروي الزهري عن سعيد بن المسيب أنهم في أربعة آلاف[3] وهذا هو رأي أبي هريرة[4] واليعقوبي[5] ويذكر أبو يوسف أنهم كانوا في ثلاثة آلاف[6]. ويروي عدد من الرواة أن الأنصار من أهل بدر كانوا في خمسة آلاف من العطاء[7]. والرواية الأخيرة أرجح إذ تنسجم مع المبدأ الإسلامي في عدم التمييز بين الأنصار والمهاجرين.

يروي أبو معشر عن مولى عمرة وغيره أن عمر «فرض لمن كان إسلامه كإسلام أهل بدر ولم يشهد بدراً أربعة آلاف»[8]. ومن الواضح أن هذا النص غامض، وأوضح منه رواية ابن سعد أن عمر «فرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر، من مهاجرة الحبشة ومن شهد أحداً، أربعة آلاف لكل منهم»[9]. ويروي الشعبي أن عمر فرض لكل رجل من مهاجرة الحبشة أربعة آلاف درهم[10]

١ ـ انظر رواية الزهري ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٩، ١١٣ الأموال ٥٥٢، ٥٦٩ وابن أبي نجيح في ابن سعد ٤ ـ ١ / ١٩ الأموال ٥٥٣ وانظر أيضاً الطبري ١ / ٢٤١٢، ورواية الشعبي وأبو معشر في الخراج ٤٣ ـ ٤٤.

٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢٩١ الأموال ٥٥٢.

٣ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٩ الأموال ٥٥٢، ٥٦٩.

٤ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ١١٦.

٥ ـ التاريخ ٢ / ١٧٥.

٦ ـ الخراج ٤٥

٧ ـ هذا هو رأي ابن أبي نجيح: ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣، ٢١٩، وقيس بن أبي خازم (الأموال ٥٥٣ وأبي معشر الخراج ٤٣).

٨ ـ الخراج ٤٣.

٩ ـ اس سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣.

١٠ ـ الخراج ٤٤.

المقصود بمهاجرة الحبشة هم الذين ظلوا فيها ولم يعودوا إلا بعد صلح الحديبية، أما الذين شهدوا أحداً فلم يذكر أحد من الرواة، غير من ذكرناه أعلاه، مقدار عطائهم، ويؤيد هذا قول الطبري أن عمر فرض «لكل رجل أسلم بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف درهم»[1] ويذكر ابن سعد رواية تنص على أنه فرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم[2] ويروي أيضاً بسند عن يزيد بن حبيب أن عمر بن الخطاب أمر عمرو بن العاص أن يفرض لمن بايع تحت الشجرة مائة دينار[3] ولا ريب أن المقصود بمن شهد أحداً في هذا النص، من أسلم بين بدر وأحد أما من شهد الحديبية فيقصد به من أسلم بعد أحد وقبل الحديبية. أما الذين أسلموا بعد فتح مكة فقد وردت عن مقدار ما فرض لهم روايات مختلفة، فيروي الطبري أن عمر «فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولي الأيام قبل القادسية، كل هؤلاء ثلاثة آلاف»[4] أما ابن سعد فإنه يروي أن عمر «فرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين»[5].

ويروي أبو معشر عن مولى عمرة أن عمر «فرض لأهل مكة والناس ثمانمائة ثمانمائة فجاء طلحة بن عبيدالله بأخيه عثمان ففرض له ثمانمائة»[6] ويذكر اليعقوبي أن عمر فرض «في أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة»[7].

ومن الواضح أن روايتي الطبري وابن سعد متقاربتان ومنسجمتان مع ما

---

١ ـ طبري ١ / ٢٤١٢.

٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤.

٣ ـ ابن سعد ٤ ـ ٢ / ٨ الأموال ٥٥٤.

٤ ـ الطبري ١ / ٢٤١٢.

٥ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤.

٦ ـ الخراج ٤٣.

٧ ـ التاريخ ٢ / ١٧٥.

قبلهما، أما روايتا أبي معشر واليعقوبي فهما متقاربتان ولكنهما لا تنسجمان مع الروايتين الأوليتين، ومن المحتمل أن عمر فرض لمن أسلم وساهم في الفتوح ألفي درهم، أما من أسلم ولم يساهم في الفتوح فقد فرض له ثمانمائة.

عطاء الأولاد:

يذكر ابن سعد أن عمر فرض لكل من أبناء البدريين ألفي درهم(١) ويؤيد هذا أبو معشر حيث يروي أن عمر «فرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين»(٢) ويذكر ابن سعد أيضاً أن عمر فرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح(٣) وقد ذكرنا أعلاه أن ابن سعد يذكر أن عمر فرض لهؤلاء ألفي درهم.

وقد أفرد الخليفة عمر لبعض الأفراد عطاء خاصاً، فقد فرض لعبدالله بن عمر في ثلاثة آلاف(٤) ولعمر بن أبي سلمة في أربعة آلاف، أما أسامة بن زيد فقد ذكرت بعض الروايات أنه فرض له في أربعة آلاف(٥) وذكرت روايات أخرى أنه فرض له في ثلاثة آلاف وخمسمائة(٦).

وقد فرض عمر للأولاد عند فطامهم، غير أنه سرعان ما عدل عن ذلك وأخذ يفرض لهم حال ولادتهم. وتروي المصادر أن هذا التغيير حدث بعد أن مر عمر بامرأة وهي تحاول فطام طفلها قبل الأوان، الأمر الذي كان يسبب أخطاراً للطفل، فلما سألها عمر عن سبب ذلك قالت «لأن عمر لا يفرض إلا للفطم، قال وكم له قالت كذا وكذا شهراً، قال ويحك لا تعجليه، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣.

٢ ـ الخراج ٤٣.

٣ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤.

٤ ـ ابن سعد ٤ ـ ١ / ١١٢.

٥ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤، ٤ ـ ١ / ٤٩.

٦ ـ ابن سعد ٤ ـ ١ / ٤٩.

المسلمين، ثم أمر منادياً: ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرض لكل مولود في الإسلام[1].

لقد كان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم[2] وقد سار الخلفاء من بعد عمر على هذه القاعدة، فكانوا يفرضون للأطفال مائة، فيروي الحسن بن موسى عن زهير عن أبي إسحاق «قدم جدّي الخيار على عثمان فقال كم معك من عيالك يا شيخ فقال إن معي فذكر، فقال أما أنت يا شيخ فقد فرضنا لك خمس عشرة، يعني ألفاً وخمسمائة، ولعيالك مائة مائة»[3].

ويروي يزيد بن هارون عن فضيل بن عطية قال «لما ولدت أتى بي أبي علياً فأخبره ففرض لي في مائة، ثم أعطى أبي عطاءً»[4] ويروي عبدالرحمن عن سفيان عن أبي الجحاف عن رجل من خثعم أنه قال «ولد لي ولد فأتيت علياً فأثبته في مائة»[5].

وفي كتاب الأموال ما يشير إلى أن الخليفة عثمان كان يعطي الوليد خمسين فإذا بلغ من العمر سنة جعله في مائة، فهو يروي عن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن هلال المديني عن أبيه عن جدته أنها كانت تدخل على عثمان بن عفان، ففقدها يوماً، فقال لأهله مالي لا أرى فلانة، فقالت امرأته يا أمير المؤمنين ولدت الليلة غلاماً، قالت فأرسل إليّ بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية، ثم قال هذا عطاء ابنك وكسوته، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة»[6].

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٧ المدونة ٢ / ٢٦٣ الأموال ٥٨١

٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤ المدونة ١ / ٢٦ الطبري ١ / ١٤١٣ الخراج ٢٧ فتوح البلدان ٤٥٢ الأموال ٤٥٩.

٣ ـ ابن سعد ٦ / ٢١٩ الأموال ٥٨٣.

٤ ـ ابن سعد ٦ / ٢١٢.

٥ ـ الأموال ٥٨٤.

٦ ـ الأموال ٥٨٢.

وفي خلافة معاوية حدث تعديل آخر، فيروي يحيى بن بكر عن ابن لهيعة عن أبي قبيل أنه «كان الناس في زمن عمر بن الخطاب إذا ولد المولود فرض في عشرة[1]، فإذا بلغ أن يفترض ألحق به، فلما كان معاوية أفرد المولود وجعل ذلك للفطيم، فلم يزل كذلك حتى قطع عمر بن عبدالعزيز بن مروان ذلك كله إلا لمن شاء»[2].

ويروي أزهر السمان عن ابن عون أن «ذكر عند محمد أن عمر بن عبدالعزيز أقرع بين الفطيم، فأنكره وقال ما أرى هذا إلا من الاستقسام بالأزلام»[3].

ويروي القاسم بن سلام بسند عن سليمان بن حبيب «أن عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة ولذريتهم العشرات، قال فأمضى عثمان ومن بعده من الولاة ذلك وجعلوها موروثة يرثها ورثة الميت منهم ممن ليس في العطاء والعشرة، حتى كان عمر بن عبدالعزيز، قال سليمان بن حبيب: فسألني عمر عن ذلك فأخبرته، فأنكر الوراثة وتركهم عموماً من عيال من ليس في الديوان من المسلمين، وقال أقطع الوراثة وأعم الفريضة، قال سليمان: فقلت مهلاً يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن يسن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة، قال صدقت اتركهم»[4].

يتبين من هذه النصوص الثلاثة:

١ - أن عمر بن الخطاب كان يفرض للمولود مائة درهم، فإذا بلغ ألحقه بالعطاء.

٢ - أن معاوية أبطل الفرض للوليد، وجعله للفطيم.

٣ - أن عمر بن عبدالعزيز أبطل ما كان معمولاً به، وصار يفرض لمن يشاء، وأنه كان يختار بين الفطيم بالقرعة، بعد أن كانت وراثية، ويستدل من النصين الثاني

---

١ - يقصد عشرة دنانير وهي تعادل مائة درهم.

٢ - الأموال ٥٩٧.

٣ - الأموال ٥٨٧.

٤ - الأموال ٥٩٦.

والثالث أنه لم يكن يفرض لكل الأولاد، بل يقتصر الفرض على بعضهم، وربما كان يقتصر على ولد واحد يرث أباه، ولا بد أن اختيار الولد كان يجري على أسس مقننة إلى أن أبطلها عمر بن عبدالعزيز فجعل الاختيار بالقرعة، ولما كانت التقاليد الاجتماعية تجعل للابن الأكبر مكانة خاصة، فالراجح أنه هو الذي كان يرث الفريضة، وأن عمر بن عبدالعزيز أبطل ذلك وجعل يختار بالقرعة بين الأولاد، ويدل النص الثالث على أن التعديل الذي أدخله عمر بن عبدالعزيز في الاقتراع لم يمس مبدأ الوراثة الذي ظل معمولاً به ولكن أصبح يشمل كل من تمسهم القرعة بعد أن كان مقصوراً على الابن الأكبر فحسب. إن هذا الاستنتاج لا يناقضه النصان الأولان اللذان لم يشيرا إلى أن الفرض كان يشمل كافة الأولاد.

عطاء النساء:

في المصادر نصوص متعددة ومتباينة عن عطاء زوجات الرسول ﷺ، وتكاد الروايات تتفق على أن عمر فرض لعائشة اثني عشر ألف درهم، ولكن الرواة يختلفون في مقدار ما فرضه لبقية الزوجات، فيروي يزيد بن هارون بسند عن أبي هريرة أن عمر أعطى كل واحدة منهن اثني عشر ألف درهم[1]. ويروي اليعقوبي أنه أعطى كلًا من أم حبيبة وحفصة اثني عشر ألف درهم[2]. ويروي الشعبي أن عمر أعطى بقية زوجات النبي عشرة آلاف[3]. ويروي الزهري أن عمر فرض لكل من صفية وجويرية ستة آلاف[4].

أما اليعقوبي فيقول إنه فرض لصفية وجويرية خمسة آلاف[5] والراجح أن عمر أعطى عائشة اثني عشر ألفاً، وأعطى بقية زوجات النبي عشرة آلاف بدون

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٦ الخراج ٤٥.

٢ ـ التاريخ ٢ / ١٧٥.

٣ ـ الخراج ٤٤ الأموال ٥٤٩، ٥٥١ الطبري ١ / ٢٤١٣ وانظر أيضاً رواية أبي معشر في الخراج ٤٢.

٤ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣، ٢١٩ الأموال ٥٥٢، ٥٩٧.

٥ ـ التاريخ ٢ / ١٧٥.

أن يفرد إحداهن بعطاء أكثر أو أقل، إذ ليس للإفراد مبرر فيما عدا حالة عائشة بالنظر لمكانتها الخاصة ومكانة أبيها.

أما بقية النساء فيروي ابن سعد عن مصعب بن سعد أن عمر فرض لكل من المهاجرات الأول: أسماء بنت عميس، وأسماء بنت أبي بكر، وأم عبد الله بن مسعود ألف درهم[1]. وفي رواية أخرى له أن عمر فرض لصفية بنت عبدالمطلب ستة آلاف درهم ولكل من أسماء بنت عميس وأم كلثوم بنت عقبة وأم عبد الله بن مسعود ألف درهم، وأنه فضل النساء المهاجرات فجعل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم[2].

ويذكر الطبري أن عمر «جعل نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعدهم إلى الحديبية في أربعمائة أربعمائة، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلاثمائة ثلاثمائة»[3].

والأرجح فيما يبدو أن المهاجرات فضلن على غيرهن، فكان يعطي كلاً منهن ألفاً، أما بقية النساء من أهل بدر فكن في خمسمائة، ومن بعدهم إلى الحديبية أربعمائة، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلاثمائة، كما ذكر الطبري.

تنظيم توزيع العطاء:

يتبين مما أوردناه آنفاً أن تقدير العطاء كان على أساس فردي، أي أنه كان يقدر لكل فرد مقدار معين من العطاء يتناسب مع وضع هذا الفرد في الإسلام، أما توزيعه فلم يكن من السهل أن يتم على الأساس الفردي، لذا كان يجري على أساس العشائر، أي يحسب ما يستحقه أفراد كل عشيرة ويعطي مجموع الاستحقاق إلى العريف الذي يوزعه إلى أفراد العشيرة[4].

---

١ - ابن سعد ٣ - ١ / ٢١٩ الأموال ٥٥٢، ٥٩٢.

٢ - ابن سعد ٣ - ١ / ٢١٤.

٣ - الطبري ١ / ٢٤١٣.

٤ - انظر عن توزيع العطاء في البصرة كتابي «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» =

وقد تطلب تنظيم توزيع العطاء تثبيت عدد الأفراد في كل عشيرة، وتثبيت عدد العشائر، وترتيب الأسبقية فيهم عند العطاء، ومن الطبيعي أن يحافظ عمر على التقسيم الطبيعي لسكان المدينة بعد الإسلام، فيميز فيهم قسمين رئيسين: قريش والأنصار، أما بقية أفراد القبائل الحجازية فليست لدينا معلومات عن وضعهم في تنظيمات عمر.

فأما عشائر قريش فإن الواقدي يذكر أنه «لما دون عمر بن الخطاب الديوان كان أول من بدأ به في المدعى بني هاشم، ثم كان أول بني هاشم يدعى العباس بن عبدالمطلب في ولاية عمر وعثمان»[1].

ولعل أوسع تفصيل عن تنظيم عشائر قريش في العطاء هو ما ذكره الشافعي في كتاب (الأم) حيث قال «أخبرنا غير واحد من أهل العلم والصدق من أهل المدينة ومكة منن قبائل قريش وغيرهم، وكان بعضهم أحسن اقتصاصاً للحديث من بعض، وقد زاد بعضهم على بعض في الحديث: أن عمر لما دوّن الديوان قال أبدأ ببني هاشم، ثم قال حضرت رسول الله ﷺ يعطيهم وبني المطلب، فإذا كانت السن في الهاشمي قدمه على المطلبي، وإذا كانت في المطلبي قدمه على الهاشمي، فوضع الديوان على ذلك وأعطاهم عطاء القبيلة الواحدة.

ثم استوت له بنو عبد شمس ونوفل في جذم النسب، فقال عبد شمس إخوة النبي ﷺ لأبيه وأمه دون نوفل، فقدّمهم، ثم دعا بني نوفل يتلونهم.

ثم استوت له عبدالعزى وعبدالدار، فقال في بني أسد بن عبدالعزى أصهار النبي ﷺ وفيهم أنهم من المطيبين، وقال بعضهم وهم من حلف الفضول، وفيهم كان النبي ﷺ وقد قيل ذكر سابقة، فقدمهم على بني عبدالدار،

= ص ٤٧ فما بعد حيث أوردت ما توفر من نصوص عنها، والراجح أن الأساليب المتبعة في العراق كانت تطبق في الحجاز الذي ليست لدينا عن تنظيم توزيعه فيه نصوص وافية.

١ - ابن سعد ٤ - ١ / ٢١.

ثم دعا بني عبدالدار يتلونهم.

ثم انفردت له زهرة فدعاها تتلو عبدالدار.

ثم استوت له بنو تيم ومخزوم، فقال في بني تيم أنهم من حلف الفضول والمطيبين وفيهما كان النبي ﷺ وقيل ذكر سابقة، وقيل ذكر صهراً، فقدمهم على مخزوم، ثم دعا بني مخزوم يتلونهم.

ثم استوت له سهم وجمح وعدي بن كعب، فقيل له ابدأ بعديّ فقال بل أقرّ نفسي حيث كنت، فإن الإسلام دخل وأمرنا وأمر بني سهم واحد، ولكن انظروا بني سهم وجمح فقيل قدِّم بني جمح، ثم دعا بني سهم فقال وكان ديوان عدي وسهم مختلطاً كالدعوة الواحدة...

ثم دعا بني عامر بن لؤي... فقدم معاوية بعد بني الحرث بن فهر ففصل بهم بين بني عبد مناف وأسد بن عبدالعزى.

وشجر بين بني سهم وعدي شيء في زمان المهدي فافترقوا، فأمر المهدي ببني عدي فقدموا على سهم وجمح»[1].

وفي المصادر إشارات متفرقة إلى تنظيم عطاء بعض عشائر قريش في المدينة. فيروي ابن سعد أنه «هاجر كثير وزبيد وعبدالرحمن بنو الصلت إلى المدينة فسكنوها وحالفوا بني جمح بن عمرو من قريش، فلم يزل ديوانهم ودعوتهم معهم حتى كان زمان المهدي أمير المؤمنين فأخرجهم من بني جمح وأدخلهم في حلفاء العباس بن عبدالمطلب فدعوتهم اليوم معهم وعيالهم بعد في بني جمح»[2].

وينقل ابن حجر رواية عن كعب بن عدي التنوخي أنه قال «كنت شريكاً لعمر بن الخطاب فلما فرض الديوان فرض لي في بني عدي بن كعب.. وكان

---

١ ـ الأم ٤ / ٨٢.

٢ ـ ابن سعد ٥ / ٧.

ولده بمصر يأخذون العطاء في بني عدي بن كعب حتى نقلهم أمير مصر في زمن يزيد بن عبدالملك إلى ديوان قضاعة»(١).

ويروي الزبير بن بكار «كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك: إن رأى أمير المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم، فكتب إن رضي بذلك آل الزبير فافعل، فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى مناديه بني مخزوم فناداه عثمان بن عمرو وقال. . فأمر مناديه فنادى بني أسد بن عبد العزى ثم مضى على الدعوة»(٢).

أما الأنصار فإن الواقدي يذكر أن عمر بن الخطاب لما دون الدواوين نظم ديوان قريش «حتى انتهى إلى الأنصار، فقالوا بمن نبدأ فقال عمر ابدأوا برهط سعد بن معاذ الأشهلي ثم الأقرب فالأقرب لسعد بن معاذ»(٣) ويتبين من هذا أن ديوان الأنصار كان يبدأ ببني عبد الأشهل، ومما يؤيد أن بني عبد الأشهل كانوا وحدة عشائرية في العطاء ما يذكره ابن سعد أن «بنو حريش بن عدي دعوتهم ودارهم في بني عبد الأشهل، وقد انقرضوا في أول الإسلام فلم يبق منهم أحد»(٤)، ويذكر أيضاً عند الكلام عن يحيى ومريم أولاد ثابت بن وديعة، وهم من بني عمرو بن عوف «وأمهما وهبة بنت سليمان بن رافع بن سهل بن عدي. . بن غسان من ساكني راتج حلفاء بني زعوراء بن جشم أخي بني عبد الأشهل بن جشم، ودعوتهم في بني عبد الأشهل»(٥).

ويذكر ابن سعد أن «بني جشم وزيد أبناء الحارث بن الخزرج، وكان يقال لهما التوأمان ودعوتهما واحدة في الديوان، وهم أصحاب المسجد الذي

---

١ ـ الإصابة ٣ / ٢٨٢ ـ ٣ (رقم ٧٤٢٢).

٢ ـ الأغاني ١٦ ـ ٧٧.

٣ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣.

٤ ـ ابن سعد ٣ ـ ٢ / ٢٠.

٥ ـ ابن سعد ٤ ـ ٢ / ٨٧.

بالسنح، وهم أصحاب السنح خاصة»[1].

ويذكر أيضاً أن «النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وثعلبة بن دعد هو الذي يسمى قوقل، وكان له عز، وكان يقول للخائف إذا جاءه: قوقل حيث شئت فإنك آمن، فسُمي بنو غنم وبنو سالم بذلك كلها قواقلة، وكذلك هم في الديوان يدعون بني قوقل»[2].

أما عن عشائر الأوس فلدينا إشارة في ابن سعد يذكر فيها أن «بني عمرو بن عامر من ولد الفطيون وهم حلفاء للأوس من الأنصار، ودعوتهم في الديوان في بني أمية بن زيد، وبنو أمية بن زيد آخر دعوى الأوس»[3].

وكان للعشائر عرفاء يوزعون على أفرادها العطاء، ويذكر ابن شبة عن طلحة البصري «كان من قدم المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه، ومن لم يكن له بها عريف نزل الصفّة، فكنت فيمن نزل الصفة فوافقت رجلين كان يجري علينا كل يوم مدين من تمر رسول الله»[4].

تطور العطاء في خلافتي عثمان وعلي:

وفي زمن عثمان ازدادت الفتوحات الإسلامية وتوسعت رقعة الدولة الإسلامية، وكثرت الواردات، فزاد عثمان العطاء على الناس. فيروي سيف عن عاصم بن سليمان عن الشعبي أنّ «أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان، فجرت، وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفيء في رمضان درهماً في كل يوم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهمين درهمين، فقيل له لو وضعت لهم طعاماً فجمعتهم عليه، فقال أشبع الناس في بيوتهم، فأقر عثمان

---

١ - ابن سعد ٣ - ٢ / ٨٥.

٢ - ابن سعد ٣ - ٢ / ٩٥.

٣ - ابن سعد ٥ / ٢٠٧.

٤ - السمهودي: وفاء الوفا ١ / ٣٢٣.

الذي كان صنع عمر، وزاد فوضع طعام رمضان فقال للمتعبد الذي يختلف في المسجد وابن السبيل والمعترين بالناس في رمضان»[1].

ويذكر اليعقوبي أن عثمان «كان جواداً وصولاً بالأموال وقدم أقاربه وذوي أرحامه فسوى بين الناس في الأعطية»[2]، وهذا النص الصريح بأنه سوّى بين الناس في الأعطية لا يشير إلى الحد الذي سوى فيه بين الناس، أي هل أنه أعطاهم جميعاً أعلى حد من العطاء، أم أنه سن حداً وسطاً سوّى الناس فيه، فرفع من كان عطاؤه قليلاً وأنزل من كان في أعلى العطاء فإن كان هذا ما فعله فإنه قد يفسر سبب استياء بعض المسلمين القدامى على عثمان، ويفسر أيضاً بعض أسباب رضا أقارب عثمان عنه، لأن أكثرهم ممن كانوا أسلموا بعد الفتح وقد يكون الدليل على هذا أن اليعقوبي قرن تقديم الأقارب وذوي الأرحام بتسوية الناس في الأعطية.

غير أن هذا النص لا يبين هل أن عثمان ألغى القواعد التي وضعها عمر، أم أنه أوجد قواعد جديدة طبقها على من لم تشملهم قواعد عمر، أي أنه طبقها على الجيل الجديد الذي بدأ يظهر ويزداد عدده في الوقت الذي أخذ ينقرض فيه جيل عمر من القدامى، ثم إنــه لا يوضح هل أن هذه التسوية كانت قاعدة سار عليها عثمان أم أنها كانت إجراءً مؤقتاً اتبعه ثم عاد يتبع قواعد جديدة في المفاضلة؛ والواقع أن المصادر قلما تورد أخباراً عن أصناف مقادير العطاء في الحجاز.

أما في زمن الإمام علي فإن اليعقوبي يذكر أنه «أعطى الناس بالسوية ولم يفضل أحداً وأعطى الموالي كما أعطى الصليبية وقيل له في ذلك، فقال قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عوداً من الأرض بين إصبعيه»[3] ومن المعلوم أن الخليفة علياً أقام معظم أيام خلافته في

---

١ ـ الطبري ١ / ٢٨٠٤.

٢ ـ التاريخ ٢ / ٢٠١.

٣ ـ التاريخ ٢ / ٢١٣.

الكوفة، والراجح أنه طبق هذه المساواة في الكوفة، غير أننا لا نعلم هل طبقها على المدينة أيضاً، ولا بد أن الولايات الخارجة عن سلطان الخليفة علي لم ترسل ما عليها من المال إلى المدينة، وإن حاجات الخليفة إلى المال كانت متزايدة في الكوفة ولا تمكنه أن يرسل إلى المدينة كل ما تحتاجه من مصروفات يضاف إلى ذلك اضطراب تجارة الحجاز مما كان له أثر في الأحوال الاقتصادية وفي العطاء.

تطور العطاء في العهد الأموي:

أمـا في زمن معاوية فيروي مصعب الزبيري أن عبدالله بن صفوان قال لمعاوية «تخرج العطاء وتفرض للمنقطعين فإنه قد حدث في قومك نابتةٌ لا ديوان لهم، وقـواعد قريش لا تغفل عنهن فإنهن قد جلسن على ذيولهن ينتظرن ما يأتيهن منـك، وحلفاؤك من الأحابيش قد عرفت نصرهم ومؤازرتهم فأخلطهم نفسك وقومك، قال أفعل»[1] يشير هذا النص إلى:

١ ـ أن العطاء كان متوقفاً إلى زمن هذا الخطاب الذي لا نعرف تاريخه بالضبط، وأن استجابة معاوية تقضي أن معاوية استمر بعد ذلك بدفع العطاء بانتظام.

٢ ـ أنه قد حدثت في قوم معاوية نابته لا ديوان لهم، والراجح أن كلمة القوم يقصد بها قريش من أهل مكة، وأن هذه النابتة هي من الجيل الجديد، وأنها لم تكن في العطاء لأنه استعمل كلمة (حدث) أي استجد، ولا نعلم هل قصـد في هذا النص جعل العطاء يمتد إلى مكة أم أنه قصره على من سكن المدينة، لأنه لا توجد إشارة أو دليل على أن العطاء شمل أهل مكة، أي أن معـاوية تابـع السياسـة التقليدية في إبقاء المدينة مركز الديوان وتوزيع العطاء وظلت مكة مهملة من هذه الناحية، مع العلم بأن مكة كانت لها موارد خاصة من التجارة والحج. ولا بد أن هذا تطلب إعادة النظر في الديوان وتوسيعه.

---

١ ـ نسب قريش ٣٨٩.

٣ ـ أن معاوية نفذ النصيحة بالاهتمام بقواعد قريش أي نسائها المسنات، ولما كان النص لا يشير صراحة إلى أنه طلب منه إدخالهن في العطاء فقد يكون المقصود من ذلك أن معاوية كان يعطيهن المنح.

٤ ـ أن معاوية أدخل الأحابيش في العطاء وساواهم بقريش، والأحابيش هم كنانة، غير أن النص لا يوضح هل أن معاوية جعل لهم ديواناً قائماً بذاته، أم أنه عمل على إعادة تنظيمهم في ديوان في المدينة فحسب، أي هل توسع الديوان فأصبح يشمل أهل البادية؟

ويروي البلاذري أن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب «اعترض على معاوية لخلاف معه على أرض فحكم القاضي لعبدالرحمن فكتب معاوية إلى وكيله بإنفاذ قرار القاضي وقضى دينه وألحقه بشرف العطاء وقال أنت مستحق لذلك يا ابن أخي الفاروق والشهيد وأعطاه مالاً»[1] ويدل هذا النص على أن شرف العطاء كان موجوداً في زمن معاوية، ولما كان عمر لم يقرر شرف العطاء في الحجاز فلا بد أن هذا قد ظهر فيما بعد، غير أن المصادر لا تذكر تاريخ ظهوره بالضبط ولعله ظهر زمن معاوية وأن مقداره كان كما هو في باقي الأقاليم، أي ألفي درهم[2].

ويروي البلاذري «أن أعرابياً أتى مروان فقال: افرض لي، فقال: قد طوينا الدفتر، قال الأعرابي: أما إني الذي أقول:

إذا مدح الكريم يزيد خيراً وإن مدح اللئيم فلا يزيد

وقد كان مدح مروان ثم هجاه، فقال أنت هو! لا بد لك من فرض، ففرض له[3].

ويروي البلاذري أن عبدالله بن الزبير لما بلغه مقتل أخيه، كتب إلى عامله على المدينة يأمره أن يفرض لألفي رجل من أهل المدينة وما والاها ليكونوا

---

١ ـ أنساب الأشراف ٤ / ٧٤٩ (مخطوطة القاهرة)

٢ ـ انظر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ١٥١ ـ ١٥٤

٣ ـ أنساب الأشراف ٥ / ١٣٠.

ردئاً لها، ففرض الفرض، ولم يأته مال فبطل، فسمي ذلك الفرض فرض الريح، قال الواقدي ويقال أن هذا الفرض كان في ولاية ابن حاطب[1].

ويتضح من هذا النص أنه كان لا يزال في المدينة في عهد ابن الزبير عدد ممن ليسوا في العطاء، وأن الفرض الذي فرضه كان لمن في المدينة وما والاها، وكان هدفه الحصول على قوات تعينه على صد الجيوش الأموية، وليس لغرض الفتوح الإسلامية.

وقد يتعلق بهذا الفرض ما رواه الهيثم بن عدي من أن ابن الزبير «أتاه أعرابي فقال له افرض لي، قال: أثبتوه، فأثبتوه، قال: أعطني، قال: قاتل أولاً، قال: بئست هذا، دمي نقد ودرهمك نسيئة، هذا والله ما لا يكون»[2] ويظهر هذا النص أن ابن الزبير لم يتوفر له المال اللازم، وبذلك يؤيد ما ورد في النص السابق.

وعن زمن عبدالملك بن مروان وردت نصوص تبين أنه فرض فرائض جديدة، فيروي ابن عساكر أن أنس قال لحفص بن عمر الأنصاري «انطلق في أربعين من الأنصار حتى أتى بنا عبدالملك بن مروان ففرض لنا فلما رجع رجعنا[3].

ويروي الواقدي عن معاوية بن عبدالله بن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه أن محمد بن الحنفية «وفد إلى عبدالملك فكلمه، فوعده عبدالملك أن يقضي دينه وأن يصل رحمه وأمره أن يرفع حوائجه، فرفع محمد دينه وحوائجه وفرائض لولده ولغيرهم من خاصته[4] ومواليه، فأجابه عبدالملك إلى ذلك كله وتعسر عليه في الموالي أن يفرض لهم، وألح عليه محمد، ففرض لهم فقصر بهم،

---

١ - أنساب الأشراف ٥ / ٥٣٧.

٢ - أنساب الأشراف ٤ - ٢ / ٢٩.

٣ - تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٣٨٣.

٤ - في النص (من جامته) وهو خطأ واضح.

فكلمه فرفع في فرائضهم، فلم يبق له حاجة إلا قضاها، واستأذنه في الانصراف، فأذن له»[1].

ويروي الأصبهاني أن عبدالملك أمر لإسماعيل بن يسار، بألفي درهم غلة وزاد في عطائه وفرض له[2].

ويتضح من نص الأصبهاني أن العطاء غير الفرض، وأن المرء قد يظفر بكليهما، أما نص ابن الحنفية فأبرز ما فيه أن الموالي لا يفرض لها كالصلبية إلا في ظروف خاصة، وكل هذه النصوص تشير إلى أنه كان في المدينة عدد ليسوا في العطاء، ولا بد أن هذا حدث بعد زمن عمر الذي استوعب نظامه كل الأنصار وقريش في المدينة.

وفي زمن سليمان بن عبدالملك جرى للمدينة فرض جديد أورد اليعقوبي عنه تفصيلاً حيث قال «حج سليمان سنة ٩٧ وقد عز أن يبايع لابنه أيوب بولاية العهد من بعده وقسم بين أهل المدينة قسماً، وفرض لقريش خاصة أربعة آلاف فريضة ولم يدخل فيها حليفاً ولا مولى، فأجمع رأي مشيخة قريش أن جعلوها لحلفائهم ومواليهم، ثم دخلوا عليه فقالوا إنك قد فرضت لنا أربعة آلاف فريضة ولا تدخل علينا منها حليفاً ولا مولى فرأينا أن نكافئك ونجعلها في حلفائنا وموالينا فنحن أخف عليك مؤنة منهم، ففرض أربعة آلاف فريضة أخرى»[3] يتبين من هذا النص:

١ ـ أن عدداً غير قليل من أهل المدينة لم يكونوا في العطاء.
٢ ـ أن قريشاً تكوّن في المدينة كتلة كبيرة العدد وفيهم على الأقل أربعة آلاف ليسوا في العطاء.
٣ ـ أن لقريش حلفاء وموالي لا يقلون عنهم عدداً، وإن كنا لا نعرف عددهم بالضبط أو أصولهم أو تنظيماتهم، ولعل وضع قريش هذا يشبه وضع العشائر

---

١ ـ ابن سعد ٥ / ٨٣.
٢ ـ الأغاني ٤ / ٤٢٢.
٣ ـ التاريخ ٢ / ٣٥٨.

الأخرى التي لها أيضاً حلفاء وموالي.

٤ ـ أن سليمان بن عبدالملك كان يريد إرضاء العرب وحدهم وخاصة قريش.

٥ ـ أن القريشيين أصروا على إعطاء حلفائهم ومواليهم، إذ ارتأوا أن وضعهم المالي جيد، فهم ليسوا بحاجة شديدة إليه.

ويروي حفص بن عمر الحوضي عن يوسف بن الماجشون قوله «ولدت في زمن سليمان بن عبدالملك، وفرض لي سليمان حين ولدت، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز عرض الديوان فمر باسمي فقال ما أعرفني بمولد هذا الغلام هذا صغير ليس من أهل الفرائض فردني عيلاً»(١).

ويروي الزبير بن بكار أنه «فرض سليمان بن عبدالملك للناس في خلافته وعرض الفرض وكان ابن حزم في ذلك محسناً يعلم الله أنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم.. فلما قرأها عذره عند سليمان، فأمر له سليمان بألف دينار في دينه وألف معونة على عياله وبرقيق من البيض والسودان وبكثير من طعام الجار وأن يدان من الصدقة بألفي دينار.

فقال:

فما كنت دياناً فقد دنت إذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور
بوصل إلى الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر في الكرام كثير»(٢)

تبين هذه النصوص أن الفرض كان مقصوراً على الكبار دون الصغار، وأنه كان هناك مجال واسع للتلاعب في الفرض للصغار، بأن يعتبروا كباراً.

العطاء في زمن عمر بن عبد العزيز

أما عن عهد خلافة عمر بن عبدالعزيز فلدينا معلومات واسعة نسبياً عن تنظيمات العطاء نظراً إلى أن المؤرخين الأولين من الأتقياء أولوه اهتماماً خاصاً لأنه من أهل التقوى والصلاح، ولأنه قضى مدة طويلة في المدينة أميراً، ثم صار خليفة وقام بإصلاحات أرضت هؤلاء المؤرخين.

١ ـ ابن سعد ٥ / ٣٠٧

٢ ـ الأغاني ١٣ / ١٠٠ ـ ١٠١.

إن النصوص التي رويت عن أعمال عمر بن عبدالعزيز قليلة نسبياً وهي في قضايا فرعية فهي لا تكفي لتقييم إصلاحات هذا الخليفة بدقة ولكنها تعطي فكرة عامة عنها وتشير إلى خطوطها الرئيسة، ويمكن القول أن هذه الإصلاحات لم تقلب أسس التنظيمات السابقة، وأن الخليفة لم يضع مبادىء جديدة، بل قام ببعض التعديلات وأكد على تطبيق بعض الفرعيات التي تعرضت للإهمال. وقد أوردت النصوص ما يظهر تأييد الناس لهذه الإصلاحات، وهو تأييد آت من أفراد، ولا نعلم هل إن هذا الرضى كان عاماً شاملاً لجميع الناس أم أن المؤرخين تعمدوا اختيار النصوص التي تظهر رضى الناس عنها وأهملوا نقل ما يعبر عن عدم الرضى عن هذه الإصلاحات، كما أنها لا تذكر لنا الأوضاع الاقتصادية والمالية العامة للدولة كيما يمكن معرفة مصادر الأموال التي صرفت لتنفيذ هذه الإصلاحات ومدى أثرها على الأوضاع الاقتصادية العامة.

إن محافظة عمر بن عبدالعزيز على المبادىء العامة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ومحاولته إعادة تطبيقها على ضوء الظروف السائدة في زمنه هي من مظاهر محاولته إحياء سنة عمر بن الخطاب. ولا ريب أنه لم يكن بالإمكان إعادة تطبيق تنظيمات عمر بن الخطاب حرفياً، نظراً لتطور الأحوال والظروف على مر الزمن. فإصلاحات عمر بن عبدالعزيز هي إصلاحات محافظة أكثر منها رجعية، وهي تقوم على إعادة تنظيم القواعد القديمة على المجتمع القائم الذي ورث تقاليد قديمة وليس على أن تعيد تطبيق النظام القديم حرفياً، وهي ليست تبديلاً ثورياً، أي أنها لم تأت بانقلاب أساسي أو أفكار جديدة في التنظيمات، فهي إذاً إصلاحات، وإذا كنا نستطيع مقارنتها بتنظيمات عمر بن الخطاب: فإننا لا نستطيع أن نقدر بالضبط مكانة هذه الإصلاحات بالنسبة للتعديلات والأعمال التي أدخلها الأمويون نظراً لأنه ليست لدينا تفاصيل عن كل أعمال الأمويين أو عن كل أعمال عمر بن عبدالعزيز أو كل التعديلات التي أدخلها.

إن الأعمال التي روت المصادر أن عمر بن عبدالعزيز قام بها في العطاء يمكن تصنيفها كما يلي:

١ ـ **القسم**: فيروي الواقدي عن عمرو بن عثمان بن هانىء قوله «حضرت قسمتين قسمهما عمر بن عبدالعزيز على جميع الناس كلهم سوّى بينهم»[١] ويروي الواقدي أيضاً عن عبدالحكيم بن عبدالله بن أبي فروة «سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدة يقول جرى على يدي لقومي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ثلاثة أعطية وقسمان للناس عامان»[٢]، إن هاتين الروايتين تتفقان على أنه جرى في زمن عمر بن عبدالعزيز قسمان عامان للناس، وتذكر رواية عمرو بن عثمان أن عمر سوّى بين الناس في القسم دون أن تحدد مقدار القسم، غير أن نصاً آخر يرويه الواقدي عن عمه الهيثم بن واقد يقول فيه: «ولدت سنة سبع وتسعين فاستخلف عمر وأنا ابن ثِلاث سنين فأصبت من قسمه ثلاثة دنانير»[٣] وهذا يظهر أن القسم أصاب الأطفال أيضاً، وأن مقداره ثلاثة دنانير، في حين أن ما يعطى للأطفال عشرة دنانير، فهذا القسم غير العطاء ولعله إضافة إلى العطاء، ولا نعلم هل أن هذا المقدار هو نفس ما أعطي للكبار، أي هل أن المساواة كانت بين الكبار والأطفال أم أنها كانت بين أهل العطاء وغيرهم، فإن كانت هذه الفرضية الأخيرة فهل أن عمر ساوى بين الكبار والصغار أم أنه فرق بينهم.

٢ ـ **العطاء**: فقد ذكرنا من قبل قول إبراهيم بن محمد بن طلحة أنه جرى على يديه لقومه ثلاثة أعطية[٤]ويؤيد هذا رواية الواقدي عن غسان بن عبدالحميد عن أبيه «أخرج عمر بن عبدالعزيز ثلاثة أعطية لأهل المدينة في سنتين وخمسة أشهر إلا عشرة ليالي»[٥] إن توزيع ثلاثة أعطية بأقل من ثلاث سنين يؤيد روايات متعددة أن العطاء لم يكن ثابت الموعد في العصر الأموي، وإذا افترضنا أن العطاء سنوي، وهو ما تشير إليه أغلب المصادر، وأن عطائين

---

١ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٤.

٢ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٥.

٣ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٥

٤ ـ المصدر نفسه.

٥ ـ المصدر نفسه.

من الثلاثة أعطية من السنتين، فإن العطاء الثالث قد يكون دفعه مقدمة للسنة الثالثة، أي أن العطاء يعطى في بداية السنة لا في آخرها، أو أن العطاء كان يعطى في آخر السنة ولكن العطاء الثالث هو وفاء لعطاء سابق.

٣ ـ الفرض: لقد رويت نصوص تشير إلى أن عمر بن عبدالعزيز فرض العطاء للناس، ويذكر بعضها أسماء من فرض لهم العطاء أورد عليه العطاء بعد ما حرم عنه. فيروي الواقدي عن عمرو بن عثمان ومحمد بن هلال: «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن افرض للناس إلا التاجر»[١] ويروى عن شميل بن محمد بن أبي يحيى أنه ولد له أولاد وكانوا تجاراً فأراد الوالي أن يدخلهم في العطاء، فقالوا: «أصلح الله الأمير نحن قوم تجار ولا حاجة لنا بالدخول في عمل السلطان»[٢].

والراجح أن إجراء عمر في عدم إدخال التجار في العطاء يتابع سياسة قديمة، وهي توضح أن العطاء لم يشمل التجار، لأنه يتطلب المشاركة في الغزو والحرب مما لم يكن من رغبات التجار، ويوضح النص الثاني أن التجار أنفسهم لم يكونوا راغبين في ذلك لأنهم ليسوا محاربين ولأن لهم موارد مالية تغنيهم عن العطاء.

ويروى عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح عن عمه أبان بن محمد قوله: «سمعت أبي يقول دخل أبي، يعني أبان بن صالح بن عمير، على عمر بن عبدالعزيز فقال له أفي ديوان أنت، قال قد كنت أكره ذلك مع غيرك أما معك فلا أبالي، ففرض له»[٣].

ويروي الأصبهاني عن نصيب أنه قال لعمر بن عبدالعزيز: «بنيات لي نفضت عليهن سوادي فكسدن، أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان، قال فتريد ماذا، قال تفرض لهن ففعل»[٤].

---

١ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٤

٢ ـ ابن سعد ٥ / ٣٠٩.

٣ ـ ابن سعد ٦ / ٢٣٠.

٤ ـ الأغاني ١ / ٣٤٧

ولم يقتصر عمر على فرض عطاء للجدد، بل أمر برد العطاء على بعض من حرم منه، فيروي الواقدي عن موسى بن نجيح عن إبراهيم بن يحيى: «أن عمر بن عبدالعزيز كتب أن يعطى خارجة بن زيد ما قطع عنه من الديوان فمشى خارجة إلى أبي بكر بن حزم فقال إني أكره أن يلزم أمير المؤمنين من هذا مقالة ولي نظراء فإن أمير المؤمنين عمهم بهذا فعلت وإن هو خصني به فإن أكره ذلك، فكتب عمر لا يسع المال ذلك ولو وسع لفعلت»[1].

يبين هذا النص أن عمر بن عبدالعزيز لم يرد العطـاء لكافة من قطع عنهم، وذلك لأنه كان مقيداً بإمكانياته المالية المحدودة لا بأحقيتهم في رد العطاء لهم، وهذا يدل على أن النصوص المروية عن أعمال عمر بن عبدالعزيز هي نصوص مختارة تمثل جانباً واحداً من أعماله وليست كافة أعماله. ومما يؤيد أن الإمكانيات المالية المحدودة لم تمكن عمر بن عبدالعزيز من رد العطاء لكافة من حرم منه ما يرويه الواقدي عن خليد بن دعلج: «لما استخلف عمر بن عبدالعزيز أرسل إلى الحسن وابن سيرين يقول لهما أرد عليكما ما حبس عنكما من أعطيتكما، فقال ابن سيرين إن فعل ذلك بأهل البصرة فعلت وأما غير ذلك فلا، فكتب إلى عمر أن المال لا يسع، قال وقبل الحسن»[2].

ويروي الواقد عن عبدالملك بن محمد عن عبدالله بن العلاء بن زبر «قلت لعمر بن عبدالعزيز ياأمير المؤمنين عصيت سنوات أني كنت في العصاة وحرمت عطائي، قال فرد عليّ عطائي وأمر أن يخرج لي ما مضى من السنين»[3] يوضح هذا النص أن العصاة كانت تحرم من العطاء، غير أنه لا يذكر أي عصيان اشترك فيه عبدالله بن العلاء، ولو ذكر لأمكننا أن نستنتج نوع العصيان الذي يحرم صاحبه من العطاء وعدد المحرومين. وجدير بالملاحظة أن ثورات أهـل الحجـاز على الأمويين كانت محدودة أبرزها ثورة المدينة على يزيد

---

١ ـ ابں سعد ٥ / ٣٥٦ انظر أيضاً تهذيب ابن عساكر ٥ / ٢٥.

٢ ـ ابن سعد ٢ / ٢٥١.

٣ ـ المصدر نفسه.

وتأييدهم ابن الزبير، ولا بد أن كلاً من هاتين الحركتين أدى إلى حرمان كثيرين من العطاء إما لمقتلهم أو لتمردهم، ولكن الراجح أن بعضهم قد رد إليه العطاء، وإن كنا لا نعلم تفاصيل ذلك.

٤ ـ **مقدار العطاء**: فيروي عبدالواحد بن غياث البصري عن جويرية بن أسماء أن أبا بكر بن عمرو بن حزم «كتب إلى عمر أن قوماً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف، فإن رأى أمير المؤمنين بإثباتهم في شرف العطاء فليفعل» غير أن عمر أجابه «وأما ما ذكرت من أمر الرجال الذين بلغوا سناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف فإنما الشرف شرف الآخرة والسلام»[١].

وهذا النص يدل على أن شرف العطاء مرتبط بالسن أي أن التقاليد كانت تقضي بإعطائه للمسنين وأن هذا التقليد لا يتم تطبيقه تلقائياً بل يتطلب موافقة الخليفة ذاته، وأنه كان معطلاً قبل تولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة لأسباب لا نعرفها، وأن عمر لم يوافق على إعادة تطبيقه ولا نعلم السبب في ذلك ودوافعه أو نتائجه، غير أن عمر بن عبدالعزيز لم يلغ شرف العطاء نهائياً، فيروي الواقدي عن محمد بن هلال عن عمر بن عبدالعزيز أنه «فرض لرجال ألفين شرف العطاء»[٢].

لم يبق عمر بن عبدالعزيز شرف العطاء ومقداره على حالهما فحسب، بل أبقى الصنوف الأخرى أيضاً، فيروي الواقدي عن المفضل بن الفضل القيني عن عبدالله بن جابر أن القاسم بن محمد بن مخيمرة قدم على عمر بن عبدالعزيز «فسأله قضاء دينه، فقال عمر: كم دينك، قال تسعون ديناراً، قال قد قضيناه عنك من سهم الغارمين، قال يا أمير المؤمنين أغنني عن التجارة، قال بماذا قال بفريضة، قال قد فرضت لك في ستين وأمرنا لك بمسكن وخادم، فكان القاسم بن مخيمرة يقول الحمد لله الذي أغناني عن التجارة إني لأغلق بابي

---

١ ـ أنساب الأشراف ٧ / ١٣٩ مصورة القاهرة

٢ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٥.

فما يكون في خلفي هم»[1]

٥ ـ رزق الموتى: يروي الواقدي عن سعيد بن مسلم بن بانك «سمعت عمر بن عبدالعزيز وهو خليفة يقول: إنه لا يحل لكم أن تأخذوا لموتاكم فاوفعوا إلينا»[2].

ويروي أيضاً عن ثابت بن قيس «سمعت كتاب عمر بن عبدالعزيز يقرأ علينا ارفعوا موتاكم فإنما هو مالكم نرده عليكم»[3]

إن قضية عطاء الموتى ليست جديدة ويبدو أنها كانت موجودة قبله، وقد أبقاها في البداية ثم ألغاها، فيروي مصعب الزبيري عن أبيه عن قدامة بن إبراهيم الجمحي «ماتت عمتي وقد صار عطاؤها في بيت المال، فركبت إلى عمر بن عبدالعزيز وهو في ضيعته بالرس وهو إذ ذاك والي المدينة، فأعلمته خبرها فقال له ماتت وقد صار عطاؤها في بيت المال؟ قلت نعم فكتب إلى عبدالله بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أن يدفع إليّ عطاءها إن كانت ماتت بعد وصير عطاؤها في بيت المال، فدفعه إليّ، قال وكان عبدالله بن عبيدالله على بيت المال إذ ذاك»[4].

٦ ـ وقد فصل عمر بن عبدالعزيز بين رزق العامة والخاصة، فيروي عبدالله بن جعفر عن ابن المبارك عن معمرانه «كتب عمر بن عبدالعزيز أما بعد فلا تخرجن لأحد من العمال رزقاً في العامة والخاصة، فإنه ليس لأحد أن يأخذ رزقاً من مكانين في الخاصة والعامة، ومن كان أخذ من ذلك شيئاً فاقبضه من ثم وأرجعه إلى مكانه الذي قبض منه والسلام»[5] والراجح أن المقصود برزق الخاصة ما يأخذه المستخدمون في أعمال الدولة ممن يشبه

---

١ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٧.

٢ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٥.

٣ ـ كذلك.

٤ ـ نسب قريش ١٦٤، ١٨٢ مخطوطة اكسفورد.

٥ ـ ابن سعد ٥ / ٢٧٨.

عملهم عمل الموظفين اليوم؛ فكأنه بهذا القرار منع العطاء عن هؤلاء.

٧ ـ عطاء الأطفال: يبدو من النصوص أن عمر بن عبدالعزيز قد عمم العطاء على كافة الأطفال وثبت سن العطاء خمسة عشر، فيروي الواقدي عن سعيد بن مسلم بن بابك «سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول وهو خليفة اكتبوا لنا كل منفوس نفرض له» ويروي عن ثابت عن قيس «سمعت كتاب عمر بن عبدالعزيز يقرأ علينا ارفعوا كل منفوس نفرض له»[١].

ويروي عبدالله بن نمير الهمداني ومحمد بن عبيد الطنافسي عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر أنه «عرضني رسول الله ﷺ في القتال يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، فلما كان يوم الخندق عرضني وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني، فقدمت إلى عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته بهذا الحديث، فقال إن هذا الحد بين الكبير والصغير وكتب إلى عماله أن يفرضوا لابن خمسة عشرة ويلحقوا ما دون ذلك في العيال»[٢].

ويروى عن أبي معشر عن نافع أنه «كتب عمر بن عبدالعزيز وهو خليفة إلى عماله في الآفاق أن لا يفرضوا لابن أربع عشرة سنة في العطاء ويفرضوا لابن خمسة عشر في المقاتلة»[٣].

أما مقدار عطاء الأطفال فيروي الواقدي عن أبيه «ذهبت بي حاضنتي إلى أبي بكر بن حزم فوضع في يدي ديناراً وأنا منفوس وولدت سنة المائة، ثم كان قابل فأعطينا ديناراً آخر فكانا دينارين»[٤].

أما عن العطاء بعد خلافة عمر بن عبدالعزيز فقد وردت إشارات قليلة؛ ففي زمن خلافة هشام جاء ذكر خبر لرجل من الأنصار من بني حارثة كان

---

١ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٥.

٢ ـ ابن سعد ٤ ـ ٢ / ١٠٥.

٣ ـ ابن سعد ٥ / ٢٥٨ مسند الشافعي ٣ / ١٢٧.

٤ ـ ابن سعد ٥ /

مملقاً[1] ليس في ديوان ولا عطاء فقال لهشام بن عبدالملك «يا أمير المؤمنين أنا امرؤ من الأنصار وقد بلغت هذه السن ولست في ديوان فإن رأى المؤمنين أن يفرض لي فعل، قال فأقبل عليه هشام فقال والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة»[2].

ويروي ابن شبة عن عيسى بن عبدالله عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب «أن هشاماً لما خرج عليه زيد بن علي منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة، ولما ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة.

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم ... به يكتب الكتاب والكتب تطبع
ضمنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي ... بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق بكم وزيادة ... وأعطية تأتي تباعاً فتشفع[3]

ويروي الزبير بن بكار عن عمه عن أيوب بن عبايه أنه «قدم نصيب على عبد الواحد النصري وهو أمير المدينة بفرض من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمره فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة لم يحتلموا فردهم النصري... وهو مالك للأمر وله فيه سلطان» (ثم فرض لهم بعد أن اقتنع أنهم بلغوا الحلم)[4].

العطاء في العصر العباسي:

ولما ولي العباسيون الخلافة، أولوا إقليم الحجاز عناية خاصة، فكان الخليفة يولي عليه أخص أقاربه، واهتموا بأمر الحج. وقد بذل الخلفاء

---

١ - الأغاني ١١ / ١٩٣ ومن المحتمل أن الكلمة يجب أن تكون (محلقا) والمحلق الذي يمحى اسمه من العطاء، وأصل ذلك أن يوضع على اسمه في الديوان حلقة تشير إلى شطب اسمه انظر البخاري: كتاب الديات الباب ٢٢ وانظر أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٤٣

٢ - الأغاني ١١ / ١٩٣.

٣ - الأغاني ٧ / ٢١ - ٢ انظر أيضاً الطبري ٢ / ١٧٥٤ مع تقديم وتأخير في الأبيات واختلاف في رواية بعض الألفاظ.

٤ - الأغاني ١ / ٣٧٣ - ٥.

العباسيون الأولون جهوداً كبيرة للتقرب من أهل الحجاز وعلمائه، وقربوهم في بلاطهم، وولوا عدداً منهم القضاء ببغداد خاصة، ولا بد أن يهتم العباسيون الأولون وهم يسيرون على هذه السياسة، بأمر العطاء في الحجاز فيذكر الزبير بن بكار عن يحيى بن محمد عن أبي منصور عبدالرحمن بن صالح بن دينار مولى الخزاعيين أنه «حج أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور وأعطى اشراف القرشيين ألف دينار لكل واحد منهم ولم يترك أحداً من أهل المدينة إلا أعطاه، إلا أنه لم يبلغ بأحد ما بلغ بالأشراف، فكان ممن أعطي الألف الدينار هشام بن عروة، وأعطى قواعد قريش صحاف الذهب والفضة وكساهن، وأعطى بالمدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله»[1].

أما عن زمن المهدي فقد وردت نصوص فيها معلومات أوفى، ولعل ذلك راجع إلى أن المنصور حرم أهل المدينة ـ أو معظمهم ـ لممالأتهم محمد النفس الزكية، فلما جاء المهدي أعادها عليهم، فيروي الزبير بن بكار في ذلك قوله: «وأما المغيره بن خبيب فكان لطيفاً بأمير المؤمنين المهدي ولاه عطاء أهل المدينة، وكان يوليه القسوم، وأعطاه ألف فريضة يضعها حيث شاء، ففرضه مشهورة بالمدينة[2].

ويروي الزبير بن بكار أيضاً عن يونس بن عبدالله بن سالم الخياط حيث قال أنه «لما أعطى أمير المؤمنين المهدي المغيره بن خبيب ألف فريضة يضعها حيث شاء جاءه أبو عبدالله بن سالم فقال له:

ألف تدور على يد لممدح ما سوق مادحه لديه بكاسد
الظن مني لو فرضت لواحد في الأعجمين خصصتني بالواحد

قال: فقال له المغيرة: أيهما أحب إليك أفرض لك أو لابنك يونس، قال أنا شيخ كبير هامة اليوم أو غد، افرض لابني يونس، قال ففرض لي في

---

١ ـ الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش ١ / ٣٠٣ (رقم ٥٣١).

٢ ـ الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش ١٠٩، ٢١٤ انظر أيضاً مصعب الزبيري: نسب قريش ٢٤٢، الخطيب: تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٤.

خمسين ديناراً، قال فلما خرجت الأعطية الثلاثة على يدي أبي بكر بن عبدالله الزبيري في ولاية أمير المؤمنين الرشيد قال لي خليفة هرثمة وخليفة أيوب بن أبي سميرة وهما يعرضان أهل ديوان العطاء: أنت من هذيل ونراك قد كتبت مع آل الزبير فنردك إلى فرائض هذيل، خمسة عشر ديناراً، فقال لهما أبو بكر بن عبدالله الزبيري إنما جعلتما لتتبعا ولا تبتدعا، أمضياه وأعطياه، فأعطياه مئة وخمسين ديناراً»[1].

ويروي الزبير أيضاً عن يحيى بن محمد أنه قال «قسم أمير المؤمنين المهدي قسماً على يد المغيرة بن خبيب سنة أربع وستين ومائة، فأصاب مشيخة بني هاشم أكثرهم خمسة وستون ديناراً وأقلهم خمسة وأربعون ديناراً، ومشيخة القريشيين أكثرهم خمسة وأربعون ديناراً وأقل القريشيين سبعة وعشرون ديناراً، ومشيخة الأنصار أكثرهم سبعة وعشرون ديناراً وأقل الأنصار سبعة عشر ديناراً، والعرب أكثر من الموالي ولا أدري كم أعطوا، ومشيخة الموالي خمسة عشر ديناراً وأقل الموالي على الشبر: السداسي ستة دنانير، والخماسي خمسة دنانير والرباعي أقلهم أربعة دنانير، وكان عدد الناس الذين اكتتبوا ثمانين ألف إنسان، قال وقال المغيرة بن خبيب، ربما رأيت الإنسان الهيء وقد قصر به نقيبه وكتبه في غير نظرائه فأعطيه من مالي حتى غرمت مالاً»[2].

وينقل الزبير أيضاً عن يونس بن عبدالله بن سالم الخياط أنه لما خرج هذا القسم جاء أبوه عبدالله بن سالم إلى المغيرة بن خبيب فكلمه فقال المغيرة «فعل الله بك وفعل أن أسلموا يا فلان اذهب إلى الذي يعطي القسم فقل له يعطه قسمه، فأعطاه خمسة عشر ديناراً»[3].

يتبين من هذه النصوص:

١ - أن المهدي أطلق العطاء لأهل المدينة وهذا يدل على أن أهل المدينة

---

١ - جمهرة نسب قريش ١١٠ [٢١٥] انظر أيضاً الأغاني (١٨ / ٩٨).

٢ - جمهرة نسب قريش ١١١ [٢١٦] انظر أيضاً الخطيب ١٣ / ١٩٤.

٣ - نسب قريش ١١٢ (٢١٧).

لم يكونوا في العطاء عند تولي المهدي الخلافة.

٢ ـ أن المهدي فرض ألف فريضة جديدة لأهل المدينة. ومعنى هذا أن العطاء لم يكن عاماً لأهل المدينة كلهم، فكان هناك مجال لتقديم فرائض جديدة. ومن البديهي أن الفرائض الجديدة لم تستوعب كافة من ليسوا في العطاء ولكنها مع ذلك كانت ذات أهمية خاصة.

٣ ـ أن الخليفة كان يخول أمير المصر توزيع الفرائض كما يرى وبذلك يتيح له مجالاً واسعاً من الحرية الشخصية على أن لا يناقض ما تقرره الخطوط العامة لسياسة الدولة، بل عليه أن يراعي هذه الخطوط في التوزيع.

٤ ـ قد يكون الفرد في العطاء ولا يكون ابنه في الديوان

٥ ـ أن العطاء لا يورث، ولذلك فضل أبو عبدالله بن سالم أن تعطى الفريضة لابنه كي لا يحرم منها بعد وفاته.

٦ ـ أن ترتيب الديوان قد لا يطابق ترتيب الأنساب، فقد يكون الفرد مسجلاً في غير ديوان عشيرته.

٧ ـ أن العطاء باختلاف العشائر وأن فرائض هذيل خمسة عشر ديناراً وفرائض آل الزبير خمسون ديناراً، غير أننا لا نعلم فرائض العشائر الأخرى، ولا ما إذا كانت هذه الفراض عطاء ثابتاً أم منحاً مفردة لا تتكرر.

٨ ـ أن أفراد العشيرة لا يتساوون في العطاء، فالمشيخة تأخذ أكثر من غيرها، وأن الفرق بين الحدين الأعلى والأدنى من العطاء واسع، ولا نعلم تصنيف كل عشيرة وصنوفها فيما بين الحدين[1] والراجح أن الأكثرية تأخذ أقل العطاء.

٩ ـ أن بني هاشم يكونون وحدة عطاؤها أعلى الجميع، يتلوهم عطاء قريش ثم الأنصار ثم الموالي.

١٠ ـ أن للموالي تصنيف خاص لا يقوم على الوحدات القبلية، ولكن

---

١ ـ لدينا معلومات عن أصناف العطاء بين حديه الأدنى والأعلى في الأمصار الإسلامية الأخرى (انظر كتابي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ١٥١ ـ ١٥٥ أما في الحجاز فليست لدينا معلومات عنها.

النص المار ذكره لا يوضح أسسه.

١١ ـ أن النقيب هو الذي يتولى تصنيف الناس، وبمقدوره التلاعب في التصنيف.

١٢ ـ أن عدد من كان في العطاء في المدينة يبلغ ثمانين ألفاً.

١٣ ـ والراجح أن هذا العطاء هو غير الأموال التي كان يعطيها المهدي والتي رويت عنها الأخبار، منها ما يرويه مصعب الزبيري بقوله: «كان عبدالله بن المصعب بن ثابت في صحابة المهدي سنتين حين قدم المهدي المدينة، وجلس للناس يعطيهم الأموال، يعطي الرجل من قريش دينار ويكسوه سبعة أثواب»[1].

وكذلك ما يرويه الأصفهاني أن ابن الموالي مدح المهدي، فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة وأمر صاحب الجاري بأن يجري له ولعياله في كل سنة ما يكفيهم وألحقهم في شرف العطاء[2].

أما في زمن الخليفة هارون الرشيد فقد أصاب أهل المدينة ثلاث أعطيات في سنة واحدة، فيروي مصعب بن عبدالله الزبيري «قدم الرشيد مدينة الرسول ﷺ ومعه ابناه محمد الأمين وعبدالله المأمون فأعطى فيها العطاء، وقسم في تلك السنة في رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية، فكانت الثلاثة الأعطية التي قسمها فيهم ألف ألف وخمسين ألف دينار، وفرض في تلك السنة لخمسمائة من وجهاء موالي المدينة، ففرض لبعضهم في الشرف، منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ومفراق مولى بني تميم»[3].

ويروي الجهشياري «أن الرشيد حج وحج معه يحيى والفضل وجعفر فلما صار بالمدينة جلس ومعه يحيى وأعطى العطاء، ثم جلس محمد من بعده ومعه الفضل بن يحيى فأعطاهم العطاء، ثم جلس بعده عبدالله ومعه جعفر

---

١ ـ مصعب الزبيري: نسب قريش ٢٤٢

٢ ـ الأغاني ٣ / ٢٩٩.

٣ ـ الطبري ٣ / ٧٦٣

فأعطاهم العطاء، فأعطوا في تلك السنة ثلاثة أعطية، فكان أهل المدينة يسمون ذلك العام عام الثلاثة الأعطية، ولم يروا مثل ذلك قط إلا في أيام البرامكة»[1]

ويذكر مصعب الزبيري: «وكان أبو بكر بن عبدالله بن مصعب باب قريش ومدرها شرفاً وبياناً وجاهاً وأبهة وحدباً عليها وبراً بها وحسن أثر عندها، واستعمله أمير المؤمنين هارون الرشيد على المدينة فأقام عامله عليها اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان أمير المؤمنين الرشيد به معجباً وإليه مفوضاً، وكان عنده وجيهاً أثيراً، وأخرج لأهل المدينة على يديه نصف عطاء وكسوة وقسماً في سنة ١٨١ هـ وأخرج على يديه ثلاثة أعطية وكسوة فاخرة في سنة ١٨٦ هـ.

قال فأخبرني عمران بن محمد بن مصعب بن ثابت قال أرسلني أبو بكر بن عبدالله أقبض ثلاثة أعطية وقد نزلوا ببيت مال أمير المؤمنين.الرشيد دار عائشة الصغرى، فقبضت منها ثلاثة أعطية، وذلك ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار، كل عطاء أربعمائة ألف دينار، وأخرج على يده في سنة ١٨٨ هـ نصف عطاء وكسوة وقسماً كثيراً»[2]

ويروي الزبير بن بكار عن يونس الخياط أن المغيرة بن خبيب فرض ليونس بن عبدالله بن سالم في خمسين ديناراً، فلما خرجت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدي بكار بن عبدالله قال لي خليفته وخليفة أيوب بن أبي سمير وهما يعرضان أهل ديوان العطاء أنت من هذيل ونراك قد صرت من آل الزبير، فنردك إلى فرائض هذيل خمسة عشر ديناراً فقال لهما بكار إنما جعلتما لتتبعا ولا تبتدعا أمضياه مائة وخمسين ديناراً[3].

إن النص الذي نقله الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيري يبين الأمور التالية:

---

١ - الجهشياري: الوزراء والكتاب ٢٢١ - ٢ طبعة مصطفى السقا.

٢ - الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش ١٦٣ [٣٠٥ - ٦].

٣ - الأغاني ١٨ / ١٨٥.

١ ـ أن أهل المدينة أعطوا نصف كسوة وقسماً في سنتي ١٨١، ١٨٨ هـ.
٢ ـ أنهم أعطوا في سنة ١٨٦هـ ثلاثة أعطية، ولعلها هي التي أشار إليها الجهشياري.
٣ ـ أن مجموع العطاء يبلغ أربعمائة ألف دينار، وأن العطاء أصبح يقدر بالدنانير.

٤ ـ غير أنه لا يذكر هل أن النصف الثاني من العطاء أعطي فيما بعد أم شطب ولا ما إذا كانت الأعطيات الثلاثة مقابل سنوات حذف فيها العطاء، ولا يذكر الأحوال في السنوات الأخرى، وهل أعطي فيها العطاء.
٥ ـ ويبين نص الزبير بن بكار أن فرائض هذيل خمسة عشر ديناراً، وفرائض قريش ١٥٠ ديناراً.
٦ ـ أما نص الجهشياري فيشير إلى أن توزيع العطاء كان على يد البرامكة.

هذا ولم يرد في المصادر ذكر للعطاء في الحجازبعد عهد الرشيد، مما يدل على توقفه، إلا أننا لا نعلم متى تم هذا التوقف.

عطاء الموالي

لقد بشر الرسول ﷺ بالإسلام في مكة، وثبت دعائم دولة الإسلام في المدينة ولم يرتفع إلى الرفيق الأعلى إلا والإسلام قد عم معظم أرجاء الجزيرة، فلما ولي أبو بكر الخلافة وقضى على الردة كان الإسلام ودولته سائدين الجزيرة التي أصبحت قاعدة الفتوح وأهلها يكونون جيش الإسلام ومادته، فكان الإسلام في هذه الفترة المبكرة لا يزال مقصوراً على العرب، حيث أصبح العرب كلهم في الجزيرة تقريباً مسلمين، كما الإسلام لم يكن قد بدأ بالانتشار خارجها، إلى أن بدأت الفتوح واتسعت دولة الإسلام، فليس من الغرابة أن يحمل العرب أعباء الفتوح وتوسيع الدولة ونشر الدين، وأن يكون العطاء موزعاً بينهم.

غير أن الطبيعة العالمية للإسلام جلبت إليه منذ أيام الرسول وخلافة أبي بكر عدداً من غير العرب الذين كانت الدولة والمجتمع ينظران إليهم كمسلمين،

ويسبب من ذلك ومن مقتضيات الظروف أدخل عدد من غير العرب في العطاء فيما بعد.

فقد ذكرت المصادر عدة روايات أن عمر فرض للموالي الذين اشتركوا في وقعة بدر المقدار الذي فرضه للمهاجرين والأنصار[1].

ويروي ابن سعد أيضاً أن عمر فرض للناس على منازلهم وقراءاتهم للقرآن وجهادهم، ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة في ٢٥ ديناراً لكل رجل وفرض للمحررين معهم[2] وقد أشارت بعض المصادر إلى أنه فرض للهرمزان ألفين[3]، غير أن هذا الفرض الأخير غير اعتيادي وقد أملته ظروف خاصة، ويروي سيف عن عاصم بن سليمان عن عامر الشعبي، أن عمر كان يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفيء طيلة شهر رمضان درهماً في اليوم[4].

إن ادخال هؤلاء الموالي في العطاء منسجم مع طبيعة الإسلام العالمية التي تشبع بها المسلمون الأوائل وعلى رأسهم الخلفاء، ومما لا شك فيه أن عدد الموالي في هذا الوقت المبكر كان قليلاً، لأن الإسلام لا يزال في نطاق الجزيرة وأهلها عرب، وقاعدته المدينة التي نظم عمر العطاء لأهلها.

ولكن تكوين الدولة الإسلامية وتوسعها رافقه تزايد هجرة الأعاجم إلى المدينة بسبب الحرية التي اتبعتها الدولة، ولزوال الحواجز المعيقة للهجرة وتوسع الحياة الاقتصادية في الحجاز، لا شك أنه لم يدخل الأعاجم والموالي كافة في العطاء في المدينة، إلا أن الأحوال الخاصة القائمة فيها والتي نرجو أن نوضحها في مقال مستقل، قضت باستخدام الموالي وإدخال بعضهم في

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٣، ٢١٩ انظر أيضاً الأموال ٥٥٢ البدء والتاريخ ١٦٨.
٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٥.
٣ ـ ابن سعد ٥ / ٦٥
٤ ـ الطبري ١ / ٢٨٠٤.

العطاء، بالرغم من نظرة الانتقاص التي كان ينظرها المجتمع العربي إليهم في المدينة[1].

ففي العهد الأموي يروي ابن سعد أن محمد بن الحنفية زار عبدالملك، فوعده عبدالملك أن يقضى دينه وأن يصل رحمه وأمره أن يرفع حوائجه، فرفع محمد دينه وحوائجه وفرائضه لولده ولغيرهم ومواليه فأجابه عبدالملك إلى ذلك، وتعسر عليه في الموالي أن يفرض لهم، وألح عليه محمد ففرض لهم فقصر بهم فكلمه فرفع فرائضهم فلم يبق له حاجة إلا قضاها واستأذنه في الانصراف فأذن له[2].

يتبين من هذا النص أن عبدالملك وافق بعد تلكؤ، على أن يفرض للموالي كغيرهم، ولعل ابن الحنفية لم يلح إلا وهو يعلم أن هذا ممكن، لأن عبدالملك لا يعقل أن يوافق على منح موالي ابن الحنفية العطاء دون بقية الموالي.

ويروي الواقدي أنه عندما ثار عبدالله بن الزبير في مكة، كان والي المدينة الأموي عمرو الأشدق أرسل عمرو بن الزبير «في أربعمائة من الجند وقوم من موالي بني أمية وقوم من غير أهل الديوان»[3].

ويروي محمد بن مصعب القرقساني عن أبي بكر بن أبي مريم «أن عمر بن عبدالعزيز جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء، غير أنه جعل فريضة المولى المعتق خمسة وعشرين ديناراً[4].

إن هذا النص يبين ما كان يعطى للناس، وينص صراحة على أن الموالي والعرب كانوا متساوين في العطاء وفي عدة أمور أخرى، ما عدا الفريضة التي

---

١ - انظر كتاب «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» وخاصة ص ٩٩.

٢ - ابن سعد ٥ / ٨٣.

٣ - أنساب الأشراف ٤ - ٢ / ٢٥.

٤ - ابن سعد ٥ / ٢٧٧.

كانت للمولى المعتق خمسة وعشرين ديناراً، إلا أن النص لا يذكر مقدار فريضة العرب أو فريضة الأصناف الأخرى من الموالي.

ويروي مصعب الزبيري أن الرشيد لما قدم المدينة وقسم في أهلها ثلاثة أعطية «فرض في تلك السنة لخمسمائة من وجوه موالي المدينة، ففرض لبعضهم في الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ومخراق مولى بني تميم وكان يقرأ القرآن بالمدينة»[1].

أما العبيد فإن الشافعي يذكر «أن أبا بكر كان يسوي بين الحر والعبد، ولم يفضل بين أحد بسابقة ولا نسب، ثم قسم عمر فألغى العبيد وفضل بالنسب والسابقة، ثم قسم عليّ فألغى العبيد وسوى بين الناس»[2].

لا ريب في أن تسوية أبي بكر بين الحر والعبد في العطاء ترجع إلى قلة مقدار العطاء وإلى قلة العبيد الذين كان معظمهم ممن ساهموا في بناء دولة الإسلام في المراحل الأولى؛ أما عدم إدخال عمر بن الخطاب العبيد في العطاء فيرجع إلى أنه بعد الفتوح تزايد في المدينة عدد العبيد الذين لم يساهموا في تكوين دولة الإسلام. ويذكر ابن سعد عدة نصوص تؤيد عدم إدخال عمر العبيد في العطاء[3].

غير أن الخليفة عمر بن الخطاب «كان يرزق الإماء والحبل»[4] وقد أمر للأرقاء «بجريبين جريبين»[5].

أما اللقطاء، وهم يعتبرون في الإسلام أحراراً، فقد أدخلهم عمر في العطاء، فيروي ابن سعد أن عمر «كان إذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم وفرض

---

١ ـ الطبري ٣ / ٧٦٣.
٢ ـ الأم ١ / ١٣٤.
٣ ـ انظر ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٥، ٢١٨.
٤ ـ ابن سعد ٦ / ١٠٤ عن عياض الأشعري.
٥ ـ ابن سعد ٦ / ١٠٤.

له رزقاً يأخذه وليه كل شهر ما يصلحه، ثم ينقله من سنة إلى سنة، وكان يوصي بهم ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال»[1] ويروي أيضاً عن سنين أبي جميلة «وجدت منبوذاً على عهد عمر فذكره عريفي له، فأرسل إليّ فدعاني فقال له هو حر وولاؤه لك وعلينا رضاعه»[2] ويقول اليعقوبي أن عمر أمر أن تكون نفقات أولاد اللقط ورضاعهم من بيت المال[3].

البعث:

لقد كان العطاء يدفع للمقاتلة على أن يشاركوا في القتال عندما تطلب إليهم الدولة ذلك. ومن المعلوم أن أهل المدينة كونوا الجيش الذي قاتل في سبيل الإسلام في زمن الرسول ﷺ كما كانوا أساس الجيش الإسلامي الذي قضى على حركات الردة وأمّن سيادة الإسلام على الجزيرة، وقد ساهم عدد كبير من أهل المدينة في الفتوح الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبقية الخلفاء.

غير أن اتساع الفتوح وازدياد عدد عرب الجزيرة المنضمين إلى الجيش الإسلامي دفع الخليفة عمر بن الخطاب إلى تمصير الأمصار وجعل كلاً منها قاعدة يقيم فيها دائمياً الجيش الإسلامي الذي يقاتل في الجبهة التي فيها معمره؛ وبذلك أصبح واجب القتال ملقى بالدرجة الأولى على أهل الأمصار، ولم يعد مقصوراً على أهل المدينة الذين كان عليهم تلبية دعوة الدولة عندما تضرب عليهم البعث، أي عندما تطلب منهم تقديم مقاتلة للمشاركة في الحروب. وقد ذكرت المصادر عدداً قليلاً من البعوث التي فرضت على أهل المدينة.

١ ـ فيروي اليعقوبي أن الوليد بن عبدالملك، ضرب البعث على أهل المدينة وكتب إلى عمر بن عبدالعزيز الذي كان واليه على المدينة «فأخرج منهم ألفي رجل»[4].

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤.
٢ ـ ابن سعد ٥ / ٤٥.
٣ ـ التاريخ ٢ / ١٧٠.
٤ ـ التاريخ ٢ / ٣٣٩.

ويذكر الطبري في رواية عن مخرمة بن سليمان أن الوليد في سنة ٨٨ هـ «ضـرب عليهم بعث ألفين، وأنهم تجـاعلوا، فخرج ألف وخمسمائة وتخلف خمسمـائة، فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهم على الجيش وأنهم شتوا بطوانه وافتتحوها»[١].

٢ ـ وفي خلافة هشام بن عبدالملك يروي الوادي عن أفلح وخالد بن القـاسم أنـه «صلى هشام بن عبدالملك على سالم بن عبدالله بالبقيع لكثرة الناس، فلما رأى هشام كثرتهم بالبقيع قال لإبراهيم بن هشام المخزومي اضرب على الناس بعث أربعة آلاف فسمي عام الأربعة آلاف، فكان الناس إذا دخلوا الصائفة خرج أربعة آلاف من المدينة إلى السواحل فكانوا هناك إلى انصراف الناس وخروجهم من الصائفة»[٢].

ويتبين من هذا أن هذا البعث أصبح في زمن هشام سنوياً غير أننا لا نعلم هل استمـر ذلـك بعـده، كما يتبين منه أن أهل المدينة كانوا يقيمون لحماية السواحل في المؤخرة، فعبء القتال عليهم أخف منه على أهل الشام.

٣ ـ وفي زمن ولاية عبـدالـواحـد النصـري هجم حمزة الخارجي على الحجاز فذهب عبدالواحد «حتى دخل المدينة فدعا بالديوان فضرب على الناس البعث وزادهـم في العطاء عشرة عشرة»[٣].

٤ ـ ويروي الطبري بسند عن محمد بن عبدالرحمن بن نوفل الأسدي أنه قطع على أهـل المدينة بعث إلى اليمن فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فنهاني عن ذلك أشد النهي»[٤] غير أننا لا نعلم الزمن الذي ضرب فيه هذا البعث.

---

١ ـ الطبري ٢ / ١١٩٢.

٢ ـ ابن سعد ٥ / ١٤٨ ـ ٩ انظر أيضاً الطبري ٢ / ١٤٧٢ السخاوي: التحفة اللطيفة ٢ / ٢٩، [١٣٩٩].

٣ ـ الطبري ٢ / ١٩٨٣ الأغاني ٢٠ / ١٠٠.

٤ ـ تفسير الطبري ٩ / ١٠٤ [١٠٧٦٢] تحقيق محمد شاكر.

الطوى والجعائل والبدائل:

لقد كان على المقاتل أن يذهب إلى البعث المقرر عليه الذهاب إليه، غير أنه بإمكانه أن يقوم بالطوى وهو على ما ينقل مالك عن أبي لهيعة عن يحيى بن سعيد أنه «قال في الطوى لو أن رجلاً قال لرجل خذ بعثي وآخذ بعثك وأزيدك ديناراً أو بعيراً أو شيئاً فلا بأس بذلك، وقال الليث مثله؛ وعن ابن عباس أنه كان يقول لا بأس بالطوى من ماحوز إلى ماحوز إذا ضمنه إنسان»[1]. ويروي ابن وهب عن عبدالرحمن بن شريح أنه قال «كان يكره من الطوى أن يعقد الرجلان الطوى قبل أن يكتبا في البعثين اللذين يتطاويان فيهما، وذلك أن يقول الرجل قبل الطوى اكتتب في بعث كذا وكذا وأنا أكتتب في بعض كذا وكذا ثم يعتقدان الطوى على ذلك، وأما الطوى بعد الكتبة فلم أسمع أحداً ينكر ذلك إلا الرجل الذي يقف نفسه ينتقل من ماحوز إلى ماحوز التماس الزيادة في الجعل»[2].

إن إعطاء الدولة العطاء للمقاتلة يخولها قانوناً حق ضرب البعث عليهم وإلزامهم الاشتراك في القتال. غير أن الدولة عملياً كانت لا تشرك كافة المقاتلة من أهل العطاء في البعوث، بل تقتصر على فرضه على عدد محدود تقدره، والراجح أن اشتراك المرء في القتال يتم دورياً، أي بفرض على كل شخص أن يشترك في بعث واحد وليس في كل البعوث، فإذا حدث بعث آخر، فإنه يشترك في البعث الجديد من لم يذهب في البعث السابق. وبإمكان من يفرض عليه البعث أن يتجاعل، أي أن «يعطي رجلاً آخر شيئاً ليخرج مكانه أو يدفع المقيم إلى المغازي شيئاً فيقيم الغازي ويخرج هو»[3].

«وقد يكتب البعث على الغزاة فيخرج من الأربعة والخمسة رجل واحد

---

١ ـ المدونه ٣ / ٥٥ (طبعة الساسي).

٢ ـ المدونة ٣ / ٨٤٥

٣ ـ لسان العرب مادة (جعل) وانظر البخاري كتاب الجهاد باب الجعائل والحملان في سبيل الله، وانظر أيضاً المدونة ٣ / ٤٥.

ويجعل له جعل»[1] فالجعل في هذا التعريف هو المبلغ الذي يدفع لمن يتطوع بتلبية الدعوة ويشترك في البعث مقابل جعل يأخذه من عطاء من لا يشارك في البعث. ويذكر مالك أنه «لم يزل الناس يتجاعلون بالمدينة عندنا كانوا يتجاعلون، يجعل القاعد للخارج.. بهذا مضى أمر الناس»[2].

وتكون الجعائل بين أهل الديوان، أي الذين في العطاء، وقد جوز مالك لأهل العطاء التجاعل «لأنه مباعث مختلفة، وإنما أعطوا أعطياتهم على هذا وما أشبهه، فأهل الديوان عندي مخالفون لمن سواهم، قال والذي يؤاجر نفسه في الغزو، إن ذلك لا يجوز في قول مالك، وأما أهل الديوان فيما بينهم فليست تلك إجارة، إنما تلك جعائل، لأن سد الثغور عليهم، وبهذا مضى أمر الناس»[3].

وقد ذكر الطبري أن أبا جعفر المنصور كتب إلى محمد بن خالد والي المدينة بكشف المدينة وأعراضها «فأمر محمد بن خالد أهل الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج، فتجاعلوا رباع الفاخري المضحك، وكان يداين الناس بألف دينار، فهلكت وتويت»[4].

وبإمكان من يضرب عليه البعث ألا يذهب إلى القتال مع الاحتفاظ بحقه في العطاء وذلك بأن يرسل عنه بديلاً من غير أهل العطاء لقاء أجر يدفعه للبديل. وقد ورد ذكر استخدام البدلاء بكثرة في بعض الحروب الداخلية، فيروي أبو مخنف أن عبدالله بن الزبير لما ثار في االحجاز أرسل الخليفة يزيد عمرو بن سعيد الأشدق إلى المدينة، فجهز عمرو جيشاً ضده «وكان أكثر الجيش بدلاء من العطاء وجلهم يهوون ابن الزبير»[5].

ومن المحتمل أن هؤلاء البدلاء أو معظمهم ممن ليس لهم ديوان،

---

١ ـ لسان العرب مادة (جعل).

٢ ـ المدونة ٣ / ٤٤.

٣ ـ المدونة ٣ / ٤٣ ـ ٤٤.

٤ ـ الطبري ٣ / ١٦٢.

٥ ـ أنساب الأشراف ٤ ـ ٢ / ٣٤.

ويسمون الروادف وقد ذكر ابن قتيبة في شرحه البيت التالي:

إذا قربت للسوق خلف بعضها كما خلفت يوم العداد الروادف

«العداد يقول كذا عادهم قوم فجاؤوا للعطاء خلفت الروادف وهم الأتباع الذين يجيئون رادف قوم أي ليس لهم ديوان»[1].

لقد كان العطاء يؤمن لمن يأخذه مورداً يكفي لحياة معاشية طيبة، الأمر الذي كان يدفع الناس إلى التشبث بإدخالهم فيه، غير أن بعض الناس كان يرغب عن العطاء إما تعبيراً عن استيائهم من الدولة، أو تحاشياً للالتزامات المفروضة على من يأخذ العطاء، وقد أشارت المصادر إلى عدد ممن رفضوا العطاء، أو أبوا أن يسجلوا في الديوان، فيروي ابن سعد بسند عن عروة بن الزبير أنه لما قتل عمر محا الزبير بن العوام نفسه من الديوان[2]. ويروي أيضاً أن عبدالله بن مسعود أوصى الزبير وقد كان عثمان حرمه عطاءه سنتين فأتاه الزبير فقال إن عياله أحوج إليه من بيت المال فأعطاه عطاءه عشرين ألفاً[3] ويروي كذلك أنه «كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاءه فكان يدعى إليها فيأبى ويقول لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبني مروان»[4].

ولما فرض عبدالواحد النصري العطاء لأهل المدينة على إثر تهديد حمزة الخارجي قال أنس بن عياض «كنت فيمن اكتتبْ ثم محوت اسمي»[5].

ويروي ابن سعد بسند عن أبان بن صالح بن عمير أنه دخل على عمر

---

١ - ابن قتيبة: المعاني الكبير ١ / ٥٠١.

٢ - ابن سعد ٣ - ١ / ٧٥ انظر أيضاً تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٦٣.

٣ - ابن سعد ٣ - ١ / ١١٤ ويذكر ابن سعد رواية أخرى أن المقدار المتجمع من عطاء ابن مسعود كان خمسة عشر ألف درهم (٣ - ١ / ١١٣).

٤ - ابن سعد ٥ / ٩٥.

٥ - الطبري ٢ / ١٩٨٣.

بن عبدالعزيز «فقال له أفي ديوان أنت؟ قال قد كنــت أكره ذلك مع غيرك فأما معك فلا أبالي، ففرض له»[١].

غير أن هذه النماذج لا تمثل موقف كافة المسلمين الذين تروى نصوص سرور كثير منهم بالعطاء واعتمادهم عليه ورغبتهم فيه فيروى «ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبـلاء من أحدكم بالعطاء»[٢].

ويــروي الطبري أن مسلم بن عقبة هدد أهل الشام في موقعة الحرة وقال لهم «والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تحرموا العطاء وأن تجمروا في أقاصي الثغور»[٣].

ولمـا ظهـر الاستياء على ولاة عثمـان جمعهم ثم ردهم على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم وأمرهم بتجمير الناس في البعوث وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه[٤].

ويبدو أن أكثر الناس تحاشياً من العطاء كانوا التجار وقد ذكرنا من قبل روايات في طلب الخليفة عمر بن عبدالعزيز من واليه على المدينة عدم فرض العـطاء للتجـار، لأن التجـارة تستغـرق وقت التاجر وتؤمن له مورداً يغنيه عن العـطاء، وذكرنا أن طلب الخليفة هذا لـم يكن بدعة جديدة، بل تأكيداً على ممارسة قديمة دافعها أن العطاء للمقاتلة وأن التجار لا تقاتل بل تفضل الأعمال التجـارية[٥]. وقد استمر هذا التقليد حتى العصر العباسي، إذ يروى أن بني سحبـل بن محمـد بن أبي يحيى «ولـد لهم أولاد وكـانـوا تجـاراً، فلمـا قدم عبدالصمد بن علي والياً على المدينة بعث إليهم لولائهم، فعرض عليهم ما قبله

---

١ ـ ابن سعد ٦ / ٢٣٤.
٢ ـ ابن سعد ٢ ـ ٢ / ١٢.
٣ ـ الطبري ٢ / ٤١٤.
٤ ـ مسكوية تجارب الأمم ٤٧٦ (طبعة كايتاني).
٥ ـ انظر ص ٦٠ ـ ٦١.

بهـا فقـالـوا أصلح الله الأمير نحن قوم تجار ولا حاجة لنا بالدخول في عمل السلطان فأعفنا منه فأعفاهم»[1].

الرزق:

كانت توزع على أهل المدينة أيضاً مواد غذائية، تسمى منذ عهد عمر بن الخطاب الرزق. فيروي ابن سعد «واتخذ عمر دار الرقيق وقال بعضهم الدقيق، فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع به والضيف ينزل بعمر، ووضع عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ويحمل من ماء إلى ماء»[2].

ويروي أيضاً أن «عمر خرج يوماً حتى أتى المنبر، وقد كان اشتكى فنعت له عسل وفي بيت المال عكة»[3]. ويروي البلاذري بسند عن الحسن «أدركت عثمان على ما نقموا منه وما يأتي على الناس يوم إلا وهم ينالون فيه خيراً، ويقال اغدوا على أعطياتكم فيغدون فيأخذونها ويقال اغدوا على كسوتكم فيأخذونها حتى لربما أعطوا العسل والسمن، فالأعطيات دارّة والعدو مقموع وذات البين صلح»[4]. ويروي الطبري عن الشعبي أن عثمان زاد على الأرزاق التي وضعها عمر فوضع طعام رمضان فقال للمتعبد الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعترين بالناس في رمضان[5].

يذكر ابن سعد بسند عن جارية بن مصرف أن عمر أمر بجريب من طعام فعجن ثم خبز ثم ثرد، ثم دعا عليه ثلاثين رجلاً فأكلوا منه، ثم فعل في العشاء مثل ذلك ثم قال يكفي الرجل جريبان كل شهر، فرزق الناس جريبين كل شهر

---

١ - ابن سعد ٥ - ٣٠٦.

٢ - ابن سعد ٣ / ٢٠٣.

٣ - ابن سعد ٣ / ١٩٨.

٤ - أنساب الأشراف ٥ / ١٠٠

٥ - الطبري ١ / ٢٨٠٤.

المرأة والرجل والمملوك جريبين جريبين في كل شهر»[1] ويوضح هذا النص أن عمر قــدر توزيع الحبوب على أساس قابلية الفرد الاستهلاكية منه، وأنه كان يوزعه على الناس بالتساوي.

غير أن المقدار الذي كان يوزع على الناس لم يبق ثابتاً فإن عثمان عندما ولي الخلافة «وسع عليهم في الرزق والكسوة»[2].

المكاييل

ويبـدو أن مقدار ما كان يوزع على الناس من الرزق لم يبق ثابتاً، بل تعـرض لتبـدلات غير قليلة يمكن استنتـاجهـا من التبدلات التي حدثت في المكاييل، فيذكر الجاحظ «والأمراء تتحبب إلى الرعية بزيادة المكاييل، ولو كان المذهب في الزيادة في الأوزان كالمذهب في الزيادة في المكاييل ما قصروا، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادة في المكاييل، ولذلك اختلفت أسماء المكاييل كالزيادي والفالج والخالـدي حتى صرنا إلى هذا الملجم اليوم»[3] ولا بد أن التحبب الـذي يشير إليه الجـاحظ راجـع إلى استفادة الرعية من زيادة المكاييل وخاصة في أنصبتهم من الرزق الذي توزعه الدولة.

وقـد تعـرضت المكـاييل في الحجاز في العهود الإسلامية الأولى إلى تبدلات تشبه ما أشار الجاحظ إلى حدوثه في العراق؛ وقد أشار الفقهاء والرواة منذ القرن الثاني الهجري إلى بعض التبديلات في المكاييل التي لها أهمية أساسية في كثير من الأمور الشرعية كتقدير كمية ماء الوضوء وزكاة الفطر ونصاب الـزكاة[4]، فيذكر ابن سعد أن مروان بن الحكم عند توليه المدينة في خلافة

---

١ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٩ ـ ٢٠.

٢ ـ ابن سعد ٢ ـ ١ / ٢١٤.

٣ ـ البيان والتبيين ١ / ٢٠٦.

٤ ـ انظر في ذلك مقال «اختلاف العراقيين والمدنيين في تقدير الصاع النبوي» للدكتور عبد المحسن الحسيني. المنشور في مجلة كلية الأداب بجامعة الإسكندرية مجلد ١٦ سنة ١٩٦٢ ص١٢٩ ـ ١٨٣، وانظر في اختلاف المكاييل والمقاييس الإسلامية: لهنتس. =

معاوية «جمع الصيعان فعاير بينها حتى أخذ أعدلها فأمر أن يكال به فقيل صاع مروان، وليست بصاع مروان إنما هي صاع رسول الله ولكن مروان عاير بينها حتى قام الكيل على أعدلها»(1).

ويروي الشافعي أن معاوية لما قدم إلى المدينة وهو خليفة قرر أن يعدل المكاييل فقال «. . إني أرى مدين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمر فأخذ الناس بذلك»(2).

وواضح من نص ابن سعد أن المكاييل أصبحت متباينة في الحجاز في زمن معاوية لدرجة اضطر معها واليه على المدينه مروان أن يعاير بينها ويأخذ أعدلها.

وفي خلافة عبدالملك بن مروان أعيد النظر في المكاييل واستقر الرأي على مد هشام «وكان هشام بن إسماعيل من وجوه قريش، ولاه عبدالملك بن مروان المدينة وكان مسنوداً في ولايته. . ووقّت أهل المدينة بصاع هشام، يعنون هشام بن إسماعيل»(3)، «ومدّ هشام مد وثلث بمد النبي أو مد ونصف»(4).

والـراجح أن تبديل المكاييل كان له تأثير في مقدار الرزق المخصص

= ويذكر المقدسي «أن الصاع الذي قدره عمر بمشهد الصحابة وكان يكفر به أيمانه فهو ثمانية أرطال إلا أن سعيد بن العاص رده إلى خمسة وثلث، ألا ترى إليقول الراجز:

يا وليتا قد ذهب الوليد وجاءنا مجوعاً سعيد ينقص في الصاع ولا يزيد»

أحسن التقاسيم ٩٨ وقد ذكر هذا الرجز أيضاً في البيان والتبيين ٢٠٦) ومع أن هذا التبـدل حدث في الكـوفـة، إلا أنـه يحتمل حدوثه في الحجاز أيضاً. وانظر أيضاً الأموال ١٥٦٦ ـ ١٦١١.

١ ـ ابن سعد ٥ / ٣٠.

٢ ـ مسند الشافعي ١ / ٢٥٢.

٣ ـ مصعب الربيري: نسب قريش ٣٢٨.

٤ ـ الأم ٢ / ١٥٩، ويذكر ابن سعد أن صاع النبي مد ونصف بمد هشام (٨ / ٣٦١).

للأفراد، غير أن المصادر لم توضح لنا العلاقة بين هذه التبديلات والأرزاق.

إن النص الذي نقلناه عن ابن سعد (٣ - ١ / ٢١٩ - ٢٠) يبين أن عمر وزع الأرزاق بالتساوي، غير أن الواقدي يروي عن أفلح بن حميد أنه «فضل عمر بن الخطاب بين الناس في طعـام الجار»[1]. فإذا صح أن التفاضل تم منذ زمن عمر، فلا بد أنه حدثت بعده تفاضلات أخرى أثارت استياء الناس فلما جاء عمر بن عبدالعزيز قرر التسوية في الرزق الذي يفرضه للناس. فيروي الواقدي عن محمد بن هلال: «سوى عمر بن عبدالعزيز بين الناس في طعام الجار، وكان أكثر ما يكون طعام الجار أربعة أرادب ونصف لكل إنسان» ويروي عن أفلح بن حميد: «إنما سوى عمر بن عبدالعزيز بين من فرض له في طعام الجار، وأما من كان له شيء قبل ذلك فإنه كان يأخذه» ويروي بسند عن إبراهيم بن يحيى «كان له في طعام الجار عشرون أردباً، فلما استخلف عمر أقرت وسوّى بين من فـرض له من أهل بيتي»[2].

غير أننا لا نعلم مراحل وأسباب ونتائج وآثار التطورات التي حدثت على الأرزاق من زمن عمر بن الخطاب إلى عهد عمر بن عبدالعزيز، كما لا نعلم مقدار الرزق الذي قرره عمر بن عبدالعزيز.

طعام الجار

لقد كان الرزق يسمى طعام الجار[3]. وترجع هذه التسمية إلى أن الحبوب التي كانت ترد من مصر تخزن في ميناء الجار قبل توزيعها على أهل المدينة، ويذكر ابن سعد أن عمر «هو أول من حمل الطعام من مصر في البحر حتى ورد الجار ثم حمل من الجار إلى المدينة»[4].

ويقـدم اليعقـوبي معلومات أوسع تفصيلاً حيث يقول «وكتب عمر إلى

---

١ - ابن سعد ٥ / ٢٥٥.

٢ - ابن سعد ٥ / ٢٥٥ - ٦.

٣ - ابن سعد ٥ / ٢٥٥ أغاني ١٣ / ١٠٤.

٤ - ابن سعد ٣ - ١ / ٢٠٣.

عمرو بن العاص أن يحمل طعاماً في البحر إلى المدينة يكفي عامة المسلمين حتى يصير به إلى ساحل الجار فحمل طعاماً إلى القلزم ثم حمله في البحر في عشرين مركباً، في المركب ثلاثة آلاف أردب وأقل وأكثر حتى وافى الجار، وبلغ عمر قدومهما فخرج ومعه أصحاب رسول الله حتى قدم الجار فنظر السفن، ثم وكّل من قبض ذلك الطعام هنالك، وبنى قصرين جعل ذلك الطعام فيها، ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم وأمره أن يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ثم يختم أسافلها فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك»[1].

يتبين من هذا النص:

١ ـ أن المدينة اعتمدت بالدرجة الأولى على منتوجات مصر في الحصول على الرزق.

٢ ـ أن أول شحنة أرسلت من مصر كان مقدراها حوالي ٢٠ × ٣٠٠٠ = ٦٠ ألف أردب تقريباً.

٣ ـ أن هذه الشحنة كانت لسد حاجة عامة المسلمين، وإذا افترضنا أن عمر كان يعطي كل فرد أربعة أرادب، فإن عدد من يأخذ الرزق من أهل المدينة كان يبلغ خمسة عشر ألفاً.

٤ ـ أن المقر العام لتوزيع الرزق هو الجار حيث بنى قصرين جعل ذلك الطعام فيهما.

٥ ـ أن الرزق كان يعطى بموجب صكاك من قراطيس مختوم أسفلها.

وبما أن كثيراً من أهل المدينة كانوا زرّاعاً فإنهم كانوا يتمونون من منتوجات مزارعهم ولا يحتاجون إلى طعام الرزق للاستهلاك، لذلك كانوا يبيعون الصكوك المخصصة لهم، وبذلك كثرت المتاجرة في هذه الصكوك وأثارت كثيراً من المناقشات عند الفقهاء، فيروي مالك عن نافع أن حكيم بن حزام ابتاع طعاماً أمر به عمر بن الخطاب للناس فباع حكيم الطعام قبل أن يستوفيه فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب فرده عليه وقال «لا تبع طعاماً ابتعته حتى تستوفيه»[2] ويروى أن بلغه

١ ـ التاريخ ٢ / ١٧٧.
٢ ـ الموطأ ٢ / ٦٣.

أن صكـوكاً خرجت للناس في زمان مروان بن الحكم من طعام الجار فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها، فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب النبي ﷺ على مروان بن الحكم فقال أتحلّ بيع الربايا مروان؟ فقال أعـوذ بالله: ومـا ذلـك؟ فقـالا هذه الصكوك تبايعها الناس ثم باعوها قبل أن يستوفوها، فبعث مروان بن الحكم الحرس يتبعونها ينزعونها من أيدي الناس ويردونها إلى أهلها[1]. ويروي ابن حنبل بسند عن سليمان بن يسار أن «صكاك التجار خرجت فاستأذن التجار مروان في بيعها، فأذن لهم، فدخل أبو هريرة عليه فقال أذنت في بيع الربا وقد نهى رسول الله ﷺ أن يشتري الطعام ثم يباع حتى يستوفى قال سليمان فرأيت مروان بعـث الحرس فجعلوا ينتزعون الصكاك من أيدي من لا يخرج منهم»[2]. ويلاحظ أن نص ابن حنبل لا يناقض نص مالك، ولكنه يضيف عليه ما يلي:

١ ـ صكاك التجار، ونحن نرجح أنها صكاك الجار فهي أقرب إلى المعنى المعقول.

٢ ـ أن الذي دخل على مروان هو أبو هريرة، بينما يذكر مالك أن الذي دخل على مروان هو زيد بن ثابت ورجل آخر من أصحاب رسول الله ﷺ، ولعله يمكن التوفيق بين النصين بالقول أن هذا الرجل الثاني هو أبو هريرة.

وقد ذكر ابن منظور ما يؤيد ذلك إذ قال «وكانت الأرزاق تسمى صكاكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة، ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك والقطوط وفي حديث أبي هريرة قال لمروان أحللت بيع الصكـاك، وهي جمـع صك وهـو الكتاب، وذلك أن الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ويعطون المشتريء الصك ليمضي ويقبضه»[3]

ويروي مالـك عن يحيى بن سعيدذ أنـه «سمع جميل بن عبدالرحمن

---

١ ـ الموطأ ٢ / ٦٣ انظر أيضاً المدونة ١٣ / ٤٠.

٢ ـ ابن حنبل ٢ / ٣٢٩.

٣ ـ لسان العرب ١٢ / ٣٤٤.

المؤذن يقول لسعيد بن المسيب إني رجل ابتاع من الأرزاق التي تعطي الناس بالجار ما شاء الله ثم أريد أن أبيع الطعام المضمون عليّ إلى أجل فقال له سعيد أتريد أن توفيهم من تلك الأرزاق التي ابتعت، فقال نعم، فنهاه عن ذلك»[1]، ويروي يحيى عن مالك عن محمد بن عبدالله بن أبي مريم أنه «سأل سعيد بن المسيب فقال إني رجل ابتاع الطعام يكون من الصكوك بالجار فربما ابتعت منه بدينار ونصف درهم فأعطى بالنصف طعاماً فقال سعيد لا ولكن أعط أنت درهماً وخذ بقيته طعاماً»[2].

وذكر مالك عن سالم في بيع صكوك الجار بدينار إلا درهما، يعجل الدينار ويأخذ الدرهم والصك مؤخراً يأخذ الدينار مع الدرهم. قلت لابن القاسم لم كرهته، قال يدخل لأنه يدخل الفضة بالذهب إلى أجل[3]. قد يفهم من هذا النص أن ثمن الصك كان ديناراً، وأنه يباع بربح درهم أي بعشرة في المائة.

ويبدو أن طعام الجار استمر توزيعه إلى العصر العباسي الأول، فيروي الأصفهاني أن ابن المولى مدح المهدي «فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة، وأمر صاحب الجارى بأن يجري له ولعياله في كل سنة ما يكفيهم وألحقهم بشرف العطاء»[4]، غير أننا لا نعلم متى توقف لأنني لم أجد إشارة له بعد عهد المهدي.

الكسوة:

كانت توزع الكسوة أيضاً على أهل المدينة، فيروى أن عمر بن الخطاب قسم بروداً في المهاجرين[5]. ويروي محمد بن سلام الجمحي «جاءت عمر حلل من اليمن فأعطى أصحاب رسول الله ﷺ وأبو أيوب الأنصاري غائب فرفع لنفسه حلة وأخذ لنفسه حلة»[6].

---

١ ـ الموطأ ٢ / ٦٣.
٢ ـ الموطأ ٢ / ٦٧.
٣ ـ المدونة ٨ / ١١٤.
٤ ـ الأغاني ٣ / ٢٩٩.
٥ ـ الأغاني ١٦ / ١٥٣
٦ ـ تهذيب ابن عساكر ٥ / ٤٠.

والراجح أن أغلب هذه الألبسة مما يجبيه عمر من اليمن حيث كان الشرط في الكتب التي وجهت إليهم والمعاهدات التي عقدت معهم أن يقدموا ألبسة ومنسوجات لأنها كانت أخف عليهم.

وقد استمر توزيع الألبسة في زمن عثمان أيضاً إذ يروي هدبة بن خالد البصري عن المبارك بن فضالة عن الحسن أنه قال «أدركت عثمان وعلي ما نقموا منه وما يأتي على الناس يوم إلا وهم ينالون فيه خيراً ويقال اغدوا على أعطياتهكم فيأخذونها ويقال اغدوا على كسوتكم فيأخذونها»[1] ويقول ابن سعد: «وأمر عمر فكتب له عيال أهل العوالي فكان يجري عليهم القوت ثم كان عثمان فوسع عليهم في القوت والكسوة»[2].

أما في العصر الأموي فليست لدينا إشارة إلى توزيع الألبسة.

أما في العصر العباسي فلدينا ذكر عن توزيع الألبسة إذ يذكر مصعب الزبيري، كان عبدالله بن مصعب بن ثابت في صحابة المهدي في المدينة وجلس للناس يعطيهم الأموال يعطي الرجل من قريش ثلاثمائة دينار ويكسوه سبعة أثواب[3].

ويروى أيضاً عن أبي بكر بن عبدالله بن مصعب أنه «وكان أمير المؤمنين الرشيد به معجباً وإليه مفوضاً وكان عنده وجيهاً أثيراً وأخرج لأهل المدينة على يديه نصف عطاء وكسوة وقسماً في سنة ١٨١ هـ وأخرج على يديه ثلاثة أعطية وكسوة فاخرة في سنة ١٨٦ هـ. وأخرج على يديه في سنة ١٨٨ هـ نصف عطاء وكسوة وقسماً»[4]. ويروي الأصبهاني عن عمر بن شبة عن عفان بن مسلم عن حماد بن سلمه عن حميد عن سلمان بن عتبة أنه «بعث عمر بن عبيدالله بن معمر

---

١ ـ أنساب الأشراف ٥ / ١٠٠.

٢ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٢١٤.

٣ ـ نسب قريش ٢٤٢

٤ ـ نسب قريش ٢٤٢.

إلى عمر والقاسم بن محمد بألف دينار فأتيت عبدالله بن عمرو وهو يغتسل في مستحم له فأخرج يده فصببتها في يده، فقال وصلت رحماً وقد جاءتنا على حاجة، وأتيت القاسم فأبى أن يقبلها، فقالت لي امرأته إن كان القاسم ابن عمه فأنا ولابنة عمه فأعطيتها، قال فكان عمر يبعث بهذه الثياب العمرية يقسمها بين أهل المدينة، فقال ابن عمر جزى الله من اقتنى هذه الثياب بالمدينة خيراً، قال وقال لي لقد بلغني عن صاحبك شيء كرهته، قلت وما ذاك، قال يعطي المهاجرين ألفاً ألفاً ويعطي الأنصار سبعمائة، فأخبرته فسوّى بينهم»[1].

---

١ ـ أغاني ١٤ / ١٠٢.

الفصل الرابع عشر

ملكيات الأراضي في الحجاز

إن دراسة ملكيات الأراضي ذات علاقة وثقى بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت على أثر نشوء الدولة الإسلامية، ولا تتضح معالم هذه الدراسة ما لم تدرس كافة النواحي الأخرى النقدية والمالية والاقتصادية والسكانية والفنية والإدارية، غير أنها في نفس الوقت لم تلقَ اهتماماً كافياً، رغم أهميتها في فهم الأحوال والتطورات التي حدثت على أثر ظهور الإسلام.

ولا ريب في أن الشرق الأوسط ـ وخاصة جزيرة العرب ـ كانت تقيم فيها عدة مجتمعات لكل منها ظروفها الجغرافية، وتقاليدها الاجتماعية والقانونية، وقد وحّد الإسلام الدولة ولكنه أبقى كثيراً من الأحوال المحلية ولم يُزل أثرها تماماً، وبقيت ذات مفعول أمداً من الزمن.

وللحجاز أهمية خاصة، ففيه ظهر النبي ﷺ وعاش ومارس سلطاته وإدارته في معظم سني الدعوة، ولما تكونت الدولة الإسلامية كان الحجاز العماد الأكبر في الفتوح، وظل مركز الخلافة في عهد الخلفاء الثلاثة الأول، فكانت تجيء إليه خمس واردات الأقاليم فضلاً عن أن رجاله كان منهم معظم القواد والإداريين والمستثمرين، الأمر الذي أدى إلى انصباب الثروة إليه، ومجيء عدد كبير من الأيدي العاملة إليه، وقد ظلت للحجاز مكانته حتى في أوائل العهد الأموي نظراً لأهميته القديمة في نشوء الإسلام ولاعتماد الأمويين على كثير من الأسر الحجازية في إدارتهم خاصة وأنهم ذاتهم حجازيون، والواقع أنهم طالما كانوا

يغدقون العطايا على أهل الحجاز بمختلف الوسائل. لذلك كانت التطورات الاقتصادية التي حدثت في الحجاز أوسع منها في الأقاليم الأخرى فهي لذلك تُكوّن ميداناً أوضح لهذه التطورات.

غير أنه لا بد من الاعتراف بأن الحجاز غير واضح الحدود، وقد اختلف الأقـدمون في تعريفه وتحديده وسأقصر بحثي هذا على المنطقة الممتدة من أطراف خليج العقبة شمالاً إلى منطقة الطائف جنوباً وإلى البحر الأحمر غرباً، أما شرقاً فسأدخل أطراف المدينة وقد أفردت لضريّة والرَّبذة، بحثاً خاصاً علماً بأن هذين الحمائين كانا من نجد ويفصلهما عن الحجاز صحراء غير زراعية.

درس كثير من البـاحثين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الإسلام، ولكن معظم هذه الأبحاث كانت عامة أو مقتصرة على الأقاليم المفتوحة كالعراق ومصـر، أمـا الحجاز فلا أعلم من تطرق لبحثه غير (لامنس) الذي أشار في دراستـه للطائف إلى الحياة الاقتصـادية وفي كتابه «مهد الإسلام» إلى أحوال الحجاز وتطوراته، غير أن بحوثه رغم غزارة مادتها تمثل نتفاً غير متماسكة، ولعل ذلك لأسلوب تفكيره أو لأن المشاكل التي درسها هي غير هذه المشكلة، علماً بأن لامنس لم يكن من ذوي الاتجاه السليم.

إنّ إهمـال هذا المـوضوع رغم أهميته يرجع فيما أعتقد إلى أن معظم الباحثين يميلون إلى استخدام بعض مصادر تقليدية، تقدم مادة معينة وتعالج مشـاكـل معينـة، مما يجعل بحوثهم مختلفة في مدى نقدها أو تحليلها لهذه المـادة، بينمـا كانـوا إذا أرادوا معالجة هذه النواحي لا يجدون عنها مادة في المصادر التقليدية بل يجب أن يفتشوا عنها في مصادر أخرى، وخاصة في كتب الجغرافية والفقه، وهي التي أُهملت رغم ما فيها من مادة قيمة، أو أن يتصيدوا الأخبـار الاقتصادية والاجتماعية المبعثرة في كتب التاريخ والتراجم وهو عمل مضن فيه كثير من المصايد.

ثم إن لغة ذلك العصر تختلف إلى حد ما عن غيرها، فكل مجتمع كان يستعمل في فترة معينة تعابير فنية خاصة به قد يزول استعمالها فيما بعد أو تختلط

بغيرهـا ويتطور معناها بحيث تصعب معرفة معناها الأصلي إلا للمتمرس، فتعبير الحائط والمخابرة والمزابنة والعثري والبعل كلها أصبحت غريبة على من يدرس لغة القـرن الرابع. كما أن كثيراً من التعابير غير دقيقة الحدود.

ولا ننسى أن المؤسسات الاقتصادية كانت آنذاك في دور تطور ولم تتخذ قالبها الذي نعرفه في العصور المتأخرة. فعندما يقال مثلاً: إن علياً كان يمتلك (يَنْبُع) فنحن نفترض أنه كان يمتلك الأراضي الزراعية فيها، غير أن هذا لا يبين بالضبط الأراضي الزراعية أو أهميتها الزراعية أو الملكيات الأخرى بجانبها أو مدى سعة ما كان يزرع، لا شك في أنه كانت في الحجاز عند ظهور الإسلام مناطق زراعية وإن كان أوضح معلوماتنا عن الواحات التي يقطنها اليهود في خَيْبَر وفَدَك ووادي القرى وكذلك عن المدينة، أما بقية المناطق فمعلوماتنا عنها تأتي ممـا بعد الإسلام ولا تمكننا المصادر من أن نحدد بالضبط مدى العلاقة بين أحوال هذه المناطق قبل الإسلام، وبعده. لذلك سنركز بحثنا على الأحوال منذ ظهور الإسلام فما بعد، مع ملاحظة أن معظم الأخبار التي تقدمها المصادر تتعلق بالملكيات التي حدثت بعد الإسلام، أما الملكيات التي كانت قائمة قبله فإن المصادر تبقى شحيحة المعلومات عنها، وجدير بالملاحظة أن فكرة الملكية في المنـاطق الصحراوية غير واضحة ولا دقيقة كما هي في المناطق الزراعية والمناجم. كما أن مصادرنا أيضاً تقدم مادة وافية عن أحوال القرن الأول والثاني فقط. أما التطورات التي حدثت في القرون التالية فالمعلومات عنها نزرة قليلة.

غير أن أحوال المدينة كانت تختلف عن هذا، فإن هجرة الرسول ﷺ إليها واتخـاذه لها مقراً طوال حياته بعد الهجرة واعتماده على أهلها الذين كان لهم اتصال وثيق بالإسلام، وإدارة الرسول ﷺ ساعد على تقديم مادة غير قليلة عن أحوالها.

ومن المعـروف أن المـدينة منطقة زراعية مأهولة، وقد ذُكر لنا عدد من مزارعهم وأغلبهـا على الـوديان الكبرى وخاصة مهزور ومُذَينِب وقناة، أي في جنوبها الغربي، وعن قُباء وحَرَّة زهرة، وفي شمالها الشرقي عند تَمَغ ويثرِب. أما

العقيق فلم يبدأ إعماره إلا منذ عهد عمر. ولما كانت هذه الأراضي زراعية فلا بدَّ أن تكون مؤسسة الملكية فيها أقوى وأكثر تثبتاً للأفراد.

لا تذكر المصادر تفاصيل شاملة عن هذه الملكيات بل تقتصر على ما له علاقة ببعض الحوادث المعينة، إلا أن هذه المادة القليلة كافية لإقناعنا بأن الملكية كانت فردية، وأنها لم تكن متساوية، وأن حق الوراثة مثبت، أما العمال فالراجح أن صاحب الأرض كان يعمل أرضه إن كانت صغيرة، أما إن كانت ملكيته كبيرة فهو يستخدم فلاحين، وإن كانت العلاقة بينهما غير واضحة، وربما كانت معقدة منوعة انعكست في الأحكام الفقهية.

ومع هذا فلم تكن المدينة تامة الاستثمار بل كان فيها كثير من الأراضي غير المزروعة فضلاً عن قلة السكان.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة لم يبدل المؤسسات الاقتصادية والمالية التي كانت قائمة فيها ولا مسَّ أملاك العرب والمسلمين فيها، خاصة وأنه قد نشأ ونما في المجتمع التجاري المكي القائم على الملكية الفردية، ثم إن مجيئه لم يحدث في بداية الأمر أزمة في الأراضي نظراً لقلة عدد المهاجرين الذين جاؤوا معه ولكثرة الأراضي غير المزروعة.

غير أن مجيئه إلى المدينة أدى إلى خلق أحوال وظروف كان شأنها أن تؤثر في أحوال الملكيات الكبيرة فمن ذلك إقصاؤه قينقاع وبني النَّضير، واجتثاثه قُريظة وإخضاعه خَيْبَر ووادي القُرى وفدَك.

لقد اعتُبِرَت أراضي بني النضير فَيئاً ـ وهو تعبير غير محدد في أصله ومعناه ولكنه حتماً ـ يستلزم أن تكون هذه الغنيمة بيد الرسول ﷺ يتصرف بها كما يشاء دون اتباع الطرق التقليدية، والواقع أنه خص المهاجرين دون غيرهم بتوزيعها ما عدا سَهل بن حُنيف وسماك الأنصاريين. وقد ذكرت عرضاً أسماء من نال من المهاجرين أراضي منها وهم أبو بكر، وقد أعطاه الرسول بئر حجر، وعمر بن الخطاب وقد أعطي بئر جرم، وصهيب بن سنان وقد أعطي الضراطة،

وعبدالرحمن بن عوف وقد أعطي سواله وكيدمة التي باعها فيما بعد لعثمان بأربعين ألف دينار، وأبو سلمة بن عبدالأسد وقد أعطي البُوَيرَة.

ويبدو من هذه النصوص أن الرسول ﷺ وزع عليه أراضي لا محاصيل، غير أننا لا نعلم فيما إذا كان قد وزع على آخرين لم تذكر لنا المصادر أسماءهم، ولا فيما إذا كان التوزيع بالتساوي، أي أن كل فرد نال نفس المقدار الذي ناله غيره، كما أننا لا نعلم لماذا اختار هؤلاء بالذات وهل كانوا وحدهم الذين خصوا بالتوزيع. ولعل تخصيصهم دون غيرهم يرجع إما تلبيةً لطلباتهم و رغباتهم الشخصية أو إلى ظروف خاصة بهم أو إلى أعمالهم وخدماتهم في هذه الفترة المبكرة. ولا شك في أن أراضي بني النضير خصبة واسعة، ولكننا لا نعلم فيما إذا كانت الأراضي الموزعة تشمل كافة أراضي بني النضير أم أنها جزء منها، وإن كانت الأخيرة فماذا حل ببقية الأراضي؟ ولا من كان يزرعها ويعمل فيها. ولا حصة الرسول ﷺ منها؟ وإن كنا نرجح أن صدقات الرسول السبع هي منها، لأن هذه الصدقات تقع في طرف بني النضير.

أما أراضي بني قريظة فإنها وزعت وفق أحكام الخمس والتوزيع وبموجبها يكون الرسول ﷺ أخذ خمسها ووزع الباقي على المسلمين بالتساوي، شأن غنائم الأموال المنقولة، غير أن حصة الرسول ﷺ لم تذكر، كما أننا لا نعلم عدد من قسمت عليهم أراضي بني قريظة، وهل كان التقسيم للأراضي أم المحصول، وعلى كل حال فلم تذكر المصادر التي بين يديَّ أي شخص امتلك من أراضي بني قريظة أو أية ملكية أو أية مشكلة أو أية مزرعة ولا العمال الذين أخذوا يعملون في هذه الأراضي مكان السبعمائة يهودي، وكيفية إدارتهم وأحكام عملهم. وإن سكوت المصادر يحمل على الاعتقاد بأن الرسول ﷺ كان يوزع المحاصيل دون الأراضي فكان نصيب المسلمين من الحاصل وأما أمر الملكية فلم يمس فضلاً عن أنه فيما يبدو كانت أهميته آنذاك غير كبيرة.

أما خَيْبَر فلنا عن أحوالها معلومات أوفى، فلدينا روايتان إحداهما تنص أن الرسول ﷺ استصفى نصفها وخمس النصف الثاني، ثم وزع الباقي على

المسلمين، وتقول الرواية الثانية أنه خمسها ووزع الباقي. ومهما يكن فالملاحظ أن أسماء من روي لهم نصيب من خيبر نجد أن نصيبهم غير متساوٍ وإنما هو متباين، وأن المصادر تروي النصيب بالمحصول وتصفه بأنه طعمة أي أنها تذكر أن الرسول ﷺ أطعم فلاناً كذا وسقاً من شعير أو تمر من خيبر، فهي لا تذكر الأرض بل تذكر المحصول، كما أنها تعتبر ذلك طعمة، غير أننا لا نعلم هل استمرت هذه الطعمة إلى الأبد ثابتة، وهل كانت تورث؟ أم أنها لم تتبع قاعدة مضطردة؟ إن لدينا خبراً واحداً عن أرض لعمر في خيبر أوقفها، وما عدا ذلك لم يرد في المصادر أي ذكر لمسلم امتلك من أرض خيبر، كما أن المصادر لم تشر إلى أية مشكلة أو قضية أثارتها هذه الأراضي الغنية بين المسلمين، والتي كانت تنتج أربعين ألف وسق. إن هذا يحملنا على الاعتقاد بأن أراضي خيبر كقُرَيْظة لم توزع على المسلمين بل كان الحاصل هو الذي يوزع، وأنها لذلك لم تكن عاملاً في نشوء الملكيات الفردية بين المسلمين، شأن أراضي النضير.

لقد روت المصادر عدداً غير قليل من الإقطاعات التي أقطعها الرسول ﷺ في داخل المدينة وفي الحجاز وبقية أنحاء الجزيرة، ولا شك في أنه أقطع في المدينة كثيراً من الأراضي لاتخاذها بيوتاً للسكنى أو لزراعتها، وأغلبها من الأراضي الخالية التي لم يكن لها مالك أو لم تكن لها أهمية، فلم تثر هذه الإقطاعات مشاكل كثيرة نظراً لعدم أهمية الأراضي آنذاك، ولأن معظم الأراضي الممنوحة كانت عراءً، وأكثرها إما من أراضي اليهود أو في المناطق الغربية التي كانت بوراً آنذاك. والراجح أن هذه الإقطاعات كانت استجابة لطلب المُقْطَعِين، وأن الرسول ﷺ لم يُعِرْ قضية الملكية أهمية كبرى، خاصة وأن الأراضي التي أقطعها لم تكن مأهولة أو مستقله.

أما في خارج المدينة فلدينا قائمة طويلة من الإقطاعات التي منحها الرسول ﷺ لعدد غير قليل من الأفراد جمعها الأستاذ حميدالله خان في كتابه عن «الوثائق السياسية» ومن سوء الحظ أن المصادر لا تقدم أخباراً عن الأراضي

المقطعة وأهميتها وملكيتها السابقة وعلاقة المقطع بالملاكين أو المتصرفين السابقين، بل وأحياناً لا تذكر مساحتها، ومع اعترافنا باحتمال تزوير بعض هذه الوثائق المتعلقة بالإقطاعات إلا أنها ليست كلها مزورة، والراجح أن أغلب هذه الأراضي أقطعها الرسول ﷺ بناء على طلب المُقطَع دون أن يعير شكل الملكية القانوني أهمية كبرى، أو يجري دراسة دقيقة لكل منها، والراجح أنها لم تكن من الأراضي الزراعية لذا لم تثر كبير اهتمام، اللهم إلا يَنبُع التي باعها مُقطَعها بثلاثين ألف درهم، والعقيق الذي بدأت أهميته تظهر منذ عهد عمر مما حمله على اشتراط الاستثمار في الإقطاع ومنع التحجير لأكثر من ثلاث سنوات.

إن إقطاع الرسول ﷺ قائم على فكرة الملكية الفردية وهو من عوامل تكوين الملكيات الفردية حتى بعد عهد عمر الذي اشترط الاستثمار في الإقطاع.

ولا شك في أن تطورات خطيرة حدثت في الحجاز إبّان القرن الأول الهجري فقد رافق الفتح الإسلامي وتبعه هجرة عدد كبير من أفراد بعض العشائر إلى البلاد التي فتحها المسلمون كما قدم عدد غير قليل من الأعاجم وإن كان عدد القادمين لا يساوي عدد المهاجرين من العرب، كما أن ازدياد عدد المهاجرين من الحجاز لا يكفي للتعويض عن خسارة هجرة السكان لأن هؤلاء لم يكونوا ليقيموا أمداً طويلاً.

غير أنه يقابل التطور في عدد السكان ارتفاع مستوى المعيشة وازدياد الثروة بمقدار هائل، وخاصة في المدن، وهذا يؤدي إلى زيادة الطلب على بعض المواد شبه الكمالية كالخُضرِ والفواكه والألبسة والعطور المعتمدة على المُنتَجات الزراعية.

ولا ريب أن المستوردات الأجنبية زادت، فالدولة كانت تستورد القمح من مصر خاصة وتضعه في ميناء (الجّار) لتوزعه على المسجلين في ديوان العطاء، وأغلبيتهم المطلقة من أهل المدينة. والراجح أن بعض هذه الأرزاق كان

أصحابها لا يستهلكونها بل يبيعونها لمن ليسوا في الرزق، والراجح أن الحجاز كان يستورد القمح أيضاً من الشام واليمامة.

وان ازدياد الطلب على المُنتَجات الزراعية كان دافعاً لتحسين الزراعة القديمة وأساليبها أو إدخال مزروعات شجديدة، ففي أخبار القرن الثاني مثلاً نجد ذكراً لعدد غير قليل من مزارع الموز والرمان والخوخ في مناطق من الحجاز كما أن في «مدَوّنةِ مالك» قائمة طويلة من المنتجات الزراعية من أنواع الحبوب والخضر والدهنيات والزيوت والعطور والفواكه، ولا شك في أن أغلبها كان في الحجاز حيث عاش هذا الفقيه، والراجح أن كثيراً من هذه المنتجات أدخلت في الحجاز في هذا القرن الذي وصل فيه الرخاء أوجه.

ومن المحتمل أن بعض التحسين في أساليب الزراعة ومنتجاتها قد جاء عن طريق الأعاجم الذين تقاطروا إلى الحجاز، واستخدم عدد غير قليل منهم في الزراعة، ولدينا عن ذلك بعض الإشارات منها عين يحنّس أنبطها لعلي أعجمي اسمه يُحنّس، ولعله تحريف من جوهانيس، وعين أبي نيْزَر حفرها أعجمي يقال إنه من الأحباش، وخليج بنات نائلة استخدم فيه ثلاثة آلاف من سبي الأعاجم، ولا ننسى أن وكيل معاوية على الصوافي بالمدينة هو ابن مينا، وواضح من اسمه أنه أعجمي، وربما من مصر أو الشام، ولعل هذه الأسماء بعض العدد الذي كان يستخدم في الري والزراعة من الأعاجم، واستخدامهم يرافقه إدخال خبراتهم وأساليبهم الزراعية التي تختلف عن أساليب أهل الحجاز. إن العمال الأعاجم الذين نقلوا خبراتهم ومهارتهم لم يكونوا الوحيدين بل لا بد أنه استخدم معهم بعض العرب من أهل الحجاز، وإن كنا لا نعرفهم، أما تنظيم العمل والعلاقة بين العمال وأصحاب الأرض فهو موضوع جدير ان يفرد له بحث خاص، وفي كتب الفقه والحديث واللغة مادة غير قليلة عنه تحتاج إلى معالجة ودراسة، وإن كنا نرجح أن الملاكين الصغار كانوا يعملون في أرضهم بأنفسهم، أما في الملكيات الكبيرة فلا بد أن يستخدم الملاك فلاحين، إما يعملون بالأجرة أو الأرجح بالمؤاجرة والمزارعة والمزابنة والمساقاة، أي بأخذ

حصة من المحصول، يختلف مقدارها بين الخمس والنصف، ولا بد أن يخصص للفلاحين بعض الأرض لرعي المواشي وللاحتطاب، غير أن فريقاً منهم كان من القنّ أي أنه يبقي العامل مرتبطاً بالأرض وتنتقل علاقته إلى كل من يشتري هذه الأرض وإنَّ كثرة إشارات «المدونة» و «الموطأ» وهما مؤلفا رجل من أهل المدينة لدليل على مدى أهميتها.

ولا ريب في أن العوامل الطبيعية لا تمنع الحجاز من تكوين المزارع، صحيح أن أمطاره الشتوية أقل من أن تكفي للزراعة غير أنه تتوفر فيه المياه الباطنية التي إذا عولجت تكفي لزراعة مناطق غير قليلة. ولا شك في أن هذه المياه تتوفر بجوانب الوديان وفيها وعلى أطراف الحَرّات والجبال، هذا فضلاً عن بعض الوديان التي فيها مياه دائمة بشكل مجاري أو غدران. والواقع أن معظم مزارع المدينة كانت تعتمد في البداية على الوديان والآبار، ثم صارت تعتمد منذ عهد عثمان تدريجياً على العيون، وخاصة في شماليها وشرقيها. أما في خاج المدينة فأغلب ما روي لنا المزارع التي كانت قائمة على العيون.

وإذا كانت تعابير الرواة دقيقة فيبدو أن المقصود بالعين هي البئر (الارتوازية) وهي بدورها تعتمد فيما يبدو على المياه الباطنية. غير أن الري لا يتطلب حفر الآبار والعيون فحسب، بل عمل السدود والفقائر والكهاريز والقنوات أيضاً. ولدينا أخبار عن السد الذي أنشأه عثمان على مُذَيْنيب ليقي المسجد الجامع من الغرق، وأدّى بدوره إلى إحياء أراضي زراعية في طريق قُبَاء، وسدّ أنشأه عبدالله بن الزبير في جنوب المدينة، هذا عدا عدد غير قليل من الضفائر التي أنشئت على المزارع التي تُرْوَى من العقيق. أما القُنِيُّ فهي كثيرة، وأما الكهاريز فلدينا عنها ذكر ما عمله معاوية في شمال المدينة في عينين عند أُحُدٍ.

غير أنه لا بد أن نذكر أن من عوامل تحديد الزراعة الأمراض المتوطنة لها الملاريا والبلهارزيا التي لدينا عنها، وخاصة الملاريا إشارات غير قليلة لها.

إن إمكانية إحياء الأراضي واستثمارها أدّى إلى زيادة إقبال الناس على شرائهـا والمضاربة فيها، وهذا أدّى إلى ارتفاع أسعارها. ولدينا معلومات غير قليلة عن أسعار البيوت في المدينة التي كان بعضها تبلغ قيمته آلاف الدنانير، وخاصة تلك التي كانت قرب مسجد رسول الله ﷺ حيث كان يستوطن الأغنياء من المهاجرين. وقد امتد هذا الارتفاع إلى الأراضي الزراعية التي وصلت أسعار بعضها إلى مبالغ هائلة.

توجـد عن الملكيات وأحـوالها إشارات متفرقة في كتب الفقه والتراجم والأدب، غير أن أبـرز المؤرخين الـذين اهتمـوا في هذا الباب هم ابن زبالة والزبير بن بكّار وابن شَبّة، وأبي عبدالله الأسدي، وعَرّام بن الأصبغ. أما كتاب عَرّام فكنا نعتمد فيه على ما رواه ياقوت والسمهودي إلى أن طبع حديثاً ثلاث طبعـات، وهـو يقدّم وَصْفاً جغرافياً مفصلاً للمنطقة التي نحن بصدد دراستها مهتمـاً بالتضـاريس الأرضية والمياه والحاصلات والسكان والملكيات، ويكاد يكون هو وابن زبالة الوحيدين اللذين يبينان أملاك العامة والناس، رغم أنه مؤلف في القرن الثالث الهجري.

أمـا محمـد بن الحسن بن زبالة فهو أقدم مؤرخي خطط المدينة، وقد وصلتنا مقتطفات من كتابه نقلها ابن النجار والسمهودي الذي يقتطف منه بكثرة، وهـو يصف طوبـوغـرافية محـلاة الأنصار واليهود من أهل المدينة مع كير من الإشارات إلى الآبار والمزارع والملكيات.

أما ابن شَبّة فهو من أواخـــر القرن الثاني وقد ألّف كتاباً عن أخبار المدينة يبدو مما نقله السمهودي عنه أنه يهتم بالمهاجرين والحجازيين الذين استوطنوا المدينة مع إشارات غير قليلة إلـى أسعار هذه الأسعار والبيوت وأملاك الصحابة وقد طبع الكتاب قبل سنوات.

أما أبو عبدالله محمد بن أحمد الأسدي فقد ألّف في وصف الطريق بين مكة والمدينة وهو يقدم فيه معلومات قيّمة عن الأملاك الواقعة على تلك الطريق

ومعلوماته موجودة في كتاب المناسك ومنازل الحج الذي طبع مؤخراً.

إن معظم المؤلفات لم يبق منها إلا ما نقله عنها المتأخرون وخاصة السمهودي الذي رغم كثرة نقله لا يمكن الجزم بأنه قد استوعب في كتابه كافة معلوماتهم.

أما الزبير بن بكار فإن كتابه في نسب قريش طبع مؤخراً بعضه وفيه معلومات غير قليلة عن أملاك الزبيريين.

لا يمكن القول بأن المعلومات التي لدينا عن الملكيات الكبيرة شاملة، فأغلبها تتركز حول ملكيات المقيمين في المدينة، وخاصة بعض الأسر المعينة، كما أننا لا نجد إشارات إلى هذه الملكيات بعد القرن الثاني ولا نعلم فيما إذا كان ذلك راجعاً إلى إغفال المؤرخين لذكرها أم لتبدل الأحوال الاقتصادية التي أدت إلى تدهور الأحوال الاقتصادية. والواقع أن الأزمات الاقتصادية يرد ذكرها منذ أوائل القرن الثاني ففي زمن هشام بن عبدالملك حدثت أزمة اقتصادية عنيفة أدت إلى تدهور الحياة الاقتصادية وإلى هجرة بعض السكان.

وأكبر الأسر التي اهتم أفرادها بامتلاك الأراضي الزراعية وإحيائها كما تقدمه المصادر التي اعتمدت عليها هم علي والزبير وأولادهما، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف.

أملاك علي بن أبي طالب

فأما علي بن أبي طالب فأهم أملاكه ينبع حتى أن البكري يقول: ينبع وادي علي بن أبي طالب (معجم ما استعجم ١٣١٠) ويقول الشافعي: ولم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يلي صدقته بينبع حتى لقي الله عزّ وجل (الأم ٢٧٦/٣).

ويظهر أن علياً كان يقيم كثيراً في ينبع فقد روى «أحمد بن الضحاك أن أبا فضالة خرج عائداً لعلي بينبع وكان مريضاً فقال له: ما يسكنك هذا المنزل لو هلكت لم يَلِكَ إلا الأعرابُ أعراب جُهَيْنَة، فاحتمِل إلى المدينة فإن أصابك قدرٌ وليك أصحابك فقال علي: إني لست بميت من وجعي هذا إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن لا أموت حتى أضرب ثم تخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من هذه ـ يعني هامته ـ (وفاء الوفا ٢ / ٣٩٣).

ويروي يحيى بن آدم عن الحسن عن عبدالله بن الحسن «أن علياً رضي الله عنه سأل عمر بن الخطاب فأقطعه ينبع».

ويقول جعفر بن محمد إن علياً: أقطعه عمر ينبع ثم اشترى علي رضي الله عنـه قطيعة عمر أشياء فحفر فيها يميناً (ابن شبّة ٢٢١، ياقوت ٣ / ٩٠٣ وفاء ٢ / ٣٥٦) ويروي عمار بن ياسر: أقطع النبي ﷺ علياً بذي العُشَيرَة من ينبع ثم أقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة، واشترى علي إليها قطيعة وكانت أموال علي بينبع عيوناً متفرقة تصدق بها. (ابن شبة٢٢١ ٢ / ٣٩٣) وهذا نص غامض قد يفهم المرء منه أن كل هذه الأموال بينبع.

ويروي ابن شبّة عن كشد بن مالك الجهنى قال: نزل طلحة بن عبدالله وسعيد بن زيد بن علي بالمنجـار (البكـري: التجـار) وهـو موضع بين حورة السفلى وبين منحوين (البكري: منحوس) على طريق التجار في الشام حين بعثهما رسول الله ﷺ يرقبان عِير أبي سفيان فأجازهما كشد فلما أخذ رسول الله ﷺ ينبـع أقطعها له فابتاعها منه عبدالرحمن بن سعد الأنصاري بثلاثين ألف درهمٍ فخرج عبدالرحمن إليها فرمى بها وأصاب سافيها وربحها فقدرها وأقبل

راجعا فلحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمنزل وهو يليه دون ينبع فقال: من أين جئت؟ فقال: من ينبع وقد: شنفتها فهل لك أن تبتاعها؟ قال علي: قد أخذتها بالثمن، قال: هي لك. فكان أول شيء عمله فيها البُغَيْبِغة (ابن شبة ٢١٩ - ٢٢٠ وفاء ٢ / ٣٩٢ - البكري ٦٥٧).

إن هذا النص يظهر أن علياً اشتراها جملة، ولا يشير من أين حصل عليّ على الثلاثين ألف درهم كما لا يشير إلى الإقطاعات التي ظفر بها من النبي ﷺ وهل سبقت هذا الشراء وهو ما نرجحه كما لا يذكر موقع إقطاع عمر.

وإذا أخذنا بما قال ابن شَبّة فيمكن القول أن النبي أقطع عليّاً بعض ينبع ثم وسعها شراءً أو إقطاعاً فأصبحت ملكية واسعة وإن كنا لا نعرف مساحتها.

ويقول ابن شَبّة فيما نقل في صدقته: وكانت أمواله متفرقة بينبغ منها عَين يقال لها عين البُحَير، وعين يقال لها عين أبي نَيْزر، وعين يقال لها نولا، وهي التي يقال أن عليّاً رضي الله عنه عمل فيها بيده، وفيها مسجد النبي وهو متوجه إلى ذي العُشَيرة، وفي هذه العيون اشراب بأيدي أقوام زعم بعض الناس أن ولاة الصدقة أعطوهم إياها، ودعم الذين هي بأيديهم أنها ملك لهم إلا عين نولا، فإنها خالصة (ابن شبة ٢٢١ - ٢٢٢)، (وفاء ٢ / ٣١٨).

ليست لدينا معلومات عن عين البُحَير وعين نولا، ويبدو أنهما من أقدم عيون ينبع لأن عليّاً عمل فيها بيده، وفيها مسجد النبي ﷺ في العُشَيرة. أما البغيبغة وعين أبي نيزر فلدينا عنها معلومات واسعة نسبيّاً.

أما البغيبغة فقد روى ابن شَبّة أن ينبع لما صارت لعلي كان أول شيء عمله فيها البُغَيبِغَة، وأنه لما بُشّر بها حين صارت له قال: تَسُرُّ الوارث، ثم قال: هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب (ابن شبة ٢٢٠).

وفي رواية للواقدي أن جذاذها بلغ في زمن علي ألف وسق. وقال محمد بن يحيى: عمل علي بينبع البغيبغات، وهي عيون منها عين يقال لها خيف

الأراك، ومنها عين يقال لها خيف ليلى، ومنها عين يقال لها خيف نسطاس فيها خليج من النخل مع العين.

وكانت البغيبغات مما عمل علي وتصدّق به، فلم يزل في صدقاته حتى أعطاها حسينُ بن علي عبدَالله بن جعفر بن أبي طالب يأكل ثمرها: ويستعين بها على دينه ومؤونته، على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية، فباع عبدالله تلك العيون من معاوية. ثم قبضت حين ملك بنو هاشم الصوافي فكلم فيها عبدالله بن حسن بن حسن أبا العباس وهو خليفة فردّها في صدقة علي، فأقامت في صدقته حتى قبضها أبو جعفر في خلافته وكلم فيها الحسن بن زيد المهدي حين استخلف وأخبره خبرها فردّها مع صدقات علي (ابن شبه ٢٢٢ وفاء ٢ / ٢٦٢ - ٣).

وقال المبرد: روي أن علياً لما أوصى إلى الحسن وقف عين أبي نيزر البغيبغة، وهي قرية بالمدينة وقيل عين كثيرة النخل، غزيرة الماء، فلم تزل هذه الضيعة في يد بني عبدالله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى استخلف المأمون فذكر له فقال: كَلّا، هذه وقف علي، فانتزعها وعوضهم عنها وردّها إلى ما كانت عليه (وفاء ٢ / ٢٦٣).

ويقول السمهودي عن البغيبغة: «وهي معروفة اليوم بينبع» (وفاء ٢ / ٢٦٢).

ويقول وكيع: «إن البغيبغة صدقة علي بن أبي طالب وإن معاوية كان خطب أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر وهي بنت زينب بنت علي لفاطمة بنت محمد، على ابنه يزيد، فأراد أن ينكحه فبعث إلى حسين في ذلك فذكر حديثاً طويلاً فيه أن البغيبغة لم تزل في يد حسن حتى هلك، ثم وثب عليها يزيد بن معاوية فكانت في يده، ثم كانت في يد ابن الزبير فكانت إذا كانت المدينة في يد ابن الزبير وثب عليها آل علي، وإذا كانت في يد يزيد بن معاوية قال: البغيبغة في يده، ثم دفعها عبدالملك إلى آل معاوية، حتى قام عمر بن

عبـدالعـزيز فردّهـا إلى آل علي، فلما ملك يزيد بن عبدالملك ردّها إلى آل معاوية، (أخبار القضاة ٢ / ١٥٣).

أما عين أبـي نيزر فقد ذكر السمهــودي: «عين أبي نيزر بينبع من صدقة علي بن أبي طالب» (وفاء ٢ / ٣٤٨).

يروي أبو محلم محمد بن هشام بإسناده: كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم، قال: وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى رسول الله ﷺ وكان معه في بيوته، فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها.

قال أبو نيزر: جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال: هل عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين: قَرعٌ من قَرعِ الضيعة ضالته بإهالةٍ سَنِخَةٍ (البكري حنقته بإهالة سنحة) فقال: عَلَيّ به! فقام إلى الربيع وهو جَدْوَل، فغسل يده، ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع إلى الربيع.

ثم جعلها صدقة فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما تصدق به عبدالله علي أمير المؤمنين، تصدّق بالضيعتين: بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل يقي بهما وجهه من حَرّ النار يوم القيامة، لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما.

قال أبو محلم محمد بن هشام: فركب الحسين دَيْنٌ فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال: إنما تصدّق بها أبي يَقي وجهه حَرَّ النار ولست بايعهما بشيء (ياقوت ١ / ٧٥٧ والبكري عن محمد بن يزيد عن محمد بن هشام ٦٥٧ ـ ٨).

وينقل ابن شبه كتاب صدقة علي وفيه: (إن ما كان لي بينبع من ماء يعرف لي فيهـا ومـا حوله صدقة وقفتها غير أن رباحاً وأبا نيزر وجبيراً اعتاقهم وهم

يعملون في الماء خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم (ابن شبه ٢٢٥ ـ ٦، وفاء ٣٤٨/٢)؛ وروى ابن ابي شيبة، في كتابه المصنف (١٠/٣٧٥ ـ ٦) مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

ونحن نرجح أصالة هذه الجملة لسعة اطلاع ابن شبة واهتمامه بالصدقات ودقته، ونرى أن نص أبي محلم المذكور آنفاً مبتور، غير أنه غير مغلوط لأن السمهودي يقول «فكتب وذكر الصدقة بالضيعتين البغيبغة وعين أبي نيزر على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، لا يباعان ولا يوهبان إلا أن يحتاج لهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس ذلك لغيرهما، قال ابن هشام: فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع. (وفاء ٢ / ٣٤٨) ويبدو أن السمهودي قد نقل عن محمد بن هشام هذا النص الذي يشبه ما رواه ياقوت والبكري.

ويروي ياقوت أن وقف هذين الموضعين كان لسنتين من خلافة علي (ياقوت ١ / ٦٩٧) وهذا نص غير دقيق لأن علياً لم يذهب إلى المدينة بعد أن سار إلى العراق في أوائل خلافته.

ويروي ياقوت: (وتحدث النيزريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة: أما بعد فإن أمير المؤمنين قد أحب أن يرد الإلفة ويسل السخيمة ويصل الرحم، فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وأرْغِبْ له في الصداق. فوجه مروان إلى عبدالله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وعرفه ما في الإلفة من إصلاح ذات البين، قال عبدالله: إن خالها الحسين بينبع، وليس ممن يُفْتات عليه، فأنظرني إلى أن يقدم، وكانت أمها زينب بنت علي (رضي الله عنها) فلما قدم الحسين ذكر له ذلك عبدالله بن جعفر فقام من عنده ودخل على الجارية، وقال: يا بنية إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نَحلتك البُغيبغات.

فلم تزل هذه الضيعة في يدي (آل) عبدالله بن جعفر من ناحية أم كلثوم

يتوارثونها حتى استخلف المأمون فذكر [له] ذلك فقال: كلا هذا وقف علي بن أبي طالب على ولد فاطمة، فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها إلى ما كانت عليه» (ياقوت ١ / ٦٩٧ البكري ٩٥٦ عن محمد بن هشام بتلخيص).

أملاك أخرى:

يروي جعفر الصادق رضي الله عنه أن النبي ﷺ أقطع علياً رضي الله عنه أرضين الفقيرين وبئر قيس والشجرة (ياقوت ٣ / ٩٠٦ وفاء ٢ / ٣٥٦) ويذكر يحيى بن آدم أن النبي ﷺ أقطع علياً بئر قيس والشجرة دون أن يذكر الفقيرين (الخراج: ٢٥٥) ذكر ابن شبّة في صدقة علي أن فيها الفقيرين بالعالية وبئر الملك بقناة، والأدبية بإضم وأنه ذكر أن حسناً أو حسيناً، باعا ذلك فتلك الأموال متفرقة في أيدي الناس ثم حكى كتاب الصدقة نصاً ولفظه: والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله. ثم ذكر تسويغ البيع لكن من الحسن والحسين دون غيرهما (ابن شبه ٢٢٣، وفاء ٢ / ٣٥٦، ٢٥٨).

ويقول السمهودي: «الفقير موضعين قرب المدينة يقال لهما الفقيران... قال: المَجد: وبعالية المدينة حديقة تعرف بالفقير... وسبق في الصدقات مكاتبة سلمان سيده القرظي على أن يحيى له ذلك النخل بالفقير فالظاهر أنه المعروف اليوم بالفقير قرب بني قريظة» (وفاء ٢ / ٣٥٦).

وذكر ابن شبَّة في صدقات علي رضي الله عنه واد يقال له تُرعة بناحية فَدَك بين لابتي حرة ووداً يقال له الأسحن (ابن شبه ٢٢٥، وفاء ٢ / ٢٧٠) وأن له عين ناقه بوادي القرى عن العلا، وله بحرّة الرَّجْلا من ناحية شعب زيد: وادٍ يدعى الأحمر، شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع، وبني عدي منحه من علي، وله أيضاً بحرة الرجلا وادٍ يقال له البيضاء فيه مزارع وعضاه، وله بحرة الدخلا أربعة آبار. وله بناحية فدك بأعلى حرة الرجلا مال يقال له القصيبة... إن وادي القصيبة قبلي خيبر وشرقي وادي عصر» ابن شبة ٢٢٤، ٢٢٦ (وفاء ٢ / ٢٨٨).

يروي يحيى بن آدم عن قيس عن عبدالله بن عطاء عن أبي جعفر «ما قتل

ابن عفان حتى بلغت غلة علي مائة ألف» (الخراج ٦٣).

يذكر الشافعي «ولم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يلي صدقته. بينبع حتى لقي الله عز وجل، ولم تزل فاطمة عليها السلام تلي صدقتها حتى لقيت الله تبارك وتعالى (الأم ٣ / ٢٧٦). ويقول أيضاً: وقد وصفت لك أن أهل هذه الصدقات من آل عليب وغيرهم قد ذكروا ما وصفت من أن علياً ومن تصدّق لم يزل يلي صدقته، وصدقاتهم فيها جارية ثم ثبتت قائمة مشهورة القسم والموضع إلى اليوم (الأم ٣ / ٢٧٨).

وهو يروي عن محمد بن علي بن نافع عن عبدالله بن حسن بن حسين عن غير واحد من أهل بيته قال: وأحسبه قال زيد بن علي، إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تصدقت بمالها على بني هاشم وبني المطلب وإن علياً رضي الله عنه تصدق عليهم وأدخل معهم غيرهم، قال الشافعي: وأخرج إليّ والي المدينة صدقة علي بن أبي طالب وأخبرني أنه أخذها من آل أبي رافع، وأنها كانت عندهم فأمر بها وقرئت عليَّ فإذا فيها: تصدق بها علي رضي الله عنه على بني هاشم وبني المطلب، وسمى معهم غيرهم قال وبنو هاشم تحرم عليهم الصدقة المفروضة لم يسم علي ولا فاطمة منهم غنياً، ولا فقيراً...» (الأم ٣ / ٢٧٩).

فأما صدقة فاطمة فمنها ـ فيما يروي عرام ـ أم العيال (جبال تهامة ٤٠٤ ياقوت ١ / ٣٣٦ وفاء ٢ / ٢٤٨).

أملاك آل علي:

وبجانب أملاك علي وفاطمة وصدقاتهما التي ورثها أولادهما فقد ذكرت أراضي كان يمتلكها الحسن والحسين وأولادهما في مواقفع متعددة دون أن تشير المصادر إلى زمن امتلاكها أو طريقته.

فيذكر عرام: (وفي سايَة نخل ومزارع وموز ورمان وعنب. . وأصلها لولد علي بن أبي طالب وفيها من أفناء الناس (عرام ص ٤١٤، ياقوت ٢ / ٢٠٦ البكري ٧٨٦ وفاء ٢ / ٣٢١). ويقول ابن جِنّي: شَمَنْصِير: جبل سايَة، واد

عظيم به أكثر من سبعين عيناً وهو وادي أمَج» (وفاء ٢ / ٣٢١) ويقول السمهودي: «عين يحنس كانت بالمدينة للحسين بن علي استنبطها غلام له يقال له يحنس: وباعها علي بن الحسين من الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بسبعين ألف دينار قضى بها دين أبيه الحسين إذ قتل وعليه هذا القدر» (وفاء ٢ / ٣٤٩) ويقول أيضاً: (قراقر موضع من أعراض المدينة لآل حسين بن علي بن أبي طالب» (وفاء ٢ / ٣٦٠) و «العَمْقُ: واد يصب في الفُرُع ويسمى عَمْقَيْن لبعض ولد الحسين بن علي، وقيل هو عين بوادي الفرع وسبق في أودية العقيق أن ما يدبَرَ من ثنية عَمْقٍ يصب في الفُرُع» (وفاء ٢ / ٣٤٣).

ويذكر الطبري: أن علي بن الحسين وهو بمال له إلى جنب المدينة (طبري ٢ / ٤١٠). ويذكر السمهودي: (عَبَائِرُ: واد من الأشعر بين نخلى وبُوَاط فيه نقب يؤدي إلى ينبع وهو لبطن من جهينة ابتاع موسى بن عبدالله الحسيني منهم أسفله وعالج بها عيناً (وفاء ٢ / ٣٤٢).

أما عن الحسن فيقول السمهودي أن «الحفياء صدقة الحسن بن علي» (وفاء ٢ / ٢٩٢). و «مرتج: واد قرب المدينة لحسن بن علي وقيل: موضع قرب الأبواء (وفاء ٢ / ٣٧١). ويقول ياقوت: مرتج وهو موضع قرب وَدّان وقيل هو في صَدْر نَخْلى واد لحسن بن علي بن أبي طالب (ياقوت ٤ / ٤٨٦).

أما أولاده فيقول السمهودي «نَخْلى من أودية الأشعَر الغَوْرية تصب في يَنْبُع وبأسفله عيون لحسن بن علي بن حسن منها ذات الأسيل وبأسفله البَلَدة والبُليدة» (وفاء ٢ /٣٨٢) و«السيالة وهي لولد الحسن بن علي ولقوم من قريش» اليعقوبي البلدان ٣١٤.

ويضيف السمهودي على ذلك «وعلى ميل منها عين تعرف بسُوَيقَة لولد عبدالله بن حسن كثيرة المياه عذبة..» (وفاء ٢ / ١٦٦ بكري ٧٧٠).

ويقول البكري «الحزرة تلقاء سُوَيقة لآل الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب» (بكري ص ٤٤١). أما السمهودي فيقول «الحَزْرَة: من أودية الأشعر

يفـرغ في الفقـارة، سكـانـه بنو عبدالله بن الحصين الأسلميون وبه المُلَيْحة وبأسفلها العين التي تدعى سُوَيقة (وفاء ١ / ٢٩١). ويقول البكري: «البثنة أرض تلقـاء سويقة، بالمدينة اعتملها عبدالله بن حسن بن حسن.. وبأسفل الحـورة عين عبـدالله بن الحسين التي تدعى سويقـة، ثم تنفـذ بين السفـح والمُشاش، وبها ذات الشعب وبها المليحة» (بكري ١٥٦).

أمـا الحسن بن زيد فقـد كانت له أمـلاك كثيرة منهـا: «الحفيا صدقـة الحسن بن زيد بن علي وهي بأدنى الغابة» (وفاء ٢ / ٢٩٢). و«عابد بطرفه عين للحسن بن زيد على الطريق منقطعاً فيها» (وفاء ٢ / ٢٤١). و«السُّقيا... وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك كثير منها صدقات للحسن بن زيد» (البكري ٧٤٣).

و«عيون الحسين بن زيد بن علي بن الحسين وهي ثلاث بأعمال المدينة إحداها بالمضيق والأخرى بذي المروة والثالثة بالسقيا» (وفاء ٢ / ٣٤٩).

ويروي السمهودي عن الحسن بن زيد أنه أخذ من معن بن زائدة عشرين ألف دينار... «وقدمت المدينة واستخرجت عيناً بالمضيق وعيناً بالسُّقيا وبنيت منازل بالبقيع» (وفاء ٢ / ٣٤٩).

ويذكر السمهودي: سويقة عين عذبة كثيرة الماء بأسفل حزرة (حورة؟) على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمين المتوجه إلى مكة لولد عبدالله بن حسن. و«قال المجد: هي موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب (وفاء ٢ / ٣٢٦ وانظر ١٦٦).

وكان محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى الحسني خرج على المتوكل فأنفذ إليه أبا الساج في جيش ضخم فظفر به وبجماعة من أهله فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم وأخرب سُوَيْقَةَ وعقر بها نخلاً كثيراً وعقر منازلهم وما أفلحت سويقة بعـد (الأغاني ٤/٨٥، وفاء ٢/٣٢٦). ويروي ياقوت «ملل: واد ينحدر من ورقـان جبـل مزينـة، حتى يصب في الفَـرش، فَرْش سُويقـة وهو مُتَبَدّى بني حسن بن علي بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش

حتى يصب في إضم ثم يفرغ في البحر» (ياقوت ٣ / ٨٧٤ ـ ٥).

ويقول الأسدي: (السيالة وهي لولد الحسين بن علي بن أبي طالب ولقوم من قريش، وعلى ميل منها عين تعرف بسيوقة لولد عبدالله بن حسن كثيرة الماء عذبة.. وذكر آباراً كثيرة بالسيالة وكان قد تجدد منها بعد النبي ﷺ عيون وسكان (وفاء ج ٢ ص ١٦٦).

ويقول اليعقوبي: «السيالة وهي لقوم من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب وكان بها قوم من قريش وغيرهم» (البلدان ٣١٤).

ويقول البكري: (السيالة لولد حسن بن علي... وبالسيالة آبار عظيمة بئر الرشيد منها تسع أذرع (٧٧٠).

وقال الأسدي: «وبالسقيا مسجد لرسول الله إلى الجبل، وعنده عين عذبة ثم ذكر أن بالسقيا أزيد من عشر آبار، وأن عند بعضها بركة. ثم قال وفيه عين غزيرة الماء ومصبها في بركة في المنزل، وهي تجري إلى صدقات الحسن بن زيد، عليها نخل وشجر كثير، وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٢٤٣ ثم انقطعت في سنة ٢٥٣، وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئراً، وفيها ما أحدث من أيام المتوكل خمسون بئراً، وماؤهن عذب، وطول رشائهن قامة وبسط وأكثر وأقل» (وفاء ٢ /٣٢٣).

يروي الزبير بن بكار «كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى تيم إذا جاءته غلة من الخانقين أن يصله» (الأغاني ٦/١٥).

ويذكر السمهودي: «صَفَرُ جبل أحمر بفرش ملل يقابل عَبُّوداً، الطريق بينهما، وبه بناء كان للحسن بن زيد وبقضاه ردْهة يقال لها ردهة العجوزين والعجوزين هضبات هناك كان يسكنها أبو عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الزمعي جد ولد عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي

طالب لأمهم (وفاء ٢ / ٣٣٧، ٣٣٥، البكري ١٢٥٧).

ويقول السمهودي عن عبود: (وفاء: ٢ / ٣٤١) (بطرفه عين الحسن بن زيد على الطريق منقطعة فيها يقول معقل الليثي:

«قال الزمخشري يَبْنُ: عين بواد يقال له حَوْرتَان، وهي اليوم لبني زيد الموسوي من بني الحسن» (وفاء ٢ / ٣٩٣).

ويقول السمهودي عن يَين: «وسيلهما يصب في حَوْرَتين وأثر العين والقرية اليوم موجودة هناك، وكان بها فواكه كثيرة حتى نقل الهجري أن يين بلد فاكهة المدينة، وكانت تعرف من قريب بقرية بني زيد، فوقع بينهم وبين بني يزيد حروب فجلا بنو زيد إلى الصفراء وبنو يزيد إلى الفرع، فخربت، وكانت منازل أسلم قديماً (وفاء ٢ /٣٩٣).

يروي ابن شبَّة عن عيسى أنه لما قتل عيسى بن موسى محمداً (النفس الزكية) قبض أموال بني الحسن كلها فأجاز ذلك أبو جعفر (الطبري ٣ / ٢٥٨) ويروي أيضاً أنه «كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى: من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلي باسمه، ومن لم يلقك فاقبض ماله، قال فقبض عين أبي زياد، وكان جعفر بن محمد تغيب عنه فلما قدم أبو جعفر كلمه قال: مالي قد قبضه مهديكم» (الطبري ٣ / ٢٥٨).

ويروي أيوب بن عمر «لقي جعفر بن محمد أبا جعفر فقال يا أمير المؤمنين ردّ علي قطيعتي عين أبي زياد، آكل من سعفها فقال: إياي تكلم بهذا الكلام، والله لأزهقن نفسك، قال فلا تعجل عليّ، قد بلغت ثلاثاً وستين، وفيها مات أبي وجدّي وعلي بن أبي طالب، وعلي كذا وكذا إن رِبْتُك بشيء أبداً، وإن بقيت بعدك إن رِبْتُ الذي يقوم بعدك، قال: فرقّ له وأعفاه (الطبري ٣ / ٢٥٨).

غير أن هشام بن إبراهيم بن هشام يروي «لم يرد أبو جعفر عين أبي زياد حتى مات فردها المهدي على ولده» (الطبري ٣ / ٢٥٨).

ويروي ياقوت والسمهودي عن الهجري «وفي شق حمراء الأسد الأيمن خاخ بلد ـ فيه منازل لمحمد بن جعفر بن محمد وعلي بن موسى الرضا وغيرهم، وبئر محمد بن جعفر وعلي بن موسى ومزارعهما تعرف بالحضر» (ياقوت ٢ / ١٨٤ وفاء ٢ / ٢٩٦ ـ ٧).

أما الحسين بن علي صاحب فَخٍّ فيروي الأصبهاني بسند عن الحسن بن هذيل أن الحسين قدم بغداد «فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينار (مقاتل الطالبيين ٤٤١) والراجح أن هذه الضيعة كانت بالحجاز حيث يقيم الحسين بن علي.

ويذكر السمهودي أن زين العابدين كان يسكن العُنابة، وهي قارة سوداء ـ أسفل من الرويثة إلى المدينة . . . (وفاء ٢ / ٣٤٧).

كما يذكر أن «عين القشيري بطريق مكة بين السُّقيا والأبواء كثيرة الماء لها مشارع يشرب منها الحاج، وعليها نخل كثير كانت لعبدالله بن الحسن العلوي (وفاء ٢ / ٣٥١).

وقد ذكرت لآل جعفر بن أبي طالب أملاك منها مَلَلُ التي يذكر اليعقوبي أنها في هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن أبي طالب (البلدان ٣١٣) ويقول ياقوت: (ملل: واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش سُويقة وهو متبدّى بني الحسن بن علي بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم (ياقوت ٤ / ٦٣٧، ٣ / ٨٧٤ ـ ٥).

وكان الأثيل موضع بين بَدر والصفراء به عين لآلِ جعفر بن أبي طالب (وفاء ٢ / ٢٤٢) وكتُانة: عين بين الصفراء والأثيل لبني جعفر بن أبي طالب (وفاء ٢ / ٣٦٤) ويقول البكري إن «كُتانة موضع بنجد فيه نخل كثير فيه نخل كثير كان لجعفر بن إبراهيم بن عبدالله بن جعفر قال محمد بن حبيب: وهي اليوم لبني مريم» (البكري ١١١٣).

ولبني جعفر بن أبي طالب عين بالشّبا: وادٍ من أودية المدينة. . وقال ابن حبيب: الشبا قريب من الأبواء لجهينة (بكري ٧٧٧ ياقوت ٢ / ٢٤٧) وينقل ياقوت عن أبي الحسن المهلبي: أن شبا واد بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف الشبا لبني جعفر بن إبراهيم من بني جعفر بن أبي طالب (ياقوت ٢ / ٢٤٧، ٣ / ٥٧٣، وفاء ٢ / ٣٢٧).

وينقل ياقوت عند كلامه عن ودّان عن أبي زيد قوله: وبها كان أيام مقامي بالحجاز رئيس للجعفريين - أعني جعفر بن أبي طالب - ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة، وبينهم وبين الحسنيين حروب ودماء حتى استولى طائفة من اليمن يعرفون ببني حَرْبٍ على ضياعهم فصاروا حرباً لهم فضعفوا (ياقوت ٤ / ٩١٠ وفاء ٢ / ٣٩٠).

أملاك آل الزبير:

لقد بدأ امتلاك الزبير للأراضي منذ وقت مبكر.

فيروي هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ أقطع الزبير أرضاً فيها نخل كانت من أموال بني النضير (ابن سعد ٣ - ١ / ٧٢ فتوح البلدان ٢٠).

ويذكر ابن شبّة: صدقة الزبير في بني مُحمّم، وهي قرب صدقات النبي ﷺ وكانت معروفة في زمن الشافعي، ويذكر ابن شبّة عن أبي غسان أن النبي ﷺ أقطع الزبير ماله الذي يقال له بنو مُحَمّم من أموال بني النضير، فابتاع إليه الزبير شيئاً من أموال بني محمم فتصدق بها على ولده (وفاء ٢ / ٦٨ انظر أيضاً ٢ / ٣٧).

يروي هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أقطع الزبير الجُرف (ابن سعد ٣ - ١ / ٧٢، وفاء ٢ / ٢٨٠).

ويروي يحيى بن آدم عن عروةً أن أبا بكر أقطع الزبير ما بين الجُرُفِ إلى قناة (الخراج ٧٧، فتوح البلدان ٢٠ ياقوت ٤ / ١٨٢).

كما يروي هشام بن عروة عن أبيه أن عمر أقطع الزبير العَقِيق كُلّه (ابن سعد ٣ ـ ١ / ٧٢) إلا أن أوسع أملاك الزبير هي الغابة. يقول هشام بن عروة: «وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبدالله بن الزبير بألف ألف وستمائة ألف، ثم قام فقال: مَن كان له على الزبير شيء فليوَافِنا بالغابة، قال فأتاه عبدالله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبدالله: إن شئتم تركتها لكم، وإن شئتم فأخّروها فيما تؤخّرون إن أخّرتم شيئاً، فقال عبدالله بن الزبير: لا، . قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبدالله: لك من هاهنا إلى هاهنا، قال: فباعه منها بقضاء دَيْنه فأوفاه، وبقي منها أربعة أسهم ونصف، قال: فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة، قال: فقال له معاوية: كم قُوِّمَتِ الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف، قال: كم بقي؟ قال: أربعة أسهم ونصف، قال: فقال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهماً بمائة ألف، فقال عثمان: فكم بقي؟ قال: سهم ونصف، قال: أخذته بخمسين ومائة ألف، قال: وباع عبدالله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف، ثم قسم الميراث وله أربعة نساء فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائة ألف، قال فجميع ماله خمسة وثلاثون ألف ألف ومائتا ألف» (سعد ٣ ـ ١ / ٧٦) انظر أيضاً وفاء ٢ / ٣٥١ ـ ٢ ياقوت ٦٧٣. ويقول هشام بن عروة: «قتل الزبير ولم يدع ديناراً، ولا درهماً إلا أرْضين منها الغابة (ابن سعد ٣ ـ ١ / ٧٦).

ويذكر البكري أن بالغابة «ثرمد مال كان للزبير باعه عبدالله ابنه في دين أبيه ثم صار للوليد بن يزيد» (البكري ١٣٣٣) فأما عروة بن الزبير فيروي البكري أنه اشترى أرض المغيرة بن الأخنس التي في وادي العقيق والتي كان قد أقطعها مروان بن الحكم عبدالله بن عباس بن علقمة من بني عامر «فذلك مال عروة بن الزبير، وهناك قصره المعروف بقصر العَقيق، وبئره المَنسوبة إليه وهي سقاية» (البكري ١٢٣٠).

كما كانت له صلاصل وهي أرض بِحَرَّة بطحان ثم صارت لابنه يحيى فوقفها في بنيه وكان يقال لها المغتربة (وفاء ٢ / ١٩٦).

كما كانت له أموال بمجاج[1] في ناحية الفُرْع حيث مات ودفن هناك (ابن سعد ٥ / ١٣٥).

ولما ولي إبراهيم بن هشام لهشام بن عبدالملك أراد أن يدخل في حقوق بني عروة بالفرع فحال بينه وبين ذلك فهدم قصر عروة وشعثه، وطرح في بئر عروة جملاً مطلياً بقطران فكتب عبدالله إلى هشام بن عبدالملك بذلك، فكتب إلى ابن أبي عطاء عامله على ديوان المدينة أن يرد ذلك على ما كان حتى يضع الوتد في مَحَلِه، فكان غُرْمُ ذلك ألف دينار وثلاثين ألف درهم (وفاء ٢ / ١٩٣).

ويروي الزبير عن مصعب بن عثمان أنه كان لعروة المقتربه وهي ضيعة بحرَّة بطحان «... فلما مات عروة قال يحيى بن عروة لهشام: إن شئت خذ ميراثي من أبي وأعطني حقك من المقتربة وإن شئت فأعطني ميراثك من أبيك وخذ حقي من المقتربة (نسب الزبير ٢٩٩ / [٥٢٥]).

أما مصعب فيروي ابن رستة أن «بطن نخل[2] وهو منزل كثير الأهل والخير كثير النخل والزرع والماء من السنى، والبئر بها قريبة القعر على خمس أذرع يظهر الماء وهي أرض رضراض عمرها بعد الإسلام مصعب بن الزبير في أيام أخيه (الأعلامه ص ١٧٧).

أما عبدالله بن الزبير فقد كانت له أموال في ثُرير عند أنصاب الحرم بمكة (ياقوت ـ ج ٣ ص ١٣).

ويذكر السمهودي عند كلامه عن أتمة[3] عبدالله بن الزبير أن بها بئراً

---

١ ـ مجاح ـ بالميم بعدها جيم مفتوحة، فألف، ثم حاء مهملة: وادٍ ينحدر من الفرع حتى يصب في وادي الأبواء عند مكان عين القشيري المعروف الآن باسم بئر ابن مبيريك، درست العين، وحفرت بقربها هذه البئر.

٢ ـ يعرف الآن باسم الحناكية واد واسع فيه قرى صغيرة ذات مياه كثيرة.

٣ ـ في النقيع، في اعلى العقيق.

تعرف بابن الزبير كان الأشعث المزني يلزمها ويتخذ بها المال فاقتنى ماشية كثيرة (وفاء ٢ / ٢٤١).

ومن أهم أملاك الزبير الفرع ويبدو أنها كانت منطقة زراعية قديمة فيروي الزبير عن علي بن صالح عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن عروة: أن الفرع أول قرية مارت إسماعيل النبي ﷺ التمر بمكة، وكانت من عمل عاد شقت لها بين جبلين ثم سلكت بالسيل فيه (نسب الزبير ١/ ٥٣ ـ ٤ [٨٨] البكري ص ١٠٢٠).

ويروي الزبير بنفس السند عن عروة أن أسماء بنت أبي بكر قالت لعبدالله: أي بني أعُمِرَ الْفُرْعُ؟ قال: نعم يا أمتاه لقد عمر واتخذتُ به أموالاً، قالت: والله لكأني أنظر إليه حين مررنا مهاجرين من مكة وكأني أرى فيه نخلات وأسمع نباح كلب (نسب الزبير ٥٤ [٨٩]. البكري ١٠٢٠).

ويروي عن عمه مصعب بن عبدالله «اعتمل عبدالله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام، واعتمل عروة بن الزبير عين المهد وعسكر، واعتمل حمزة بن عبدالله عين الربض والنجفة (نسب الزبير ص ٥٤ [٩٠]).

فأما عين المُهْد فقد صارت لمنذر بن مصعب، وقد ذكرها خالد بن مصعب في شعر وجّهه لأخيه منذر بن مصعب وعارض بعض أصحابه بمال له على عين المهد من الفرع إلى مال لأخيه بالجوانية، فقال خالد:

خليلي أبا عثمان ما كنت تاجراً ... أتأخذ أنضاحاً بنهر مفجر؟
أتجعل أنضاحاً قليلاً فضولها ... إلى المهد يوماً أو إلى عين عسكر؟
وتأتي بعَضْفٍ، حين يَحْمِلُ نخلها ... فَغَىً ليس يُرجى للعلوفة، أغبر
(نسب الزبير ٣٤١ [٥٩٧])

وقد أعطى حمزة بن عبدالله ابنه عباداً الربض والنجفة، عينين بوادٍ يقال له الفرع بين المدينة ومكة، تسقيان أكثر من عشرين ألف نخلة ولهما قدر كبير (نسب الزبير ٥٢ [٨٥])، فحازهما عباد في حياة أبيه حتى مات وهما في يده،

فقام عليه إخوته بنو حمزة فخاصموه، إلى عمر بن عبدالعزيز وهو والي المدينة زمان عبدالملك بن مروان، فقضى بهما لعباد. وكان عامر بن حمزة، وأمه أم ولد، من سروات آل الزبير وجلدائهم، فيمن خاصمه، فلما قضى عليهم عمر لعباد، وجعل عامر بعد ذلك بيسير يغدو إلى عمر بن عبدالعزيز ويروح في أجراد من ثيابه فيتغدّى معه ويتعشى، فوقع في نفس عمر بن عبدالعزيز مع الذي رأى من ظاهر كسوته أن به إلى ذلك حاجة، وأن أباه أجحف به فيما صنع بعباد، فأرسل إلى عباد فقال له: إني كنت قضيت لك بالربض والنجفة، وقد رأيت غير ذلك، ولا أراني إلا سأكر النظر في أمرك وأمر إخوتك، فقال له عباد: إن الذي رأيت من أخي إنما هو مَكْرٌ منه، والله ما به إليه حاجة، وما أخذت هاتين العينين لأستأثر بهما، وأنا أشهدك أني قد أسلمتهما اليوم ورددتهما ميراثاً، فجزاه عمر خيراً، وصارتا ميراثاً واقتسمتا (نسب الزبير ٥٥ ـ ٥٦، ٩٢ ـ ٩٣).

وتصدّق عامر بن حمزة بالربض على بنتيه فاختته وأسماء وعلى أعقابهما... وصارت تلك الصدقة لولد عبدالله بن نافع الأكبر (نسب الزبير ٥٦ [٩٥]).

يقول الزبير بن بكار: «عين الجثجاثة وهي تبعد ستة عشر ميلاً من المدينة عند حمراء الأسد، بها منازل آل حمزة وعباد وثابت بني عبدالله بن الزبير (البكري ص ٣٦٧) ويروي الهجري أن الجثجاثة صدقة عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير وبها قصور وبنيان» (البكري ص ٣٦٧، ١٣٢٩).

ويروي البكري (الأثبة وفيه مال لعباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير كثيرة النخل وهي وقف (البكري ١٣٢٨).

«وقال الهجري في حمى النقيع، وفي شرقي الحرة قَلتَتانِ نقي ماؤهما وهما أثب وأثيب، وقال في ترتيب مجراه وغدرانه ما لفظه: ثم الأثبة وبها غدير يسمى الأثبة وبه سميت، وبه مال لعبدالله بن حمزة الزبيري، ونخل ليحيى الزبيري» (وفاء ٢ /٢٤١).

ويذكر الزبير «خرج محمد بن عباد بن عبدالله بن الزبير يريد الصدقة بتَمْرِهِ فعرضت إلى ما له بالفرع ثلاث طرق. . . (البكري ٣٢٢).

أما أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن المنذر بن عبدالله بن الزبير فقد روى الزبير بن بكار عن عمه عنه «فأصمت (؟) إلى الأوقص ضيعتي بالسر(١) سرّاء فهم فنازعني شيخ من الفهميين، فقال أرضنا ومسلمنا، فقلت: إن الأموال قد تنقل (وكيع: أخبار القضاة ١ /٢٦٦).

«وكـان الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير نازلاً في ضيعته بالمريسيع سنين» (نسب الزبير ٩٩ [٢٠٧] تاريخ بغداد ٨ /٤٦٦. وله أيضاً ضيعة بوادي القُرى توفي بها (نسب الزبير ١٠٩ [٢١٣]).

أما المغيرة بن خبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، فيروي الزبير بن بكار أن المهدي أقطعه «عيوناً رغاباً بإِضَم منها عين يقال لها النيق وأُلات الحب» (البكري ص ١٦٦، نسب الزبير ١١٣ [٢٢١]).

أما الزبير بن بكار فيروي البكري أن له «ثنية الشريد وبها مزارع وآبار وهي ذات غضاهٍ وآجام تنبت ضروباً من الكلأ» (البكري ١٣٣١).

ولعكاشة بن مصعب ضيعة ببني أمية بن زيد تعرف بأم عِظَام (نسب الزبير ٣١٥ [٥٦٠] ٥٢٣ [٥٦٠]).

وقـد ذكرت لأل الزبير أراضي دون تعيين مالكيها بالتحديد. ومن هذه الأراضي «الجوانية أرض من المدينة لآل الزبير بن العوام» (البكري ٤٠٨). و«خليفة عبدالله بن أبي أحمد بن جحش، وفيها مزارع ونخل وقصور لقوم من آل الزبير وآل أبي أحمد» (البكري ١٣٢٨).

وكانت لمصعب بن عمر الزبيري ضياع ببطن نخل (نسب الزبير ٣٢٩ [٥٧٣]). وكان عبدالملك بن يحي: (رجلًا، موسراً، وباع من أبي عبيدالله عيناً له يقال له ملح بساية، بعشرة آلاف دينار (نسب الزبير ٧٧ [١٥٢]).

«. . وقال في عينه التي يدعى خيفها منكوب واسم عينها عين الرضا وكان يقال لخيفها محبوب:

وجدنا بحمد الله ماءً ومزرعاً وعيناً رواء بالمساحي تفجّرُ
فعين الرضا عما قليل غزيرة وساكن مَحْبوب يُحيّا ويُنْشر

(نسب الزبير ٧٧ / ١٥٥)·

أملاك طلحة:

يروي الواقدي عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة أن طلحة كان يغل كل سنة من العراق مائة ألف سوى غلاته من السَّراة وغيرها، ولقد كان يدخل قوت أهله بالمدينة سنتهم من مزرعة بقناة كان يزرع على عشرين ناضحاً وأول من زرع القمح بقناة هو (سعد ٣ ـ ١ / ١٥٨). ومن أشهر أملاكه في العراق النشاستج.

ولم يصادر الإمام عليّ النشاستج بل ردها إلى أولاد طلحة بعد ما قتل يوم الجمل (سعد ٣ ـ ١ / ١٥٨).

ويروي موسى بن طلحة أن عثمان «أعطى طلحة موضعاً، وأخذ منه مالاً بحضرموت (تاريخ الخمس ٢/٣٠٠).

ويروي ابن حبيب أنه كان لطلحة حائط أعطي به ستمائة ألف فلم يبعه ولكنه أهداه مجاناً لأحد أقاربه (المحبر ١٥١) غير أننا لا نعلم موقع هذا الحائط.

ويروي الزبير بن بكار عن إبراهيم بن حمزة عن إبراهيم بن نسطاس عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أنه «مر رسول الله ﷺ في غزوة ذي قرد على ماء يقال له بيسان مالح، فقال هو نعمان وهو طيب، فغير اسمه، فاشتراه طلحة ثم تصدق به (الإصابة ٢ / ٥٨٥ ياقوت ٤ / ٥٥ وفاء ٢ / ٣٦٠ عن أبان بن عثمان).

ويروي الأصبهاني عن عمه عن الكراني عن اللهبي أن عائشة بنت طلحة كان لها مال بالطائف وقصر كانت تخرج إليه للنزهة بعد ما تأيمت (الأغاني ١١ / ١٩٠).

أما أولاده فإن جعفر بن طلحة «لزم علاج أمّ العيال وهي عين عملها بالفرع قدرها عظيم كثيرة الغلة فيه النخل» (نسب قريش ٢٩٠ بكري ١٩٦) ويقول ابن حزم: إنه أنفق عليها ثمانين ألف دينار فكان يغلّ من ثمرتها خاصة أربعة آلاف دينار وكانت تسقي أزيد من عشرين ألف نخلة» (ابن حزم جمهرة الأنساب ١٣١ وفاء ٢/٢٤٨).

ويروي البكري.. أم العيال وهي أرض بالفرع لجعفر بن طلحة بن عمر ابن عبيدالله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب وكان طلحة جميلاً، وسيماً فلزم علاج عين أم العيال... (البكري ١٩٦).

أراضي الخلفاء الراشدين وآلهم:

أما الخلفاء فقد كانت لكل منهم أراض:

فأما أبو بكر فقد كانت له أرض بالعالية «جداد يعني صرام عشرين وسقاً (ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٣٨) وعمر كانت له أرض بخيبر «لم أحسب مالاً، قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فتصدق بها عمر» (سعد ٢ ـ ١ / ٢٦٠). وكان عمر يمتلك أيضاً (ابن سعد ٢٦٠٣ ياقوت ٣/ ٢٤، البكري ٣٤٦ وفاء ٢ /٢٧٣)، كما كان له مال بالجرف (وفاء ٢/ ٢٨٠).

وكانت لآل عمر بعض الأملاك فيروي هشام بن عروة عن أبيه أنه كانت لعبدالله بن عمر أرض بالعالية (ابن سعدج ٣ ـ ٢ / ١٤٢) غير أننا لا نعلم موقعها بالضبط.

وكان لعاصم بن عمر بن الخطاب مال بالأكحل، والأكحل يعترض حمى

النقيع يساراً للخارج من المدينة[1] (وفاء ٢ / ٢٤٨).

أما عثمان فيروي الشافعي أنه كان له مال بالعالية (أم ٢ / ٢٧١ مسند الشافعي ٢ / ١٩٦ وفاء ٢ / ٢٢٥).

ويذكر السرخسي أنه باع أرضاً كانت له بالبصـرة من طلحة (المبسوط ١٣ / ٧٠). وقد استخرج بالعرصة أرضاً واعتملها وساق إليها خليجاً سمي خليج بنات نائلة (ياقوت ٢ / ٢ / ٤٦٧) وكانت له بالروحاء بئر (وفاء ٢ / ٣١٤). هذا فضلاً عن الآبار التي اشتراها وتصدق بها.

يروي الطبري أن «عثمان قسم ماله وأرضه في بني أمية» طبري ١ / ٢٩٥٤) ولكن ابن سعد يروي عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أن مما ترك عند وفاته «وترك صدقات كانت تصدق بها ببئر أريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار (ابن سعد ٣ ـ ١ / ٥٣ الذهبي: تاريخ الإسلام ١ / ١٧٠).

وكانت لزيد بن عمرو بن عثمان ضيعة يقال لها العَرج (الأغاني ١٤ / ١٦٠).

ويقول اليعقوبي عند كلامه عن الرويثة أن بها قوم من ولد عثمان بن عفان وغيرهم من العرب» (البلدان ٣١٤).

أملاك الخلفاء الأمويين:

يقول السمهودي: «ويذكر أنه كان بالمدينة وما حولها عيون كثيرة تجددت بعد النبي ﷺ وكان لمعاوية اهتمام بهذا الباب ولهذا كثرت في أيامه الغلال بأراضي المدينة وقد نقل الواقدي في «كتاب الحرّة» أنه كان بالمدينة في زمن معاوية صوافي كثيرة وأن معاوية كان يَجُدُّ بالمدينة وأعراضها مائة وخمسين ألف

---

١ ـ الأكحل لا يزال معروفاً وانظر عن تحديده كتاب الحربي «المناسك».

وسق، ويحصد مائة ألف وسق حنطة» (وفاء ٢ ـ ١٥٢ انظر أيضاً ١/ ٨٩ الجواهر الثمينة ٦١).

ويذكر الواقدي في «كتاب الحـرة» ما ملخصه أن أول ما هاج أمر الحرة أن ابن مينا كان عاملاً على صوافي المدينة (ثم النص أعلاه) واستعمل يزيد على المـدينـة عثمـان بن محمد بن أبي سفيان، وأن ابن مينا أقبل بشرج له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فلم يسقـه ولا يصده عنه أحد حتى انتهى إلى بلحارث بن الخزرج فنقب النقيب فيهم فقالوا: ليس ذلك لك هذا ما حدث وضرر علينا، فأعلم الأمير عثمان بن محمد بذلك، فأرسل إلى ثلاثة من بلحارث فأجابوه إلى أن يمر به، فأعلم ابن مينا فغدا بأصحابه فذبوهم، فرجع إلى الأمير فقال: اجمع لهم مـن قدرت. ويبعث معه بعض جند، وقال: مُرَّ به ولو على بطونهم، فغدا ابن مينا متطاولاً عليهم، وأعد من يذبهم من الأنصار، ورفدتهم قريش، فذبوهم حتى تفاقم الأمر، فرجع ولم يعمل شيئاً وكتب عثمان بن محمد إلى يزيد يخبره بذلك، ويحرّضه على أهل المدينة جميعاً، فاستشاط غضباً، وقال: والله لأبعثن إليهم الجنود ولأوطئنها الخيل (وفاء ١/ ٨٩).

ويقول اليعقوبي: «وولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة فأتاه ابن مينا عامل صوافي معاوية، فأعلمه أنه أراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر، وأن أهل المدينة منعوه من ذلك، فأرسل عثمان إلى جماعة منهم فكلمهم بكلام غليظ، فوثبوا به وبمن كان معه من بني أميه وأخرجوهم من المدينة» (التاريخ ٢/ ٢٩٧).

وقد اشترى معاوية ثنية الشريد من رجل من بني سليم وكانت أعناباً ونخلاً لم ير مثلها (وفاء ٢ /٢٠٩) كما عمل معاوية سدّاً في حزم بني عوال يحبس فيه الماء شبيهاً بالبركة (وفاء ٢ /٣٢١).

وكانت لمروان أرض بذي خُشُب (أنساب ٥ ـ ١٣٠) وقد أقطعها السفاح

الحسن بن الحسن (وفاء ٢/ ٣٧٥).

وكان بإضم «أموال رغاب من أموال السلطان وغيره من أهل المدينة منها عين مروان واليسر والغرار والشبكة وتعرف بالشبيكة (البكري ١٣٣٣).

أما الوليد بن عبدالملك فقد اشترى الخرّار من بني عبدالله بن عامر (البكري ٤٩٢). أما الوليد بن يزيد فقد صار إليه ثرمد وهو مال كان للزبير باعه عبدالله ابنه في دَين أبيه (البكري ١٣٣٣).

أملاك المهاجرين:

لقد كان عمرو بن العاص يمتلك الوَهَط بالطائف وهو كرم كان يعرش على ألف ألف خشبة، شرى كل خشبة درهم (البكري ١٣٨٤) عن سفيان بن عمرو ابن دينار عن مولى لعمرو بن العاص (ياقوت ٤/٩٤٣) عن ابن الأعرابي، ابن الفقيه ٢٢ القزويني ٢/٦٥ المستبصر ص ٢١ عن شعيب عن عمرو بن دينار).

«قال ابن الأعرابي حج سليمان بن عبدالملك فمر بالوهط فقال: أحب أن أنظر إليه فلما رآه قال: هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا أن هذه الحرة في وسطه، فقيل له: ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب، وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء.

وقال ابن موسى: الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وجّ، كانت لعمرو بن العاص (ياقوت ٤/٩٤٤).

ويروي ابن المجاور: «الوهط قرية من أعمال الطائف بينهما ثلاثة أميال فكان كل فاكهة الطائف ومكة من ذلك الوهط (المستبصر ٢٢).

ويروي الطبري أن معاوية كان قد ساوم عبدالله بن عمرو وأعطاه به مالاً كثيراً، فأبى أن يبيعه (طبري ٢/ ٢٧٩ - أنظر أيضاً البكري ١٣٨٤).

ويروي ابن المجاور عن مصعب بن عبدالرحمن المخزومي عن شعيب عن عمرو بن دينار كتب عمرو بن العاص في وصيته وذلك في الوهط وجعلها

صدقة لاتباع ولا توهب ولا تورث وهي للأكبر من أولادي، والمتبع فيها عهدي وأمري فإن لم يقم بعهدي ولا أمري فليس له ولاء يعني بذلك الوهط، حتى يرثه الله تعالى قائماً على أصوله (المستبصر ٢١).

ويروي أيضاً عن محمد بن فارس القرشي «ما بقي من الوهط من الشجر سوى شجرة توت وهي إلى الآن وقف عليهم (المستبصر ٢٢).

ويروي ابن حجر: وفي صحيح مسلم على طريق ثابت مولى عمر بن عبد العزيز قال لما كان بين عنبسة بن أبي سفيان وعبدالله بن عمرو بن العاص ما كان وتيسروا للقتال يعني في خلافة معاوية حيث أراد عنبسة أخذ شيء من مال عبدالله بن عمرو بالطائف (الإصابة ١ /٤٠٧ [٢١٧٢] ومع عدم ذكر المصادر شيئاً عن هذا الخلاف إلا أننا نرجح أنها تتصل بالوهط.

وكانت لعمرو بن العاص قرية السبع في فلسطين وبها بعض أهله (البكري ٧١٧) عن أبي زكريا ويحيى بن عثمان السهمي.

أملاك سعيد بن العاص:

أما سعيد بن العاص فقد احتفر بئراً وغرس النخل والبساتين وكان نخل بستانه أبكر نخل بالمدينة وكانت تسمى عرصة الماء (ياقوت ٣ /٦٤١ وفاء ٢ / ٢٠٠) وقد بيع قصره بثلاثمائة ألف (نسب قريش ١٧٦) ويروي السمهودي أن القصر بيع بألف ألف والنخل بألف ألف، والمزارع بألف ألف (وفاء ٢/ ٢٠٢) وقد اشتراه معاوية (الأغاني ٢/ ١١) وكانت بنو أمية يمنعون البناء بالعرصة (وفاء ٢/ ١٩٩ ياقوت ٣/ ٦٤١).

أما عبدالرحمن بن عوف فقد أعطاه الرسول من أراضي بني النضير سؤاله (ابن سعد ١ ـ ٢ / ٤١).

وكيدمة التي باعها لعثمان بن عفان بأربعين ألف دينار (ابن سعد ٣ ـ ١/ ٩٤ ـ وفاء ٢/ ١٢١).

ويروي الواقدي عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن محمد بن حرملة عن عثمان بن الشريد أن عبدالرحمن بن عوف «كان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً وكان يدخل قوت أهله من ذلك سنة» (ابن سعد ٣ ـ ١ / ٩٦).

غير أن الواقدي لا يشير إلى كيفية حصول عبدالرحمن بن عوف على هذه الأرض ولعلها هي الإقطاع الذي أعطاه إياه عمر والذي في نص آخر أن عبدالرحمن بن عوف قال: أشهد أن رسول الله أقطعني وعمر بن الخطاب أرض كذا (ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٩، ٨٩).

عبدالله بن عامر:

أما عبدالله بن عامر فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له فيها الماء، وله النبّاجُ الذي يقال له نباج[1] ابن عامر، وله الجحفة، وله بستان ابن عامر بنخلة، على ليلة من مكة وله آثار في الأرض كثيرةلا (نسب قريش ١٤٨).

ويروي البكري كان الخرار لبني عبدالله بن عامر فاشتراه منهم الوليد بن عبد الملك (البكري ٤٩٢) والخرار هو خُمّ عند الجحفة.

أملاك رجال آخرين:

يروي ابن شبة أنه كانت للعباس عين بينبع يقال لها عين جاس تصدق بها على زمزم وأن عبدالله بن عباس كان له بالصّهوة مال تصدق به وهو موضع بين يَيْن وبَين حورة على ليلة من المدينة وتلك الصدقة بيد الخليفة، يوكل بها (ابن شبة ٢١٨ ـ ١٩، وفاء ٢ /٣٣٧ ـ ١).

أما العَرْجِيّ فكان له مال بالطائف يسمى العرج (الأغاني ١٠/٣٨٦).

ويروي الأصبهاني عن إسحاق عن عتبة بن إبراهيم اللهبي أن العرجي فيما

---

١ ـ نباج ابن عامر في نجد بطريق حجاج البصرة في أسفل القصيم ويعرف الآن باسم (الأسياح).

بلغه باع أموالاً عظاماً كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد كله (الأغاني ١/ ٣٨٦).

وكان لمحمد بن هشام السهمي مال بتَبَالَة فيها نخل (الأزرقي ٢/ ١٢).

وللمغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بالصفراء وخيبر (المدونة ١٠/ ٤٨). وكان لابن لرفاعة بن العجلان مال بملل (وكيع أخبار القضاة ١/ ١٦٧).

وكان لعبدالله بن القاسم مال بنعف النقيع (وفاء ٢ / ٢٢٣) عن الزبير ولعبدالله العامري أرض أقطعه إياها مروان وما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس التي بالعقيق (وفاء ٢ / ٣٣٩).

ولبعض ولد أبي لهب آبار مسدوس قرب كُراع الغميم وعسفان (البكري ٩٥٦) ولإبراهيم بن هشام عين بملل (نسب الزبير ٤٨٦ [٨٢٨]).

ولسعد بن أبي وقاص أرض عند حرة السقيا (وفاء ٨٣٧) وقد اشترى بئر السقيا ببعيرين (التحفة اللطيفة ٢ ـ ٤٩ [١٢٠٢]).

أما أبو هريرة فكان ينزل الشجرة على العقيق قرب ذي الحُليفة قبل أن تكون مزوعات فمر به فأقطعه إياها مروان وظفرها له فتصدق بها أبو هريرة على ولده (وفاء ٢/ ١٩٩، ٢٠٩).

وكان لعبيدالله بن موسى بئر سميحة بالمدينة وعليها نخل (وفاء ٢/ ٣٢٤) وللزهري شَغبٌ وبَدَا التي أقطعها إياه بنو مروان (البكري ٨٠٢ ياقوت ٣/ ٣٠٢، ٤/ ٤٦٨ ابن حوقل ١/ ٤٠). كما كانت للزهري الأدامى[1] وهي من أعراض المدينة غرسها نخلاً (ياقوت ١ /١٥٥).

---

١ ـ الأدامى تسمى الآن دامة، واد عظيم يقع بين ظُبا والوجه يصب في البحر.

ولسعيد بن سليمان المساحقي مال بناحية ضرية يقال له الجفر (نسب قريش ٤٢٧ وكيع: أخبار القضاة ١ / ٢٤٠) ولابن مطيع بئر ومزارع مسماة باسمه بين السُّقيا والأبواء (ابن سعد ٥ / ١٠٦).

وكان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج إليها في زمان التمر بنفر من قومه يجنون له ويعاونونه فكان إذا حضر خروجهم دفع إليهم نفقات إلى أهليهم إلى رجعتهم (الأغاني ٢/ ٢٤٥).

وكانت لعيسى بن موسى عندما ثار محمد النفس الزكية، أموال بالمدينة يليها سعيد بن دينار (الطبري ٣/٢٠٦) ولرياح والي المدينة مال ببدر (الطبري ١٧٥/٣).

ويقول ابن المولى: إن المنصور أعطاني رزمة ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغل ألف دينار أقوم في أدناها فأصيح بقيّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها (أغاني ٧/ ٢٩١).

يروي عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس بن مالك أن عبدالرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فقال له سعد: يا أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك (سعد ٣ - ١ / ٨٩ إصابة ٢/ ٢٥ (٣١٥٣) عن البخاري).

ويروي مالك عن إسحاق بن عبيدالله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ مالاً من نخل وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وقد تصدق أبو طلحه ببئر ماء (بكري ٤١٣).

ويذكر السمهودي أن «معجف أحد أودية المدينة... ومعجف اسم حائط كان لعبد لله بن رواحة جعله الله ورسوله في غزوة مؤتة» (وفاء ٢ / ٣٧٥).

ويروي «روح بن عبادة عن ابن جريح عن يعلى عن عكرمة عن ابن عباس أن سعد بن عبادة ماتت أمه وهو غائب عنها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال نعم، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها» (ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٤٣ ـ ٤).

ويروي «ابن وهب عن الحرث عن ابن نبهان عن أيوب عن ابن سيرين: أن أبيّ بن كعب استسلف من عمر بن الخطاب عشرة آلاف درهم فأهدى له هدية فردها إليه عمر فقال: إني قد علم أهل المدينة أني من أطيبهم ثمرة أفرأيت إنما أهديت لك من أجل مالك علي؟ اقبلها فلا حاجة لنا فيما منعك من طعامنا. فقبل الهدية» (المدونة ٩/ ١٣٩)..

ويروي «خالد بن مخلد البجلي عن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر هلك أسيد بن الحضير وترك عليه أربعة آلاف درهم ديناً، وكان ماله يغل كل عام ألفاً فأرادوا بيعه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فبعث إلى غرمائه، فقال: هل لكم أن تقبضوا كل عام ألفاً فتسوفونه في أربع سنين؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، فأخروا ذلك، فكانوا يقبضون كل عام ألفاً» (سعد ٣ ـ ٢/١٣٥). (انظر أيضاً ص ١٣٧ ملخصه).

ويروي عباد بن العوام عن حجاج بن أرطأة عن حبيب بن أبي ثابت: أن علياً باع أرضاً لبني أبي رافع بعشرة آلاف وكانوا أيتاماً فكان يزكيها (الأموال ص ٤٥١).

ويروي يزيد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان أن أبا ميمون أخبره عن سهل بن أبي خيثمة أن مروان بعثه خارصاً للنخل، فخرص مال سعد بن أبي سعد سبعمائة وسق، وقال: لولا أني وجدت فيه أربعين عريشاً لخرصته تسعمائة وسق ولكني تركت لهم قدر ما يأكلون فكانت تلك العرش مظال مساكن لهؤلاء الأكلة (الأموال ٤٨٨ أنظر أيضاً ص ٤٨٦).

ويروي البخاري عن محمد بن مقاتل عن عبدالله عن يحيى بن سعيد عن حنظلة بن قيس الأنصاري عن رافع بن خديج قال كنا أكثر أهل المدينة مزدرعاً (بخاري ٤١ الحرث والمزارعة).

وكان الأشعث المُزَني ينزل الأتمة ويلزمها فاستمشى ماشية كثيرة وأفاد مالاً جزلاً ـ حتى اتخذ أصولاً واستغنى (البكري ١٣٢٧ ـ ٨).

وقد ذكرت المصادر عدداً من الملاكين وأملاكهم دون أن تحدد زمن تملكهم ومصدرها فضلاً عن المشاكل الأخرى الناجمة من الزراعة ومن الملاكين.

فقد روى مالك عن عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أن جده باع حائطاً له يقال له الأفراق بأربعة آلاف درهم، واستثنى منه بثماني مائة درهم تمراً ـ (الموطأ ٢/ ١٥٢ ـ و٣/ ٥٢) البكري ص ١٧٦).

ويروي الشافعي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن إسماعيل الشيباني أو غيره أنه قال: بعت ما في رؤوس نخلي بمائة وسق إن زاد فلهم وإن نقص فعليهم (الأم ٣/ ٤٦ مسند الشافعي ٢/ ١٥٠).

وكان لابن جُرَيج أرض فيروي الشافعي عن سعيد بن سالم عنه أنه قال: قلت لعطاء: أبيعك حائطي إلا خمسين فرقاً أو كيلاً، فسمي ما كان. قال: لا، قال: لا، قال ابن جريج: فإن قلت: هي من السوا د سواء الرطبة؟ قال: لا. يروى أيضاً أنه قال لعطاء: أبيعك نخلي إلا عشر نخلات اختارهن قال: لا إلا أن تستثني أيتهن هي قبل البيع تقول: هذه وهذه، (الأم ٣/ ٥٢).

وكان القاسم بن محمد يبيع ثمر حائطه ويستثني منه (الموطأ ٢ / ٥٢). كما كانت عمرة بنت عبدالرحمن، وهي أم أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن ابن حارثة تبيع ثمارها تستثني(الموطأ ٢ /٥٢).

وكانت لسعيد بن محمد بن أبي زيد «أريضة سبخة تغل في السنة

دينارين» (ابن سعد ٥/ ٣٠٨).

وكانت لسعد بن إبراهيم أرض بالقَبَلِيَّةِ (وكيع: أخبار القضاة ١/١٦٥). ويقول مالك... إن الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من العُرَيْض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد (الموطأ ٢/ ١٢٢).

تطور الملكيات

إن المعلومات المتوفرة عن الأوضاع الاقتصادية في المدينة تدل على أنها ـ كانت منطقة زراعية، وكانت المُلكية القانونية مثبتة، وهي ملكيات فردية لا جماعية، إذ لم نسمع بأرض تمتلكها عشيرة، والراجح أن كل فرد كان يمتلك أرضاً صغيرة يزرعها بنفسه أو بمعونة عائلته، غير أن هذا لا يعني عدم وجود ملكيات كبيرة يستخدم فيها العمال المأجورون. ومع أن هؤلاء الأنصار كانوا يعتمدون في حياتهم على منتوجهم الزراعي، إلا أنهم أو بعضهم كانوا ينتجون أكثر مما يحتاجون، ويبيعون الفائض ليحصلوا على مال يشترون به حاجاتهم الأخرى، لهذا كانت في المدينة صلات وثيقة بين الرأسماليين والفلاحين.

ولا شك في أن مجيء المهاجرين إلى المدينة أدى إلى حدوث تطورات وتبدلات:

١ ـ فإن استقرار عدد متزايد من الناس أدى إلى زيادة الطلب على المنتجات وخاصة المواد الغذائية مما أدى إلى نشاط السوق الداخلية بشكل أوسع مما كان في السابق، ويجدر أن نتذكر أن عدداً من اليهود أقصي من المدينة ولكن عددهم أقل ممن جاء إليها.

٢ ـ ظهور ملاكين جدد من المسلمين، إما أنهم حلوا محل اليهود الذين أقصوا أو أنهم أحيوا أراضي الموات، وبذلك لم ينافسوا الأنصار في أراضيهم غير أنه أدى إلى عدد غير قليل من النتائج: منها ازدياد الطلب على الأيدي العاملة لأن أكثر الملاكين الجدد لم تكن لهم خبرة في الزراعة، وربما لم تكن

لهم رغبة في العمل فيها أو أن أملاكهم كانت واسعة تتطلب استخدام أيدٍ عاملة، وهذا سيؤدي إلى ازدياد الطلب عليها، وإنقاذ المدينة من خطر البطالة الناجم عن كثرة المهاجرين.

وازدياد مساحة الأراضي الزراعية بعد وفاة الرسول ﷺ رافقه مجيء عدد كبير من الأعاجم الأسرى، فحدثت حلقة بينهما ولم يظهر أثرهما في الأزمات الاقتصادية.

٣ ـ ازدياد مساحات الأراضي المزروعة وإدخال طرق فنية جديدة في الري والزراعة، وكذلك إدخال زراعة محاصيل جديدة.

٤ ـ تناقص الأراضي الخالية بسبب تحولها إلى أراضي بناء للدور والإسكان.

٥ ـ ظهور طبقة من الملاكين الجدد الذين لهم نشاطات في ميادين اقتصادية أخرى كامتلاك المواشي أو التجارة أو الصيرفة، ولهم نشاط يمتد إلى بلاد ومناطق واسعة.

٦ ـ ظهور حكومة مركزية قوية تتبعها أقاليم واسعة، واتصال كثير من الملاكين الجدد بها مما يسهل أعمالهم وينفذ أغراضهم بينما بقي فريق آخر بعيداً عن الحكومة.

أملاك الأنصار:

لقد مَرَّ ذكر بعض الملاكين الأنصار، وذكر مواضع بعض هذه الأملاك ومنتجيها ومقدار حاصلها. وذكر بجانب ذلك حوائط وآبار وبساتين دون ذكر أصحابهَا إنَّ هذه القوائم بما فيها من معلومات إيجابية وبما فيها من نقائض تساعد على تكوين صورة عن الأحوال،الزراعية في المدينة.

ويلاحظ أن أغلب الملاكين ذكرت أملاكهم عند الهجرة أي أنها أملاك قديمة وليست حديثة، وبذلك كانت لهم حقوق أصلية قديمة، وليست هناك

إشارات إلى أن الإسلام مسها أو تدخل فيها.

٤ ـ ليست لدينا معلومات مفصلة عن كل ملاك ونشاطاته، لنعلم فيما إذا كانت المعلومات المقدمة في المصادر عن ثروته جاءت من الزراعة وحدها أم من مصادر أخرى.

كما أننا لا نعلم هل الثروات النقدية لبعض الملاكين الكبار جاءت من الزراعة وحدها أم من مصادر أخرى.

٥ ـ لم يكن لهم دور خاص في الحرب أو الإدارة وفي نفس الوقت لم يقاوموا الإسلام أو يتذمروا منه.

٦ ـ وأغلبية أملاك الأنصار في داخل المدينة وليست لهم أملاك خارجها كما أن أملاكهم ليست واسعة ولا نعلم كم منها تحول إلى أراضي بناء.

٧ ـ لقد كان أكثر الخلفاء الأمويين اهتماماً بأراضي المدينة هو معاوية أما الذين تلوه فلم يهتموا كثيراً بها ولعل اهتمام معاوية هو استمرار لتملك الراشدين أو استمرار ـ لنمو استثمار الأرض أو له أسباب سياسية وإن كل هذه العوامل قد تبدلت خاصة منذ زمن يزيد.

وإذا كان الوليد امتلك أرضاً في خُم شراء، وعبدالملك في أقصى جنوب الحجاز فإن الباقين لم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها أنهم اقتنوا أية أرض.

٨ ـ ذكرت المصادر بعض هذه الأراضي التي تقدم ذكرها منها إقطاع ومنها شراء ولم يذكر بعضها ولعلها إحياء موات.

اسعار الأراضي

تشير المصادر إلى أسعار بعض هذه الأملاك، ففي المدينة كان ثمن بئر رومة ـ فيما يروي ابن زبالة ـ مائة بكرة أو أربعين ألف درهم، وفيما يروي ابن شبّة: ثلاثين ألف درهم (وفاء: ١٣٧ ـ ٩). ويروي ياقوت أن ثمنها خمسة

وثلاثون ألف درهم (١ / ٤٣٢) انظر أيضاً الإصابة ١ / ٥٢١ [٢٧٧١] أما البكري فيذكر أنها بعشرين ألفاً (٦٨٥).

وقد بيعت كيدمة بأربعين ألف دينار (وفاء ٢ / ١٢١) وبئر جشم بثلاثين ألف دينار (الموطأ ٢ / ١٢١، البكري ٣٨٣ وفاء ٢ / ٢٥١).

وقد اشترى الزبير الغابة بمائة وسبعين ألفاً، وباعها ابنه بمليون وستمائة ألف (ابن سعد ٣ ـ ٧٦١، ياقوت ٣ / ٧٦٧، وفاء ٢ / ٣٥١).

واشترى علي بن أبي طالب ينبع بثلاثين ألفاً (وفاء ٢ / ٣٩٢، البكري ٦٥٧). وبيعت عين أبي نيزر بمائتي ألف دينار (البكري ٦٥٧، ياقوت ١ / ٧٥٧، وفاء ٣٤٨) وكانت أملاك عثمان تقدر بمائتي ألف دينار (ابن سعد ٣ ـ ٥٣١).

وباع طلحة حائطاً بستمائة ألف درهم (المحبر ١٥١). وكان ثمن أم العيال ثمانين ألف دينار (ابن حزم ١٣١، وفاء ٢ / ٢٤٨). وبيع الأفراق بأربعة آلاف درهم (الموطأ ٢ / ٥٢، الأم ٣/٥٢، البكري ١٧٦).

وكانت قيمة أرض بني رافع عشرة آلاف درهم (الأموال ٤٥١). واشترى عبدالملك بن يحيى عين ملح بعشرة آلاف دينار (تاريخ بغداد ١٠ ـ ٤٠٨). واشترى الحسين بن علي صاحب فَخٍّ حائطاً من الحسين بن هذيل بأربعين ألف دينار (مقاتل ٤٣٨).

غير أن هذه الأرقام يجب أن تدرس ضمن نطاق الأحوال الاقتصادية العامة المتطورة كما يتجلى هذا في الغابة وأملاك سعيد بن العاص، وحتى إذا افترضنا دقتها فإنها لا تمثل أحياناً قيمة الأرض الحقيقية، وهذا يتجلى من قصة سعيد بن العريض مع معاوية عندما أراد بيعه أرضاً بتيماء بستين ألف دينار فاستغلاها معاوية، فقال سعيد: أما لو كانت لأحد أصحابك لدفعت ستمائة ألف.

أما مساحة هذه الأرض فليست لدينا عنها سوى عيني الرِّبَض والنجفة اللتين كانتا تسقيان عشرين ألف نخلة، ومزارع ابن عوف التي تسقى على عشرين ناضحاً، وأما الباقي فلا نعلم مساحتها، كما أننا لا نعرف بالضبط مقدار منتجها ولا عدد العمال الذين كانوا يعملون فيها.

ثم أن مصادرنا تبين ملكيات هذه الأراضي في القرن الأول فحسب، وخاصة أوائل من أحياها وزرعها، ولكنها لا تعطي تاريخاً متتابعاً كاملاً لأية قطعة وما حل فيها.

ويلاحظ أن كثيراً من ملاكيها كانوا مدينين مما اضطر عدداً منهم إلى أن تباع أملاكه. فالغابة بيعت لسد ديون صاحبها، وعين يحنس كذلك، ولا يمكن القول بأن سبب البيع يرجع إلى الخسارة في الزراعة وحدها، لأن كثيراً من هؤلاء الملاكين كانوا يمارسون أعمالاً أخرى كما أن ديونهم قد تكون لقيامهم بالمضاربة، غير أن لدينا أخباراً متعددة عن أزمات اقتصادية حدثت في الحجاز أشدها تلك التي حدثت في عهد ولاية هشام ودامت حوالي سبع سنين وكان لها أثر عميق على السكان. ومن الملاحظ أن مصادرنا عن المدينة كتبت في القرن الثاني وهي تبحث عن أحوالها في أوائل القرن الأول وقلما تشير إلى أحوال هذه الملكيات في زمنهم ولا نعلم فيما إذا كان هذا السكوت راجعاً إلى تعمد عدم الكتابة أم إلى أن هذه الملكيات كانت في زمنهم منحطة مهملة، وإن كان الأخير فهل هذا يرجع إلى عوامل فنية كتراكم الملح وقلة الماء، أم بسبب تدهور الحياة الاقتصادية العامة في الحجاز بعد أن انتقل مركز الثقل إلى العراق؟

إن كثيراً من هذه الملكيات لم تبق ثابتة بيد أصحابها بل كانت تباع بعد وفاة مالكها أو كانت تقسم على الورثة، وفي هذه الحالة كانت الأرض تبقى بيد الأسرة، ولعل أهم الأسر التي احتفظت بأملاكها هم آل الزبير وآل علي، وإن كانت أملاكهم التي كانت مركزة بيد فرد في أوائل العهد الإسلامي، تجزأت

فيما بعد حتى لم نعد نسمع عن ملاك يمتلك أراضي واسعة جداً كما كان الحال في أواسط القرن الأول.

وكان المركز الرئيسي للملاكين في المدينة دون غيرها غير أن فريقاً منهم كان يقيم في أملاكه في الريف يعملها بنفسه أو يشرف عليها.

غير أن هؤلاء الملاكين عموماً ظلوا مرتبطين بالحجاز فلم يغادروه، وإن كان نشاط بعضهم امتد إلى خارج الحجاز.

لقد كان بعض من الملاكين الأول من الخلفاء والإداريين غير أن أكثرهم كانوا من آل علي وآل الزبير وقد قاموا بثورات غير ناجحة على الخلفاء الأمويين، ومن عوامل فشلهم عدم تمكنهم توفير الغذاء لأهل الحجاز إبان قيامهم بالثورات، غير أن أسرهم ظلت تقف موقف المعارضة السلمية من الدولة الأموية وحكامها، ولكن يقابل هذا أن علاقتهم مع أهل البلاد كانت طيبة، وقد رويت أخبار عن سخاء هؤلاء الملاكين وتوزيعهم الهبات والعطايا.

الفصل الخامس عشر

خطط المدينة المنورة

إن اتخاذ الرسول ﷺ المدينة مقراً له، ثم جعل الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول منها عاصمة للدولة الإسلامية، أدى إلى جلب عدد كبير من الناس إليها، لا من أهل مكة فحسب بل من القبائل الحجازية المجاورة، هذا فضلاً عن عدد من غير العرب الذين جاؤوا إجباراً كأسرى مسترقين أو طوعاً كموالي وأجانب للقيام بالتجارة، وقد أدى هذا إلى سرعة توسعها حتى أصبحت من أكبر المدن الإسلامية، ولم يؤثر فيها تحول مقر الخلافة إلى الكوفة في زمن علي أو إلى دمشق في زمن الأمويين، بل ظلت مزدهرة حتى أواسط العصر الأموي، حين بدأت عوامل تؤثر في إضعاف أهميتها، غير أنها لم تذبل تماماً، نظراً لكونها مركزاً محترماً لما فيها من مشاهد الرسول ﷺ والصحابة ومقام أولادهم وعوائلهم.

إن هذه الهجرة أدت إلى تحول المدينة من مجموعة مستقرات منفصلة، كل منها وحدة قائمة إلى مدينة متصلة ببعضها، ومع أن الوحدات القديمة ظلت باقية، وصارت تطلق على محلات المدينة، إلا أنها لم تحافظ على نقائها، بل دخلت فيها عناصر من غير القبيلة، أما المهاجرون الجدد فقد استقروا إما في الأراضي البور، غير المزروعة، أو في المزارع التي أخذت تدريجياً تتحول إلى محلات سكنى. غير أن هؤلاء المهاجرين الجدد سرعان ما تكتلوا كمجموعات قائمة على وحدة النسب، وكونت محلات بأسمائها. بل حتى مهاجروا مكة الذين جاؤوا مع النبي ﷺ استقروا عموماً حول المسجد، مكونين شبه كتلة قائمة بذاتها، وبذلك استمر الطابع العام لخطط المدينة قبلياً، فكل

محلة تسمى باسم القبيلة، وأغلب سكانها من أهل تلك القبيلة، وإن كانت لم تحتفظ بنقائها.

والغرض من هذا الفصل تقديم وصف لخطط المدينة في القرنين الأولين للإسلام، مع الإشارة بقدر ما تسمح، إلى التطورات (الخططية) في هذه الأماكن، مؤملين أن تكون هذه الدراسة أساساً يوضح التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد ألفت عن المدينة وخططها عدة مؤلفات استعرضها المستشرق (سوكاجيه) بصورة جيدة في مقدمة كتابه عن مسجد الرسول ﷺ ويبدو من استعراضه أنه قد ظهرت عدة مؤلفات عن المدينة إبان القرن الثاني، ثم مؤلف في القرن الثالث، ثم ينقطع التأليف عنها، ما خلا بعض إشارات الجغرافيين العرب ورحالتهم حتى نهاية القرن السادس، حيث يكتب ابن النجار كتابه، ثم تتابعت بعد هذا القرن المؤلفات. غير أن معظم الكتب المتأخرة تصف أحوال المدينة في زمنها، مما يخرج عن نطاق بحثنا، اللهم إلا فيما تنقله عن مؤلفي القرون الأولى:

ذكر ابن النديم من المؤلفات عن المدينة أخبار المدينة لابن زبالة (١٠٨) وكتاب المدينة، وكتاب أمراء المدينة، لابن شبَّة (١١٢) وكتاب المدينة وكتاب حمى المدينة وجبالها وأوديتها للمدائني (١٠٣ - ٤) وكتاب المدينة وأخبارها لعبيدالله بن أبي سعيد الوراق (١٠٨).

غير أنه لم يصلنا أي واحد من هذه الكتب كاملاً، رغم كثرة إشارات المؤلفين المتأخرين ونقولهم عن كثير منها.

لم أجد فيما قرأت نقلاً عن المدائني أو الوراق.

أما بقية المؤلفين، فقد روى عنهم كثيراً السمهودي في كتابه «وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى» الذي يتصف بذكر رجال السند مما يمكن معه معرفة مصادره وتعيين زمن كل خبر يذكره. والواقع أنه يروي عن حوالي ثمانين مصدراً

تختلف في عددها وطولها، فبعضها لا يزيد عن الرواية، وبعضها روايات متعددة ولعل أهم مصادره القديمة المعاصرة للقرن الثاني وأوائل الثالث هم ابن زَبَالة، وابن شَبَّة، والزُّبَير بن بكار، ويحيى بن الحسن الحسيني ورزين.

أما ابن زبَالة فهو محمد بن الحسن أحد أصحاب مالك (وفاء: ١ ـ ٢٥٢) وقد وضع كتابه في صفر سنة ١٩٩ (وفاء: ١ ـ ٢٥٢) وهو يروي فيه عن حوالي مائة من شيوخ المدينة وعلمائهم، ولكنه لا يعتمد من واحد معين، بل قلما يروي عن واحد أكثر من رواية واحدة، وأغلب معلوماته مستمدة من ملاحظاته ومعلوماته الشخصية وخاصة فيما يتعلق بالوصف الخططي للمدينة، وخاصة سكنى الأبصار، أما عن سكنى المهاجرين فلم يعتمد عليه السمهودي كثيراً، بينما ينص بصراحة على أنه لا يعتمد عليه في أخبار اليهود بالمدينة (ص ١١٣).

ينقل السمهودي عن ابن زَبالة نص أقواله، ولكنه يذكر أنه يلخص أحياناً أقوال ابن زَبالة (١ / ١٣٤ ـ ١٣٧) أو يخلطها مع روايات آخرين (ص ١٣٥) أو يحذفها عمداً (١ / ١١٦) وهو يقول: وابن زَبالة وإن كان ضعيفاً لكن اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب (١ / ٢٥٢).

لقد اعتمد على ابن زَبالة عدد من معاصريه، كالزبير بن بكار الذي كان تلميذه (وفاء: ١ ـ ١٥٠) وراوية كتابه (١٤) وإن كان هذا قد ألف كتاباً عن العقيق اعتمد عليه ياقوت كما نقل عنه السمهودي (٢ / ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١٢) ومن المحتمل أن البكري اعتمد عليه أيضاً في روايته المفصلة للعقيق.

والمؤرخ الثاني القديم من مؤرخي المدينة هو يحيى بن الحسن بن جعفر العلوي (وفاء: ١ / ٤٨) جد أمراء المدينة في زمن السمهودي (١ / ١٧٤)، وهو من تلامذة مالك، وقد توفي سنة ٢٧٧ هـ عن ثلاث وستين سنة (١ / ٢٥٢) وهو موثق عند أصحاب الحديث، حتى أن ابن زبالة «وإن كان ضعيفاً ولكنه اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب (١ /

٢٥٢) والواقع أن السمهودي أشار في ٤٦ موضعاً من ا لجزء الأول ينقل فيها يحيى عن ابن زبالة، غير أن يحيى يروي عن سبعين آخرين روايات منفردة.

كتاب يحيى أخبار المدينة (٦ ـ ١٧٤، ٣٠٣) وقد رواه عنه طاهر بن يحيى (٤٨، ٧٤، ٣٥٠، ٣٩٤) كما رواه عنه ابن ابنه الحسن (١ / ٣٥٠) ورواه آخرون (١ / ٤٠٨)، ويبدو أن نسخة طاهر رواها عدد من الرواة منهم ابن فراس (١ / ٣٩٤) غير أن السمهودي يعتمد بالدرجة الأولى على رواية طاهر لها.

روى السمهودي أيضاً عن ابن شَبَّة. وهو معاصر ليحيى وقبله بيسير (١ / ٢٧٢) وأكثر ما يروي عنه فيما يتعلق بأخبار المهاجرين أو القبائل الحجازية التي استقرت في المدينة، ومناطق سكناهم، حتى ليكاد يكون المصدر الوحيد له في هذه المواضيع، هذا فضلاً عن المعلومات الاقتصادية التي يبدو أن ابن شبّة يهتم بها. وقد نشر كتاب «تاريخ المدينة» لابن شبة حديثاً، عن نسخة فريدة غير كاملة، ويتبين منه أن السمهودي كان أميناً ومستوعباً في نقل ما كتبه ابن شبه عن خطط المدينة.

رغم كثرة ما نقل السمهودي عن هذه الكتب، مما يعطينا فكرة عن نطاق بحثها ومدى دقته، إلا أنه لا يقدم صورة كاملة، نظراً لاحتمال حذفه منها واختصاره لها، مما قد يكون مهماً لنا: وقد أشار السمهودي بصراحة إلى حذفه بعض ما قاله ابن زبالة (١ / ١١٦) أو تلخيصه (١ / ١٢٤، ١٣٧) ومع هذا فإن المعلومات نقدمها هنا مستمدة بالدرجة الأولى من السمهودي الذي اعتمد على من ذكرناهم مع بعض الإضافات التي وجدناها من معلومات مشتتة في كتب التاريخ أو الأدب الحديث، وكل رقم جزء وصفحة لم نذكر مصدره في هذا الفصل انما نأخذه من السمهودي.

حدود المدينة

يمكن اعتبار حدود المدينة نفس حدود الحرم الذي أقره الرسول ﷺ لها بصورة عامة، ومن غير تدقيق في التفاصيل، الأمر الذي أدّى إلى اختلاف

المصادر في تحديدها. ويمكن تصنيف الروايات التي تبحث عن حدود الحرم إلى ثلاث، تؤكد إحداها أن الرسول ﷺ حرم ما بين لا بَتيْهَا، وتذكر الثانية أنه حرم ما بين جبليها عَيْر وثَوْر، وتقول الرواية الثالثة أنه حرمها بريداً في بَريد (١ / ٦٤، ٧٠، انظر أيضاً مادة حرم في المعجم المفهرس) ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بالقول بأن كلاً من عير وثور كان قرب حرة، وأن المسافة بينهما بريد.

غير أن هذه المعالم الطبيعية لم تكن محيطة بالمدينة إحاطة تامة، لذلك فقد وضع أنصاباً لتعيين الحرم، وقد أورد السمهودي عن هذه الأنصاب روايات مختلفة، وهي في ذات الجَيش، وقد اتفقت على ذكرها كافة المصادر، ومشيرب أو شريب وقد ذكرها مصدران، وأشراف المخيض أو أشراب المجتهر وقد ذكرتها ثلاثة مصادر، والحفياء وقد ذكرها مصدران وكذلك تيم، وذات العشيرة ومضرب القبة وقد ذكر كلاً منها مصدر واحد.

فأما ذو الحليفة فكانت أول محطة على طريق مكة (٢ / ٢٩٣ - ٤، والبكري ٩٣٤) وقد أحرم منها النبي (البكري ٤٦٤) ويقول السمهودي أنه قاس بنفسه المسافة فوجدها تبعد عن المسجد الجامع خمسة أميال وثلثي ميل (٢ / ٢٩٤)، وهي قرب ذي الحليفة (١ / ٦٤) وأمام ذي الحليفة تقع البيداء وهي أرض ملساء (٢ / ٣٢٦، ياقوت ١ / ٧٨٦).

أما ذات الجيش فهي على طريق مكة، غربي ذي الحليفة، في البيداء، وقرب الحفيرة (١ / ٢٦٧، ٢٦٣ - ٨) ويصب واديها في أبي كبير، ويقع شماليها أعظم ومشيرب، وبقربها الضبوعة ويقول ابن سعد: إن الضبوعة على طريق الحج وهي على بريد من المدينة (ابن سعد ٤ /٤) أما المخيض فهي قرب عين حمزة على طريق الحاج السوري، وتقع جنوبيها مضرب القبة. أما الحفياء وأشراف المجتهر فكل منهما قرب الغابة، وفي شرقي الحفياء ذو العشيرة (١ / ٦٩ - ٧٠) أما ثور فهو جبل صغير وراء أحد.

لا توجد إشارات إلى أماكن أخرى تحدد حرم المدينة، ولعل ذكر هذه

الأماكن راجع إلى أنها كانت عند الطرق الرئيسية أما المناطق الأخرى فكانت في الصحراء.

أودية المدينة:

تخترق المدينة عدة أودية تجري عموماً من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وتتوفر فيها المياه وخاصة بعد الأمطار، ولكن يبدو أن مياهها غير دائمة ولا تكفي للإرواء الدائم أو للشرب.

بطحان:

كان بطحان يتوسط بيوت المدينة في زمن ابن شبة وهو يأخذ من ذي الحدر، والحدر قرارة في الحرة يمانية من حلبات الحرة العليا، حرّة العليا، أو حرّة معصم، وهو سيل يفترش في الحرة حتى يصب على شرق ابن الزبير، وعلى جفاف، ومر فيه وبني حجر وبني اطب والحساة، حتى يفضي إلى فضاء بني خطمة والأعوس، ثم يستمر حتى يرد الجسر، ثم يتبطن وادي بطحان حتى يصب في زغابة (ابن شبة ١٦٧) ويروي السمهودي عن ابن زبالة أن بطحان يأتي من الحلائين حلائي صعب على سبعة أميال من المدينة ونحو ذلك، وفي رواية له أن بطحان يأتي من صدر جفاف «وجفاف واد في شرقي مسجد شرقي قباء» (٢ / ٢١٣ وانظر أيضاً ٢ / ٢٨١).

أما وادي بطحان فيفهم من كلام ابن شبة أن ابتداءه من جسر بطحان وذلك بقرب الماجشونية وآخره في غربي مساجد الفتح، ويشاركه رانونا في المجرى في المواضع التي في غرب المصلى وما والاه من القبلة لأنها تصب فيه، والذي يقتضيه كلام غيره أن الماجشونية وتربة صعيب من بطحان». (٢ / ٢١٣).

ويقول السيد كبريت المدني: وسيل بطحان يأتي مره على سبعة أميال من المدينة يمر بالصيحاني المعروف بأم عشر ثم بالجفاف بالغضا بالغاً وهو موضع في غربي الماجشونية ثم بالمصلى ومساجد الفتح ثم بالغابة (الجواهر الثمينة ٩١).

مذينب:

والوادي الآخر هو مذينب وهو يأتي من حلائي صعب إلى روضة بني أمية، ثم يتشعب من الروضة نحوا من خمسة عشرة جزءاً في بني أمية، ثم يخرج من أموالهم، ويقول ابن شبة: إنه شعبة من مهزور عند مروره بين بيوت بني أمية بن زيد ويعود فيلتقي بمهزور، ويقول البلاذري: إن من مهزور إلى مذينب شعبة تمر فيه.

وقد نزل بنو النضير على مذينب.

كان مذينب في زمن السمهودي يشق في الحرة الشرقية بني قريظة ويمر في وسط قرية قديمة كانت شرقي العهن و النواعم ويتشعب في تلك الأموال ويخرج ما فضل منه من الموضع المعروف بنقيع الرديدي ومن الناصرية فيصب في الوادي الذي يأتي من جفاف شرقي مسجد الفضيخ حتى الفضاء الذي عند بؤر النورة خلف الماجشونية فيلقاه هناك شعبة من مهزور ثم يصبان جميعاً في بطحان (٢ / ٢١٥ ـ ٦).

ويقول المطري: إن في غربي مذينب جفاف، الذي يلتقي معه فوق مسجد الشمس (٢ / ٢١٦).

رانونا:

يروي ابن شبة أن رانونا يأتي من مقمل وهو جبل في يماني عير ومن حرس شرقي الحرة، ثم يصب على قرين صريحه، ثم سد عبدالله بن عمروبن عثمان ثم يتفرق في الصفاصف فيصب في أرض إسماعيل ومحمد ابني الوليد بالعصبة، ثم يستبطن حتى يعترض قباء يميناً ثم يدخل غوسا ثم بطن ذي خصب، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من خصب ثم يقترن بذي صلب ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ثم يفترق فرقتين فتمر فرقة على بئر جشم تصب على سكة الخليج حتى تفرغ في وادي بطحان وتصب الأخرى في وادي بطحان أيضاً (ابن شبة ١٦٨ ٢٠ / ٢١٣، ١ / ١٤٥).

ويروي ابن زبالة أن رانونا تأتي من بين سد عبدالله بن عمرو بن عثمان وبين الحرة، وأنها تلتقي بواد آخر عند جبل مقمن أو مكمن، وهذا السد ظلت آثاره باقية إلى زمن السمهودي، غير أن اسمه نسي، ويرى السمهودي أنه ربما كان السد المعروف زمنه بسد عنتر لانطباق الوصف عليه.

أما قرين صريحة فهي تنطبق على ما كان يدعي زمن السمهودي بقرين الصرطة.

أما ذو ريش فيأتي من جوف الحرة.

وأما ذو صلب ففي رواية ابن زبالة أنه يأتي من السد، ويختلط مع رانونا ثم يمر على ساخطة وأموال العصبة. وغوسا ربما كانت حوسا وهي بقباء، ويمر ذي صلب في رواية ابن زبالة من بني سالم.

وينصب على رانونا ما يأتي من حرة بني بياضة.

والسرارة كانت حديقة معروفة في زمن السمهودي وهي من بني بياضة (٢ / ٢١٣ - ٤).

ويقول السيد كبريت: أن رانونا يأتي من جبل في يماني عير يمر بالعصبة ويعترض قبا يميناً فيدخل الشرق والبستان، ثم يخرج إلى العليقة ثم يمر بصرارة شاهين ثم يشارك سيل وادي بطحان المعروف بأبي جيدة من غرب العصبة في قبلي المصلي» (الجواهر الثمينة ٩١).

مهزور:

أما مهزور فيقول ابن شبة أنه يأخذ من حرة شوران (٢ / ٣٣١) ويضيف ابن شبة أنه يأخذ من شرقيها ومن هكر وحرة صفة حتى يأتي أعلى حلاة بني قريظة ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بني أمية بن زيد، بين البيوت في واد يقال له مذينب، ثم يلتقي وسيل بني قريظة بفضاء بني خطمة، ثم يجتمع الواديان جميعاً مهزور ومذينب فيتفرقان في الأموال ويدخلان في صدقات رسول

الله ﷺ كلها إلا مشربة أم إبراهيم، ثم يفضي إلى السورين على قصر مروان بن الحكم ثم يأخذ بطن الوادي على قصر بني يوسف، ثم يأخذ في البقيع حتى يخرج على بني حديلة. والمسجد ببطن مهزور، وآخره كومة أبي الحمرة، ثم يمضي فيصب في وادي قناة. (ابن شبة ١٧٠).

غير أن في هذا الوصف بعض الغموض، من حيث أن مذينب يخرج بعد التقائه من مهزور فيصب في بطحان، وأن شعبة أخرى من مهزور لا تجتمع بمذينب تمر على الصافية وما يليها من الصدقات ثم تغشي بقيع الغرقد والنخيل التي حوله خصوصاً الجزء ا لمعروف بالحضاري.

وقد أغفل ابن شبه ذكر شعبة كبرى تشق من مهزور إلى العريض، ولعل إغفاله لها بسبب بناء سد عليها، وقد أشار المطري إلى هذه الشعبة (٢ / ٢١٧).

كان مهزور يهدد المسجد بالغرق، ويروي ابن شبة أنه سال زمن عثمان سيلاً عظيماً على المدينة خيف على المدينة منه الغرق، فعمل عثمان الردم الذي عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة، ويروي ابن زبالة أن شرج عثمان بن عفان الذي يقال له مدرى تسقى به الدلال والصافية، ويشق من مهزور في أمواله ويأتي على أريس وأسفل منه حتى يتبطن الصورين فصرفه، مخافة على المسجد، في بئر أريس ثم في عقد أريم في بلحارث بن الخزرج ثم صرفه إلى بطحان.

إن خطر فيضان مذينب تجدد سنة ١٥٦ هـ وهدد المسجد وأغرق صدقات النبي، فجدد حفر الترعة من برقة وانصرف الماء إلى بطحان (٢ / ٢١٤ - ٢١٥).

وكانت قريظة تقيم في مهزور (ياقوت ٤ / ٧٠١) ويروي البكري أن عثمان أقطعه الحارث بن الحكم (١٢٧٥).

قناة :

ومن أودية المدينة الكبرى قناة، وهو من الأودية الطويلة التي يروون أنها تأتي من جهات الطائف، وهي تنقسم قسمين يتصل آخرهما، وهما قناة والأخرى الشظاة، ويفصل بينهما السد الذي أحدثه نار الحرة وعندما ثارت هذه الحرة سنة ٦٥٥ امتلأ الوادي بالماء حتى صار كالبحر ثم انخرق زمن المطري سنة ٦٩٠ «فجرى الوادي سنة فملأ ما بين الجانبين وسنة أخرى دون ذلك، ثم انخرق بعد سنة سبعمائة فجرى سنة أو أزيد ثم انخرق سنة ٧٣٤ بعد تواتر الأمطار فكثر الماء وجاء سيل لا يوصف كثرة، ومجراه على مشهد سيدنا حمزة وحفر وادياً آخر قبلي الوادي والمشهد وقبلي جبل عينين في وسط السيل، ومكثا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل المدينة ثم استقر في الواديين القبلي والشمالي قريباً من سنة وكشف عن عين قديمة قبل الوادي جددها الأمير وُدَيٌّ (٢ / ٢١٤ ـ ٥، ياقوت ٤ / ١٨٢، البكري ١٠٩٧).

وقد أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجرف إلى قناة (ياقوت ٤ / ١٨٤ عن البلاذري).

وفي صدر قناة على بريد منه جبل يقال له بنت (ياقوت ١ / ٩٠٤) وعنده بئر الملك (٢ / ٢٥٨)، والهجعة والصحفة (٢ / ٣٣٧، ٣ / ٤١٨) وحرض وهو من أودية قناة على ميلين من المدينة، (ياقوت ٢ / ٢٤٢) وعينين وهي هضبة في أحد (ابن سعد ٣، ٢ / ٤٢ وياقوت ٣ / ٧٥٤).

خطط المدينة

١ ـ قباء :

ربما كانت خير نقطة بداية لدراسة قباء هو مسجد قباء، وهو المسجد الذي أسس على التقوى، وقد بني من أوائل الهجرة، ووصفه السمهودي وصفاً وافياً، مبيناً أهميته وتاريخه، وعمرانه معتمداً على روايات عدة مصادر من فترات

مختلفة مع إضافات لملاحظاته (٢ / ١٦).

وقد أنشىء هذا الجامع قرب أطم اسمه غرة، كان موقعه عند منارة المسجد، وهي في الركن الشمالي الغربي من المسجد (٢ / ٢٤ ، ٣٥٣ ياقوت ٣ / ٧٧٩).

وفي الجهة الجنوبية من مسجد قباء دار سعد بن خيثمة ودار كلثوم بن الهدم. فأما دار سعد بن خيثمة فيروي السمهودي عن المطري أنه «أحد الدور التي في قبلي مسجد قباء يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها» ويروي أن «باب مسجد قباء المسدود في المغرب بفناء دار سعد بن خيثمة وهي من قبلة مسجد قباء، والجانب الذي يلي هذا الباب المسدود منها يدخل الناس للزيارة ويسمونه مسجد علي رضي الله عنه (في زمنه) (٢ / ٢٢٦ ، ٧٣).

وسعد بن خيثمة «كان عزباً لا أهل له وكان منازل العزاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين عنده: وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة بيت العزاب (١ / ١٧٥ ، الطبري ١ / ١٢٤٣) ولعل هذا قد أكسبه حرمة خاصة، فيروي ابن زبالة عن ابن دقش أنه قال «يزعمون أن النبي ﷺ توضأ من المهراس الذي يلي دار سعد بن خيثمة بقباء» (٢ / ٢٧).

أما دار كلثوم بن الهدم فهي إحدى الدور التي في قبلي المسجد أيضاً يدخلها الناس للزيارة والتبرك (٢ / ٢٧) وقد نزلها الرسول وأهله وأهل أبي بكر (١ / ١٧٦ ، ٢ - ٢٧).

وفي «رحبة مسجد قباء على يسارك مستقبل القبلة: أطم شاس» (١ / ١٣٩ ، ٢ / ٣٢٧ - ٣٣٦) وفي شرقي مسجد قباء المسكبة وهو موضع «كان به أطمٌ يقال له واقم (٢ / ٣٧٣ ، ٣٨٩) وهو لابن عويم بن ساعدة (٢ / ٣٨٩) والخصي وهو «أطم كان شرقي مسجد قباء على فم بئر الخصي لبني السلم (٢ / ٢٩٩) وكان عددهم في الجاهلية ألف مقاتل وكلهم انقرضوا سنة ١٩٩ (١ / ١٣٨).

بنو عمرو بن عوف

لما كان مسجد قباءٍ في بني عمرو بن عوف (٢، ١٦)، لذا يمكن تثبيت الأماكن والأسر التي تنسب لهذه العشيرة قرب هذا المسجد وقد ذكر السمهودي عدة أطام لهم أو في منازلهم منها بعبع (٢ / ٢٦٢) ويخرج (٢ / ٢٥٨) وواقم والمستظل اللذين كانا لأحيحة بن الجلاح الجحجبي ثم صار لبني عبدالمنذر ابن رفاعة في دية جدهم (٢/٣٧٣)، والمستظل عن بئر غرس (١/١٣٦ - ٧)، وكذلك أطم كان «في دار عبدالله بن أبي أحمد كان لكثوم بن الهدم من بني عبيد بن زيد بن أظلم أخي بني عبيد بن زيد بن مالك» (١ / ١٣٦).

غير أن أبرز ما فيها أحجار المراء، التي يروي ابن الأثير أن النبي ﷺ كان يلقي جبريل بأحجار المراء قال مجاهد هي قباء (٢ / ٢٤٤، الأغاني ٤ / ٢٤١)، وكان بقربها الشنيف وهو أطم لبني عمرو بن عوف «عند دار أبي سفيان بن الحرث بين أحجار المراءِ وبين مجلس بني الموالي كان لبني ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف».

وقد نزل بنو عذارة . . بن جشم «قباء على بني عمرو بن عوف فحالفوهم وصاهروهم . . فلم يزالوا كذلك إلى أن فرض المهدي للأنصار سنة ١٦٠ فانتقلوا بديوانهم إلى بني بياضة (٢ / ١٣٦ - ٣٣١).

بنو أنيف

ويقيم بالقرب من بني عمرو بن عوف بنو أنيف «ذكر السمهودي أنهم حي من بلي، فلذلك لم يذكر ابن زبالة منازلهم هنا» (٢ / ١٣٧، ٢ / ٧٢، ١ / ١١٤) وأن المطري ومن تبعه ذكر أن بني أنيف بطن من الأوس وقال أن دارهم بين بني عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة» وعلق على ذلك بقوله المعتمد ما قدمناه ودارهم بقباء عند المال المعروف اليوم بالقاع في جهة قبلة مسجد قباء من جهة قباء وعند بئر عذق كما سبق» (٢ / ٧٢) ويقول المطري وتبعه المجد ذكر أن بني أنيف بطن من الأوس وأن منازلهم كانت بين بني عمرو بن عوف وبين العصبة، ومأخذ المطري في نسبتهم إلى الأوس قول أهل السير

في المغازي: شهد من الأوس كذا وكذا رجلاً. ثم يذكرون فيهم بعض بني أنيف، وذلك لأنهم حلفاء الأوس لا لأنهم منهم، نَبَّه عَليه ابن إسحاق حيث قال: شهد بدراً من الأوس بضع وستون رجلاً، فذكر من بني جحجبا جماعة ثم قال: ومن حلفائهم من بني أنيف أبو عقيل ثم نسبه إلى بلي بن عمرو بن الحالف بن قضاعة، لكن استفدنا من كلام المطري أن منازلهم بين العصبة وقباء، ويستفاد مما ذكره ابن زبالة أن من منازلهم بئر عذق وما حولها والمال الذي يقال له القائم وذلك معروف بقباء» (٢ / ١٣٧)..

فأما بئر عذق فيذكر السمهودي أنها معروفة بقباء (١ / ١٧٤)، ويقول: إنه عندها أطم البلويين الذي بالقاع كما قال المجد، ولم أقف له على أصل إلا ما تقدم في منازل يهود من أن بني أنيف من بلي وكانوا بقباء ولهم أطم عند بئر عذق ولكن لا يسمى بالقاع وتلك البئر معروفة اليوم (٢ / ٢٥٥) ويقول نصر: إن عذق أطم بالمدينة لبني أمية بن زيد وكان اسمه من قبل السير» (ياقوت ١ / ٦٢٦).

وقال نصر: إن قرب عذق موضع يقال له المكرعة (٢ / ٣٧٦).

ولبني أنيف النواحان وهما أُطمَانِ (٣ / ٣٨٦) والأجش (٢ / ٢٤٢) وهو عند البئر التي يقال لها لاوه (ياقوت ٣٢٤، ١١٤)، والقائم وهو «مال لبني أنيف معروف في قبلة قباء من المغرب (٢ / ٣٥٧) والمابة وهو مال لبني أنيف بقباء كان بينه وبين القائم أطمان لهم (٢ / ٣٦٧).

وكان مع بني أنيف ناغصة وهم من اليهود (١ / ١١٤).

العصبة

وبالقرب من منازل بني عمرو بن عوف العصبة وهي «في غربي مسجد قباء فيها مزارع وآبار كثيرة (٢ / ٧٣) والعصبة نزلها المهاجرون الأولون لما قدموا من مكة إلى المدينة (ابن سعد ٣ / ٦١) قبل مقدم رسول الله (ابن سعد ٢ / ١١١، ياقوت ٣ / ٦٨٣) ويذكر صاحب «الجواهر الثمينة» أنها قطعة

ريحان السفري، وهي حديقة لطيفة، وفيها حصن قديم، قال في زهر الرياض: العصب في غربي قبا بها النخيل والبساتين المعتبرة. ابتكر عمارتها السيد أحمد بن سعد نقيب السادة والأشراف وبعض بني السفر.

وقد اشتملت العصبة على حدائق ذات بهجة ومن أحسنها سلطانه وهي حديقة حسنة الترتيب بديعة الوضع العجيب، كثيرة النخيل الباسق والشجر المتناسق ذات بناء شديد وإيوان مشيد، في بركة وسيعة، وأوضاع حسنة بديعة (الجواهر الثمينة ص ١٠١).

جحجبا

وفي العصبة منازل بنيّ جحجبا (١ / ١٣٧، ٢ / ٧٣، ٣٤٦، ٣٧٥) وفي العصبة أيضاً مسجد التوبة، روى ابن زبالة عن أفلح بن سعد وغيره أن مسجد رسول الله ﷺ صلى في مسجد التوبة بالعصبة ببئر الهجيم، قال المطري: وليست بمعروفة اليوم يعني البئر (٢/٧٣) ويذكر صاحب الجواهر الثمنية أن في العصبة مسجد التوبة صلى فيه النبي ﷺ إلا أن هذا المسجد قد اندرس بحيث لم يبق له أثر ولم تزل الآثار تعفو رسومها.

وفي العصبة أطم الضحيان الذي ابتناه أحيحة بن الجلاح «وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة وكان عرضه قريباً من طوله بناه من بثرة بيضاء فسقط من حجارة الحرار البيض، وكان يرى من المكان البعيد» (١ ـ ١٣٧) ويروى عن ياقوت أنه شاذه بأرضه التي يقال لها قنان (٢ / ٣٣٨) كما بنى بني جحجبا وبنو مجدعة أطم الهجيم (١ / ١٣٧، ٢ / ٣٨٦). وهو عند بئر الهجيم (٢ ـ ٢٥٨) وكان في العصبة عدينة وهو بين الصفا والوادي (٢/٢٤٣) والقواقل وهو أطم بطرف منازل بني السلم مما يلي العصبة (٢ / ٣٦٣).

مسجد الفضيخ:

واقف والسلم وخطمة

مسجد الفضيخ صار يعرف منذ أيام المطري وقبله بمسجد الشمس، وهو

شرقي مسجد قباء على شفير الوادي على نشز من الأرض مرضوم بحجارة سود، وذكر المطري أنه مسجد صغير (٢/٣٣) وهو على نحو نصف ميل من مسجد قباء من الجهة الشرقية. . وعنده بئر لها درج إلى الماء (الجواهر الثمينة ١١١).

وقد نزل بنو واقف والسلم عند مسجد الفضيخ، غير أن بني السلم هاجروا من هذا المكان ونزلوا على بني عمرو بن عوف فلم يزل ولده فيهم، ومن بقيتهم سعد بن خيثمة بن الحارث ثم انقرضوا سنة ١٩٩، وكان لبني السلم حصن شرق مسجد قباء ذكره ابن زبالة، وذكر ابن حزم انقراض جميع بني السلم وقال: كان قد بلغ عددهم في الجاهلية ألف مقاتل. . (١/١٣٨) وكان منزله قرب صفينة (٢/٣٣٦).

أما بنو واقف فقد نزلوا في قبلة مسجد الفضيخ، وظلت آثار سكناهم باقية إلى زمن السمهودي (١ / ١٣٨).

وابتنى بنو واقف أطم الريدان وكان موضعه في قبلة مسجد الفضيخ (١ / ١٣٨، ٢ / ٢٥٤) ولهم أيضاً بئر عائشة وكان لهم أطم عليها (٢ / ٢٥٤).

وكان في خطتهم أيضاً بئر قربان عليها حديثة وعندها عمارة في شرقي مسجد الشمس إلى جانب الشمال يفصل بينهما سيل أبي جيدة فتسمى باسمه ذلك الموضع وصار علماً بالغلبة على تلك الناحية وكثرت فيه العمارة وسكانه أهل خير ومعروف (الجواهر الثمينة ١١١).

وفي شرقي مسجد الشمس كانت منازل بني وائل وكان لهم مسجد يروي ابن شبة أن النبي صلى فيه ولكنه كان منقضاً زمن السمهودي (١ / ١٣٨، ٢ / ٧٢) ويقول السمهودي أن بني وائل نزلوا في دارهم المعروفة بهم (١ / ١٣٨) وأنه كان لهم الموجا وهو أطم موضعه في مسجد بني وائل (١ / ١٣٨، ٢ / ٧٢) غير أن المطري ومتابعيه لم يعينوا موضع هذا المسجد (٢ / ٧٢) أما ياقوت فيكتفي بالقول إن واقف موضع في أعلى المدينة (٤ / ٨٨٣) إن واقف موضع في أعالي المدينة (٤ / ٨٩٣).

كانت دار بني خطمة معروفة في زمن ابن زبالة، غير أن المطري يقول: منازل بني خطمة لا يعرف مكانها اليوم إلا أن الأظهر أنهم كانوا بالعوالي شرقي مسجد الشمس لأن تلك النواحي كلها ديار الأوس (١ / ١٤٠، ٢ / ٧١) ويقول السمهودي إن الأظهر عندنا أنهم كانوا قرب الماجشونية، إذ يقول ابن شبه في سيل بطحان إنه يصب في جفاف، ويمر فيه حتى يفضي إلى فضاء بني خطمه والأغوس، ويقول في مذينب: إنه يلتقي هو وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة، وسيأتي أن ذلك عند بؤر النورة الذي في شامي الماجشونية وقد رأيت آثار الآطام هناك (٢ / ٧١).

ويذكر السمهودي أن بني خطمة كانوا متفرقين في آطامهم لم يكن في قصبة دراهـم منهم أحد، فلما جاء الإسلام اتخذوا مسجدهم وابتنى رجل منهم عند المسجد بيتاً سكنه، فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدا عليه ثم كثروا في الدار حتى كان يقال لها غزة تشبيهاً بغزة الشام من كثرة أهلها (١ / ١٤٠ انظر عن غزة ٢ / ٣٥٣) وهو يروي أيضاً أن فضاء بني خطمة ويفضي إليه سيل بطحان وبه يلتقي سيل مهزور ومذينب وهو بقرب الماجشونية (٢ ـ ٧٣) وانظر تاريخ المدينة لابن شبه ١٧٠).

أما الماجشونية فهي نسبة إلى الماجشون، مال بوادي بطحان بقرب تربة صعيب (٢ / ٣٦٧) وهو يلي صدقة أبان بن أبي حُدير، ويقول السمهودي: والظاهر أنه المسمى اليوم بالمجشونية فإن اسمه الأصلي الماجشونية على ما تقدم في تربة صعيب (١ / ١٣٩).

وأول بطحان الماجشونية وآخره السيح، (١ / ١٣٩، ٢ / ٧٢) ويروي ابن شبه في سيل بطحان أنه يصب في جفاف ويمر فيه حتى يفضي إلى فضاء بني خطمة والأغوس «تاريخ المدينة ١٦٧» وقوله في مذينب أنه يلتقي هو وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة وسيأتي أن ذلك عند بؤر النورة (تاريخ المدينة ١٧٠).

ولبني خطمـة صع ذرع وهو أطم ابتنوه ليس فيه بيوت جعلوه كالحصن

الذي يتحصنون فيه للقتال وكان لخطمة كلها، وكان موضعه عند مهراس بني خطمة (١ / ١٣٩)، وهذا الأطم عند بئر ذرع (١ / ١٣٩، ٢ / ٣٣٨) ولهم أيضاً الصاع وكان على بئر عمارة (٢ / ٣٨٢) وأطم عند بئر الدريك ويقال فيها بئر الزريق (٢ / ٢٥٢، ياقوت ٢ / ٣٠٨) كما كان لهم مُرَيد (ياقوت ٤ / ٥١٤).

أمية بن زيد

وبالقرب من بني خطمة بنو أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الذين نزلوا في دارهم المعروفة بهم التي بها الكبًا، يمر بها سيل مذينب بين بيوتهم ثم يلتقي هو وسيل بني قريظة بفناء بني خطمة (١ / ١٣٩) وفي شرقي مسجدهم دار آل أبي رويفع كان فيها أطم لهم (٢ / ٧١)، وأطم العذق، وكان عند الكبا (٢ / ٣٤٣) ولهم أيضاً اليسيرة (٢ / ٣٩٢)، وعندهم مسجد الحجاج بن علاط الذي كان يقيم بينهم عند قدومه المدينة (ابن سعد ٣ ـ ٢ / ١٥ عن الواقدي).

ينقل السمهودي عن المطري أن دارهم شرقي دار بني الحارث بن الخزرج وفيهم كان عمر بن الخطاب. . ويعلق على ذلك بقوله «والذي يتحرر مما سبق من المنازل أنهم كانوا قرب النواعم وبئر العهن وهي من أموالهم. ويمر سيل مذينب من بيوتهم ثم يسقي الأموال. وبالحرة الشرقية قريباً من الموضع المذكور آثار قرية يمر بها سيل مذينب الظاهر أنها قريتهم، ويشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر مقتل كعب بن الأشرف وكان في بني النضير، أن محمد بن مسلمة ومن معه قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بعاث حتى أسندنا في حرة العريض» (٢ / ٧١) وقصر إبراهيم بن هشام دون بني أمية بن زيد، ولعله بالناعمة التي له (٢ / ٣٦١).

قينقاع:

ذكرنا عند الكلام مجرى وادي بطحان أنه يمر ببني خطمة والأغوس ثم يصل جسر بطحان (٢ / ٢١٣، ٢٨١) حيث كانت بقربه مساكن بني قينقاع

وهم قبيلة يهودية تبلغ حوالي ٧٠٠ رجلاً أقصاهم الرسول ﷺ في السنة الثانية للهجرة (١ / ١١٥).

كان بنو قينقاع صناعاً (ابن هشام ٢ / ٢٤٧، ابن سعد ١ / ١١٩ الطبري ١ / ١٣٦١) وكان سوقهم قرب جسر بطحان (١ / ١١٥، ١٩٨، ٥٣٩، ٢ / ٢٨١، ٣٢٥ ـ ٣٦٤، الأغاني ٢١ / ٦٢).

وكـان لهم أيضاً سوق حباشة (٢ / ٣٢٦ وانظر ياقوت ٢ / ١٩٣) وأطم مَرّيح عند منقطع جسر بطحان وأنت تريد المدينة (٢ / ٣٧٣، ياقوت ٤ / ٥١٤)، والشاشين وهو قرب مال خيبر (٢ / ٢٩١) أو حبرة (٢ / ٢٨٤).

السنح : الحارث بن الخزرج

سكن بنو الحارث بن الخزرج، وهم بلحارث، دارهم المعروفة بهم أي شرقي وادي بطحان وتربة صعيب (١ / ١٤٠، ١٤١) وكانت شمالي خطة بني خطمة، وترب صعنيب بالماجشونية (١ / ١٤٠) غير أن بعض أفخاذهم خرجوا وسكنوا في مناطق أخرى.

وكـان بالقرب منهم السنح، وهو على ميل من الجامع، وقد سكنه بنو جشم وزيد ابنـا الحارث بن الخزرج (١ / ١٤٠، ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٢٣، ٣ ـ ٢ / ٨٥) وكان يقيم فيه أبو بكر (١ / ١٤٠، ٢ / ٣٢٥ ابن سعد ٣ ـ ١ / ١٢٣، ٢ ـ ٢ / ٦٥)٠ وقد ابتنوا أطما يقال لها السنح وبه سميت الناحية، ويقال بل اسمه الريان (١ / ٢٤٠، ٢ / ٣١٧) كما سكنه أيضاً بنو عتبة بن عمر من بني جشم (١ / ١٤٠).

بنو سالم وغنم والحبلى وبياضة

أما بنو سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج فقد نزلوا على طرف الحرة الغربية غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانونا وابتنوا آطاما منها:

١ ـ المزدلف لعتبان بن مالك (١ / ١٤١ وهو عند مسجد الجمعة ٢ / ٣٧٣، ٣٢ / ٧٤).

٢ ـ الشماخ وكان خارجاً عن بيوت بني سالم من جهة القبلة (١ / ١٤١، ٣٣٠).

٣ ـ القواقل في طرف بيوت بني سالم من ناحية العصبة ؟! / ١٤١، ٢ / ٣٦٣).

٤ ـ اذبل وهو عند الأراكه (٢ / ٤٤).

ونزل بنو غصينة وهم من بلي حلفاء لبني سالم عند مسجد غصينة (١ / ١٤١).

ونزل بن الحُبْلَى وهم مالك بن سالم بن غنم الخزرجي دارهم المعروفة لهم بين قباء وبين دار بني الحارث بن الخزرج التي شرقي وادي بطحان وصعيب (١ / ١٤١، ٢ / ٧٠).

وكان لهم أطم مزاحم لعبدالله بن أبي بن سلول (٢ / ٣٧٣، ١٤١) وهو بزقاق ابن حبين (٢ / ٣٧٣) وأطم كان بين مال عمارة البياضي: وأطم ثالث في أطراف خططهم (١ / ١٤١، ٢ / ٧٠).

وبين بني سالم وقباء تقع صفينة (٢ / ٣٣٦) وكان يقيم فيها بنو عطية بن زيد وهم شمالي بني الحبلى ولهم أطم شاس (١ / ١٣٩، ٢ / ٣٣٦).

أما القبائل التي خططها على الطريق من قباء إلى المسجد الجامع فيمكن معرفتها من دراسة طريق الرسول الذي سلكه عند قدومه المدينة، إذ أنه وصل أولاً قباء، ثم مر ببني سالم ثم ببني عدي، ثم ببني بياضة، ثم ببني ساعدة، ثم ببني الحارث، ثم ببني مالك بن النجار (١ / ١٨٤، ٢ / ٣٢).

فأما خطط بني سالم بن عوف فكانت قرب الحرة الغربية، في غربي وادي رانونا (١ / ١٤١ البكري ٩٦٣) وكان في الوادي مسجد الجمعة أو مسجد عاتكة، وكان مكان مسجد الجمعة يدعى في الأصل غُبيب (٢ / ٣٢، ٣٥٢).

كانت لبني سالم عدة أطم:
١ ـ المزدلف وهو لعتبة بن مالك شمالي مسجد الجمعة (٢ / ٣٢، ٣٧٣).
٢ ـ الشماخ جنوبي خططهم (١ / ١٤١، ٢ / ٣٣٠).
٣ ـ الاذبل قرب الأراكه (٢ / ٢٤٤).
٤ ـ القوافل وهو لبني سالم مما يلي العصبة.

أما بنو بياضة فقد نزل في دارهم بنو زريق، وحبيب، وعذارة، واللين، وأجدع وهي فيما يقول المطري فيما بين دار بني سالم بن عوف بن الخزرج التي عند مسجد الجمعة إلى وادي بطحان قبلي دار بني مازن. ويعقب السمهودي على ذلك بقوله: الذي يترجح عندي أن دارهم كانت في شامي دار بني سالم بن عوف وقبلي دار بني مازن ممتدة في الحرة الغربية وفي كلام ابن زبالة ما يقتضي أن بعض منازلهم تمد إلى منازل بني ساعده (١ / ١٤١ انظر أيضاً ٢ / ٧٠).

ويروي ابن زبالة أنه كان بدارهم تسعة عشر أطماً، أحصى منها لبني أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطماً منها:
١ ـ أطم أسود من يماني أرض بني فراس بن ميسره كان في الحرة.
٢ ـ عقرب كان في شامي المزرعة المسماة بالرحابة في الحرة على الفقارة (٢ / ٧).
٣ ـ سويد وكان في شامي الحائط الذي يقال له الحماضة ولصاحبه كانت الحماضة (٢ / ٣٢٦).
٤ ـ اللواء كان موضعه في حدّ السرارة بينه وبين زاوية الجدار الشامي الذي يحيط على الحماضة عشرون ذراعاً.
٥ ـ أطم كان في السرارة، والسرارة ما بين أرض ابن أبي قليع إلى منتهى الحماضة وما بين الأطم الذي يقال له اللواء إلى الجدار الذي يقال له بيوت بني بياضة. ثم ذكر ابن زباله ما يقتضي أن ما حول السرارة هو أقصى بيوت بني بياضة.

٦ ـ أطم لآل عاصم بن عطية (٢ / ٧٠) وهو في شمالي الرحابة (٢ / ٣٤٦).
٧ ـ العقيان لبني عمر بن عامر قرب السبخة وشمالي أرض أبي فراس (٢ /٣٤٦).
٨ ـ أطم بين الرحابة والجميزه (٢ / ٧٠).

أما بنو حبيب فقد ابتنو ا الأطم الذي في أدنى بيوت بني بياضه التي دون الجسر الذي ذي ريش (١ / ١٤٥).

أما بنو عمرو بن عامر بن زريق فكان لهم الأطم الذي في شامي أرض فراس بن ميسرة في أدنى بيوت بني بياضة مما يلي السبخة.

أما السرارة فهي ما بين أرض ابن أبي قليع إلى منتهى الحماضة، وما بين الأطم الذي يقال له اللواء إلى الجدار الذي يقال له بيوت بني بياضه والجدار الذي بناه زياد بن عبيدالله لبركة السوق وسط السرارة قاله ابن زبالة، وهو يقتضي أن السرارة قرب سوق المدينة ويؤيده ذكر الحماضة في منازل بني ساعدة، لكن الظاهر أن المراد ببركة السوق هنا بركة كانت مما يلي سيل بطحان ورانونا. ونقل رزين أن السرارة بين بني بياضة والحماضة. ثم ذكر ابن زبالة بقية اطامهم، وذكر ما يقتضي ان ما حول السرارة هو اقصى بيوت بني بياضة ويروي البكري (٧٣١) أن السرارة راتج والشرعبي.

لقد ذكرت بعض الأماكن في بني بياضة، منها الرحابة (٢ / ٣١٠) بئر جشم (٢ / ٢٥١ البكري ٣٨٣، ياقوت ٢ / ٤٣١).

بنو النضير

أما بنو النضير فكانوا في مذينب (١ / ١١٣، ٢ / ٢٣، ٣٣، ٢١٦) قرب قباء (ابن سعد ١ ـ ٢ / ٤٠، ٢ ـ ١ / ١٢) وكانت لهم عدة أطم منها فاضجة (١ / ١١٤، ٢ / ٢٥٤، ياقوت ٢ / ٨٤٤) وبراج (ياقوت ١ / ٥٤٩) والبويرة (٢ / ٢٦٧، البكري ٢٨٥)، ومنور (٢ / ٣٧٩).

وبعد أن انتصر الرسول ﷺ عليهم وزّع أراضيهم بين المهاجرين فأعطى

بير حجر لأبي بكر (ابن سعد ٢ ـ ٢ / ٤٠) وبير جرم لعمر، والضراطة لصهيب بن سنان (ابن سعد ٢ ـ ١ / ٤٠) وكيدمة والسوالة لعبدالرحمن ابن عوف (ابن سعد ١ ـ ٢ / ٤١، البخاري: التأريخ ٢ ـ ٢ / ٣١٦) والبويرة لأبي سلمة بن الأسود (٢ / ٢٦٧، ابن سعد ١ ـ ٢ / ٤١) كما أعطى منها للزبير أرضاً (ابن سعد ١ ـ ٢ / ٤١، ٣ ـ ١ / ٧٢)٠

القطاع الجنوبي الشرقي

واقم: بنو قريظة

وفي شرقي المدينة تقع حرة واقم، وتسمى أيضاً حرة بني قريظة لأنهم كانوا بطرفها القبلي، وحرة زهرة لمجاورتها (٢ / ٢٨٩) وفي هذه الحرة جرت موقعة الحرة (٢ / ٢٨٩، نسب قريش ١٢٧).

كانت قريظة من أكبر قبائل اليهود في المدينة، وقد أزالهم الرسول ﷺ بعد غزوة الخندق في سنة ٤ هـ. وكانت مواطنهم على مهزور (١ / ١١٣، ٢ / ٢١٦، ياقوت ١ / ٦٦٢، ٤ / ٧٠١، ٤ ـ ٧٠١) شرقي قباء قرب فارع الهيلاء (١ / ١٠٥) وكان مهزور يمر حتى حلاة بني قريظة ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بني أمية بن زيد بين البيوت في واد يقال له مذينب، ثم يلتقي وسيل بني قريظة بالمشارف فضاء بني خطمة ثم يجتمع الواديان مهزور ومذينب (١ / ٢١٦) وهذا يدل على أنهم كانوا قرب بني أمية بن زيد. وفي شرقيهم حرة ميطان (٢ / ٣٨٠، ٢٨٩).

ومسجد بني قريظة شرقي مسجد الشمس بعيد عنه بالقرب من الحرة الشرقية (٢ / ٣٤) وقد أقيم في موضع أطم الزبير بن باطا (١ / ١١٤، ٢ / ٣٤) وكانت لهم مقبرة (ابن هشام ٢ / ٢٧٤) وقد ظلت بعد الإسلام حيث دفن فيها أبو سنان محصن (ابن سعد ٣ ـ ١ / ٦٥).

كانت لبني قريظة عدة أطم منها:

١ ـ الملحة، وهو دُبر مال ابن أبي جديس (٢ / ٣٧٧).

٢ ـ المعرض: أطم بن قريظة الذي كانوا يلجأون إليه إذا فزعوا، كان فيما بين

الدومة التي في بقيع بني قريظة إلى النخيل التي يخرج منها السيل (٢ / ٣٧٥).
٣ ـ بلحان أطم كعب بن أسد القرظي بالمال الذي يقال له الشجرة (١ / ١١٤، ٢ / ٢٦٦، ٢ / ٣٢٨).

كانت لبني قريظة عدة آبار ومزارع منها:

١ ـ بير انا الذي أقام فيه الرسول عندما هاجم بني قريظة (٢ / ١٢٥، ياقوت ١ / ٧٠، ٣٦٧ ـ ٤٣١، ٦٥٠ سيرة ابن هشام ٣ / ٢٥٣).
٢ ـ شطمان (٢ / ٣٢٨).
٣ ـ الدومة والدويمة (٢ / ١٫٢٢، ٣٠٧).
٤ ـ بعاث وفيه مزرعة قوري (٢ / ٢٦٢، ياقوت ٢ / ٢٢٣).
٥ ـ الفقير وقد أقطعه الرسول لعلي (٢ / ٣٥٦).

وكان بنو هدل، وهم من اليهود، يقيمون مع قريظة (١ / ١١٤، ياقوت (٤ / ٧٠١) ويقع الصوران بين المدينة وقريظة (٢ / ٣٣٧، ياقوت ٣ / ٤٣٥ البكري ٨٤٦).

عبدالأشهل:

وواقم هو أطم حضير الكتائب، وكان في بني عبد الأشهل (١ / ١٣٥، ٢ / ٢٨٩، ٣٨٩، ابن سعد ٣ ـ ٢ / ١٣٦، ياقوت ٤ / ٨٩٣).

وفي هذه الحرة قصر نفيس، وهو في رواية السمهودي على ميلين من المدينة (٢ / ٣٦٢) وفي رواية ابن شبة على ثلاثة أميال (مقاتل الطالبيين ١٩٦ انظر أيضاً عن قصر نفيس: ابن سعد ٥ / ٦٣).

إن بني عبد الأشهل الذين ينسب واقم لهم، دارهم في قول المطري قبلي دار بني ظفر مع طرف الحرة الشرقية وقد أخذ المطري رأيه من قول يحيى في مسجد بني ظفر أنه دون مسجد بني عبدالأشهل، غير ان السمهودي يقول أنه: لا دلالة في ذلك على ما قاله والصواب أن منازلهم كانت في شامي بني ظفر بالحرة المذكورة وما والاهابين بني ظفر وبني حارثة (٢/٦٤) وتمتد دارهم إلى

الحرة المعروفة اليوم بدشم وما حولها، ويقول أن المعلومات عن معركة الخندق تدل على أن منازلهم كانت بالقرب من الشيخين (١ / ١٣٥) وكانت أول دار من دور المدينة انتهبت والحرب بعد لم تنقطع يوم الحرة دار بني عبدالأشهل (ابن سعد ٥ / ١٨٩ عن الواقدي).

ولبني عبدالأشهل أطم الرعل (٢ / ٣١٢)، وهو بالمال الذي يقال له واسط (١ / ١٣٥) وعاصم وكان على الفقارة في أدنى بيوت بني النجار (٢ / ٣٤١).

وكانت القرصة المعروفة في زمن السمهودي بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال لأنها قريبة من منازل بني عبدالأشهل، ويقول السمهودي إنه ربما كانت القرصة التي ذكر الزين المراغي أنها ضيعة سعد بن معاذ (٢ / ٦٥، ٣٦١)، وكان فيها مسجد، زال أثره (٢ ـ ٦٥).

وكان بنو الجذماء ما بين مقبرة عبدالأشهل وبين قصر عراك (١ / ١١٥، ٢ / ٣٦٢).

حارثة

أما بنو حارثة فقد تحولوا قبل الإسلام من دار بني عبدالأشهل إلى دارهم في سند الحرة التي بها الشيخان شامي بني عبدالأشهل (١ ـ ١٢٤) تدل على ذلك أخبار الخندق حيث «أن النبي ﷺ خطه من أجمة الشيخين طرف بني حارثة وفي المعارف لابن قتيبة عن ابن إسحاق فلما سارت قريش لحرب رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا بيوت بني حارثة، فأقاموا يومهم وليلتهم، ثم خرجوا في غد وذكر انخزال عبدالله بن أبي، وهذا يدل أن بيوت بني حارثة عند الشيخين ومن ناحيتهما، وقد ذكر ابن إسحاق وغيره أن النبي ﷺ جاز ذلك اليوم على حائط لمربع بن قيظي، ومرابع هذا من بني حارثة» (١ / ١٣٥) وفي بني حارثة آطام منها الريان عند مسجدهم (١ / ١٣٦) ومربع وكان في مزرعة (٢ / ٣٧١)، والنيار وهو بمنازل بني مجدعة (٢ / ٣٨٦).

وفي شامي بني حارثة عقيربا وهو مال كان لخالد بن عقبة (٢ / ٣٤٦) وصرار (٢ / ٣٣٤، ٢٨٣).

يتبين من الكلام عن منازل بني حارثة أنهم شمالي بني عبدالأشهل عند الشيخين وهو موضع بين المدينة وبين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد (١ / ١٣٥، ٢ / ٦٦، ٣٣٣) ولهم أطمان (٢ / ١٦٨، ٣٠١) وبمفضاهما المسجد الذي صلى فيه رسول الله ﷺ حين سار إلى أحد (٢ / ٦٦) (ابن سعد ١ - ٢ / ٢٧)، وكانا في طرف الخندق، (٢ / ٣٠١) وهما عند الوالج مسجد البدائع ويعرف في زمن السمهودي بمسجد العدوة وروى يحيى عن محمد بن طلحة قال المسجد الذي صلى فيه رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين راح إلى أحد من ها هنا هو المسجد الذي على يمينك إذا رأيت قناة، أي وادي الشظاة (٢ / ٦٥) غير أنه لم يكن يعرف أثره زمن السمهودي (٢ / ٢٥٨).

وكانت الجوانية موضع قرب أحد في شامي المدينة، بطرف الحرة الشرقية مما يلي الشام (٢ / ٢٨٣) وفيهما أطما صرار والريان (٢ / ٣٣٤).

وكان العريض بالقرب منهم (١ / ٦٢، ٣٤٤ موطأ ٢ / ١٢٢).

بنو ظفر

وبجوار بني عبدالأشهل كانت منازل بني ظفر (١ / ١٣٦)، وقد انقرض بنو ظفر منذ أوائل العصور الإسلامية، (ابن سعد ٥ / ١٩١) ويروي يحيى أن مسجدهم كان دون مسجد بني عبدالأشهل (٢ / ٣٧) وهو تعبير غير محدود، ويروي المطري أن منازلهم شمالي بني عبدالأشهل غير أن السمهودي يرى أن منازلهم جنوبي عبدالأشهل وتمتد إلى حرة دشم (١ / ١٣٤)، وهي شرقي البقيع عند مسجدهم المعروف بمسجد البغلة (١ / ١٣٦)، وطريقه من عند القبة المعروفة بفاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه بأقصى البقيع (٢ / ٣٧).

وبين بني عبدالأشهل وظفر بئر مرق (٢ / ٢٥٦).

زهرة

بينا أن حرة واقم بقربها حرة زهرة، ويروي السمهودي أنها من حرة واقم (٢ / ٢٨٨) «قال ابن زبالة: هي ثبرة وهي أرض السهلة بين الحرة والسافلة مما يلي القف، وكانت من أعظم قرى المدينة، وكان في قريتها ٣٠٠ صائغ، وكان لهم الأطمان اللذان على طريق العريض حين يهبط من الحرة، والمراد الحرة الشرقية فانها تعرف بحرة زهرة، ومقتضاه أن زهرة مما يلي طرف العالية وما نزل عنها فهو السافلة، وأدنى العالية ميل من المسجد كما سيأتي، ويرجحه قوله مما يلي القف لما سيأتي فيه أنه بقرب صدقات النبي ﷺ وأن المشربة به، وسبق في الصدقات أن الظاهر أن حسنى بالقف هي الحسينيات بقرب الدلال والصافية فتكون زهرة بقرب ذلك، ويؤيده ما سبق فى الصدقات عن المراغي أنه قال لِجزع الصافية: جِزْعُ زُهيرة مصغر زهرة المذكورة، ويؤيده أيضاً ما سبق في أول الباب الثاني أنه بقي من صعل امرأة تعرف بزهرة. . قالت: رب جسد مصون ومال مدفون بين زهرة ورانون. وفي كتاب الحرة للواقدي: أقبل نفر من أهل الشام على خيولهم يطيفون فيما بين زهرة إلى البقيع فيصادفون نفراً من الأنصار على أقدامهم» (٢ / ٣١٩، ٢٠) انظر أيضاً ١ / ١١٣.

القف وصدقات الرسول ﷺ

يبدو من النص السابق أن زهرة بين الحرة والسافلة مما يلي القف، أي في طرفه: والقف واد من أودية المدينة عليه مال لأهلها، وكان فيه مال الخمسين وقد روى قصته مالك عن عبدالله بن أبي بكر فقال: إن رجلاً من الأنصار كان يصلي في حائط له بالقف. . فجاء إلى عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال إنه صدقة فاجعله في سبيل الخير فباعه عثمان بخمسين ألفاً فسمي ذلك المال الخمسون؛ وكان بنو ماسكة بناحية القف، ولهم فيه أطمان (٢ / ٣٦٢) وانظر عن الخمسين (البكري ١٠٨٧ ياقوت ٤ ـ ١٥٣).

غير أن أبرز ما بالقف صدقات النبي التي أوصى له بها مخيريق النضري

(٢ / ٣٦، ١٥٢، ٢٥٦) وهي سبعة منها مشربة أم إبراهيم وقد ذكر ابن شبة أنه إذا خلفت بيت مدراس اليهود فجئت مال أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه (٢ / ١٥٢) وذكر الفيروز ابادي أن المشربة المذكورة مسجد شمالي بني قريظة قريب من الحرة الشرقية في موضع يعرف بالدشت بين نخل تعرف بالأشراف القواسم من بني قاسم بن إدريس بن جعفر أخي الحسن العسكري.. قال وعلى شمالي المشربة دار متهدمة لم يبق من معالمها سوى بعض الجدران يظن الناس أنه مكان دار أبي سيف القبر وعلق السمهودي على ذلك فقال: دار أبي سيف القبر التي كان إبراهيم ابن النبي ﷺ مسترضعاً فيها إنما هي في دار بني مازن بن النجار وأن ما ذكره في وصف المسجد المذكور قريب مما هو عليه اليوم لكن ذرعه من القبلة إلى الشام أحد عشر ذراعاً ومن المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعاً راجحة، وفي جهة المشرق منه سقيفة لطيفة، وبالقرب منه في جهة المغرب نخل تعرف بالزبيريات.. (٢ / ٣٦) ويسقيها مهزور (٢ / ١٥٢).

لقد ذكر مال عبدالله بن عبدالله بن زمعة وبيت المدراس في النصين السابقين كما ذكر في مكان آخر أن أبا داود روى عن ابن عمر «أن نفراً من اليهود دعوا رسول الله ﷺ إلى القف فأتاهم في بيت المدراس، وقد ذكر بيت المدراس في مسجد المشربة (٢ / ٣٦٢).

يروي الزبير بن بكار أنه «كان بنو زعوراء عند مشربة أم إبراهيم ولهم الأطم الذي عندها، وبنو زعوراء من قبائل اليهود» (٢ / ٣٦، ٣٧).

وفي جهة الغرب نخل تعرف بالزبيريات، وقد روى ابن زباله عن هشام بن عروة أن النبي ﷺ صلى في المسجد الذي وضعه الزبير في بني محمم وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات غربي مشربة أم إبراهيم، وقبلتها بقرب خناقة والأعواف وهما من أموال بني محمم» ونقل ابن شبة عن ابن غسان أن النبي أقطع الزبير ماله الذي يقال له محمم من أموال بني النضير فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بني محمم فتصدق بها، وفي الصحيح قصة الرجل الذي

نازع الزبير في السقي بشراج الحرة وسنبينها أنها حرة بني قريظة، وفي الطبراني أن ذلك الرجل من بني أمية بن زيد ومنازلهم وأموالهم عند هذه الحرة، وفي حديث أسماء وقصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة، وكله مؤيد لكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات، ويؤيده أيضاً أن كثيراً منها بأيدي جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالكماة» (٢ / ٦٨).

أما الحسناء التي هي قرب صدقة الزبير فهي «إحدى صدقات النبي بالقف تشرب بمهزور» (٢ / ٣٦٢، ١٥٢، ١٥٦).

ويقرب الحسينيات مال يعرف بالثمين يقول السمهودي أنه ربما كان مال الخمسين (٢ / ٣٦٣).

والصدقات الأخرى هي الأعواف وكانت لخناقة اليهودي من بني قريظة (٢ / ١٥٢)، ويقربها الشطبة وهو مال ابن عتبة (٢/٣٢٨).

والميثب والبرقة وكانا للزبير بن باطا وهما اللتان غرس سلمان، وهما مما أفاء الله من أموال بني قريظة وهي غير معروفة ويبدو أنها متجاورة» (٢ / ١٥٣).

أما الصافية فهي بالصورين معروفة في زمن السمهودي الذي يضيف رواية الزين المراغي أنها في شرقي المدينة بجزع زهرة.

ويروي السمهودي أن الصافية وبرقة والدلال والميثب مجاورات لأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم ويسقيها مهزور (٢ / ١٥٢، ١٥٦).

أما الدلال فهو جزع معروف قبلي الصافية (٢ / ١٥٦) وأسفل منه تقع قورى (٢ / ٣٦٤).

وبالقرب من الصدقات النبوية والصورين يقع قصر مروان بن الحكم (٢ / ٣٦٢).

وأسفل قصر مروان بن الحكم مما يلي النقال والبقيع يقع قصر بني يوسف

بني قريظة بأعلاه «الصافية وما معها من الصدقات متجاورات مكان سيل مهزور يسقيها ثم يفضي إلى الصورين قصر مروان ثم يأخذ بطن الوادي على قصر بني يوسف» (٢ / ٣٣٧). وقد مر به الرسول في نفر من أصحابه قبل أن يصل قريظة (٢ ـ ٣٣٧، ابن هشام ٣ / ٢٥٣) وكان في الصورين منزل نافع مولى ابن عمر (١ / ٣٣٧، ياقوت ٣ / ٤٣٢ انظر أيضاً الأغاني ١ / ١ / ١٦١).

البقيع:

كان البقيع عند الهجرة يدعى بقيع الغرقد لكثرة نبات الغرقد فيه، وكانت فيه نجال كثيرة، والنجل النز، وائل وطرفاء، وبه بعوض كالدخان إذا اسود (ابن سعد ٣ ـ ١ / ٨٩) وقد جعله النبي منذ أوائل سنوات الهجرة مقبرة، فصارت مقبرة أهل المدينة (٢ / ٢٦٥ البكري ٢٦٥، ياقوت ٢ / ٢٥٤) وبعد أن دفن إبراهيم ابن الرسول ﷺ فيه «فرغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر، فاختارت كل قبيلة ناحية فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها» (٢ / ٨٤).

والبقيع شرقي المسجد، ويروي ياقوت أنه داخل المدينة (ياقوت ٢ / ٢٥٤) غير أن ابن حوقل (١ / ٣٠) وابن جبير يقولان إنه خارج سور المدينة، غير أنها كانت في القرن الأول داخل المدينة لما فيها من بيوت.

يقول ابن شبه: كان البقيع غرقداً فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه، وقال رسول الله ﷺ للموضع الذي دفن فيه عثمان: هذه الروحاء، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية، ثم قال النبي ﷺ هذه الروحاء، للناحية الأخرى فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع، (تاريخ المدينة ١٠٠) ويقول إن الروحاء المقبرة التي في وسط المدينة يحيط بها ظرق مطرقه» (تاريخ المدينة ١٠١).

وقد علق السمهودي على هذا النص بقوله «قد تخلص لنا أن دار عقيل كانت بالمشهد المعروف به، ودار محمد بن زيد في شرقيها وشرقي مشهد سيدنا

إبراهيم، فالروحاء الأولى هي المرادة بما سيأتي في قبر أسعد بن زرارة من قول أبي غسان، والروحاء المقبرة التي وسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع وكأنها اشتهرت بذلك دون الثانية لاقتصاره على الأولى» (٢ / ٨٤) ويروي أيضاً عن أبي غسان عن بعض أصحابه» لم أزل مطرقة وسط البقيع (٢ / ٩٠).

فأما دار عقيل ففيه مقابر بني هاشم (تاريخ المدينة ١٢٧، ٢ / ٩٦) وقبر فاطمة بنت النبي ﷺ في رواية ابن شبه في زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة في البقيع، وأنه وجاه زقاق نبيه وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب (٢ / ٩٠) وهو على بعد ٢٣ ذراعاً من القناة التي في دار عقيل، و ٣٧ ذراعاً من القناة الأخرى، (تاريخ المدينة ١٠٤) (٢ / ٩١) وقد دفن الحسن بن علي بجنب فاطمة مواجه الخوخة التي في دار نبيه بن وهب، طريق الناس بين قبرها وبين خوخة (تاريخ المدينة ١١٠).

وقد دفن عباس بن عبدالمطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل، (تاريخ المدينة ١٢٧) وبني قبالة قبره مسجد، ويذكر السمهودي وقد سمعت من يقول دفن في موضع من البقيع متوسطاً «٢ / ٩٦ انظر أيضاً ٢ / ٨٦ - ٧» وقبر فاطمة «من جهة القبلة جانحاً إلى المشرق (٢ / ٩٥)» وهو مقابل حمام أبي قطيفة (٢ / ٨٦) وهو «على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبل المشهد المنسوب لعقيل بن أبي طالب وأمهات المؤمنين».

ويقابل مشهد العباس في المغرب: مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق وهو كبير» وهو ركن سور المدينة من القبلة والمشرق بني قبل السور فاتصل السور فصار بابه من داخل المدينة قال المطري: إن هذا السور بناه بعض العبيديين من ملوك مصر، ويقال إن عرصة هذا المشهد وما حوله من جهة الشمال إلى الباب كانت دار زين العابدين، وبجانب المشهد الغربي مسجد صغير مهجور يقال إنه مسجد زين العابدين. عن يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخير حجر منقوش فيه وقف الحديثة التي بجانب المشهد في الغرب على

المشهد وقفها ابن أبي الهيجاء، ونسبة المسجد الذي بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين وأن عرصة المشهد داره، وأن بئره تلك يتداوى بها، ويقال إن ابنه جعفر الباقر سقط بها وهو صغير وزين العابدين يصلي فلم يقطع صلاته، وفي كلام ابن شبه ما يصلح أن يكون مستنداً في نسبة تلك العرصة لزين العابدين لذكره داراً تقرب من وصفها ونسبها لولده فقال: «واتخذت صفية بنت حُيَيٍّ دار زيد بن علي بن حسين بن علي وقد صارت دارين وهما جميعاً دار واحدة بني زيد بن علي شقها الشرقي الذي يلي البقيع وبني آل أبي سويد الثقفي شقها الغربي الذي يلي دار السائب مولى زيد بن ثابت» فيحتمل أنه نسبها لولده لكونه بناها وكانت لأبيه، وقال أيضاً: «واتخذ جعفر بن أبي طالب داراً بين دار أبي رافع مولى النبي بالبقيع وبين دار أسماء بنت عميس التي من شامي دار أبي رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن علي بن حسين»، وبين ابن شبه أن دار أبي رافع ناقل بها سعد بن أبي وقاص أبا رافع فدفع لأبي رافع داره بالبقال)، وكان الشارع الذي يخرج إلى البقال في قبور أمهات المؤمنين يمتد في غربي المشهد المعروف بهن وقد جدد مسجد زين العابدين سنة ٨٨٤ (٢ / ١٠٤ ـ ٥).

وفي دار عقيل أيضاً قبر أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب (٢ / ٩٧) (ابن سعد ٤ ـ ١ / ٢٧) وفي زاوية دار عقيل الشمالية الشرقية قبر سعد بن أبي وقاص (تاريخ المدينة ١١٩، وفاء ٢ / ٨٩) وقبر أم حبيبه (تاريخ المدينة ١٢٠)، وقبر أم سلمه (تاريخ المدينة ١٢٠).

ذكرنا عند كلامنا عن الروحاء أنها اثنتان، أولاهما من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية، وأن الثانية من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع، ودار محمد بن زيد في شرقيها وشرق مشهد سيدنا إبراهيم فالروحاء الأولى بين المشهدين وتمتد إلى شرقي مشهد سيدنا إبراهيم (٢ / ٨٤).

وقبر إبراهيم فيما يروي ابن شبه: بالزوراء موضع السقاية التي على يسار من سلك البقيع مصعداً إلى حيث دار محمد بن زيد بن علي (تاريخ المدينة

٩٩)، وعن سعيد بن جبير قال رأيت قبر إبراهيم ابن النبي في الزوراء، فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع الزوراء، وروى ابن زباله عن سعيد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء» (٢ / ٨٥). . وقبر إبراهيم حذاء زاوية دار عقيل بن أبي طالب من ناحية دار محمد بن زيد: (٢ / ٨٥)، وهو وجاه دار سعيد بن عثمان التي يقال لها الزوراء بالبقيع فهدمت مرتفعاً عن الطريق (٢ / ٨٥).

كان قبر إبراهيم قرب قبر عثمان بن مظعون الذي كان أول من دفن في البقيع (٢ / ٨٥، ابن سعد ٣ ـ ١ / ٨٩) وهي عند حمام أبي قطيفة (٢ / ٨٤)، وعند كتاب بني عمرو بن عثمان (٢ / ٨٤)، وعند دار محمد بن علي بن الحنفية (٢ / ٨٥)، وعند قبر رقية بنت النبي (تاريخ المدينة ١٠٢، ٢ / ٨٦)، وقبر عثمان: عند موضع الكبا اليوم عند دار محمد بن الحنفية (سعد ٣ ـ ١ / ٧٩)، وعند. قبر ابن مسعود (٢ / ٨٩) وقد دفن عبدالرحمن بن عوف عند قبر عثمان بن مظعون عند زاوية دار عقيل الشرقية (تاريخ المدينة ١١٢، ٢ / ٨٩).

روى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة أنه «كان القائم يقوم عند قبر عثمان ابن مظعون فيرى بيت النبي ﷺ ليس دونه حجاب (٢/٨٦).

وفي البقيع مشاهد أخرى، فمشهد مالك بن أنس «إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك عليه قبة صغيرة وإلى جانبه في المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً (٢ / ١٠٣)، وبين مشهده ومشهد إبراهيم تربة عبدالرحمن بن عوف» (٢ / ١٠٤).

ومشهد صفية بنت عبدالمطلب «على يسارك عندما تخرج من باب البقيع، (٢ / ١٠٣) وهو «في آخر الزقاق الذي يخرج إلى العقيق عند باب الدار التي يقال لها دار المغيرة بن شعبة التي أقطعه عثمان بن عفّان لازقاً بجدار الدار» (تاريخ المدينة ١٢٦، ٢ / ٩٧).»

أما قبر سعد بن معاذ فهو «في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود. . وهي الدار التي يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جنبذة.

(تاريخ المدينة ١٢٥) ويقول السمهودي أن هذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد لكونه بطرف زقاق في أقصى البقيع ومن شرقيه ناحية بني ظفر وبني عبدالأشهل فلعله قبره ولكن وقع الاشتباه في نسبته لفاطمة» (١٠٠٢).

أما قبور أزواج النبي فقد روى ابن زبالة عن محمد بن عبدالله بن علي قال :قبور أزواج النبي من خوخة نبيه إلى الزقاق الذي يخرج إلى البقال مستطيرة، وترجم ابن شبه لقبر أم حبيبة زوج النبي ﷺ، ثم روى عن زيد بن السائب قال أخبرني جدي قال لما حفر عقيل بن أبي طالب في داره بيراً وقع على حجر منقوش مكتوب فيه قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب فدفن عقيل البئر وبنى عليه بيتاً. . قلت فهذا وما قبله أصل في زيارتهن بالمشهد المعروف بهن في قبلة مشهد عقيل، والظاهر أن خوخة نبيه في غربي المشهد المذكور وكذا الزقاق الذي يخرج إلى البقال لما سيأتي في ترجمته فيكون بعضهن بقرب الحسن والعباس، ولهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي قريباً من موضع فاطمة بنت رسول الله ﷺ» (٢ / ٩٨).

وفي شرقي البقيع يقع حش كوكب (تاريخ المدينة ١١٣) وهو موضع في أصل الحائط الذي في شرقي البقيع الذي يقال له خضراء أبان وهو أبان بن عثمان، وكان يسمى في زمن السمهودي بالخضارى «(٢ / ٩٩) وحش كوكب كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع (٢ / ٩٩ نسب قريش ١٠٢، ياقوت ٢ / ٢٧٢ البكري ٤٥١) وكان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم في حش كوكب. . فكان عثمان بن عفان أول من دفن هناك. . ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب بالبقيع فهي مقبرة بني أمية (تاريخ المدينة ١١٣، ٧٣، ٢ / ٩٩ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٩٩) «وكوكب رجل من الأنصار. . ولما ظهر معاوية هدم حائطه وأفضى به إلى البقيع» (٢ / ٩٨ ـ ١٠٠ البكري ٤٥١).

وفي البقيع أيضاً دار ابن أفلح (تاريخ المدينة ١٢٥، مقاتل الطالبيين

٤٤٣)، ودار المغيرة ابن شعبة (أغاني ٢ / ٢١٦)، ودار أبي بكر «في زقاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى» (١ / ٣٣٥).

المناصع

أما في شمالي البقيع فكان المناصع «متبرز النساء بالمدينة ليلاً ـ قبل اتخاذ الكنف بالبيوت ـ على مذاهب العرب، وهو ناحية بئر أيوب شامي بقيع الغرقد» (٢ / ٣٧٨، ١ / ٣٧٨، ١ / ٥١٣).

وبالقرب من المناصع يقع بقيع الخبخبة، فقد «ذكر ابن زبالة ويحيى من طريقه في أثناء كلام عن ابن شهاب في قصة أحد» قال فبناه مسجداً وضرب لبنه من بقيع الخبخبة ناحية بئر أبي أيوب بالمناصع، قال عبدالعزيز فسألت زيداً بن بقيع الخبخبة؟ قال: بين بئر أبي أيوب وتلك الناحية، وهذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة، وقال سألت عبدالعزيز عن بقيع الخبخبة، فقال هي، أي الخبخبة، يسار بقيع الغرقد حين تقطع الطريق وتلقاها عند مسجد يحيى، فقلت ومن يحيى صاحب المسجد الذي ذكرت؟ فقال يحيى بن طلحة بن عبدالله، قلت بقيع الخبخبة لا يعرف اليوم كما ذكر شيخ مشايخنا الزين المراغي لكن الخارج من درب البقيع إذا مشى في البقيع لجهة مشهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وصار إلى مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول الله على يمينه يكون على يساره طريق تمر بطرف الكوفة فإذا سلكها انتهى بعد رأس العطفة التي على يمينه إلى حديقة تعرف قديماً بأولاد صيفي بها بئر ينزل إليها بدرج تعرف ببئر أيوب قديماً وحديثاً، وعن يسار الخارج من درب البقيع أيضاً إذا سلك طريق سيدنا حمزه في شامي الحديقة المعروفة بالرومية حديقة تعرف بالرباطية وقف رباط اليمنة بها بئر قال المراغي تعرف ببئر أيوب أيضاً يتبرك بها الناس وهي بالقرب من الحديقة المعروفة بدار مخل وهي عن يسار بقيع الغرقد أيضاً، قال الزين المراغي ولعلها أقرب إلى المراد قلت والذي يظهر أن الأولى هي المراد لما سنبينه في الآبار» (١ / ٢٣٨ ـ ٩).

وفي شامي البقيع الأسواف، فيذكر السمهودي «قال ابن عبدالبر: به

صدقة زيد بن ثابت، وفي طبقات ابن سعد عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب، كان يستخلفه على المدينة فقل سفر يرجع إلا أقطع له حديقة من نخل، قال أبو زياد فكنا نتحدث أن الأساويف مما كان عمر أقطعه له، قلت وبعض الأسواف بيد طائفة من العرب بالتوارث يعرفون بالزيود فلعلهم ذرية زيد بن ثابت» (٢ / ٢٤٥، ياقوت ١ / ٢٤٨).

بنو حديلة

سكن شمال ا لبقيع بنو معاوية بن مالك بن عوف «خرجوا فسكنوا دارهم التي وراء بقيع الغرقد معروفة بهم» (١ / ١٣٧)، وهم بنو حديلة من بني النجار، وتمتد دارهم إلى مسجد النبي «قال الزبير كل ما كان من المدينة عن يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي فهو بنو مغالة والجهة الأخرى التي يسارك بنو حديلة» (١ / ١٥٠).

ولبني حديلة مسجدهم ويدعى أيضاً مسجد أبي بن كعب (٢ / ٥٧، ١ / ١٤٥)، ويقول المطري: إنه عند بئر ماء شامي سور المدينة (٢ / ٥٧) وكان مسجدهم في شمال البقيع على يسار السالك إلى العريض وسط تلول هي آثار قرية بني معاوية (١ / ١٣٧)، غير أن هذا المسجد اندثر وربما كانت آثاره في زمن السمهودي المسجد الصغير الذي طريقه بين الترب شامي مشهد عقيل أسفل الكومة (٢ / ٥٧).

وفي غربي مسجد أبيّ يقع أطما بني حديلة، واحدهما مشعط، الذي ورد ذكره في الحديث النبوي «إن كان الوباء في شيء فهو في ظل مشعط»؛ وفي موضعه بيت يقال له بيت أبي نبيه، ومنه طريق يمتد إلى قبور أزواج النبي بالبقيع (١ / ١٤٩، ٤٢، ٢ / ٥٦، ٣٧٤).

وفي بني حديلة بئر حاء، (١ / ١٥٠، ياقوت ٢ / ٢٩٠) وقد روى البخاري عن أنس: كان أبو طلحة أكثر أنصاريّ بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بئر حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، وقد تصدق بها على أقاربه ومنهم حسان بن ثابت

ثم ابتاعه معاوية بمائة ألف درهم، وبنى عنده قصراً يسمى قصر بني حديلة «ليكون حصناً وله بابان باب شارع على خط بني حديلة وباب في الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التيمي وفي وسطه بئر حاء، وقد ولى بناءه الطفيل بن كعب، ثم صادر لعبدالله بن مالك الخزاعي قطيعة»، (٢ / ١٣٣ - ٤، ١ / ١٤٩ انظر أيضاً البكري ٤٣٠ الأغاني ٤ - ١٦٢) وتمتد حديقته إلى دار أبي جعفر المنصور، وكانت في زمن ابن النجار «في وسط حديقة صغيرة جداً فيها نخيلات ويزرع حولها وعندها بيت مبني على علو من الأرض وهي قريبة من سور المدينة وهي لبعض أهلها وماؤها عذب حلو، وقال المطري : وهي شمالي سور المدينة بينهما الطريق وتعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين ووقفها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها قال ابن النجار: وذرعتها فكان طولها ٢٠ ذراعاً منها ١١ ذراعاً ماء والباقي بنيان وعرضها ثلاثة أذرع وشبر قلت (السمهودي) وهي اليوم على هذا النعت ومن قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار ولا المطري وكأنه إنما حدث بعدهما. وذكره المجد فقال: وفي بئر حاء بئر قريبة الرشا ضيقة القنا طيبة الماء وأمامها إلى القبلة مسجد صغير في وسط الحديقة. قلت: وقوله في حديث الصحيح وكانت مستقبلة المسجد معناه أن المسجد في جهة قبلتها فلا ينافي بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم والظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة لما تقدم من قسمتها وابتناء القصر بها ولم أرد للفقراء أثراً هناك» (٢ - ١٣٤ - ١٣٥).

وقد ابتنى في بني حديلة دوراً كل من ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، (سعد ٤ - ١ / ٣٣، والمقداد) سعد ٣ - ١ / ١١٤) وكانت فيها دار الحضرميين وكان ينزل بينهم بسر (سعد ٥ / ٢٠٨)، كما كان فيها دار أنس ودار أبي طلحة (٢ / ٧٧) كما كانت فيها دار لعبدالملك بن مروان (٢ / ٢٨٧).

وبالقرب من بني حديلة كانت دار بني عدي بن النجار «غربي المسجد النبوي» (١ / ١٥٠) ولم يرد السمهودي لغيره ما يوافقه ولا ما يخالفه إلا أن النظر والد أنس خادم الرسول كان منهم، وأن بئره وداره كانت شامي المسجد النبوي

عند بني حديلة (٢ / ٦٧) وكانت عند دار أنس أحد أسراب البلاط (١ / ٥٣١، ٥٣٣).

وفي بني عدي كانت دار النابغة، وكان فيه مسجد، وعند هذا المسجد أطمهم الزاهرية (١ / ١٥٠) ولهم أطم العريان (٢ / ٣٤٤)، ياقوت ٣ / ٦٥٩)) (في صقع القبلة).

وفي الطرف الغربي من بني حديلة كانت دار بني مغالة «قال الزبير كل ما كان من المدينة عن يمينك إذا وقعت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي فهو بني مغالة، والجهة الأخرى التي على يسارك بنو حديلة (٢ / ٢٨٧، ١ / ١٤٩، ياقوت ٢ / ٢٩٠، ١ / ٧٤٨).

وكان أطم بنو مغالة فارع «وهو الأطم الذي يواجه دور طلحة بن عبيدالله ودخل في دار يحيى بن خالد بن برمك»، وقال الزين المراغي: إن هذا الأطم كان لثابت والد حسن بن ثابت وأنه دخل في الدار المواجه لباب الرحمن التي كانت دار عاتكه، ومأخذه في ذلك أن دار عاتكه من جملة دار جعفر بن يحيى، لكن سيأتي كلام ابن زبالة ويحيى عند ذكر أبواب المسجد أن دار جعفر بن يحيى دخل فيها بيت عاتكه، وفارع اطم حسان بن ثابت وبينه محله هناك في شامي الدار المذكورة اعني دار عاتكه» (١ / ١٤٩، ٢ / ٣٥٤) وانظر أيضاً عن نزول صفية بنت عبدالمطلب في هذا الحصن ابن هشام ٣ / ٢٤٦ وعن موقعه في دار جعفر بن يحيى (٢ / ٣٥٤ ياقوت ٣ - ٨٣٩).

يتبين مما تقدم أن بني حديلة، وعدي، ومغالة كانت تحيط مسجد الرسول ﷺ. ولدينا معلومات مفصلة عن البيوت التي كانت تحيطه أو بقربه، وقد صارت معظمها للمهاجرين من قريش.

بقيع الزبير:

لقد ذكرنا من قبل رواية ابن زبالة عن قبور أزواج النبي «من خوخة نبيه إلى الزقاق الذي يخرج إلى البقال مستطيرة» وأن خوخة نبيه في غربي مشهد

عقيل وكذلك الزقاق الذي يخرج إلى البقال (٢/ ٩٨) والبقال إلى جنب بقيع الزبير، وفيه دار طلحة بن عبدالرحمن القرشي (ياقوت ٢ /٢٥٠، وانظر أيضاً الخطيب: تاريخ بغداد ٩/ ٣٤٧).

وبقيع الزبير شرقي الدور التي تلي قبلة المسجد النبوي إلى بني زريق وإلى بني غنم وإلى البقال (٢/ ٦٨، ٢٦٤) روى ابن شبة. . «لما أراد النبي أن يتخذ موضع بقيع الزبير سوقاً أنه لما قتل كعب استقطع الزبير النبي ﷺ البقيع فأقطعه فهو بقيع الزبير، فيه من الدور للزبير: دار عروة بن الزبير وهي التي فيها المجزرة، ثم خلفها في شرقيها دار المنذر بن الزبير إلى زقاق عده فيها يسكن بنو محمد بن فليح بن المنذر ففيه دار مصعب بن الزبير التي على يسارك إذا أردت بني مازن إلى جنب دار الحجاره وهي بأيدي بني مصعب اليوم وفيه دار آل عكاشة بن مصعب على باب الزقاق الذي يخرج بك إلى دار نفيس بن محمد يعني مولى بني المعلى في بني زريق، فيه دار آل عبدالله بن الزبير التي كان فيها صديق بن موسى الزبيري، وأدبارها لبني المنذر، وفيها بيت أبي عود الزبيري ثم دار آل عبدالله بن الزبير ممدودة إلى دار أسماء بنت أبي بكر الصديق، وفيه بيت نافع الزبيري الذي بمفرق الطرق، وكل هذه الصدقة من الزبير على ولده وذكر أيضاً أن عباس بن ربيعة اتخذ داره في بني غنم بين دار أم كلثوم بنت الصديق وبين الخط الذي يخرجك إلى بقيع الزبير، وسبق لهذه الدار ذكر مع البقال في منازل بني أوس من مزينة» (ابن شبه ٢٢٩ ـ ٣٠، ٢ / ٢٦٥).

بنو النجار

وكان في بقيع الزبير بنو عمرو بن مبذول (وهم عمرو بن مالك بن النجار (٢ / ٦٧)، وكان لهم آطام منها السلج، وأطم كان في دار آل حيي بن أخطب، وأطم ثالث في دار سرجس مولى الزبير التي إلى بقيع الزبير كان لآل عبيد بن النعمان أخي النعمان بن مبذول (١/ ١٥٠).

فأما بني غنم بن مالك بن النجار فزقاقهم عند موضع الجنائز في شرقي المسجد (٢/ ٢٤٨) ولهم الفويرع وهو أطم سار في موضعه دار حسن بن زيد

ابن حسن بن علي بن أبي طالب، وهي الدار المقابلة لدار جعفر الصادق (١/١٤٩) وعندهم مسجد المبرك الذي بركت فيه راحلة النبي (٢/٣٦٧).

أما بنو مازن بن النجار فكانت دارهم المعروفة بهم قبلي بئر البصة «وتسمى تلك الناحية اليوم أبو مازن غيرها أهل المدينة. . قلت والذي يؤخذ من كلام ابن شبه الآتي في منازل القبائل أن منازل بني مازن كانت في قبلة المدينة وشرقي منازل بني زريق قريبة منها» وقد ابتنوا أطمين يقال لأحدهما واسط» (١ - ١٥١، ٢ - ٦٧ / ٣٨٩).

وبئر بصة «قريبة من البقيع على يسار الطريق السالك إلى قباء في حديقة موقوفة على الفقراء وهي ما بين النخيل وقد هدها السيل وطمها ثم غمرها. والماء فيها أخضر وإذا انفصل منها فهو أبيض طولها أحد عشر ذراعاً منها ذراعان في الماء وعرضها تسعة أذرع وهي مبنية بالحجارة حلوة الماء طيبة وفي الحديقة بير أخرى في قبلتها أصغر منها يرجح بعضهم الكبرى واختار بعضهم الصغرى» (٢/ ١٢٨ - ٩).

بنو زريق

أما بنو زريق فكانوا مع بني بياضة، ثم اختلفوا معهم فهاجروا قبيل الإسلام «حتى حلوا دارهم المعروفة بهم قبلي المصلى وسور المدينة الموجود اليوم وداخله الموضع المعروف بذروان وما والاه وابتنوا هناك آطاماً (١/ ١٤٥) و«محلة بني زريق في قبلة المصلى وما والاها في المشرق داخل السور وخارجه وتقدم في ذكر الدور المحيطة بالبلاط الممتدة من باب المدينة المعروف بدرب سويقة إلى باب السلام ما بين أن هذا المسجد كان في قبلة الدور التي عن يمين السلك من درب سويقة المذكور قريباً منه» (٢ / ٦٠ وانظر عن سكة بني زريق ياقوت ٢/ ٩٢٩).

ولبني زريق أطم صلى عنده النبي ﷺ مرة (٢/٣)، وأطم الريان عند سقيفة آل سراقة التي يقال ها سقيفة الريان (١ / ١٤٦، ٢ / ٤١٧).

وأهم ما في بني زريق هو المصلى والبلاط الأعظم.

مسجد الرسول ﷺ
والمعالم العمرانية حوله

لا ريب في أن مسجد الرسول ﷺ هو أبرز المعالم العمرانية في المدينة، وقد وصف البخاري أحواله في أوائل الإسلام فقال «إن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد الرسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زياده كبيرة[1] ونقل السمهودي هذا النص وأضاف إليه أن عثمان بنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج[2].

وذكر ابن سعد أبعاد المسجد عندما بناه الرسول ﷺ فقال: «وأسسوا المسجد، فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مربع، ويقال كان أقل من المائة، وجعلوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللبن، وبنى رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه.

وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره، وباباً يقال له باب الرحمة وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث ألذي يدخل فيه رسول الله ﷺ وهو الباب الذي يلي آل عثمان.

وجعل طول الجرار بسطه، وعمده الجذوع، وسقفه جريداً..

وبنى بيوتاً إلى جنبه باللبن سقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من بنائه بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارع إلى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الأخرى الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان[3].

---

١ ـ البخاري: كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد ١ / ١١٥.

٢ ـ وفاء الوفا ١ / ٣٥٥.

٣ ـ ابن سعد ١ ـ ٢ / ٢، وانظر وفاء الوفا ١ / ٤٩٤.

ظل مسجد الرسول ﷺ على حاله إلى زمن خلافة عمر بن الخطاب فإنه «هدم مسجد رسول الله ﷺ وزاد فيه وأدخل دار العباس بن عبدالمطلب فيما زاده ووسعه وبناه لما كثر الناس»[١] وينقل السمهودي عن ابن سعد «فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبدالمطلب وحجر أمهات المؤمنين»، ويذكر روايات عن رفض العباس بيع داره، ولكنه تصدق بها فأدخلها عمر في المسجد والله عوضه عنها داراً بالزوراء[٢].

وتقع دار العباس في الطرف الجنوبي من المسجد، ومن بقيتها دار مروان[٣]، كما أدخل عمر موضعاً كان الرسول ﷺ خطه لجعفر بن أبي طالب[٤] كما زاد فيه من شاميه[٥].

ويروي السمهودي عن يحيى أن المسجد كان طوله، أي من القبلة إلى الشام على عهد عمر ١٤٠ ذراعاً وعرضه ١٢٠ ذراعاً[٦].

ويذكر أيضاً أن عمر جعل للمسجد «ستة أبواب: بابين عن يمين القبلة، وبابين عن يسارها، وبابين خلف القبلة.

ولم يغير باب عاتكة أي المعروف بباب الرحمة، ولا الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ وهو الفتح الباب الذي عند القبر، فهذان البابان من الشق الأيسر، وفتح الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ هو باب جبريل لأنه لم يزد في جهة الشرق، وباب الناس لم يكن موجوداً في زمن عمر[٧].

---

١ - ابن سعد ٣ - ١ / ٢٠٣.
٢ - وفاء الوفا ١ / ٣٤٢ - ٤.
٣ - وفاء الوفا ١ / ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩.
٤ - وفاء الوفا ١ / ٣٥٠.
٥ - وفاء الوفا ١ / ٣٥١، ٣٥٢.
٦ - وفاء الوفا ١ / ٣٤٩.
٧ - وفاء الوفا ١ / ٣٥١.

واتخذ عمر البطيحاء وهي في جهة شرقي المسجد مما يلي مؤخره وقد دخلت في المسجد فيما زيد فيه بعد عمر، وكان يجتمع فيها الشعراء، يقولون الشعر، وكانت من قبل داراً لخالد بن الوليد(١).

وفي سنة ٢٩ هـ أعاد الخليفة عثمان بن عفان بناء المسجد «فزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج(٢)، فأما زيادته فكانت في الجهات الثلاثة: القبلية والغربية والشمالية ولم يزد في شرقيه، فأدخل في جهته الغربية دار أبي بكر(٣)، وأكثر دار العباس(٤)، فأصبح طول المسجد ١٦٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً.

وفي زمن خلافة الوليد بن عبدالملك أعيد بناء المسجد وزيد فيه فأدخل في جهته القبلية بيت فاطمة وبيت حفصه، وداراً كانت لطلحة بن عبدالله وداراً كانت لأبي سبرة بن أبي رهم، وداراً بجانبها كانت لعمار بن ياسر، وبعض دار العباس بن عبدالمطلب، وداراً كانت لمخارق موسى العباس بن عبدالمطلب(٥) وأدخل من جهته الشمالية القرائن، وهي دور عبدالرحمن بن عوف(٦)، ودار عبدالله بن مسعود التي يقال لها دار القراء، وأبيات هاشم بن عتبه بن أبي وقاص(٧).

فكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ٦ أساطين، وإلى الشام ١٤ أسطوانه فأصبح طول الجامع مائتي ذراع، وعرضه ١٣٠ ذراعاً(٨).

---

١ ـ وفاء الوفا ١ / ٣٥٣، ٤٩٥.

٢ ـ وفاء الوفا ١ / ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٩.

٣ ـ كذلك ١ / ٣٥٧.

٤ ـ كذلك ١ / ٣٦١.

٥ ـ كذلك ١ / ٣٥٩، ٣٨١.

٦ ـ وفاء الوفا ١ / ٣٦٤ ـ ٥، وعن دار أبي سبرة انظر تاريخ المدينة لابن شبه ٢٤٦.

٧ ـ وفاء الوفا ١ / ٣٦٦.

٨ ـ كذلك ١ / ٣٦٨.

وجعل له أربع منارات(١).

وزاد المهدي في جهة المسجد الشمالية ٥٥ ذراعاً، شملت دار مليكة ودار عبدالرحمن بن عوف ودار شرحبيل بن حسنة، وزاد في جنوبيه الشرقي دار مخرمة بن أهيب(٢).

واستقر المسجد على هذه المساحة طوال زمن العباسيين، فكان طوله من الجنوب إلى الشمال ٢٤٠ ذراعاً، ومن المشرق إلى ١٣٠ ذراعاً، ورحبته أي صحنة تبلغ ١٦٥ × ٩٨ ذراعاً(٣).

ابواب المسجد

لقد كانت في الجدار الشرقي من مسجد الرسول ﷺ ثمانية أبواب، أولها في أقصى الجنوب الشرقي باب النبي، وهو يقابل حجرة عائشة التي فيها قبره، ويتلوه الباب الثاني وهو يقابل دار علي (١ / ٤٩٦) وعندها دار عبدالله بن عدي (سعد ٥ ـ ٣٥)، ثم الباب الثالث وهو باب آل عثمان، وكان يدخل منه النبي، ولذلك أطلق عليه في رواية ليحيى: باب النبي (١ / ٤٩٧ ـ ٨).

وبقرب دار عثمان تقع دار أبي أيوب الأنصاري الذي نزل فيه رسول الله في أول الهجرة، وقد ابتاعه المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وجعل فيه ماءه الذي يسقي في المسجد، وفي جنب دار أبي أيوب دار كانت للحارثة ابن النعمان الأنصاري ثم صارت لجعفر الصادق، ثم أطم فويرع وقد اشتراه الحسن بن زيد بن الحسن بن علي فهدمه وجعله داراً (١/٥٢٩).

ثم الباب الرابع يقال له باب النساء، وكان يقابل داراً لأبي بكر الصديق ثم صارت لآل معمر (سعد ٣ ـ ١ / ١٢٤) ثم صارت لريطة بنت السفاح فسمي باب ريطة أيضاً (١ / ٤٩٩، ٥٢٥).

---

١ ـ كذلك ١ / ٣٧٣.

٢ ـ كذلك ١ / ٣٨١، ٣٨٢، وعن دار مخرمه انظر تاريخ المدينة لابن شبه ٤٤١.

٣ ـ وفاء الوفا ١ / ٤٩٣.

ثم البـاب الخـامس وكانت من جملة دار جبلة بن عمرو الساعدي ثم صارت لسعد بن خالد بن عمر بن عثمان ثم صارت لأسماء بنت الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب (١ / ٤٩٧، ٥٢٧) وبين دار ريطة ودار عثمان بن عفان العظمى طريق عرضه خمسة أذرع (١ / ٥٢٨).

ثم البـاب السادس كان يقابل دار خالد بن الوليد التي تحادها من الشمال دار عمر بن العاص (١ ـ ٥٠٠) وكانت دار خالد في الأصل حارثة بن النعمان (سعد ٤ ـ ١ / ١).

ويجنب دار عاتكـة كان منزل لسكينة بنت الحسين، ثم صار في زمن العباسيين إلى معين مولى المهدي وبجنبها طريق عرضه ستة أذرع يؤدي إلى دور طلحة بن عبيدالله وبجنب الطريق دار كانت لعبدالله جعفر بن أبي طالب، ثم صارت لمنيره مولاة أم موسى وبجنبها خوخة لآل يحيى بن طلحة بن عبيدالله.

وإلى جنبها حش طلحة الأنصاري الذي صار إلى آل برمك ثم صار في الصوافي.

ويليه طريق خمسة أذرع، بجنبه أبيات كانت من دار حباب مولى عتبة بن غزوان ثم آل لابني حرملة الأسود الغزي ثم لخالصه.

وإلى جنبه دا ر أبي الغيث بن المغيره بن حميد بن عبدالرحمن بن عوف، وبجنبها بقمة دار عبدالله بن مسعود وقد آلت إلى جعفر بن يحيى البرمكي ثم قبضت صافية (ابن شبه ١٥٦).

ثم البابُ السابع وكان يقابل زقاق المناصع وهو بين دار عمرو بن العاص وأبيات الصوافي، وينفذ إلى دار الحسن بن علي العسكري، المناصع خارج المدينة وهو كان متبرزاً للنساء بالليل على عهد النبي (١ ـ ٥٠٠).

والباب الثامن كان يقابل أبيات الصوافي التي تلي دار عمرو بن العاص، ويتلوها دار موسى بن إبراهيم المخزومي المشتركة بينه وبين عبيدالله بن الحسين

وتقع في الزاوية الشمالية الشرقية، (١/ ٥٠٠ ـ ١) ويقربها زقاق جمل ودار فاطمة بنت قيس ودار أنس بن مالك (١/ ٥٢٦) ويقربها أبيات قهطم وقد صارت صوافي (١/ ٥٠١، ٥٢٦).

أما الجدار الشمالي للمسجد فقد استنتج السمهودي من كلام ابن زبالة وابن شبة في الدور المطيفة بالمسجد أن فيها ما يلي :

الباب التاسع وهو في الطرف الشرقي وعنده دار عبدالرحمن بن عوف التي كان ينزل بها ضيفان الرسول، وبقربها دار عبدالله بن مسعود (١/ ٥٠١، ٥٢٥ سعد ٣ ـ١ /٨٩) وهي التي تدعى دار القراء وقد دخلت في المسجد في زيادة الوليد والمهدي وبقيت منها بقية صارت لجعفر بن يحيى (١/ ٥٢٥) ويقرب هذه الدار خطط بني زهرة حيث يروي ابن سعد «أن رسول الله ﷺ خط الدور فخط لبني زهرة في ناحية مؤخر المسجد فجعل لعبدالله وعتبة ابني مسعود هذه الخطة عند المسجد (سعد ٣ ـ ١/ ١٠٨).

الباب العاشر كان يقابل دار أبي الغيث بن المغيرة (١/ ٥٠١، ٥٢٥).
الباب الحادي عشر كان يقابل ما يلي دار أبي الغيث من أبيات خالصة.
الباب الثاني عشر كان في مقابلة أبيات خالصة (١/ ٥٠٢) وهي في الأصل دار حباب مولى عتبة بن غزوان (١/ ٥٢٥).

أما الجدار الغربي فقد كان في طرفه الشمالي دار من دور عبدالرحمن بن عوف ثم صارت لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب ثم صارت لمنيرة مولاة أم موسى. وكان وراء هذه الدار حش طلحة بن أبي طلحة الأنصاري وكانت عنده دار أم حبيبة التي صار بعضها لآل شرحبيل بن حسنة ثم صارت ليحيى ابن برمك ثم صارت في الصوافي (١/ ٥٢٥).

الباب الرابع عشر وكان يقابل دار منيرة.

الباب الخامس عشر يقابله منزل لسكينة بنت الحسين ثم صار لنصير صاحب المصلى مولى المهدي، ويقابلها دار تميم الداري (١/ ٥٠٢).

الباب السادس عشر يقابله فارع أطم حسان بن ثابت الذي دخل فيما بعد بدار جعفر بن يحيى البرمكي (١/ ٥٠٢، ابن شبه ٢٥٨).

الباب السابع عشر وهو باب الرحمة أو باب السوق أو باب عاتكة يقابله دار كانت لعاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ثم صارت ليحيى بن خالد البرمكي ثم دخلت في دار جعفر بن يحيى السابقة الذكر (١/ ٥٠٣).

الباب الثامن عشر وكان يقابله دار لعمر بن الخطاب سمي دار القضاء لأن عمر أمر أن يباع ليوفي به دينه في رواية لأبي فديك، أو لأن عبدالرحمن بن عوف اعتزل فيها ليالي الشورى حتى قضي الأمر، في رواية سهلة بنت عاصم. وقد اشتراها عبدالرحمن بن عوف ثم باعها أبناؤه من معاوية، فصارت بعد في الصوافي، وكانت الدواوين فيها وبيت المال فهدمها أبو العباس السفاح وجعلها رحبة للمسجد فسميت رحبة القضاء (١/ ٥٠٤ ـ ٦).

وذكر ابن سعد أن الحارث بن نوفل والعباس بن عبدالمطلب كانا شريكين في الجاهلية وقد أقطعهما الرسول ﷺ جميعاً في موضع واحد وفرق بينهما بحائط، وكانت دار نوفل التي أقطعه إياها رسول الله ﷺ في موضع رحبة القضاء، وهي تقابل دار الإمارة التي يقال لها اليوم دار مروان، وكانت دار العباس التي أقطعه رسول الله ﷺ حديدها وهي التي من دار مروان إلى المسجد وكانت الدواوين فيها وبيت المال فهدمها أبو العباس أمير المؤمنين (ابن سعد ٤ ـ ١ / ١٢، ٣٢).

ويشرع على هذه الرحبة دار عبدالله بن مكمل وهي مما وهبها النبي لابن مكمل فباعها أحفاده للمهدي، وكان يجلس إلى ركحها صاحب الشرطة وأصحاب الفاكهة (١/ ٥٢٣، وانظر ابن شبه ٢٥٦، ٢٣٤) ويحادد هذه الدار طريق عرضه ستة أذرع يتلوه من الشمال دار نعيم بن عبدالله النحام وبابه يواجه زاوية رحبة دار القضاء، وأمامه دار جعفر بن يحيى المذكورة أعلاه (١/ ٥٢٣ ـ ٤) وبالقرب من هذه الدار دار كانت لسكينة بنت الحسين ثم صارت لنصير

صاحب المصلى، ثم يتلوها طريق ثم دار لطلحة بن عبيدالله وقد فرقها أولاده إلى ثلاثة دور فصارت الشرقية الملاصقة لدار منيرة ليحيى بن طلحة، والتي تليها لعيسىٰ بن طلحة، والثالثة لإبراهيم بن محمد بن طلحة وفي غربها دار عمر بن الزبير وهي ملاصقة لدار عروة بن الزبير.

الباب التاسع عشر وهو يقابل خوخة أبي بكر الصديق التي دخلت في رحبة القضاء (١/ ٥٠٧) ويقول ابن شبه أن خوخة دار أبي بكر شارعة في دار القضاء من غربي المسجد (تاريخ المدينة ٢٤٧).

الباب العشرون وهو يعرف بباب السلام وباب الخشوع، ويسمى أيضاً باب مروان لملاصقته لدار مروان التي كانت في قبلة المسجد مما يلي الباب المذكور وبعضها ينعطف على المسجد من جهة الغرب، (١/ ٥٠٦) أي أنه في الجنوب الغربي من المسجد، وقد كانت بعض هذه الدار من دار لنعيم بن عبدالله بن عدي وبعضها من دار العباس بن عبدالمطلب فابتاعها مروان فبناها وجعل فيها داراً لابنه عبدالعزيز بن مروان، ثم اشتراها معاوية وجعلها دار إمارة، ثم صارت في الصوافي (١ / ٥٢٠ ـ ١، وانظر ابن شبه ٢٥٦) وكان إلى جنب هذه الدار دار كانت لآل سفيان بن حرب، وأخرى لآل أبي أمية بن المغيرة، وقد اشتراها يزيد بن عبدالملك وأدخلها في الدار السابقة «وكانت أشرف دار بالمدينة بناءً وأذهبه في السماء.. وكان بعض أهل المدينة وفد على يزيد بن عبدالملك وقد فرغوا من بناء داره فسأله عنها فقال: ما أعرف لك أصلحك الله بالمدينة داراً، فلما رأى ما في وجهه قال يا أمير المؤمنين إنها ليست بدار ولكنها مدينة، فأعجب ذلك يزيد» (١ / ٥٢١، وانظر ابن شبه ٢٥٦).

وكانت دار يزيد في زقاق عاصم بن عمر بن الخطاب وعنده دار المقداد بن عمرو البهراني ودار رباح ودخل دار المقداد في دار يزيد (ابن شبه ٢٤٠).

وفي الزاوية الجنوبية الغربية من دار يزيد كانت تقع دار رباح مولى رسول

الله ﷺ وعلى الزاوية الجنوبية الشرقية منها دار المقداد بن الأسود، وهي بين بيت رباح وبين زقاق عاصم (١/ ٥٢١).

ويقابل دار يزيد بن عبدالملك دار كانت لمطيع بن الأسود فناقل بها العباس إلى الدار التي بالبلاط يقال لها دار مطيع وزاده عشرة آلاف درهم ثم باعها العباس من عبدالله بن سعد بن أبي سرح بثلاثين ألف درهم فسكنها بنو أخيه فهي الدار التي يقال لها دار أوس عند دار يزيد بن عبدالملك بالبلاط (١ ـ ٥٢١ ـ ٢)، ويذكر ابن شبه أنه كان بوجه دار مطيع بيوت ليزيد بن عبدالملك فيها الغسالون، وتدعى أبيات الضرار.

وكان عندها أصحاب الفاكهة وهي تسمى العنقاء، وكان وراءها دار لحكيم بن حزام ابتاعها مع دار أبي مطيع بمائة ألف درهم، ودار حكيم هذه شارعة على البلاط وبقربها دار معاوية بن أبي سفيان يحجز بينهما الطريق (١ ـ ٥٢٢).

وبالقرب من دار أبي مطيع أبيات ليزيد بن عبدالملك فيها الغسالون يقال أن يزيد كان ساوم آل مطيع بدراهم فأبوا أن يبيعوها فأحدث عليهم تلك البيوت فسد وجه دارهم فهي تدعى أبيات الضرار وهي مما صار للخيزران (١/ ٥٢٢، ابن شبه ٢٥٧).

وبالقرب من أصحاب الفاكهة دار للنعمان بن عدي، اشتراها من آل النحام وآل أبي جهم وهي شارعة عند الخياطين بالبلاط (١/ ٢٢٥ ـ ٣).

أما في جنوب المسجد فقد كانت دار لحفصة بنت عمر، ثم صار لعبد الله بن عمر، وكان بين زقاق عبدالعزيز بن مروان الذي دخل في دار مروان دار الإمارة وبين زقاق عاصم بن عمر وبابها شارع قبالة دبر أطم بني النجار الذي يدعى فويرعا فتصدقت به على ولد عمر فهي بأيديهم صدقة منها.

وبالقرب من دار حفصة يقع دار الرقيق، ثم دار لعائشة، ثم دار لأسماء بنت أبي بكر (١ ـ ٥١٩).

البلاط

يروي محمد بن يحيى «أن الذي بني حوالي مسجد رسول الله ﷺ بالحجاز معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أمر بذلك مروان بن الحكم وولى عمله عبدالملك بن مروان، وبلط ما حول دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز وحد ذلك البلاط الغربي ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بالسوق، وحده الشرقي إلى دار المغيرة بن شعبة رضي الله عنه التي في طريق البقيع من المسجد، وحده اليماني إلى حد زاوية دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز، وحده الشامي وجه حش طلحة خلف المسجد، وهو من الغرب أيضاً إلى حد دار إبراهيم بن هشام الشارعة على المصلى.

وللبلاط أسراب ثلاثة يصب فيها المطر فواحد بالمصلى عند دار إبراهيم بن هشام، وآخر على باب الزوراء عند دار العباس بن عبدالمطلب بالسوق، ثم يخرج ذلك الماء إلى ربيع في الجبانة عند الحطابين وآخر عند دار أنس بن مالك من بني حديله عند دار بنت الحارث[1].

وقد نقل السمهودي هذا النص وفصله فقال إن الطرف الشمالي من البلاط يمتد من باب الرحمة إلى أن يصل الصواغ وسوق العطارين اليوم، ويستمر كذلك إلى حد سوق المدينة الأول عند أحجار الزيت ومشهد مالك بن أنس، فهناك خاتم الزوراء عند دار العباس، وهو خاتم البلاط وذلك ما بين مشهد مالك ابن سنان والدور المواجهة له[2] كما ذكر أن عند البلاط في هذه الجهة أصحاب الفاكهة وفيها دار حكيم بن حزام[3]، ودار النعمان بن عدي[4] ودار مطيع بن

---

١ ـ تاريخ المدينة ١٦، وفاء الوفا ١ / ٥٣١.

٢ ـ وفاء الوفا ١ / ٥٣١.

٣ ـ تاريخ المدينة لابن شبه ٢٤٧.

٤ ـ كذلك ٢٤٨.

الأسود[1]، دار معاوية التي يحجزها عن دار حكيم طريق[2] وفي هذه المنطقة الحطابين والجبانة التي يخرج إلى ربيعها أحد أسراب الجامع، وسوق الحطابين شمالي سوق المدينة قرب ثنية الوداع[3].

وكانت دار المغيرة بن شعبة التي عندها الحد الشرقي للبلاط يصاقبها دار عمرو بن عثمان ودار زيد بن ثابت.

لقد كان البلاط الأعظم يمتد من باب السلام إلى المصلى غرباً في قبلة منازل بني زريق وتقع على طرفيه بيوت كثير من المهاجرين فصل في ذكرها السمهودي معتمداً على ابن شبه بالدرجة الأولى.

ففي الجانب الأيمن من البلاط تقع دار سعد بن أبي وقاص، وهي في الجنوب الغربي من دار إبراهيم وفي ظهر دار حبَّى، إنها هي التي دبر دار حبَّى ولها فيها طريق مسلمه»، قال ابن شبه: وسمعت من يقول كانتا داراً واحدة لسعد وأن عمر بن الخطاب كان قاسمه إياها، وكانت دار حبَّى قسيمة هذه الدار حين قاسمه ماله مقدم سعد من العراق فاشترى دار حبَّى عثمان بن عفان ثم صارت لعمرو بن عثمان وكانت حبَّى أرضعت عمراً فوهبها لها فكانت بيدها حتى سمعت نقيضاً من صقف بيتها فقالت لجاريتها ما هذا؟ قال: السقف يسبح. قالت: ما سبح شيء قط إلا سجد، فخرجت فاضطربت خباء بالمصلى ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب قال وسمعت من يقول أن عثمان نفسه أقطعها إياها.

ثم يليها في ميمنة البلاط المذكور دار لسعد بن أبي وقاص وكانت لأبي رافع مولى رسول الله ﷺ فناقله أبو رافع إلى داريه بالبقال وكانتا داراً لسعد.

«وبقي من دوره دار أخرى قال ابن شبه: واتخذ سعد أيضاً داراً بالمصلى

---

١ - كذلك ٢٣١.

٢ - وفاء الوفا ١ / ٥٣٣.

٣ - كذلك ١ / ٥٣٢.

بين دار عبدالحميد بن عبيد الكناني وبين الزقاق الذي يسلك في بني كعب عند الحمّارين، وفتح في طائفة من أدنى داره باباً في الزقاق حتى صارت كأنها داران (ابن شبه ٢٣، ٢٣٨).

قلت وسيأتي ذكر منازل بني كعب وذكر الحمّارين ويعلم من مجموع ذلك أن زقاق الحمّارين كان في قبلة البيوت التي بالمصلى والبيوت التي في قبلة البيوت التي بالمصلى والبيوت التي في قبلة البلاط ببني زريق».

ثم يلي دار سعد التي كانت لأبي رافع في ميمنة البلاط المذكور دار آل خراش من بني عامر بن لؤي وتعرف بدار نوفل بن مساحق بن عمرو العامري (ابن شبه ٢٥١ انظر ابن حزم ١١١) ودار آل خراش هذه هي التي عناها ابن شبه بقوله: وقال يعني أبا غسان وهو بن عبدالعزيز إن رافع بن مالك الزرقي قتل بأحد، فدفن في بني زريق، قال وقيل إن موضع قبره اليوم في دار آل نوفل بن مساحق التي من بني زريق في كتّاب عروة وصارت للعباس بن محمد.

وفي دبرها من جهة القبلة كتّاب عروة رجل من اليمن كان يعلم، وفي كتاب عروة مسجد بني زريق، وعنده دار رفاعة بن رافع.

ثم يلي دار آل خراش في الميمنة، أيضاً دار الربيع التي يقال لها دار حفصة وهي مولاة لمعاوية بن أبي سفيان كانت تسكنها فنسبت إليها قبل، وكانت هذه الدار قطيعة من رسول الله ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي فابتاعها من ولده معاوية بن أبي سفيان وكانت معها لعثمان أيضاً دار آل خراش المتقدمة إلى جنبها ويقال أنه ابتنأها في قطيعة النبي ﷺ إياه أيضاً.

وفي دبر الدار المتقدمة التي يقال لها دار حفصة من القبلة دار عبد بن زمعة قال ابن شبه واتخذ عبد بن زمعة داره التي في كتاب عروة إلى حدها الشامي فتكون دار حفصة بينها وبين البلاط بابها لازق في كتاب عروة أي في غربها.

وفي قبلة دار عبد بن زمعة دار عبدالرحمن بن مشنو التي في كتاب عروة حدها من الشام دار عبد بن زمعة وحدها من المشرق كتّاب إسحاق الأعرج بابها

لاصق في كتاب عروة أي في غربها أيضاً، وهي صدقة منه (ابن شبه ٢٤٥).

وفي قبلة دار ابن مشنو دار عمار بن ياسر فإنها دار ابن مشنو من القبلة، قال ابن شبة: واتخذ عمار بن ياسر داره التي في بني زريق وكانت من دور أم سلمة زوج النبي ﷺ وبابها وجاه دار عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أي الذي في شرقيها وكانت أم سلمة أعطته إياها ولها خوخة شارعه في كتاب عروة أي في المغرب وهي خوخة عمار نفسه (ابن شبه ٢٣٣) وعلق السمهودي على ذلك. فهذهِ الدور الثلاثة مصطفة في القبلة خلف دار حفصة المذكورة وخلف الدار الآتية بعدها وبينهن من الغرب كتاب عروة، ومسجد بني زريق، ومن المشرق زقاق دار عبدالرحمن بن الحارث الآتي ذكره، وكانت دار أم سلمة في الأصل لعمار بن ياسر» (الاصابة ٥٢٠٣ عن ابن شبة).

ثم يليها دار الربيع التي يقال لها دار حفصة في ميمنة البلاط دار أبي هريرة.

ثم يليها في الميمنة أيضاً زقاق دار عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وهي تقابل دار عمار بن ياسر في الشرق وبينها وبين البلاط الداران الآتي ذكرهما.

وبين الزقاق الذي فيه دار عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وبين خط البلاط الأعظم دار أبي هريرة فباعها ولده من عمر بن بزيع، وبابها يقابل دار عبدالرحمن بن الحارث، ولها خوخة في كتاب عروة الذي عند مسجد بن زريق (ابن شبه ٢٤٥).

ثم يلي زقاق عبدالرحمن بن الحارث في ميمنة البلاط دار عبدالله بن عوف.

ثم يليها في الميمنة زقاق أبي أمية بن المغيرة، إذ يقول ابن شبة في دور بني زهرة: واتخذ عبدالله بن عوف بن عبد عوف داراً بالبلاط بين زقاق دار عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وبين زقاق دار أبي أمية بن المغيرة ويقال لها دار طلحة بن عبدالله بن عوف فهي صدقة بأيدي ولده إلّا شيئاً خرج منها صار

لبكار بن عبدالله بن مصعب الزبيري .

ويلي دار أبي أمية التي نسب إليها الزقاق المذكور في قبلتها دار لحويطب بن عبدالعزى بينها وبين دار سعيد بن عمرو بن نفيل وهما شارعتان إلى خط الحمّارين الشارع إلى دار ابن عتبة بني زريق شرقي دار أبي أمية، وفي شرقيها أيضاً دار صهيب بن سنان وكانت لأم سلمة رضي الله عنها وكل هذه الدور في بني زريق.

ثم إلى زقاق دار أبي أمية في الميمنة من شرقيه دار خالد بن سعيد الأكبر ابن العاص الأصغر ابن سعيد بن العاص ويقال لها دار ابن عتبة وإنما ورثها ابن عتبة عن عمه خالد بن سعيد.

ثم يلي دار خالد بن سعيد في الميمنة دار أبي الجهم، ثم دار نوفل بن عدي .

ثم دار آل المنكدر التيمي قال ابن شبه في دور بني عدي : واتخذ أبو الجهم داره التي بين دار سعيد بن العاص التي يقال لها دار ابن عتبة وبين دار نوفل بن عدي بابها شارع في البلاط . قلت : وهذه الدار هي المراده بما رواه مالك في الموطأ عن عمه أبي سهل بن مالك بن أبي عامر عن أبيه كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب ونحن عند دار أبي جهم بالبلاط وكذا بما رواه البيهقي عن موسى بن عقبة أن رجال بني قريظة قتلوا عند دار أبي جهم ولم يكن يومئذ بلاط فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التي كانت بالسوق.

وقال ابن شبة في دور بني أسد : واتخذ نوفل بن عدي بن أبي حبيش دارين، إحداهما التي بالبلاط عند أصحاب الرباع بين دار المنكدر التيمي وبين دار آل أبي جهم العدويين والدار الأخرى من بني زريق وجاه الكتاب الذي يقال له كتاب آل زيان بين منزل أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام الذي صار لبني عبيد بن عبدالله بن الزبير وبين حد الرقاق الذي عند الحمّارين دبرهما دار هانىء التي بأيدي آل جبر انتهى .

وهـذه الأمـور التيَ ذكرها في الدار الثانية حول ما خلف دار سعيد بن العـاص المسمـاة دار ابن عتبـة من جهة القبلة والزقاق الذي ذكره هناك عند الحمّارين يمتد في المغرب إلى المصلى في قبلة دور سعد بن أبي وقاص.

أما في ميسرة البلاط فكان دار إبراهيم بن هشام المخزومي، وكان في العصـر العباسي الأول سجنا «(طبري ٣ / ١٩٣) ثم يتلوه دار لسعد بن أبي وقاص وهي صدقة ذكر ابن شبة كتاب وقفها ثم دار نافع بن عتبة بن أبي وقاص التي ابتاعها الربيع مولى المنصور من ولدنا نافع وتعرف أيضاً بدار الربيع، ثم دار لحويطب بن عبدالعزى تقابل دار أبي هريرة». قال ابن شبة في دور بني عامـر بن لؤي: واتخذ حويطب بن عبدالعزى داره التي بين دار عامر بن أبي وقاص وعتبة بن أبي وقاص بالبلاط منها البيت الشارع على خاتمة البلاط بين الزقاق الذي إلى دار آمنة بنت سعد وبين دار الربيع مولى أمير المؤمنين وهي صدقة منه على ولده انتهى. ولم يذكر لعتبة بن أبي وقاص داراً بالمدينة والذي انتقل إلى المدينة واتخذ بها الدار إنما هو ابنه نافع وداره هي المتقدم ذكرها التي صارت للربيع فهي المرادة» ثم دار عامر بن أبي وقاص داره التي في زقاق حلوه بين دار حويطب بن عبدالعزى وبين خط الزقاق الذي فيه دار آمنة بنت سعد بن أبي سرج.

«فتلخص من ذلـك أن دار حويطب المـذكـورة في شرقي دار الـربيع المتقدمة في الميسرة وإلى جانبها خاتمة البلاط وهو اليوم الزقاق الذي بين سور المدينة وبين البيوت المقابلة له ولمشهد سيدنا مالك بن سنان على يسارك عندما تدخل من باب المدينة وأن من دار حويطب بيتاً خلفها من جهة جانبها الغربي شارعاً على خاتمة البلاط المذكورة وخلفه من جهة الشام الزقاق الذي فيه دار آمنة، وتكون دار عامر بن أبي وقاص خلف دار حويطب من جهة جانبها الغربي شارعاً على خاتمة البلاط المذكور، وخلفه من جهة الشام الزقاق الذي فيه دار آمنة فتكون دار عامر بن أبي وقاص خلف دار حويطب من جهة جانبها الشرقي ويكـون زقـاق حلوة في شرقيهمـا ولعله المعروف اليوم بزقاق الطوال لانطباق الوصف المذكور عليه».

ثم في الميسرة أيضاً دار عبدالله بن مخرمة. قال ابن شبه في دور بني عامر بن لؤي اتخذ عبدالله بن مخرمة داره التي في البلاط الشارع بابها قبالة دار عبدالله بن عوف التي فيها بنو نوفل بن مساحق بن عبدالله بن مخرمة وخرج عنهم بعضاً فهو في يد ورثة عمر بن بزيع مولى أمير المؤمنين

ثم دار أم خالد التي لآل خالد بن الزبير بن العوام ورثوها عن أمهم أم خالد بن سعيد بن العاص وقيل أنها قطيعة من النبي ﷺ وهي تقابل دار خالد بن سعيد بن العاص.

وقد ذكر ابن شبة أيضاً أن دار رويشد الثقفي التي يقال لها القمقم في كتاب ابن زيان هي التي حرقها عليه عمر بن الخطاب في الشراب وكان رويشد خماراً.

وفي غربي هذه الدار أدنى دار علي بن عبدالله بن أبي فروة وشرقيها الطريق بينها وبين بيوت آل مصبح ويمانيها دار الأويسيين التي لسكن خالد بن عبدالله الأويسي وشاميها قبلة بيوت آل مصبح التي بينها وبين دار موسى بن عيسى.

وبيوت آل مصبح ذكرها في دور بني عامر بن لؤي فقال: واتخذ ابن أم مكتوم داراً هي البيوت التي للمصبحيين بين دار آل زمعة بن الأسود وبين شرقي القمقم انتهى.

وهذه الأمور أيضاً حول الدور المتقدمة في بني زريق.

وقوله في دار نوفل الأولى وهي المقصودة لأنها التي في ميمنة البلاط وأنها عند أصحاب الرباع لم أعلم المراد به غير أن في طبقات ابن سعد إن دار حويطب بن عبدالعزى المتقدم ذكرها في الميسرة عند أصحاب المصاحف فإنه قال في ترجمته: وله دار بالبلاط عند أصحاب المصاحف فلعل المراد بالرباع المصاحف لأن المصحف يسمى ربعة.

فيستفاد منه أن هذه الناحية من البلاط ميمنة وميسرة تسمى بذلك.

قال ابن شبة في دور العباس بن عبدالمطلب ما لفظه: وقد سمعت من يذكر أن دار فضالة بن الحكم بن أبي العاص التي بالبلاط الخربة التي عند أصحاب الرباع على يمين من سلك إلى بني حديلة كانت مربداً للعباس رضي الله عنه ويقال أنها كانت مربداً لنعم الصدقة انتهى.

وهو يقتضي أن أصحاب الرباع ليسوا في البلاط الأعظم لأنه ليس فيه مسلك إلى بني حديلة وإنما يتوصل منه إلى بني حديلة بعد إتيان البلاط الآخر الذي هو موضع سوق المدينة اليوم عند درج العين وقد تقدم أن ذلك يسمى بموضع الفاكهة. (١ ـ ٥٣٠ فما بعد).

المصلى

وفي الطرف الجنوبي الغربي من المسجد وعلى مسافة ألف ذراع منه كان يقع المصلّى الذي استقر الرسول ﷺ صلاة العيد فيه[١]، وفي هذا يروي ابن شبه عن محمد بن يحيى أن الرسول ﷺ صلّى العيد عند دار الشفاء، ثم صلى في حارة الدوس، ثم صلى في المصلى فثبت يصلي فيه حتى توفاه الله، ويروي أبو عبيد أن أول فطر وأضحى صلى فيه رسول الله ﷺ للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل، ويروي عن يحيى أنه ﷺ صلى العيد في موضع آل درة، وهم حي من مزينة، ثم صلى دون ذلك في مكان أطم بني زريق عند أذنه اليسرى[٢]

وكان المصلى في زمن الرسول ﷺ صحراء لا بناء فيها، ونهى رسول الله ﷺ عن البناء بها وقد وقع فيها الرجم[٣] وظل خالياً من الأبنية الى زمن ولاية عمر بن عبد العزيز الذي بنى هناك مسجداً (٢/٦).

١ ـ تاريخ المدينة ١٣٨، وفاء الوفا ٢ / ٤، ٩.

٢ ـ تاريخ المدينة ١٢٤ ـ ١٢٥، وفاء الوفا ٢ / ٢ ـ ٣.

٣ ـ تاريخ المدينة ١٢٤ (٣ وفاء الوفا ٢ / ٦).

ويروى عن ابن أبي يحيى أن مصلى رسول الله ﷺ بالمصلى داخلاً بين الدارين: دار معاوية ودار كثير بن الصلت[1].

فأما دار معاوية فكان قربها زقاق يذبح عنده الرسول ﷺ ثم ولاة المدينة الأضاحي عنده[2] أما دار كثير فكانت قبلة المصلى، وهي تطل على بطحان في غربيه وكانت قبله للوليد بن عقبة[3].

يروي الشافعي أن الرسول ﷺ كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم فإذا رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر[7]، ويروي ابن شبه عن يحيى أن رسول الله ﷺ كان يأتي العيد ماشياً على باب سعد بن أبي وقاص ويرجأع إلى أبي هريرة، وحينئذ فيمر على دار أبي هريرة في ذهابه ثم رجوعه.

والطريق الأعظم هو الذي يمتد في الأطراف الجنوبية المتصلة ببني زريق، وقد وصفنا معالمها أعلاه[4] ويذكر ابن شبه أن الرسول ﷺ كان يأتي العيد ماشياً على باب سعد بن أبي وقاص ويرجع إلى أبي هريرة.

أما طريق العودة فكان في الأطراف الشمالية من المصلى، فقد وصفه الشافعي فيما رواه عن معاذ بن عبدالرحمن عن أبيه عن جده أنه رأى الرسول ﷺ رجع من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق حتى إذا كان عند مسجد الأعرج الذي هو عند موضع البركة التي بالسوق، قام فاستقبل فج أسلم فدعا ثم انصرف والتمارين في الطرف الشمالي الغربي من المصلى.

وكانت منازل أسلم في غربي سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين، وفي شرقيها سوق الشاميين وبيوتهم شوارع في السوق (ابن شبة ١٣٧).

---

١ ـ ابن سعد ١ ـ ٢ / ٩.

٢ ـ وفاء ٢ / ٤.

٣ ـ الأمم ١ / ٢٠٧.

٤ ـ وفاء الوفا ٢ / ١٢.

والمصلى في الحناطين (٢/٣ ـ ١٠٨/٤) وفي اخره مشهد مالك بن سنان (٢ ـ ٤ ـ ٥) وبالقرب من هذا المشهد أصحاب العباء وأحجار الزيت (٢ / ١١٨) وخطة سباع بن عرفطة الغفاري، وكانت هذه الخطة يقال لها دار عبدالملك بن مروان وجهها شارع قبالة الحجامين وتقع في الشمال الغربي من المصلى (١ / ٥٤٧).

يقول ابن شبة: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب اتخذ داراً بالمصلى في موضع الحجامين وتقع في الشمال الغربي من المصلى (١ / ٥٤٧).

يقول ابن شبة: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب اتخذ داراً بالمصلى في موضع الحجامين ثم ابتاعها معاوية فزادها في مصلى النبي ﷺ ثم أدخلها بعد هشام بن عبدالملك في داره التي أخذ بها السوق ثم هدمت» (١ / ٥٤٧).

و«بقرب المصلى في القبلة شرقي بطحان يقع المُنْحَنَى وله ذكر في الغزل (الجواهر الثمينة ٧٥) وفي الجنوب الغربي من المصلى دار كثير بن الصلت مقابل دار معاوية (٢/٣، ٤، ٢٧ سعد ٥/٧) وفي شمالي المصلى أصحاب المحامل وفيهم دار حكيم بن العداء وتسمى أيضاً دار أبي يسار (١/٥٤٨)

وفي شمالي المصلى كان سوق التمارين (٢ /٣) وبقربه أصحاب الأقفاص الذي يؤدي إلى دار ابن هشام (الطبري ٣ ـ ١٩٣) وبقرب هؤلاء دار صبيحة بنت عبد الرحمن (سعد ٥/٣).

منازل مهاجري الحجاز

لقد نزل بعض قبائل المهاجرين في بني زريق، وخاصة مزينة حيث «نزل بنو هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو، إلا بني عامر بن ثور بن لاطم بن عثمان. . ، ما بين زاوية بيت القروي المطل على بطحان الغربية إلى زاوية بيت ابن هبار الأسدي الذي صار لبني سمعان الشرقية إلى خط بني زريق إلى دار

الطائفي التي بشق بطحان الشرقي.

ونزل معها في هذه المحلة بنو شيطان بن يربوع من بني نصر بن معاوية.

وعن شرقي خطة مزينة هذه سليم بن منصور إلى دار خلدة بن مخلد الزرقي وأدنى دار أم عمرو بنت عثمان بن عفان إلى بيوت نفيس بن محمد مولى بني المعلى في بني زريق من الأنصار إلى أن تلقى بني مازن بن عدي بن النجار هؤلاء الذين نزلوا مع مزينة ودخل بعضهم في بعض وإنما نزلوا جميعاً لأن دارهم في البادية واحدة.

قلت: فمنازل مُزينة ومن حل معها في غربي مصلى العيد اليوم إلى عدوة بطحان الشرقية ثم في قبلة الدور التي بالمصلى ثم في قبلة بني زريق إلى بني مازن بن النجار..».

«ونزل بنو عامر بن ثور بن ثعلبة بن هذمة بن لاطم ما بين بيت أم كلاب الذي في خط بني زريق الشارع على المصلى إلى دار مدرا قيس الطبيب إلى دار عمرو بن عبدالرحمن بن عوف ودار عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ودار هشام بن العاصي المخزومي (عن ابن شبه).

قلت: ودار مدرا قيس الطبيب لها ذكر في دور بني مُحارب بن فهر، قال ابن شبه: واتخذ معن بن عبدالله بن عامر داراً في بني زريق بين الدار التي يقال لها دار مدرا قيس الطبيب ودار أم حسان التي صارت لعمر بن عبدالعزيز العمري، وهذه الأماكن في قبلة البلاط في الميمنة وما حولها. ولعل دار أم حسان المذكورة هي الموضع المعروف اليوم بدار حسان في قبلة الدور التي بالبلاط الموالية لدرب سويقة»(١/ ٥٥٠ ـ ١).

«ونزلت بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن محلتها التي يقال لها بنو جشم، وهي ما بين الزقاق الذي يقال له زقاق سفين إلى الأساس الذي يقال له أساس إسماعيل بن الوليد إلى خوخة الأعراب إلى دور ذكوان مولى مروان بن

الحكم عن ابن شبة قلت: ولم أعرف شيئاً مما ذكره غير أنه في دور بني جمح أن محمد بن حاطب اتخذ الدار التي تدعى دار قدامة في بني زريق شرقيها الدار التي يقال لها دار الأعراب، فلعل خوخة الأعراب وما ذكر معها في تلك الجهة» (١/٥٥٢).

لقد كان لبني زريق أطمان أحدهما الريان وهو في سقيفة آل سراقة التي يقال لها سقيفة الريان (١ ـ ١٤٦، ٢ ـ ٣١٧) والثاني لم يذكر اسمه (٢/ ٣) وكان في خطتهم بئر ذروان في قبلة البيوت الواقعة جنوبي المسجد (٢/ ٣٠٨، ٢٥٠).

وفيهم أيضاً دار الأرقم وهي قطيعة من النبي (سعد ٣ ـ ١ /١٧٤).

القطاع الشمالي الغربي:

سلع جبل بالمدينة، وهو «الجبيل الذي بالسوق» (٢ / ٣٢٤) وفيه المفرج وهي مقبرة اليهود (الطبري ١ / ٣٠٤٧) وبسلع قصور مشيدة ومساكن عديدة ومنارة حسنة الأوضاع والمسالك» «وفي شرقي سلع حول مناخ الركب الشامي في حدايق ذات بهجة من أحسنها الزكي وهو حديقة ذات نضارة وعمارة وهي عند مشهد السيد محمد النفس الزكية وبه عرفت وهي في قبلة ثنية الوداع».

وبالقرب من سلع «مسجد الفتح والمساجد التي حوله في قبلته وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح، والأول المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب غربيه وادي بطحان وهو المراد بمسجد الفتح حيث أطلقوه ويقال له أيضاً مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى» (٢/ ٣٩ انظر أيضاً الطبري ١٦٩)، وهو ملاصق لمسجد علي (٢ / ١١٠).

ومساجد الفتح «وهي في غربي سلع: فالأول المرتفع على قطعة منه يسمى مسجد الأحزاب ومساحته عشرون ذراعاً في سبعة عشر. والمسجد الذي يلي الأعلى قبلة مسجد سلمان رضي الله عنه ويعرف بمسجد علي رضي

الله عنه ومساحته ثلاثة عشر ذراعاً في ستة عشر والثالث مسجد الصديق رضي الله عنه والرابع في قبلة الثالث على قطعة من جبل يعرف بمسجد أبي ذر رضي الله عنه صلى الرسول عليه السلام في كل هذه المساجد، وفي غربي المسجد الثالث صهريج يمتلىء من سيل أبي جيدة وعليه إيوان لطيف يقال أنه من عمارة إبراهيم آغا وفي الصهريج حديقة لطيفة وسبيل عمر في سنة ١٠٤٨ وخلفه إلى جانب الغرب حدائق وبساتين ومزارع» (الجواهر الثمنية).

«والموضع الذي في غربي مساجد الفتح يدعى السيح، قال ابن النجار وفي الخندق قناة تأتي إلى النخل الذي بأسفل المدينة بالسيح حوالي مسجد الفتح انتهى. . . وزاد ابن زباله نقل أن تلك الناحية إنما سميت بذلك لأن جشماً وأخاه زيداً سكنا فيه وابتنيا أطماً يقال له السيح فسميت به الناحية انتهى. والقناة التي ذكرها ابن النجار هي قناة العين التي تقدم أنها السيح هناك» (٢/ ٣٢٦ - ٧).

وعين الخيف تأتي من عوالي المدينة تسقي ما حول مساجد الفتح وهي منقطعة وفقرها ظاهرة تسمى اليوم بشبشب (٢/ ٣٥٠)، وقد قال المطري وفي وادي بطحان. عين تأتي من عوالي المدينة تسقي ما حول المساجد من المزارع وتعرف بعين الخيف شامي وتعرف تلك الناحية بالسيح، قلت: وقد تقدم في مساجد الفتح إيضاح هذا الكهف وأن عنده آثار نقر في الجبل، وليست عين الخيف التي ذكرها المطري بجارية في زماننا بل هي منقطعة ومجراها معلوم، وبين ابن النجار بما يأتي عنه في الخندق أنها تأتي من قباء وأصلها فيما يقال معلوم غربي قباء، وقد شرع في إجرائها متولي العمارة الجناب الشمس ابن الزمن فتبع قناتها إلى أن آل إلى الموضع الذي يقال أنه أصلها ثم بالغوا في تنظيفه فلم يجر. قال: وأما عين النبي التي ذكرها ابن النجار فليست تعرف اليوم وإن كانت كما قال عنه الكهف المذكور فقد دثرت وعفا أثرها (٢/ ١٥٠).

وعند جبل الفتح نزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن سلمة، وقد روى ابن شبه عن يحيى بن عبدالله عن أبي قتادة قال شكى أصحابنا يعني بني سلمة وبني

حرام، إلى رسول الله ﷺ أن السيل يحول بينهم وبين الجمعة، وكانت دورهم مما يلي نخيلهم ومزارعهم في مسجد القبلتين ومسجد الخربة، فقال لهم النبي ﷺ وما عليكم لو تحولتم إلى سفح الجبل يعني سلعاً فتحولوا، فدخلت حرام الشعب وصارت سواد وعبيد إلى السفح، قلت وشعب بني حرام معروف بسلع، وهناك آثار منازلهم وآثار مسجدهم في غربي جبل سلع على يمين السالك إلى المدينة، وعلى مقربة من محاذاته في جهة المغرب خصن خل.

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن جابر بن عبدالله قال كان السيل يحول بين بني حرام وبين مسجد رسول الله فنقلهم عمر بن الخطاب إلى الشعب، وكلم قوماً كانوا فيه من أهل اليمن يقال لهم بنو ناغصة فانتقلوا إلى الشعب الذي تحت مسجد الفتح فآثارهم هناك فبنوا مسجدهم الذي في الشعب» (١/ ١٤٤).

ونزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد بني حرام الصغير الذي بالقاع بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك والأرض التي كانت لمعبد بن مالك، وكانوا بين مقبرة بني سلمة إلى المذاد وهو الذي يقول فيه كعب بن مالك.

فليأت ماسدة تسن سيوفها بين المذاد وبين جزع الخندق
وهو أطم سميت به الناحية» (١/ ١٤٣).

«ومنازل بني حرام بالقاع في غربي مساجد الفتح ووادي بطحان عند بني عبيد والعين التي أجراها معاوية» (٢/ ٥٧، ١/ ١٤٣ ـ ٤).

ومسجد بني حرام.. محله في قرية بني حرام لشعبهم غربي جبل سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية وعلى يسار السالك إلى المدينة من مساجد الفتح فإذا جاوزت البطن الذي فيه مساجد الفتح وأنت قاصد المدينة يلقاك بعد ذلك بطن متسع من سلع فيه آثار قرية هي قرية بني حرام وذلك شعبهم وقد انهدم المسجد بأجمعه.

كهف بني حرام يظهر أنه على يمين المتوجة من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية أيضاً إذا قرب من البطن الذي هو شعب بني حرام في مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقيبية على يساره».

أما كهف بني حرام فقد ذكر صاحب الجواهر الثمينة عن صاحب الدرة «لما كانت أيام الخندق وكانوا يخرجون مع النبي ويخافون البيات فيدخلون كهف بني حرام وهو في غربي جبل سلع تجاه الحديقة النقيبية، فبات فيه النبي ﷺ حتى إذا أصبح هبط ونفر لعينه التي عند الكهف وتوضأ منه».

أما القاع فهي «موضع مسجد بني حرام غربي مساجد الفتح، وقال المجد هو أطم البلويين وعنده بئر عذق وما علمت مأخذها منه» (٢/٣٥٧).

وابتنى بنو حرام «أطماً يقال له جاعس كان في السهم بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك وبين العين التي عملها معاوية بن أبي سفيان كان لعمرو بن الجموح جدّ جابر بن عبدالله بن عمرو، وهذه العين لعلها التي ذكر ابن النجار أنها تأتي إلى النخل الذي بأسفل المدينة حوالي مسجد الفتح يعني في غربيه ويعرف ذلك الموضع بالسيح كما قال المطري» (١/ ١٤٣).

يتبين من النص الأسبق أن الطرف الأقصى لبني حرام هو المذاد وهو «اسم أطم لبني حرام من بني سلمة غربي مسجد الفتح به سميت الناحية وعنده مزرعة تسمى بالمذاد» (٢/٣٧٠).

وبالقرب من المذاد حربي وهو منزل لبني سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المذاد غيرها ﷺ وسماها صالحة تفاؤلاً بالحرب (٢/ ٢٨٧)، وكان بنو سلمة قد تحولوا نحو سلع وذلك يوم الخندق.

ومسجد القبلتين في بني سلمة (٢/ ٤٧) وهو بالقرب من وادي العقيق (٢/ ٤٨ - ٩) وتعرف جهته بالقاع (٢ - ٨٤٧) «وحول مسجد القبلتين آبار ومزارع تعرف بالعرض في قبلة مزارع الجوف» (٢/ ٣٤٣ عن المطري) وفي جهة قبلته مزارع العنابس (٢/ ٣٤٧) وفي جنوبه على ظهر الحرة منيع وهو أطم

لبني سواد (٢ ـ ٣٧٩) وفي شرقي هذا المسجد خيط وهو أطم كان لبني سواد على شرف الحرة (٢ ـ ٣٠٦).

وقد نزل بنو سواد بن غنم عند مسجد القبلتين (٢ ـ ٤٧) وامتدت خططهم «إلى أرض ابن عبيد الديناري» (١ ـ ١٤٢) «وابتنوا أطماً يقال له الأغلب كان على المهد الذي عليه الأحجار التي يستريح عليها السقاؤون حين يفيضون الحرة يمين الحزن الذي في أرض ابن أبان أو دون ذلك قليلاً» (٢/ ١٤١، انظر عن الأغلب ٢/ ٢٣٨ وعن خيط ٢/ ٣٠٦).

وبالقرب من بني حرام كانت منازل بني عبيد وهم دعوة على حدة (سعد ٣ ـ ٢/ ١١١) عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذي يقال له جبل الدويخل جبل بني عبيد، وذلك قرب منازل بني حرام في المغرب والقاصد إلى مسجد القبلتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما» (٢/ ٥٧، ٢٧٩) وهم «عند مسجد الخربة إلى الجبل الذي يقال له الدويخل جبل بني عبيد، ولهم مسجد الخربة» (١/ ١٤٢) وجبل بني عبيد «بمنازلهم غربي مساجد الفتح».

أما الدويخل فهو «جبل بني عبيد، قال المطري هو أحد الجبلين الصغيرين غربي وادي بطحان ومساجد الفتح» (٢/ ٣٠٨).

وبالقرب منه أعماد وهي «أربعة آطام بين المذاد والدويخل جبل بني عبيد بعضها لبني عبيد وبعضها لبني حرام من سلمة» (٢/ ٢٤٧ ـ ٧).

والحبيش وهو «أطم لبني عبيد بمنازلهم غربي مساجد الفتح عند جبل بني عبيد» (٢/ ٢٨٥).

ومسجد الخربة لبني عبيد من بني سلمة وهو دبر القراصة (٢ ـ ٥٧ ـ ٨) «وبئر القراصة غير معروفة اليوم إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة وهي في غربي مساجد الفتح لما تقدم فيه من أنه دبر القراصة ويؤيده أن أصل حديث جابر في أرضه مذكور في الصحيح بطرق وفي بعضها وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومه وهذه الجهة بطريق رومه» والقرصة ضيعة لسعد بن معاذ (٢/ ٣٦١ ـ ٦١).

ومن آطام بني عبيد عند مسجد الخربة الأطول وهي في قبلة المسجد أو عن يسارها (١/ ١٤٢، ٢/ ٢٤) والأشنف وكان للبراء بن معرور (١/ ١٤٢، ٢/ ٢٤٦).

ويلي جبل بني عبيد حائط لجابر بن عتيك (٢/ ٢، ٥٨ انظر أيضاً ١/ ١٤٣).

وفي غربي مساجد الفتح موضع اسمه السيح، «قال ابن النجار وفي الخندق قناة تأتي إلى النخل الذي بأسفل المدينة بالسيح حوالي مسجد الفتح انتهى. وزاد أن ابن زبالة نقل أن تلك الناحية إنما سميت بذلك لأن جشماً وأخاه زيداً سكنا فيه وابتنيا أطماً يقال له السيح فسميت به الناحية والقناة التي ذكرها ابن النجار هي قناة العين التي تقدم أن السيح هناك (٢/ ٣٢٦ ـ ٧).

ويقابل سلعاً جبل سليع وهو «جبل بالمدينة عليه بيوت أسلم بن أفصى نقله ياقوت، ويؤخذ مما سبق في منازلهم أنه الجبيل الذي يقال سلعاً عليه حصن أمير المدينة اليوم، والذي ابتناه عليه الأمير ابن شيحة أيام إمرته، وابتداؤها قبل سنة ٦٧٠ ابتناه ليحصن به ويكشف منه ضواحي المدينة وكان حصن الأمراء قبله العتيق المجاور لباب السلام» (٢/ ٣٢٤).

وعثعث هو جبل سليع وعليه بيوت أسلم (٢ / ٣٤٢)، وثنية عثعث منسوبة إلى سليع «ويؤخذ من كلام ابن شبه أنها الثنية التي بقرب الجبيل الذي عليه حصن أمير المدينة بينه وبين سلع فذلك الجبل هو سليع» (٢ / ٢٧٤ انظر أيضاً ١ / ٥٤٩).

ونزلت سائر أسلم. . وآل سفيان ما بين زقاق الحضارمه إلى زقاق القندل (ابن شبه ٢٦٤).

ويقول: «نزلت بنو مالك بن أفصى وأمية وسهم ابني أسلم ما بين خط زقاق بن حبين مولى العباس بن عبد المطلب الشامي من زاوية يقصان التي بالسوق إلى خط جهينة إلى شامي ثنية عثعث» تاريخ المدينة (١/٥٤٩) «إن

منازل أسلم كانت في غربي سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين وذلك عند حصن أمير المدينة وما سفل منه إلى جهة الشام مما يلي غرب سوق الشاميين عند منزل الحاج الشافعي بالموسم» (٢/١٤).

أما جهينة وبلى فيقول ابن شبه فنزلت «ما بين خط أسلم الذين بين اسم وجيهة إلى دار حرام بن عثمان السلمي الأنصاري التي من بني سلمة إلى الجبل الذي يقال له جهينة إلى يماني ثنية عثعث التي عليها دار ابن أبي حكيم الطبيب (تاريخ المدينة ٢٦٦).

وقد علق السمهودي على قول ابن شبه: إن دار حرام بن عثمان في بني سلمة، بأنه يرجح أن المراد بجبل جهينة أحد الجبلين اللذين في غربي مساجد الفتح وهناك منازل بني حرام من بني سلمة، وقد تقدم بيان ثنية عثعث وأنها منسوبة إلى الجبل الذي عليه حصن أمير المدينة اليوم» (١ / ٥٥٠ - ١) وكان لجهينة مسجد خاص بهم (سعد ٤ - ٢ / ٦٧).

ويروي ابن شبه عن جابر بن أسامة الجهني.. خط النبي ﷺ مسجد جهينة لبليّ (٢٦٧) ويروي السمهودي «وعن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهني عن أبيه عن جده قال جاء النبي ﷺ يعود رجلاً من أصحابه من جهينة من بني الربعة يقال له أبو مريم. فعاده بين منزل بني قيس العطار الذي فيه الأراكة وبين منزلهم الآخر الذي يلي دار الأنصار فصلى في ذلك المنزل.. فجاء النبي ﷺ مسجد جهينة وفيه خيام لبلي فأخذ ضلعاً أو محجناً فخط لهم - قال فالمنزل لبلي والخطة لجهينة، ويروى عن «المطري وهذه الناحية اليوم معروفة غربي حصن صاحب المدينة والسور القديم بينها وبين جبل سلع، وعنده آثار باب من أبواب المدينة خراب ويعرف إلى تاريخه وهو سنة ٧٤٠ بدرب جهينة، والناحية من داخل السور بينه وبين حصن صاحب المدينة انتهى. ثم علق السمهودي على قول المطري من داخل السور إن أراد به السور الموجود اليوم فليس بصحيح لأن ما كان داخل هذا السور فيمر بينه وبين حصن صاحب

المدينة فهو من السوق كما تقدم بيانه، ومنازل هؤلاء كانت في غربي السوق قبلي ثنية عثعث المنسوبة إلى سليع وهو الجبل الذي عليه حصن أمير المدينة ويمتد في جهة المغرب إلى بني سلمة. وإن أراد من الناحية المذكورة من داخل السور القديم فصحيح غير أن الداخل فيه بعضها لا كلها».

يقول ابن شبة «ونزل سائر بني غفار محلتهم وهي السائلة من جبل جهينة إلى بطحان وما بين خط دار كثير بن الصلت ببطحان إلى غفار. فنزلت بنو غفار من خط دار كثير بن الصلت إلى أن يفضي إلى جهينة» (تاريخ المدينة ٢٦١) ويعلق السمهودي بأنه لا يعرف جبل جهينة، فإما أن يكون أراد به ما يلي جبل سلع في مقابلة المصلي ونسبه إلى جهينة لنزولهم عنده وهناك سائلة تسيل من سلع إذا حصل المطر وإما أن يكون أراد به أحد الجبلين اللذين في غربي مساجد الفتح كما سيأتي في منازل جهينة» (١ / ٥٤٧).

وقال ابن شبه «نزل بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة القطيعة التي قطع لهم النبي ﷺ وهي ما بين دار كثير بن الصلت التي تعرف بدار الحجارة بالسوق إلى زقاق ابن حبين إلى دار أبي سبره إلى منازل آل الماجشون بن أبي سلمة وبهذه الخطة مسجد بني غفار صلى فيه النبي ﷺ وهو خارج من منزل أبي رهم بن الحصين الغفاري» (تاريخ المدينة ٢٦١، ١ - ٥٤٧).

وكان لهم مسجد في هذه الخطه خارجاً من منزل أبي رهم بن الحصين (تاريخ المدينة ٢٦١).

«ونزل بنو أبي عمرو بن نعيم بن مهان من بني عبدالله بن غفار شامي وغربي بني مبشر بن غفار ومعهم بنو خفاجة بن غفار (ابن شبة ٢٦١، ١/ ٥٤٨).

ونزل بنو ليث بن بكر ما بين خط بني مبشر بن غفار إلى خط بني كعب

ابن عمرو بن خزاعة الذي يسلك إلى دور الغطفانيين (ابن شبة ٢٦٢، ويعلق السمهودي على قول ابن شبه، قلت يؤخذ مما سيأتي في منازل بني كعب أن منازل بني ليث كانت في قبلة خط بني مبشر وشامي بني كعب فتكون جهة منازل بني ليث في شامي التمارين وغربيهم، ولعل قول ابن زبالة في دار السوق في جهة المغرب قبل ذكر دار التمارين، ثم جعل للسكة منفذاً يريد به طريق بني ليث ومن يشركهم في ذلك. وقد قال ابن شبه في دور بني مخزوم: واتخذ أبو شريح الخزاعي حليف بني مخزوم داراً غربيها شارع على بطحان وشاميها شارع إلى الزقاق الذي يدعى زقاق بني ليث والله أعلم.

ويذكر ابن شبه: ونزل بنو أحمر بن يعمر بن ليث ما بين مسجدهم إلى سوق التمارين واتخذوا المسجد الذي في محلتهم يدعى مسجد بني أحمر.

ونزل بنو عمرو بن معمر بن ليث ما بين مسجدهم الذي يدعى مسجد بني كدل إلى بطحان إلى منزل بني مبشر بن غفار إلى زقاق الجلادين الذي فيه دار الماجشون إلى دار أبي سبرة بن خلف إلى التمارين.

ونزل آل قسيط بن يعمر بن ليث ما بين شامي بني كعب من منازل آل نضلة بن عبيدالله بن خراش إلى خط كتاب النصر إلى الشارع إلى المصلى إلى بطحان.

ونزل بنو رجيل بن نعيم بطرف المصلى بين غربي دار كثير بن الصلت أي التي هي قبلة المصلى إلى دار آل قليع الأسديين الشارعة على بطحان.

ونزل بنو عتواره بن ليث وهم بنو عضيدة ما بين طرف دار الوليد بن عقبة اليماني ببطحان إلى الحرة إلى زقاق القاسم بن غنام من دار الوليد بن عقبة» (تاريخ المدينة ٢٦٢، ١ - ٥٤٨)؛

نزل بنو كعب بن عمرو بن عدي بن عامر ما بين يماني بني ليث بن بكر إلى دار شريح العدوي إلى موضع التمارين بالسوق إلى زقاق الجلادين الشارع على المصلى يمنة ويسرة إلى بطحان إلى زقاق كدام وكدام سقاط وكان هناك

إلى دار بن أبي سليم الشارعة على شامي المصلى التي يقال لها دار التنوير.

ونزلت بنو المصطلق بن سعد بن عمرو وأخوه كعب بن عمرو وهط جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ ظاهرة حرة بني عضدة إلى أدنى دار عمر بن عبدالعزيز إلى الدار التي يقال لها دار الخرازين» (تاريخ المدينة ٢٦٨، ١ - ٥٥٢).

نزلت أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس الشعب الذي يقال له شعب أشجع وهو ما بين سائلة أشجع إلى ثنية الوداع إلى جوف شعب سلع وخرج إليهم النبي ﷺ بأحمال التمر فنثره، واتخذت أشجع في محلتها مسجداً قلت وما ذكره (ابن شبة) منطبق إما على شعب سلع الذي في شرقية فتكون منازلهم بين خط أسلم الذي في شامي ثنية عثعث وبين جبل سلع وهذا إلى ثنية الوداع وإما على شعب سلعٰ الذي في شاميه» (١/ ٥٥١).

ونزلت هذيل بن مدركة ما بين شامي سائلة أشجع وزاوية دور يحيى بن عبدالله بن أبي مريم إلى دار حرام بن مزيلة بن أسد بن عبدالعزى بالثنية زاويتها اليمانية وذلك مجتمعها ومجتمع أسلم» (تاريخ المدينة ٢٦٤).

ونزل بنو الديل بن بكر في محلتهم وهي ما بين بني ضمرة إلى الدار التي يقال لها دار الخرق وحدها زقاق الحضارمة، ويدعى الخط العظيم لها بني ضمرة إلى جبل في مربد أبي عمار بن عبيس من بني الديل يقال له المستندر إلى دار الصلت بن نوفل النوفلي التي بالجبانة، (تاريخ المدينة ٢٠٦٣) وقد نقل السمهودي هذه النصوص وعلق عليها بقوله: قلت الجبل الذي ذكر (ابن شبه) أنه يسمى بالمستندر هو الجبل الصغير الذي في شرقي مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامي لانطباق الوصف عليه» (١/ ٥٤٩).

ونزل بنو ضمرة بن بكر، إلا بني غفار، محلتهم التي يقال لها بنو ضمرة وهي شرقي ما بين دار عبدالرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر بالثنية إلى محلة بني الديل بن بكر إلى سوق الغنم الشارع إلى دار ابن أبي ذئب

العامري، واتخذوا في محلتهم مسجداً» (ابن شبه ٢٦٣، ١/ ٥٤٨).

ونـزل بنـو أسلم ومـالـك ما بين خط زقاق ابن حبين مولى العباس بن عبدالمطلب الشامي[1].

ونـزلت سائر أسلم وهم آل بريدة بن الحصيب وآل سفيان ما بين زقاق الحضارمة إلى زقاق القنبلة (ابن شبه ٢٦٤) قلت: وذلك في شرقي مؤخر سوق المدينة مما يلي الشام، وفي جهة زقاق الحضارمة اليوم حديقة تعرف بالحضرمية شامي سور المدينة وفي شاميها جهة زقاق القنبلة» (١/ ٥٤٩).

السوق:

لمـا كانت خطط المهـاجرين من أهل الحجاز قريبة من السوق، فمن المناسب أن نذكر هنا خططه، فيروي ابن شبة عن أبي غسان كان في المدينة في الجـاهلية سوق بزبـالة الناحية التي تدعى يثرب، وسوق بالجسر في بني قينقاع، وبالصفاصف بالعصبة سوق، وسوق في موضع سوق ابن حبين كانت تقوم في الجاهلية وأول الإسلام، وكان يقال لذلك الموضع مزاحم» (١/ ٥٣٩ ـ ٤٠) وعن سوق زبالة (١ ـ ٨)، ويذكر الشافعي سوقاً بالبطحاء كانت بنو سليم تجلب إليه مواشيها (أم ١/ ١٧٧ السمهودي ١/ ٥٤٤).

ويروي ابن زبالة عن يزيد بن عبدالله بن قسيط «إن السوق كانت في بني قينقاع حتى حول السوق بعد ذلك» (١/ ٥٣٩):

ويروي ابن شبة عن صالح بن كيسان أن الرسول أراد أن يتخذ سوقاً في موضع بقيع الزبير، فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطنابها فقال رسول الله ﷺ لا جرم لأنقلنها إلى موضع هو أغيظ له من هذا فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: هذا سوقكم لا تتحجروا ولا يضرب عليه الخراج (١/ ٥٤٠).

وكان موضع هذا السوق مقابر لبني ساعدة، فيروي ابن زباله عن عباس

---

١ ـ من زاوية يقصان التي بالسوق الى خط حبين شامي ثنية سنة ٦٤م.

ابن سهل عن أبيه «أن النبي ﷺ أتى بني ساعدة فقال إني جئتكم في حاجة تعطوني مكان مقابركم فأجعلها سوقاً وكانت مقابرهم ما حازت دار ابن أبي ذئب إلى دار زيد بن ثابت فأعـطاه بعض القوم ومنعه بعضهم وقالوا مقابرنا ومخرج نسائنا ثم تلاوموا فلحقوه وأعطوه إياها فجعله سوقاً» ويعقب السمهودي على ذلك بقوله «وسيأتي ما يبين أن دار ابن أبي ذئب ودار زيد بن ثابت كانت في شرقي السوق الأولى عند أثنائه مما يلي الشام والثانية عند أثنائه مما يلي القبلة، فليست المقابر المذكورة سوق المدينة كله بل بعضه (١/ ٥٠).

وكان هذا السوق ساحة مكشوفة لا تؤخذ عليها الضرائب، ولا تحجز ولا تحجر حتى جاء معاوية فاتخذ دار القطران ودار النقصان وضرب عليهما الخراج (١/ ٥٤١).

ولما ولي إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المدينة لهشام بن عبدالملك «أشار عليه أن يبني داراً يدخل فيها سوق المدينة فقبل ذلك هشام وبناها وأخذ بها السوق كله (ابن شبه ٢٧٠، ١/ ٥٤١).

ذكر ابن شبه أبواب هذه السوق (٢٧١)، أما ابن زباله فقد فصل خطة هذا السوق حيث قال «فابتدأ الجدار من خاتمة البلاط أي الذي عند دار العباس بالزوراء بقرب مشهد مالك بن سنان» فيكون هذا الجدار في شرقي السوق، وهذا أول الجدار المذكور مما يلي القبلة وما سيأتي فيه دال على أنه استمر يمده إلى جهة الشام وليس ابتداء هذا الجدار من القبلة أول السوق لما سيأتي بل بقي منه بقية في جهة القبلة إلى المصلى سيأتي ذكرها.

ثم يستمر ابن زبالة في كلامه فيقول: فمضى بها حتى سد بها وجه دار العباس بن عبدالمطلب أي التي عند خاتمة البلاط.

ودار نخلة وكانت لآل شيبة بن ربيعة، وإنما سميت دار نخلة لنخلة كانت فيها.

ثم دار معمر العدوي التي كان يجلس صاحب السوق بفنائها.

ثم دار خالد بن عقبة التي بفنائها أصحاب الرقيق.
وجعل لبني ساعدة طريقاً مبوبة.
ثم أخذ وجه دار ابن جحش.
ثم وجه دار ابن أبي فروة التي كانت لعمر بن طلحة بن عبيدالله
ثم وجه دار ابن مسعود.
ثم وجه دار زيد بن ثابت وجعل للطريق منفذاً مبوباً.
ثم وجه دار جبير بن مطعم التي فيها أصحاب العباء.
ثم وجه دار القارضيين.

ثم وجه دار العباس بن عبدالمطلب أي الثانية التي كان عبدالله بن عباس يسكنها.

وجعل لبني ضمرة طريقاً مبوباً.
ثم وجه دار ابن أبي ذئب.
ثم دار آل شويفع
ثم صدقة الزبير

وجعل لبني الديل طريقاً مبوباً، ويقول السمهودي، وهذا الطريق عند نهاية هذا الجدار الشرقي مما يلي الشام قرب ثنية الوداع، والطريق المذكورة قبله في الجدار المذكورة خططها في المشرق.

ثم بين ابن زباله ما يقابل هذا الجدار في المغرب مبتدئاً بما يقابله من جهة القبلة ثم إلى الشام فقال عقب ما تقدم:

ثم أخذ بها من الشق الآخر فأخذ وجه الزوراء ووجه دار ابن نضلة الكناني ثم على الطاقات حتى ورد بها خيام بني غفار.

وجعل لمخرج بني سلمة من زقاق ابن جبير باباً مبوباً عظيماً يغلق.

ثم مضى بها على دار النقصان ودار نويرة وجعل لسكة أسلم باباً مبوباً.

ثم مضى بها على دار ابن أزهر ودار ابن شهاب ودار نوفل بن الحارث حتى جاوز بها دار حجارة، وجعل لها باباً عظيماً يقابل الثنية، ويعقب السمهودي على ذلك بأنه يعني ثنية الوداع وهذا الباب في جهة الشام كما صرح به ابن شبة فقال عقب ما تقدم:

وجعل لها باباً شامياً خلف شامي زاوية دار عمر بن عبدالعزيز بالثنية.

ثم جعل بينها وبين دار عمر بن عبدالعزيز عرضاً ثلاثة أذرع حتى الزقاق الذي يقال له زقاق ابن جبير جعل عليه باباً، وجعل على الزقاق الذي يقال له زقاق بني ضمرة عند دار آل أبي ذئب باباً، ثم جعل على الزوراء خاتم البلاط أي باباً.

ثم يستمر ابن زبالة في كلامه فيقول:

ثم ساقها من الشقين جميعاً الغربي والشرقي فسد بها وجوه الدور وأخذ بها السوق فسد بها من الشق الشرقي وجه دار قطران وكانت من دور معاوية ثم وجه دار ابن جودان وتلك الدور.

ومن الشق الغربي دار حجارة لكثير بن الصلت وكانت قبله لربيعة بن دراج الجمحي.

ثم وجه الربعة التي فيها دار آل أبي عثمان حلفاء أزهر بن عبد بن عوف.
ثم جعل للسكة منفذاً.

ثم وجه دار التمارين وكانت لمعاوية بن أبي سفيان وقبله لسعيد بن عبدالرحمن بن يربوع، فلما بلغ ابن هشام بالدار التمارين وقف وجعل لها هنالك باباً عظيماً يقابل المصلى.

«وجعل لدار السوق حوانيت في أسفلها وعلالي تكرى للسكن وحملت أبوابها من البلقاء فمنها بقية بالمدينة مكتوب فيها البلقاء.

فبينا الناس لا يدرون بموت هشام إلى أن جاء ابن المكرم الثقفي من الشام بريداً بموته. رسولاً للوليد بن يزيد ويبشرهم بالعطاء فصاح حين دخل الثنية: ألا إن هشاماً الأحول قد مات. فوثب الناس على الدار فهدموها وعلى عين السوق فقطعوها، (وفاء ١ / ٥٤١/ ٤٣).

كان الطرف الجنوبي من سوق هشام يمتد إلى قرب المسجد، فهو يمتد «من خاتمة البلاط أي الذي عند دار العباس بالزوراء بقرب مشهد مالك ابن سنان (١ / ٥٣٩).

أما الزوراء فصارت جزءاً من السوق، وكانت فيها بيوت للعباس وعثمان بن عفان وأصحاب العباء (٢/ ٣١٨ ـ ١٩ الطبري ١/ ٢٧٩٢ اليعقوبي: التأريخ ٢/ ١٩١) وكذلك دار لسكينة بنت الحسين (الأغاني ١٤ ـ ١٦٥) وكانت قرب أحجار الزيت التي يقول ابن شبة: إنها مقابل بيت أم كلاب وكانت تدعى في زمنه دار بني أسد (٢/ ٢٤٣ انظر أيضاً سعد ٣ ـ ١ /٤٧ البكري ٤٢٦ ياقوت ١/ ١٤٤، ٢/ ٩٦٥) وكانت أحجار الزيت قرب مشهد مالك ابن سنان (١/ ٥١٩، ٢ ـ ٣١٨) وهي قرب الحناطين (٢/ ١).

لقد كان البلاط يمتد، من المسجد إلى السوق.

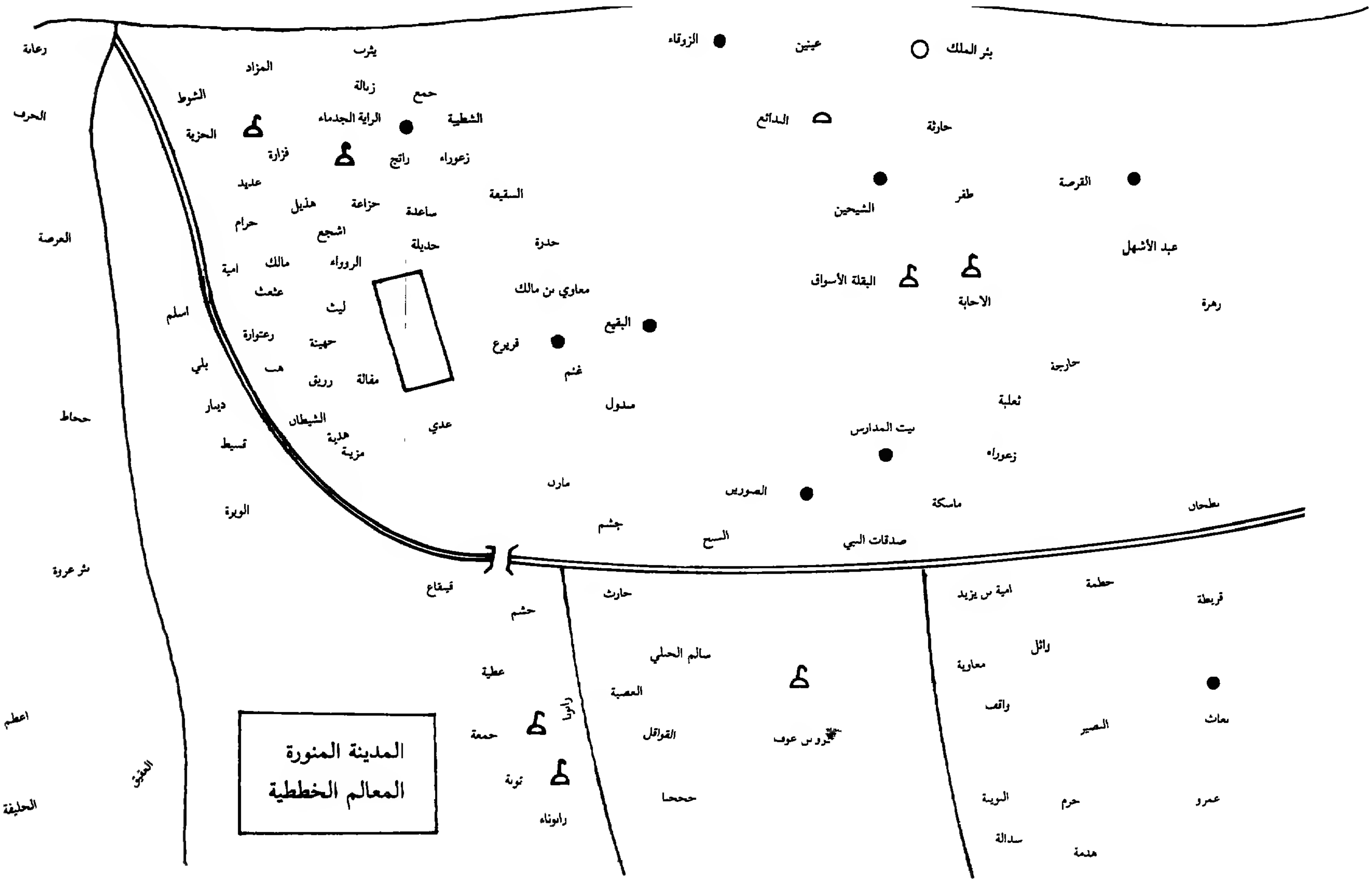
المدينة المنورة
المعالم الخططية
رعابة
الحرف
العرصة
حماط
بئر عروة
اعظم
الحليفة
العقيق
يثرب
المزاد
زبالة
حمع
الشوط
الحزية
الراية الجدماء
الشطية
فزارة
راتج
زعوراء
عديد
هذيل
حزاعة
ساعدة
السقيفة
حرام
اشجع
حديلة
حدرة
امية
مالك
الرووراء
عثعث
ليث
معاوي بن مالك
اسلم
رعتوارة
جهينة
البقيع
قريرع
بلي
هب
رريق
مفالة
غنم
ديار
مدول
الشيطان
هذية
مزية
عدي
تسيط
الوبرة
مارث
جشم
قينقاع
حارث
حشم
عطية
حمعة
راتوبا
نوبة
رابوناء
سالم الحبلي
العصبة
القواقل
حجحبا
عروس عوف
الزوقاء
عينين
بئر الملك
الدائع
حارثة
الشيحين
طفر
القرصة
عبد الأشهل
البقلة الأسواق
الاحابة
رهرة
حارجة
ثعلبة
بيت المدارس
زعوراء
الصوريس
ماسكة
السيح
صدقات النبي
نطحان
امية بن يزيد
حطمة
قريظة
وائل
معاوية
واقف
السعير
نعاث
الويبة
حرم
عمرو
سدالة
هدمة

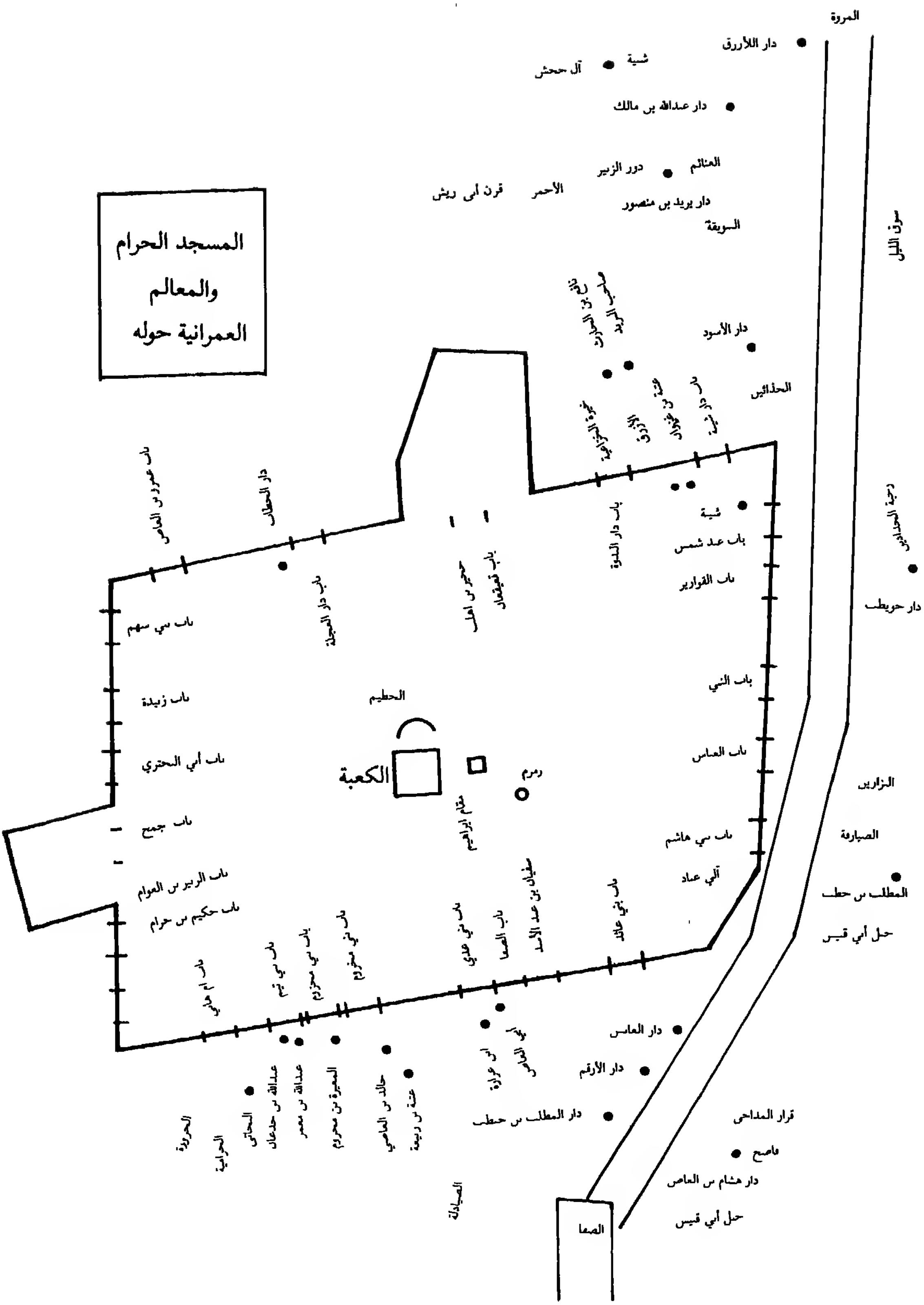

المسجد الحرام والمعالم العمرانية حوله

الفصل السادس عشر

المعالم العمرانية في مكة في القرنين الأول والثاني

مكانة مكة وأهلها:

لمكة أهمية متميزة في تاريخ العرب والإسلام، فكانت قبل الإسلام من أهم مراكز التجاره والدين، وفيها ولد ونشأ الرسول ﷺ ونزل عليه الوحي وقضى السنوات العشر الأولى بعد نزول الوحي يبشر بالدين الجديد، فآمن به من أهلها، فكان منهم جل السابقين الأولين والصحابة المهاجرين كما لاقى المعارضة والعنت والاضطهاد من كثير من أهلها، إلى أن هاجر إلى المدينة، وقضى ثماني سنوات بعد الهجرة يناضل مشركي قريش إلى أن تم فتحها وانضمت إلى دولة الإسلام، وآمن أهلها بالإسلام وقام رجالهم بخدمته وتعزيز دولته فكان منهم الخلفاء وأبرز القادة والولاة إضافة إلى أن الأعداد الكبيرة منهم شاركوا في الجيوش الإسلامية التي قاتلت في مختلف الجهات، وخاصة جبهة بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية، بالإضافة إلى إسهام عدد كبير منهم في الإدارة والحياة الاقتصادية وإنماء الحياة الفكرية.

ولا ريب في أن نمو المدينة بعد أن أصبحت قاعدة الرسول ومقام الخلفاء الراشدين أثر في مكانة مكة حيث انتقل عدد من أهلها، وخاصة ذوي المكانة للإقامة في المدينة، غير أن هذا عوضه مكانة مكة في الإسلام حيث كانت فيها الكعبة، قبلة المسلمين في صلواتهم الخمسة اليومية، ومركز الحج الذي هو أحد أركان الإسلام الخمسة. ولا بد أن هذا أثار اهتمام الناس والمفكرين بها، فبالإضافة إلى الأعداد الكبيرة التي كانت تؤمها من مختلف الأرجاء لأداء فريضة

الحج، فإن الفقهاء أولوا بعض معالمها المتصلة بالقبله والحج اهتماماً خاصاً وتطرقوا إلى بحثها في كتبهم الفقهية إضافة إلى ما أولاه البلدانيون من عنايه خاصة بوصفها.

التطورات بعد الإسلام:

ولا ريب في أن مجيء الإسلام أحدث تطورات واسعة في الأحوال العشائرية وتنظيماته وخططها.

فمن ذلك أن عدداً من المهاجرين صودرت أملاكهم فأخذ أبو سفيان البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ، وأخذ عقيل البيت الذي كان يسكنه الرسول، وأخذ بنو سفيان دور آل جحش.

غير أن هذه الحوادث فردية، فالمهاجرين كانوا أفراداً من عشائر متعددة، وعددهم غير كبير، وحظي بعضهم بحماية عشيرته.

ثم إن عدداً غير قليل من أهل مكة، وخاصة ذوي المكانة هاجروا إلى المدينة بعد الهجرة ثم بعد الفتح واستقروا فيها، ومع أن كثيراً منهم احتفظ بعلاقته في مكة، كآل الزبير، والعباس، وآل أبي العاص إلا أن بعضهم اتخذ المدينة مقاماً دائمياً، وترك إقامته في مكة.

وشارك عدد غير قليل من أهل مكة في القضاء على حركات الردة في الفتوح الأولى، خاصة في جبهة الشام، فقتل بعضهم في المعارك، واستقر بعضهم في الأقاليم التي ضمت إلى دولة الإسلام، وخاصة في الأمصار التي استوطنها العرب.

ولم تحتفظ مكة بعد الإسلام بما كان لها قبله من مركز متميز في التجارة العالمية، ذلك أن ذلك المركز كان قائماً بالدرجة الأولى على الإفادة من الصراع العنيف بين الروم والفرس، فكانت باستقلالها ومهارة أهلها وموقعها الأمين مركزاً لنقل السلع بين الدولتين المتخاصمتين اللتين كانتا تهيمنان قبل الإسلام على معظم أقاليم الشرق الأوسط.

فلما جاء الإسلام وكون دولته الواسعة، أزال الحدود الفاصلة القديمة وأحل السلم والأمن مكان الحروب والتقاطع، وأنمى مراكز جديده للاستهلاك والنشاط الاقتصادي، فحول أهل مكة نشاطهم إلى هذه المراكز الجديدة، واحتفظوا بالإفادة منها، ومع أن بعضهم جلب شيئاً من ثرائه إلى مكة، إلا أن هذا كان أقل مما كان في السابق.

ولا بد أن الحج عوض بعض هذا، حيث أنه لم يعد مقصوراً بعد الإسلام على العرب وإنما أصبح فريضه على كافة المسلمين من كافة الأرجاء، غير أنه يجب عدم المبالغة في أثر الحج في النشاط الاقتصادي في مكة، فهو يتم في مدة محدوده قصيرة يعود بعدها الحجاج إلى بلادهم، ومعظمهم يؤمون مكة بدافع العبادة لا لاستغلال اقتصادي بل حتى كراء البيوت كان محدوداً، وعمل الخلفاء على منعه.

وأدى هذا أن تكون أغلب التجارة في مكة محليه وداخلية، ويتجلى هذا في الأسواق التي ذكرت فيها وهي الحناطون، والجزارون، والعطارون، والحذاؤون، وأصحاب الكتب كما توجد إشارة إلى الحاكة ومعظم هذه الصناعات محلية، فأما البيوت المترفه فكان عمالها من الروم أو مما جلب من العراق، فضلاً عن الزنج والعبيد.

وقد ذكرت فيها حمامات قليلة.

وقد عمل الخلفاء على تيسير الحياة في مكة، فأقام كل من عمر بن الخطاب، ثم ابن الزبير، وعبدالملك، والمهدي ردماً لصد أخطار السيول، وتم حفر آبار وعيون وبرك، وأبرزها سداد الحجاج وبرك القسري ثم عين زبيدة، ليتيسر الماء الذي يكون مشكله في الحياة المعايشة في مكة.

وأقيمت عدة بساتين «حوائط».

ويسر نشر الأمن توسيع رقعة السكن في المناطق في أطراف مكة وفي جبالها، وإلى تقاطر عدد غير قليل من خارجها للسكنى فيها.

ويروي ابن شبه في كتاب مكة بسند عن رجل من القارة اسمه خيثم قال «أتيت عمر بن الخطاب وهو يقطع الناس عند المروة فقلت أقطعني لي ولعصبتي، فأعرض عني، وقال هو حرم الله سواء العاكف فيه والبادي، قال خيثم فأدركت الذين أقطعوا باع بائعهم وورث مورثهم ومنعت أنا لأني قلت لي ولعصبيتي[1].

ولعل غير قليل ممن امتلك في المروة رباعاً ودوراً يرجع أصلها إلى هذا الإقطاع الذي ربما امتد إلى مناطق أخرى من مكة وفي زمن بقية الخلفاء أيضاً.

يظهر مما ذكره الأزرقي أن أكثر من عني بإعمار مكة هم عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، وعبدالله بن الزبير، وهارون الرشيد وعدد من المتصلين به.

فأما عمر فلم يعرف عنه حرص على امتلاك أراض أو إعمار بيوت في مكة وإنما قام بعمل الردم الأعلى الذي كان له أثر في إحياء المنطقة التي في شمالي المسجد.

وأما لمعاوية فقد بنى البيوت الست المتقاطره، كما أعمر عدة حيطان.

وأما عبدالله بن الزبير فقد أقام ردماً، واقتنى بيوتاً، وأما العباسيون فكانت عماراتهم واسعة، وشملت ما أعمره الخلفاء وأفراد أسرتهم والمتصلون بهم من ذوي المكانة.

وقد ذكرت المبالغ التي دفعت أثماناً للبيوت التي أدخلت في المسجد الحرام أو لنقل ملكيتها، وهي مبالغ كبيرة، ولا نعلم هل أن ذلك دليل على ارتفاع أسعار الأراضي، وخاصة في أوائل العصر العباسي أم أن بعضه يرجع إرضاءً لأصحابها.

وعلى أي حال فإن تزايد السكان، وتكاثر الثروه لا بد أن يؤدي إلى انفجار

---

١ - الإصابة ١ / ٤٥٥ (٢٣٢٦).

اقتصادي ترتفع معه الأسعار وخاصة للأماكن القريبة من المركز.

عشائر مكة

ذكر المعنيون بالأنساب أن أهل مكة عند ظهور الإسلام كانوا كلهم من قريش، وهم مجموعتين: قريش الظواهر، وقريش البطاح، فأما قريش الظواهر فكانوا يسكنون أطراف مكة وهم خمسة عشائر هي: محارب والحارث ابني فهر، وتيم الأدرم بن غالب، وهلال بن لؤي، ومعيص بن عامر.

وأما قريش البطاح فكانت تقيم في داخل مكة وهم عبد مناف وعبد الدار وأسد بن عبدالعزى وزهرة، وتيم، ومخزوم، وجمح، وسهم، وعدي وحسل، وهلال بن أهيب، وهلال بن مالك[1].

وشارك في حلف لعقة الدم عبد مناف وعبدالدار وسهم وجمح ومخزوم وعدي، وشارك في حلف الفضول بنو هاشم[2]، وبنو المطلب، وزهرة، وتيم والحارث بن فهر[3].

وروى ابن حبيب في المحبر أنه بعد موت حرب أصبح لكل عشيرة رئيس منها، وذكر أسماء هؤلاء الرؤساء لبني هاشم، والمطلب، وأمية، ونوفل بن عبد مناف، وأسد بن عبدالعزى، وأضاف إليهم في المنمق عبدالدار وزهرة، وتيم ابن مرة، ومخزوم، وعدي بن كعب، وسهم، وجمح، وعامر بن لؤي، ومحارب بن فهر، والحارث بن فهر[4].

وشارك في بناء الكعبة، بنو عبد مناف، وزهرة، وعبدالدار وأسد بن

---

١ ـ المحبر ١٦٨، البكري ٢٥٧، ياقوت ١ / ٦٥٩ عن الزبير، وانظر عن قريش الظواهر البكري ٨٩ عن ابن شبه الأزرقي ١ / ١٠١.

٢ ـ المحبر ١٦٦، ابن هشام ١ / ٢١٣.

٣ ـ المحبر، وانظر ابن هشام ١ / ١٤٢.

٤ ـ المحبر ١٦٥، المنمق ٤١١، ويروي ابن حبيب عن أبي عبيده أن هذه العشائر شاركت في حرب الفجار، والمنمق ١٩٩ ـ ٢٠٠.

عبدالعزى، وتيم، ومخزوم، وسهم وجمح وعدي[1].

وهـذه العشائر شاركت في حلف المطيبين مع الحارث بن فهر[2]، فكان الحارث بن فهر، وأسد بن عبدالعزى وزهرة، وكلاب مقابل عبدالدار ومخزوم، وجمح، وسهم وعدي بن كعب[3].

لا ريب في أن التنـظيم القبلي ظل قائماً في مكة بعد الإسلام إذ كان أساس الوراثة والعاقلة، وقد رتب عطاء المقاتلة على أساسه في الديوان، وقد ذكرت المصادر إشارات إلى ترتيبه في المدينة حيث كان يقيم عدد من مهاجري قريش، أمـا مكة فلم يذكر ترتيب الديوان فيها، لأن أهل مكة لم يدخلوا في العطاء[1]. وقد رتب عمر بن الخطاب في الديوان العشائر القرشية في الترتيب التالي: بني هاشم، بني المطلب، عبد شمس، نوفل، أسد بن عبدالعزى، عبدالدار، زهرة، تيم، مخزوم، جمح، سهم، عدي، عامر بن لؤي.

غير أن تثبيت السلطة المـركزية العليا في الإسلام، واستتباب الأمن، وتوسع مجالات الحياة في مكة وخارجها أدى إلى تبدلات وتطورات غير قليلة، فهاجر عدد من أهل مكة، وقدمها عدد من مختلف العشائر.

فقد ذكر البلاذري أن بني الأدرم وقيس بن غالب درجوا، وكان آخر من بقي منهم هلك في زمن خالد بن عبدالله القسري في ولايته مكة من قبل الوليد[4].

---

١ ـ أنساب الأشراف ١ / ٩٩، المنمق ٣٣٢، الطبري ١ / ١١٣٧.
٢ ـ المحبر ١٦٦، ويقـول البـلاذري أن المـطيبين هم مخزوم، وجمح، وعدي (أنساب الأشراف ١ / ٥٦، ابن هشام ١ / ٢١١).
٣ ـ ياقوت ٢ / ٦٢٥.
٤ ـ أنساب الأشراف ١ / ٣٩.

الظواهر

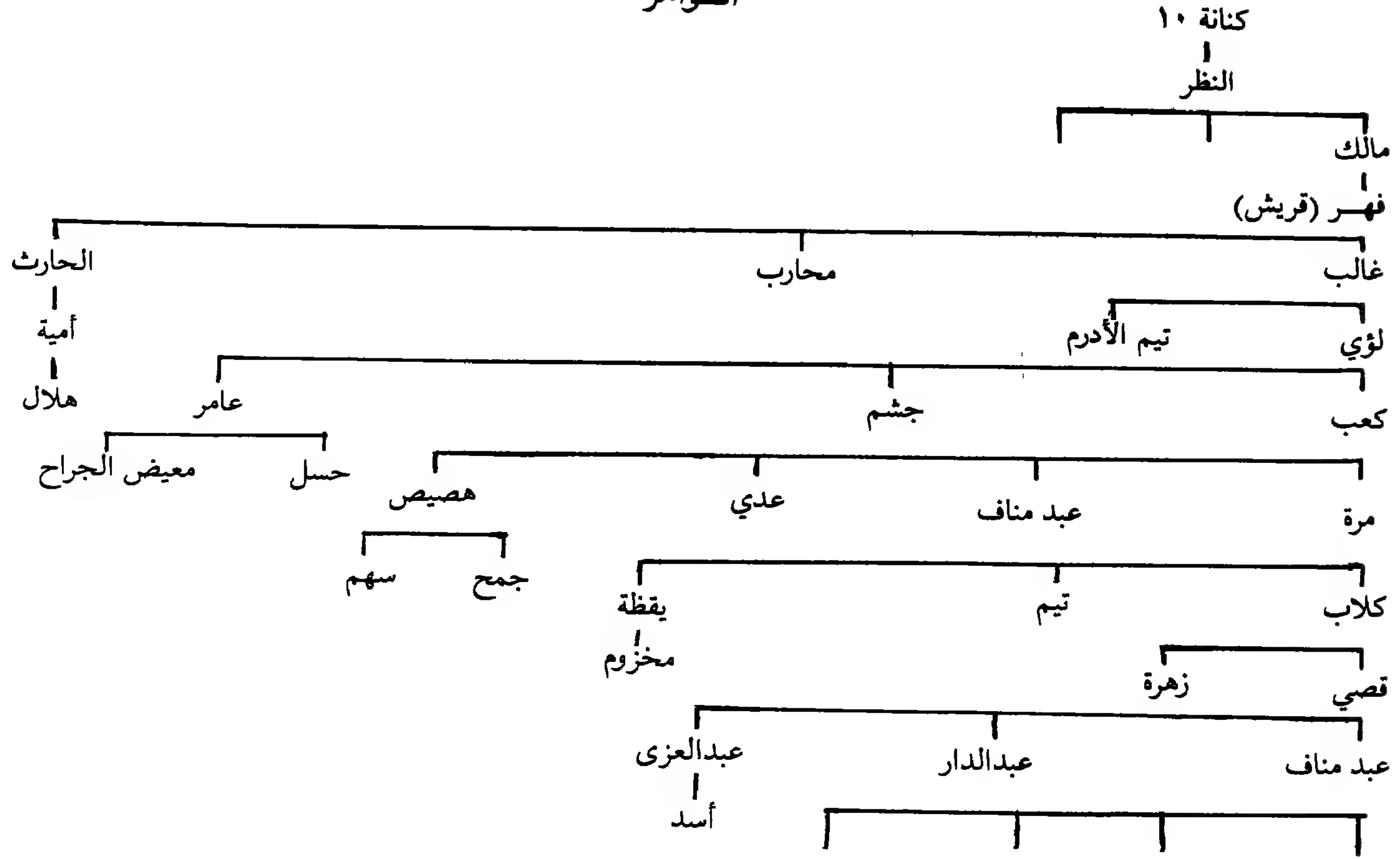
كنانة ١٠
النظر
مالك
فهـــر (قريش)
غالب
محارب
الحارث
أمية
هلال
لؤي
تيم الأدرم
كعب
جشم
عامر
حسل
معيض الجراح
مرة
عبد مناف
عدي
هصيص
جمح
سهم
كلاب
تيم
يقظة
مخزوم
قصي
زهرة
عبد مناف
عبدالدار
عبدالعزى
أسد

وذكر ابن حبيب جماعات دخلت في قريش في الإسلام بغير حلف إلا بصهر أو صداقة أو برحم أو ولاء، وذكر من عشائر قريش التي دخل فيها غيرهم: هاشم، وعبد شمس، ونوفل بن عبد مناف، وبني الحارث بن عبدالمطلب، والمطلب بن عبد مناف، وعبدالدار، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة[1].

ولا بد أن أعداداً أخرى استوطنت مكة من غير محالفات وكان لها أثر في تغيير عدد أفراد العشائر، وربما في مجموعات العشائر، غير أن كتب النسب والفقه لم تذكرها، سوى ما ذكر الشافعي ما يشير إلى العشائر في أواخر القرن الثاني فقال كان رجل من بني عبد مناف جنى فحملت جنايته بنو عبد مناف. فترفع إلى بني قصي، فإن لم تحملها رفعت إلى بني كلاب، فإن لم تحملها إلى بني لؤي، فإن لم تحملها رفعت إلى بني غالب، فإن لم تحملها رفعت إلى بني فهر، فإن لم تحمْلها رفعت إلى بني مالك، فإن لم تحملها رفعت إلى بني النضر، فإن لم تحملها رفعت إلى بني كنانة كلها وهكذا[2] ولا ريب في أن الشافعي يصف في هذا عشائر مكة في زمنه، وهو لا يذكر الأسماء القديمة، ولكن يمكن القول بأن التسميات تبدلت خاصة وأن الدية تنحصر في المصر الذي حدثت فيه الجناية.

وعند مقارنة تسميات الشافعي بما ذكرته كتب النسب مما يتطابق مع الأحوال عند ظهور الإسلام يتجلى أن بني عبد مناف هم: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل. وبنو قصي هم: عبدالدار، وأسد بن عبدالعزى. وبنو كلاب هم: زهرة. وبنو مرة هم: مخزوم. وبنو كعب هم: عدي وسهم وجمح. وبنو لؤي هم: عامر ومعيص. وبنو غالب هم تيم الأدرم. وبنو فهر هم محارب والحارث.

ذكر الأزرقي عشائر قريش في كلامه عن بناء الكعبة حيث ذكر منهم، كما ذكر عدداً من الآبار حفر كلاً منها عشيرة قبل الإسلام وهي لبني أمية، وهاشم،

---

١ ـ الملحق ٣٠١ ـ ٩، وانظر ما بعدها.

٢ ـ الأم ١٠١/٦.

وبني أسد بن عبدالعزى، وعبدالدار، ومخزوم وتيم وعامر بن لؤي[١].

وذكر من أبواب المسجد باباً لكل من بني سهم، وجمح، وتيم، ومخزوم وعبد شمس، وأشار إلى رباع بني عدي، التي كانت عند المسجد ثم انتقالهم إلى الأطارف الشمالية من بني سهم[٢].

ووضع عنواناً لرباع بني نوفل بن عبد مناف، وعبدالدار بن قصي، وزهرة، ومخزوم وحلفاء كل منهم، كما وضع عنواناً لرباع أسد بن عبدالعزى، وتيم، وعدي بن كعب، وجمح، وسهم، وذكر رباع بني عامر بن لؤي، والحارث بن فهر، والخزاعين[٣].

وأشار إلى ما يرجع إلى زمن الرسول ﷺ في بعض الرباع والدور غير أن أكثر ما ذكره في رباع العشائر هو دور ومنازل أفراد من رجالهم، وأكثرها مما كان بعد الإسلام، وخاصة في زمن الأمويين وأول زمن العباسيين.

ويتجلى عدم شمول كلامه العشائر من إغفاله ذكر رباع بني أسد بن عبدالعزى وزهرة وعدي بعد انتقالها إلى أطراف رباع سهم.

وذكر عنواناً لرباع آل قارض الأنماريين، وآل الأؤمار القاريين وعدد من الخزاعيين، وآل الأخنس بن شريق، وآل عدي بن أبي الحمراء الثقفي[٤].

وأفاض في الكلام عن رباع بني عبد شمس ورجالهم، فتحدث عن رباع بني عبد شمس، وربيعة بن عبد شمس، وأمية بن عبد شمس، وعدي بن أمية بن عبد شمس، وكريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ورباع آل أبي العاص، وآل سعيد بن العاص، وأسيد بن أبي العاص، وآل عقبة بن أبي معيط، ورباع حلفاء وبني عبد شمس وآل الأزرق، وآل الحضرمي[٥].

---

١ ـ انظر عن الآبار ٢ / ١٧٩.

٢ ـ ٢ / ٦٩ ـ ٧٤.

٣ ـ ٢ / ١٨٩ فما بعد.

٤ ـ ٢ / ٢٠٦ ـ ٩.

٥ ـ ٢ / ١٩٠ ـ ٢٠١.

كما ذكر رباع بني عبدالمطلب وحلفائهم ودور بعض البارزين من رجالهم(١).

كما ذكر أملاك عبدالله بن الزبير، وابنه حمزة، وأكثر كلامه عن دور وبيوت أفراد في زمن الأمويين وأوائل زمن العباسيين، وأشار إلى تسميات مواضع، من شعاب وجبال بأسماء رجال كثير منهم ممن عاش في مكة بعد الإسلام، ولم يكونوا من الشخصيات البارزة، وقليل منهم ممن ولي مناصب إدارية أو قيادة في الجيش ولم يذكر من تملك من الخلفاء غير معاوية، والرشيد، وفيهم عدد غير قليل من الموالي وربما العبيد وفيهم أيضاً من حواشي خلفاء بني العباس.

فبحثه يتركز على المعالم العمرانية البارزة وليس على خطط العشائر والجماعات، والواقع أن بعض العشائر امتلك أفراد منها أملاكاً في أماكن متفرقة، وهذا يظهر أن التنظيم العشائري لم يكن قوي الأثر في لم شمل أفراد العشيرة للسكنى في منطقة واحدة، وقد لا يقتصر هذا على الشخصيات البارزة وإنما يمتد إلى بقية أفراد العشيرة.

وأكثر من ذكر أملاكهم ممن اقتصرت إقامتهم على مكة، غير أن عدداً منهم كانت له دور في المدينة ،وعني بذكر المعالم الجغرافية بما في ذلك أسماء الجبال والشعاب والآبار، وأولى اهتماماً بتدقيق الأبعاد والمسافات وبوصف تفاصيل بناء بعض المساجد وخاصة المسجد الحرام، وأشار إلى مواقع بعض أصنام الجاهلية وبعض الأسواق والحمامات، وإلى مكان الخلفاء عند زيارتهم مكة وإلى دار الإمارة ومقر صاحب البريد، وذكر حديثاً طويلاً عن تطور أحوال دار الندوة، غير أنه لم يذكر مراكز تجمع الناس كنوادي القوم التي أشار إليها القرآن الكريم، أو مساجد العشائر التي كانت في الأمصار الأخرى «مجالس الأشراف» كما ذكر أسماء عمال بعض الدور الفخمة، ومواد بنائها ومقاطع الأحجار وأسعار بعض البيوت.

---

١ ـ ٢ / ٨٧ / ١٨٩.

وفصل الكلام في المسجد الحرام وما كان بقربه ثم في رباع بني أمية وأعمال عبدالله بن الزبير، وتحدث باقتضاب عن رباع بني عبدالمطلب.

قد يرجع تفصيله في بعض المواضع، واختصاره في أخرى إلى أنه فصل في المهم، واختصر قليل الأهمية، أو قد يرجع إلى اهتماماته الشخصية التي تتجلى في التفاصيل التي أوردها عن رباع ودور آل الأزرق والأمويين، وعلى أي حال فإن اهتمامه بالمعالم الجغرافية يساعد على رسم صورة لخطط مكة، أما المعالم العمرانية ففيها فائدة كبيرة في معرفة البناء العمراني في مكة غير أنها بإغفالها المعلومات عن العشائر وغيرهم، وبقلة عنايته بتحديد زمن امتلاك هذه الدور ومدى سعتها، فإنه لا يقدم صورة كاملة عن أحوال مكة العمرانية وتطورها، فبحثه يقدم أساساً لدراسة ينبغي أن تكمل عن مصادر أخرى إذا أريد لها أن تكون شاملة للتطور العمراني والحضاري في مكة إبان القرنين الأول والثاني.

مصادر دراسة المعالم العمرانية في مكة

إن ما تميزت به مكة من أهمية خاصة عززتها مكانتها في نشأة الإسلام وفرائضه، ودور أهلها في تاريخ الدولة الإسلامية لا تتناسب مع قلة المعلومات التي وصلتنا عن تطور خططها وعمرانها، فالفصول الطويلة التي كتبها الفقهاء عن القبلة وعن الحج بينت بالجوانب الفقهية والممارسات المتصلة بأداء شعائر الحج، ولم تذكر إلا معلومات مقتضبة متفرقة عن أماكن محدودة تتصل بمناسك الحج فيها، وكتب الأموال التي بحثت في العطاء وتوزيعه، لم تذكر شيئاً ذي أهمية عن تنظيم أهل مكة في ديوان العطاء، وقد يرجع بعض هذا إلى أن العطاء لم يكن يوزع على أهل مكة المقيمين فيها، وفي كتب السيرة النبوية، وأقدمها وأبرزها كتاب ابن اسحق معلومات متفرقة عن معالم مكة، ولكنها لا تقدم صورة شاملة عن أحوالها العمرانية وتطورها.

كتب التاريخ والتراجم

وهذا ينطبق على كتب التاريخ، وأبرز ما وصلنا منها عن العهود الإسلامية الأولى هي تاريخ الطبري وتاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب للمسعودي، فإن هذه الكتب اهتمت بأخبار الحوادث السياسية التي لم يحدث منها في مكة إبان القرنين الأول والثاني حوادث خطيرة سوى حركة عبدالله بن الزبير الذي عندما أعلن خلافته اتخذ مركزه في مكة، ومقره في المسجد الحرام ثم قتل بعد حصار قضى على حركته، والحركة الأخرى هي ثورة الحسين الطالبي شهيد فتح، وأخبار كلتا الحركتين اقتصرت على سرد الحوادث ولم تذكر إلا إشارات قليلة إلى بعض المواضع في مكة، وهي في الغالب مواضع بارزة معروفة، ولا تذكر كافة المواضع، ولا التطورات العمرانية والاجتماعية في مكة[1].

---

١ ـ انظر قائمة وافية عما ذكره ابن النديم من كتب التاريخ في القائمة التي ألحقناها بالترجمة العربية لكتاب «علم التاريخ عند المسلمين».

وذكر البلاذري في «فتوح البلدان» معلومات عن بعض معالم مكة وآبارها، لا تزيد كثيراً عما ذكره ابن إسحاق.

أما كتب التراجم فإن عدداً منها مرتب حسب الطبقات، أي تبعاً للأزمنة المتعاقبة التي عاشوا فيها وأغلب هذه الكتب ترفق ذلك بترتيب الرجال تبعاً للمدن التي عاشوا فيها، وأقدم ما وصلنا كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وكتاب الطبقات لخليفه بن خياط.

ويتميز الأول بسعة معلوماته وحرصه على ذكر أسانيد رواياته، والكتاب مكون من ثماني مجلدات، الجزئين الأولين منها عن سيرة الرسول ﷺ، وفيها قسط كبير عن حياته.

أما الأجزاء الثلاثة التالية فهي عن رجال أهل الحجاز، وفيهم كثير من أهل مكة الذين أقاموا فيها واستقروا في المدينة منذ أن هاجر الرسول ﷺ إليها، والجزء الثامن مخصص للنساء، ومع أن معلومات ابن سعد واسعة وغزيرة، وأنه عني بذكر العلاقات النسبية والزيجات لمن ترجم لهم، إلا أنه عني بعرض سلوك وعلم من ترجم لهم ولم يذكر كثيراً عن معالم العمران وتطوره في مكة، وهذا ينطبق على كل طبقات الرجال التي ألفها المعنيون بالحديث النبوي ورجاله[1].

كتب النسب

وتعنى كتب النسب بذكر القبائل والعشائر وعلاقاتها النسبية وأبرز رجالها، وقد ألف العرب عدداً كبيراً منها، ومن أبرزها الكتاب الذي ألفه هشام ابن محمد الكلبي ( ) والذي كان معتمد معظم من ألف في الموضوع، بما في ذلك ابن حزم، وابن ماكولا. وقد خص ابن الكلبي ومن نقل عنه قريشاً بفصول طويلة ذكر فيها عشائرها وأبرز رجالها وعلاقاتهم النسبية، ولكنهم لم

---

١ ـ انظر تفاصيل أوفى في كتاب «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» للدكتور أكرم ضياء العمري.

يستوعبوا كل سكان أهل مكة ولم يشيروا إلى ما مر بها من تطور عمراني، ومن معالم، علماً بأن أبحاثهم تنتهي بزمن خلافة هارون الرشيد.

ذكـر ابن النديم عدة كتب في النسب تدل عناوينها على اقتصاره على قريش وهي «نسب قريش» و «فضـائل قريش» للمدائني[1]، و«أنساب قريش وأخبارها» للجحمي[2]، (ت ٢٣٢) و «مناقب قريش»[3]، لابن عبده، و «فضائل قريش» لمحمـد بن إدريس الشافعي[4] (ت) كما ذكر «جمهرة نسب بني هاشم» لطيفور[5]، و «أنساب عبدالمطلب» للسكري[6]، وكل هذه الكتب مفقود ولم نعلم نقلاً منها.

وذكر ابن النديم أيضاً «نسب قريش» لمصعب الزبيري[7]، (ت ٢٣٦) و «نسب قريش» للزبير بن بكـار[8]، (ت ٢٥٦)، وأخدق من نسب قريش المؤرخ السـدوسي، وقـد وصلنا الكتابان الأولان كاملين، كما وصلتنا قطعة كبيرة من الكتاب الثاني، وكلها تبحث في عشائر مكة وعلاقاتها النسبية، وبعض رجالها ولا تبحث في عمران مكة وتطوره.

وممـا له صلة بالنسب كتابي «المحبر» و «المنمق» لمحمد بن حبيب، وكتـاب «سيرة ابن هشـام»، ففي كل منها معلومات عن آبار مكة وعشائرها و أحلافها وبناء الكعبة، وفي المنمق معلومات عن بعض التطور الاجتماعي في مكة بعد الإسلام.

---

١ ـ الفهرست ١١٤ (طبقهخ تجددي).

٢ ـ الفهرست ١٢٤.

٣ ـ الفهرست ١١٨.

٤ ـ الفهرست ٢٦٤.،

٥ ـ الفهرست ١٦٢.

٦ ـ الفهرست ١٢٠.

٧ ـ الفهرست ١٣٣.

٨ ـ الفهرست ١٥٠، وانظر قوائم واقيه لكتب النسب في المقدمة التي كتابها زترستن للكتاب «طرافه الأحباب» و «كتاب موارد البلاذري «للدكتور محمد حسين المشهداني».

ومما يجمع بين النسب والتاريخ كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري، وهو كتاب ضخم طبع قرابة ثلثه في خمسة أجزاء ضخمة، وقد رتب على تقسيمات العشائر، ولكن معلوماته مصنفة تبعاً لأعمال رجالها، وفيهم عدد من أهل مكة، ولكن أكثر اهتمامه بالحوادث السياسية والأعمال الفردية، والفصول التي كتبها عن قريش في أجزائه الأخيرة مقتضبة ومعتمدة على ابن الكلبي، وهي لا تقدم معلومات إضافية.

كتب البدانيين

وقد بحثت عن مكة بعض كتب البلدان وأخصها «المسالك والممالك» للاصطخري الذي نقله مع إضافات قليلة ابن حوقل، و«أحسن التقاسيم» للمقدسي، و«الأعلاق النفسية» لابن رسته، فأما الكتب الثلاثة الأولى فإنها ذكرت نصوصاً عن مكة في القرن الرابع الهجري، وفيها وصف مهم ولكنه مقتضب، أما ابن رسته فقد نقل ما ذكره الأزرقي عن الكعبة والمسجد الحرام.

والمتوقع أن تكون أغزر مادة في الكتب التي اختصت بمكة أو بعض معالمها، وقد ألفت فيها في العهود الإسلامية الأولى كتب كثيرة ذكر ابن النديم عدداً منها.

مؤلفات اختصت بمكة

ذكر ابن النديم عدداً من الكتب عن مكة هي «كتاب مكة والحرم» لأبي عبيدة[1]، و«أخبار مكة» للواقدي[2]، و«كتاب مكة وكتاب بناء الكعبة» للمدائني[3]، و«كتاب مكة» لعمر بن شبه النمري (ت ٢٦٣)[4].

و«كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها» للأزرقي[5]، وكتاب «مكة

---

١ ـ الفهرست ٥٩.

٢ ـ الفهرست ١١١.

٣ ـ الفهرست ١١٧.

٤ ـ الفهرست ١٢٥.

٥ ـ الفهرست ١٢٥.

وأخبارها في الجاهلية والإسلام» للفاكهي[1]، وكتاب «مكة والحرم» لمحمد بن مسعود العياشي[2]، و «أمراء مكة» لعمر بن شبه[3].

وذكر فؤاد سزكين كتاباً عن مكة لابن أبي المساج (تاريخ المدينة ٢٠١).

وستصل بهذا الكتاب «قصة الكعبة» لأبي عبيدة[4]، و«كتاب بناء الكعبة» للمدائني[5]، و«حفر زمزم» لإسحاق بن اسماعيل بن عيسى العطار[6]، و«حفر زمزم لإسحاق بن بشر[7]، وكذلك «فضل مكة على سائر البقاع» لأبي زيد البخن[8]، و«فضل المدينة على مكة» لأبي بكر الأبهري (ت ٣٧٥)[9]

أو ألفت بعد القرن الخامس الهجري، ومما لا يدخل في نطاق بحثنا ونقل السمهودي عن الحكيم الترمذي في نوادره أنه سمع الزبير بن بكار (ت ٢٦٣) يقول: صنف بعض أهل المدينة في المدينة كتاباً، وصنف بعض أهل مكة في مكة كتاباً، فلم يزل كل واحد منها يذكر بقصة بفضيلة يريد كل واحد منها أن يبرز على حاجبه بها حتى برز المدني مع المكي في خله واحدة عجز عنها المكي[10]، إن هذه إشارة التي كتابي في المفاخرات التي يحتوي ما نعرفه من نمطها من المدن الأخرى إنه يحتوي معلومات عن الخطط والمعالم العمرانية والمنتوجات، ولكن لم نجد إشارة إلى كتاب فيه مثل هذا النوع من المادة عن

---

١ ـ الفهرست ١٢٢.

٢ ـ الفهرست ٢٤٥.

٣ ـ الفهرست ١٦٣.

٤ ـ الفهرست ٥٩.

٥ ـ الفهرست ١١٦.

٦ ـ الفهرست ١٥٢.

٧ ـ الفهرست ١١٦.

٨ ـ الفهرست ١٥٣.

٩ ـ الفهرست ٢٥٣.

١٠ ـ وفاء الوفا ٢ / ٢٢.

مكة وإن ما وصلنا من معلومات عن مكة إنما يقتصر على وصف المعالم دون الإشارة إلى المفاخرات.

وذكر السخاوي من الكتب الأولى المؤلفه في تاريخ مكة كتاب كل من أبي الوليد الأزرقي، ومحمد بن إسحاق الفاكهي، وعمر بن شبة، والزبير بن بكار، ثم عدد الكتب التي لخصت كتاب الأزرقي أو ألفت في القرن السادس وما بعده[1].

وفيما عدا كتابي الأزرقي والفاكهي فإن كافة الكتب التي ذكرها ابن النديم والسخاوي مفقودة، والواقع أن بعض هذه الكتب ألفها رجال ذوي مكانة في التأليف التاريخي، ونقلت عنهم الكتب التي وصلتنا معلومات وافيه عن مختلف جوانب التاريخ الإسلامي، غير أنه يصعب تجديد الكتب التي نقلت عنها هذه المعلومات. وجدير بالذكر أن الأزرقي، وهو أوسع الكتب الأولى عن مكة نقل عن الواقدي والمدائني، كما نقل عن غيره، غير أنه لم يذكر منهم شيئاً يتعلق بمعالم مكة العمرانية وتطوراتها السكانية، ولذلك لا يمكن القطع بنطاق ما ذكره وأهميته.

وقد أوردت بعض الكتب نصوصاً لعدد ممن ذكرت المصادرَ تأليفهم كتباً عن مكة، غير أن النقلة يذكرون الأخبار ورواتها دون أن يذكروا أسماء الكتب التي نقلوا عنها.

فأما المدائني فقد نقل عنه وكيع قائمة مقتضبة في أسماء من ولي القضاء بمكة إلى زمن هارون الرشيد وأشار إلى أنه «لم يذكر المدائني غير هؤلاء»[2].

ونقل وكيع عن مصعب الزبيري عدة روايات عن قضاة مكة[3]

١ ـ الاعلان بالتوبيخ «منشور في» علم التاريخ عند المسلمين ٦٤٧.

٢ ـ أخبار القضاة ١ / ٢٦٧.

٣ ـ أخبار القضاة ١ / ٢٦٤ ـ ٢٦٦.

ونقل الفاكهي عن الواقدي أخباراً عن حصار الحصين بن نمير عبدالله بن الزبير[1].

ونقل الفاسي من كتاب «شفاء الغرام» عن الزبير أخباراً عن ولاة مكة[2] وعن قاض في مكة[3] كما نقل عنه في «العقد الثمين أخباراً عن المسجد الحرام، وعن خليل بن حبشية، وعن قصي[4] غير أن أبرز الكتب عن معالم مكة في العهود الإسلامية الأولى هي كتاب كلٍ من عمر بن شبة، والأزرقي والفاكهي.

أخبار مكة لابن شبة

ذكر السخاوي أن كتاب عمر بن شبة في تاريخ مكة (هو على نمط الأزرقي والفاكهي)[5]، وكان هذا الكتاب معروفاً حتى في القرن الثامن الهجري؛ فقد ذكر ابن النديم في كلامه عن نشأة الخط العربي: «قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة وبخطه، أخبرني قوم من علماء مضر»[6]، وذكر السخاوي أن كتاب ابن شبة لم يقف عليه الفاسي، وكتبه صاحبنا ابن فهد بخطه ٣٠٠[7]، ويذكر الفاسي وأظن أني رأيت بخط بعض أصحابنا من حفاظ الحديث أن لعمر بن شبة تأليفاً في أخبار مكة، وأظن كتاب عمر بن شبة في أخبار مكة إن صح ما رأيته من ذلك على نمط تاريخ الأزرقي والفاكهي[8].

وقد نقل البلاذري في أنساب الأشراف نصوصاً عن ابن شبة، بعضها

---

١ ـ شفاء الغرام.

٢ ـ شفاء الغرام ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥.

٣ ـ شفاء الغرام ١٣٤.

٤ ـ العقد، الثمين ١ / ٤٧، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٨، وانظر ١ / ١٣٦.

٥ ـ الإعلان بالتوبيخ ٦٤٧ مطبوع ضمن «علم التاريخ عند المسلمين».

٦ ـ الفهرست ٨.

٧ ـ الإعلان بالتوبيخ ٧٤٧.

٨ ـ العقد الثمين ١ / ١٠.

يتعلق برجال من أهل مكة، غير أنه يصعب الجزم بأنها نقلت من كتاب تاريخ مكة، خاصة وأن البلاذري يقتصر على ذكر أسماء من روى عنهم دون ذكر كتبهم[1].

ونص ابن حجر في «فتح الباري في شرح صحيح البخاري على نقله عن كتاب أخبار مكة لابن شبة من عشرة روايات عن الكعبة في كيفية الصلاة فيها[2] وتكبير الرسول ﷺ عندها[3] وقسمة ما كان فيها من أموال[4]، وحديث نبوي عن تعظيمها[5]، وصورة مريم وفي حجرها عيسى[6] وعن السعي بين إساف ونائله قبل الإسلام[7] كما أشار إلى نقله عن ابن شبة في خبر عن ذي قار[8] وأن المدينة لا يدخلها الدجال ولا الطاعون[9] .

ونقل ابن ظهيرة عن كتاب ابن شبة رواية عن توسيبع عمر بن الخطاب الكعبة[10].

ونقل عن هذا الكتاب العسقلاني في كتاب-«الإصابة».

ونقل ابن ظهيرة عن كتاب ابن شبة رواية عن توسيع عمر بن الخطاب الكعبة[11].

إن المقتطفات القليلة التي وصلتنا من الكتاب تؤيد قول الفاسي أن ابن

---

١ ـ انظر «موارد البلاذري» الدكتور محمد جاسم المشهداني ١ / ٣٠٦ ـ ٣١٤.

٢ ـ فتح الباري ٤ / ٢١٥.

٣ ـ فتح الباري ٤ / ٢١٤.

٤ ـ فتح الباري ٤ / ٢٠١.

٥ ـ فتح الباري ٤ / ١٩٤.

٦ ـ فتح الباري ٩ / ٧٨.

٧ ـ فتح الباري ٤ / ٢٤٦.

٨ ـ فتح الباري ٧ / ٧٣.

٩ ـ فتح الباري ٢ / ٣٠٠.

١٠ ـ ٢٧.

١١ ـ العقد الثمين ١ / ١٩، ٤١١.

شبة بحث في خطط مكة ومعالمها العمرانية، ولعل ما كتبه عن مكة على غرار ما كتبه عن المدينة حيث ذكر خططها وأخبار الحوادث التي مرت بها.

غير أنه لا يمكن الجزم بكل ما بحثه أو ما أضافه على ابن الأزرقي.

وعلى أي حال، فإن كتاب ابن شبة لم يحظى بالعناية التي حظي بها كتاب الأزرقي.

أخبار مكة للفاكهي

والكتاب الثاني المهم في أخبار معالم مكة العمرانية هو الكتاب الذي ألفه أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس المكي المعروف بالفاكهي[1] وقد ذكر الفاسي أنه كان حياً سنة ٢٧٢، وأنه في كتابه عن مكة «روى عن ابن أبي عمر العدلي، وبكر بن خلف، وحسين بن حسن المروزي، وجماعة»، وذكر أن «كتابه في أخبار مكة حسن جداً لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة وفيه غنية عن كتاب الأزرقي، وكتاب الأزرقي لا يغني عنه، لأنه ذكر أشياء حسنة مفيدة جداً لم يفدها الأزرقي»[2].

وذكر أيضاً «لا أعلم أحداً جمع لمكة تاريخاً إلا الأزرقي والفاكهي وشريف يقال له زيد بن هاشم، وذكر أنه لم يطلّع على كتاب زيد بن هاشم، ووصف كتاب الفاكهي» ما أكثر فوائده[3].

وقال إن للأزرقي والفاكهي فضل السبق والتحصيل والتحرير فإن ما ذكراه هو الأصل الذي أبني عليه هذا الكتاب. . . وفي كتاب الفاكهي، وهو محمد بن إسحاق بن العباس المكي أمور كثيرة مفيدة جداً ليست من معنى تأليف الأزرقي، ولا من المعنى الذي ألفناه، وكانا في المائة الثالثة، والفاكهي تأخر عن الأزرقي قليلاً في غالب الظن، ومن عصرهما إلى تاريخنا خمسمائة سنة

---

١ ـ العقد الثمين ١ / ٤١١.

٢ ـ العقد الثمين ١ / ١٩.

٣ ـ شفاء الغرام ١ / ٥٩.

ـو أربعين سنة وأزيد، ولم يصنف بعدهما في المعنى الذي صنفناه فيه ر[1].

إن كتاب الفاكهي منه مخطوطة في ليدن برقم ٩٢٤ تبلغ صفحاتها ٥٤١ ـة، وقيل أن منه نسخة في نجد، ولم أطلع على المخطوطة غير أن وستنفلد ـع من مجموعته عن أخبار مكة مقتطفات منه تبلغ قرابة خمسين صحيفة عما ـرد به عن الأزرقي، وهي تشمل عادات أهل مكة، وأخبار عن حوادث حركة ـ الـزبير، وأسماء بعض من توفي فيها، وولاتها وقضاتها وخص خطط مكة ـالمها العمرانية بخمس صفحات بحث فيها الدور التي تشرع على المسجد ـرام والدور التي تستقبل المسجد الحرام من جوانبه، وحمامات مكة وعددها ـواقعها، والبرك التي عمرت بمكة وتفسير أمرها وفرش الطواف، وقد تم طبعه ـخراً في ستة أجزاء.

ويذكر الفاسي في العقد الثمين معلومات أشار إلى انفراد الفاكهي بها ـم يذكرها الأزرقي ومنها أنه كان بمكة ستة عشر حماماً[2] وتفضيل المعلاة على ـمسفلة، ومعلومات مفيدة عن مخاليف مكة[3] وعن بيع البيوت في مكة زمن ـرسـول ﷺ[4]، وعن اسـطوانة في الكعبة[5] وخبر قفل فيه ألف دينار أهداه ـمعتصم العباس[6] وسيلين أحدهما في سنة ١٢٠ والثاني في سنة ١٦٠[7].

ـ انـظر المقـدمة الضافية التي كتبها رشدي صالح ملحسن لطبعته التي اعتمدنا لكتاب ـزرقي وانظر: سزكين: تاريخ التراث العربي ٣ / ٢٠٧.

ـقال يوهان فوك في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية، والمقال الذي كتبه فوك ـضاً في الكتاب المهدي لديلا فيدا.

ـ العقد الثمين ١ / ٢٩.

ـ العقد الثمين ١ / ٣٠.

ـ العقد الثمين ١ / ٣٣.

ـ العقد الثمين ١ / ٥٠.

ـ العقد الثمين ١ / ٥٦.

ـ العقد الثمين ١ / ٢٠٦.

كما ذكر أخباراً تدل على أن المقام كان عند الكعبة[1]، وأن الخليل حفر زمزم بعد جبريل[2]، وأسماء كثيرة لزمزم[3]، وخبر يقتضي أن الكبش نحر بين الحجرين[4] وأخبار تتعلق بالعماليق[5] ، والأرحية في مكة[6] .

وفي المقتطفات التي نشرها وستنفلد من كتاب شفاء الغرام

ومـا يظهـر أن الفـاكهي خصص فصلاً للحكام من قريش ولولاتها في القرنين الأول والثاني، وأشار إلى تحديد العمران في مكة، فذكر حل يقتضي أن النـاس كانـوا في العهـود الأولى لا يتجاوزون في السكنى البير التي عند المسجد الذي بأعلى مكة عند الردم الأعلى، وأن آخر البيوت عند ذلك الردم .

ذكر تحصيب المسجد الحرام وأخذ الحصاه منه

حدثنا عبدالجبار بن العلاء قال حدثنا بشر بن السري عن يعقوب بن عطاء أنـه سمـع عطاء يكـره أن يحصب المسجـد الحرام من غير حصباء الحرم، حدثني أبو بشر قال حدثنا سعيد بن أبي الحكم عن عبدالله بن بكر بن عبدالله المزني قال خرجت من المسجد وفي كمّي حصاة فقال إني أردها إلى المسجد، حدثنا أبو بشر قال حدثنا المعتمر عن ليث عن مجاهد قال: إن الحصاة إذا خرج بها من المسجد لتصبح وكان المسجد الحرام يحصب في كل سنة بأربعمائة ديناراً وأقل فيما مضى حتى كان زمن فتنة إسماعيل بن يوسف الطالبي في سنة إحدى وخمسين ومائتين فقطع ذلك عنه زماناً حتى قدم بشر الخادم في سنة ست

---

١ - العقد الثمين ١ / ٧٨ .

٢ - العقد الثمين ١ / ٩٢ .

٣ - العقد الثمين ١ / ٩٢ .

٤ - العقد الثمين ١ / ٩٥ .

٥ - العقد الثمين ١ / ١٣٠ .

٦ - العقد الثمين ١ / ١٣٤ .

وخمسين ومائتين فحصبه فكان فيه ذلك الحصباء حتى كان سنة اثنتين وستين ومائتين فجاء سيل عظيم فذهب بالحصباء منه حتى عري من الحصباء فحصبه محمد بن أحمد بن سهل اللطفي وكان له جمال بمكة فبعث بها إلى موضع يقال له على فحملت الحصباء وحصبه به فهو فيه إلى اليوم.

ذكر عدد المنارات التي على رؤوس الجبال بمكة

- وكان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رؤوس الجبال وإنما كان الأذان في المسجد الحرام وحده فكان الناس تفوتهم الصلاة من كان منهم في فجاج مكة وغائباً عن المسجد حتى كان في زمن أمير المؤمنين هارون فقدم عبدالله بن مالك أو غيره من نظرائه مكة ففاتته الصلاة ولم يسمع الأذان فأمر أن تتخذ على رؤوس الجبال منارات تشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلاة وأجرى على المؤذنين في ذلك أرزاقاً، فلعبدالله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس المشرف على المسجد الحرام منارة على القلّة بعينها، ومنارة أخرى بحذاها مشرفة على أجياد، ومنارة إلى جنب منارة التي على القلة، وأخرى تحتها فتلك أربع منارات ولعبدالله بن مالك أيضاً منارة على جبل مرازم المشرف على شعب ابن عامر وجبل الأعرج، ثم أمر بغا مولى أمير المؤمنين الذي يكنى بأبي موسى منارة على رأس الفلق فبنيت له، ولعبدالله بن مالك منارة تشرف على المجزرة، وله هناك منارتان على جبل تفاحه، ولعبدالله منارة على رأس الأحمر بناها على موضع منه يقال له الكبش مرتفع على جبل الأحمر، ولعبدالله بن مالك منارة على جبل خليفه بن عمر البكري، ومعها مناره لبغا أيضاً، ولعبدالله على كذا منارة تشرف على وادي مكة، ولبغا منارة على جبل المقبرة، وله أيضاً منارة على جبل الحزوره، وله منارتان على جبل عمر بن الخطاب، وعلى جبل الأنصاب الذي يلي أجياد منارة، وله منارة على ثنية أم الحارث على الحصحاص، ولبغا منارة على جبل معدان مشرفه على حايط خرمان، وله أيضاً منارة تشرف على الخضراء وبير ميمون، ولبغا أيضاً منارة بمنى عند مسجد الكبش، فكانت هذه المنارات عليها قوم يؤذنون فيها للصلوات وتجري عليهم الأرزاق في كل شهر ثم قطع ذلك عنهم، فترك ذلك بعدهم وبقي

منهـا منـارات يؤذن عليهـا، يجـري على من يؤذن فيها عبدالعزيز بن عبدالله الهاشمي اليوم.

ذكر الدور التي تشرع على المسجد الحرام

فمنها دار أمير المؤمنين التي عند باب بني عبد شمس، فيها فتح في دار عيسى بن علي يرى منه الكعبة من قام على المروة، ثم دار الفضل بن الربيع في الشق الشامي، ثم دار الندوة في دبرها طريق يخرج منه إلى السويقة، وهي اليوم لأبي أحمد الموفق بالله أخي أمير المؤمنين يسلمها له الحارث بن عيسى، ثم دار العجله بينها وبين دار الندوة الباب الذي يخرج منه إلى قيقعان وكانت لأمير المؤمنين المهدي وكان إلى جنبها دار لبكار بن رباح، حدثنا الزبير بن أبي بكر وسمعته منه يحدث به قال حدثني بكار بن رباح مولى الأخنس بن شريق قال أرسل إلى أمير المؤمنين المهدي فسامني بمنزلي إلى جنب دار العجلة، وأراد أن يدخله في دار العجلة فأعـطاني به أربعة آلاف دينار، فقلت له: ما كنت لأبيع جوار أمير المؤمنين، فقال: أعطوه أربعة آلاف دينار ودعوا له منزله، ثم صارت دار العجلة اليوم لأمير المؤمنين جعفـر المتوكل على الله، وفي الشق الغربي دار زبيدة الكبيرة التي بنتها، ثم دار جعفر بن يحيى بن خالد صارت بعد ذلك لزبيدة، وليس في الشق الذي يلي الوادي شيء إلا دار القوارير التي بناها حماد البربري لأمير المؤمنين هارون ثم صارت اليوم لموسى بن بغا قبضها له إسحاق بن محمد الجعفري وهو والي المدينة.

ذكر الدور التي تستقبل المسجد الحرام من جوانبه

خارجاً في الوادي ولا تلزق به، وتفسير ذلك فمنها مما يلي الشام دار شيبة ابن عثمان وخزانة الكعبة تحتها وهي إلى جنب دار الإمارة ثم دار الفضل بن الربيع وهي اليوم في الصوافي عند دار حجير بن أبي إهاب، ودار صاحب البريد التي يسكن أصحاب البرد بمكة، ودار مسرور خادم زبيدة، وذلك كله في الجانب الشامي، ومن الجانب الغربي دار إسحاق بن إبراهيم كانت لعبيدالله بن الحسن ثم صارت لإسحاق بن إبراهيم وهي اليوم لعلي بن جعفر البرمكي، ودار عمرو

ابن العاص ودار ابن عبد الرزاق الجمحي، ومن الجانب اليماني دار عمرو بن عثمان التي تستقبل باب الخناطين، وإلى جانبها دار ابن بزيع ودار سعيد بن مسلم الباهلي، ودار بنت الأشعث عند التمارين، ودار إبراهيم بن مدبر الكاتب، ودار عيسى بن محمد المخزومي عند فم خط الحزامية، خربها ابن أبي الساج، فهي خراب إلى اليوم، ثم دار المعبدي على فوه أجياد الكبير صارت لمحمد بن أحمد بن سهيل اليوم فأخرجها الحناطون والجزارون في أيام الفتنه فيهم وكانت قبل ذلك لجعفر بن خالد بن برمك، ومن الجانب الشرقي دار عيسى بن موسى كان سفيان بن عيينه يسكن فيها ثم صارت متوضيات لزبيدة إلى اليوم، وإلى جانبها دار لبعص ولد محمد بن عبدالرحمن عند أصحاب الصابون، ودار أبي عزارة ومحمد بن إبراهيم المليكين وهي بقية الدار التي فيها حلف الفضول وهي اليوم لصاعد بن مخلد، ودار عباس بن محمد المشرفة على باب أجياد الصغيرة، ثم دار يحيى بن خالد بن برمك وتعرف اليوم بأبي أحمد بن الرشيد، ثم دار شقيفه فيها البزازون وبين يديها الصيارفه، ثم دار المطلب بن حنطب التي باعتها أم عيسى بنت سهل بن عبدالعزى بن المطلب المخزومية من محمد ابن داود فبناها ثم صارت لابنه عبدالله بن محمد بن داود وبه تعرف شارعة على الصفا والوادي، ثم دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي دبر دار أحمد بن إسماعيل بن علي على الصفا ثم دار صبية مولاة العباسية، ثم دار الخيزران لولد موسى أمير المؤمنين، وهي اليوم أو بعضها لأبي عمارة بن أبي مسرة، ودار القاضي محمد بن عبدالرحمن السفياني مشرعة على منارة المسجد والوادي، ثم دار عباد بن جعفر عند العلم الأخضر ودار يحيى بن خالد بن برمك تشرف على سوق الليل والوادي يقال أنه اشتراها بثمانين ألفاً وأنفق عليها عشرون ومائة ألف دينار، ثم هي اليوم في يد ورثة وصيف، ودار موسى بن عيسى في أصلها الميل الأخضر وهو علم المسعى، ثم دار جعفر بن سليمان عند زقاق العطارين ودار الأزهريين ودار أمير المؤمنين التي بناها حماد البربري على الصيادلة فاحترقت ثم صارت اليوم لأبي عيسى بن المتوكل، ثم دار الفضل بن الربيع بناها وأراد أن يسويها بدار ابن علقمة فمنع من ذلك فجعل أسطوانة في ركن

الدار مما يلي دار ابن علقمة، فيقال إن أمير المؤمنين قال له حين رآها ما أشبه دارك هذه بعجوز تمشي على عكّاز، ثم دار نافع بن علقمة الكناني كان أمير المؤمنين قبضها ثم ردّها عليهم وقال بعض المكيين كان لآل طلحة بن عبيدالله فيها شيء فأخذه نافع بن علقمة منهم في ولايته على مكة، وتقابلها دار عيسى ابن علي والى جانب دار عيسى بن علي منزل أبي غبشان الخزاعي بين دار عيسى بن علي وبين دار عيسى بن جعفر التي فيها الحذاؤون وهي اليوم بيد ورثة أحمد المولد، بينها وبين دار الإمارة طريق إلى السويقة وما ناحاها.

ودار أحمد بن سهل إلى جنب دار ابن علقمة، وهي من الدور التي قال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ذكر الحمامات بمكة وعددها

وعدد الحمامات بمكة ستة عشر حماماً كان منها حمام في دار الوادي فخرب وذهب، وحمام أسفل منه إلى جنب زقاق الخيبريين شارعاً على الوادي، وحمام علي بن عيسى عند دار الحمام، وفي شعب ابن عامر حمامان، أحدهما لابن أخي أبي خراسان، وحمام ابن عمران العطار في زقاق جندر، وحمام أحمد بن سهل في دار عباس قبالة دار السعديين، وحمام الخويطبيين عند دارهم في زقاق هنالك، وحمام معمر الحرس عند دار السلماني عند سوق الفاكهة، وحمام ابن حنظلة المخزومي إلى جنبه عند دار الطلحيين، وبأجياد ثلاثة حمامات، حمام عند دار شركاء، وحمام عند دار دانق، وحمام عند السواقين كان لعبدالرحمن بن هارون، وحمام الحنطي في زقاق التمارين وحمام ابن يحيى المروزي شارع على فوهة ردم بني جمح، وحمام في سوق الدجاج عند أصحاب الدجاج عند أصحاب النورة، ويقال أن في دار ابن داود التي على الصفا حمام، حدثنا محمد بن منصور الجزّار قال حدثنا سفيان بن عيينه عن ابن طاوس عن أبيه قال رسول الله ﷺ **«اتقوا بيتاً يقال له الحمام»**قالوا يا رسول الله إنه ينقي الوسخ والأذاء، قال ﷺ **«فإذا دخله أحدكم فليستتر»**.

ذكر البرك التي عمرت بمكة وتفسير أمرها

زاد الفاكهي فيما ذكر الأزرقي في البرك في صحيفة. قال: فكان ذلك السرب الرصاص على حاله، حتى قدم بشر الخادم مولى أمير المؤمنين في سنة ست وخمسين ومائتين فعمل القبة التي إلى جانب بيت الشراب، وأخرج قصب خالد هذه التي من رصاص التي كان عملها لسليمان بن عبدالملك، فأصلحه وجعله في سرب الفوارة التي يخرج الماء منها من حياض زمزم تصب في هذه البركة، وقد فسرنا عملها في موضعها، وقد كان أهل مكة فيما مضى قد ضاقوا من الماء ضيقاً شديداً حتى كانت الراوية تبلغ في الموسم عشرين درهماً أو أكثر وفي ساير السنة نصف دينار وثلث دينار ونحو ذلك فأقاموا بذلك حيناً، حتى أمر أمير المؤمنين هارون بعيون معاوية بن أبي سفيان الدواثر، فعملت وجمعت وصرفت في عين واحدة يقال لها الرشا، وتسكب في الماحلين اللذين أحدثهما هارون أمير المؤمنين ويعرفان اليوم بماحلي هارون بالمعلاة ثم تسكب في البركة التي عند باب المسجد الحرام فتوسع الناس في ذلك بعض السعة وكانوا إذا انقطع من هذه العيون شيء في شدة من الماء، فبلغ ذلك أم جعفر زبيدة بنت ابني الفضل جعفر بن أمير المؤمنين وقيل لها أن أهل مكة في ضيق من الماء وشدة فأمرت بعمل بركتها هذه التي بمكة فأجرت لها عيناً من الحرم فجرت بماء قليل لم يكن فيه ري لأهل مكة ولا فضل، وقد غرمت في ذلك غرماً كثيراً فبلغها ذلك فأمرت المهندسين أن يجروا لها عيوناً من الحل، وكان الناس يقولون أنه لا يدخل ماء الحلّ إلى الحرم، لأنه يمر على عقاب وظراب وجبال، فأرسلت بأموال عظام، ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجدوا فيها فساداً فأنشأت عيناً أخرى إلى جنبها وأبطلت تلك العين فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون من العمل، وعظمت نيتها في ذلك، فلم تزل العمال يعملون حتى بلغوا ثنية خل، فإذا الماء لا يظهر على ذلك الجبل إلا بعمل شديد وغرم فظيع وضرب في الجبل، فأمرت بالجبل فضرب فيه بالزبر، وأنفقت في ذلك من الأموال ما لم يكن تطيب به نفس أحد، حتى أجراها الله تعالى، وأجرت فيها عيوناً من الحلّ منها عين متن المشاش واتخذت لها بركاً تكون السيول إذا جاءت تجتمع فيها.

تاريخ مكة للأزرقي

كتاب الأزرقي له في تاريخ المعالم العمرانية في مكة مكانة متميزة، أشار إليها عدد من الباحثين، ولخصه أو نقل عنه عدد كبير من المؤلفين.

فأما عن مكانة الكتاب، فإن الفاسي يقول، وللإمام الأزرقي والفاكهي فضل السبق والتحرير والتحصيل، فإن ما ذكراه هو الأصل الذي انبنى عليه هذا الكتاب، وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقي التأليف على منوال تاريخه، ومن تركهم تأليفاً لتاريخ مكة يحتوي على معرفة أعيانها من أهلها، وغيرهم من ولاتها، وأئمتها، وقضاتها، وخطبائها وعلمائها، كما صنع فضلاء غيرها من البلاد. . ومن عصرهما إلى تاريخه خمسمائة سنة ونحو أربعين سنة، ولم يضف بعدهما في المعنى الذي ضفناه أحد[1]، وقال أيضاً لا أعلم أحداً جمع لمكة تاريخاً إلا الأزرقي والفاكهي وشريف يقال له زيد بن هاشم، وذكر أنه لم يطلع على كتاب زيد[2].

وقال السمعاني: (أن الوليد «صاحب كتاب أخبار مكة وقد أحسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الإحسان)[3]، وقال حاجي خليفة: (أن الأزرقي أول من ألف في تواريخ مكة)[4].

وقال بروكلمان: (أن الأزرقي أول من جمع الأخبار المأثورة عن تاريخ مكة القديم)[5].

أشار بعض الباحثين إلى عدم استيعاب الأزرقي في كتابه كافة المعالم العمرانية، فقال الفاسي: (في كتاب الفاكهي ومحمد بن إسحاق بن العباس المكي أمور كثيرة مفيدة جداً، ليست من معنى تأليف الأزرقي، ولا من المعنى

---

١ ـ الفاسي ٢ / ٦٦ (طبعة وستنفلد)، علم التاريخ عن المسلمين لروزنتال ٢٢٧.

٢ ـ العقد الثمين ١ / ٩.

٣ ـ الأنساب ١ / ٤٦ طبعة حيدر اباد.

٤ ـ كشف الظنون ١ / ٣٠٦.

٥ ـ تاريخ الأدب العربي ٣ / ٢٢.

الذي ألفناه، وكانا في المائة الثالثة، والفاكهي تأخر عن الأزرقي قليلاً في غالب الظن).

وقال: (إن عزم علي أن يضم إلى ما ذكره تاريخ الأزرقي أموراً كثيرة مفيدة لم يذكرها الأزرقي، بعضها مما عنى جمعه، وبعضها مما لم يصل به، ضمن الأول أحاديث نبوية، وآثار عن الصحابة والسلف، وأخبار جاهلية لها تعلق بمكة وأهلها وملوكها وغير ذلك)[1].

وقال أيضاً: (لم يعن الأزرقي بجمع ولاة مكة في الإسلام، وإن الأزرقي والفاكهي لم يعنيا إلا في أخبار الكعبة والمسجد وشبة ذلك)[2].

ومن مظاهر أهميته ودلالة مكانته عناية العلماء به واعتمادهم عليه.

فكان كتاب عمر بن شبة في تاريخ مكة على نمط كتابي الأزرقي والفاكهي.

فقد ألف محمد بن سعيد الجندي (   ) كتاب «فضائل مكة» على نمط كتاب الأزرقي والفاكهي[3].

وألف رزين العبدري إمام المالكية بالحرم (ت ٥٢٥) كتاب في أخبار مكة رآه الفاسي وقال أنه ملخص من كتاب الأزرقي[4].

وألف سعدالله بن عمر الاسفراييني في سنة ٧٦٢ (زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال) في فضائل مكة والمدينة، اختصره من تاريخ الأزرقي كما ذكره في خطة كتابه[5].

---

١ ـ الفاسي ٢ / ٦٦ طبعة وستنفلد، علم التاريخ عند المسلمين ٢٢٦.

٢ ـ العقد الثمين ١ / ٨٠.

٣ ـ الفاسي ١٠٨، السخاوي ٦٤٧.

٤ ـ العقد الثمين ٤ / ٣٩٨، السخاوي ٦٤٧ (وسماه رزين بن معاوية السرقسطي).

٥ ـ السخاوي ٦٤٧.

كما لخصه يحيى بن محمد الكرماني ومنه نسخة في برلين رقم ٩٧٥٢ ونظمه الأرمانتي[١].

وأسهم في دراسته عدد من المحدثين ومنهم من الأعاجم كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي[٢] والأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي»[٣]، وبوهان فوك في المقال الذي كتبه في كتاب المهدي لديللا فيدا، وفي مقاله في دائرة المعارف الإسلامية، كما تطرق إلى بحثه روزنثال في كتابه: «علم التاريخ عند المسلمين»، وكتب رشدي صالح ملحس مقدمة ضافية عن الأزرقي في مقدمة نشره الكتاب.

إن كتاب الأزرقي بصورته الحالية، وصلنا بإعداد أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، وبرواية أبي محمد ابن إسحاق الخزاعي.

والقسم الأكبر من الكتاب من إعداد أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي المنحدر من الأزرق، الذي ذكر ابن سعد أنه: «كان رومياً حداداً غلاماً للحارث ابن كلدة الثقفي، وهو ممن خرج يوم الطائف إلى النبي ﷺ مع عبيد أهل الطائف، ومنهم أبو بكره أخو عمار لأمه وأعتقهم الرسول»[٤]، وتزوج عمار ثم الأزرق.

ويروي الأزرقي: (أن الرسول ﷺ كتب لجدهم كتاباً يبيح لهم التزوج في أي قبائل قريش وولده، وإنهم احتفظوا بالكتاب إلى أن تلف في سيل الجحاف سنة ٨١[٥].

---

١ - مقدمة رشدي ملحس لكتاب تاريخ مكة.

٢ - ٣ / ٢٢.　　　　٣ - ٣ / ٢٠٢.

٤ - ابن سعد ٣ - ١ / ١٧٦، أنساب الأشراف للبلاذري ١ / ١٥٧ (عن ابن سعد عن ابن الكلبي) وذكر المنمق ٣١٢، ٣٠٢، ويذكر البلاذري أن سمية هي أم زياد (أنساب الأشراف ١ / ٨٩).

٥ - تاريخ مكة ٢ / ٢٠٠.

ونسب إلى الأزرق أنه قال للرسول ﷺ قدمت من الشام وبها أهلي وعشيرتي.

ويذكر ابن سعد أن بني الأزرق كانوا في أول أمرهم يدعون أنهم من تغلب، ثم من بني كعب، ثم تزوج جبير بن مطعم إحدى بنات الأزرق، فولدت له بنية تزوجها سعيد بن العاص فولدت له عبدالله بن سعيد[1].

ويذكر محمد بن حبيب أن الأزرق تزوج سمية بنت خياط أمة أبي حذيفة بن المغيره بن عبدالله المخزومي، فولدت له عمرو وسلمة، ويذكر أيضاً أن سلمة تزوج آمنة بنت عفان أخت عثمان[2]، ويذكر ابن سعد أن الأزرق ولد له سلمة، وعمرو، وعقبة[3].

ويذكر ابن سعد أن الأزرق كان حليف بني أمية، وأنهم شرفوا في مكة، وتزوج الأزرق وولده في بني أمية، وكان لهم منهم أولاد، ثم أفسدتهم خزاعة ودعوهم إلى اليمن وزينوا لهم ذلك، وقالوا: أنتم لا يغسل عنكم ذكر الروم إلا أن تدعوا أنكم من غسان فانتموا إلى غسان بعد[4].

وذكر النسابون نسب الأزرق أنه: ابن عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وهو ما ذكره في كتابه، وكانت للأزرق دار إلى جنب المسجد، جدرها وجدر المسجد واحد، وكان وجهها شارعاً، على باب بني شيبة، وكان عقبة بن الأزرق يضع على جدرها مما يلي الكعبة مصباحاً عظيماً، فكان أول من استصبح لأهل الطواف[5].

وقد دخل بعضها في توسيع ابن الزبير المسجد، ودخل بقيتها فيه عند

---

١ - ابن سعد ٣ - ١ / ١٧٦.

٢ - المنمق ٣١٢، ويلاحظ أن مصعب الزبيري لا يذكر ذلك وإنما يقول أن امنه تزوجت عبدالله بن أبي سعد (نسب قريش).

٣ - ابن سعد ٣ - ١ / ١٧٦، أنساب الأشراف ١ / ١٥٧.

٤ - ابن سعد ٣ - ١ / ١٧٦.

٥ - تاريخ مكة ٢ / ١٨٧، ٢٠١.

توسيع المهـدي، ودفـع كل منهمـا بضعـة عشـر ألف دينار للأزرق وتعويضاً عنها[1]، مما يدل على فخامتها، وكانت لهم دار عند المروة، إلى جنب دار طلحة[2]، ثم صارت لابن سلمة الأزرق دار إلى جنب دار بني مرحب، وهي قبالة دار حويطب بن عبدالعزى[3]، وفخامة هذه الدور تدل على غناهم ومالهم من ثروة لم تذكر المصادر كيف حصلوا عليها، علماً بأنه لم يذكر عن أحدهم تولي أي منصب إداري أو امتلاكه مزارع، ودور في الأحداث.

أما أبو الوليد، فهو أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبه بن الأزرق، فكان موثقاً عند علماء الحديث، قال عنه ابن سعد أنه: (ثقة كثير الحديث)[4]، وقال أبو حاتم وأبو عوانة أنه: ثقة، وقال الربيع أنه: كان أحد أوصياء الشافعي[5].

وروى عنـه مالـك والشافعي وعمـرو بن يحيى السعـدي وابن عيينـة والبخاري، وأبو حاتم.

واختلف في تاريخ وفاته، فذكر ابن حبان والسمعاني أنه توفي سنة ٢١٢، وقال أبو حاتم، وعوانة أنه كان حياً سنة ٢١٧[6] ونقل الذهبي عن الحاكم أنه توفي سنة ٢٢٢[7].

أما محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد فقد ذكر الفاسي أنه مؤلف أخبار مكة، حدث عن جماعة، وذكر أنه في الخطط أن لا القصر المسمى ستر والستار في الجاهلية صار المنتصر أمير المؤمنين، أي إنه كان حياً في ذلك التاريخ،

---

١ - تاريخ مكة ٢ / ١٩٩.

٢ - تاريخ مكة ٢ / ٢٠١.

٣ - تاريخ مكة ٢ / ٢٠٨.

٤ - ابن سعد ٥ / ٣٦٧.

٥ - تهذيب التهذيب ١ / ٧٩.

٦ - الأنساب للسمعاني ١ / ٤٦ (طبعه حيدر آباد).

٧ - تهذيب التهذيب ١ / ٧٩.

وأظهر عجبه من عدم عناية الباحثين بترجمة حياته[1].

طبع وستنفلد تاريخ مكة على عدة نسخ، ثم أعاد طبعه رشدي صالح ملحس على طبعة وستنفلد وثلاث مخطوطات أخرى، كلها برواية أبي محمد إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي، رواها عن عم أبيه أبي الحسن محمد بن نافع الخزاعي المتوفى بعد سنة ٣٥٠، ويتبين منها أن أبا محمد الخزاعي أضاف إليها نصوصاً عن غربي المسجد سنة ٢٨١[2].

وعن دار الندوة في زمن المعتضد[3]، وأبياتاً لشاعر في جراء[4].

وأضاف أبو الحسن إليه خبراً عن إضافة المقتدر جدار دار الندوة[5].

وأبـو محمد إسحاق هو ابن أحمد بن إسحاق بن نافع بن أبي بكر بن يوسف بن عبدالله بن نافع بن الحارث الخزاعي، وكان نافع قد ولي مكة لعمر ابن الخطاب[6] واشترى لعمر دار السجن في مكة[7].

أمـا أبو محمد إسحق، فكان من كبار أهل القرآن وأحد فصحاء مكة، ويذكر ابن الجزري أنه كان إماماً في قراءه المكيين ثقة ضابطاً حجة.

وذكـر عدداً من شيوخه ومن قرأ عليه من البارزين في علم القراءات، وتوفي في الثامن من رمضان سنة ٣٠٨[8].

أما محمد بن نافع بن أحمد بن إسحاق فيذكر الفاسي أنه حدث عن عمه

---

١ ـ العقد الثمين ٢ / ٢٠٦.
٢ ـ تاريخ مكة ٢ / ٧١.
٣ ـ تاريخ مكة ٢ / ٨٧ ـ ٩١، ٢٠٤.
٤ ـ تاريخ مكة ٢ / ١٣٣.
٥ ـ تاريخ مكة ٢/ ٩٠.
٦ ـ تاريخ مكة ١ / ١١٤، ١٢٢.
٧ ـ تاريخ مكة ٢ / ١٣٣، ٢١٣.
٨ ـ العقد الثمين ٣ / ٤١٨، غاية النهاية لابن الجزري ١ / ١٥٦.

إسحاق بن أحمد الخزاعي بتاريخ مكة للأزرقي، وله عليه حاشيتان تتعلقان بزيادة دار الندوة وزيادة باب إبراهيم، ونقل عن تاريخ المسيحي كان فيمن دخل الكعبة وشاهد الحجر الأسود فيها عندما عمل له الحجبة طوقاً يشد به، بعد إتيان القرامطة به إلى مكة في سنة ٣٤٠، وكان رده في موضعه يوم البحر سنة ١٣٩، وكان محمد بن نافع هذا حياً سنة ٣٥٠ وله تأليف في فضائل مكة(١).

ويذكر ياقوت أن سعيد بن عثمان البلدي الأندلسي قرأ في مكة على أبي الحسن محمد بن رافع الخزاعي فضائل مكة من تأليفه وذلك في سنة ٣٥١(٢).

إن عنوان الأزرقي: «أخبار مكة» وما جاء من الآثار فهو يعنى بالدرجة الأولى بالمعالم العمرانية فيها فيبحث التاريخ الموغل في القدم للبيت الحرام، وبزوال إبراهيم الخليل مكة، وبنائه البيت، وما طرأ على مكة بعده من تبدلات، والأصنام فيها، ثم تحدث بالتفصيل عن الكعبة عند ظهور الإسلام وبنائها وكسوتها وذرعها، والحجر الأسود، والطواف، والمقام، وزمزم، والمسجد الحرام، والصفا والمروة، وحدود الحرم، ومنى وعرفة، والآبار والعيون، ثم ختمها بفصل طويل عن الرباع.

وبحثه عن الكعبة والمسجد الحرام والأماكن التي تتم فيها مناسك الحج مستوعبة لا يدانيها بحث آخر. ولذلك كانت معتمد الباحثين من بعده، فنقلوا بعض ما ذكر مع إضافات لبعض التطورات التي استجدت بحثه.

وأولى عناية خاصة بتدقيق الأبعاد والمسافات والقياسات وبوصف الأبنية المعمارية وتزويقها، وأسماء معمارييها أحياناً، ومعلوماته في ذلك جديرة بدراسة لم تحظ بها ممن كتب في الآثار الإسلامية من المحدثين العرب والغربيين.

غير أنه لا يبحث في تاريخ الحوادث التي مرت فيها أو أسهم أهلها فيها، كما أنه لا يبحث عن رجالها أو ولاتها أو قضاتها أو من عمل في إدارتها، إلا ما

---

١ ـ العقد الثمين ٢ / ١٧٨.

٢ ـ ياقوت ١ / ٧١٨.

يذكره عرضاً لعلاقته بالمعالم.

وهو لا يذكر عشائر مكة، ولا الحوادث المتصلة بحياة الرسول ﷺ في مكة إلا عرضاً، علماً بأن أحداثاً مهمة جرت فيها كحرب الفجار وحلف الفضول والدعوة الإسلامية في سنواتها الأولى، وفتح مكة، وحجة الوداع، ثم حركة ابن الزبير، وحركة الحسين الطالبي، كما أنه لا يذكر التطورات الاجتماعية والاقتصادية ولا يشير إلى أحكام فقهية، وإن كان يذكر ممارسات شخصيات بارزة تتعلق بالحج، وهي تشمل علماء، ورجال إدارة، وخلفاء، ويولي الأمويين اهتماماً فيذكر كثيراً من أعمالهم.

وبحثه عن رباع مكة رغم طوله، شمل رباع عدد من الأسر أو البارزين من رجالها عند ظهور الإسلام وبعده، ولم يعن بذكر خطط العشائر وتطورها، كما أنه أغفل عدداً من المعالم التي أكملها الفاكهي في كتابه، وبحثه عن الرباع فيه معلومات من عدد كبير من الدور والبيوت، ولكنه لا يعطي فكرة شاملة عن سعة عمران مكة وشكله وتطوره.

والنسخة التي طبعها رشدي الصالح ملحس معتمدة على طبعة وستنفلد التي اعتمد فيها على ثلاث نسخ، وأضاف ملحس مقارنتها بثلاث مخطوطات كلها برواية أبي محمد إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي الذي رواها عنه عم أبيه أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي الذي توفي سنة ٣٥٠.

وأبو محمد إسحاق الخزاعي كان فيما وصفه الفاسي كان من كبار أهل القرآن، وأحد فصحاء مكة، وكان ثقة حجة رفيع الذكاء، وتوفي سنة ٣٠٨ وهو من نسل نافع بن الحارث الخزاعي الذي كان والياً على مكة في زمن خلافة عمر ابن الخطاب، واشترى له من صفوان بن أمية دار السجن في مكة.

أضاف أبو محمد الخزاعي إلى الكتاب إضافات نص عليها وهي عن غربي المسجد سنة ٢٨١ (٢ / ٧١) وعن دار الندوة إلى زمن المعتضد (٢ / ٨٧ - ٩١، ٢٠٤) وعن إضافة المقتدر لدار الندوة (٢ / ٩٠) وعن أبيات لشاعر في حراء (٢ / ٢٣٣).

الكعبة والمسجد الحرام

يرجع قسط كبير من مكانة مكة قبل الإسلام وبعده إلى أنه كانت فيها الكعبة التي ذكرها القرآن الكريم بنصها **﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾** (المائدة ٩٧)، وذكرها باسم البيت الحرام (المائدة ٩٧)، والبيت المحرم (إبراهيم ٣٧) والبيت العتيق (الحج ٣٣) والبيت المعمور (الطور ٤) وأشار إلى أنها بيت الله (إبراهيم ٣٧ البقرة ١٢٥، الحج ٢٦ وذكره «البيت» (البقرة ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، آل عمران ٩٦، ٩٧، الأنفال ٣٥، الحج ٢٦، قريش ٣).

وأشار إلى قدمه **﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾** (آل عمران ٩٦).

وذكر بعض الرواة أن قدسيته موغلة في القدم، غير أن كافة الروايات تجمع على أن إبراهيم كان له دور كبير في تثبيت مكانته، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾** (البقرة ١٢٧)، **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾** (الحج ٢٦) وبـ **﴿إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾** (إبراهيم ١٣٧).

وذكر القرآن الكريم الحج إلى البيت (البقرة ١٥٨) آل عمران ٩٧ المائدة ٢، ٩٧، الحج ٣٣.

وموضع الكعبة في الأصل قبل أن يشيدها إبراهيم الخليل كان «أكمة حمراء مدورة لا تعلوها السيول» يحج إليها الناس ويأتيها المظلوم والمتعوذ، يدعو عندها «وقل من دعا هناك إلا استجيب دعاؤه»[1].

ثم إن إبراهيم بنى البيت، ويروى عن ابن عباس أن إبراهيم وابنه ما بنياه بقصة ولا مدر، ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه، ولكنهما أعلماه

---

١ ـ ١/ ١٨، ٢٠، ٢٥.

فطافا به[1]، غير أن روايات أخرى تذكر أنه بناه من حجارة جلبها من بعض جبال مكة[2].

وجعل طوله في السماء تسعة أذرع، وعرضه من الأرض ٣٢ ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشامي الذي عند الحجر من وجهه.

وجعل عرض ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي فيه الحجر ٢٢ ذراعاً.

وجعل طول ظهرها من الركن الغربي إلى الركن اليماني ٣١ ذراعاً.

وجعل عرض شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني ٢٠ ذراعاً فلذلك سميت الكعبة لأنها على خلقة المكعب.

وجعل بابها بالأرض غير مبوب، حتى كان تبع أسعد الحميري، هو الذي جعل لها باباً، وغلقاً فارسياً، وكساها كسوة تامة ونحر عندها[3].

لم يبن إبراهيم الخليل الكعبة بمدر، وإنما رضمها رضماً[4]، ولم يسقفها[5] وكان بابها من الأرض[6] وكانت الكسوة تدلى على الجدر من الخارج وتربط من أعلى الجدر ومن بطنها وظلت كذلك إلى أن أعادت قريش بناءها[7].

وحفر إبراهيم في بطن الكعبة على يمين من دخلها جباً[8] عمقه ثلاثة

---

١ ـ ١ / ٢٥.

٢ ـ ١ / ٢٣، ٢٥، ٢٦، ١٠٠.

٣ ـ ١ / ٢٧، وانظر عن الباب ١ / ١٠٠.

٤ ـ ١ / ٢٨، ٩٩، ١٠٠.

٥ ـ ١ / ٤٤، ١٠٠.

٦ ـ ١ / ١٠٠.

٧ ـ ١ / ١٠٩.

٨ ـ ١ / ٢٧، ٦٧.

أذرع، ويسمى الأخسف[1]، يكون خزانة للبيت يلقى فيه مما يهدى[2]، وقد نصب عمرو بن لحي عند البئر هبل[3].

وكان في بطن الكعبة قرنا الكبش الذي ذبحه إبراهيم الخليل، معلقان في بطنها بالجدر تلقاء من دخلها يُخَلَّقان ويُطَيَّبان إذا طُيب البيت[4] وكانت الكسوة تكدس عليها ركاماً بعضها فوق بعض[5] .

ثم أعادت جرهم بناء الكعبة على بناء إبراهيم[6] .

بناء قريش

وأصاب الكعبة قبيل الإسلام حريق سببته امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارة في أستار الكعبة، واحترق الركن الأسود فاسود، وتوهنت الكعبة[7] ثم جاء سيل دخل الكعبة وصدع جدرانها[8] وعلى إثر ذلك قررت قريش إعادة بنائها، وتم ذلك قبل البعثة بثماني سنوات، فقاموا بهدمها حتى بلغوا الأساس الأول الذي وضع عليه إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت فأبصروا أحجاره)[9] .

وعندما أعادوا بناءها قصروا عن بنائها القديم[10] وجعلوه أصغر مما كان

---

١ - ١ / ٦٨.

٢ - ١ / ٢٧ ، ٤٤ ، ٦١، وعندما قام الطالبيون بثورتهم في زمن الرشيد أخذوا ما في البئر (١ / ٦١٠).

٣ - ١ / ٢٨، ٥٤، ٦٨.

٤ - ١ / ١٠٠.

٥ - ١ / ١٠١.

٦ - ١ / ١٣ / ٢٨، ١٠٠.

٧ - ١ / ٤٣.

٨ - ١ / ١٠١.

٩ - ١ / ١٠٢ / ١٠٩ / ١٧٤ / ١٣٨٠.

١٠ - ١ / ١٤١.

منذ زمن إبراهيم، وجعلوا الأساس في البناء ستة أذرع[1] .

واستعملوا في بنائها خشباً من ركام سفينة كانت على الساحل وجعلوها مداميك: مدماك من ساج ومدماك من حجارة[2] وكان الخشب ١٥ مدماكاً والحجارة ١٦ مدماكاً[3] وكان الخشب الذي استعملوه في البناء قصيراً .

وجعلوا طولها عندما أعادوا بناءها عشرين ذراعاً لأن الخشب الذي استعملوه كان قصيراً[4] فتركوا منها في الحجر ستة أذرع وشبراً لأن النفقة قصرت بهم[5].

وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعاً[6] وكان قبل ذلك تسعة أذرع[7].

وجعلوا لها سقفاً[8]، كما جعلوا لها ست دعائم بصفين متوازيين[9].

وردوا الجب في مكانه مما يلي الشق الشامي، ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك[10] وجعلوا لها باباً واحداً بمصراع واحد[11] ويغلق[12] ورفعوا الباب عن الأرض حتى لا يدخل عليها إلا بسلّم، وقالوا بذلك، لا يدخل عليكم

---

١ - ١ / ١٣٢.

٢ - ١ / ١٠٤.

٣ - ١ / ١٣٥.

٤ - ١ / ١٣٥.

٥ - ١ / ١٠٩.

٦ - ١ / ١٣٦، ١٠٤.

٧ - ١ / ٩٩، ١٣٦.

٨ - ١ / ١٠٩.

٩ - ١ / ١٣٧، ١٤١.

١٠ - ١ / ١٠٦.

١١ - ١ / ١٣٧.

١٢ - ١ / ١٠٤.

إلا من أردتم، فإن جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فيسقط، فكان نكالاً لمن رآه[1] .

وجعلوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي يصعد منها إلى ظهرها، وزوقوا سقفها وجدرانها وبطنها ودعائمها، وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة[2] .

وردموا الردم الأعلى وصرفوا السيل عن الكعبة وكسوها الوصائل[3] .

بناء ابن الزبير

ظل بناء الكعبة على ما وضعته قريش قبيل البعثة إلى زمن حركة عبدالله ابن الزبير، حيث أصابها عندما حوصر تخريب من ضرب المجانيق، ومن نار وصلتها.

وكان ابن الزبير قد تحصن في المسجد الحرام، فنصب القائد الأموي الحصين بن نمير المنجنيق على جبلي أبي قبيس والأحمر، وهما أخشبا مكة، فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها فصارت كأنها جيوب النساء، فوهنه الرمي بالمنجنيق[4].

ثم أصاب الكعبة شرارة من خيمة في يوم عاصف، فاحترقت كسوة الكعبة، واحترق الساج الذي فيه البناء[5] وانصرع الركن بثلاث فرق[6]، حتى أنها تنتقض من أعلاها إلى أسفلها، وتقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها وهي مجردة فتوهنه من كل جانب[7].

---

١ - ١ / ١٣٥ .

٢ - ١ / ١٠٤ وانظر أيضاً.

٣ - ١ / ١٠٩، ١٣٥ .

٤ - ١ / ١٣٢ .

٥ - ١ / ١٣٣ .

٦ - ١ / ١٤٢، ١٤٤، ١٣٦ .

٧ - ١ / ١٣٣ .

فلما توقف القتال على إثر وصول خبر وفاة يزيد بن معاوية قرر عبدالله بن الزبير أن يعيد بناءها فأمر بهدمها حتى ألصقها كلها بالأرض من جوانبها جميعاً، وكان ذلك في منتصف جمادى الآخرة من سنة ٦٤، وتم هدم الكعبة وتسويتها بالأرض، ثم كشف عن أساس إبراهيم وكان داخلاً في الحجر نحواً من ستة أذرع وشبراً[١].

ثم وضع البناء على ذلك الأساس، ووضع لها بابان، باب الكعبة على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض شرقياً يدخل منه الناس، وباباً غربياً من ظهر الكعبة مقابله يخرج منه الناس[٢] وجعل عتبته على الحجر الأخضر الطويل الذي في الشادروان في ظهر الكعبة قريباً من الركن اليماني[٣] ولكلٍ من بابيها مصراعين، طول كل باب واحد وعشرون ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاه[٤].

ولما بلغ البناء موضع الركن أمر ابن الزبير بموضعه فنقر في حجرين، حجر من المدماك الذي تحته، وحجر من المدماك الذي فوقه بقدر الركن، وطوبق بينهما[٥].

وشد الركن بالفضة بعد أن كان قد تصدع من الحريق بثلاث فرق، وكان طول الركن ذراعان قد أخذ عرض الجدار من مؤخر الركن داخله في الجدر، مفرس على ثلاثة رؤوس[٦].

وزاد في ارتفاعها تسعة أذرع أخرى فصار ارتفاعها في السماء سبعة وعشرين ذراعاً، وهي سبعة وعشرون مدماكاً، وعرض جدارها ذراعان، وجعل لها ثلاث دعائم.

---

١ - ١ / ١٣٦، ١٤١.

٢ - ١ / ١٣٦، ١٣٤.

٣ - ١ / ١٣٦، وانظر أيضاً ١ / ١٤٥.

٤ - ١ / ١٣٦، ١٤١، ١٣٨.

٥ - ١ / ١٣٦.

٦ - ١ / ١٣٧.

وجعل لها رواشن على سقفها للضوء، من رخام جلبه من صنعاء يقال له البلق. وجعل ميزابها يسكب في الحجر.

وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد منها إلى ظهرها(1) ثم خلَّقها من داخلها وخارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي(2).

إعادة البناء في زمن عبدالملك بن مروان

ولما قتل ابن الزبير واستقرت الخلافة لعبدالملك، أمر الحجاج بن يوسف وكان والياً على الحجاز، بسد الباب الغربي الذي كان فتحه ابن الزبير وهدم ما كان زاد فيها من الحجر وردها إلى ما كانت عليه، فهدم الحجاج فيها ستة أذرع وشبراً مما يلي الحجر وبناها على أساس قريش الذي كانت استقصرت عليها وكبسها بما هدم منها وسد الباب الذي في ظهرها، وترك سائرها لم يحرك منها شيئاً كل شيء فيها أصبح بناء ابن الزبير إلا الجدار الذي في الحجر فإنه بناء الحجاج، وسد الباب الذي في ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقي الذي يدخل منه اليوم إلى الأرض أربعة أذرع وشبر كل هذا بناء الحجاج.

ومن عمل الحجاج أيضاً الدرجة التي في بطنها اليوم والبابان اللذان عليها(3).

وكان الحجاج نقص من الباب أربعة أذرع وشبراً، عمل لها بابين طولها ستة أذرع وشبراً(4) ثم زوقها الوليد بالذهب.

وعمل الوليد بن عبدالملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذي في

---

١ - ١ / ١٣٧، ١٤١ وانظر عن الرواشن ١ / ١٩٧.

٢ - ١ / ١٣٧.

٣ - ١ / ١٣٧ - ٨، وانظر أيضاً ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤.

٤ - ١ / ١٣٨.

بطنها مؤزراً به جدرانها وفرشها بالرخام، وجعل الجزعه . . في موضعها، وجعل عليها طوقاً من ذهب، وجميع ما في الكعبه من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبدالملك، وهو أول من فرشها بالرخام وأزربه جدرانها وهو أول من زخرف المساجد[1].

الزخارف والمعاليق:

أمر الرسول ﷺ بعد فتحه مكة بإزالة ما كان فيها من صور ورسوم، كما أمر بتكسير صنم هبل، وأبقى قرني الكبش معلقين فيها.

وعني الخلفاء بزخارفها وتقديم هدايا تحفظ فيها، وذكر الأزرقي تفاصيل ما قدمه كل خليفة، فقد بعث الخليفة عمر بن الخطاب هلالين، مما غنم من المدائن، وعلقهما في الكعبة.

وبعث عبدالملك بن مروان شمستين وقدحين من قوارير، وضرب على الأسطوانه الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفائح.

وبعث الوليد بن عبدالملك بقدحين، إضافة إلى ما قام به من زخرفتها وتذهيبها.

وبعث الوليد بن يزيد بالسرر الزينية وبهلالين.

وبعث الخليفة العباسي الأول أبو العباس بصفحة خضراء.

وبعث أبو جعفر المنصور بالقارورة الفرعونية.

ووضع هارون الرشيد في الكعبة قصبتين علقهما مع المعاليق.

وبعث المأمون ياقوتة تعلق في كل سنة بوجه الكعبة في الموسم بسلسلة من ذهب، كما بعث إليه سريراً من فضه مفروشاً بالديباج ومكللاً بالجواهر والياقوت والزبرجد.

وبعث المتوكل بشمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق في وجه الكعبة في كل موسم[2].

---

١ - ١ / ١٣٩.
٢ - ١ / ١٤٧ - ١٤٨.

وعلق هارون الرشيد نسخة من توليته ولديه الأمين والمأمون العهد.

وأمر المأمون بتعليق الكتاب الذي أرسله المأمون مع السرير(١).

وكانت الكعبة تكسى من الخارج، وأول من كساها أسعد تبع كساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن(٢).

ثم تابع رجال قريش كساءها وتجميرها بالخلوق وكانت تكسى في عاشوراء(٣).

وكساها الرسول ﷺ الثياب اليمانية، ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان القباطي.

وكساها عثمان كسوتين: إحداهما من القباطي والثانية من الديباج، وأجرى لها مظيف بن الطيب في الصلاة والخلوق في الموسم وفي رجب، واحد منها عبيداً، ثم اتبعت ذلك الولاة بعده(٤).

وكساها يزيد بن معاوية، ثم الحجاج بالديباج.

وكان جوف الكعبة يخلّق منذ زمن عبدالله بن الزبير الذي كان أول من خلّقها(٥).

وكان معاوية أول من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال(٦) وكانت الكعبة تكسى في كل سنة كسوتين: بالديباج يوم التروية وبالقباطي يوم عاشوراء.

ثم أمر المأمون أن تكسى بالديباج الأبيض في ٢٧ رمضان وبذلك صارت تكسى ثلاث كسوات(٧).

---

١ - ١ / ١٤٩ - ١٦١.

٢ - ١ / ١٦٥ - ٦.

٣ - ١ / ١٦٧ / ١٦٩.

٤ - ١ / ١٦٨، وانظر ١٧٤.

٥ - ١ / ١٦٨، ١٧١.

٦ - ١ / ١٦٩.

٧ - ١ / ١٧٠.

وكان بعض الناس يكسونها بالانطاع والأدم والألبسة[1].

وأمر عمر أن تنزع كسوة البيت في كل سنة وتقسم على الحاج[2] .

أما مفاتحيها فاستقرت بعد الإسلام بيد عثمان بن طلحه الشيبي ونسله من بعده[3] .

مقام إبراهيم

من أبرز المعالم في المسجد الحرام هو المقام الذي ترجع مكانته إلى زمن إبراهيم الخليل، ولذلك كان يسمى مقام إبراهيم، وبذلك ذكر في القرآن نصاً في آيتين فذكر عن البيت ﴿**فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً**﴾ (آل عمران ٩٧) ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ (البقرة ١٢٥).

ويذكر ابن إسحاق أن إبراهيم «عمد إلى دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد. . بين البيروبين الصفة فوضع إسماعيل وأمه تحتها[4] ويروي أيضاً أن أثر قدمي إبراهيم في المقام إلى اليوم[5].

ويروي عن أبي عباس أنه وجد في المقام كتاب روى نصه وفي أوله ذكر أن هذا موقع البيت[6] ويروي عبدالله بن حمزة السلولي أن ما بين الركن إلى المقام قبر تسعة وتسعين نبياً جاؤوا حجاجاً فدفنوا هناك[7].

ويروي ابن إسحاق أن إبراهيم أمر بالمقام فوضعه قبلة فكان يصلي إليه مستقبل الباب فهو قبلة إلى ما شاء الله[8].

---

١ - ١ / ١٧٣، ١٧٤.

٢ - ١ / ١٤١.

٣ - ١ - ١٧٧ - ١٧٩.

٤ - ١ / ١٩، ٢٣، ٢ / ٢٤.

٥ - ١ / ٢٩، ١٠٢.

٦ - ١ / ٣٧.

٧ - ١ / ٣٠، ٢ / ١٠٧.

٨ - ٢ / ٢٣.

والمقام حجر رخو شبه السنان[1]، مربع الشكل أبعاده من أعلاه ومن أسفله ١٤ × ١٤ إصبعاً[2] وقد تعرض بسبب هشاشته إلى التفكك في زمن الإسلام، ولما علم الخليفة المهدي بذلك بعث ألف دينار فضب بها المقام أسفله وأعلاه، ثم جعل المتوكل فوق الذي كان عمله المهدي طوقاً إضافياً[3].

ويبعد المقام عن الركن الأسود ٢٩ ذراعاً و ٩ أصابع، وعن جدر الكعبة من وسطها ٢٧ ذراعاً وعن شاذروان الكعبة ٢٦٫٥ ذراعاً.

وعن الركن الشامي ٢٨ ذراعاً و ١٩ إصبعاً
وعن المقام إلى حد المسجد الذي يلي المسعى ١٨٨ ذراعاً
وعن الجدار الذي يلي باب جمح ٢١٨ ذراعاً.
وعن الجدار الذي يلي باب الصفا ١٦٤٫٥ ذراعاً.
ويبعد عن زمزم ٢٤ ذراعاً[4].
وعن الصفا ٢٧٧ ذراعاً [5].

وعندما سيطر مضاض بن عمرو كان حوزه وجه الكعبة والركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعداً يميناً وشمالاً وقيقعان إلى أعلى الوادي[6].

وعندما أرادت قريش قبيل ظهور الإسلام بناء الكعبة وظهرت لهم حيه منعتهم من ذلك اعتزلوا عند المقام[7].

غير أنهم عندما هدموها لإعادة بنائها نقلوا هبل ونصبوه عند المقام[8]

---

١ - ٢ / ٢٨.
٢ - ٢ / ٢٩.
٣ - ٢ / ٢٨، ٢٩.
٤ - ٢ / ٦٨ - ٦٩.
٥ - ١ / ٩٦.
٦ - ١ / ٤٢.
٧ - ١ / ٤٤، ١٠٢.
٨ - ١ / ١٠٢.

تعرض المقام إلى سيول كانت أحياناً تدفعه عن موضعه، وربما دفعته إلى وجه الكعبة[1]، غير أنه ظل مثبتاً في مكانه في الجاهلية والإسلام[2].

وكان أقوى سيل في الإسلام هو السيل المسمى بأم نهشل في زمن خلافة عمـر بن الخطاب حيث دخل المسجد الحرام وجرفه إلى أسفل مكة، وعفى مكانه الذي كان فيه، فأخذوه وربطوه بلصق الكعبة[3].

فقـدم عمـر ورده إلى موضعـه بمحضـر الناس وأعلم ببناء ربطه تحت المقام، ثم حوله فهو في مكانه إلى هذا اليوم[4].

أشار القرآن الكريم إلى أن المقام كان مصلى ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾.

وعندما قدم الرسول ﷺ مكة، كان يصلي إلى المقام كما كان بمكة[5].

وفي زمن الإسلام كانت الصلاة عادة خلف المقام[6].

«وكان الناس يقومون قيام شهر رمضان في أعلى المسجد الحرام، تركز حربة خلف المقام بربوة، فيصلي الإمام خلف الحربه والناس وراءه، فمن أراد صلى مع الإمام ومن أراد طاف بالبيت وركع خلف المقام[7].

---

١ - ٢ / ٢٥.

٢ - ٢ / ٢٧.

٣ - ١ / ١٣٥، ٢ / ٢٦.

٤ - ٢ / ٢٦، ٢٧.

٥ - ١ / ٧١، ٢ / ٢٤.

٦ - ٢ / ٧، ١٣، ١٤، ٥٢، ٩٢، وانظر تفسير الطبري ٣ / ٣١، ٣٥ طبعه أحمد محمد شاكر.

٧ - ٢ / ٥٢.

زمزم

بئـر زمـزم من أبـرز المعالم في الحرم، ويرجع حفره إلى زمن إبراهيم الخليل عنـد وضع زوجته هاجر وابنه اسماعيل في المسجد الحرام، فوجدوا دوحة حفرت بقربها فظهر الماء[١].

ثم نضب ماؤهـا عندما سيطرت جرهم على مكة حتى غبّى مكان البئر ودرس[٢] فقـام مضاء بن عمرو فحفر في موضع بئر زمزم وأعمق، ثم دفن فيه الأسياف والغزالين وقد يدل هذا على أن حفر مضاء كان غرضه إيجاد مستودع لبعض الهدايا، وليس لإنباط مائة[٣].

وعندما سيطرت خزاعة على مكة كان موضع زمزم لا يعرف لتقادم الزمان[٤] وكان مكانها بين إساف ونائله[٥].

وعنـدما رؤس عبدالمطلب قام بحفر البئر «حتى أنبط الماء في القرار، ثم بحرها حتى لا ينزف، ثم بنى عليها حوضاً يشرب منه الحاج»[٦] فعفت على آبار مكة كلها لمكانها من البيت والمسجد وفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم في الموضع الذي ضرب عليه جبريل برجله[٧].

وقد لقي عمل عبدالمطلب معارضة من بعضٍ فكان «يكسره ناس من حسدة قريش بالليل فيصلحه عبدالمطلب حين يصبح»[٨].

ونقل عبدالمطلب الغزالين والسيوف التي كان قد وضعها عمرو بن لحى،

---

١ ـ ١ / ١٩، ١٠، ٢٠، ٢ / ٣٠، ٣١.
٢ ـ ١ / ٤٠، ٢ / ٣٢.
٣ ـ ١ / ٤٠، ٢ / ٣٢.
٤ ـ ١ / ٣٢.
٥ ـ ١٢ / ٣٤.
٦ ـ ٢ / ٣٢، ٣٣، ١ / ٦٥.
٧ ـ ٢ / ١٠٧.
٨ ـ ٢ / ٤٨.

فوضع الغزالين وأحد السيفين على باب الكعبة ووضع السيف الثاني في الجب الذي في باطن الكعبة.

وظل فيه إلى أن نقله القرامطة عندما غزوا مكة[1].

وكان ماؤها فيه غلظ[2]، وكانت تسمى في الجاهلية شباعة[3].

ولما حفرت زمزم كثرت المياه بمكة «حتى روى القاطن والبادي ودنت لها بكر وخزاعة فارتووا منها لا تنزح»[4].

وكان ماؤها يزيد ويعذب إثر سقوط الأمطار الغزيرة كالذي حدث سنة ٢٨١[5].

والمسافة بينها وبين الركن الأسود أربعون ذراعاً وبينها وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود ٣٦٫٥ ذراعاً وما بين الركن إلى المقام إلى زمزم إلى الحجر قبور يقال أنها لعدد من الأنبياء وفي قعرها ثلاث عيون عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وعين حذاء المروة.

وكان غورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعاً، كله بنيان، وما بعض فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعاً، وذرعه في السماء ذراعان وشبر، وهي أرفع من المسجد.

وقد تناقص ماؤها في زمن الإسلام، فجرى تعقيمها في زمن كل من المهدي والرشيد ووصل الماء أقله في سنة ٢٢٣، فجرى تعقيمها تسعة أذرع،

---

١ ـ ٢ / ٤٨ ـ ٩ (في رواية أخرى أن عمقها ستون ذراعاً).

٢ ـ ٢ / ٤٣.

٣ ـ ٢ / ٤٨.

٤ ـ ٢ / ٤٨ ـ ٩، ٨١.

٥ ـ ٢ / ٤٧.

وزيد في تقوير جوانبها[1].

وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثي ذراع، وتدويره من الخارج ١٥ ذراعاً من الداخل أحد عشر ذراعاً وعليه ملبن ساج مربع فيه اثنا عشرة بكرة يستقي عليها.

وفرش أبو جعفر أرضها بالرخام، ثم جدده المهدي[2].

كان لزمزم في الزمان الأول حوضان أحدهما بينها وبين الركن يشرب منه، والثاني من ورائها له سرب يذهب فيه الماء من باب الصفا حيث يتوضأ الناس، ويصب الزائد من الماء في بئر، ولم يكن عليها شباك.

وكان موضع السقاية بين الركن وزمزم مما يلي ناحية الصفا إلى أن نحاها ابن الزبير[3].

وكان موضع مجلس ابن عباس في زاوية زمزم التي تلي الصفا والوادي، على يسار من دخل زمزم وقد عمل على هذا المجلس قبة سليمان بن علي، ثم عمل المهدي القبة التي على الصفحة التي بين زمزم وبين بيت الشراب، وهي في موضع الدوحة التي أنزل إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر تحتها[4] وتبعد الحجرة عن وسط الجدار ٢١٫٥ ذراعاً.

ساقية العباس

وبحيال جدار الحوض سقاية العباس بن عبدالمطلب، تربطها بالحوض قناة رصاص طولها ستة أذرع، يصب فيها النبيذ إلى الحوض الذي فيه القبة أيام التشريق وأيام الحج، ثم نقضت في زمن المهتدي وجعل فيها بركة صغيرة يخرج

---

١ - ٢ / ٨٢.
٢ - ٢ / ٨٣.
٣ - ٢ / ٦٩.
٤ - ٢ / ٨١، ٤٩.

فيها الماء من الضوراة التي في بطنها وجعل عليها شباك من خشب بأبواب تغلق[١].

وسقاية العباس ٢٤ / ١٩ ذراع، فيها أربعة أساطين بينها ألواح ساج، وارتفـاعها ثمانية أذرع وتبعد سقاية العباس من وسطها إلى الجدار الذي يلي المسعى ١٠٠ ذراع. وإلى الجـدار الذي يلي باب جمح ٢٩٠ ذراعاً، وإلى جدار دار الندوة ٢٠٠ ذراع، وإلى الوادي ٨٥ ذراعاً[٢].

وكان لها بابان باب حيال الكعبة، والآخر من الجدار الذي يلي الوادي، وفيها ستة أحواض منها ثلاثة طول كل منها ٥ر٥ ذراع وعرضه ٢ ذراع وارتفاعه ٥ر٣ ذراع، وثلاثة أخرى ارتفاع كل منها ذراع ونصف، يملى كل منها حوص من أدم يملأ بالماء للحاج ويجري من قناة تتصل بحجرة زمزم.

ثم أعاد بناءها عمر بن فرج في زمن المعتصم وسقفها بالساج المذهب من داخلها وجعل عليها من ظهرها الفسيفساء، وأشرع لها جناحاً صغيراً كما يدور تربيعها، وفيه سلاسل فيها قناديل يستصبح بها في الموسم وكانت القبة التي بين زمزم وبين بيت الشراب مكشوفة تزوق في كل موسم فجعل عليها عمر ابن فرج الفسيفساء[٣].

ووضع مطعم بن عدي حوضاً من أدم إلى جنب زمزم يسقى فيه من بئر[٤].

وبالقرب من زمزم حوض ارتفاعه ١٩ إصبعاً وعرضه ١٨ إصبعاً وسعته ١٢ ذراعاً وتسع أصابع، وتدوير الحوض من داخل ٣٩ ذراعاً وجداره ملبس خاماً،

---

١ - ٢ / ١٧٦، ١٧٩.
٢ - ٢ / ٨٠.
٣ - ٢ / ٨٠.
٤ - ٢ / ٨١.

عرضه ذراع وأربعة أصابع وهو مفرش بالرخام ثم جعله عمر بن فرج بحجر مفجري

وعلى زمزم حجرة ساج تسقف الحوض ارتفاع بابها ثلاثة أذرع، وعرضه ذراعـان، وهي مفروشة بالرخام بينها وبين حد البئر أربعة أذرع، عليها أربعة أساطين زجاج عليها ملبن ساج مربع فيه ١٢ بكرة يستقى عليها الماء، وفي حد مؤخرة مما يلي الوادي كنيسة ساج للتعليم.

وفي حدها أسطوانه ساج مستقبل الركن الذي فيه الحجر الأسود فوقها قبة من شبه يسرج فيها بالليل لأهل الطواف يقال له مصباح زمزم.

المسجد الحرام

تقع الكعبة والمقام وزمزم في ساحة مكشوفة هي المسجد الحرام، وهي مقدسة منذ أزمنة موغلة في القدم[١] وكانت تمتد من الحزورة جنوباً إلى سيل أجياد[٢] والمسعى[٣]، ولم يكن حولها حائط أو سياج يحدها، وإنما كانت في أطـرافهـا ربـاع العشـائـر ودور بعض المتنفذين. ولا بد أن البعض، وخاصة المتنفذين تجاوزوا على أطراف هذه الساحة وبنوا على هذه الأطراف مساكنهم فأصبح «المسجد ضيق ليس بين جدر المسجد وبين المقام إلا شيء يسير ولم يكن له سياج يحيطه وإنما جدرانه جدران الناس[٤] «ليس عليه جدران محاطة، وإنما كانت الدور محدقة به عن كل جانب، غير أن بين الدور أبواباً يدخل منها الناس من كل نواحيه[٥].

وعنـدما جاء الإسلام أصبحت هذه الساحة المسجد الوحيد في مكة،

---

١ ـ ١ / ١٥، ١٨.

٢ ـ ٢ / ٥٠.

٣ ـ ٢ / ٤٩.

٤ ـ ١ / ١٩٣.

٥ ـ ٢ / ٥٤.

فكانت تضيق بالمصلين مما حمل الخلفاء على توسيعها بضم بعض البيوت في أطرافها إليها، وكان أول توسيع لها في زمن خلافة عمر بن الخطاب، ثم تلاه توسيع ثان في زمن خلافة عثمان[1] لم يحدد المؤرخون جهته وسعته.

ثم تلى ذلك توسيع في زمن كل من عبدالله بن الزبير والوليد بن عبدالملك، وأبو جعفر المنصور، والمهدي، والرشيد وفيما يلي وصف ما كان حول المسجد من بيوت، وما دخل منها في التوسيعات.

ظل المسجد على وضعه إلى أن أعلن عبدالله بن الزبير حركته وكان مما قام به توسيع المسجد في جهته الشرقية، فأضاف إليه بعض دار الأزرق، ثم أشرعه على الوادي مما يلي الصفا وناحية بني مخزوم، ومضى به مصعداً من وراء بيت الشراب تاركاً بين هذا البيت وحائط المسجد سبعة أذرع، ثم رده إلى باب دار شيبة بن عثمان[2].

وقام عبدالملك برفع جدران المسجد وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ثم نقض الوليد عمل عبدالملك وعمله عملاً محكماً، ونقل إليه أساطين الرخام، وسقفه بالساج المزخرف، وزخرف الطيقان بالفسيفساء وكسى الصحن بصفائح الصفر، وجعل له شرفات، ولكنه لم يزد في توسيعه[3].

وقام أبو جعفر المنصور بتوسيعه، فزاد في شقه الشمالي الذي يلي دار العجله ودار الندوة، وأدخل فيه أكثر دار الندوة وبعض دار شيبة وكان ذلك في سنة ١٤٠[4].

وفي سنة ١٦٠ حج المهدي وأمر بأن يزاد في أعلى المسجد، فأدخل ما بقي من دار الأزرق، ودار خيرة بنت سباع الخزاعية ودار لآل جبير بن مطعم،

---

١ ـ ٢ / ٥٥.
٢ ـ ٢ / ٥٦.
٣ ـ ٢ / ٥٧.
٤ ـ ٢ / ٥٨ ـ ٥٩.

وبعض دار شيبة بن عثمان، وجعل المسجد شارعاً على المسعى دون أن يزيد فيه[1].

وفي سنة ١٦٤ أمر المهدي فحوّل الوادي وهدمت الدور بينه وبين المسجد، وأدخل المسعى والوادي وما كان بين الصفا والوادي في المسجد، فزادوا فيه من جهة الوادي تسعين ذراعاً، وكان عرضه قبل ذلك قرابة خمسين ذراعاً[2].

وفي كتاب المناسك للحربي أربعون صحيفة (٤٧١ - ٥١١) عن مكة، بحث فيها أنصاب الحرم (٤٧١) ومكة (٤٧٢ - ٥) وصفة المسجد الحرام وأبوابه (٤٧٥ - ٤٨١) والكعبة (٤٨١ - ٤٩٦) وذرع المسجد الحرام والكعبة (٤٩٦ - ٥٠٠) وزمزم (٥٠٠) والسقاية (٥٠٠) وذرع المسجد (٥٠١) وطريق منى (٥٠٣) ومسجد الخيف (٥٠٤ - ٦) والمزدلفه (٥٠٦ - ٨) وعرفه (٥٠٨ - ١١).

ولم يذكر مصادره إلا في بحث أنصاب الحرم، واسم مكة، وأمر الكعبة وأكثر من ذكر روايته عنه ابن جريج، وشملت روايته عنه أنصاب الحرم، وأمر الكعبة وبنيانها.

كما روى عن الزبير بن بكار في أنصاب الحرم (٤٧٢) وبنيان الكعبة (٤٨٢) بالإضافة إلى عدد آخر من الرواة.

وذكر من رواته محمد بن الوليد (٤٧٢)، والفاكهي (٤٩٧).

وأكثر معلوماته تتطابق مع ما ذكره الأزرقي، مما يدل على اعتماده عليه غير أن إشارته إلى الفاكهي قد تدل على أنه أخذ هذه المعلومات عن طريق الفاكهي الذي نقل بدوره عن الأزرقي.

ومما ييسر تنظيم هيكل البحث في المعالم العمرانية حول المسجد اتخاذ

---

١ - ٢ / ٥٩.

٢ - ٢ / ٦٣ - ٦٤.

أساسها أبواب المسجد الحرام بعد توسيع المهدي، وقد ذكرها الأزرقي، ووصفها وحدد جهات مواقعها وتتابعها فذكر أنها ثلاثة وعشرون باباً.

١ - في الشق الذي يلي المسعى وهو الشرقي خمسة أبواب:
(١) - باب بني شيبة وهو باب بني عبد شمس.
(٢) - باب بني سفيان بن عبدالأسد.
(٣) - باب النبي.
(٤) - باب العباس بن عبدالمطلب وعنده علم المسعى.
(٥) - باب بني هاشم.

٢ - الشق اليماني الذي يلي الوادي سبعة أبواب:
(١) - باب بني عائذ.
(٢) - باب بني شعبان بن عبدالأسد.
(٣) - باب الصفا وهو باب بني عدي بن كعب.
(٤) - باب بني مخزوم.
(٥) - أبواب بني مخزوم.
(٦) - باب بني تيم (دار عبدالله بن جدعان، وعبدالله بن معمر).
(٧) - باب أم هانىء.

٣ - الشق الذي يلي بني جمح ستة أبواب:
(١) - باب بني حكيم بن حزام.
(٢) - باب الزبير بن العوام أو باب الحزامية، أو باب الخياطين.
(٣) - باب بني جمح (الخياطين).
(٤) - باب أبي البختري (عند دار زبيدة).
(٥) - باب يشرع في زقاق دار زبيدة.
(٦) - باب بني سهم.

٤ - الشق الشامي الذي يلي دار الندوة ودار العجلة فيه ستة أبواب:
(١) - باب عمرو بن العاص.
(٢) - باب سد في دار العجلة.
(٣) - باب دار العجلة.

(٤) ـ باب قيقعان (باب حجير بن أبي إهاب).

(٥) ـ باب دار الندوة.

(٦) ـ باب دار شيبة بن عثمان.

وذكر الفاكهي، الدور التي تستقبل المسجد الحرام من جهة الشام، ثم المغرب، ثم اليماني، ثم الشرقي، ونذكرها فيما يلي الدور مرتبة تبعاً لترتيب الأبواب كما ذكره الأزرقي:

١ ـ الشق الشرقي

(١) ـ دار عيسى بن موسى، كان سفيان بن عيينة سكن فيها ثم صارت متوضيات لزبيدة.

(٢) ـ إلى جنبها دار لبعض ولد محمد بن عبدالرحمن عند أصحاب الصابون.

(٣) ـ دار أبي عزارة وأحمد بن إبراهيم المليكيين وهي بقية الدار التي فيها حلف الفضول وهي اليوم لصاعد بن مخلد.

(٤) ـ ودار عباس بن محمد المشرفة على باب أجياد الصغير.

(٥) ـ ثم دار يحيى بن خالد بن برمك وتعرف اليوم بأبي أحمد بن الرشيد.

(٦) ـ ثم دار شفيقة فيها البزازون وبين يديها الصيارغة.

(٧) ـ ثم دار المطلب بن حنطب التي باعتها أم عيسى بنت سهل بن عبدالعربي بن المطلب المخزومية من محمد بن داوود فبناها، ثم صارت لابنه عبدالله بن محمد بن داوود وبه تعرف شارعة على الصفا والوادي.

(٨) ـ ثم دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وبر دار أحمد بن إسماعيل بن علي على الصفا.

(٩) ـ ثم دار صبية مولاة العباسة.

(١٠) ـ ثم دار الخيزران أم موسى أمير المؤمنين، وهي اليوم أو بعضها لأبي عمارة بن مي ميسرة.

(١١) ـ ودار القاضي محمد بن عبدالرحمن السفياني مشرعة على منارة المسجد والوادي.

(١٢) ـ ثم دار عباد بن جعفر عند العلم الأخضر.

(١٣) ـ ودار يحيى بن خالد بن برمك تشرف على سوق الليل والوادي ويقال أنه اشتراها بتسعين ألفاً وأنفق عليها عشرين ومائة ألف دينار ثم هي اليوم في يدورثة وصيف.

(١٤) ـ ودار موسى بن عيسى في أصلها الميل الأخضر وهو علم المسعى.

(١٥) ـ ثم دار جعفر بن سليمان عند زقاق العطارين.

(١٦) ـ ودار الأزهريين.

(١٧) ـ ودار أمير المؤمنين التي بناها البربري على الصيادلة فاحترقت ثم صارت اليوم لأبي عيسى بن المتوكل.

(١٨) ـ ثم دار الفضل بن الربيع بناها وأراد أن يسويها بدار ابن علقمة فمنع من ذلك فجعل أسطوانة في ركن الدار مما يلي دار ابن علقمة فيقال أن أمير المؤمنين قال له حين رآها ما أشبه دارك هذه بعجوز تمشي على عكازة.

(١٩) ـ ثم دار نافع بن علقمة الكناني كان أمير المؤمنين قبضها ثم ردها عليهم، وقال بعض المكيين كان لآل طلحة بن عبدالله فيها شيء فأخذه نافع ابن علقمة منهم في ولايته على مكة.

(٢٠) ـ وتقابلها دار عيسى بن علي.

(٢١) ـ وإلى جانب دار عيسى بن علي منزل أبي غبشان الخزاعي بين دار عيسى بن علي وبين دار عيسى بن جعفر التي فيها الحذاؤون وهي اليوم بيد ورثة أحمد المولد بينها وبين دار الإمارة إلى السويقة وما ناحاها.

(٢٢) ـ ودار أحمد بن سُهل إلى جنب دار ابن علقمة، وهي من الدور التي قال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

٢ ـ وذكر في الشق اليماني

(١) ـ دار عمرو بن عثمان التي تستقبل باب الحناطين.

(٢) ـ وإلى جانبها دار ابن بزيع .

(٣) ـ ودار سعيد بن مسلم الباهلي .

(٤) ـ ودار بنت الأشعث عند التمارين .

(٥) ـ ودار إبراهيم بن مدبر الكاتب .

(٦) ـ ودار عيسى بن محمد المخزومي عند فم خط ا لحزامية ، خربها ابن أبي الساج فهي خراب إلى اليوم .

(٧) ـ ثم دار المعبدي على فوهة أجياد الكبير صارت لمحمد بن أحمد ابن سهيل اليوم فأخرجها الحناطون والجزارون أيام الفتنة فيهم وكانت قبل ذلك لجعفر بن خالد بن برمك .

٣ ـ وذكر في الشق الذي يلي بني جمح (الغربي)

(١) ـ دار إسحاق بن إبراهيم ، كانت لعبيدالله بن الحسين ثم صارت لإسحاق بن إبراهيم وهي اليوم لعلي بن جعفر البرمكي .

(٢) ـ ودار عمرو بن العاص .

(٣) ـ ودار ابن عبدالرزاق الجمحي .

٤ ـ وذكر في الشق الشمالي

(١) ـ دار شيبة بن عثمان وخزانة الكعبة تحتها ، وهي إلى جنب دار الإمارة .

(٢) ـ ودار الفضل بن الربيع وهي اليوم في الصوافي عند دار حجير بن أبي إهاب .

(٣) ـ ودار صاحب البريد التي يسكنها أصحاب البرد بمكة .

(٤) ـ ودار مسرور خادم زبيدة .

وذلك كله من الجانب الشامي[١] .

وأكثر هذه الدور كانت في القرن الثالث الهجري ، ولم يشر إلى الدور القديمة التي حلت هذه الدور محلها ، كما أن عدد البيوت غير متوازنة فهي كثيرة

---

١ ـ الفاكهي ١٤ ـ ١٦ طبعة وستنفلد .

جداً في الشق الشرقي وقليلة في الشق الغربي والشمالي مما يرجع إما إلى سعة هذه الدور، وإما أن قائمة الفاكهي غير مستوعبة وإنما اقتصرت على أبرز البيوت.

وذكر كتاب المناسك أن للمسجد ثلاثة وعشرين باباً وسمى الأبواب دون أن يحدد اتجاهاتها وتسميته بعضها يختلف عن تسميات الأزرقي، وعند المقارنة بينهما وإعادة ترتيبها في مواضيعها تبعاً لما ذكره الأزرقي يكون ما ذكره، ووضعنا إشارة × على ما ذكره الأزرقي.

١ - في الشق الشرقي

(١) - باب القاضي.

(٢) - باب آل عباد.

(٣) - باب بني هاشم.

(٤) - باب بني هاشم مقابل سوق الليل.

(٥) - باب النبي.

(٦) - باب دار القوارير.

(٧) - باب في رحبة الحدادين.

٢ - في الشق اليماني

(١) - باب أصحاب الزيت.

(٢) - باب قيس بن السائب.

(٣) - باب خالد بن العاص.

(٤) - باب ابن جدعان (تيم ×).

(٥) - باب المغيرة بن مخزوم (مخزوم؟ ×).

(٦) - باب الصفا ×.

(٧) - باب الأرقم.

٣ - ظهر الكعبة

(١) - باب بني سهم الكبير.

(٢) - دار زبيدة ×.

(٣) ـ باب بني جمح ×.

(٤) ـ باب الحناطين.

(٥) ـ باب البقالين.

٤ ـ الشق الشامي

(١) ـ باب بني شيبة ×.

(٢) ـ باب دار الإمارة.

(٣) ـ باب بني شيبة الصغير.

(٤) ـ باب دار الندوة ×.

(٥) ـ باب ابن الزبير.

(٦) ـ باب العجلة ×.

(٧) ـ باب عمرو بن العاص ×.

(٨) ـ باب بني سهم الصغير.

المعالم الجنوبية

أجياد الكبير

أجياد الكبير شعب يمتد نحو الجنوب إلى أسفل المسجد الحرام، وتشرف عليه المنارة التي عند الباب الأول من شق بني جمح[1].

ويتصل الأجيادان، الكبير والصغير، وفي مجتمعهما دار عبدالله بن جدعان «شارعة على الوادي، على فوهتي سكتي أجيادين: أجياد الكبير وأجياد الصغير وقد عقد فيها حلف الفضول، ثم دخلت في المسجد عندما وسعه المهدي[2].

وفي مجتمع أجيادين دار العلوج، كانت لخالد بن العاص بن هشام[3] كما كان بين الأجيادين شعب المأتم[4].

وبين أجياد الكبير وأبي قبيس جبل رأس الإنسان[5].

كان أجياد الكبير يسمى في الجاهلية «كيد»، ويشرف عليه جبل خليفة الذي يمر سيله بدار حكيم بن حزام، وقد خلج الناس فيه خليجاً يجري تحت البيوت، وانتبط فوقه، وكان يلي هذا الخليج قرن القرظ بين ربع آل مرة بن عمرو الجمحيين وبين الطريق التي لآل وابصة[6].

وفي فوهة أجياد دار أبي العاص زوج زينب بنت الرسول ﷺ آلت إلى أم السائب بنت جميع الأموية، ثم اشتراها جعفر بن يحيى البرمكي بثمانين ألف

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٧٢، ٦٥.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٧.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٨.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٥.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٥.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٢.

دينار وعمرها بالحجر المنقوش والساج[1].

وفي طرف أجياد بقيت بعد توسيع المهدي مسجد الرسول قطعة قرب الصيارفة كان فيها دار ابن عزاره، ودار الملكيين التي عند الغزالين[2].

والأجيادان لبني مخزوم، وفيه أيضاً حق بني جدعان وآل عثمان التيميين ودار علة ودار خالد بن العاص المسماة دار الدومة وفيه منزل أبي جهل الذي صار لهشام بن سليمان[3].

وفي طرف أجياد الكبير دار بني عبدالله بن عكرمة المخزومي، اشتراها ياسر عندها بئر الحفر[4].

وفي أجياد دار عتبة بن ربيعه، في ظهر دار خالد بن العاص بن هاشم المخزومي، ثم صارت إلى موسى بن عيسى، وعطت فيها متوضيات[5].

وكانت في أصله في الجاهلية سوق يقال لها الكثيب تمتد من دار الحارث إلى موقف البقر، وأسفل منها الغرابات التي يرفعها آل مرة من بني جمح إلى الثنية[6].

وبالقرب من أجياد كانت الحزورة تشرف عليها المنارة التي تلي أجياد وكانت الحزورة بفناء دار أم هانيء بنت أبي طالب[7] التي كانت عند سوق الخياطين، ثم دخلت في المسجد الحرام[8] وفي هذه الدار كانت بئر العجول[9]

---

١ - الأزرقي ٢ / ١٩٥ .

٢ - الأزرقي ٢ / ٢١٨ .

٣ - الأزرقي ٢ / ٢٠٨ .

٤ - الأزرقي ٢ / ١٧٦، ١٩٥ .

٥ - الأزرقي ٢ / ١٩٣ .

٦ - الأزرقي ٢ / ٢٣٥ .

٧ - الأزرقي ٢ / ١٧٤، ٢٣٨ .

٨ - الأزرقي ٢ / ٢٣٨ .

٩ - الأزرقي ٢ / ١٧٤ .

وكانت الحزورة في أول الإسلام سوق كله.

وعند باب أجياد الكبير تقع الحزامية على الوادي، في ملتقى المجرى الذي حفره المهدي بالمجرى القديم[1]، وخط الحزامية يقابل باب الحزامية، من أبواب المسجد الحرام[2].

الحزامية[3].

وكان هذا الاسم الغالب عليه، وإن كان يسمى أحياناً باب بني الزبير بن العوام أو باب البقالين [4] وعند فوهة الحزامية عمل عبدالملك بن مروان ردم الحزامية [5].

وفي فوهة الحزامية دار خرابة، وهي عند اللبانين شارعة على الوادي، كانت لبني مخزوم ثم صار بعضها لخالصة وبعضها لعيسى بن محمد بن إسماعيل المخزومي وبعضها لابن غزوان الجندي[6].

وفي خط الحزامية دار البخاتي، كانت فيها بخاتي معاوية بن أبي سفيان إذا حج، وفيها بئر ثم صارت لولد أبي عبدالله الكاتب [7] وهي غير دار البخاتي التي كانت بين دار الندوة ودار العجلة وكان يمتلكها عبدالله بن الزبير [8].

وفي سكة الحزامية دار عبدالله بن الزبير بن العوام، يتلوه باب خير،وقبالة دار ابن الزبير بئر السنبلة، كانت لخلف بن وهب الجمحي، ثم صارت تسمى بئر أبي [9] ويلصقه حق الوابصيين ثم دار الحارث بن عبدالله بدرب ربيعة[10].

وفي الحزامية دار حكيم بن حزام التي تزوج فيها الرسول ﷺ خديجة[11].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٨ أنساب الأشراف ١ / ١٣٠.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٦٤.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٧٣.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٦٤.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٣٦.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٠.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٢.

٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٣.

٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٣.

١٠ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٧.

١١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٠.

الأطراف الشمالية من المسجد الحرام

السويقة وقيقعان

ذكر الأزرقي أن في الشق الشمالي من المسجد الحرام ستة أبواب هي حسب تسلسلها.

١ ـ الباب الأول الذي يلي المنارة التي تلي باب سهم وهو باب عمرو بن العاص.

٢ ـ الباب الثاني قد سد في دار العجلة وموضعه بيِّن لمن يقابله.

٣ ـ الباب الثالث وهو باب دار العجلة.

٤ ـ الباب الرابع باب قيقعان. . وهو باب حجير بن إهاب.

٥ ـ الباب الخامس باب الندوة.

٦ ـ الباب السادس باب دار شيبة بن عثمان، يسلك منه إلى السويقة[1].

وذكر أيضاً أن الباب الأول في الشق الشرقي هو باب بني شيبة وكان يعرف في الجاهلية والإسلام باسم باب بني عبد شمس بن عبد مناف[2]، كما ذكر أن باب بني سهم يلي باب بني جمح[3]، ويظهر من هذا أن بني سهم كانت رباعهم في الأطراف الشمالية الشرقية عن المسجد. وقد حدثت في الأطراف الشمالية من المسجد تبدلات بسبب التوسيع الذي أحدثه عبدالله بن الزبير ثم أبو جعفر المنصور والمهدي.

ويذكر أن الضلال التي تلي دار الندوة ٢٤٢ ذراعاً[4]، وأن عرض المسجد من منارة باب أجياد إلى منارة بني سهم ٢٧٨ ذراعاً[5]. وهذه الأبعاد هي بعد توسيع المهدي.

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٧٤.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٦٩.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٧٢.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٦٨.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ٦٥.

يقـع باب بني سهم في الجهـة الغربية من الشق الشمالي، وعنده دار عمرو بن العاص، تشرف عليهما إحدى منائر المسجد[1]. وكان الرسول ﷺ يصلي مما يلي باب بني سهم[2]، وفي هذه المنطقة كانت رباع بني سهم ممتدة إلى ما حاز سيل قعيقعان من دار عمرو بن العاص إلى دار غباءة السهمي[3].

يظهر من تسلسل مواقع أبواب الأطراف الشمالية من المسجد الحرام أن دار العجلة كانت تلي دار عمرو بن العاص. ودار العجلة من دور بني سهم[4]، وكـانت لآل سمير بن موهب السهمي فابتاعها عبدالله بن الزبير، ورويت في تسميتها روايتان، تذكر إحداهما أنها سميت بذلك لأنه عجل في بنائها، فكان العمال يشتغلون ليل نهار لإكمالها، وتذكر الرواية الثانية أن حجارتها كانت تنقل على عجل تجرها البخاتي[5] ، ولا بد أنها صودرت بعد فشل حركة ابن الزبير، وقد دخل بعضها في المسجد الحرام عند توسيع أبي جعفر[6] ، وأعاد يقطين بن موسى بناءها للخليفة المهدي، وصار بعضها للربيع، ثم صارت في الصوافي يسكنهـا صاحب البـريد[7] ، وأخـرب بعضهـا حسين بن حسن العلوي في ثورته[8] ثم أمر المعتصم بإعادة عمارتها، وجعل عليها أبواباً مزورة تطوى وتنشر[9] .

وبقـرب دار العجلة كانت دار للخطاب بن نفيل العـدوي ثم صارت لمصعب بن الزبير[10].

وعند دار العجلة منزل عرض عليه المهدي فيه أربعة آلاف دينار فلم يبعه[11].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٧٤، ٥٨.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٥٣.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٣.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٢.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٤.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٥٧.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٣.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٧.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٧٥.
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٣.
١١ ـ الموفقيات للزبير بن بكار ٢٨٦.

وبجانب دار العجلة، بينها وبين دار الندوة كانت دار البخاتي التي بجانبها دار فيها بيت مال مكة، وهي في الأصل من دور بني سهم، ثم صارت لابن الزبير، ثم قبضها عبدالملك بن مروان، وأدخلها فيما بعد يقطين بن موسى في دار العجلة عندما بناها[1].

وبين باب دار العجلة وباب حجير يقع باب قعيقعان[2].

أما دار حجير فكان لها بابان: يشرع أولهما على فوهة سكة قعيقعان ويتجه الثاني إلى السكة التي تخرج إلى المسجد، وكانت لآل معمر بن حطل الجمحي، ثم آلت إلىَّ حجير بن أبي إهاب السهمي، ثم اشتراها يحيى بن خالد البرمكي بستة وثلاثين ألف دينار[3]، ثم أقطعت لعمرو بن الليث الصفار، ثم صار بعضها اصطبلاً للسلطان، وبعضها بيوتاً للسكن لاصقاً بدار العروس ودار جعفر بن محمد[4].

أما دار الندوة فقد فصّل الخزاعي في تطور ملكيتها وأحوالها، فذكر أنها كانت لاصقة بالمسجد الحرام، وكانت دار قصي، ثم صارت إلى عبدالدار، ثم آلت إلى ابنه عبد مناف، ثم انتقلت إلى ابنه هاشم ثم إلى عمر وعامر ابني هشام، ثم إلى ابن الرهين العبدي، وهو من ولد عامر بن هاشم[5]، ثم اشتراها منه معاوية وعمرها وكان ينزل فيها إذا حج، ثم تابع الخلفاء الأمويون النزول فيها إذا حجوا، ودخل بعضها في المسجد الحرام في زيادات عبدالملك بن مروان، والوليد، وسليمان، وأبي جعفر المنصور.

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٣.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٧٤، وانظر ١٤.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٢.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٧٤، ٢٠٢.

٥ ـ يروى الزبير بن بكار أن دار الندوة كانت عن يد حكيم بن حزام، ثم باعها بعد معاوية بمائة ألف (نسب قريش ٣٦٨) ويقول مصعب الزبيري أن حكيم بن حزام اشترى في الجاهلية دار الندوة من منصور بن عامر بن هاشم (نسب قريش ٢٥٤).

وتـابـع خلفاء بني العباس النزول فيها إذا حجوا، إلى أن ابتاع هارون الـرشيد دار الإمـارة من بني خلف الخـزاعيين، فتعرضت دار الندوة للخراب والهدم، وصارت مقاصير النساء فيها تكرى من الغرباء والمجاورين، أما مقاصير الـرجـال فكانت لدواب عمال مكة. ثم صار ينزلها عبيد العمال من السودان وغيرهم ويعبثـون فيهـا ويؤذون جيرانها، وكانت تلقى فيها القمائم، وكان ماء المطر يسيل منها إلى المسجد الحرام، ولما علم الخليفة المعتضد بذلك أمر بعمارة دار الندوة مسجداً يوصل بالمسجد الكبير وعزق الوادي، فأعيد بناؤها وفتـح لهـا اثنا عشر باباً في جدار المسجد الكبير، وبذلك اتصلت بالمسجد الكبير، وصار من يصلي فيها يستقبل الكعبة[1].

كان باب شيبـة الباب الأخير الذي يقع في الطرف الشرقي من الجدار الشمالي وعنده أول الأميال الاثني عشر بين مكة وعرفة[2]، وكان يقال له أيضاً باب السيل لأن السيول كانت تدخل منه إلى المسجد الحرام قبل أن يعمل عمر ابن الخطاب الردم الأعلى[3]، وهو الباب الكبير الذي يدخل منه الخلفاء، وكان يقال له أيضاً باب بني عبد شمس[4].

وعند هذا الباب تقع دار شيبة بن عثمان وهو لاصق بالمسجد الحرام وقد أدخل في المسجد الحرام[5] عندما وسعه أبو جعفر[6]، ثم المهدي.[7] وهذه الدار بجنب دار الندوة[8]، ويتصل بها ربع آل نافع الخزاعيين[9].

وعلى يمين من خرج من باب شيبة كانت تقع دار الأزرق وكانت لاصقة بالمسجد[10]، وقد اشتراها ابن الزبير وأدخل نصفها في المسجد[11]، ثم أدخلها

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٨٧ ـ ٩٠، وانظر ٢٥٤.

٢ ـ ٢ / ١٢٣.

٣ ـ ٢ / ١٣.

٤ ـ ٢ / ٦٢.

٥ ـ ٢ / ٥٩.

٦ ـ ٢ / ٥٨.

٧ ـ ٢ / ٦٠.

٨ ـ ٢ / ٢٠٤.

٩ ـ ٢ / ٢٠٥، ٢٢٩.

١٠ ـ ٢ / ٥٥، ٥٩، ١٩٩.

١١ ـ ٢ / ٥٥.

المهدي عند توسيعه المسجد كما أدخل دار خيرة التي كانت قرب دار الأزرق وقرب دار شيبة[1].

ومما دخل في توسيع المهدي دار شوذب مولى معاوية، وكانت عند باب بني شيبة[2]. ودخلت في توسيع المهدي دار عتبه بن غزوان التي صارت ليعلى بن منبه وكانت «في فناء المسجد الحرام فيها العطارون»[3].

وعند باب بني شيبة دار غزوان بن جابر ذات الوجهين[4].

وفي الأطراف الشمالية من دار شيبة ودار الندوة يقع ربع آل نافع بن عبدالحارث الخزاعيين، يصل بهذين الدارين وبدار عبدالله بن مالك إلى الزقاق الذي عند دار أم إبراهيم التي في دار أوس، ويشركهم الملحيون أهل دار ابن ماهان[5].

ودار أم إبراهيم يقال لها دار أوس[6]، ويقال لها دار سليبيل، وهي في زقاق الحذائين بين السويقة والمروة[7].

والحذائين تطل على المنارة الرابعة التي بين المشرق والشمال، كما تطل على دار الإمارة[8].

وعند الحذائين دار الإمارة، وهي من الأصل دار الأسود بن خلف الخزاعي ثم صارت لطلحة الطلحات، ثم باعها عبيدالله بن القاسم بن

---

١ ـ ٢ / ٥٩.
٢ ـ ٢ / ٦٠، ١٨٥.
٣ ـ ٢ / ٢٠٠.
٤ ـ ٢ / ١٩٨.
٥ ـ ٢ / ٢٠٥.
٦ ـ ٢ / ١٨٩.
٧ ـ ٢ / ١٩٢.
٨ ـ ٢ / ٧٨.

عبيدة بن خلف الخزاعي من جعفر بن يحيى البرمكي بمائة ألف وبناها حماد البربري لهارون الرشيد[١]، وكانت تسمى أيضاً «دار السلام»، وكان يصعد إليها بدرج في الشق الشمالي[٢].

يمتد ربع آل نافع بن الحارث إلى دار حمزة، وكانت هذه الدار لآل نافع، ثم اشتراهـا أبو الأعور السلمي[٣] ثم اصطفاها عبدالله بن الزبير فوهبها لابنه حمزة، ثم صارت من بعده في الصوافي[٤] وهي تقع في السويقة[٥].

وفي السويقة دار يزيد بن منصور[٦]، يقال لها دار العروس[٧]، ويقابلها دار عبدالصمد، وعندها زقاق البقر والطاحونة، وهي حد المعلاة[٨].

يشرف على دار يزيد بن منصور جبل كان يسمى في الجاهلية القائم، ثم صار يسمى في الإسلام جبل زرزر باسم حائك كان أول من بنى فيه، ويلي جبل زرز جبل النار، ثم يلي هذا جبل أبي يزيد[٩]، وهذا الجبل الأخير سمي برجل كان أمير الحاكة في مكة، وهو يشرف على حق آل عمرو بن عثمان الذي يلي زقاق مهر[١٠].

تقع السويقة في فوهة قعيقعان[١١].

---

١ ـ ٢ / ١٨٨، ٨٨.
٢ ـ ٢ / ٧٥.
٣ ـ ٢ / ٨٥.
٤ ـ ٢ / ١٩٣، ٢٠٠.
٥ ـ ٢ / ٩٠، ١٩٣، ٢٠٥.
٦ ـ ٢ / ٢٣٩.
٧ ـ ٢ / ٧١، ٢٢٩.
٨ ـ ٢ / ٢١٥.
٩ ـ ٢ / ٢٣٩.
١٠ ـ ٢ / ١٨٩.
١١ ـ ٢ / ٢٤٩.

يمتـد شعب قعيقعـان بين دار يزيد بن منصور إلى دور ابن الزبير إلى الشعب الذي منتهاه في أصل الأحمر إلى فلق الزبير الذي يسلك منه إلى الأبطح[1].

والأحمر جبل كان يسمى في الجاهلية الأعرف، وهو مشرف على قعيقعان وعلى دور عبدالله بن الزبير وفيه موضع يقال له الجرو الميزاب[2].

وفي ظهـر الجبل الأحمر قرن أبي ريش، وهو من الجبل الأحمر يشرف على كدا[3]، وعلى رأسه صخرات مشرفات يقال لها الكبش،عندها موضع فوق الجبل الأحمر يقال له قرارة المداحي[4] ، ولها طريق من دار للزنج[5] .

والسـويقـة يمتـد إليهـا ربع بني سهم الذين كانت لهم دار عفيف إلى قعيقعـان، إلى ما حاز سيل قعيقعـان من دار عمرو بن العاص إلى دار غباقة السهمي، إلى ما جاز الزقاق الذي يخرج على دار أبي مجذوره بالثنية[6]، وبين دار عفيف وربع آل المرتفع ردم يصد ماء السيول عن السويقة وربع الخزاعيين ودار الندوة ودار شيبة[7].

فأما دار عفيف السهمي فكانت بجنبها دار الضحاك بن قيس الفهري[8].

وكانت لعبدالله بن الزبير دور ثلاثة مصطفة عند قعيقعان «يقال لها دور الزبير، ابتاعها عبدالله بن الزبير من آل عفيف بن نبيه السهميين ومن ولد منبه، وفيها دار يقال لها دار الزنج، وإنما سميت دار الزنج لأن ابن الزبير كان له فيها

---

١ ـ ٢ / ٢٤٩.
٢ ـ ٢ / ٢٠٦، وانظر ٢١٦.
٣ ـ ٢ / ٢٤٠.
٤ ـ ٢ / ٢٠٦.
٥ ـ ٢ / ٢٠٣.
٦ ـ ٢ / ٤٠٣ ويذكر الأزرقي أن دار الزنج عند الدارين كانت في الأصل من حق بني عدي.
٧ ـ ٢ / ٢٤٩ ثم اشتراها معاوية (٢ / ١٩٢).
٨ ـ ٢ / ٢٩٢.

رقيق زنج، وفي الدار العظمى منهن بير حفره عبدالله بن الزبير، وفي هذه الطريق الدار طريق إلى الجبل الأحمر وإلى قرارة المداحي(١)، ولا بد أن تكون هذه الدور قرب دار عفيف إن لم تكن شملتها، وكانت لدور الزبير طريق من خلق المسائل المشرف على دار الحمام، فلقه ابن الزبير عند الخافط لتيسير سير المال الذي يأتيه من العراق فيدخل إلى دوره دون أن يراه الناس(٢).

والدار الدنيا التي في قعيقعان من دور ابن الزبير كان ينتهي إليها ربع بني المرتفع الممتد من السويقة، ويقال إن ذلك الربع كان لآل النباش بن زرارة التميمي (زوج السيدة خديجة) وقال بعض أهل العلم كان ذلك الربع لأبي الحجاج بن علاط السلمي، كانت عنده امرأة منهم يقال لها فاطمة ابنة الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدالدار، فخرج منها جبراً، فأخذوا داره(٣).

وفي السويقة دار الخشنى، وكانت لعبدالله بن الزبير(٤).

وعند السويقة ردم عمله ابن الزبير حين بنى دوره بقعيقعان ليرد السيل عن دار حجير بن أبي إهاب وغيرها، وهو دون الردم الذي بين دار عفيف وربع آل المرتفع(٥).

وفي الأطراف الشمالية كانت دار آل جحش بن رئاب، وقد صادرها أبو سفيان عندما هاجر بنو جحش إلى المدينة مع الرسول ﷺ(٦)، ثم صارت الدار ليعلى بن منبه، وصادرها عثمان بن عفان حين قاسم يعلى دوره(٧) وأعطاها ابنه

---

١ ـ ٢ / ٢٠٣.
٢ ـ ٢ / ٢٣٠.
٣ ـ ٢ / ٢٠٥.
٤ ـ ٢ / ٢٠٣.
٥ ـ ٢ / ٢٤٩.
٦ ـ ٢ / ١٩٣.
٧ ـ ٢ / ١٩٨.

فصارت تدعى دار أبان بن عثمان، ينزلها في الحج والعمرة إذا قدم مكة[1].

وخلف دار أبان بئر جبير[2]، وعندها بئر العلوق[3]، ومسجد بناه عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد[4].

ويلصق دار جحش بن رئاب دار لقوم من الأزد اشتراها القسري فصارت تعرف بدار القسري، ثم اصطفيت[5].

وفي هذه المنطقة دار ببة، وهو عبدالله بن مطيع، ويجنبها دار المراجل[6]، ودار سلمة[7].

وقد عمل عمر بن الخطاب ردماً، بين دار أبان ودار ببة ليصد السيد عن المسجد الحرام، وهو مبني بالظفائر والصخر العظام[8]، لم يصله سيل[9] ويسمى الردم الأعلى[10] أو ردم عمر[11]، وقد أكمل عبدالملك بن مروان هذا الردم من دار أبان إلى دار ابن الحوار[12]، التي تقابل حق الأخنس الذي بسوق الليل عند الحدادين[13].

وفوق ردم عمر كان زقاق النار[14]، وهو بين دار الحمام ودار سلمة[15].

---

١ - ٢ / ١٩٨.

٢ - ٢ / ١٧٤.

٣ - ٢ / ١٧٧.

٤ - ٢ / ١٧٤، وانظر ١٦٢.

٥ - ٢ / ٢٠١.

٦ - ٢ / ١٩١.

٧ - ٢ / ١٩٣.

٨ - ٢ / ٢٦، ١٣٥.

٩ - ٢ / ١٣٥.

١٠ - ٢ / ٢٥.

١١ - ٢ / ٢٦، ١٣٦، ١٧٤، ١٩١، ١٩٧.

١٢ - ٢ / ١٣٦، ١٧٤، ١٩١، ١٩٧.

١٣ - ٢ / ٢٠٧.

١٤ - ٢ / ٢٦.

١٥ - ٢ / ١٩١.

الأطراف الشرقية من المسجد الحرام

جبل أبي قبيس

وفي الطرف الجنوبي الغربي من الخندمة يقع جبل أبي قبيس في شرقي الصفا مشرف عليها وكان يسمى في الجاهلية «الأمين»[1] وهو أحد أخشبي مكة، وهو لاصق بوادي مكة[2]، ومنه أحد العيون الثلاثة التي تغذي زمزم بالماء[3] وقد وضع عليه الحصين بن نمير مجانيق عندما حاصر ابن الزبير[4].

يصعد على جبل أبي قبيس من الصفا على زقاق مصعداً في الوادي، ويكون هذا الزقاق على دار الأرقم بن أبي الأرقم ويكون حد المعلاة.

ويقع «فاضح» بأصل جبل أبي قبيس ما أقبل على المسجد الحرام[5] وعليه مسجد إبراهيم القبيسي[6] وعند فاضح تقع قرارة المداحي وهو موضع كان أهل مكة يتداحون فيه بالمداحي والمراصع[7].

وفي طريق قرارة المداحي تقع دار الزنج.

وفي أصل أبي قبيس سعد، وهو ماء يجري في أصل أبي قبيس يعمل فيه القصارون[8].

وبلصق جبل أبي قبيس في الوادي كانت دار عبادين جعفر في الوادي وقد

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٥، ١ / ٢٧، ١١٦.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٩٠، ٢١٤.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٤٨.

٤ ـ الأزرقي ١ / ١٣٠، ٣٢٢.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٧.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٤.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٣.

٨ ـ ياقوت ٣ / ٩٢.

آدخلها المهدي في المسجد إلا ما لصق منها بجبل أبي قبيس[1].

وكان شق وادي مكة اللاصق بجبل أبي قبيس في سوق الليل لبني عامر، وكان حق الحارث بن عبدالمطلب الذي على باب شعب أبي يوسف منحدراً إلى دار ابن صيفي التي صارت ليحيى بن خالد بن برمك، وفيه حق لآل الأخنس ابن شريف شرى من بني عامر[2].

أجياد الصغير

أجياد الصغير شعب صغير بلصق جبل أبي قبيس، وفي فمه دار هشام بن العـاص بن المغيرة ودار زهير بن أبي أمية بن المغيره[3] وكانت في دار زهير بئر[4] وعند هذه الدار دار الأوقص[5].

وبالقرب من دار زهير كانت دار لآل هبار الأزديين يتلوها ربع خالد بن العاص بن هشام[6] وفي أجياد الصغير دار الساج وهي لآل هشام بن سليمان[7] وفي آخـر شعب أجياد يقـع المتكا[8] وفي أقصى أجياد الصغير الخندمة[9]، وهي الجبـل الذي ما بين حرف السويدا إلى الثنية التي عندها بئر ابن أبي السمير في شعب عمرو، مشرفة على أجياد الصغير وعلى شعب ابن عامر وعلى دار محمد بن سليمان[10].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٠.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٤.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٤.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٨١.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٩.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٨.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٨.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٤، ٢٣٥، وانظر ١٦٣.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٥.
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٧.

وفي الخندمة أنصاب الأسد[1] وفيها مسجد[2] على بابه بئر حفرتها زينب بنت سليمان بن علي ، وآخر حفره جعفر بن محمد بن سليمان ، وهي في شعب الأيسر[3] .

وفي أصل الخندمة بئر عكرمة[4]، وذباب وهو القرن المنقطع من أصلها بين بيوت عثمان بن عبدالله وبين [5] .

ويشرف جبل نفيج يمتد إلى أنصاب الأسد[6] ويتصل الخندمة بالمستندر.

---

١ - الأزرقي ٢ / ٢٣٥ .
٢ - الأزرقي ٢ / ١٦٥ .
٣ - الأزرقي ٢ / ٢٨٣ .
٤ - الأزرقي ٢ / ١٨١ ، ٢٧٥ .
٥ - الأزرقي ٢ / ٢٢٣ .
٦ - الأزرقي ٢ / ٢٣٥ .

الصفا

الصفا مرتفع من جبل أبي قبيس يطل على الوادي الذي كان يجري في أول الإسلام من طرف المسجد[1] وكان عليه في الجاهلية صنم نهيك مجاور الريح نصبه عليه عمرو بن لحي[2]، كما كان عليه إساف[3] إلى أن حولها قصي إلى زمزم[4]. وكان في زمن الإسلام أيضاً، وأول من استصبح به وأثقب النفاظات في ليالي الحج خالد بن عبدالله القسري ابان ولايته مكة[5]، وأحدث عليه عبدالصمد بن علي في زمن المأمون درجاً كحلت بالنوره فيما بعد[6].

والصفا حد المعلاة من مكة[7]، وعنده الميل الأول بين المسجد وعرفة[8].

ومن أبرز المعالم على الصفا دار الأرقم بن أبي الأرقم الذي كانت تقام فيه الدعوة الإسلامية في السنوات الأولى عندما كانت سرية[9]، وقد تنقلت ملكية هذه الدار إلى أن صارت إلى أبي جعفر المنصور ثم صيرها المهدي للخيزران أم موسى الهادي فبنتها، وعرفت بها، ثم صارت لجعفر بن موسى الهادي، سكنها أصحاب الشطوي والعدني ثم اشترى عامتها أو أكثرها غشان بن عبدا[10]، وكان في فنائها سقايه عملتها الخيزران[11]، ومسجد[12].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٥٦.
٢ ـ الأزرقي ١ / ٧٣.
٣ ـ الأزرقي ١ / ٤٤.
٤ ـ الأزرقي ١ / ٦٩.
٥ ـ الأزرقي ١ / ١٩٤.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٩٦.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٥.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٩.
٩ ـ انظر ابن سعد ٣ ـ ١ / ٣٤، ٣٧، ٥٩، ٦٢.
١٠ ـ ابن سعد ٣ ـ ١ / ٧٤.
١١ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٢، ٢١٥.
١٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٨.

ودار الأرقم حد المعلاة، وبقربها الزقاق الذي على الصفا، يصعد منه إلى جبل أبي قبيس.

وبالقرب من دار الأرقم تقع دور السفيانيين، وكانت لاصقة بجبل أبي قبيس، ولذلك لم تدخل في توسيع الخليفة المهدي المسجد الحرام[1]، وعند الصفا تقع دار السائب بن أبي السائب العائذي، وهي الدار التي كان فيها البيت الذي كانت فيه تجارة النبي ﷺ في الجاهلية، وكان السائب شريك الرسول ﷺ في التجارة[2]، وقد دخلت بعض دار السائب في الوادي وظلت منها بقية في الدار التي يقال لها دار سقيفة، فيها البزازون عند الصيارفة، وصارت لعبدالعزيز بن المغيرة بن عطاء بن أبي السائب، وصار وجهها لمحمد بن يحيى ابن خالد[3].

ويتصل بدار السائب حق آل حنطب من الصيارفة إلى الصفا، أو لعل عند هذه الدار كانت دار ابن صيفي العائذي التي صارت ليحيى بن خالد بن برمك فيها البزازون[4].

وعند الصفا تقع الصيادلة التي عندها دار الخلد وكانت لنافع بن الأزرق القارظي، ثم اشتراها هارون الرشيد، وأعاد بناءها له حماد البربري وسميت دار الخلد[5]، وهي تقع بين دار الأزهر ودار الفضل ولعل الدار الأخيرة هي التي يذكر الأزرقي أن الفضل اشتراها من أهل نافع بن جبير[6]، وبجنب دار نافع كانت تقع دار ابن علقمة[7].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٠.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٩.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٩.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٠.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٦.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٦.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٦.

وبالقرب من الصفا كانت بيرسجلة، كانت لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، ولعل هذه البئر كانت عند دار آل جبير بن مطعم التي دخلت في المسجد الحرام عندما وسعه المهدي[١]، وقد بقيت من هذه الدار حبتها فأقطعت بجعفر ابن يحيى، ثم قبضهـا الرشيد، وبناها له حماد البربري[٢]، وسميت دار القوارير لأنها كانت مبنية بالرخام والفسيفساء من خارجها وبالقوارير والمينا الأصفر والأحمر[٣].

وكانت دار القوارير عند الباب الثاني الذي يلي المسعى[٤]، وكانت عندها سقايه[٥] وبالقرب من دار جبير تقع دار خيرة بنت سباع بن عبدالعزى وكانت في أصل المسجد الحرام ثم دخلت فيه، ودفع المهدي لخيرة عنها ٤٣ ألف دينار[٦].

ويتلو دار خيرة دار الأزرق بن عمرو الغساني[٧]، التي بالقرب منها تقع دار حفصه التي يقال لها دار الزوراء، ويجنبها دار عتبة بن فرقد السلمي[٨].

وكـانت مسـاكن بني عدي في الجاهلية بين الصفا والكعبة، ثم انتقل أكثرهم إلى الأطراف الشمالية قبيل الإسلام بعد منازعات جرت بينهم وبين بني عبـد شمس، وبـاعـوا ربـاعهم ومنـازلهم هنـاك جميعـاً إلا آل أصـداء، وآل المؤمل[٩]، غير أن الأزرقي لم يذكر تفاصيل عن منازل من بقي.

---

١ - الأزرقي ٢ / ٥٦، ٢٠١.
٢ - الأزرقي ٢ / ١٧٥.
٣ - الأزرقي ٢ / ٦٠، ٢٠٢.
٤ - الأزرقي ٢ / ٦٩.
٥ - الأزرقي ٢ / ٧٦.
٦ - الأزرقي ٢ / ٥٦.
٧ - الأزرقي ٢ / ٢٠٦.
٨ - الأزرقي ٢ / ٢٠١.
٩ - الأزرقي ٢ / ٢١١، ٧١.

المسعى

للرقعه الواقعة بين الصفا والمروة مكانة خاصة في خطط مكة، إذ فيها يكون السعي وهو واجب مكمل لشعائر الحج بحكم قوله تعالى: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾[1] وتسمى هذه الرقعه «المسعى» وهي تمتد من الصفا إلى المروة، وكان يمر في أدناها الوادي ملاصقاً للمسجد الحرام، غير أنه حدثت في مجرى الوادي تعديلات بسبب توسيع المسجد في أطرافه الشمالية، ولمحاولة منع تعرض المسجد لمياه السيول الجارفة التي يتعرض لها النوادي وتكون سبباً في إغراق المسجد الحرام.

وصف الأزرقي المسعى وما حدثت عليه من تطورات، وذكر بعض المعالم العمرانية فيه، كما ذكرت بعض كتب الفقه أحوال المنطقة التي في المسعى حيث كان السعي لا يتم على وتيرة واحدة، وإنما يتراوح بين المشي والرمل، كما أنه قد يتم السعي مشياً على القدم أو ركوباً على الدواب.

وأبرز ما في المسعى هو الوادي، وكان مما يلي الصفا وناحية بني مخزوم لاصقاً في المسجد قبل أن يوسع المسجد[2] فلما وسع المسجد أصبح الوادي في بطنه[3].

والمسعى في الجهة الشرقية من المسجد، وكانت زاوية المسجد التي تلي المسعى ليس بينها وبين زاوية بيت الشراب الشرقية إلا نحو من سبعة أذرع[4]، فكان المسجد بجداره الذي يلي الوادي لاصقاً ببيت الشراب[5].

---

١ ـ سورة البقرة: الآية ١٨٥.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٦٣.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٥٦، ٦٣.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٥٦.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ٦٠.

وكان باب بني هاشم الذي عليه العلم الأخضر الذي يسعى منه من أقبل من المروة يريد الصفا فيه منارة شارعة على الوادي والمسعى، لاصقاً بهما في بطن المسجد قبل أن يؤخر المهدي المسجد في منتهاه، وكان الوادي اليوم من شق الصفا والوادي[1].

وكانت وراء الوادي دور الناس، وكان يسلك من المسجد إلى الصفا في بطن الوادي، ثم يسلك في زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادي والصفا[2].

وكانت دار الأزرق لاصقة بالمسجد الحرام على يمين من خرج من باب شيبة بن عثمان الكبير ودار خيرة السباعية شارعة على المسعى[3].

وقد حدث في هذه المنطقة تبدلان، أحدهما في زمن ابن الزبير، والثاني في زمن الخليفة العباسي المهدي.

فأما ابن الزبير فإنه «انتهى بالمسجد إلى أن أشرعه على الوادي مما يلي الصفا وناحية بني مخزوم، والوادي يومئذ في موضع المسجد اليوم، ثم مضى به مصعداً من وراء بيت الشراب لاصقاً به وبين جدر بيت الشراب الذي يلي الصفا وبين جدر المسجد إلا قدر ما يمر الرجل وهو منحرف، ثم أصعد به عن بيت الشراب مصعداً بقدر سبعة أذرع أو نحو ذلك، ثم رده في العراض، وكانت زاوية المسجد التي تلي المسعى ونحو الوادي الزاوية الشرقية ليس بينها وبين زاوية بيت الشراب الشرقية إلا نحو من سبعة أذرع، ثم رده عرضاً على المضمار إلى باب دار شيبة بن عثمان[4] ولتحقيق هذا التوسيع اشترى ابن الزبير دوراً من الناس وأدخلها في المسجد، وكان مما اشتراه دار الأزرق، وكانت لاصقة

---

١ - الأزرقي ٢ / ٦٠.

٢ - الأزرقي ٢ / ٥٩.

٣ - الأزرقي ٢ / ٥٦.

٤ - الأزرقي ٢ / ٥٥.

بالمسجد الحرام، بابها شارع على باب بني شيبة الكبير على يسار من دخل المسجد الحرام، فاشترى نصفها فأدخله في المسجد الحرام[1].

أما توسيع المهدي، فقد تم في دفعتين: أولهما في سنة ١٦٠ حيث أمر أن يزاد في أعلاه، ويشترى ما كان في ذلك الموضع من الدور «فكان مما دخل في ذلك الهدام دار الأزرق وهي يومئذ لاصقه بالمسجد الحرام على يمين من خرج من باب بني شيبة بن عثمان الكبير. . ودخلت أيضاً دار خيرة بنت سباع الخزاعية. . . وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل أن يؤخر المسعى، ودخلت أيضاً بعض دار شيبة بن عثمان، فاشترى جميع ما كان بين المسعى والمسجد من الدور فهدمها، ووضع المسجد على ما هو عليه اليوم شارعاً على المسلمين، وجعل موضع دار القوارير رحبة[2]، وكان الذي زاد المهدي في المسجد في الزيادة الأولى أن مضى بجداره الذي يلي الوادي، إذ كان لاصقاً ببيت الشراب حتى انتهى به إلى حد باب بني هاشم «الذي عليه العلم الأخضر الذي يسعى منه من أقبل من المروة يريد الصفا» ولم يكن حول المهدي في الهدم الأول من شق الوادي والصفا، أقره على حاله لطافا «واحداً»[3].

وفي سنة ١٦٧ أحدث المهدي توسعاً ثانياً في المسجد شمل هدم أكثر دار ابن عباد بن جعفر العايذي «وجعلوا المسعى والوادي فيها، فهدموا ما كان بين الصفا والوادي من الدور، ثم حرفوا الوادي في موضع الدور حتى التقوا به الوادي القديم باب أجياد الكبير بفم خط الحزامية، فالذي زيد في المسجد من شق الوادي ٩٠ ذراعاً من موضع جدر المسجد الأول إلى موضعه اليوم»[4].

يتبين مما تقدم أن أقدم توسيع في المسجد حدث في زمن عبدالله بن

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٥٩ ـ ٦٠.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٥٩ ـ ٦٠.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٦١.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٦٥.

الزبير وشمل نصف دار الأزرق التي تقع على يمين من خرج من باب شيبة وهي لاصقة بالمسجد[1].

أما التوسع الثاني الذي حدث في زيادة المهدي الأولى فقد شملت بقية دار الأزرق ودار خيرة بنت سباع الخزاعية[2].

أما التوسع الأخير فإنه شمل دار محمد بن عباد وكان بابه «عند ركن المسجد الحرام، عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي فيها علم المسعى[3]. وكان الوادي يمر دونها[4]، قد بقي ذكره بعد هدمه، فيذكر الأزرقي «من العلم الذي على دار العباس إلى العلم الذي عند دار ابن عباد الذي بحذاء العلم الذي في حد المنارة وبينهما الوادي ١٢١ ذراعاً، أي أن دار العباس تبعد عن دار ابن عباد ١٢١ ذراعاً، وهي عند العلم الذي بحذاء المسجد بينهما عرض المسعى»[5]، أي في الطرف الشرقي من الوادي.

ولم تدخل في توسيع المهدي، ودار العباس مقابل باب بني هاشم الذي عليه العلم الأخضر الذي يسعى منه أقبل من المروة يريد الصفا، ونظراً لهذا التقارب فقد كان العلم الأخضر يذكر أحياناً أنه عند باب العباس.

ودار العباس كانت في الأصل لهاشم بن عبد مناف، وفيها حجران عظيمان يقال لهما إساف ونائلة، كانا يعبدان في الجاهلية في ركن الدار.

ذكر الأزرقي الأبعاد في معالم المسعى فقال:

ذرع ما بين باب المسجد الذي يخرج منه إلى الصفا إلى وسط الصفا ٢/١ ١١٢ ذراعاً.

---

١ - الأزرقي ٢ / ٥٩.

٢ - الأزرقي ٢ / ٥٩.

٣ - الأزرقي ٢ / ١٦٧.

٤ - الأزرقي ٢ / ٦٣.

٥ - الأزرقي ٢ / ٩٥، ١٨٨.

ومن وسط الصفا إلى علم المسعى الذي في حد المنارة ٢/١ ١٤٢ ذراعاً.
وذرع ما بين العلم الذي في حد المنارة إلى العلم الأخضر الذي على باب المسجد وهو المسعى ١١٢ ذراعاً.
وذرع ما بين العلم الذي على باب المسجد إلى المروة ٢/١ ٥٠٠ ذراع.
وذرع ما بين الصفا والمروة ٢/١ ٧٦٦ ذراعاً.
وذرع ما بين العلم الذي على باب المسجد إلى العلم الذي بحذائه على باب دار العباس بن عبدالمطلب وبينهما عرض المسعى ٢/١ ٣٥ ذراع.

ومن العلم الذي عند دار ابن عباد الذي بحذاء العلم الذي في حد المنارة وبينهما الوادي ١٢١ ذراعاً[١].

إن التعديلات التي أحدثها ابن الزبير والمهدي اقتصرت على جهة الوادي عند المسجد، أما بقية المناطق فلم تحدث فيها تعديلات، وتشير المعلومات عن المسعى بين الصفا والمروة أن الوادي ظل قائماً.

فيذكر الأزرقي أن عبدالله بن عمر كان في سعيه بين الصفا والمروة «ينزل من الصفا يمشي، حتى إذا جاء دار ابن عباد سعى حتى ينتهي إلى الزقاق الذي يسلك إلى المسجد الذي بين دار أبي حسين ودار ابنه قرظه سعياً دون الشد وفوق الرمل، ثم يمشي مشيه الذي هو فيه حتى يرقى المروة فيجعل المروة أمامه»[٢].

ويروي أن ابن المسيب قال «السنة في الطواف بين الصفا والمروة أن ينزل من الصفا ثم يمشي حتى يأتي بطن المسيل، فإذا جاء سعى حتى يظهر منه، ثم يمشي حتى يأتي المروة[٣].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٩٥.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٩٤.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٩٣.

ويذكـر عن عطاء «من طاف بين الصفـا والمـروة راكباً فليجعل المروة البيضاء في ظهره ويستقبل البيت، وليدع الطريق والمروة وليأخذ دار عبدالله بن عبـدالملك، وهي بين دار منارة المنقوشة وبين المروة البيضاء في طريق دار طلحة بن داود حتى يجعل المروة في ظهره.

ذكـر الأزرقي الـدور التي على الـوادي شمـالي دار العبـاس التي في المسعى، وهي لبني عامر حيث قال: «بني عامر بن لؤي لهم من وادي مكة على يسار المصدر من دار العباس بن عبدالمطلب التي في المسعى دار جعفر بن سليمان، ودار جعفر بن سليمان، ودار ابن حوار مصعداً إلى دار أبي أحيحة سعيد بن العاص، ومعهم فيه حق لآل طرقه الهذليين، وهو دار الربيع، ودار الطلحيين والحمام ودار أبي طرفه»، ثم عدد هذه الدور ومواقعها فقال:

«فأول حقهم من أعلى الوادي دار هند بنت سهيل، وهو ربع سهيل بن عمرو وهذه الدار أول دار بمكة عمل لها بابان.

وأسفل منها بابان دار العظريف بن عطاء والرحبة التي خلفها في ظهر دار الحكم كانت لعمرو بن عبدود ثم صارت لآل حويطب.

وأسفل من هذه الدار دار حويطب بن عبدالعزيز.

في أسفل هذه الدار دار الحدادين التي كانت لبعض بني عامر فاشتراها معاوية وبناها.

والدار التي أسفل منها التي فيها الحمام.

دار السلماني فوق دار الربيع كانت لرجل من بني عامر بن لؤي يقال له العباسي بن علقمة.

وأسفل من هذه الدار دار الربيع، وحمام العايدين، ودار أبي طرفه ودار الطلحيين كانت لآل طلحة طرفه الهذليين.

وأسفل من هذه الدار دار محمد بن سليمان كانت لمخرمة بن عبدالعزى .

ودار ابن الحوار من رباع بني عامر، وربعهم جاهلي ، وهي لولد عبدالرحمن بن زمعة .

وأسفل من دار ابن الحوار دار جعفر بن سليمان كانت من رباع بني عامر بن لؤي[1] .

ويبدو أن الأزرقي ذكر تسلسل هذه الدور من الشمالي إلى الجنوب ، ومما يدل على ذلك قوله : إن دار جعفر بن سليمان كانت إلى جنب دار العباس[2] .

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٢ ـ ٢١٣ .

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٨١ .

رحبة عمر بن الخطاب بين الصفا والمروه ٢ / ١٤٨ .

المروة وأطرافها

إن المروة التي يتم السعي بينها وبين الصفا هي أكمة في وسط مكة، مائلة إلى الغرب نحو قعيقعان تحيطها بيوت أهل مكة[١]، والمسافة بينها وبين الصفا ٢/١ ٧٦٦ ذراعاً، وعن العلم الذي على باب المسجد الحرام ٥٠٠ ذراع[٢]، وكانت عندها في الأزمنة القديمة إساف ونائله، يطوف بها أهل الحج في الجاهلية ثم حولهما قصي فجعل أحدهما في الكعبة والآخر عند زمزم، وكانوا ينحرون عندهما[٣]، وكان على المروة أيضاً مطعم الطير، وهو صنم نصبه عمرو بن لحي[٤].

لم يكن على المروة درج إلى أن جاء العباسيون فبنى عبدالصمد بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور على المروة درجاً عددها خمسة عشر درجة[٥]، ثم قام مبارك التركي في زمن خلافة المأمون بتكحيل الدرج بالنوره[٦].

وفي زمن خلافة سليمان بن عبدالملك قام واليه على مكة خالد بن عبدالله القسري باستصباح ما بين الصفا والمروة، وظل الأمر كذلك إلى زمن المعتصم حيث جعل الإنارة عليها بالنفاطات[٧].

يشرف على المروة جبل ديلمي[٨]، وكان يسمى في الجاهلية سميرا» ثم أخذ اسمه الجديد من مولى معاوية كان بنى في ذلك الجبل داراً[٩] وقد آلت هذه

---

١ - ياقوت ٣ / ٥١٣.
٢ - الأزرقي ٢ / ٩٥.
٣ - الأزرقي ٢ / ٦٩.
٤ - الأزرقي ٢ / ٧٣.
٥ - الأزرقي ٢ / ٩٥.
٦ - الأزرقي ٢ / ٩٥.
٧ - الأزرقي ٢ / ١٩٤.
٨ - الأزرقي ٢ / ١٩٣، ٢٣١.
٩ - ياقوت ٢ / ٧١٢.

الدار فيما بعد لخزيمة بن خازم السلمي[1] .

ويطل على الديلمي جبل شيبة، وكان في الأصل للنباش بن زرارة التميمي زوج خديجة الأول، ثم صار بعد ذلك لشيبة[2] وكان السيل المقبل من جبل شيبة يمر من زقاق بين دار العجلة وبين جدار المسجد[3] وكان جبلا الديلمي وشيبة يسميان في الجاهلية «واسط»[4] .

كان لبني عبدالدار ربع في جبل شيبة، يقع وراء دار عبدالله بن مالك ويمتد إلى دار الأزرق بن عمرو إلى ما سال من قرارة جبل شيبة إلى دار درهم وربع بني المرتفع[5] .

فأما دار الأزرق فكانت «عند المروة إلى جانب دار طلحة بن أبي داود الحضرمي الذي كان إلى جنبه دار حفصة التي يقال لها دار الزوراء، وهي عند باب الأزرق، وهو ربع لهم منذ قبل الإسلام[6] .

وفي الجانب الثاني من دار طلحة كانت دار عتبة بن فرقد السلمي[7] وهذه الدار كان يقال لها دار ابن فرقد، وكانت دار آل عتبة وربعهم في شق المروة السوداء دار الحرشي المنقوشة وزقاق أبي ميسرة[8] وعند دار الحضرمي يقع ربع آل أنمار القاربين شارعة على المروة وعندها أصحاب الأدم، وفي وجهها البرامون وفيه دار أم أنمار القارية ومسجد عند البرامين وبين الدارين،

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٥٣.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٠، ياقوت ٣ / ٣٤٦.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٦٢.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٠.
٥ ـ الأزرقي ٢٠٤ ـ ٥.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠١.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠١.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٩، ويذكر الأزرقي أن أبا سفيان قال لآل فرقد سواد المروة ولنا بياضها (٢ / ١٣٢، ١٩٦).

وهي مقابل سوق الخرازين الذي يسلك على دار عبدالله بن مالك[1].

وعند ربع القاريين رحبة كانت في الأصل داراً للخطاب بن نفيل ثم صارت لعمر بن الخطاب[2] فهدمها في خلافته وجعلها رحبة ومناخاً للحاج، وفيها حوانيت أصحاب الأدم، وهي بين دار مخرمة ودار الوليد بن عتبة وجهها الآخر يقابل الدارين[3].

فأما دار مخرمة بن نوفل فقد صارت لعيسى بن علي بن عبدالله بن العباس[4] وقد أعاد بناءها له أبو بحر المجوسي في سنة ١٦١، وعني بسقوفها وبابها[5].

ومن أبرز المعالم عند المروة هو دار عبدالله بن مالك الخزاعي، وكانت في قول البعض، أصلها لسعد بن أبي طلحة ثم صارت لمعاوية، ثم آلت إلى عبدالله بن مالك الخزاعي[6] ويذكر الأزرقي أن دار سعد كانت فيها طريق تمر بها المحامل والقباب من السويقة إلى المروة، وكان بينها وبين دار عيسى بن علي ودار سلسبيل طريق في زقاق ضيق، فصارت لعبدالله بن مالك بن الهيثم الخزاعي فهدمها وسد الطريق التي كانت في بطنها وأخرج للناس طريقاً تمر بها المحامل والقباب، فكان الزقاق الضيق بينهما وبين دار سلسبيل أم زبيدة، ودار عيسى بن علي وهي دار عبدالله بن مالك التي إلى جنب دار عيسى بن علي في زقاق الجزارين»[7].

ودار عبدالله بن مالك بين دار منارة المنقوشة وبين المروة البيضاء في

---

١ - الأزرقي ٢ / ٢٠٦.
٢ - الأزرقي ٢ / ٢٠٦.
٣ - الأزرقي ٢ / ٢١٢ - ٣.
٤ - الأزرقي ٢ / ٨٢، ٢٠٥.
٥ - الأزرقي ٢ / ٤٨، ٨٢، ٢١٣.
٦ - الأزرقي ٢ / ٢٠٥.
٧ - الأزرقي ٢ / ١٩٢.

طريق دار طلحة بن داوود[1].

وهي أمام ربع بني عبدالدار في جبل شيبة[2]ويسلك إليها طريق مقابل الجزارين في رحبة عمر بن الخطاب[3] ، ويسلك أيضاً إليها وإلى المروة زقاق من رباع الخزاعيين التي تمتد من دار حمزة بالسويقة وينقطع ربعهم في ذلك الزقاق عند دار أم إبراهيم التي من دار أوس» [4] .

وفي المروة دار لعمر بن عبدالعزيز في صفها دار لآل الحضرمي وجهها شارع على المروة، في وجهها الحجامون، وقد اشترتها رملة بنت عبدالله بن عبدالملك بن مروان وزوجها عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان، فتصدقت بها ليسكنها الحاج والمعتمرون، وكان في دهليز دارها هذه شراب من أسوقه محلاة ومحمضة تسقي فيها في الموسم «ثم اصطفا العباسيون، وكانت هذه الدار تقع بين دار عمر بن عبدالعزيز ودار أم أنمار القارية» [5].

يقول الأزرقي[6] إن معاوية بن أبي سفيان ابتنى مكة دوراً منها الست المتقاطره ليس لأحد بينها فصل:

١ ـ أولها دار البيضاء التي على المروة وبابها ناحية المروة، ووجهها شارع على الطريق العظمى بين الدارين، وكانت فيها طريق إلّى جبل الديلمي فلم تزل حتى قطعها العباس بن محمد بن علي فسد تلك الطريق فهي مسدودة إلى اليوم، ثم قبضت بعد من العباس بن محمد، وإنما سميت البيضاء لأنها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلهاء بيضاء.

٢ ـ وجدر الرقطاء إلى جنبها، وإنما سميت الرقطاء لأنها بنيت بالآجر

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٩٤.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٤.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٦.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٢.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠١.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٩١.

الأحمر والجص الأبيض فكانت رقطاء، ثم كانت أقطعها الغطريف بن عطاء ثم قبضت منه فهي اليوم في الصوافي[1].

٣ ـ ودار المراجل تلي الرقطاء، بينهما الطريق إلى جبل الديلمي، وإنما سميت دار المراجل لأنها كانت فيها قدور من صفر لمعاوية يطبخ فيها طعام الحاج وطعام شهر رمضان، فصارت دار المراجل لولد سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس أقطعها.

ويقال أنها كانت لآل المؤمل العدويين فابتاعها منهم معاوية[2]

ويقال أن دار الرقطاء والبيضاء كانتا لآل اسيد أبي العاص بن أمية فابتاعها منهم معاوية.

٤ ـ ودار ببة إلى جنب دار المراجل على رأس الردم[3]، ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وببة عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وهي التي صارت لعيسى بّن موسى.

٥ ـ ودار سلم بنت زياد وهي التي إلى جنب دار ببة، وسلم بن زياد كان قيماً عليها وكان يسكنها.

٦ ـ ودار الحمام وهي التي إلى جنب دار سلمة بينهما زقاق النار.

ويقال أن دار الحمام كانت لعبدالله بن عامر بن كريز فناقله بها معاوية إلى دار ابن عامر التي في الشعب.

---

١ ـ يجدر عدم الخلط بينها وبين دار بهذا الاسم لمحمد بن يوسف وأدخل فيها مولد النبي ٢ / ١٦٠، ١٧٩، ١٨١.

٢ ـ انظر ٢ / ٢١٢.

٣ ـ كان ردم عمر من دار أبان بن عثمان إلى دار به بن ربيعة ٢ / ٢٦، ١٣٥.

دار رابعه وهي مقابل دار الحمام، وهي التي في وجهها دور بني غزوان بأصل قرن مسقلة[1].

يظهر من هذا النص أن هذه الدور كانت متصاقبة، وهي تمتد من جبل الديلمي الذي تقع بقربه الدور الثلاثة الأولى: البيضاء، والرقطاء، والمراجل وإنها تمتد إلى الردم حيث يقع دار ببه، وإلى قرن مسقلة حيث يقع دار الحمام أي أنها كانت تمتد إلى الجهات الشمالية الشرقية من المروة.

لم يذكر الأزرقي معالم عمرانية عند هذه البيوت سوى ما ذكره عن دار سلم ودار الحمام حيث ذكر أن جبل تفاجة يشرف عليها، وأن تفاجة التي سمي بها الجبل هي مولاة لمعاوية كان أول من بنى في ذلك الجبل[2].

---

١ ـ انظر ٢ / ٢١٨، ويقال أن قبر آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ كان في دار رابغه (٢ / ١٧٠، ٢٢٠).

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٠.

الخندمة
والرباع في أطرافها الشرقية

الخندمة وهي جبل يمتد ما بين حرف السويدا إلى الثنية التي عندها بئر ابن أبي السمير في شعب عمرو، مشرف على أجياد الصغير وعلى شعب ابن عامر، وعلى دار محمد بن سليمان في طريق منى إذا جاوزت المقبرة على يمين الذاهب إلى منى[1]، فهي تقع في أقصى أجياد[2]، ويجرى فيها بعض السيول التي تأتي في شعب السد في وادي ابراهيم[3].

وفي أصل الخندمة شعب يقال له الأيسر يقع في أقصى أجياد الصغير[4]، وفيه بئر عكرمة ومسجد المتكي[5].

و في خطم الخندمة المستندر وهو اسم جاهلي للجبل الأبيض المشرف على حق أبي لهب وحق إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدالله[6].

والمستنـدر في فم شعب أبي طالب، وفيه بذر «البئر التي حفرها هاشم بن عبد مناف ثم ابتاعها مطعم بن عدي، وهي في حق المقوم بن عبدالمطلب في ظهر دار الطلوب مولاة زبيدة في أصل المستندر[7] ويقال أن قصياً حفرها فنزلها أبو لهب[8].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٧.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٣، ٢٣٥.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٣٤.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٣.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٣٥، ١٦٣.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٨، ١ / ٦٤.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٥، ١٧٩.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٥.

وتمتد في جنوب المستندر رباع بنـ
بن عبد شمس، ورباع بني عامر بن
إمـا لعلاقتها بالرسول وأسرته، أو للمـ
فضلاً عن امتدادها جنوباً إلى أطراف الصـ

رباع بني عبدالمطلب :-

ذكر الأزرقي رباع بني عبدالمطلب فقال.

الدار التي صارت لابن سليم الأزرق إلى جنب دار بني مرحب صارت لإسماعيل بن إبراهيم الحجبي، هي قبالة دار حويطب بن عبدالعزى إلى منتهى دار إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدالله.

١ - فلولـده الحارث بن عبدالمطلب أول ذلك الحق، وهي الدار التي اشتراها ابن أبي الطلوح البصري.

٢ - والحق الذي يليه وهو الشعب، شعب ابن يوسف، وبعض دار أبي يوسف لأبي طالب.

٣ - والحق الذي يليه وبعض دار ابن يوسف المولد، مولد النبي ﷺ وما حوله لأبي النبي عبدالله بن عبدالمطلب.

٤ - والحق الذي يليه حق العباس بن عبدالمطلب وهي دار خالصة مولاة الخيزران.

٥ - ثم حق المقوم بن عبدالمطلب وهي دار الطلوب مولاة زبيدة.

٦ - ثم حق أبي لهب وهي دار أبي يزيد اللهبي، وهذا آخر حقهم[1].

وذكـر الأزرقي أن المستندر في أصله حق المقوم وفيها بئر بذر[2]، وأنه يشرف على حق أبي لهب وحق إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدالله[3] أي

---

١ - الأزرقي ٢ / ١٨٨.

٢ - الأزرقي ٢ / ١٧٥.

٣ - الأزرقي ٢ / ٢١٨، ١ / ٦٤.

أنهما في الأطراف الشمالية من ما وزعه عبدالمطلب على أولاده، أما دار العباس فلعلها التي عند العلم الذي عند الصفا في بداية المسعى، وإن الأزرقي ذكر هذه الأملاك تبعاً لتسلسل مواقعها من الجنوب إلى الشمال.

فأما دار الحارث بن عبدالمطلب فقد ذكره الأزرقي عرضاً عند كلامه عن ربع بني عامر بن لؤي التي تمتد «من شق وادي مكة اللاحق بجبل أبي قبيس في سوق الليل من حق الحارث بن عبدالمطلب الذي على باب شعب ابن يوسف منحدراً إلى دار ابن صيفي التي صارت ليحيى بن خالد بن برمك»[1]، ويظهر هذا النص أن حق الحارث في أول (باب) شعب ابن يوسف، وأنه قرب سوق الليل.

فأما سوق الليل فكانت تشرف عليه منارة المكيين المشرفة على دار ابن عباد ودار السفيانيين[2].

وفي سوق الليل تقع دار الحدادين[3]، الذي يقابل سوق الفاكهة وسوق الرطب في الزقاق الذي بين دار حويطب ودار ابن آخي سفيان بن عيينة[4].

وفي هذا السوق أيضاً حق لآل الأخنس مقابل دار الحوار[5].

مولد النبي :-

لا ريب في أن أبرز ما في رباع بني عبدالمطلب هو شعب ابن يوسف، ففيه حقوق كل من الحارث بن عبدالمطلب، وأبي طالب وعبدالله بن عبدالمطلب؛ وأبرز المعالم العمرانية في هذه الرباع هو مولد النبي ﷺ ومنزل خديجة.

---

١ - الأزرقي ٢ / ٢١٤.
٢ - الأزرقي ٢ / ٧٧.
٣ - الأزرقي ٢ / ١٩٢، ٢٠٧.
٤ - الأزرقي ٢ / ١٩٢.
٥ - الأزرقي ٢ / ٢٠٧.

فأما مولد النبي ﷺ فكان في شعب ابن يوسف[1]، وهو في زقاق يسمى زقاق المولد[2]، وكان عقيل ابن أبي طالب قد صادره عندما هاجر الرسول ﷺ من مكة، ولم يسترده الرسول ﷺ بعد الفتح[3] وقد حفر فيه عقيل بئر الطوى[4]، ثم اشتراه محمد بن يوسف أخو الحجاج، فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، ولا بد أن الشعب أخذ اسمه من محمد بن يوسف.

ظل بيت مولد النبي في دار ابن يوسف حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون، فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من دار بن يوسف وأشرعته في الزقاق الذي في أصل تلك الدار، وكان قبل أن تفرزه الخيزران يسكنه أناس، فانتقلوا عنه عندما جعل مسجداً [5].

ودار محمد بن يوسف هي البيضاء [6]، وهي حد حق آل نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، أما الحد الآخر لآل نوفل فيمتد إلى فاضح بأصل جبل أبي قبيس [7].

وعند شعب ابن يوسف في وجه دار ابن يوسف كانت بركة البطحاء تسكب فيها مياه عين من بركة أم جعفر [8].

بيت خديجة

والمعلم العمراني البارز الثاني في هذه المنطقة هو منزل خديجة الذي كان يسكنه الرسول ﷺ منذ أن تزوج خديجة، وفيه ولدت خديجة جميع أولادها، وفيه توفيت، فلما هاجر الرسول ﷺ أخذه عقيل بن أبي طالب، ولم يسترده الرسول ﷺ بعد الفتح، ثم اشتراه معاوية بعد توليه الخلافة، وجعله مسجداً يصلى فيه، وأعاد بناءه على حدود ما كان في زمن حياة خديجة [9].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٨.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٠، ٤١٧.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٦، ١٧٩.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٦١.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٠، ١٧٩، ١٨٠.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٧.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٧.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ١٦١.

ويتصل بيت خديجة بدار أبي لهب ودار عدي بن أبي الحمراء الثقفي ومنهما كانت ترشق الحجارة على الرسول ﷺ[١].

ودار أبي لهب في زقاق مسجد خديجة، وأسفل منها دار ابن أبي ذنب[٢]، ويصاقب دار أبي لهب ودار أبي سبرة بن أبي رهم ثم دار حويطب كما ذكرنا.

أما دار عدي بن أبي الحمراء فكانت تسمى دار العاصميين، وهي في ظهر دار ابن علقمة، وتقع بين بيت خديجة ودار القدر[٣]، وهذه الدار الأخيرة كانت لعبدالرحمن بن القاسم الخزاعي، ثم اشتراها منه الفضل بن الربيع بعشرين ألف دينار وهي في زقاق أصحاب الشيرق[٤].

وتجاور دار القدر دار الأخنس التي تجاور من الجهة الثانية دار بناها حماد البربري هارون الرشيد[٥] مقابل دار الأخنس في زقاق العطارين حق للسفيانيين يقال لها دار الحارث وقد آلت إلى قوم من السفيانيين يقال لهم آل أبي قزعة[٦].

كان منزل خديجة يسلك عليه من زقاق العطارين[٧] الذي كان في فوهته حق أزهر بن عبد عوف فيها العطارون[٨] وفي هذا الزقاق دار عوف بن أبي عوف، أبو عبدالرحمن بن عوف، ثم أصبحت لجعفر بن سليمان[٩].

رباع آل أبي سفيان:

كانت دار أبي سفيان بن حرب بجانب دار خديجة، وقد فتح معاوية

---

١ ـ الأزرقي ٢/ ١٦٢.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٢.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٧.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٨.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٧.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٠.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٦٢، ٧٠.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٥.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٥.

بينهما باباً، وهذه الدار هي التي قال الرسول ﷺ يوم الفتح «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» [١]، وقد صارت دار أبي سفيان فيما بعد لربطة بنت أبي العباس فصارت تسمى دار ريطة [٢].

وعند دار أبي سفيان، بينها وبين دار حنظلة بن أبي سفيان رحبة كانت فيها تحط العير القادمة من السراة والطائف ما تحمله من متاع لتباع، وهذه الرحبة تدعى «بين الدارين»، وقد أقطعها معاوية لزياد والي العراق فبناها داراً، وصارت تدعى الصرارة [٣].

أما دار حنظلة فالراجح أنها التي صارت للبابة ابنة علي بن عبدالله بن العباس وكانت عند القواسين [٤].

تقع على رحبة بين الدارين دار سعيد بن العاص ودار الحكم بن أبي العاص وكانتا متجاورتين، فلما بنى زياد داره سدت وجه هذين الدارين[٥].

وفي ظهر دار الحكم رحبة كانت لعمرو بن عبدود ثم صارت لآل حويطب ثم صارت للغطريف بن عطاء [٦] وكانت عند دار سعيد بن العاص رباع بني عامر التي تمتد إلى دار جعفر ودار ابن الحوار [٧] وعند دار أبي سفيان دار عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وقد صارت للوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فبناها بناءً ظل قائماً، وبجنب دار عتبة كانت دار ابن علقمة [٨].

---

١ ـ الأزرقي ٢ /١٦١.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٦١، ١٩٠.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٣.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٣.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٣، ١٩٤.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٤.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٤.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٥.

رباع بني عامر بن لؤي:

ذكر الأزرقي في كلامه عن رباع بني عامر بن لؤي المعالم العمرانية في هذه المنطقة، فذكر أن بني عامر «لهم من وادي مكة على يسار المصعد في الوادي من دار العباس بن عبدالمطلب التي في المسعى، دار جعفر بن سليمان، ودار ابن حوار، مصعداً إلى دار أبي أحيحة سعيد بن العاص، ومعهم في هذا حق لآل أبي طرفة الهذليين وهو دار الربيع، ودار الصلحيين، والحمام، ودار أبي طرفة، ثم عدد هذه الدور مسلسلة تبعاً لمواقعها الجغرافية.

١ ـ فأول حقهم من أعلى الوادي دار هند بنت سهيل، وهو ربع سهيل بن عمرو.

٢ ـ وأسفل منها دار الغطريف.

٣ ـ والرحبة التي خلفها في دار الحكم كانت لعمرو بن عبدود، ثم صارت لآل حنطب.

٤ ـ وأسفل من هذه الدار دار حويطب بن عبدالعربي.

٥ ـ وأسفل من هده الدار دار الحدادين، كانت لبعض بني عامر فاشتراها معاوية وبناها.

٦ ـ والدار التي أسفل منها فيها الحمام.

٧ ـ ودار السلماني فوق دار الربيع كانت لرجل من بني عامر بن لؤي يقال له العباس بن علقمة.

٨ ـ وأسفل من هذه الدار دار الربيع، وحمام العائذيين، ودار أبي طرفة، ودار الطلحيين، كانت لآل أبي طرفة الهذليين.

٩ ـ وأسفل من هذه الدار دار محمد بن سليمان كانت لمخرمة بن عبدالعزى أخي حويطب بن عبدالعزى.

١٠ ـ ودار ابن الحوار من رباع بني عامر، وابن الحوار من موالي ابن عامر في الجاهلية وربعهم جاهلي، ودار ابن الحوار لولد عبدالرحمن بن زمعة اليوم.

١١ ـ وأسفل من دار ابن الحواز دار جعفر بن سليمان، كانت من رباع

بني عامر، ثم ذكر ما لبني عامر بن لؤي من الرباع في شق وادي مكة اللاحق بجبل أبي قبيس في سوق الليل من حق الحارث بن عبدالمطلب إلى دار ابن صفي التي صارت ليحيى بن خالد بن برمك، لما ذكر دوراً لهم عند دار أبي لهب، ودار الحكم[1] وهو يذكر أن دار جعفر بن سليمان عند حائط عوف، وأن دار مال الله من أصل الحجون[2].

ولا بد أن هذه الدور تقع غربي رباع بني عبدالمطلب.

أما دار مال الله فكانت في العهود الأولى يكون فيها المرضى وطعام مال الله ثم ابتاعها معاوية وصارت تدعى دار الحدادين[3]، وكانت تقع في رباع بني عامر بن لؤي وصف الأزرقي دور بن عامر ومواضعها فقال «فأول ـ حقهم من أعلى الوادي دار هند بنت سهيل، وهو ربع سهيل بن عمرو. وأسفل منها دار الغطريف بن عطاء.

والرحبة التي خلفها في ظهر الحكم كانت لعمرو بن عبدود ثم صارت لآل حويطب.

وأسفل من هذه الدار دار حويطب بن عبدالعزى.

وأسفل من هذه الدار دار الحدادين كانت لبعض بني عامر فاشتراها معاوية وبناها.

والدار التي أسفل منها التي فيها الحمام.

ودار السلماني فوق دار الربيع كانت لرجل من بني عامر بن لؤي يقال له العباس ابن علقم.

وأسفل من هذه الدار دار الربيع وحمام العايذيين ودار أبي طرفة بن عبدالعزى في حويطب بن عبدالعزى ودار ابن الحوار من رباع بني عامر، وابن الحوار من

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٣ ـ ٢١٤.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٤.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٣، ٩٤.

موالي بني عامر في الجاهلية، وربعهم جاهلي.
ودار ابن الحوار لولد عبدالرحمن بن زمعه اليوم
وأسفل من دار ابن الحوار دار جعفر بن سليمان كانت من رباع بني عامر بن لؤي[1].

ويتبين من هذا أن دار الحدادين هي السادس في ترتيب البيوت من الوادي.

وذكر الأزرقي أن دار الحدادين تقع بسوق الليل «مقابل سوق الفاكهة وسوق الرطب، في الزقاق الذي بين دار حويطب ودار ابن أخي سفيان بن عيينة[2]، وكانت في دار حويطب بئر له[3]، وأمامها دار ابن سليم الأزرقي[4] وفوقها دار هند بنت سهيل، وكانت دار حويطب في الأصل لعمرو بن عبدود[5].

وفي سوق الليل على الحدادين دار الأخنس مقابل دار الحوار[6]، وفيه أيضاً بئر السماطية وهي قرب مولد النبي ﷺ[7].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٣ ـ ٢١٤.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٢.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٨١.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٧.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٤.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٧.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٦.

الحجون

الحجون جبل بأعلى مكة، يبعد عن المسجد الحرام قرابة ميل ونصف[1]، يشرف على مسجد الحرس الذي يقع على يمين الطريق من المدينة[2]، وكان هذا المسجد يسمى في الأول مسجد الجن، ثم سمي مسجد الحرس لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف عنده ولم يجزه حتى يتوافى عرفاؤه وحرسه يأتونه من شعب بني عامر ومن ثنية المدنيين فإذا توافوا عنده رجع منحدراً إلى مكة، وهو فيما يقال موضع الخط الذي خط رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة استمع إليه الجن[3]، ويسمى أيضاً مسجد البيعة[4].

وبحذاء مسجد البيعة في أعلى مكة يقع مسجد الشجرة من دير دار منارة[5].

وعند الحجون ثنية المدنيين التي أصبحت بعد الإسلام مقبرة أهل مكة وكان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يميناً وشمالاً في الجاهلية وصدر الإسلام ثم حول الناس جميعاً قبورهم في الشعب الأيسر. ففيه قبور أهل مكة[6] ويذكر الأزرقي في نص آخر تفاصيل أوفى حيث يقول كان أهل الجاهلية وفي صدر الإسلام يدفنون موتاهم في شعب أبي دب من الحجون إلى شعب الصفي، صفي السباب، وفي الشعب اللاحق بثنية المدنيين الذي هو مقبرة أهل مكة اليوم، ثم تمضي المقبرة مصعدة لاحقة بالجبل إلى ثنية إذاخر بحايط خرمان، وكان يدفن في المقبرة التي عند ثنية إذاخر آل أسيد بن سعيد بن

---

١ - ياقوت ٢ / ٢١٥.

٢ - الأزرقي ٢ / ١٢٩، ١ / ٥١.

٣ - الأزرقي ٢ / ١٦٢.

٤ - الأزرقي ٢ / ١٦٢، ٢٢١.

٥ - الأزرقي ٢ / ١٦٢.

٦ - الأزرقي ٢ / ١٧١.

العاص. وفيها دفن عبدالله بن عمر بن معاوية [1].

شعب المقبرة:

وشعب المقبرة هو الشعب الوحيد الذي يستقبل وجه الكعبة [2]، وخلف المقبرة جبل دجانة شارعاً على الوادي، والأحداب التي خلفه تسمى ذات أعاصير [3].

وشعب أبي دب منسوب إلى رجل من بني سواءم بن عامر سكنه فسمي به [4]، وكانت على فم الشعب سقيفة من حجارة بناها أبو موسى الأشعري ونزلها حين انصرف من الحكمين [5]، وعند هذه السقيفة أيضاً بئر أبي موسى [6].

كان في شعب أبي دب الجزارون [7]، وفي شعبهم المقبرة في الجاهلية [8]، وتمر به ثنية تسلك من حائط عوف من عند الماجلين اللذين فوق دار مال الله [9].

فأما حائط عوف فإن «موشعه من زقاق خشيه دار مبارك التركي ودار جعفر بن سليمان، وهو اليوم من حق أم جعفر، ودار مال الله، وموضع الماجلين، ماجلي أمير المؤمنين هارون، الذي بأصل الحجون، فهذا كله موضع حائط عوف إلى الجبل، وكانت عليه عين تسقيه وكان فيه النخل، وكان له مشرع يرده الناس [10].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٠.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٩.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣١.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٩.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٩.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٢.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٠، ٢١٩.
٨ ـ ياقوت ٢ / ٢١٥، ٣٢١.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٩.
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٤.

أما الماجلين فإن الأزرقي يذكر أن الرشيد «أمر بعيون من عيون معاوية فعملت وأجـريت وصرفت في عين واحدة يقال لها الرشا تسكب في الماجلين اللذين أحدهما لأمير المؤمنين الرشيد بالمعلاة، ثم تسكب في البركة التي عند المسجد الحرام[1].

وكان حايط عوف بن مالك في وجهه رباع الكريز بين ثم اشتراها منهم معاوية[2].

تسمى ثنية المقبرة كداء، وهي العقبه الصغرى التي بأعلى مكة يهبط منها إلى مقبرة مكة والأبطح، ويطلق عليها أهل مكة الحجون، وهي الحجون الثانية[3].

وثنية كداء التي يهبط منها إلى ذي طوى، وهي التي دخل منها قيس بن سعد بن عبادة يوم الفتح وخرج منها رسول الله ﷺ إلى المدينة[4].

وفي كداء شعب ارنى، وهو «في الثنية في حق آل الأسود ويشرف على شعب ارنى وكداء الجبل الأبيض[5] الذي يشرف أيضاً على فلق ابن الزبير[6] وعلى حق أبي لهب وحق إبراهيم بن محمد بن خلف[7].

وفي ثنية كداء خط بني عدي «على يمين الخـارج من مكـة إلى حق الشافعيين على رأس كداء، ولهم من الشق الأيسر حق آل أبي طرفة الهذليين الذي على رأس كداء، فيه أراكة شارعة على الطريق يقال له دار الأراكة، ومعهم

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٦.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٦.
٣ ـ تعليق ناشر الأزرقي ٢ / ٢٣١.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٠.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٨.

في هذا الأيسر حقوق ليست لهم معروفة في حق آل كثير بن الصلت الكندي إلى جنب دار مطيع كانت لآل جحش بن رئاب الأسدي[1].

ويشرف على كداء أيضاً قرن أبي الأشعث على يمين الخارج من مكة، وهو من الجبل الأحمر، وقد سمي برجل من بني أسد بن خزيمه يقال له كثير بن عبدالله بن بشر[2].

وبين ثنية المقبرة ودار السري أحداب تسمى آلات يحاميم في أصلها قبر أبي جعفر المنصور واصلها القرن الذي عند ثنية المدنيين على رأس بيوت ابن أبي حسين النوفلي والذي يليه قرن مشرف على منارة الحبش فيما بين ثنية المدنيين وفلق ابن الزبير، وكان معاوية بن أبي سفيان سهلها، ثم عملها عبدالملك بن مروان، ثم بنى المهدي ظفائرها ودرجها وحددها[3].

ذي طوى:

يمتد بطن ذي طوى بين مهبط ثنية المقبرة وثنية الخضراء[4] ويذكر ياقوت أن ذي طوى وادي مكة[5] وأن البعض يقول أنه الأبطح وهذا غير صحيح[6] فإن ذي طوى من بطن الوادي وليس كل الوادي[7]، وفي ذي طوى سقاية سراج وعندها بئر وردان[8]، ومماذر بكار وبئر بكار، ولا بد أنها هي الممدرة التي كان ينقل منها الطين الذي يبني به أهل مكة[9]، وكان شعب اشرس يفرغ على بيوت ابن وردان[10].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٢، وانظر ٢ / ٢٤٠.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣١.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.
٥ ـ ياقوت ٣ / ٥٥٣.
٦ ـ ياقوت ١ / ٩٢.
٧ ـ الأزرقي ١ / ١٩، ياقوت ١ / ٧٦.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٢.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.

وفيه أيضاً بيت حمران الذي يشرف عليه جبل مسلم في طريق جدة، وفيه أيضاً قصر ابن أبي محمود [1] وتهبط إليه ثنية كداء [2]، ويفرغ في ذي طوى شعب المطلب وهو خلف شعب الأخنس [3].

ويفرغ في وادي طوى شعب زريق[4]، وتقع العبلاء بينه وبين الليط[5] وفيها مقبرى النصارة دير المقلع على طريق بئر عنبسه[6].

يشرف على ذي طوى جبل الحصحاص[7] كما يشرف أيضاً على بطن مكة مما يلي بيوت أحمد المخزومي. وعند الخصحاص ثنية أم الحارث وهي الثنية التي على يسارك إذا هبطت ذا طوى تريد فخا بين الحصحاص وطريق جدة.

ويقربه المدور، وهو متن يليه سقاية أهيب بن ميمون[8]. وبين الحصحاص وذي طوى ثنية كانت فيه سَمُرَة ينزلها الرسول ﷺ حين يعتمر وفي حجته حين حج[9]، ثم بنت زبيدة مكان السمرة مسجداً باذاج[10].

وفي طرق الحصحاص مقبرة المهاجرين[11]، وهي قرب فخ[12].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٤.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٧٤، ياقوت ١ / ٢٥٧.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٤.
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٤، ٢٤٠.
١١ ـ الأزرقي ٢ / ١٧١، ١٧٢.
١٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٢، ١٤٢.

فخ :

فخ واد بأصل الثنية البيضاء إلى بلدح، تطأه في طريق جدة على يسار ذي طوى وما بين الليط إلى المحدره إلى ذي طوى [1] ، وحده شعب بنى عبدالله ابن خالد بن أسيد[2]، والثنية البيضاء عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ[3].

وفي فخ حائط كان قائماً إلى زمن الأزرقي[4]، وفيه أيضاً حايط ابن الشهيد الذي يقع في جبل لقيط وهذا الجبل بأصله فخ[5].

وفيه أيضاً بئر البرود، حفرها خراش بن أمية الكعبي [6]، وهي عند جبل الحسين الذي قتل عنده الحسين صاحب فخ، وفوقها الثنية البيضاء [7]، وهي بين فخ وبلدح [8].

وفي فخ أيضاً، سقاية سراج باسم مولى لبني هاشم، وعندها بئر وردان مولى المطلب بن أبي وداعة [9] وبين فخ وطوى ثنية أم الحارث على يسار الطريق[10].

ومن المعالم في فخ الليط وبالقرب منه ظهر الممدرة[11]، وتقع عنده

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٨.
٣ ـ ياقوت ١ / ٩٣٦.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٥.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٢.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٤.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٢.
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
١١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.

الأقحوانة[1]. وفي هذه الرقعة الحزنه وهي ثنية تهبط من حق آ ل عرون مطبخ ودار كثير إلى الممادر وبثر بكار وقد سهلها يحيى ابن خالد البرمكي[2].

وفي طرق الليط المغشى الذي يمتد إلى خيف الشبرق بعرنه[3]، ومن المغشى تقطع الحجارة البيض التي يبنى بها، وهي الحجارة المنقوشة البيض بمكة، ومنه بنيت دار العباس بن محمد التي على الصيارفة [4] وفي المغشى والليط تقع الحزنة، وقد أجرى فيها يحيى بن خالد بن برمك عيناً وعمل عندها بستاناً[5]

وفي طرف الليط مما يلي المغشى يقع خزروع[6].

وفي طرف المغشى يقع جبل كتد[7].

وبين الليط وذي طوى تقع العبلاء[8].

وبالقرب من فخ الحدث، ويمتد بينها وبين مكة السدر[9]، وتقع ذات الجبلين بين مكة والسدر وفخ[10]، وتقع ذات الجبلين بين مكة والسدر وفخ[11]، وعندها الجبل الأسود[12]، ويشرف على فخ من جهته طريقه جبل أستار، وهوارض كانت لأهل يوسف بن الحكم الثقفي[13].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٥.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.

٨ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٤.

٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٣.

١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.

١١ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٩.

١٢ ـ ياقوت ٣ / ٨٧٤.

١٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.

ويمتد شعب بني عبدالله ما بين الجعرانة إلى المحدث [١]، من هذا الشعب إلى نخلة ثنية النفوس وهي شعب [٢].

وبالقرب من فخ إذا خر بينهما شعب الأخنس[٣]، وقد نزل الرسول ﷺ منها إلى مكة عام الفتح[٤] وموثبة إذا خر عنده حائط حزمان المشرف على مال ابن الشهيد[٥].

وفي آخر وادي فخ يقع وادي بلدح، وهو الوادي التي يقطعه طريق جدة [٦].

وبين وادي فخ وبلدح تقع الثنية البيضاء، وهي الثنية التي طوق البرود التي قتل فيها الحسين صاحب فخ [٧].

وفي بلدح حائط من عيون معاوية، وعين سنغيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وحائط سفيان والخيف الذي أسفل منه وقد أصبحت ملكيته فيما بعد لأم جعفر[٨].

وفي بلدح أيضاً حائط ابن خرشة يفرغ فيه شعب اللبن، وحائط الطائفي يفرغ فيه شعب ملحة الغراب، وحائط ابن سعيد يفرغ عليه شعب الحروب [٩].

وفي بلدح ذات الخنظل وهي ثنية في مؤخر شعب الشيق الذي يقع طرف بلدح على يمين طريق جدة وفق فوهته حائط وعين عملهما الدورقي[١٠].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٣.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٤.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٢.
٤ ـ ياقوت ١ / ١٧١.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٤١، ياقوت ١ / ٧١٤.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.
٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٥.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٤.
١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.

شعب ابن عامر

كان شعب ابن عامر يقال له في الجاهلية المطابخ[1]، وأصبح يسمى في الإسلام شعب ابن عامر الذي كانت داره في الشعب[2]، والشعب كله من ربعه، من دار قيس بن مخرمة إلى دار حجير، وما وراء دار حجير إلى ثنية أبي مرحب، إلى موضع نادر من الجبل كالمنحوت، وقد ظل قائماً شبه الميل، ويقال أن ذلك علماً بين معاوية وبين عبدالله بن عامر، فما وراء ذلك إلى الشعب هو لعبدالله بن عامر، وما كان في وجهه مما يلي حائط عوف بن مالك فذلك لمعاوية[3].

وفي فوهة شعب ابن عامر دار قيس بن مخرمة، وهي لهم جاهلية[4].

وفي فوهته أيضاً سوق ساعة الذي عنده دار الحارث ودار الحسين[5].

وفي شعب ابن عامر ثنية عندها بئر ابن أبي السمير التي يمتد إليها جبل الخندمة إلى حرف السويداء، وهي مشرفة على أجياد الصغير وعلى شعب ابن عامر وعلى دار محمد بن سليمان في طريق منى إذا جاوزت المقبرة على يمين الذاهب إلى منى[6].

وعند شعب عبدالله بن عامر يقع جبل نبهان مشرف على شعب أبي زياد وهو من حق آل عبدالله بن عامر، ونبهان وزياد موليان لعبدالله بن عامر.

ويتصل بجبل نبهان جبل زيقيا ممتداً إلى حائط عوف، وهو مسمى بمولى لآل الجد ربيعة المخزوميين وكان أول من بنى فيه فسمي به.

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٠٩.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٢، ٢٩٦.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٦.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٩.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٩.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٤.

ويشرف جبل الأعرج على شعب أبي زياد وشعب ابن عامر، وهو منسوب إلى الأعرج مولى أبي بكر الصديق، كان فيه فسمي به[1].

ويشرف على شعب أبي زياد وحق ابن عامر ثنية أبي مرحب التي يهبط منها على حائط عوف يختصر من شعب ابن عامر إلى المعلاة وإلى منى[2].

وبين شعب ابن عامر وحرف دار رابطة يقع قرن مسقلة، وقد سمي برجل كان يسكنه في الجاهلية[3] وعنده سوق الغنم القديم[4] وقد وقف عنده الرسول ﷺ يوم الفتح فجاء الناس يبايعونه، ودار بلغة مقابل دار الحمام التي في وجهها دور ابن غزوان[5].

وفي دبر قرن مسقلة دار سمرة، وعند هذه الدار دار صفوان السفلى[6].

ولبنى عتوارة، من بني بكر بن عبد مناف بن كنانة دار عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق من دار الطلحيين التي بالبطحاء إلى شعب ابن عامر، فذلك الربع لهم جاهلي[7].

شعب عبدالله بن خالد بن أسيد

يشرف على حق ابن عامر جبل مرازم الذي يصل حق آل عبدالله بن خالد ابن أسيد، وعلى حق آل سعيد بن العاص، وآخر حق أبي لهب، وكانت دار عبدالله بن خالد بقرب دار سعيد بن العاص.

إن شعب بني عبدالله بن خالد بن أسيد يسمى «القنة» وهو يصب على

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٨ ـ ٢١٩.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٩.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٨.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٩٧، ٢١٨.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٨.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢١٣.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٩.

بيوت مكتومة مولاة محمد بن سليمان.

ويقع الحضر، وهو متن، على يمين شعب آل عبدالله بن خالد بحذاء دار ابن هربذ وهذه الدار في زقاق يلي ربع كريز، ويخرج إلى النجارين وإلى المسكين الذي صار لعبدالمجيد بن عبدالعزيز، وإلى الزقاق الذي يخرج على البطحاء عند حمام ابن عمران العطار.

وتقع القمعة دون شعب بني عبدالله بن خالد على يمين الطريق، في أسفلها حجر عظيم مستدق من أصل جدا كهيئة القمع.

وبالقرب من شعب بني عبدالله بن خالد يقع فخ وادي مكة الأعظم.

ذكرنا أن بركة القسري كانت بفم الثقبة، وهذه الثقبة تصب من ثبير غيناء، وهي بين حراء وثبير، وهي الفج الذي فيه قصر الفضل بن الربيع إلى طريق العراق إلى بيوت ابن جريج[1] وكان في الثقبة سد فجاء سيل في سنة ٢٠٨ فامتلأ بالماء «فلما فاض انهدم السد فجاء السيل الذي اجتمع فيه مع سيل السدرة وسيل ما أقبل من منى، فاجتمع ذلك كله، فجاء جملة فاقتحم المسجد الحرام[2].

وبالقرب من بير القسري كانت واسط، وقد روى الأزرقي في تعريفها عدة روايات فقال واسط قرن كان أسفل من حجرة العقبة بين مأزمي على فضرب حتى ذهب. وقال بعض المكيين واسط الجبلان دون العقبة، وقال بعضهم تلك الناحية من بير القسري إلى العقبة يسمى واسطاً، وقال بعضهم واسط القرن الذي على يسار من ذهب إلى منى دون الخضراء في جهة مما يلي طريق منى بيوت مبارك بن يزيد مولى الأزرق بن عمرو ومنى ظهر دار محمد، بن عمر بن إبراهيم الخيبري، فذلك الجبل يسمى واسط، وهذا أثبت الأقوال عند جدي[3].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٧.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٧.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٤.

وقد نقل ياقوت هذا النص ونسبه إلى الفاكهي وأضاف «قال الحميدي، واسط الجبل الذي يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى قال الفاكهي يقال أن أول من شهده وضرب فيه قبة خالصة مولاة الخيزران[1].

وتخرج إلى بئر خالد ثنية في شعب الرخم، كان يسلكها النبي ﷺ في طريقه من حراء إلى ثور[2] وهي على يسار الذاهب إلى منى من مكة، وقد سواها وبناها ابن علقمة والي مكة[3].

وشعب الرخم بين الرباب وبين أهل ثبير غيناء[4] وهو في ظهر شعب عمارة الذي فيه منازل سعيد بن أسلم[5].

ثبير

إن ثبير غيناء الذي بقربة شعب الرخم هو أحد الأثبرة، وقد نقل ياقوت عن محمود بن عمير أن (الثبيران جبلان مفترقان يصب بينهما أفاعية وهو واد يصب من منى، يقال لأحدهما ثبير غيناء وللآخر ثبير الأعرج[6].

ويذكر ياقوت أن غيناء قنة في أصل ثبير الجبل المطل على مكة، وهو حجر كأنه قبة[7].

وكان يسمى فى الجاهلية سميرا، ويقال لقلته ذات القتادة ويسمى ثبير

---

١ ـ ياقوت ٤ / ٨٩٠.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٥.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٦.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٦.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٥، ياقوت ٢ / ٧٧١.
٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٧.
٧ ـ ياقوت ١ / ٩١٧، وانظر عن الأثبرة البكري ٣٣٦.

غيناء أيضاً جبل الزنج لأن زنوج مكة كانوا يحتطبون منه ويلعبون فيه[1]، وأفاعيه التي تصب بين الثبيرين تقع في بطن السرر وهو مجاري الماء منه ماء سيل مكة، وهو على أربعة أميال من مكة، وكان عبدالصمد بن علي اتخذ عليه مسجداً[2].

وفي بطن السرر سدرة خالد وهي صدر وادي مكة، وهو بين منى ومكة ومنها يأتي سيل مكة إذا عظم[3]، وقد اختلف في نسبتها إلى خالد بن أسيد بن العاص أو إلى خالد بن عبدالعزيز بن عبدالله[4] ويذكر البكري «إذا كنت بين الأخشبين من منى والفج بيمنة نحو الشرق فإن هناك وادياً يقال له السرر وبه سرحة»[5] ويذكر أيضاً إذا كنت بين المأزمين من منى فإن هناك سرحة تحتها سبعون نبياً»[6].

وأفيعية عندها النصع، وقربه السداد في طرف النخيل عملها الحجاج، لحبس الماء والأوسط منها يدعى أثال[7].

إن سداد الحجاج التي صدرها ثبير النصع هي «ثلاثة أسدة بشعب عمرو بن عبدالله بن خالد» عملها الحجاج بن يوسف لحبس الماء، والكبير منها يدعى أثال، وهو سد عمله الحجاج بن يوسف في صدر شعب ابن عمرو، وجعله حبساً على وادي مكة، جعل مغيضه يسكب في سدرة خالد، وهو على يسار من أقبل من شعب عمرو.

والسدان الآخران على يمين من أقبل من شعب عمرو، وهما يسكبان في

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٥، ياقوت ٣ / ١٥٠.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٥.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٧.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٨، ياقوت ٣ / ٧٥.
٥ ـ البكري ٧٣٣.
٦ ـ البكري ١١٧٣.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٨.

أسفل منى بسدرة خالد، وهي صدر وادي مكة، وفي شقها واد يقال له الأفيعية، ويسكب فيه أيضاً شعب علي بمنى، وشعب عمارة الذي فيه منازل سعيد بن سلم، وفي ظهره شعب الرخم، ويسكب فيه أيضاً المشعر من منى والجمار كلها تسكب في بكة[1].

إن شعب عمرو فيما يذكر الأزرقي هي بمنى وفيها بير عمرو بن عثمان ابن عفان[2] أما شعب علي فإن قلة ثبير تشرف عليه[3]، وهو حيال جمرة العقبة وعرض طريقه ٢٦ ذراعاً[4]، وأبرز ما فيه مسجد الكبش، وقد بنت عليه لبابة بنت علي بن عبدالله بن عباس[5].

يقول المقدسي أن مسجد الكبش بقرب العقبة[6]، ويقول ياقوت أنها العقبة التي بويع فيها النبي ﷺ بين منى ومكة، بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد[7] وذرع طريق العقبة من العلم الذي على الجدران إلى العلم الآخر الذي بحذائه ٦٧ ذراعاً، والطريق مفروش يمر عليها سيل منى، وعرض الطريق الأعظم طريق القبة المدرجة ٣٦ ذراعاً[8]، وقد هدمت في أحد سيول مكة الجارفة[9].

يقع بأصل ثبير غيناء قرن الرباب وهو «عند الثنية الخضراء عند بيوت ابن لاحق، مولى لآل الأزرق بن عمرو، مشرفة عليها، وهي عند القصر الذي بنى

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٧ ـ ٨.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٨١.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٥.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٠.

٥ ـ ٢ / ١٤١.

٦ ـ يقول المقدسي أنه قرب العقبه: أحسن التقاسيم ٧٦، ياقوت ٤ / ٦٤٢.

٧ ـ ياقوت ٣ / ٤٩٢.

٨ ـ ابن رسته ٥٥.

٩ ـ الأزرقي ١ / ٢٠٢.

محمد بن خالد بن برمك أسفل من بير ميمون الحضرمي وأسفل من قصر الخليفة أبي جعفر[1].

وعند الخضراء شعب عثمان، وهو في طريق منى من سلك شعب الخوز ومسيلة يفرغ في أصل العير، وفيه بئر عير[2].

والعيرة «الجبل الذي عند الميل على يمين الذاهب إلى منى، وجهه قصر محمد بن داوود، ومقابله جبل يقال له العير الذي قصر صالح بن العباس بن محمد بأصل الدار التي كانت لخالصة [3].

والثنية الخضراء في جبل يقال له الأقحوانة، ويسمى أيضاً ثبير النخيل وكانوا يحتطبون منه ويلعبون، وبأصله بيوت الهاشميين، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير. وقال بعض المكيين الأقحوانه عند الليط كان مجلساً يجلس فيه من خرج من مكة يتحدثون به بالعشي ويلبسون الثياب المحمرة والموردة والمطيبة، وكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له الأقحوانة[4].

ويقول البكري أن الأقحوانة ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام[5].

وتقع المفجر ما بين ثنية الخضراء إلى خلف دار يزيد بن منصور، تهبط على حياض ابن هشام التي بمفضى المأزمين، مأزميْ منى، يفضي بك على بير نافع بن علقمة وبيوته حتى تخرج على ثور[6] وفي المفجر شعب حوا[7].

شعب الخوز

وشعب الخوز الذي يقع بين شعب عثمان والخضراء، ويقال له خيف

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٥.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٣.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٣.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٦.

٥ ـ البكري ١٧٩.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٤.

بني المصطلق، وهو ما بين الثنية التي بين شعب الخوز بأصلها بيوت سعيد بن عمرو ابن ابراهيم الخيبري وبين شعب بني كنانة الذي فيه بيوت ابن صيفي، إلى الثنية التي تهبط على شعب عمرو الذي فيه بير ابن أبي سمير، وسمي بهذا الاسم لأن قوماً من موالي عبدالرحمن بن نافع الخزاعي كانوا أول من بنى فيه وكانوا يسكنونه، وكانت لهم دقة نظر في التجارة وتشدد في الأموال والضبط فسموا الخوز[1].

وفي فم شعب الخوز كانت دار محمد بن سليمان بن علي ودار لبابة بنت علي ودار ابن قثم ثم صار في موضعها حائط مورش، وكان فيه النخل وكانت له عين ومشرع يرده الناس، وكان فيه النخل والزرع حديثاً من الدهر على طريق منى.

وتهبط من شعب الخوز ثنية بقربها شعب عمرو بن عثمان، وقد أصبح يسمى خيماً بعد شعب النوبة، وتهبط عليه ثنية في آخر شعب بني كنانة وفي وجهه دار محمد بن سليمان بن علي[2].

تقع في المفجر بطحاء قريش[3] ويذكر ياقوت أن «الأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصب، وهو خيف بني كنانة[4]، وحده ما بين شعب عمرو إلى ثنية بني كنانة[5].

يقول الحازمي أن خيف بني كنانة بمنى نزله النبي ﷺ[6].

---

١ - الأزرقي ٦ / ٢٠٢.
٢ - الأزرقي ٢ / ٢٢٣.
٣ - الأزرقي ٢ / ١٨٤.
٤ - الأزرقي ٢ / ٢٢٢.
٥ - الأزرقي ٢ / ٢٢٤.
٦ - ياقوت ١ / ٩٢، ٤ / ٤٢٦.

يقول البكري أن مسجد الخيف وهو خيف بني كنانة [1]، ويقول القاضي عياض أن خيف بني كنانة هو المحصب [2].

ويقال لخيف بني كنانة شعب الصفي [3] ويقال له صفي السباب وهو ما بين الراحة: الجبل الذي يشرف على دار الوادي عليه المنارة وبين نزاعة الشوى، وهو الجبل الذي عليه بيوت ابن فعد ثم صارت لعبيدالله بن عبدالله بن العباس [4] وقد سمي «الراحة» لأن قريشاً كانت تخرج إليه في الصيف وتبيت فيه وتستريح [5] ويذكر البكري أن صفي السباب كان يسمى أحجار المراء [6] وكان في شعب الصفي حائط (بستان) المعاوية، يقال له حائط الصفي من أموال معاوية التي كان اتخذها في الحرم [7] وموضع هذا الحائط من دار زينب بنت سليمان التي صارت لعمر بن مسعدة والدار التي فوقها إلى دار العباس بن محمد التي بأصل نزاعة الشوى، وكانت له عين، وكان له مشرع يرده الناس [8].

وصفي السباب «ما بين دار سعيد الحرشي التي بناها إلى بيوت أبي القاسم بن عبدالواحد التي بأصلها المسجد الذي صُلِّي على أمير المؤمنين المنصور عنده وكان به نخل وحائط لمعاوية ويعرف بحائط خرمان» [9].

المحصب

ينقل رشد ملحس في تعلقيه على المحصب أنه «مسيل بين مكة ومنى، وحده من جهة منى جبل العيره بقرب السبيل الذي يقال له سبيل الست في طريق

---

١ - ياقوت ٢٤ / ٤٢٦.

٢ - ياقوت ٢ / ١١٧.

٣ - البكري ٥٢٦.

٤ - ياقوت ٢ / ١٨.

٥ - الأزرقي ٢ / ٢٢٣.

٦ - الأزرقي ٢ / ٢٢٣.

٧ - الأزرقي ٢ / ٢٢١.

٨ - البكري ١١٧.

٩ - الأزرقي ٢ / ٢٢٢، وانظر ٢ / ٢٢٣ - ٤.

منى على ما ذكر الناس[1]، ويذكر في تعليقه على بئر ميمون أنها في سبيل الست[2].

ويذكر الفاسي «وحد المحصب من الحجون مصعداً في الشق الأيسر وأنت ذاهب إلى منى، إلى حايط خرمان مرتفعاً عن بطن الوادي، فذلك كله المحصب»[3].

يمتد حائط خرمان «من ثنية إذاخر إلى بيوت جعفر العلقمي وبيوت ابن أبي الرزام، ومنا جله قائم اليوم، وكان فيه النخل والزرع حديثاً من الدهر، وكانت له عين ومشرع يرده الناس»[4].

وفوق حائط خرمان شعب ابي قنفذ وهو «الشعب الذي فيه دار إلى خلف ابن عبد ربه بن السائب مستقبل قصر محمد بن سليمان، وكان يسمى شعب اللئام. . وهو الشعب الذي على يسارك وأنت ذاهب إلى منى من مكة، وفيه اليوم دار الخلفيين من بني مخزوم، وفي هذا الشعب مسجد مبنى يقال أن النبي ﷺ نزل فيه، ثم صار ينزله في الموسم الحضارم[5].

وكان «غرار القرب الذي عليه بيوت خالد بن عكرمة بين حائط خرمان وبين شعب آل قنفذ مسكن ابن أبي الرزام ومسكن أبي جعفر العلقمي بطرف حائط خرمان»[6] وهو بموخر شعب الأخنس بن شريق إلى إذاخر[7] وخلف شعب الأخنس يقع شعب المطلب الذي يفرغ في بطن خوى وسمي باسم المصلى بنت السائب بن أبي وداعه[8].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٤.

٢ ـ ياقوت ٣ / ٤٠٤ عن الزبير بن بكار.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٢٩، ٢٢٣.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٩، (تعليق مقتبس من الفاسي).

٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٢٩.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٥.

٧ ـ الأزرقي ١ / ٢٣١.

٨ ـ ٢ / ٢٣٢.

مسجد الخيف

لم يرد في المنطقة الواقعة عند الميل الخامس من المعالم سوى قرين الثعالب الذي كان كان الميل الخاص وراءه بمائة ذراع[1]. وبينه وبين مسجد منى ١٥٣٠ ذراعاً[2]، وهو في قول الفاكهي جبل مشرف على أسفل منى.

أما الميل الرابع فكان عند الجمرة الثالثة التي تلي مسجد الخيف، تبعد عن الميل خمسة عشر ذراعاً[3].

والجمرات الثلاث هي الأولى والوسطى والثالثة. وصف الأزرقي ما كان فيها قبل الإسلام إذ قال «وكان عمرو بن لحي قد نصب في هذه المنطقة سبعة أصنام».

نصب صنماً على القرين الذي بين مسجد منى والجمرة الأولى على بعض الطريق.

ونصب على الجمرة الأولى صنماً.

وعلى المدعى صنماً.

وعلى الجمرة الوسطى صنماً.

ونصب على شفير الوادي صنماً.

وفوق الجمرة العظمى صنماً.

وعلى الجمرة العظمى صنماً[4].

ويدل سياق كلامه أن وصفه قائم على تسلسل مواقعها، وأن الجمرة الأولى كانت أدنى إلى منى، وأن الجمرة العظمى هي الثالثة، وهي الأبعد عن منى، وتلي مسجد الخيف وذكر من معالم هذه المنطقة القرين، والجمرة

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٣.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٤٩.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٥٣.
٤ ـ الأزرقي ١ / ١٤٢.

الأولى، والمدعى، وشفير الوادي، والجمرة العظمى، ولكنه لم يذكر الأبعاد بين هذه المعالم.

ذكر الأزرقي الجمرة الأولى والثانية وجمرة العقبة[1]، كما ذكر الجمرة الأولى والجمرة السفلى والأقرين[2].

وذكر أيضاً أن الجمرة الثالثة تلي مسجد منى، وأن الثانية (الوسطي) تبعد عنها ٣٠٥ ذراعاً، وأن الجمرة وهي جمرة العقبة تبعد عن الجمرة الوسطى ٢/٣١ ٤٨٧ ذراع، وهي تبعد عن وادي محسر ٧٢٠ ذراعاً[3]. فتكون الجمرة الأولى هي الجمرة العقبة، وهي أدنى إلى المزدلفة، وتبعد عن مسجد منى ٢/٣ ٧٩٢ ذراعاً، فهي قريبة من وادي محسر، وتقع في منتصف المسافة بين هذا الوادي وقرين الثعالب.

مسجد الخيف

وأبرز ما في هذه المنطقة هو مسجد الخيف، وسمي بذلك لأنه يقع في خيف الجبل، اي في سفحه الذي ينأى عن غلظ الجبل ويرتفع عن مسيل الماء[4]، وكان مسجد الخيف يقع في أصل جبل الصابح، ويقابله عن يساره جبل القابل[5]وعنده اجتمعت قريش وتحالفت على الرسول ﷺ، وكان هذا المسجد يسمى أيضاً مسجد العيشومة، وفيه عيشومة أبداً خضراء في الجدب والخصب بين حجرين من القبلة، فتلك العيشومة قديمة لم تزل ثمة، وكان الرسول ﷺ قد صلى عنده أمام المنارة، وكانت الأنصار تصلي عندها[6].

وصف الأزرقي أبواب مسجد الخيف وذرعها، فقال أن فيه عشرين باباً

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٤٢.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٤٤.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٠.

٤ ـ لسان العرب ١٠ / ٤٥٢، ياقوت ٢ / ٥٠٨.

٥ ـ ياقوت ٣ / ٤٥٩، ٤ / ٥.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٤٠ ـ ١٤١.

منها في الجدار الذي يلي الطريق تسعة أبواب شارعة في الرحبة على السوق. . ومنها في الجدار الذي يلي عرفات خمسة، ومنها على الجدار الذي يلي الجيل أربعة أبواب. . وفي قبلة المسجد بابان في دار الإمارة «كما ذكر أن في القبلة المسجـد مما يلي دار الإمارة ثلاث ظلال، وفي شقه الذي يلي الطريق ظلة واحدة، وفي شقه الذي يلي أسفل منى ظلة واحدة، وفي شقه الذي يلي الجبل ظلة واحدة[1].

وهذا يدل على أن جدار عرفات في جهته الشمالية، والجدار الذي في القبلة كان في الجهة الجنوبية عند دار الإمارة، أما الجدار الذي يلي الجبل فلعله واقع في الجهة الشرقية، والذي يلي الطريق يقع في الجهة الغربية وقد ميز الأزرقي هذا المسجد عن مسجد منى الذي وصف أبعاده الداخلية ولم يذكر أبوابه.

ذكر الأزرقي أن سيلاً في زمن خلافة المتوكل «حمل مسجد رسول الله ﷺ وإبراهيم نبي الله المعروف بمسجد الخيف، فهدم سقوفه وعامة جدرانه وذهب بما فيه من الحصباء فأعراه وهدم من دار الإمارة بمنى وما فيها من الحجر، وهدم العقبة المعروفة بحجرة العقبة وبركة الياقوته وبرك المأزمين»، وأن المتوكل أعاد ترميمها وبنائها[2].

ومن أبرز معالم هذه المنطقة هي العقبة، وقد اشتهرت باجتماع الرسول ﷺ فيها بوفد الأنصار الذين بايعوه عندها، وكانت بيعة العقبة ممهداً لهجرته إلى المدينة.

والعقبة من المعالم التي تحد أعمال الحاج، فيروي مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب قال لا يبيتن أحد من الحاج ليالي من منى وراء العقبة[3].

---

١ ـ الازرقي ٢ / ١٤٩، وانظر ابن رسته ٥٥.

٢ ـ الأزرقي ٩١ / ٢٠٢.

٣ ـ الموطأ ١ / ٢٨٣.

والعقبة تبعد عن وادي محسر ٧٢٠ ذراعاً[١]، ويذكر مالك أن عمر بن الخطاب كان يقف عند الجمرتين الأوليين ولا يقصر عند جمرة العقبة[٢].

يذكـر الأزرقي أن جمرة العقبة هي أول الجمار مما يلي مكة، وأن بينها وبين الجمرة الوسطى ٤٨٧ ٢/٣ ذراعاً، وأن الجمرة الثالثة في مسجد منى وتبعد عن الجمرة الوسطى ٣٠٥ ذراعاً، أي أن بين جمرة العقبة ومنى ١٥٥٩ ١/٢ ذراعاً[٣]، ويذكر الاصطخري أن جمرة العقبة إلى آخر منى مما يلي مكة، ويذكر أن الجمرة الأولى والوسطى هما جميعاً فوق مسجد الخيف إلى ما يلي مكة [٤] ويذكر ابن جبير أن جمرة العقبة هي أول منى للمتوجه من مكة وعن يسار المار إليها وهي قارعة الطريق.

ويذكر الأزرقي أن من مسجد منى الذي يلي عرفات إلى وسط حياض الياقـوتـه ٣٧٥٣ ذراعـاً، ومن وسط حياض الياقـوتـة إلى حد محسـر ٢٠٠٠ ذراع[٥]، أي أن حياض الياقوتة قريبة من الميل الرابع ولم أجد في مصدر آخر ذكراً لحياض الياقوتة.

منى

منى شعب على طريق عرفة من مكة، بينه وبين مكة ثلاثة أميال[٦] أي فرسخ[٧] وطول الشعب نحو ميلين، وعرضه يسير[٨]، وهو يتفرع إلى شعبين تقع

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٠.
٢ ـ الموطأ ١ / ٢٨٤.
٣ ـ المسالك ١٦..
٤ ـ رحلة ابن جبير ١٣٩.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٤٩.
٦ ـ الأصطخري ١٦.
٧ ـ المقدسي ٧٦، ياقوت ٤ / ٦٤٢.
٨ ـ الأصطخري ١٦، المقدسي ٧٦.

في الأيمن منه الأزقة والمسجد[١]، وهذا الشعب عن يسار (جنوب) المقبل من عرفة والمزدلفة[٢].

وكـانت منى تسمى المنـازل[٣] ويتم فيهـا النحر بعد حج عرفة، وكلها منحر[٤] ويسمى مجمع الناس من منى «الجباجب»[٥] ويسمى الجبلان فيها الأخشبان[٦].

يقــول الاصـطخـري أن منى بهـا أبنية كثيرة لأهـل كل بلد من بلدان الإسـلام، وتعمـر أيام المـوسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها [٧] ويقول المقـدسي أنه عد من يسكنها وسط السنة فكانوا ثلاثة وعشرين رجلاً، ويذكر أيضاً أنها تبدو مدينتين، الأولى بقرب مساجد الخيف، والوسطى بينهما وأن فيها أزقـة، والمسجـد في الشارع الأيمن، وأن فيها آبار ومصالح وقياسر وحوانيت حسنة البناء بالحجارة وخشب الساج والجبلين يطلان عليها [٨].

وتنتعش منى أيام الحج حيث يكري أهلها البيوت للحجاج، وقد أمر عمر بن عبدالعزيز بتسوية منى، غير أن الناس جعلوا يدسون للوالي الكراء سراً ويسكنون [٩].

وكـان في منى منـزل لأبي بكـر الصـديق، ثم هدم وبني على صخرة المنارة[١٠] ويقع مسجد الخيف في أقل من الوسط مما يلي مكة[١١].

---

١ ـ المقدسي ٧٦، ياقوت ٤ / ٦٤٢.

٢ ـ ياقوت ٤ / ٨٠٢.

٣ ـ البكري ٢٧٤.

٤ ـ الأم للشافعي ٢ / ٩٧، البكري ٣٩٣.

٥ ـ ياقوت ٢ / ١٠٤ (عن نصر).

٦ ـ ياقوت ١ / ١٥٨، ١٦٣.

٧ ـ الاصطخري ١٦.

٨ ـ المقدسي ٧٦.

٩ ـ الأزرقي ١ / ٦٤، ١٢٧، ٤٠٩٢.

١٠ ـ الأزرقي ٢ / ١٤٠.

١١ ـ الأصطخري ١٦.

ومن أبرز ما في شعب منى هو المأزمين والعرض بينهما خمسون ذراعاً[١] وعنده موضع الميل الثالث بين المسجد الحرام وعرفه[٢].

وبين مأزمي منى بئر لخالد بن عبدالله القسري يقال لها القسرية[٣] وهي بركة عظيمة في الحرم بأصل البير[٤] وقد قال الأزرقي عنها «كتب سليمان بن عبدالملك بن مروان إلى خالد بن عبدالله القسري (واليه على مكة) أن أجر لي عيناً تخرج من الثقب من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود ويضاهي بهازعم ماء زمزم فعمل خالد بن عبدالله القسري البركة التي بفم الثقبة، يقال لها بركة القسري، ويقال لها أيضاً بركة البردي ببير ميمون، وهي قائمة إلى اليوم بأصل ثبير، فعملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها وأنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها عيناً تسكب فيها من الثقبة وبنى سد الثقبة وأحكمه، والثقبة شعب يفرغ فيه وجه بئر، ثم شق من هذه البركة عينا تجري على المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص حتى ظهرها في فوارة تسكب في فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام. . ثم تفرغ تلك الفسقية في سرب من رصاص يخرج إلى وضوء كان عند باب المسجد، باب الصفا، في بركة كانت في السوق. . فلم تزل تلك البركة على حالها حتى قدم داوود بن علي بن عبدالله بن عباس مكة حين أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فكان أول من أحدث بمكة هدمها، ورفع الفسقية وكسرها وصرف العين إلى بركة كانت بباب المسجد[٥].

وذكر الفاكهي أن ذلك السرب الرصاص بقي على حاله «حتى قدم بشر الخادم مولى أمير المؤمنين (المنصور) في سنة ٢٥٦ فعمل القبة التي إلى جانب

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٢.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٣، ابن رسته ٥٦، البكري ١١٧٣.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٥.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١١٣.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٨٥ ـ ٦، وقد أشار إليها الطبري في حوادث سنة ٨٩.

بيت الشـراب، وأخـرج قصب خالد هذه التي من الرصاص التي كان عملها لسليمان بن عبدالملك فأصلحه وجعله في سرب الفوارة التي يخرج الماء منها من حياض زمزم تصب في هذه البركة التي بباب المسجد[1] كانت حجارة البركة طوالاً نقلها المهدي فيما بعد[2].

المزدلفة

تقـع عند الميل الثامن المزدلفة وهي المشعر الحرام الذي ذكره القرآن الكريم ﴿**فاذكروا الله عند المشعر الحرام**﴾[3] وتسمى أيضاً «جمع» لاجتماع النـاس بها للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها[4] وكان يجتمع فيها قبل الإسـلام كافة العشائر التي تحج عن الحلة والحمس[5]، وهي تبعد عن منى ميلين ونصف وعن عرفة أربعة أميال[6] ويبعد مسجدها عن مسجد منى ميلين[7]، والمـزدلفة بسيط من الأرض فسيح بين جبلين وحوله مصانع وصهاريج كانت للماء[8]كما فيها مصلى وسقاية ومنارة وبرك عدة[9]،وهي بين المأزمين ومحسر، وحـدهـا إذا أفضت من عرفات تريده فأنت فيه حتى تبلغ القرن الأحمر دون محسر[10]وهي مبيت للحاج ومجمع للصلاة إذا صدروا من عرفات وفي المزدلفة جبل يثير النصع[11]، وهو على يسار الذاهب إلى منى[12] وكانوا في الجاهلية إذا

---

١ ـ الفاكهي.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٦٢.

٣ ـ ياقوت ٤ / ٥٤٠.

٤ ـ ابن رسته: الأعلاق النفيسة ٢٥، ابن حوقل ١ / ٣٠، البكري ١٩٢، ياقوت ٢ / ١١٨.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٨، البكري ٣٩٢.

٦ ـ ابن رسته ٥٦.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٠.

٨ ـ رحلة ابن حبير ١٥٥ (طبعة حسين نصار).

٩ ـ أحسن التقاسيم للمقدسي ٧٦.

١٠ ـ ياقوت ٤ / ٥١٩.

١١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٦، ياقوت ٤ / ٩١٨.

١٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٦.

أرادوا أن يدفعوا من المزدلفة يقولون : «أشرق ثبير كيما نغير»، ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه)[١].

وفي أصل ثبير صدر السدادات وهي ثلاثة أسدة بشعب عمرو بن عبدالله بن خالد عملها الحجاج لحبس الماء، والأوسط منها يدعى أثال[٢]، وعند المزدلفة بركة القسري التي يقال لها بركة البردي بفم الثقة[٣].

وفي قرن منى جبل ثبير يقع قزح عند الموقف[٤] وعند هذا القرن يقف الإمام بالمزدلفة[٥] وعن يمين موقفه الميقدة وهي الموضع الذي كانت في الجاهلية تقف فيه قريش وتوقد النيران في الجاهلية وتجتمع في الوقوف عنده الحلة والحصى[٦].

وكان على قرن قزح اسطوانة من حجارة مدورة تدويرها ٢٤ ذراعاً، وطولها في السماء اثنا عشر ذراعاً، فيها ٢٥ درجة، وهي على أكمة مرتفعة، كان يوقد عليها النيران بالحطب ثم صار يوقد عليها في زمن خلافة هارون الرشيد بالشمع، فلما مات هارون الرشيد صاروا يضعون عليها مصابيح يسرج فيها بفتل حلال، فكان ضوؤها يبلغ مكاناً بعيداً، ثم صارت بعد ذلك توقد عليها مصابيح صغار وفتل رقاق، ولهذا كانت تسمى الميقدة[٧] وكانت قريشاً تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة لقزح وكانت العرب يقفون بعرفة[٨].

وعلى مسافة أربعمائة ذراع من قزح يقع مسجد المزدلفة قرب الميل

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٩، ابن حوقل ١ / ٣٠.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٨، ٢٢٦.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٦٢، ياقوت ٤ / ٧٨٦.

٤ ـ ياقوت ٤ / ٥٢٠.

٥ ـ ياقوت ٤ / ٨٥، الأزرقي ١ / ٣٢.

٦ ـ الأزرقي ١ / ١٢٣، ياقوت ٤ / ٨٥.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٥١.

٨ ـ الموطأ ١ / ٢٧٦.

الثامن، وهو يبعد، ميلين عن مسجد منى(1) وكان الرسول ﷺ قد نزله في حجة الوداع(2) وفي قبلة مسجد المزدلفة دار الإمارة التي ينزلها الأئمة من الخلفاء والولاة(3).

وبالقرب من المزدلفة المراخ، وبينه وبين المزدلفة يقع بطن نمرة ويسمى ذنب السلم، وعليه أنصاب الحرم(4) وبالقرب منه حبل عبدالله بن إبراهيم الجمحي، ومن أرض ابن عامر(5).

وعند المزدلفة المفجر(6) وبطرفه شعب حوا «على يسارك وأنت ذاهب إلى المزدلفة من المفجر(7) وفي ذلك الشعب البير التي يقال لها كرادم (8).

وبالقرب من المزدلفة بطن محسر وهو واد، يجري بينها وبين منى، وجاء في الحديث «المزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر» فقسمه الأعلى من المزدلفة والأسفل من منى(9) فهو يكون الحدود الدنيا من المزدلفة التي حدودها العليا مأزما عرفة، ولا يقف عنده الحجاج(10) إذ قال الرسول ﷺ المزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن محسر»(11).

وعلى بعد ٥٤٥ ذراعاً من وادي محسر يقع حايط محسر، وفي جداره

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥١.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ٣.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٥.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٠٥، ٢٣٧.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٦، ياقوت ٤ / ٤٧٤.

٦ ـ الأزرقي ١ ـ ١٤٦

٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٤.

٨ ـ أحسن التقاسيم ٧٦.

٩ ـ المسالك للاصطخري ١٧.

١٠ ـ ياقوت ١ / ٦٦٧، ٢ / ٢٢٠، ٤ / ٤٢٦، ٥١٩.

١١ ـ الموطأ ١ / ٢٧٥

الميل السادس[١] وبين الوادي ومنى يجري وادي السرر «على يمين الذاهب إلى عرفة، ومنه يأتي الماء الذي يهدد مكة بالغرق[٢] وعلى ألفي ذراع من محسر تقع حياض الياقوتة التي تبعد ٣٧٥٢ ذراعاً عن مسجد منى[٣].

عرفة

تقع عرفة خارج الحرم، يفصل بينهما مأزما عرفة الواقعان في طرفها الشمالي.

وفي تحديد عرفة يذكر ابن عباس «حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرفة، إلى جبالها، إلى قصر آل مالك وادي عرفة[٤]، ويعرفها الأزرقي بأنها «من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى جبال عرفة، إلى الوصيق، إلى ملتقى الوصيق، إلى وادي عرفة[٥].

وفي الأطراف الجنوبية من عرفه كبكب «يشرف على عرفات من خلفها»[٦] وهو الجبل الأحمر الذي تجعله في ظهرك إذا وقفت بعرفة.. وهو نقب لهذيل[٧].

وعند كبكب اللبنين[٨]، وهما جبلان يقال لهما لبن الأسفل ولبن الأعلى وفوق ذلك جبل يقال له المبرك[٩]، برك فيل أبرهة عندما قدم لغزو مكة وكانت

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٣.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٣.
٣ ـ ياقوت ٤ / ٧٢.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٧، ياقوت ٣ / ٦٤٦.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٧.
٦ ـ البكري ٣٨، ١٣٥، ١١١٢، ياقوت ٤ / ٢٣٣.
٧ ـ البكري ١١١٢، ياقوت ١ / ٢٣٣.
٨ ـ البكري ١١٥٠.
٩ ـ ياقوت ٤ / ١٤٨.

حدود الحرم من طريق اليمن في طرف إضاءة لبن على ثنية لبن، وهي على سبعة أميال من مكة [١].

وفي طرف من عرفة يقع كدا الذي يقول البكري أنه جبل عرفة[٢]، وكان خالد بن الوليد تقدم من كدا لدخول مكة عام الفتح، وعند كدا ذات السليم[٣]، والوتير وهي تمتد من أدام إلى عرفة [٤].

ويمر من كدا وادي نعمان، وفيه أراك، ولذا كان يسمى وادي الأراك[٥]، ويسمى أيضاً التنعيم، وهو يمتد من الشمال إلى الجنوب [٦] وعلى يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم [٧] وعند التنعيم القدوم التي بقربها يدعى المخيم [٨]، واره [٩]، والتنوق[١٠]، وجبل مدرى[١١]، ومواضع تدعى الأصدار كان فيها نحل يجلب عسلها إلى مكة[١٢].

وفي عرفات الالال وهو «جبل رمل يقوم عليه الإمام، وقيل جبل عن يمين الالال، وقيل هو جبل عرفات نفسه، وعنده يقف الإمام[١٣].

---

١ - الأزرقي ٢ / ١٠٥، ياقوت ٤ / ٣٤٨.
٢ - البكري ١١١٨، ١١٩٠، ابن رسته ٥٧.
٣ - الأزرقي ٢ / ٢٥١.
٤ - البكري ١٢٦، ياقوت ٤ / ٩٠٣.
٥ - البكري ٣٢١، ١٢١٦.
٦ - البكري ١٢٤، ياقوت ١ / ١٨٢.
٧ - البكري ٣٢١.
٨ - البكري ١١٩٨، ياقوت ١ / ١٨٢.
٩ - البكري ٥٢٠.
١٠ - ياقوت ٤ / ٤١٨.
١١ - ياقوت ٤ / ٤٤٨.
١٢ - ياقوت ١ / ٢٩٨ عن الأصمعي.
١٣ - البكري ١٨٥، ياقوت ٣ / ٣٤٦.

وعند الالال الثابت «وهو عند النشرة التي خلف موقف الإمام، وموقفه على خرس من الجبل الثابت وغرس أحجار هناك في جبل الال على يسار طريق الطائف، وعن يمين الإمام» [١].

ويذكر ابن عباس أن موقف النبي ﷺ عشية عرفة بين الأجبل: النبعة والبنيعة والثابت، وموقفه منها على الثابت وهي الظراب التي تكتنف موضع الإمام، والثابت عند النشرة التي خلف الإمام، وموقفه ﷺ على ضرس من الجبل الثابت مضرس بين أحجار هناك في الجبل الذي يقال له الال بعرفة عن يسار طريق الطائف، وعن يمين الإمام، وله يقول نابغة بني ذبيان:

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن الالا سيرهن التراقع [٢]

وقرن النابت الذي يقف عنده الإمام في عرفة يبعد عشرة أذرع عن الميل الثاني عشر من مكة [٣]، وموقف الإمام على ميل من وسط عرفة [٤].

مسجد ابراهيم الخليل

وعلى ميل من موقف الإمام في عرفه يقع «الدكان الذي يدور حول قبلة المسجد، يعرف مسجد إبراهيم خليل الرحمن، وبينه وبين جدار المسجد خمس وعشرون ذراعاً، ولا بد أن هذا المسجد هو مسجد عرفة الذي وصف الأزرقي أبعاده فقال، سعة مسجد عرفة من مقدمه إلى مؤخره ١٦٣ ذراعاً، ومن جانبه الأيسر بين عرفة والطريق ٢١٣ ذراعاً، ويدور حول المسجد جدر طول جدار القبله ثمانية أذرع في السماء واثني عشر إصبعاً، وعطفه من الشق الأيمن عشرون ذراعاً وعطفه في الشق الأيسر مثله، وذرع طول الجدارين الأيمن والأيسر بعد العطف ثلاثة أذرع وأربع أصابع(؟)[٥].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٧.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٧.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٣.

٤ ـ ابن رسته ٥٦.

٥ - الأزرقي ١ / ٣٢.

وذكـر أيضـاً شرفـات جدر المسجد فقال «وعلى جدرات المسجد من الشرف مائتا شرافة وثلاث شرفات ونصف، منها على جدر القبلة أربع وستون، وعلى العطف من جدر القبلة من الجانب الأيمن ثمان وعلى العطف مع جدر القبلة من الجانب الأيسر ثمان، ومنها في بقيته سبع وخمسون ونصف، ومنها على مؤخر المسجد عشر في الأيمن، وفي الأيسر أربع، ويلاحظ أن مجموع الشرافات التي ذكر تفاصيلها تبلغ ٢/١ ١٥١ شرافة، وليس ٢٠٣ شرافه ونصف.

وذكر الأزرقي أيضاً أن لمسجد عرفة عشرة أبواب، منها واحد في القبله وأربعة في كل من الجدار الأيمن والأيسر، وباب في مؤخر المسجد مما يلي الموقف وذكر أيضاً أن على جدر المسجد ١٠٥ شرافات، وأن في مؤخر المسجد الأيمن دكان مربع طوله في السماء خمسة أذرع، وسعة أعلاه سبعة أذرع وثمان عشـرة إصبعاً في ست أذرع وثمان عشرة إصبعاً يؤذن عليه يوم عرفة، وأن في المسجد محراب على دكان مرتفع يصلي عليه الإمام وبعض من معه، ويصلي بقية الناس أسفل، وارتفاع الدكان ذراعان[١].

وهذا المسجد هو الذي ذكر الاصطخري أنه الإمام يجمع فيه بين صلاة الظهر والعصر وأن بعرفه حائط بني عامر، وهو حائط نخيل وبه عين ونسب إلى عبدالله بن عامر بن كريز وأن عرفة ما بين وادي عرفة إلى حائط بني عامر إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الإمام[٢].

لم تذكـر المصادر تطور العمران في عرفة في العهود الإسلامية الأولى سوى ما ذكر المقدسي أنها «قرية بها مزارع وخضر ومباطخ، وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة، والموقف منها على صيحة عند جبل متلاط وثم سقايات وحياض وقناة وعلم قد بني يقف عنده الإمام»[٣].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥١ ـ ٢.

٢ ـ المسالك للاصطخري ١٧.

٣ ـ أحسن التقاسيم ٧٦، ياقوت ٣ / ٩٤٦.

المأزمين

وعلى بعد ١٦٠٥ ذراعاً، أي ميل، شمالي مسجد عرفة يكون حد الحرم، وأنصاب الحرم على نمرة «وهو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك (غرباً) إذا خرجت من مأزمي عرفة تزيد الموقف»[١]، وكانت الحمس، وهي عشائر قريش وبعض من والاها تقف عنده قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أمرهم أن يقفوا بعرفة بحكم الآية: ﴿**وأفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾[٢].

وتحت جبل نمرة[٣] غار أربعة أذرع في خمسة أذرع، ذكروا أن النبي ﷺ كان ينزله يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف، وهو منزل الأئمة إلى اليوم، والغار داخل في جدار الإمارة في بيت الدار[٤]، ويبعد الغار عن مسجد عرفة ٢٠١١ ذراعاً[٥].

وعند نمرة الأراك وهو «من مواقف عرفه، بعضه من جهة الشام وبعضه من جهة اليمن[٦].

وبين مأزمي عرفة عن يسار المقبل من عرفه يريد المزدلفة مما يلي نمرة يقع شعب كبير يدعى «النقب»[٧].

ذكر الأزرقي أن الميل العاشر بين المسجد الحرام وعرفة يقع «عند سقاية ابن برمك، وبينهما طريق، وهو حد جبل المنظر»، ولم أجد ذكراً لهذه السقاية، والجبل.

يذكر الأزرقي أن «موضع الميل التاسع بين مأزمي عرفة، يضم الشعب

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٢، ياقوت ٤ / ٨١٣، وانظر أنصاب الحرم في ضره الأزرقي ١ / ١٢٢.
٢ ـ الأزرقي ١ / ١١٦، ١٢٢، ١٢٣.
٣ ـ ياقوت ٤ / ٨١٣.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٢.
٥ ـ ياقوت ١ / ١٨٢.
٦ ـ ياقوت ٤ / ٨٠٣.
٧ ـ ياقوت ٢ / ١٥٣.

الذي يقال له شعب المبال، الذي بال فيه رسول الله ﷺ حين دفع من عرفة يريد المزدلفة، وهذا الميل بحيال شعب السقيا، سقاية خالصة[1]، والمأزمين شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة[2].

وذكر الأزرقي أيضاً أن «الشعب الكبير الذي بين مأزمي عرفة على يسار المقبل من عرفة يريد المزدلفة في أقصى المأزم مما يلي نمرة، وبين يدي هذا الشعب الميل، ومن هذا الميل إلى سقاية زبيدة التي في أول المزدلفة مثل الميل عندها دونها إلى المزدلفة قليةً، وهو أقصى هذا الشعب فيه صخرة «ويذكر أيضاً أن عرض المأزمين ١٠٢ ذراعاً و ١٦ إصبعاً[3].

وشعب الميال نزله الرسول ﷺ في حجة الوداع، وتوضأ فيه وصلى المغرب والعشاء[4]، وهو «الشعب الكبير الذي بين مأزمي عرفة على يسار المقبل من عرفة يريد المزدلفة في أقصى المأزم مما يلي نمرة، وبين يدي هذا الشعب الميل، ومن هذا الميل إلى سقاية زبيدة التي في أول المزدلفة مثل الميل عندها دونها إلى المزدلفة قليلاً، وهو أقصى هذه الشعب، فيه صخرة كبيرة، وهذا الشعب الذي من بطن المأزم على يمينك وأنت مقبل من عرفة بين الجبلين كذا أفضيتنا من مضيق المأزمين، وهو أقرب وأوصل بالطريق»[5].

وعند، هذا الشعب كان يصلي حجاج أهل الأندلس[6].

ومأزما عرفة ليسا من المزدلفة، ولكن مفضاهما إليها[7].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٣.

٢ ـ الاصطخري ١٧.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٠.

٤ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٩.

٥ ـ الأزرقي ٢ / ١٦٠.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٩.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٥.

وفي أصل المأزمين طريق ضب، وهو طريق مختصر من المزدلفة إلى عرفة، وهي في أصل المأزمين عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة، وقد ذكروا أن النبي ﷺ سلكها حين عدا من منى إلى عرفة[1].

وبين مأزمي عرفة ومسجد إبراهيم تقع السقيا، وهي المسيل التي كانت فيها بئر جاهلية انطمرت ثم نثلتها خالصة مولاة الخيزران فسميت باسمها[2]، وفي السقيا أيضاً بئر عظيمة وبستان عملهما عبدالله بن الزبير[3].

وذكر ياقوت أن المأزمين «موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفه، وهو ماقيل من على الصحراء التي يكون بها موقف الإمام إلى طريق يفضي إلى حصن وحائط بني عامر عند عرفة، وبه المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الصلاتين، الظهر والعصر، وهو حائط بجبيل به عين تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كريز وليست عرفات من الحرام، وإنما حد الحرم بين المأزمين، فإذا أجزتهما إلى المأزم، وهو الطريق الضيق بين الجبال، وقال الأصمعي المأزمين في السنة مضيق بين جمع وعرفة[4].

فأما عرفة فقد ذكر عنها ياقوت «قال الأزهري بطن عرفة واد بحذاء عرفات، وقال غيره بطن عرفة مسجد عرفة والمسيل كله»[5].

وذكر البكرى «بطن عرفة هو بطن الوادي الذي فيه مسجد عرفة، وهي مسايل يسيل فيها الماء إذا كان المطر، يقال لها الجبال وهي ثلاثة أقصاها مما يلي الموقف، أمر رسول الله ﷺ بالارتفاع عن تلكم الجبال إلى سفح جبل عرفة أي أسفله، قال ابن المواز: حائط مسجد عرفة القبلي على حدّ عرفه، ولو سقط ما سقط إلا فيها[6]

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٦، الأم للشافعي ٢ / ١٧٩.

٢ ـ الأزرقي ٢ / ١٨٠.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٢٩.

٤ ـ ياقوت ٢ / ٣٩١، وانظر الاصطخري ١٧.

٥ ـ ياقوت ٣ / ٩٥٧.

٦ ـ البكري ١١٩٠

وعـرفـة ليست من الحـرم[1]، بينها وبين الحرم رمي بحجر[2]، وهي حد عرفة[3] ولا يجتمع فيها الحاج ويروى أن الرسول ﷺ قال «عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة»[4]. والمصلى على حافة وادي عرفة على تخوم عرفة[5] ومن طرف الموقف بعرفة قريباً يقع بئر رم التي حفرها مرة بن كعب بن لؤي[6].

وفي عرفة إضاءة النبط «كان يعمل فيها الآجر» وإنما سميت إضاءة النبط لأنـه كان فيهـا نبط بعث بهم معاوية بن أبي سفيان يعطون الآجر لدور بمكة فسميت بهم[7]، وحـذاء هذه الإضاءة كانت ركايا قدامة بن مطعون في شقها الذي يلي مكة[8].

وفي عرفة أيضاً المغشى من طرف النبط إلى خيف الشبرق[9]، وخز روع «بطرف الليط مما يلي المعس[10] وكند» الجبل الذي بطرف المغشى، وبينه وبين الحدرة تقع حلحلة[11]، والحزنة وهي «ثنية كمان الذي ضربها فيها وسهلها يحيى بن خالد بن برمك، واحتفر منها إلى عين كان أجراها في المغشى والليط من فخ وعمل هناك بستاناً[12]

---

١ ـ الاصطخري ١٧.

٢ ـ البكري ١١١٧، ١١٩٠.

٣ ـ الأزرقي ٢ / ١٥٧.

٤ ـ الموطأ ١ / ٢٧٥.

٥ ـ أحسن التقاسيم ٧٦.

٦ ـ الأزرقي ٢ / ١٧٣.

٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٧.

٨ ـ الأزرقي ٢ / ١٨١.

٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.

١٠ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.

١١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٢.

١٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٠.

وعند الليط كانت الأقحوانة كان مجلساً يجلس فيه من خرج من مكة[1] وعنده الأزبية وهي شعب يفرغ من ذات الحنظل وما بين ثنية أم رباب إلى الثنية التي بين الليط وبين شعب عمر بن أبي ربيعة[2] وبين الليط وذي طوى تقع القبلا[3]، وكانت فخ ما بين الليط ظهر المحدرة، إلى ذي طوى، إلى الروضة أسفل مكة[4].

وعلى الطريق بين عرفة ومكة يقع جبل ثور[5]، ويسمى ثور أطحل[6] وفي هذا الجبل غار اختبأ فيه الرسول ﷺ وأبو بكر[7] مرة من ملاحقة قريش. وفي ثور تقع عابدين، وهو موضع أو واد[8]، وفيه أيضاً القفيلة وهو سيل تمسك ماءه بعض الحجارة، وتطؤه محجة مكة إلى عرفة[9]، وفي جهة القبلة منه جبل مريخ[10].

---

١ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٥.
٢ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٣.
٣ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤٤.
٤ ـ الأزرقي ٢ / ٢٤١.
٥ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٧.
٦ ـ ياقوت ١ / ٩٣١.
٧ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٧.
٨ ـ ياقوت ٣ / ٥٨٣.
٩ ـ الأزرقي ٢ / ٢٣٧.
١٠ ـ ياقوت ٤ / ٤٨٣.

الفهرست

تقديم ٥

الفصل الأول: أهمية الحجاز في صدر الإسلام ٧

دور أهل الحجاز في تثبيت الإسلام ودولته وتوسيعها ٧، أهل الحجاز في الأمصار ٨، مكانة أهل الحجاز في زمن الخلافة الأموية ١٠، أثر الحجاز في تنظيم الادارة الإسلامية ١٢، دور أهل الحجاز في النشاط التجاري وتنظيمه ١٥، مكانة نظم الحجاز في السنّة ١٦، دور أهل الحجاز في توجيه الثقافة في بغداد ١٨، مكانة علماء الحجاز ٢١.

الفصل الثاني: المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز .... ٢٣ ـ ٦٠

المصادر العامة ٢٣، محمد بن الحسن بن زبالة ٢٩، يحيى بن الحسن العلوي ٣١، علي بن محمد المدائني ٣٣، عمر بن شبة ٣٤، الزبير بن بكار ٣٧، أبو عبدالله الاسدي ٤١، عرام بن الأصبغ السلمي ٤٢، أبو عبيدالله عمرو بن بشر السكوني ٤٦.

الفصل الثالث: أرض الحجاز .... ٦١ ـ ٧٣

تحديد الحجاز عند المتقدمين ٦١.

الفصل الرابع: أرض الحجاز: عرض جغرافي .... ٧٤ ـ ١٢٩

(١) المناطق الشمالية: تبوك ٧٤، خيبر ٧٧، فدك ٧٩، وادي القرى ٨٢.

(٢) المناطق الغربية من المدينة: إضم ٨٨، الغابة ٨٩، خشب وذي المروة والحوراء ٩٠، القبلية ٩١، الأجرد والأشعر ٩٣، بواط ٩٤، الحورتان وظلم ٩٥، وديان الأشعر ٩٧، يليل ٩٨، رضوى ١٠٠، عزور وتافل ١٠٠، الحوراء ١٠٢، ينبع ١٠٣، خفنين وغيقة ١٠٧، العذيبة والجار ١٠٨، معالم الطريق بين المدينة وبدر ١١٠، الصفراء ١١٣، بدر ١١٥.

(٣) المناطق الجنوبية الشرقية من المدينة: جبل آره والفرع وودان ١١٦، الابواء ١٢٠، السقيا ١٢١، ورقان وقدس والعرج ١٢٢.

(٤) المناطق الجنوبية الشرقية: السوارقية ١٢٤، حرة بني سليم ١٢٨، معدن بن سليم ١٢٩.

الفصل الخامس: المياه والري . . . . ١٣١ - ١٥٦
المياه ١٣١، الآبار ١٣٣، العيون ١٣٥، أمواه منوعة ١٤٠، الأوشال ١٤١، الأحباس والمصانع ١٤٣، الزلف ١٤٦، الفقر ١٤٧، المسك ١٤٨، المياه في مكة ١٤٩، السدود ١٥٠، الآبار ١٥٢، البرك ١٥٣، العيون ١٥٤، المدينة: الوديان والسدود ١٥٥، الآبار ١٥٦.

الفصل السادس: المنتوجات الزراعية . . . . ١٥٧ - ١٧٦
الأراضي الجرداء ١٥٧، المنتوجات الزراعية ١٥٨، النخيل والتمور ١٦٣، الكروم والعنب ١٦٧، أشجار الفاكهة ١٦٩، البقول والخضر ١٧٢، الحنطة والشعير ١٧٣، مقدار المنتوج ١٧٥.

الفصل السابع: أهل الحجاز: العشائر . . . . ١٧٧ - ١٩٠
النظام القبلي ١٧٧، أهل المدر وأهل الوبر ١٧٨، عشائر الحجاز ١٨٠، عشائر شمالي الحجاز: اشجع، وعذرة، وبلى ١٨١، غطفان ١٨٢، عبس ١٨٣، أسد ١٨٤، عشائر الحجاز الأوسط جهينة، ضرة، اسلم، ليث، مزينة كنانة، هذيل، خزاعة ١٨٥.

الفصل الثامن: طرق المواصلات في الحجاز . . . . ١٩١ - ٢٢١
طرق المواصلات القديمة ١٩١، طريق الشمال ١٩٧، تطور أحوال الطرق بعد الإسلام ١٩٩، طريق المدينة ـ مكة ٢٠٢، اهتمام الخلفاء بالطريق ٢٠٣، الطرق في زمن الرسول ﷺ ٢٠٧، المسافات: مقاييس المسافات ٢١٣، المرحلة والبريد ٢١٦، طريق المدينة ـ بدر ٢١٧، الميل ٢١٨.

الفصل التاسع: منازل الطريق بين المدينة ومكة . . . . ٢٢٣ - ٢٧٨
ذو الحليفة ٢٢٣، البيداء ٢٢٤، حمراء الاسد ٢٢٦، خاخ ٢٢٧، ذات الجيش والحضيرة ٢٢٨، أعظم ٢٢٩، تربان ٢٣٠، ملل ٢٣١، الفرش ٢٣٣، السيالة ٢٣٦، الروحاء ٢٣٨، الرويثة ٢٤٢، العرج ٢٤٣، ودقان ٢٤٥، قدس وآره ٢٤٦، السقيا ٢٤٨، ثافل ٢٥٠، الأبواء ٢٥١، هرشى ٢٥٣، شمنصير ٢٥٤، ودّان ٢٥٨، رابغ ٢٥٩، الجحفة ٢٦٠، خليص ٢٦٣، عسفان ٢٦٤، قديد والمشلل ٢٦٦، الكديد ٢٧٠، بطن مر ٢٧٢، التنعيم ٢٧٣، ذو طوى ٢٧٥، كداء ٢٧٦.

الفصل العاشر: ادارة الحجاز . . . . ٢٧٩ - ٣٣٧
الاحوال الادارية عند ظهور الإسلام ٢٧٩، تطور الاحوال بعد ظهور الإسلام ٢٨١، تعابير التقسيمات الادارية ٢٨٥، التقسيمات الادارية ٢٩٥، أهمية المدينة ٣٠١، أهمية مكة ٣٠٥، القضاء والحرس ٣٠٦، الديوان والعامل على السوق ٣٠٨، الصوافي وادارتها ٣١٣، ادارة المناطق القبلية ٣١٥، ولاة الاماكن التابعة للمدينة ٣٢٢، ولاة الاعمال في المدينة ٣٢٤، ولاة المدينة وقضاتها ٣٢٦، ولاة مكة والطائف ٣٣٢.

الفصل الحادي عشر: تنظيم جباية الصدقات .... ٣٣٩ ـ ٣٥٧
العلاقة بالعشائر ٣٣٩، الصدقات ٣٤١.
تنظيم مقدار الجباية ٣٤٣، اماكن الجباية ٣٤٤، موعد الجباية ٣٤٥.
طرق المصدقين ٣٤٧، صرف الصدقات محلياً ٣٤٩، احكام عامة ٣٥٥.

الفصل الثاني عشر: الحمى في القرن الأول الهجري ...... ٣٥٩ ـ ٣٧٨
تعريف الحمى ٣٥٩، الاحماء في الجاهلية ٣٦٠، الحمى في زمن الرسول ﷺ ٣٦٠، حمى النقيع ٣٦٢، أحماء أبي بكر ٣٦٤، أحماء عمر ـ الربذة ٣٦٥، الشرف ٣٦٧، ضرية ٣٦٨، فيد ٣٧٥، الأمويون والحمى ٣٧٧.

الفصل الثالث عشر: العطاء والرزق وتطور تنظيمه .... ٣٧٩ ـ ٤٣٤
العطاء في خلافة ابي بكر ٣٧٩، تنظيم العطاء في خلافة عمر بن الخطاب ٣٨١، عطاء الاولاد ٣٨٨، عطاء النساء ٣٩١، تنظيم توزيع العطاء ٣٩٢، تطور العطاء في خلافتي عثمان وعلي ٣٩٦، تطور العطاء في العهد الأموي ٣٩٨، العطاء في زمن عمر بن عبد العزيز ٤٠٢، العطاء في العصر العباسي ٤١٠، عطاء الموالي ٤١٦، البعث ٤٢٠، الطوى والجعائل والبدائل ٤٢٢، الرزق ٤٢٦، المكاييل ٤٢٧، طعام الجار ٤٢٩، الكسوة ٤٣٢.

الفصل الرابع عشر: ملكيات الأراضي في الحجاز .... ٤٣٥ ـ ٤٨٠
اهمية الملكيات ٤٣٥، تطور الملكيات ٤٣٧، ملكيات غنائم اراضي اليهود ٤٣٨، املاك علي بن ابي طالب ٤٤٦، املاك آل علي ٤٥٢، املاك الزبير وآله ٤٥٨، املاك طلحة ٤٦٤، أملاك ابي بكر وعمر ٤٦٥، أملاك الخلفاء الأمويين ٤٦٦، أملاك المهاجرين ٤٦٨، أملاك سعيد بن العاص ٤٦٩، عبدالله بن عامر ٤٧٠، أملاك رجال اخرين ٤٧٠، تطور الملكيات ٤٧٥، أسعار الأراضي ٤٧٧، تطورات الأراضي ٤٧٨.

الفصل الخامس عشر: خطط المدينة المنورة .... ٤٨١ ـ ٥٥٦
المدينة عند الهجرة ٤٨١، المؤلفات عن المدينة ٤٨٢، حدود المدينة ٤٨٤، اودية المدينة: بطحان ٤٨٦، مذينب ٤٨٧، رانونا ٤٨٧، مهزور ٤٨٨، قناة ٤٩٠، قباء ٤٩٠ بنو عمرو بن عوف ٤٩٢، بنو انيف ٤٩٢، العصبة ٤٩٣، جحجبا ٤٩٤، مسجد الفضيخ: واقف والسلم وخطمة ٤٩٤، امية بن زيد ٤٩٧، قينقاع ٤٩٧، السنح: الحارث بن الخزرج ٤٩٨، بنو سالم وغنم والحلبى وبياضة ٤٩٨، بنو النضير ٥٠١.
القطاع الجنوبي الشرقي: واقم، بنو قريظة ٥٠٢، عبد الاشهل ٥٠٣، حارثة ٥٠٤، بنو ظفر ٥٠٥، زهرة، ٥٠٦ القف وصدقات الرسول ﷺ ٥٠٦، البقيع ٥٠٩، المناصع ٥١٤، بنو حديلة ٥١٥، بقيع الزبير ٥١٧، بنو النجار ٥١٨، بنو زريق ٥١٩، مسجد الرسول ﷺ ٥٢٠،

تطور بنائه ٥٢١، ابواب المسجد ٥٢٣، البلاط ٥٢٩، المصلى ٥٣٦، منازل مهاجري الحجاز ٥٣٨، القطاع الشمالي: سلع ٥٤٠، مساجد الفتح والسيح ٥٤٢، بنو حرام ٥٤٣، عثعث ٥٤٥، جهينة وبلى ٥٤٦، غفار ٥٤٧، ليث وعشائرها ٥٤٧، اشجع ٥٤٩، ضمرة ٥٥٠، السوق ٥٥٠، سوق هشام ٥٥١، الزوراء ٥٥٢.

الفصل السادس عشر: المعالم العمرانية في مكة .... ٥٥٧ - ٦٩٢

مكانة مكة وأهلها ٥٥٧، التطورات بعد الإسلام ٥٥٨، عشائر مكة ٥٦١، مصادر دراسة المعالم العمرانية في مكة ٥٦٨، كتب النسب ٥٦٩، كتب البلدانيين ٥٧١، مؤلفات اختصت بمكة ٥٧١، اخبار مكة لابن شبة ٥٧٤، اخبار مكة للفاكهي ٥٧٦، مقتطفات من كتاب الفاكهي تحصيب المسجد الحرام ٥٧٨، عدد المناورات التي على رؤوس الجبال ٥٧٩، الدور التي تشرع على المسجد الحرام ٥٨٠، الحمامات ٥٨٢، البرك ٥٨٣، تاريخ مكة للأزرقي ٥٨٤، بنو الأزرق ٥٨٦، الكعبة ٥٩٢، بناء قريش ٥٩٤، بناء ابن الزبير ٥٩٦، بناء عبد الملك ٥٩٨، الزخارف والتعاليق ٥٩٩، مقام ابراهيم ٦٠١، زمزم ٦٠٤، سقاية العباسي ٦٠٦، المسجد الحرام ٦٠٨، ابواب المسجد ٦١١.

المعالم الجنوبية: اجياد الكبير ٦١٧، الحزامية ٦١٩.

الاطراف الشمالية: السويقة وقيقعاك ٦٢٠

ابواب الشق الشمالي ٦٢٠، دار العجلة ٦٢١، دار الندوة ٦٢٢، باب شيبة ٦٢٣، دار الامارة ٦٢٤، شعب قعيقعان ٦٢٦.

الاطراف الشرقية: جبل ابي قبيس ٦٢٩، اجياد الصغير ٦٣٠، الصفا ٦٣٢، دار الأرقم ٦٣٢، الصيادلة ٦٣٣، المسعى ٦٣٥، توسيعات المسجد ٦٣٧، المسعى ٦٣٨، المروه واطرفها ٦٤٢، دور معاوية الست المتقاطرة ٦٤٥.

الخندقة والرباع في أطرافها الشرقية

الخندقة ٦٤٨، رباع بني عبد المطلب ٦٤٩، مولد النبي ٦٥٠، بيت خديجة وما حوله ٦٥١، رباع آل أبي سفيان ٦٥٢، رباع بني عامر بن لؤي ٦٥٤، الحجون ٦٥٧، شعب المقبرة ٦٥٨، كداء ٦٥٩، ذى طوى ٦٦٠، فخ ٦٦٢، شعب ابن عامر ٦٦٥، شعب عبدالله بن خالد بن اسيد ٦٦٦، بير القسرى ٦٦٧، ثبير ٦٦٨، بئر ميمون ٦٧١، شعب الخوز ٦٧١، خيف بني كنانة ٦٧٢، المحصب ٦٧٣، مسجد الحنيف ٦٧٥، العقبة ٦٧٧، منى ٦٧٨، المزدلفة ٦٨١، بطن محسر ٦٨٣، عرفة ٦٨٤، إلال ٦٨٥، مسجد ابراهيم الخليل ٦٨٦، المأزمين ٦٨٨، شعب المبال ٦٨٩، بطن عرفة ٦٩٠.